

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
للعام ٢٠٢٢



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

وقائع

المؤتمر العلمي الثامن

لقسم الدراسات السياسية

الموسم

تحولات عالمية .. الدولة في مواجهة انماط جديدة من

التحديات

٩-١٠ حزيران ٢٠٢٢



**Ministry of Higher Education and Scientific
Research**

Mustansiriya University

**Al-Mustansiriya Center for Arab and International
Studies**

Eighth Scientific Conference

department of political studies

**Global transformations.. the state is confronting
a new types of challenges**

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

وقائع المؤتمر العلمي الثامن

لقسم الدراسات السياسية

الموسم

تحولات عالمية ... الدولة في مواجهة أنماط جديدة

من التحديات

٩-١٠ - حزيران ٢٠٢٢

هيئة التحرير للمؤتمر :

١-١.م.د. حيدر علي حسين ٣-١.م.د.بتول هليل جبير

٢-١.مجد زين العابدين طعمة ٤-١.م.د. ظفر عبد مطر

٥- م. نغم سعدون رحيمة

التنفيذ الالكتروني :

مدير فني ضמיاء حامد سهيل

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
للعام ٢٠٢٢



برعاية معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأستاذ الدكتور نجيب كاظم عبد الصاحب المحترم

السيد رئيس الجامعة المستنصرية أ.د. صادق محمد العياش المحترم
السيد رئيس جامعة الموصل أ.د. قصي كمال الدين الاحمد المحترم
السيد رئيس جامعة بغداد أ.د. مكي حميد السعدي المحترم

السيد مدير مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية أ.د. احمد شيال المحترم
السيد عميد كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية أ.د. خالد عبد الله المحترم
السيد عميد كلية العلوم السياسية جامعة الموصل أ.د. طارق محمد طيب المحترم
السيد مدير مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية أ.د. اسعد طاهر المحترم

يقيم قسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية وبالتعاون مع

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
جامعة بغداد

كلية العلوم السياسية
جامعة الموصل

كلية العلوم السياسية
الجامعة المستنصرية
قسم العلاقات الدولية

المؤتمر العلمي الثامن

تصولات ملية: الدولة في مواجهة انماط جديدة من التحديات

مختصر المؤتمر

أولاً: محور التحولات والتحديات السياسية:

- ١- تحولات القوة في الهرمية الدولية
- ٢- تغير المشهد الصراع الدولي وتنامي عوامل التوتر
- ٣- يوز القاطنون في المنطقة

ثانياً: محور التحولات والتحديات الاقتصادية:

- ١- الأزمات الكبرى وعدم استقرار الاقتصاد العالمي
- ٢- تدويل إطار النقد
- ٣- منافسة العملات الرقمية

ثالثاً: محور التحولات والتحديات الاجتماعية:

- ١- تحول الخطاب الديني
- ٢- تكتف البناء الكروي والمكاني للمجتمعات وتنامي التطرف العنيف
- ٣- أزمات الهجرة والتزوج

رابعاً: محور التحولات والتحديات الأمنية:

- ١- تحديات الأمن الغذائي والصحي
- ٢- تحدي الأمن السيبراني
- ٣- تحدي حفظ السلم والأمن الدولي

٩ - ١٠ / ٦ / ٢٠٢٢
عبر منصة
Google Meeting
رابط الدخول
<https://meet.google.com/ztg-dsiq-00a>



المؤتمر العلمي الثامن

تصولات ملية: الدولة في مواجهة انماط جديدة من التحديات

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

للعام ٢٠٢٢



وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
للعام ٢٠٢٢



منهاج المؤتمر العلمي الثامن

تحولات مالية: الدولة في مواجهة إشكالات جديدة من التحديات

الجلسة الافتتاحية

الساعة الثامنة من مساء يوم الخميس ٢٠٢٢/١/٩

عبر منصة Google Meeting /رابط الدخول

<https://meet.google.com/ztg-dslq-aaa>

الجلسة الاولى

رئيس الجلسة: أ.د عامر هاشم عواد/ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد
مقرر الجلسة: أم. اسراء احمد جواد/ كلية العلوم السياسية/ الجامعة المستنصرية

ت	عنوان البحث او الورقة البحثية	اسم الباحث ومكان العمل
١	صراع قوى البيئة العالمية القاطنة وارتداداته الاستراتيجية على الدول	د. يونس مزيد يونس م. جاسم محمد طه كلية العلوم السياسية جامعة الموصل
٢	التفاعل من غير الدول وتأثيرها في العلاقات الدولية الراحة	د.محمد بويوش / جامعة محمد الأول-وجدة/ المغرب
٣	المشاهد المستقبلية لمسارات التحولات العالمية	أ.د حيدر علي حسين / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

الجلسة الثانية

رئيس الجلسة: أ.د عواد خليل إبراهيم/ كلية العلوم السياسية/ جامعة الموصل
مقرر الجلسة: أم.د بتول هليل جبير/ مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

ت	عنوان البحث او الورقة البحثية	اسم الباحث ومكان العمل
١	جيوبوليتيك الطاقة والصراع على الغاز الطبيعي في العالم	م.م ميران حسين / جامعة السليمانية – كلية العلوم الإنسانية
٢	تأثير تنهذب أسعار النفط على اقتصاديات الدول المصدرة مع اشارة خاصة الى العراق وانعكاسه على امن الطاقة	أ.م.د سعد عبيد السعدي م.م مها عبد الكريم زبون كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد
٣	الأدوات الجيواقتصادية في إدارة الصراع الدولي	د. محمد أمين سويعد/ جامعة الجزائر ٢

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
للعام ٢٠٢٢



منعاج المؤتمر العلمي الثامن

قضايا ملحة: الدولة في مواجهة أزمات جديدة من التحديات

اليوم الخامس للمؤتمر
الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة ٢٠٢٢/١/١٠
عبر منصة Google Meeting / رابط الدخول
<https://meet.google.com/ztg-dsiq-aqa>

الجلسة الثالثة

رئيس الجلسة: أ.م.د. مهدي عبد الواحد كاظم / كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية
مقرر الجلسة: أ.م.د. شيماء معروف فرحان / كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

ت	عنوان البحث أو الورقة البحثية	اسم الباحث ومكان العمل
١	العوامل المؤثرة في التطرف الفكري في المجتمعات المازومة	م. د.م سعدون / مركز المستنصرية للدراسات العربية والتولية
٢	توظيف نمط القوة في ضوء التحول النوعي للتأهارة الارهابية	أ.م.د. سالم مطر عبد الله / كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل
٣	الإعلام الإلكتروني وتأثيراته على مقومات الدولة القومية	أ.م. د. أنعام عبد الرضا سلطان العثاني / جامعة بغداد / كلية الاعلام / قسم الصحافة

الجلسة الرابعة

رئيس الجلسة: أ.م.د. حيدر علي حسين / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
مقرر الجلسة: أ.م.د. أحمد عبد اسماعيل / كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

ت	عنوان البحث أو الورقة البحثية	اسم الباحث ومكان العمل
١	الأمن الغذائي والكره في تحقيق الاستقرار المجتمعي	أ.م.د. نازم نواف إبراهيم / كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية / أ.م.د. أسراء أحمد جبار
٢	المخاطر السيبرانية: التهديد الجديد لاستقرار الدولة	أ.م.د. علي جلال عواد / كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد / أ.م.د. عماد وكاف عجيل / كلية التربية الأساسية / الشرجاط / جامعة تكريت
٣	مستقبل الأمن في ضوء التطورات التولية الراهنة (الحرب على أوكرانيا)	أ.م. د. محمد صلاح محمود / أ.م.د. جاسم محمد طه / كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل

		
البحوث والأوراق البحثية المقبولة في المؤتمر العلمي الثامن تحولات ملابسة: الدولة في مواجهة انماط جديدة من التحديات		
ت	عنوان البحث او الورقة البحثية	اسم الباحث ومكان العمل
١	أثر البنية الاجتماعية على جنسية الاستثمار الأجنبي في المجتمعات المأزومة العراق نموذجاً رؤىة سوسولوجية	أ.د. مشمن زيد محمد التميمي / الجامعة المستنصرية
٢	أثر التدخل التركي في الأمن العربي	م.م. كزار فرحان هادي م.م. إيمان هادي معارج كلية العلوم السياسية، جامعة الكوفة
٣	أثر هجمات الحادي عشر من سبتمبر على عمليات الهجرة والانتماء للمهاجرين المسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا	م.د. راجي يوسف محمود البياتي / جامعة كركوك- كلية القانون والعلوم السياسية م.د. علي محمد عياد الجبوري / وزارة التربية- مديرية تربية كركوك
٤	استراتيجية الدولة الجزائرية في التصدي لطاهرة الهجرة غير الشرعية للأسر والعائلات	د. محمد أمين داني / جامعة سعيدة – الجزائر
٥	الاختراق الإسرائيلي لمنظومة الاتحاد الأفريقي، واستراتيجية التصدي الجزائرية للتهديدات، الأهداف	د. مبروك كاهي / كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة ورقلة الجزائر
٦	الاستثمارية في السياسة الخارجية الأمريكية ما بين جو بايدن و دونالد ترامب وانعكاسها دولياً	د. خالد هاشم / باحث في مجال العلاقات الدولية، مستشار المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية
٧	الأمن السيبراني ودوره في تعزيز الأمن القومي للدول	م.د. زينة عبد الأمير عبد الحسین ابراهيم / كلية الآراء الجامعة
٨	الأمن السيبراني: الأبعاد والتحديات	أ.د. منى حسين عبيد / مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد
٩	الأمن الصحي في محافظة نينوى بعد عام ٢٠٢١	م.سجى فلاح زبدان / كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل
١٠	الأمن المالي العراقي: تحديات وحلول	م.د. عالية عبد الأمير عبد المجيد / كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد
١١	الانكفاء العسكري الأمريكي واعادة تشكيل النظام الاقليمي في الشرق الأوسط	أ.م.د. علي جاسم محمد التميمي / كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية
١٢	التحديات السياسية التي تواجه النظام السياسي بعد التحول الجذري	م.د. حسن هادي وشيد / باحث - جمعية البصرة للبحث والتنمية الإعلامية

تقولات مالية: الدولة في مواجهة انماط جديدة من التحديات

ت	عنوان البحث او الورقة البحثية	اسم الباحث ومكان العمل
١٣	الاقتصاد العالمي وازمة جائحة كورونا	الباحثة: براحمة كريمة / جامعة حسنية بن بوعى / الجزائر
١٤	الجرائم السيبرانية	أ.م.د. بديرة صالح عبد الله / مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد
١٥	الحركات الدينية في الإسلام - مقارنة سوسيولوجية لواقع هذه الحركات اليوم وتأثيرها على المجتمعات العربية	استاذة محاضرة: سرورك وشينة / استاذة محاضرة: نعيمة مليكة / جامعة مسكن / الجزائر
١٦	الديمقراطية الإلكترونية والتغير في العراق	د. كمال حسين آدم / كلية العلوم السياسية / جامعة تكريت
١٧	السيادة الوطنية للدولة في مواجهة تطورات النظام الدولي الراهن	د. بوحلاقة سعد / جامعة الجزائر - ١ - كلية الحقوق
١٨	الشركات المتعددة الجنسيات بين الأمن الاقتصادي والأمن القومي: الوجه المتغير للدولة: قراءة في حالة الجزائر	د. مبارك شريف خليل / الباحثة: بن فريدة علي لوفيسي / الباحثة: مالكي إيتسم / جامعة بليلة ٢ - الجزائر
١٩	المشروع الإصلاحي لحفظ مصالح العراق الوطنية العليا رؤية استشرائية وطنية جديدة	أ.م.د. رحمن عبد الحسين طاهر / كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية
٢٠	أهمية الخطاب الديني المعقل وسبل الارتقاء به لبناء السلم الاجتماعي	أ.م.د. ساجد صبري نعمان / كلية العلوم الإسلامية / الجامعة العراقية / بغداد م.م. زهراء فرحان عباس / منيرة كريمة الكرخ
٢١	تأثير السياسة الخارجية القطرية على التفاعل من غير الدول: حركة طالبان النموذج	أ.م.د. عثمان خلف حميد البدراني / كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل
٢٢	تحدي الأمن السيبراني	الباحثة: مريم علي ابراهيم
٢٣	تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية وحقيقة تغيير أنماط الصراع الدولي وإعادة رسم النظام العالمي	د. ماجد عبد العزيز عيسى الخواجا / مستشار إعلامي وكاتب صحفي / الأردن
٢٤	تراجع دور الخطاب المسجدي في حل المشكلات الاجتماعية	د. بوكشة جمعية الوثبة د. خروبي عبد الرحمن / جامعة حسنية بن بوعلي الشلف / الجزائر



البحوث والأوراق البحثية المقبولة في المؤتمر العلمي الثامن

تصولات مالية: الدولة في مواجهة ازمات جديدة من التحديات

ت	عنوان البحث او الورقة البحثية	اسم الباحث ومكان العمل
٢٥	تطور استراتيجية حروب الجيل الرابع: الحروب اللاعنفية وإطار نظري	م.م. رشا سهيل محمد / ديان / طالبة دكتوراه / كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين
٢٦	توازن القوى الدولي وتوازن القوى الاقليمي: دراسة نظرية تحليلية	د. احمد مشعان نجم / وزارة التعليم العالي والبحوث العلمي / العراق
٢٧	ديناميكيات التحرك الروسي تجاه أوكرانيا وانعكاس تأثيره على النظام الدولي ومقاربة جيوبوليتيكية	د. فراس عباس هاشم / باحث في الشؤون الدولية
٢٨	فكرة التحمل الجماعي في تعويض الاضرار الناجمة عن تكرير النفط والغاز: دراسة مقارنة	م.م. حسنين علي هادي / الجامعة الاسلامية / كلية القانون والعلوم السياسية م.م. ساره كاظم راهي / كلية الحلة الجامعة / قسم القانون
٢٩	كورونا والنظرية النقدية في العلاقات الدولية	أ.م.د. مصطفى الهادي / كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية
٣٠	نظرية تحول القوة في النظام السياسي الدولي، الحرب الروسية الاوكرانية النموذجاً	د. محمد عيسى الساعدي / مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية
٣١	القانون الجدد في السياسة الدولية	م. محمد رشيد صبار / مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية - جامعة بغداد
٣٢	مشكلة الامن الغذائي في العراق	أ.د. سراج جبار خورشيد / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٣٣	سياسة المحاور الدولية واثرها في الامن والسلم الدوليين	أ.م.د. بثول هليل جبير / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٣٤	الحرب النفسية الرقمية واعتبارات الامن السيبراني	أ.م.د. علي عبد الهادي / وزارة التعليم العالي والبحوث العلمي - العراق
٣٥	اتفاق سوق الطاقة العالمي وتحدي الدولة النفطية دراسة حالة الجزائر	د. زكرياء وهي / كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الجزائر ٣
٣٦	الديبلوماسية الرقمية ودورها في العلاقات الدولية	أ.د. نوار جليل هاشم / كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية د. محمد كاظم عباس / كلية الشور الجامعة

		
البحوث والأوراق البحثية المقبولة في المؤتمر العلمي الثامن تحولات مالية: الدولة في مواجهة أنماط جديدة من التحديات		
ت	عنوان البحث أو الورقة البحثية	اسم الباحث ومكان العمل
٣٦	الحرب الروسية الأوكرانية: تراجع الليبرالية وعودة الواقعية	أ.م. اسعد زين العائدين /معلمة/مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية أ.م. فيصل شلال عباس/كلية التربية للعلوم الصرفية ابن الهيثم/جامعة بغداد
٣٧	تنامي الحروب الداخلية وأثرها في تهديد الأمن والسلام الدولي	أ.م. مهدي عبد الواحد كاظم/كلية العلوم السياسية/الجامعة المستنصرية
٣٨	ملاحم النهج الإسلامي عند الحركة الإسلامية في العراق – دراسة في خطاب الإصلاح وحركة التجديد	م. حسن خلف العلي / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
٤٠	الدولة في مواجهة التحديات الأمنية الجديدة	الباحث السياسي محمد اسعد شعيب/مؤسس جمعية وعي وقيم
٤١	التحولات والتحديات السياسية في ظل البيئة الدولية	الباحثة: مريم العزراء سعد جاسم نصيف
٤٢	العراق في مواجهة التحدي الغذائي والصحي	م. فتيحة مطلق عباس/مدير قسم الدراسات والخطوط / رئاسة جامعة سامراء
٤٣	تحديات بناء السلام وتأثيرها على استقرار الدولة الداخلي/دمج الأقليات المتواجداً	أ.د.خلود محمد حميد/كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية
٤٤	تحولات مفهوم الخطاب الديني في العراق بعد عام ٢٠٠٣ بين التسلح والتجديد	أ.د. رعد حميد نوريق البياتي/الجامعة العراقية- كلية العلوم الإسلامية

كلمة مدير مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

الأستاذ الدكتور احمد شيال غضيب المحترم

يعد مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية احد المراكز البحثية المهمة على مستوى الجامعات العراقية، من خلال تخصصاته المتنوعة التي تصب في حقل الدراسات العربية والدولية، فضلا عن اهتمامه بالشأن العراقي السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

يسعى المركز عبر ما يقدمه من بحوث وندوات ومؤتمرات الى توظيف الجهود العلمية والبحثية وتوجيهها بما يسهم في تحقيق التنمية بمختلف المجالات . ولجل ذلك ، وبغية مواكبة التطورات العالمية، يعقد المركز سنويا مؤتمرات متخصصة وندوات وحلقات نقاشية تعالج مواضيع ضمن مجالات اختصاصه، لا سيما الدراسات السياسية . وفي هذا السياق يمثل مؤتمر قسم الدراسات السياسية والموسوم (تحولات عالمية - الدولة في مواجهة انماط جديدة من التحديات) اضافة علمية بحثية مهمة في حقل الدراسات التي تعنى بالشأن الدولي بعده تجربة جديدة بالاهتمام والبحث ، اذ تناقش اوراق وبحوث المؤتمر عبر محاوره مجموعة من الافكار الحديثة التي تسلط الضوء على التحولات التي يشهدها العالم اجمع ومن ثم ما ستفرزه من تحديات بأنماط جديدة في مواجهة الدولة . وحرصا على تحقيق اكبر قدر من المشاركة العلمية الرصينة ، كان لمركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية وتحديدًا قسم الدراسات السياسية تواصل مع مختلف الجهات المناظرة والتي كان لها دور مهم في نجاح المؤتمر ورفده بالبحوث والآراء والاستشارة ، وعلى هذا الاساس تمت الشراكة والتعاون في اعمال المؤتمر مع قسم العلاقات الدولية في كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية و مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية / جامعة بغداد وكلية العلوم السياسية / جامعة الموصل ، ليخرج المؤتمر بجلساته وما قدم فيها من بحوث ورؤى وحوارات بنتائج مهمة تحاكي تحولات المرحلة التي يشهدها العالم والتي سيكون لها مخرجات مهمة على مستوى التحول في نمطية التحديات التي تواجه الدولة ومساراتها المستقبلية وسبل مواجهتها .

والله ولي التوفيق ...

التوصيات

تشير التحولات العالمية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى عدد من الآفاق التي تستند الى تحليل معمق للمعطيات الراهنة وامتداداتها المحتملة استنادا إلى مناهج تجمع بين الخيارات المختلفة للرؤية والتحليل، لذا كانت احدى نتائج التحليل ، ان مجموعة من التحديات ستكون شاحصة في مواجهة الدولة وبأنماط مختلفة .

وقد خرج مؤتمر قسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية الثامن بمجموعة من التوصيات في هذا الشأن لعل الابرز والاهم منها :

١- هناك عوامل محددة ستضع بصماتها على العالم خلال العقدين المقبلين، وفي مقدمها انتشار وباء كورونا بعده أخطر اضطراب عالمي منذ الحرب العالمية الثانية وصعوبة السيطرة عليه، وكذلك التغيرات المناخية وشيخوخة السكان في الدول الصناعية الكبرى بما فيها الصين، والأزمات المالية وخطورة الانقسامات نتيجة التطور المذهل في التقنيات ووسائل التواصل والاتصالات، ودخول لاعبين جدد وكيانات غير حكومية إما في النطاق الإقليمي أو على المستوى الدولي، فضلا عن تحول مسارات القطبية الدولية نحو مشاركة اطراف دولية مراجعة في النظام الدولي مما سينتج تحديات كبيرة على المستوى العالمي ستنتج عن احتدام التنافس على النفوذ وبلوغه أعلى مستوى منذ الحرب الباردة، مما سينتج عنه بيئة جيوسياسية متقلبة وتصادمية تعيد تشكيل تعددية الاقطاب وتوسع الفجوة بين التحديات العابرة للحدود، مما يتطلب الدخول في ترتيبات المشتركة لمعالجتها والحد من تداعياتها والتكيف معها .

٢- ينبغي على الوحدة الدولية في النظام الدولي بعدها مؤسسة تظم الافراد ان نجد مسارات جديدة للتعامل مع تنامي دور تمكين الافراد في النظام الدولي والذي سينعكس على حدود مكانة وقوة الدولة .

٣- ينبغي على الدول المتوسطة والصغيرة في النظام الدولي الاستفادة من ظاهرة انتشار القوة بين مراكز متعددة ، وتوظيف مرحلة غياب قوة دولية مهيمنة في النظام الدولي، عبر التحرك بأطر من التحالفات تمهيداً لتشكيل وضع دولي لنظام دولي بصيغة متعددة .

٤- من الضروري جدا ان تستعد الدول وبخاصة التي تواجه تداعيات التحولات العالمية لموجات من الازمات في مقدمتها تراجع معدلات النمو الاقتصادي مع ارتفاع كثافة السكان في المدن وارتفاع معدلات الهجرة والنزوح الداخلي نتيجة للاوضاع الانسانية التي ستخلفها الحروب كما حصل في اوكرانيا .

٥- يجب على الدولة ان تضع معالجات سريعة والتنبه لمخاطر انعكاس التحولات العالمية على مستوى مصادر الثروات والموارد المهمة والغذاء، فالعالم يتجه نحو اتساع حجم الطلب على الموارد بالتزامن مع ارتفاع اعداد السكان مما سيؤثر على وفرة المصادر وبخاصة ازدياد الطلب على المياه.

٦- يبرز الامن بجوانبه المتعددة ضمن اهم مستويات التحدي النابع من حجم التحولات التي يشهدها النظام الدولي . فالدولة ستكون في مواجهة انماط من التحديات الامنية المستجدة ، والتي ستكون غاية في الصعوبة والتعقيد من ناحية الفهم والاستيعاب والمواجهة وفي مقدمتها التحديات السيبرانية والاختراق الخارجي وحروب المعلومات وتطور انماط الحروب واجيالها . مما يتطلب من الدولة توجيه جهودها لتحقيق نسبة مقبولة من المجابهة لهذه التحديات عبر استراتيجيات مخصصة لذلك في مقدمتها توفر الادراك الاستراتيجي الصحيح والقدرة على توظيف عوامل المواجهة والقرار الاستراتيجي .

وبالنسبة لبلدنا العراق، وبعده دولة محورية ضمن نظام إقليمي يسهم في توازنات دولية معقدة، فلا بد ان نفرد له جانبا من هذه التوصيات وهو ما يهمنا تحديدا فيما يتعلق بالتحولات واثرها في انتاج تحديات تواجه الدولة .

١- ضرورة تكون الادراك الاستراتيجي العراقي للبيئة الدولية من خلال تحليل المعطيات وابعادها وافاقها بكل جوانبها مما يسهم في توجيه السياسة الخارجية للدول بالشكل الصحيح مما يمكنه اولاً من تحديد مسارات سياسته الخارجية في ضوء ادراك التحولات ومخرجاتها والاثار التي يمكن ان تنعكس عليه .

٢- هناك حاجة ملحة لتحديد المفاهيم والأطر العامة للسياسة الخارجية العراقية، أي تحديد مذهب سياسي في العلاقات الدولية له معياره ونمطه الواضح، كسياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى، والابتعاد عن سياسات الاستقطاب الدولية والنأي عن سياسة المحاور المتصارعة، وتبني التوازن في التوجه السياسي الخارجي بين معظم الاطراف الدولية الفاعلة، في مرحلة تؤدي فيها التحولات العالمية دوراً مهماً في تشكل ملامح النظام الدولي القادم.

٣- ينبغي ان تحظى القوى الكبرى في النظام الدولي بمكانة مهمة على سلم اولويات صانع القرار العراقي، فهي بوزنها الاستراتيجي وبما تتوافر عليه من مقومات مرشحة لتغيير خارطة التحالفات الدولية لذا على دوائر صنع القرار العراقي ان تدرك مدى أهمية بناء علاقات جديدة معها عبر بوابات متعددة وتوظيف ما يمتلكه العراق من أوراق ومغريات لجذب الصين إليه عبر شراكات فاعلة .

٤- لا بد ان يتبنى العراق مبدأ التوازن والارتباط في علاقاته مع العالم في اطار التغيير الحاصل في مراكز القوى والاستقطابات والادوار ، مع التأكيد على اهمية توفر ادراك استراتيجي لعملية انتقال عناصر القوة ، ولامح تشكل القطبية الجديدة وان يسعى الى تحقيق قدر من التوازن بين توجهاته السياسية الخارجية ازاء الولايات المتحدة وطبيعة علاقاته معها، وبين الحاجة للدور الصيني، وان يستكمل مقومات ارتباط المصالح مع الطرفين لتحقيق اكبر قدر من المكاسب وان يكون منطقة جذب استراتيجي للجانبين في اطار من الشراكات والتعاون بعيداً عن تصادم الاستراتيجيات.

٥- من الضروري ان تنطلق الاستراتيجية العراقية تجاه القوى الكبرى المتنافسة والصاعدة من التركيز من البراغمية التي تحاكي المصالح وبناء مرتكزات علاقة وثيقة تخدم العراق على الصعيدين الآني والمستقبلي.

٦- هناك مؤشرات عديدة تدل على وجود فرصة مؤاتية للعراق للانتقال من مرحلة العلاقات التقليدية والتبعية، إلى مرحلة اساسها التخطيط الاستراتيجي الدقيق في العلاقات الدولية نتيجة لتوافر مجموعة من العوامل التي افرزتها التحولات العالمية ، مما يمهّد الطريق نحو تبني قرارات استراتيجية مهمة تصب في مصلحة التوجه العراقي لأقامه أفضل العلاقات مع القوى العالمية بالدرجة التي يمكن ان توصف الدبلوماسية العراقية بالفاعلة فيما يخص الاداء السياسي الخارجي.

توظيف نمط القوة في ضوء التحول النوعي للظاهرة الارهابية

أ.م.د: سالم مطر عبدالله

كلية العلوم السياسية/ جامعة الموصل

شهدت "الظاهرة الإرهابية" تحولات نوعية متسارعة عجزت بعض الدول في المنطقة العربية في ضوء التحولات الأمنية والسياسية عن مجاباتها واللاحق بها. وتتمثل أهم محاور تلك التحولات النوعية في "الظاهرة الإرهابية" في التحول في جغرافيا الظاهرة؛ إذ اتسعت جغرافيا التمركز والنشاط لتلك التنظيمات لتشغل مساحة مكانية واسعة وممتدة اضحت تشكل تهديداً إقليمياً لدول محيطة؛ ولهذا صارت تلك التحولات النوعية الجديدة في الظاهرة، والتي أعقبت التغيير السياسي الذي شهدته عدد من النظم العربية تمثل التحدي الأخطر في ليس للنظام السياسي أو النخبة السياسية في دولة ما؛ وإنما لصيغة الدولة القومية ذاتها. ولم يعد امتلاك عناصر القوة وأشكالها المختلفة كافياً لنجاح الدولة في تحقيق أهدافها، والتأثير في الآخرين؛ إذ أصبحت هناك أهمية متزايدة لكيفية توظيف ما تمتلكه الدولة من أشكال القوة، ومن هنا جاءت أهمية الحديث عن كيفية توظيف نمط القوة كدلالة عن تفكير جديد في توظيف عناصر وأشكال القوة المختلفة لخدمة أهداف السياسة العامة للدولة ومنها التصدي "للظاهرة الإرهابية".

اهمية البحث:

- ١- موضوع البحث متجدد، إذ إنه يعالج موضوعاً يبحث في القوة، ويعالج مشكلة مستمرة متمثلة بـ (الارهاب) ويحاول البحث عن حلول لهذه المشكلة.
 - ٢- إن "ظاهرة الإرهاب" لها ابعاد دولية وإقليمية وهو ما يضيف مزيد من التعقيد عليها، ويجعل من الضروري الاستفادة من الخبرات الدولية والإقليمية، للخروج بحلول تتوافق مع الواقع المعاش.
 - ٣- يمكن أن يكون هذا البحث إضافة لنوع جديد من الدراسات إلى المكتبة العربية، ولاسيما أنه يبحث في عناصر القوة الجديدة والتقليدية وتطبيقها في مواجهة الحركات الارهابية.
- المشكلة البحثية:** يعنى البحث بمحاولة الإجابة عن تساؤل رئيس مفاده: إلى أي مدى تؤثر تداعيات التحول النوعي في "الظاهرة الإرهابية" في توظيف نمط القوة.

ويتفرع من هذا السؤال المحوري مجموعة من الاسئلة الفرعية المتعلقة بموضوع البحث، من اهمها:

- ١- هل يمثل التغيير السياسي مدخلاً رئيسياً وعاملاً فاعلاً في إحداث تغيير نوعي في الظاهرة الإرهابية؟
- ٢- ما مظاهر التحول النوعي للظاهرة الإرهابية؟
- ٣- كيف يتم توظيف نمط القوة للتعامل مع الظاهرة الارهابية؟
- ٤- ما تأثير التحولات في مفهوم القوة على العلاقات الدولية؟

فرضية البحث: ارتباطاً بمضمون المشكلة البحثية، يحاول البحث اختبار الفرضية التالية: هناك علاقة مباشرة بين تطور مفهوم القوة في العلاقات الدولية وبين استثمار هذا التطور في توظيف انماطها لمجابهة تطور الظاهرة الارهابية.

اهداف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق العديد من الأهداف وهي كالآتي:

١- التعرف على العناصر الجديدة للقوة في ضوء التطور الحاصل في العالم.

٢- ابراز التحول في الظاهرة الارهابية.

٣- توضيح مدى تأثير تحولات القوة في مواجهة الظاهرة الارهابية.

منهج البحث: من أجل ضبط عناصر الخطة، تم الاعتماد على مقاربة منهجية تعتمد على المنهج الوصفي ومنهج دراسة الحالة.

تقسيم البحث: وفقاً لما طرحته المشكلة البحثية والتساؤلات الناشئة عنها تم تقسيم البحث الى ثلاثة محاور وعلى النحو الآتي:

المحور الاول: مظاهر التحول النوعي في الظاهرة الإرهابية.

يقصد بالتحول النوعي في "الظاهرة الإرهابية"، أنه التغير والنقل من حالة إلى حالة متميزة بصورة واضحة عن الحالة المتحول عنها؛ والمقصود هنا بالتحول النوعي في "الظاهرة الإرهابية" إلى تغير وتحول مكنتها المتعارف عليها في العقدين السابقين إلى حالة متميزة بصورة واضحة ليست بالضرورة على مستوى فكر تلك التنظيمات الإرهابية؛ وإنما في وسائلها وأهدافها ومعدتها وآلياتها وطرق تجنيدها، وبنيتها التنظيمية، وقدرتها على السيطرة على لأرض، ودرجة سيولة وخفاء التنظيم، وأخيراً تداعيات سلوكها الإرهابي على الوضع إقليمي ولدولي بصفة عامة، وعلى مستقبل الدولة القومية الوطنية بصفة خاصة.

قد يختلف البعض حول خطورة التحولات النوعية للظاهرة الإرهابية؛ إذ يدفع بعض المراقبين والمعنيين بافتراض أن تنامي "الظاهرة الإرهابية" الراهن إنما هو مؤقت أو بفعل مساندة إقليمية أو دولية من بعض الأطراف، في إطار صيغ جديدة من حروب الوكالة أو بمعنى آخر حروب وكالة غير تقليدية من خلال توظيف دول إقليمية أو كبرى للتنظيمات الإرهابية أو المسلحة كفاعل سياسي أو مؤثر لتحقيق مكاسب سياسية ما؛ في حين يذهب فريق آخر إلى أن "الظاهرة الإرهابية" الراهنة إنما هي ظاهرة مستقلة وتفاعلاتها الداخلية أكثر تسارعاً من حقيقة كونها صنعة أجهزة استخبارات أو دول معادية إقليمية أو كبرى، وإن استفادت تلك الدول أو الأجهزة الاستخباراتية من سلوك تلك التنظيمات أو قامت بتوظيفه لتحقيق مكاسب لها. ولعل من المناسب هنا التطرق الى العوامل والأسباب التي أسهمت في تكوين بيئة ملائمة لنمو ظاهرة التطرف وإنتاج تنظيمات إرهابية في المنطقة العربية، والتي يمكن اجمالها في التالي:

١- التدخلات العسكرية والحروب التي أقامتتها الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو، في عدد من البلدان مثل أفغانستان والصومال والعراق وليبيا، كان لها تأثير في بروز ظاهرة التطرف في تنظيمات الإسلام السياسي، لا سيما وأن هذه الحروب لم تحقق أهدافها وشعاراتها، فقد أكدت تجربة العراق وتجربة شعوب هذه البلدان في الواقع العملي أن ما أنتجته هذه التدخلات العسكرية والحروب

هو الفوضى وغياب وضعف دور الدولة ومؤسساتها وتنامي الفكر المعادي للديمقراطية وحقوق الإنسان ونمو التطرف والإرهاب بكل أشكاله.

٢- التدخلات الإقليمية: فضلاً عن العامل الدولي فإن ما يجري في المنطقة العربية هو انعكاس لصراع إقليمي، وهذا الصراع كما اختير له بأن يكون على الأرض العراقية فهو موجود أيضاً على الأرض السورية وفي اليمن وليبيا.

٣- المنظومة الفكرية للتنظيمات الإسلامية المتطرفة: تتمثل المنظومة الفكرية لمعظم أحزاب الإسلام السياسي في الغاء الآخر ومصادرة الحقوق والحريات، وهذه سمة مميزة للفكر الشمولي الاستبدادي الإقصائي، كما أن هذه المنظومة الفكرية تؤمن بممارسة الخطاب السياسي الطائفي، وتؤكد على إبراز نقاط الخلاف والحضور الدائم للتاريخ الدموي القديم، لتغذية الحقد والكراهية ضد الآخر. ومن هنا نجد أن هذه المنظومة الفكرية تهيئ بيئة لنمو ثقافة التطرف الفكري والوصاية على عقول الآخرين، وقطعاً أن هذا الفكر المتطرف يلجأ إلى التكفير والإرهاب كآليات يؤمن بها لتحقيق توجهاته^(١).

٤- الدور الذي لعبته وسائل الإعلام في تغذية أو دعم أو ظهور العنف والإرهاب والتطرف من خلال استغلال الإرهابيين لها في تسويق أغراضهم وغاياتهم وتوظيفها في تضليل الأجهزة الأمنية واكتساب السيطرة على الرأي العام عن طريق نشر أخبار العمليات الإرهابية التي يقومون بتنفيذها على اعتبار أن الحملات الإعلامية التي تغطي هذه العمليات تساعد على تحقيق واستكمال أهدافهم، إذ يرون في التغطية الإعلامية لجرائمهم معياراً مهماً لقياس مدى نجاح فعلهم الإرهابي، لدرجة أن البعض منهم عد العمل الإرهابي الذي لا ترافقه تغطية إعلامية عملاً فاشلاً^(٢).

وفي ضوء ما سبق يمكن تتبع تطور "الظاهرة الإرهابية" الراهنة وفق الآتي:

١- مظاهر التحول النوعي في "الظاهرة الإرهابية" على مستوى الفكر:

ينشأ الإرهاب في فترات التغيرات والتحولات الاجتماعية الجذرية والسريعة، وذلك بسبب حدوث اضطرابات اجتماعية واقتصادية وسياسية وتطلعات مستقبله، ويرجع لأسباب متعددة ومتنوعة من فقر وجهل وعدم مساواة وغياب التفاهم والحوار الديمقراطي، كما تعد الحروب والمنازعات الأهلية أهم أسباب انتشار الإرهاب. لم تكن الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية بما يسمى "ثورات الربيع العربي" بعيدة تماماً عن تحول عرفه فكر تنظيم القاعدة بعد مقتل زعيمه "أسامة بن لادن" في ايار/ مايو عام ٢٠١١، فقد أدى ذلك الحادث إلى تحول تفكير التنظيم مع تزعم "أيمن الظواهري" للتنظيم إلى التركيز

(١) نبيل عبد الفتاح، الرؤى الملتبسة للإعلام والإرهاب، (القاهرة: المركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٠١٤)، ص ٢١.

(٢) مي العبدالله، "دور الاعلام الفضائي العربي في الثورات العربية"، المجلة الدولية للآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ٢٢، (القاهرة: المؤسسة العربية للبحث العلمي والتنمية البشرية، ٢٠١٩)، ص ٧٧.

على "العدو القريب"، وهو ما يتماشى مع تطورات المنطقة العربية من جانب، ومع اقتناع "الظواهري" بأولوية قتال "العدو القريب" على "العدو البعيد" من جانب آخر.

إن تحول استراتيجيات التنظيمات الارهابية، إلى جانب اتجاه الاحداث في المنطقة العربية نحو مزيد من العنف والتطرف، لاسيما مع تحولها إلى حرب أهلية وطائفية بالمنطقة، كلها عوامل أدت إلى حدوث تطور فارق في تحولات بنوية في فكر وهيكلية التيار السلفي الجهادي، ربما يكون الأبرز من تلك التحولات التي حدثت في بنية هذه التيارات وفي بنية الإرهاب عالمياً بعد سنوات من المواجهة بينها وبين الولايات المتحدة منذ هجمات ١١ ايلول/سبتمبر ٢٠٠١.

من هذه الاستراتيجيات تعمد السلفيون الجهاديون عدم الدخول في مواجهات مع السكان المحليين في المناطق التي ينشطون فيها، وبرز تفسير جديد أقل حدة لجانب قتل المدنيين والمخالفين، بل وتم الحد من الشروط اللازمة لـ "تكفير" البعض، وانتقال القيادة إلى سلفيين داخل مناطق محلية، فضلاً عن التواصل والانفتاح على التيارات الإسلامية الأخرى، وكلها تغيرات مفاهيمية وسلوكية وفقهية لم تكن حاضرة من قبل في فكر تنظيم القاعدة أو سائر تيارات السلفية الجهادية من قبل.

الا ان ازدياد حدة الخلاف ما بين "جبهة النصرة لأهل الشام" في سوريا، وتنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش)، الى ان وصل درجة الاقتتال والصدام المسلح، لتبرز مدرستان داخل التيار السلفي - الجهادي تتعارضان في المصالح والرؤى الجيوليتيكية؛ وقد أدى ذلك الخلاف سريعاً إلى بروز جيل جهادي أكثر راديكالية من القاعدة ذاتها، وإن كان البعض يذهب إلى أن تنظيم "داعش" بكل ما يحمله من عنف ورؤية أيديولوجية متشددة قد يكون تعبيراً عن مرحلة عنيفة بطبعها، في ظل ما تشهده من حالة انقسام طائفي واستقطاب شديد في شتى الجوانب.

ونتيجةً لذلك ثار الجدل حول إعادة إنتاج القاعدة بشكل جديد أكثر اندماجاً مع البيئات المحلية، وبين نموذج يقوم على فكرة "الغلبة" والقوة، وأيهما يتفوق على الآخر في ناحية تجنيد المجموعات المسلحة، وهل يتم ذلك وفق حجم التمويل أم بناءً على الأيديولوجية، وهذا ما اشارت اليه العديد من الدراسات فيما يتعلق باتجاه الأفراد الراغبين في الانضمام لمجموعات مسلحة ما، يرتبط بالإضافة إلى الجانب الأيديولوجي، بقدرة تلك المجموعات على توفير التمويل لهم للمشاركة في القتال، وهذا ما بدا واضحاً مع توسع "داعش" في السيطرة على مساحات جغرافية واسعة في العراق، والاستحواذ على اموال طائلة تزيد من قدراته التجنيدية وجذب الشبان وتنفيذ

العمليات^(١). أما من حيث الأيديولوجيا فهو يعبر عن نمط جديد أكثر راديكالية يؤمن بفقہ التغلب والقوة، ويركز على "العدو القريب"، أكثر من "العدو البعيد"^(٢).

وعليه يتضح أن الاختلاف الفكري بين "تنظيم الدولة" (داعش) وتنظيم القاعدة هو خلاف منهجي حول الوسائل والأدوات المتبعة، والملفات التنظيمية، والإجرائية، وليس قضايا الجوهر الفكري لتلك التنظيمات، هذا من ناحية؛ أما الاختلاف المميز الثاني لتنظيم الدولة عن تنظيم القاعدة فيتمثل في ثلاث سمات رئيسية؛ هي البرغماتية التي يتبناها التنظيم في تعاطيه مع الواقع من ناحية، والغلو في الممارسة إذا ما قورن بالتنظيمات الأخرى بصورة متسارعة من ناحية ثانية، والجمد وعدم المرونة الفكرية على المستوى التكتيكي والوسائل (إذا ما قورن بالقاعدة) من ناحية ثالثة.

٢- التحولات النوعية للظاهرة الإرهابية الجديدة على مستوى المسارات والممارسات.

من الملاحظ أن ظاهرتي التطرف والإرهاب استفحلتا لدرجة كبيرة، بعد موجة ما يسمى بـ "ثورات الربيع العربي" التي ابتدأت في نهايات عام ٢٠١٠ ومطلع عام ٢٠١١، والتي كان من نتائجها الجانبية تفشي الفوضى وانفلات الأمن وضعف هيبة الدولة الوطنية، بل تأكلها أحياناً، كما هو حاصل في ليبيا واليمن، فضلاً عن محاولات التقهقير والتقسيم، كما هو في العراق وسوريا. وارتفع منسوب العنف والإرهاب ليشمل خريطة واسعة وتضاريس مختلفة وأنظمة متباينة، حتى في ظل استمرار الدولة. لكن انهيار الشرعية القديمة وعدم استكمال بناء ورسوخ الشرعيات الجديدة، ساعد في بعض الاختراقات الأمنية والأعمال الإرهابية، كما حصل في تونس وفي مصر، على الرغم من أن الجيش في كلا البلدين كان له دور كبير في حماية الدولة والمجتمع ومنع الانزلاق نحو الاحترابات الأهلية^(٣).

٣- الاختلافات في مستوى التنظيمات الإرهابية:

برزت التنظيمات الإرهابية لاسيما "التيارات الجهادية" كتنظيمات مكتملة الأركان وذات هياكل واضحة في غالبيتها. لكن عرفت هذه التنظيمات منذ عام ٢٠١٤، تحولات في بنية التنظيمات - وإن كانت لم تحسم بعد- فقد اختلفت الأسس التي اتخذتها التنظيمات الموسومة بالإرهاب لتبرير عملياتها الإرهابية من تنظيم إلى آخر؛ إذ تتفاوت هذه التنظيمات في عدة مستويات، سواء من حيث مستوى الولاء للمجموعة من حيث نشاطها إلى تنظيمات داخلية ممتدة داخل إقليم الدولة، وداخلية ذات ارتباطات خارجية، وخارجية

(١) للمزيد من التفاصيل عن حجم التمويل لدى عدد من المجموعات التي توصف بـ "الإرهابية" انظر إحصائية

على الرابط التالي: <http://www.ibtimes.co.uk/mosul-seized-jihadis-loot-429m-citys-central-bank-make-isis-worlds-richest-terror-force-1452190>

(٢) Aaron Y. Zelin, "Sunni Foreign Fighters in Syria: Background, Facilitating Factors, and Select Responses, Partnership for Peace Consortium", (Washington Institute for Near East Policy, May 21, 2014), Available at: <http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/opeds/Zelin20140521-PFPC.pdf>.

(٣) عبدالحسين شعبان، "التطرف والإرهاب إشكاليات نظرية وتحديات عملية مع إشارة خاصة إلى العراق"، كراسة مرصد، العدد ٤٢، (الاسكندرية: برنامج الدراسات الاستراتيجية، مكتبة الاسكندرية، ٢٠١٧)، ص ١١.

انعزالية، وخارجية إقليمية، ودولية^(١). كذلك يمكن التمييز بين التنظيمات الإرهابية وفقاً لنوعية الخلايا المنضوية تحت قيادة التنظيم إلى خلايا نشطة، وخلايا نائمة. وتيارات مقسمة على أساس أيديولوجيا متشددة، وأخرى أكثر تشدداً. كذلك يمكن تحليل التنظيمات الإرهابية وفقاً للمستوى الوظيفية إلى ثلاث مجموعات وظيفية رئيسة داخل التنظيم؛ وهي مجموعة القيادة، ومجموعة خلايا العمليات، ومجموعة خلايا الدعم اللوجستي^(٢).

٤ - الاختلافات النوعية في نطاق الاستهداف:

أظهرت سيطرة تنظيم "داعش" على مساحات واسعة من سوريا والعراق عام ٢٠١٤، أن هناك تطور نوعي في نمط نطاق الاستهداف، فقد تحول نشاط التنظيمات الإرهابية من نشاط محدود في منطقة جغرافية صغيرة إلى نشاط عابر للحدود والدول، إذ استطاع هذا التنظيم من ربط مناطق سيطرته في الأراضي السورية بمناطق سيطرته على الأراضي العراقية، وهذا ما شجع مجاميع أخرى تتبع للتنظيم من السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي الليبية، لاسيما المناطق الغنية بالنفط، وأعلن عن إقامة ثلاثة ولايات في ليبيا، برقة في الشرق، فزان بالجنوب، وطرابلس في الغرب^(٣).

المحور الثاني: تطور أنماط القوة وفق التطور في النظام الدولي:

شهد النظام الدولي تحولات عدة منذ نهاية الثمانينات من القرن العشرين على مختلف المستويات السياسية والأمنية والاقتصادية، عكست نمط التفاعلات الدولية وأدوار الأطراف والقوى الفاعلة فيه، في ظل ظاهرة تشرذم القوة وما ارتبط بها من تفشي للأزمات الداخلية والإرهاب والنزاعات العرقية وتدفقات المهاجرين واللاجئين وقضايا الأمن والبيئة. ما يمنح أهمية لدراسة توزيع القوة في هيكل النظام الدولي، لتحديد طبيعة التحول في النظام، ما يسمح بتفسير بيئة تفاعلات النظام الدولي في مرحلة إعادة تشكيله وضبط طبيعة اللاعبين وتوزيع الأدوار وكذا خصائص التفاعلات.

من أهم التحولات التي شهدتها النظام الدولي هي تعدد الفاعلين، ومستوى القضايا الدولية، وحتى مستوى المفاهيم، ونظراً لأن عملية التحول في هيكل النظام الدولي مرتبطة بشكل أساسي بتوزيع القوة بين الفاعلين، فإنه يمكن وضع مقاربة نظرية لمفهوم القوة في العلاقات الدولية ودورها في تحديد مفهوم القوى المختلفة: العظمى، والكبرى، والمتوسطة، والإقليمية.

(١) Ecaterina Cepoi, The Rise of Islamism in Contemporary Syria From Muslim Brotherhood to Salafi-Jihadi Rebels, Romanian Political Science Review, vol. 13 . no. 3, (Romania: Romanian Academic Society 2013, p 553.

(٢) حسن أبو هنية، "البناء الهيكلي لتنظيم الدولة الإسلامية"، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٤).

متاح على الرابط التالي:

<https://studies.aljazeera.net/ar/files/isil/2014/11/2014112363816513973.html>

(٣) Aaron Y. Zelin, The Islamic State's Archipelago of Provinces, the Washington institute, Nov 14, 2014. Available at: <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/islamic-states-archipelago-provinces>.

القوة بشكل عام هي لفظ مفرد أو رمز يستخدم للدلالة على أشياء وموارد وعلاقات واحتمالات مختلفة، كل هذه الأشياء لها علاقة بالقدرة على أحداث تغيير ما في نتائج الأحداث. ومع ذلك فهي في الواقع تتنوع تنوعاً يخفيه رمز القوة الذي يستخدم كمصطلح عام يطلق على جميع هذه الأشياء^(١).

أما في العلاقات الدولية تُعدّ القوة وسيلة لتحقيق أهداف الدولة في السياسة الدولية، ويقصد بها "القوة الوطنية" ويمكن تعريفها بأنها قدرة الدولة على استخدام جميع إمكانياتها الثابتة والمتغيرة بحيث تؤثر في تصرفات الدول وأشخاص السياسة الدولية الأخرى إيجاباً من خلال القيام بما تريده الدولة من أعمال، أو سلباً وذلك بالامتناع عن القيام بأي أعمال غير مرغوب فيها^(٢).

وفق ذلك يرتبط الاختلاف في تعريف القوة بتطور المفهوم ذاته في طبيعة العلاقات بين الدول، تبعاً لطبيعة العصر والظروف وتصوراتنا، فمفهوم القوة ارتبط قديماً بمحصلة عصر كانت مخاطر الصراع المسلح هي السمة المميزة للعلاقات الدولية، فإنه مفهوم لا يتلاءم مع النظام الدولي الجديد الذي يتسم بعولمة المشاكل السياسية والاقتصادية، وعولمة التجارة وتراجع دور الدولة، والصدمات الثقافية، وتفكك عناصر قوة الدولة وهو ما يطرح إشكالية القوة، لاسيما من حيث عناصرها.

وفي هذا السياق ميّز "جوزيف ناي" بين نوعين من القوة هما "القوة الصلبة" التي يحصرها في القوة العسكرية والقوة الاقتصادية، وهي تلك القوة الأمرة التي يمكن استخدامها لإقناع الآخرين بتغيير موقفهم، فهذا النوع من القوة يمكن ان يستند إلى محاولات الإقناع وإلى التهديد أيضاً. أما النوع الآخر ما يسمى "القوة الناعمة" التي تسمح بجذب وإغراء الدول الأخرى وكثيراً ما يؤدي الجذب إلى الموافقة أو التقليد بالاقتداء، وهي قوة تخير الدول بدلاً من إجبارها وترتكز على وضع جدول الأعمال السياسي بطريقة تشكل تفضيلات ورغبات الآخرين، وتنشأ تلك القوة الناعمة من قيم وثقافة البلد إلى حد بعيد، وكلا القوتين (الصلبة والناعمة) ترتبطان فيما بينهما^(٣).

ونتيجة للواقع المتشابك والمعقد للعلاقات الدولية انعكس ذلك على تطور مفهوم القوة مستجيباً ومواكباً لهذا التطور، فبعد الحديث عن القوة العسكرية ودورها المسيطر في علاقات الدول، ومن ثم ظهور مفهوم القوة الناعمة، جاء الحديث عن نمط جديد للقوة يمزج بين ادوات القوة الصلبة والقوة الناعمة، وذلك في إطار الحديث عن القوة الذكية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية باستخدام استراتيجيات جديدة وتحركات جماعية وتعاون وشراسة، وتجنب تكاليف القوة العسكرية وضرورة تحمل الاعباء المشتركة التي تقلل من التكلفة وبناء علاقة قوية بالفواعل الأخرى على مستويات دولية وإقليمية^(٤). ومن ثم طرح مفهوم آخر للقوة تمثل في مفهوم القوة

(١) كارل دويتش، تحليل العلاقات الدولية، ترجمة: شعبان محمد محمود شعبان، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ١٩٨٣)، ص ٦٤.

(٢) Jeff Farlin, Instruments of National Power: How America Earned Independence, (United States Army War College Class of 2014), p3.

(٣) جوزيف ناي، مفارقة القوة الأمريكية، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، (الرياض: مكتبة العبيكان ٢٠٠٣)، ص ٣٩.

(٤) Suzanne Nossel, smart power, foreign affairs, vol 83, No 2, (Council on Foreign Relations, March- April 2004), p 139.

الافتراضية والتي تعني "القدرة على الحصول على النتائج المرجوة من خلال مصادر المعلومات المرتبطة إلكترونياً بالميدان المعلوماتي"، أي القدرة على استخدام الفضاء الإلكتروني لخلق مزايا والتأثير في الأحداث^(١). من الملاحظ أن كل تعريف للقوة في أي فترة كان مقيداً بالإمكانيات المتوفرة للدولة التي من شأنها أن تؤثر في سلوك الآخرين. ففي فترة كانت القوة العسكرية هي من تؤثر في الدول الأخرى وذلك باستخدامها لتحقيق المكاسب، وفي فترة أخرى أصبح الدعم الشعبي للحاكم هو من يؤثر على قوة الدولة الذي بدوره يؤثر في الآخرين، أما مع التطورات صاحبت التي التغيير في النظام الدولي أصبحت هناك عوامل أخرى متعددة تؤثر في الدولة، فأصبحت هي أيضاً تدخل ضمن عناصر القوة. ولم تقتصر قوة الدولة كما كان في السابق على عامل واحد كما كان في السابق العامل العسكري أو الجغرافي؛ بل أصبح هناك عوامل عديدة لقوة الدولة، تستخدمها بطرق مختلفة، وطبقاً لذلك نشأت أشكال متعددة للقوة^(٢).

بذلك، يتضح أن القوة هي مجموعة من عناصر مادية وغير مادية، تتميز بديناميكية التغيير والتطور مما يجعلها غير ثابتة زماناً ومكاناً وهو ما يصعب عملية قياسها والنتيجة هي تعدد واختلاف هذه المصادر واختلاف فعاليتها ومن ثم اختلاف مفهوم القوة في حد ذاته من سلطة التأثير الإرغام إلى المساومة. وفي هذا السياق يناقش "برتران بادى" ظاهرة تشرذم القوة، إذ لم تعد هناك دولة واحدة تمتلك قدرة النهي والأمر، ففي ظل تنوع النظم الوظيفية والتي تجزأ النظام الدولي فيما وراء العالم الدبلوماسي – الاستراتيجي، وانتشار القوة بين العديد من الفواعل الدولية وغير الدولية^(٣). ويؤكد أصحاب نظرية الاعتماد المتبادل، على اختلاف قابلية الدولة الواحدة للتأثير طبقاً لميادين التنافس الدولي المختلفة، الذي يسميه "ستانلي هوفمان" مسرح السياسة^(٤). لذلك أصبح مفهوم القوة معقداً، يضم أي شيء تملكه الدولة ويستطيع أن يؤثر في الدول الأخرى، ويمكن استخدامه بطريقة لينة وسهلة، أو حتى بطريقة مخفية غير ظاهرة، ويمكن استخدامه بطريقة صلبة وخشنة من خلال التهديد والعقوبات أو حتى الاستخدام الفعلي للقوة، فأى شيء تملكه دولة ما ولا يملكه الآخرون أصبح يدخل ضمن عناصر القوة.

(١) سعاد ابو ليلة، "دورة القوة: ديناميكيات الانتقال من القوة الصلبة إلى الناعمة إلى الافتراضية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٨، (القاهرة: مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، نيسان/ إبريل ٢٠١٢)، ص ١٦.

(٢) إيمان رجب، "لماذا القوة"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٨، (القاهرة: مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، نيسان/ إبريل ٢٠١٢)، ص ص ٣-٤.

(٣) شمسة بوشنافه، دور فرنسا في ظل النظام الدولي الجديد، (عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠١٦)، ص ٣٧.

(٤) برتران بادى وماري كلود سموتس، انقلاب العالم سيولوجيا المسرح الدولي، ترجمة: سوزان خليل، (القاهرة: دار العالم الثالث، ١٩٩٨)، ص ٣٢٤.

ووفقاً لذلك يمكن رصد بعض ملامح التغير في النظام الدولي الحالي والتي اثرت في تغير نمط القوة، وعلى النحو التالي^(١):

- ١- صعود القوى الدولية من دون الولايات المتحدة لم يقدم حتى الان بديلاً للنموذج الليبرالي الغربي بشقيه السياسي والاقتصادي وانعكاساتها على بلورة القوة الناعمة لهذا النموذج، مما يتوقع معه استمرارية في تأثير النموذج الغربي في المؤسسات السياسية والاقتصادية الدولية.
 - ٢- التراجع النسبي لفاعلية الأدوات العسكرية التقليدية في حماية المصالح وتحقيق الأمن مقارنة بالأدوات الاقتصادية والثقافية والنفسية، لاسيما مع صعود أجيال جديدة من الحروب، والتزايد المضطرد لتأثيرات التهديدات غير العسكرية.
 - ٣- ارتفاع وتيرة السياسات التنافسية من جانب القوى الكبرى، ذلك مع السيوالة المتزايدة في توزيع القوة عالمياً، ما صاحبه من زيادة في درجة المرونة في التحالفات السياسية والاقتصادية في أقاليم العالم، إذ لم تعد الأحلاف الثابتة والكتل المتماسكة هي السمة الغالبة للسياسة الدولية في القرن الواحد والعشرين.
 - ٤- اتساع مساحة الحركة المتاحة للقوى الإقليمية متوسطة القوة وانفتاح المجال لصعودها، تحت مظلة منزوع منها قيود الانتماءات الأيديولوجية التي ميزت الجمود في مرحلة الثنائية القطبية خلال الحرب الباردة، وعلى سبيل المثال يمكن رصد التقارب المصري والخليجي من روسيا، لاسيما في ظل تعقد الأزمات الإقليمية (سوريا واليمن وقضايا الإرهاب والملف النووي الإيراني) واضطلاع روسيا بدور قوي في ظل محدودية ملحوظة للفعل الأمريكي والغربي فيها.
- يتضح مما سبق إن البارز في النظام الدولي هو تفكيك عناصر القوة وانتشارها ما بين العديد من الفواعل الدولية. فالتحولات الجذرية أدت إلى حركة داخل النظام الدولي، وتمثل أبرز جوانبها هو بداية التحول في مركز العلاقات الدولية من مركزها الأطلسي إلى مركزها الباسيفيكي وهو ما ترتب عليه آثار سلبية على مركز الولايات المتحدة في سلم القوى الكبرى.

المحور الثالث: توظيف نمط القوة بحسب الفعل الإرهابي

تقرض التحولات والتغيرات المتلاحقة إلى جانب التحديات النابعة من البيئتين الإقليمية والدولية، على الدول التكيف في استخدامات وتطبيقات مصادر قوتها سواء الصلبة او الناعمة، او الذكية او الافتراضية، على نحو يحقق مصالحها القومية في المحيطين الإقليمي والدولي.

فقد تتصرف بعض الدول في علاقاتها الخارجية على الصعيد الدولي بصور وأشكال لا تستند غالباً على أحكام ومبادئ القانون الدولي، إنما تعتمد بدرجة أو بأخرى على فكرة المصالح الوطنية وعلاقات القوة والصراع، وتستوحي من ذلك التبريرات المناسبة لتسويغ سلوكها أو تصرفها على الصعيد الدولي، كما تحاول في ذلك تغطية هذا التحايل بكساء من التظاهر بتمسكها بأحكام القانون الدولي زاعمة أن سلوكها يتفق وأحكامه.

(١) التقرير الاستراتيجي العربي، "متعدد الأقطاب: حدود التغير في هيكل النظام الدولي"، (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠١٥)، ص ٣١-٣٣.

تمخض عن هذا الواقع غير الطبيعي إضعاف لفعالية قواعد القانون الدولي وتهميش لدور الشرعية الدولية في السيطرة على مجريات العلاقات الدولية إلى هيمنة بعض الدول الكبرى بغير وجه حق على تسيير شؤون المجتمع الدولي على النحو الذي يؤمن مصالحها ويحقق أهدافها بغض النظر عن أية اعتبارات قانونية أو أخلاقية، ومن ثم أصبح التعامل مع قضايا الإرهاب مرتبطاً باعتبارات سياسية ومصلحية تخص دولاً معينة بذاتها^(١).

تتنوع مجموعة من الممارسات - سواء اكانت مشروعة أم غير مشروعة- في استخدام القوة، ومن خلالها يمكن تحديد مظاهر هذا الاستخدام ولكن هذه المظاهر تختلف وتتنوع حسب ما تقتضيه الأحداث، لذلك تعمل الدول على استراتيجية الجمع ما بين الوظيفة وبين الدور الذي يرتبط بها في علاقتها الدولية وتحديد نمط سلوكها الدولي. واهم متطلبات استراتيجية التوظيف هي^(٢):

١- تستند القدرة على التوظيف إلى الإمكانيات الشاملة لكل طرف من أطراف العلاقات الدولية. وان تحديد القدرة لدى كل طرف يعتمد على ثلاثة محددات أساسية: الأول مدى استمرارية مفهوم القدرة ومدلولاته، والثاني كيفية القياس والتقدير الكمي لهذه القدرة، والثالث قوة الأطراف الفاعلة في الهيكل الدولي.

٢- القدرة على التحكم والاحتواء: ان توافر عنصر التحكم والاحتواء يؤدي دوراً فاعلاً ومؤثراً في نشأة حالة التكافؤ في العلاقة بين الأطراف الدولية أو الأطراف ذات الشأن، إذ يزود طرف ما بعنصر التحكم والاحتواء كلما زادت قدرته على التأثير في خلق تكافؤ في العلاقة بما يحقق أهداف ومصالح الطرف المتحكم.

لقد مر العالم بتحولات عدة في مفهوم القوة، مما أدى إلى ظهور القوة بعدة أشكال على مر التاريخ، وكانت هذه التحولات بالأساس نابعة من تحولات في عناصر القوة، فإن أي تحول في عناصر القوة فإنه يتبعه تحولاً في أشكالها، - على سبيل المثال- عندما دخلت القومية كأحد عناصر القوة أصبحت هناك بعض الحروب القومية، وعندما دخل الاقتصاد كأحد عناصر القوة أصبح له دور مهم في قيادة العالم، وكذلك الأيديولوجيا عندما أصبحت أحد عناصر القوة أصبحت هناك استقطاب وحروب أيديولوجية، وأيضاً عندما دخلت المعرفة التكنولوجية كأحد عناصر القوة أصبحت العلاقات التي تحكم الدول تقوم على امتلاك القوة للجميع وأصبحت حتى الدول الضعيفة منها والتنظيمات الارهابية قادرة على شن هجمات افتراضية.

ومن الجدير ذكره أنه عندما كانت الجيوش التقليدية هي العنصر والشكل الوحيد للقوة، وبدأت تتطور القوة، فإنه لم يتم استبعاد أي عنصر للقوة منذ القدم، فلم تحل القوة الاقتصادية بديلاً للجيوش، ولكنها أضافت للقوة عنصراً جديداً، فكلما أصبح هناك تحول في مفهوم القوة فإنه لا يستثني المفاهيم السابقة؛ بل يكون إضافة للعناصر والأشكال، فوجود القوة الناعمة لم يلغ القوة الصلبة، فكان العالم يمر بزيادة لعناصر وأشكال القوة.

(١) عبد الرحمن مسعد، الإرهاب في ضوء القانون الدولي، (القاهرة: دار الكتب القانونية، ٢٠٠٧)، ص ١١٢.

(٢) علي حسين حميد، "استراتيجية توظيف القوة الناعمة في الشؤون الخارجية: مصر ما بعد نظام مبارك: دراسة تحليلية"، مجلة العلوم السياسية، العدد ٥٦، (جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، كانون الاول ٢٠١٨)، ص ١٨٣.

وفي هذا السياق يتعرض "جوزيف ناي" إلى موضوع تحول القوة، ويرى أن هناك دولاً أكثر قابلية من غيرها في تحويل مصادرها إلى تأثير، ويقصد بهذا التحويل، القدرة على تحويل قدرة كامنة مقدرة في شكل مصادر متوفرة إلى قوة حقيقية ملموسة والتي نستطيع أن نقيسها بدورها من خلال تغيير سلوك الآخرين، وانطلاقاً من ذلك نستطيع أن نحدد قدرات دولة ما على القيام بهذه العملية التحويلية إذا كنا نريد أن نتنبأ بالمستقبل بالضبط^(١).

ومن هنا تحاول الدول، لاسيما الكبرى منها على التكيف في توظيف نمط القوة في مواجهة التنظيمات الارهابية وفق "نظرية انتقال القوة" The Power Transition، كواحدة من النظريات التي تفسر التنافس الدولي على سيادة العالم بين القوة العظمى التي تسعى لتعظيم إمكاناتها وقدراتها الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية للانتقال من دور أدنى في بنية النظام الدولي إلى دور أعلى يمكنها من الاستمرار في تحقيق مصالحها وتعظيمها ومن أداء دور مؤثر في السياسات العالمية^(٢).

ويأتي في هذا السياق استخدام الولايات المتحدة الأمريكية القوة العسكرية المباشرة ضد تنظيم طالبان والقاعدة للرد على هجمات ١١ ايلول/ سبتمبر ٢٠٠١، مقرونةً بفرض عقوبات اقتصادية على الدول التي تقدم الدعم لهذا التنظيم او تؤوي جماعات ارهابية مناصرة له، بدعوى مكافحة الإرهاب، وذلك استجابة للارغبة الأمريكية في استبعاد أية مبادرة سلمية عن طريق المفاوضات أو الوساطة أو أية وسيلة سلمية أخرى، وهذا ما ادخل الولايات المتحدة الأمريكية في حرب استنزاف على اعتبار انها خاضت حرب غير نظامية (لامتماثلة)، من دون اتخاذ التدابير ما دون الحربية التي تتخذها الدولة دون الوصول إلى حرب شاملة، وهي: التفاوض، الحظر، التهريب، التخريب السري، الاغتيال (اغتيال أسامة بن لادن في أفغانستان، واغتيال أبرز قادة تنظيم داعش لاحقاً)، والاستخدام المحدود للقوة^(٣).

ما دفع بها لاحقاً إلى نهج نمط مغاير مبني على اتخاذ تدابير ما دون حربية، حين لجأت الى هذا الاسلوب في عام ٢٠٢١، بعد عشرون عاماً من استخدام القوة الصلبة)، وهذا يدل على ان الدول توظف نمط القوة بحسب ما تقتضيه مصالحها التي تتناسب مع متغيرات الوضع الدولي.

في حين ان التحالف الدولي ضد تنظيم "داعش" لجأ في مرحلة ما من مراحل الصراع في سوريا، إلى اتخاذ من التدابير ما دون الحربية أو نهج حزمة تدابير. وفي هذا السياق، قامت روسيا بالاستخدام المحدود للقوة عن طريق ضربات عسكرية جوية تجاه أهداف تنظيم "داعش" وباقي المجموعات الإرهابية في سوريا،

(١) جوزيف ناي، مفارقة القوة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

(٢) Steve Chan, China: The US and the Power Transition Theory: A Critique, (New York: Routledge, 2008), p 12.

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر: بن كونايل، جاسون هـ. كامبل، دان مادن، توسيع واستغلال الحدود الفاصلة لشن الحرب الشاملة، (كاليفورنيا: مؤسسة راند، ٢٠٢١)، ص - ص ١١-١٧.

وكانت سباقة إلى الدعوة إلى وقف إطلاق النار، ودبرت عملية التفاوض حول خروج المقاتلين الأجانب من مدينة حلب بعد سيطرة الجيش السوري عليها.

كما لجأت دول التحالف إلى نمط الحرب الهجينة التي تقتضي عمل الدولة على دعم مجموعات وتنظيمات مسلحة بأسلحة تقليدية وأخرى نوعية، قادرة على مواجهة التنظيمات الإرهابية بشتى أساليب الحرب الممكنة، في أماكن النزاع التي لا تسعى الدولة للتدخل بشكل مباشر فيها. ولعل الأمثلة تتعدد في هذا الجانب، كالدعم الأمريكي والتركي للجيش السوري الحر لمواجهة نظام السوري، وكذا التسليح الإيراني لحزب الله، ودفعه للقيام بعمليات عسكرية في سوريا.

فضلاً عن ذلك تم توظيف نمط القوة الافتراضية للتصدي لاستراتيجية التنظيمات الارهابية للحد من تجنيد عناصر جديدة او في تعقب التحويلات المالية والتمويل او التشويش على اعلام التنظيم وتهكير مواقع التواصل الاجتماعي التي تستخدمها التنظيمات الارهابية.

لذلك تحدد طبيعة البيئة الإقليمية التي تمارس فيها الدولة سياستها الخارجية وكذلك طبيعة التفاعلات والعمليات القائمة فيها، إلى حد كبير أي من مصادر القوة ملائم للاستخدام، الأمر الذي يفسر أسباب النجاح في توظيف نمط القوة في نظام إقليمي وفشلها في نظام إقليمي آخر، على نحو يشير إلى أن استخدام القوة ما هو إلا انعكاس لخصوصية الحالات التي تطبق فيها.

ان الدول التي تحسن تعاطيها وإدارتها أو بتعبير أدق "فهمها" لعناصر قوتها- بعد تحديدها بالشكل الذي يضمن توجيهها بمسارات معينة نحو أهداف مُعدة مسبقاً من قبل واضعي الاستراتيجيات الوطنية، لاسيما ما يتعلق منها بالأمن القومي وفق أسس رصينة لتقييم المخاطر التي تواجه الشعوب - سيتسنى لها تعزيز وجودها وقدراتها والمحافظة على قيمها المجتمعية والدفاع عن مصالحها ككيان مستقل في ظل متغيرات التوازن الدولي والاقليمي ضمن نظام عالمي ينتقل من هيمنة القطب الواحد والقوة الوحيدة لأقطاب متعددة وقوى ناشئة.

وفي هذا السياق ويؤكد الخبيران الاستراتيجيان الصينيان "وانج زيا نجسوي" و"كياو ليانج" في كتابهما (الحرب غير المقيدة)، بأن أهم ما يميز الشكل الحالي من أشكال الصراع على الصعيد الدولي، هو اعتماد الحرب غير المقيدة التي لا تخضع لقواعد الصراع الدولي، والتي تقتضي تسخير الدولة لكافة الأدوات غير التقليدية بما فيها الاقتصاد والتكنولوجيا، واعتماد أساليب الحرب السيبرانية والحرب الهجينة، والعمل على استغلال كل الإمكانيات المتاحة لمواجهة العدو دون الدخول في حرب شاملة، بما في ذلك استخدام الهجمات الإرهابية^(١).

وعليه، فإن انتهاج الدولة نمطاً محدداً من القوة في مواجهة التنظيمات الارهابية، لا يعني تغييراً لباقي الأنماط الأخرى أو زوالها، فكل تدبير من التدابير -سواء الحربية أو ما دون الحربية- أهمية قصوى في إدارة الصراع، وهو ما يجعل الباب مفتوحاً أمام اتباع نمط القوة الذي يتماشى والظروف المحيطة بالصراع.

(١) Qiao Liang and Wang Xiangsui, Unrestricted Warfare,(Beijing: PLA Literature and Arts Publishing House, 1999), p 42.

الخاتمة والاستنتاجات:

يُعد استخدام القوة من بين الأساليب التي كانت تستخدمها الدولة لحماية وجودها ضد الأخطار الخارجية، كما اتخذتها الدولة وسيلة لفرض وجهة نظرها على الدول الأخرى وتوضيح السوابق الدولية أن القوة قد استخدمت لتغيير أوضاع غير مقبولة أو ضارة، كما لجأت الدول إلى القوة أيضاً كوسيلة لتسوية المنازعات الدولية، ولقد كان من مبررات استخدام القوة عدها كمظهر من مظاهر السيادة الكاملة.

وبذلك لم تعد الدول تنقيد بمبدأ تحريم القوة وأصبحت تستند في أفعالها إلى حقها في الدفاع عن النفس، وبذلك استطاعت القوى العظمى أن تتحكم في واقع القوة على مستوى العلاقات الدولية وتوظيفها من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف السياسية والجغرافية والاقتصادية، ويأتي في هذا السياق توظيف نمط القوة للتصدي للتنظيمات الارهابية تحت وطأة تنامي هذه التنظيمات سواء من حيث عددها وتنوع انشطتها واهدافها واتجاهاتها. وفي ضوء ما سبق بيانه في البحث تم التوصل الى مجموعة من الاستنتاجات، يمكن إجمال أهمها بما يأتي :

١- الارهاب ظاهرة راهنة وإن كانت تعود إلى الماضي، لكن خطورتها أصبحت شديدة في ظل التغير في موازين القوة العالمية، ولها تجاذبات داخلية وخارجية، عربية وإقليمية ودولية؛ لأن الارهاب أصبح كونياً، وهو موجود في مجتمعات متعددة، ولا ينحصر في دين أو دولة أو أمة أو شعب أو لغة أو ثقافة أو هوية أو منطقة جغرافية أو غير ذلك، وإن اختلفت الأسباب باختلاف الظروف والأوضاع، لكنه لا يقبل الآخر ولا يعترف بالتنوع، ويسعى إلى فرض الرأي بالقوة والعنف.

٢- لم تعد الظاهرة تقتصر على جماعات محدودة، بل إن تهديدها وصل إلى أساسات الدولة والهوية، ولا سيما في المجتمعات العربية التي غالباً ما تلجأ إلى العنف في حل الخلافات. لذلك لا يمكن القضاء على التطرف والإرهاب بوسائل عسكرية أو أمنية فقط، بل لا بد من البحث في جذورها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية والتربوية والقانونية والنفسية وغيرها.

٣- أسهم الوضع الإقليمي بتدخلاته وأذرعته المختلفة في تعقيد التفاعلات الداخلية؛ بحيث أصبح الإرهاب مؤسسة ممولة خارجياً وداخلياً، ولها هيكلاتها، وهي قائمة بذاتها، وإذا كانت ظاهرة الارهاب قد تراجعت نسبياً في الأعوام من ٢٠٠٧ - ٢٠١٠، فإنها عادت وأصبحت أكثر حدة بعد ما يسمى بـ "ثورات الربيع العربي"، لا سيما في سوريا، وليبيا، واليمن بحكم العامل الجغرافي والمتغير الجيوسياسي للقوى المتصارعة في المنطقة. وزاد تأثير ذلك في العراق، بحكم الاختلاف السياسي الذي تكرر بعد انتخابات عام ٢٠١٤، الأمر الذي دفع بالقوى المتصارعة بما فيها الإقليمية إلى تكثيف جهودها لدعم هذا الفريق أو ذاك، والعمل على إضعاف هيبة الدولة العراقية، وزاد الأمر تعقيداً بعد سيطرة تنظيم "داعش" على عدة محافظات عراقية.

٤- السمة الرئيسية التي حكمت تطور بنية وتفاعلات النظام الدولي، هي التغير المتواصل في خرائط توزيع القوة، والتي وصفها "برتران بادى" بظاهرة "تشرذم القوة"، كما تحدث "جوزيف ناي" عن ظاهرة تحول القوة، والتي تتصف بنسبية عناصرها، وارتبط ذلك بتحول طبيعة الفاعلين الدوليين، وأنماط التفاعلات البيئية، ومنظومة المؤسسات، والقواعد، والقيم الحاكمة لهذه التفاعلات.

٥- اتساقاً مع تزايد انتشار توزيع القوة بين الفاعلين، تصاعد زخم وكثافة التحولات الدولية في الآونة الأخيرة وأصبح النظام الدولي يوصف بالفوضوي أو نظام بلا أقطاب غير منظم يعاني اضطراباً في هيكله، وارتباكاً في أدائه، وسيولة في قمته، وعجزاً عن احتواء التدهور الآخذ في الانتشار، أو متوتر وغير مستقر ويتسم بعدم الثقة واللايقين، ويعاني فشل الدول الكبرى في صوغ استراتيجية للتعامل مع التحديات العالمية.

٦- الصراع بين القوى الخارجية والتنظيمات الإرهابية أدى إلى أن تكون الدول العربية ليست اللاعب الرئيس بل أحياناً تكون مؤسسات تلك الدول هي مادة الصراع، والتي يتنافس عليها الطرفان لتوجيهها وتشكيلها في إحدى مراحل الصراع.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ١- إيمان رجب، "لماذا القوة"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٨، (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، نيسان/ إبريل ٢٠١٢).
- ٢- برتران بادى وماري كلود سموتس، انقلاب العالم سيسيولوجيا المسرح الدولي، ترجمة: سوزان خليل، (القاهرة: دار العالم الثالث، ١٩٩٨).
- ٣- بن كونايل، جاسون هـ. كامبل، دان مادن، توسيع واستغلال الحدود الفاصلة لشن الحرب الشاملة، (كاليفورنيا: مؤسسة راند، ٢٠٢١٦).
- ٤- التقرير الاستراتيجي العربي، "متعدد الأقطاب: حدود التغير في هيكل النظام الدولي"، (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠١٥).
- ٥- جوزيف ناي، مفارقة القوة الأمريكية، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، (الرياض: مكتبة العبيكان ٢٠٠٣).
- ٦- سعاد أبو ليلة، "دورة القوة: ديناميكيات الانتقال من القوة الصلبة إلى الناعمة إلى الافتراضية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨٨، (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، نيسان/ إبريل ٢٠١٢).
- ٧- شمسة بوشنافة، دور فرنسا في ظل النظام الدولي الجديد، (عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠١٦).
- ٨- عبد الرحمن مسعد، الإرهاب في ضوء القانون الدولي، (القاهرة: دار الكتب القانونية، ٢٠٠٧).
- ٩- عبدالحسين شعبان، "التطرف والإرهاب إشكاليات نظرية وتحديات عملية مع إشارة خاصة إلى العراق"، كراسة مرصد، العدد ٤٢، (الاسكندرية: برنامج الدراسات الاستراتيجية، مكتبة الاسكندرية، ٢٠١٧).
- ١٠- علي حسين حميد، "استراتيجية توظيف القوة الناعمة في الشؤون الخارجية: مصر ما بعد نظام مبارك: دراسة تحليلية"، مجلة العلوم السياسية، العدد ٥٦، (جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، كانون الأول ٢٠١٨).
- ١١- كارل دويتش، تحليل العلاقات الدولية، ترجمة: شعبان محمد محمود شعبان، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣).
- ١٢- مي العبدالله، "دور الاعلام الفضائي العربي في الثورات العربية"، المجلة الدولية للآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ٢٢، (القاهرة: المؤسسة العربية للبحث العلمي والتنمية البشرية، ٢٠١٩).
- ١٣- نبيل عبد الفتاح، الرؤى الملتبسة للإعلام والإرهاب، (القاهرة: المركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٠١٤).

ثانياً: شبكة المعلومات العالمية (الانترنت):

- ١- إحصائية عن حجم التمويل لدى عدد من المجموعات التي توصف بـ "الإرهابية".
على الرابط التالي: <http://www.ibtimes.co.uk/mosul-seized-jihadis-loot-429m-citys-central-bank-make-isis-worlds-richest-terror-force-1452190>
- ٢- حسن أبو هنية، "البناء الهيكلي لتنظيم الدولة الإسلامية"، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٤). متاح على الرابط التالي:

<https://studies.aljazeera.net/ar/files/isil/2014/11/2014112363816513973.html>

ثانياً: المصادر الأجنبية:

- 1- Aaron Y. Zelin, The Islamic State's Archipelago of Provinces, the Washington institute, Nov 14, 2014. Available at: <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/islamic-states-archipelago-provinces>.
 - 2- Ecaterina Cepoi, The Rise of Islamism in Contemporary Syria From Muslim Brotherhood to Salafi-Jihadi Rebels, Romanian Political Science Review, vol. 13 . no. 3, (Romania: Romanian Academic Society 2013).
 - 3- Jeff Farlin, Instruments of National Power: How America Earned Independence, (United States Army War College Class of 2014).
 - 4- Qiao Liang and Wang Xiangsui, Unrestricted Warfare,(Beijing: PLA Literature and Arts Publishing House, 1999).
 - 5- Steve Chan, China: The US and the Power Transition Theory: A Critique, (New York: Routledge, 2008).
- Suzanne Nossel, smart power, foreign affairs, vol 83, No 2, (Council on

صراع قوى البيئة العالمية الفاعلة وارتداداته الاستراتيجية على الدول

د.يونس مؤيد يونس / كلية العلوم السياسية – جامعة الموصل

م.جاسم محمد طه/ كلية العلوم السياسية – جامعة الموصل

المقدمة :

البيئة الاستراتيجية العالمية هي بيئة متغيرة ومتطورة تتسم بالحراك والمرونة والديناميكية، والدول هي الفاعل الرئيس في هذه البيئة، هذه البيئة تدفع الدول إلى الحفاظ على أهدافها ومصالحها التي تعكس ما تحوزه من قدرات، وإمكانات نسبية، وموارد متاحة، فعندما تتغير القدرات بشكل حاسم لدى طرف ما من أطراف التفاعل فإن باقي الأطراف –وفقاً لتحليل المدرسة الواقعية- يسعون إلى إعادة التوازن من جديد عبر تفعيل سياسات واستراتيجيات جديدة تتناسب مع مستجدات الواقع الدولي وتحولاته، اذ تدرك الأطراف الفاعلة في البيئة العالمية لا يحكمها الا منطق التنافس والصراع الذي يتحول بدوره إلى استراتيجيات واستراتيجيات مضادة؛ لإدامة وجودها في النظام الدولي واحتلال مواقع ومكانات اقليمية وعالمية، وصناعة التغيير في النظام الدولي، وازاحة قوى المحافظة الاستراتيجية التي كان صانعة للنظام الدولي القديم، وهذه الادامة الاستراتيجية يجعل الدول تدخل في تنافس وصراع يتدرج في خطورته يبدأون بتنافس بسيط، ويخربون في سباقات عالية الخطورة ثم ينتهي بهم السياق الاستراتيجي الى حرب معلنة، وما يعكسه هذا التنافس والصراع والحرب من تهديدات للدول الاخرى.

اهمية البحث:

حقبة التنافس هي حقبة يتم فيها تضمين التفاعلات، بين القوى الفاعلة عالمياً بين الولايات المتحدة والصين وروسيا الاتحادية، والقوى الفاعلة في البيئات الاقليمية الفرعية في المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية، وهي المرحلة التي يتم فيها التأكيد على أفعال المجابهة، وكسب العائد الاستراتيجي بين المنافسة والصراع، ونتائج وتداعيات هذا الصراع لاينحصر بين القوى المنافسة والصراع بل له ارتدادات وتهديدات امنية واقتصادية وسياسية وعسكرية وصحية على الدول الاخرى.

اشكالية البحث:

الدول تحاول جاهدة الحفاظ على وجودها في البيئة الاستراتيجية العالمية وان تكون بمنأى عن التعرض لأية تهديدات امنية واقتصادية وصحية متأتية من صراع القوى الفاعلة العالمية والاقليمية لكن الترابطية العالمية والاعتماد المتبادل يقود الى ان الدول ستكون منكشفة استراتيجياً ولايمكن النأي بنفسها عن المنافسة والصراع وارتداداته الاستراتيجية.

فرضية البحث:

تتعرض الدول لتهديدات وارتدادات المنافسة والصراع والحرب بين القوى الفاعلة عالمياً واقليمياً.

منهج البحث:

لغرض الاجابة على اشكالية البحث وفرضيته والتحقق من صحته فسيتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي للتعرف على التهديدات الاستراتيجية المهمة على الدول؛ نتيجة المنافسة والصراع بين القوى الفاعلة في البيئة الاستراتيجية العالمية.

هيكلية البحث:

سيتم تقسيم البحث الى محاور عدة تضمنت مقدمة وخاتمة يتضمن ابرز الاستنتاجات تناول الاول صراع القوى المحافظة والتعديلية في البيئة الاستراتيجية العالمية، ودرس الثاني تهديدات الثورة التكنولوجية – السيرانية على امن الدول، وتضمن الثالث التهديد البيولوجي ترسانة ردعية وسلاح لتعطيل الدول، وكشف الرابع تهديد امدادات الطاقة بين الاحتواء والتحول نحو البدائل، وتناول الخامس تهديد الامن الغذائي الناشئ واثره في عدم استقرار الدول.

المحور الاول: صراع القوى المحافظة والتعديلية في البيئة الاستراتيجية العالمية

حقبة التنافس والصراع بين القوى الفاعلة في البيئة الاستراتيجية تتضمن التفاعلات في المجالات المختلفة العسكرية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية، وهي المرحلة التي يتم فيها التأكيد على أفعال المجابهة، وكسب المواقع المستندة على الوارد -العائد- الاستراتيجي، وهذا الصراع والمنافسة هما العاملان الحاسمان في كل من الاصطفافات العالمية والإقليمية، وهذا التنافس بين القوى الكبرى هو ظاهرة تبرز في مناطق الصراع، ويمكن أن يحدث في العديد من المجالات التي تنطوي على مصالح استراتيجية؛ لأن إدراك المصلحة الاستراتيجية يؤدي دوراً مهماً وبارزاً في صياغة وتشكيل مراكز القوى الكبرى، وفي هذا السياق، فإن تصورات القوى الكبرى للمصالح الاستراتيجية، وسلوكها وأفعالها ضد بعضها البعض، تعزز فرضية أن مرحلة التنافس والصراع يمكن أن تمهد الطريق إلى نزاعات على درجة من القسوة والتطرف^١.

والسياسة الدولية ليست سوى صراع لأجل القوة المتنوعة، وتوازن القوى؛ نتيجة حتمية لهذا الصراع الذي تسعى عبره الدول في اطار البيئة الاستراتيجية العالمية، والصراع لأجل القوة المتنوعة تتوالد عنها تهديدات مستمرة لاتنعكس على الاطراف المباشرة في الصراع بل لها ارتدادات استراتيجية على بقية الدول.

^١ مركز حرمون للدراسات المعاصرة، صراع القوى الكبرى واستراتيجية الشراكة في الشرق الاوسط، ترجمة علي كمخ، اسطنبول، ٢٠٢٠/٨/٢٦، شبكة المعلومات الدولية-انترنت - <https://www.harmon.org>.

والنظام الدولي يولد نتيجة الكسب الاستراتيجي في الحروب العالمية التي تحظى به القوى المنتصرة، فهي التي تقرر شكل النظام الدولي، وكيفية توزيع مغانم الفوز؛ لذلك برزت النزعة الليبرالية الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لبناء النظام الدولي، وهذه النزعة تقوم وفق رؤية ان النظام الدولي يكون مرتكزاً حول نظام الأمن الجماعي الذي تتحرك في إطاره الدول ذات السيادة معاً لدعم نظام سلامة الأراضي، والتجارة الحرة، والتقرير الذاتي للمصير الوطني، واستمرار انتشار الديمقراطية الليبرالية^١، فقامت السياسة الأمريكية منذ ١٩٤٥ على تأمين مصالحها عبر اداء دور القائد العالمي تتحمل اعباءه مقابل منافع هائلة باختلاف توجهات الادارات الأمريكية بين الجمهوريين والديمقراطيين الدائمة لتأسيس نظام دولي قامت اركانه على امتلاك القوة وانشاء التحالفات ودعمها وتمتين نظام اقتصادي مفتوح^٢.

وصاغت وثائق الامن القومي الأمريكية وفق المنطق الواقعي بانها تواجه منافسة مستمرة في جميع المنافسات التي نتعرض لها في المناطق المختلفة، وحددت الوثيقة الاخيرة المخاطر التي تواجهها في شعب ثلاث القوتان التعديليتان، روسيا الاتحادية والصين على المستوى العالمي، والدولتان المارقتان إيران وكوريا الشمالية على المستوى الاقليمي، وكارتيلات الجماعات الارهابية والجريمة المنظمة التي تسعى لبث الفوضى في كل أرجاء هذا النظام^٣.

وما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية؛ نتيجة منطقية لنظرية استقرار الهيمنة التي تقوم على وجود قوى واحدة مهيمنة في النظام الدولي تؤدي دور الضامن للاستقرار الاقتصادي والسياسي عبر وضع القواعد الدولية التي تسهل التبادل المنظم بين الدول ومعاقبة المخالفين، لكن هذه الهيمنة لاتدوم؛ لأنه وفقاً لنظرية جورج مودلسكي ووليام طومسون تقول ان القوى العظمى تتابعت منذ عام ١٥٠٠ على التحكم في النظام العالمي وفق نظرية دورانية لصعود هذه القوى وانحدارها التي لا بد من توافر شروط في كل منها ابرزها التفوق العسكري والاقتصادي فتبدأ كل دورة من دورات هذا التحكم بحرب عالمية يفرض المنتصر في نهاية هذا الحرب شكلاً جديداً للنظام العالمي، والقوى المهيمنة عليه وتستمر هذا الدورة لنحو مئة عام، وباعتماد هذه النظرية ومطابقتها مع زمننا نجد ان العالم قد اكمل اربع دورات كاملة وتشرف الخامسة على الافول، اذ دخلنا مرحلة محملة باحتمالات تغييرية في العلاقات وموازين القوى الدولية هذه المرحلة مرحلة صراع وتنافس وحرب؛ لان القوى التعديلية لن تستمر في قبول وضعها الحالي وفقاً لنظرية توازن القوى وستعمل

^١ جون ايكنبري، نهاية النظام الدولي الليبرالي، ترجمة جلال خشب، المعهد المصري للدراسات، اسطنبول، ٢٠٢١/٦/٢٥، ص ١٠.

^٢ لورد حبش، الهيمنة في العلاقات الدولية: مراجعة للمفهوم في ضوء الحالة الأمريكية، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد ٤٨، ٢٠٢١، ص ٣١.

^٣ المصدر نفسه، ص ٣٢.

على تغيير النظام الدولي في ظل الطبيعة الفوضوية للبنية الدولية وسيجعل غياب النظام الذي يضمه المهيمن امر مستحيلاً^١.

إن نظرية كينث إورغانسكي في تحول القوة هي واحدة من النظريات التي تفسر التنافس والصراع الدولي على سيادة العالم بين القوة الفاعلة لتعظيم إمكاناتها وقدراتها الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية للانتقال من دور أدنى في بنية النظام الدولي إلى دور أعلى يمكنها من الاستمرار في تحقيق مصالحها وتعظيمها ومن أداء دور مؤثر في السياسات العالمية^٢، ووفقاً للباحث جون ميرشايمر تنزع القوى الفاعلة غير الراضية نحو تغيير وتعديل توازن القوة لصالحها سلباً أو حرياً؛ لان القوة النسبية للدولة في مقابل الدول الاخرى هي الضمانة الاولى لبقاء الدول، ولذلك تقف القوة التعديلية على طرف نقيض من قوى الوضع الراهن التي تسعى الى الحفاظ على توازن القوة الحالي لان يصب في صالحها بما يعمل على الحفاظ على مكانتها المهيمنة على المنافسين المحتملين^٣، وعلى هذا النحو ينظر الى تصرف القوى التعديلية على انه سلوك غير شرعي وعمل خارج القواعد التي تحكم النظام الدولي بناءً عليه تتكشف التفاعلات بين القوتين القائمة والتعديلية في أربع خطوات سيؤدي تكرارها إلى زعزعة الاستقرار الدولي هي^٤:

١- عدم الاعتراف من القوى الراحنة بالقوى التعديلية بانها مؤهلة لنيل الحقوق والمسؤوليات التي تحدد دور هوية القوة الرئيسة في المجتمع الدولي؛ ومن شأن ذلك أن يولد أشكالاً من انعدام الأمن الاجتماعي.

٢- تجربة عدم الاحترام: يعد الباحث راينهارد وولف ذلك هو إنكار غير مبرر للترتبة الاجتماعية، وهجوم رمزي على إدراك ذات ما مكانتها في المجتمع؛ فبعد تستشعر القوة الصاعدة ذلك، تُعلن مقاومتها الخضوع.

٣- التماثل أو الأمانة: يكون للقوى الراحنة خياران في الاستجابة لمطالب الاعتراف؛ يتمثل الأول في تأكيد عضوية القوى التعديلية من دون عوائق، ويصبحان طرفين متماثلين، أما الثاني، فيتمثل في استمرار

^١ لورد حبش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣؛ خيرالدين عبدالرحمن، العرب وتصاعد خيار القوة الناعمة، مجلة الفصيل، دار الفصيل الثقافية، السعودية، العدد ٤٣٥-٤٣٦، ٢٠١١، ص ١٧؛ محمد حمشي، الفواعل الدول المؤثرة في النظام الدولي، مجلة المفكر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد ١٠، ٢٠١٧، ص ١٨٦، ص ١٨٨.

^٢ نيروز غانم واحمد قاسم حسين، التغييرات في بنية النظام الدولي وانعكاساتها على الثورات العربية، مجلة سياسات عربية، المركز العرب للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد ٣، ٢٠١٣، ص ٦٩.

^٣ منير موسى ابو رحمة واسية قوراري، موقف ايران كقوة تعديلية في ميزان القوى الجديد في الشرق الاوسط، مجلة الدراسات الايرانية، المعهد الدولي للدراسات الايرانية، السعودية، العدد ١١، ٢٠٢٠، ص ٣١.

^٤ كمال بوناب، النضال من اجل الاعتراف في العلاقات الدولية: القوى الراحنة والتعديلية والصاعدة، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد ٤١، ٢٠١٩، ص ١٧٥.

إنكار مطالب الاعتراف الأمر الذي يدفع القوى التعديلية نحو المواجهة والقيام بأفعال غير متوقعة، مثل افتعال الأزمات الدولية، أو يسرع من امتلاكه القدرات العسكرية المثالية، ويشارك في مناورات عسكرية عالية المستوى لجذب الانتباه؛ ليتحولون الى قوى متهورة وخطرة؛ وهنا يبرز مسار الأمننة كردة فعل من قوى الوضع القائم.

ونشرت مجلة فورين أفيرز الامريكية تحليلاً للباحث والتر راسيل ميد تناول فيه عودة منافسات الجغرافيا السياسية^١، وهذا مرتبط بحالات فراغ القوى الاقليمية والدولية الامر الذي يدفع القوى التعديلية -الصين- في الاقليم الباسفيكي وافريقيا، ولن تقل بالنفوذ الحالي للولايات المتحدة في آسيا، ولديها قناعة القيام بدور قيادي في الشؤون العالمية، و-روسيا الاتحادية- في اوربا وآسيا الوسطى، وإعادة تجميع أكبر قدر من دول الاتحاد السوفيتي، واخرها الحرب على اوكرانيا ، و-ايران في الشرق الاوسط، والوضع الإقليمي الراهن في الشرق الاوسط تود إيران أن تستبدله للوصول الى المهيمن الاقليمي^٢.

وبناء على ما سبق يرفض الليبراليون التراجع والتخلي عن الهيمنة الليبرالية ولو بمقدار محدود، حيث يدعو الباحث الليبرالي "جون إيكينيري" الولايات المتحدة الامريكية لبناء نظام مفتوح ومتعدد الأطراف عبر استعادة المشروع الليبرالي الدولي عن طريق التحالف مع الدول الديمقراطية الرائدة ذات التوجه الليبرالي^٣.

ومن شأن الانجازات التي تحققت في مجال مأسسة العلاقات الدولية في العقود الاخيرة ان تؤكد صدقية افتراضات الليبراليين لاسيما مفهوم الاعتماد المتبادل كلما زاد ارتباط الدول بعضها ببعض الآخر، واعتماد بعضها على بعض، زادت نزعتها الى التعاون، وادت عمليات الصراع بين القوى في هذه النظام الى تكاليف باهظة نتيجة التهديدات الناجمة عن هذا الصراع، وهذه الحالية تنطوي على خاصيتين رئيسيتين هما: الحساسية والانكشاف، أي حساسية الدول للتغيرات المقصودة التي تحدثها دول في مجالات معينة، وانكشاف الدول امام الاضطرابات الطارئة التي تحدث في دول او بين دول معينة^٤.

^١ والتر راسيل ميد، القوى التعديلية: عودة منافسات الجغرافيا السياسية في العلاقات الدولية، عرض: طارق راشد، مجلة السياسية الدولية، ٢٥/٥/٢٠١٤، شبكة المعلومات الدولية-انترنت - <http://www.siyassa.org.eg>.

^٢ منير موسى ابو رحمة واسية قوراري، مصدر سبق ذكره، ص ٣١؛ الينا سابونينا، عودة تدريجية: فرص روسيا في تغيير موازين القوة بالشرق الاوسط، اتجاهات الاحداث، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابوظبي، العدد ٩، ٢٠١٥، ص ٧١-٧٣.

^٣ تشارلز كوبشان، التوضع الحكيم: استراتيجية امريكية مقترحة للموازنة بين العزلة والانفتاح، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابوظبي، ٢٤/٢/٢٠٢١، شبكة المعلومات الدولية-انترنت - <https://futureuae.com>.

^٤ محمد حمشي، نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: انبذة معتقة في قنات جديدة ونبيذ لما يعتق، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد ٥٠، ٢٠٢١، ص ٢١.

ونتيجة هذا الصراع بين القوى المحافظة والقوى التعديلية يجعل من البيئة الاستراتيجية العالمية مليئة بالتهديدات الذي لا ينعكس على اطراف الصراع المباشرة، بل ينعكس بشكل تهديدات امنية واقتصادية وصحية على الدول الاخرى في البيئات الاستراتيجية الفرعية والتي البعض منها هي دول فاشلة ما يفرض عليها ازمة وجود في النظام الدولي.

المحور الثاني: تهديدات الثورة التكنولوجية – السيبرانية على أمن الدول

يشير الباحث ألفن توفلر في كتابه "تحول السلطة: بين العنف والثروة والمعرفة" إلى أن: "الصراع الدولي اليوم يدور حول المعرفة، ويكون ميدانه عقول البشر وما تحتويه من معلومات ومعارف"..^١ ويرى الباحثين أن: "قضايا التكنولوجيا تحتل مكانة رئيسة في التنافس الدولي"، لاسيما بين الولايات المتحدة وبقية القوى الكبرى، فاصبحنا أمام بيئة تكنولوجية عالمية معقدة، ودشنت عصرًا جديدًا أسفرت فيه عن ميزات الفاعلة، وخصوصيتها في صياغة نظرية جديدة للقوة وأثر ذلك أمنياً وعسكرياً، ليصبح العنف والتهديد بين الأطراف الفاعلة دولياً مقيداً بالتكنولوجيات المتاحة لهم^١.

إن العالم اليوم خرج من الأنماط التقليدية للصراع، ليدخل ضمن منطق الصراع المعولم،-الصراع في ظل عالم مفتوح النهايات- عالم يمكن في أي لحظة أن تنتصر قوى صغيرة فيه على قوى كبرى؛ نتيجة القيود على استخدام القوى الكبرى عناصر قوتها او نتيجة الكفاية والملاءمة في استخدام القوة الصغرى لعناصر القوة الموجودة، وخصوصاً أن عالم الأسلحة التي تستخدم في صراع القوى صارت تتجه لتعتمد على الثورة التكنولوجية المعلوماتية وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، والدبلوماسية، وتأليب الرأي العام وغيرها^٢.

ونتيجة التطور المذهل في تقنيات الذكاء الاصطناعي، والتكنولوجية الحيوية، وتكنولوجيا المعلومات بدأ التنظير لمقاربات ما بعد الانسانية التي ترى ان الوضع الانساني يستبعد ما كان يتم عده طويلاً طبيعة بشرية، بحيث يصعب التمييز ما هو انساني، وان المعلومات هي جوهر الانظمة الذكية بينما الهيئة او المادة هي مجرد حامل لتلك المعلومات الأمر الذي يعني التركيز على الوظيفة اكثر من الشكل، أي تحسين الخصائص البشرية عبر الابتكارات الحيوية والتقنية^٣.

^١ خالد خميس السحاني، الابعاد التكنولوجية في العلاقات الدولية الامريكية الروسية، مجلة السياسة الدولية، ٢٠٢١/٣/٣١، شبكة المعلومات الدولية-انترنت - <http://www.siyassa.org.eg>.

^٢ خضر عباس عطوان وعلي حسن نيسان، تحولات القوة واتجاهات الصراع في النظام الدولي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٧٢، ٢٠١٨، ص ١٣٠.

^٣ فاطمة الزهراء عبدالفتاح، مداخل التوازن بين الابتكار التكنولوجي والهوية الوطنية، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢١٥، ٢٠١٩، ص ٢٤٨.

فاتجه العالم نحو سباق تسلح في ظل التطور التكنولوجي الذي يجعل مستوى ونوع الأسلحة التي تُصنع قادرة على التأثير في كل الوجود الإنساني؛ كون الحروب لم تعد فقط في مجال أسلحة الدمار الشامل، إنما التكنولوجيا أصبحت قادرة على شل الحياة الاجتماعية، وإنهاء الحياة بكل مظاهرها، دون الحاجة إلى دخول حروب مباشرة، وأكثر الوسائل القابلة للاستخدام هي التأثير في عقد الاتصالات، والتحكم بالمعلومات، وضرب أنظمة القيادة والسيطرة التابعة للخصوم^١، لذلك شهدت ميادين التسلح تطوراً متراكماً من ناحية الكم والنوع، مدفوعاً بالتطور التكنولوجي، وما يسببه من تغير في آليات ووسائل الاشتباك الميداني في مسارح العمليات العسكرية، وثمة اعتقاد لدى معظم الخبراء الاستراتيجيين أن التقنية هي العامل الأبرز في تصنيف قوة القوى الفاعلة في البيئة الاستراتيجية، ومن ثم حسم الموقف سياسياً، وإن اختلفت طبيعة الاشتباك، ووسائل التعبير عن تناقض المصالح، وعد التعبير عن تناقض الإرادات بين الدول يبتعد كثيراً عن الحرب المباشرة مع تركيز الدول على ضرورة تحسين قدراتها الدفاعية والهجومية، لردع الخصم وللإستعداد لكل السيناريوهات التي تفرضها متطلبات البقاء والتمكين للدول، وبناءً على ذلك تتعرض الدول لحوادث متكررة لمنشأتها الحيوية دون الانزلاق نحو هاوية الاشتباك المباشر، وهذا نوع من الصراع المختلط الذي تنتوع فيه أدوات الاشتباك يتطلب نوع من التكنولوجيا المتقدمة^٢.

والتسارع في الطفرات التكنولوجية، أدى لظهور النهج الجديد، والمتغير من الأبعاد العسكرية، عنوانه الرئيس امتلاك تقنيات الجيل الخامس والسادس للحرب، وتقنيات الإفلات من الرادارات الحديثة، والتوجيه الدقيق لاسيما مع انتشار الأنشطة العسكرية ضمن ما يُعرف في (حروب الظل وصراعات المنطقة الرمادية)، والعمليات الهجينة التي يتم تنفيذها عبر الأفق وغيرها من النشاطات التي لا تقوم بها الدول فحسب، بل المجموعات والفواعل من غير الدول^٣.

فكون الساحة السيبرانية ساحة الصراع بين الاطراف الاقليمية والدولية الفاعلة، وامتلاك الدول الاخرى لهذه الساحة؛ لتحقيق مصالحها القومية، فالحرب السيبرانية^٤، اصبحت جزءاً من هذا الصراع لاسيما بعد لجوء

^١ خضر عباس عطوان وعلي حسن نيسان، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠.

^٢ بلال العضايبة، كيف تحسم التكنولوجيا العسكرية الحروب قبل بدايتها، مركز strategics think tank، ٢٠١٩/١١/٢، شبكة المعلومات الدولية-انترنت-<https://strategiecs.com>.

^٣ صالح المعاينة، الاتجاهات العالمية لمستقبل القوة العسكرية، مركز strategics think tank، ٢٠٢١/١٢/٢٨، شبكة المعلومات الدولية-انترنت-<https://strategiecs.com>.

^٤ الحرب السيبرانية: هي هجمات غير قابلة للتنبؤ وحرب الكترونية غير متماثل ولا توجد بها قواعد ذاتية يمكن للأفراد ان يشنوا هجوماً او حروباً على الدول الصغرى والكبرى وفق ضربات ضد أنظمة التحكم الصناعية، عبر استغلال الثغرات في الدفاعات الضخمة للبلدان والشركات، والتلاعب غير المرئي بتوجهات الرأي العام باستخدام أدوات رقمية مثل الاعلانات المستهدفة والتسجيلات ومقاطع الفيديو التي يمكن صناعتها عبر الذكاء الاصطناعي، وهي حرب ادت لزيادة الخوف وعدم اليقين والشك

الكيانات دون الدولة الى تنفيذ مخططاتها الاجرامية والارهابية^١، لاسيما بعد ان أصبحت المصالح القومية ترتبط بالبنية التحتية الحيوية عرضة لخطر الهجوم، وجعل الفضاء السيبراني تلك المصالح مرتبطة ببعضها البعض في بيئة عمل واحدة، ومن ثم فإن أي هجوم على إحدى تلك المصالح يكون سبباً لحدوث عدم توازن استراتيجي ومهدداً خطيراً للأمن القومي، وهذا ما دفع العديد من الدول إلى إدخال الأمن السيبراني ضمن استراتيجيتها للأمن القومي، وجعلت الدول تسارع إلى تبني تغييرات في استراتيجيتها الامنية بإدراج القوة السيبرانية كمحدد رئيس لمدى قوة الدولة، وقدرتها على حسم النزاعات لصالحها^٢.

ومن المشاريع التي تعمل عليها الشركات العالمية اليوم في مجال التكنولوجيا هي انترنت الفضاء باستخدام الاقمار الصناعية التي تختلف عن الاقمار الصناعية التقليدية المخصصة للبث التلفزيوني والاذاعي من حيث قربها بصورة اكبر الى الارض، وتغطيتها مساحات محددة من الارض لكن بسرعة نقل للبيانات بصورة اكبر ما يتطلب انتاج مئات الاقمار الصناعية الفضائية للإنترنت، وهنا تصبح الدول اما تهديدات اوسع هي^٣:

١- **فقدان سيادة الدول على إنترنت الفضاء:** نتيجة عجز الدول في كثير من الأحيان إغلاق بعض المواقع التي ترى فيها تهديداً لسيادتها، لاسيما عندما يلجأ الأفراد إلى برامج الاخفاء VPN للتهرب من القيود التي تفرضها الدول على حركتهم عبر الإنترنت؛ فإن الأمر سيكون أكثر خطورة وصعوبة في ظل إنترنت الفضاء.

٢- **فقدان السيطرة على قطاع الاتصالات:** ليصبح بإمكان الأفراد الحصول على الإنترنت مباشرة عبر الأقمار الصناعية دون الحاجة إلى وجود محطات أرضية تتولى عملية استقبال إشارة البث الفضائي، وإعادة إرسالها أرضياً؛ لتصبح الدول لا تستطيع فرض سيطرتها على إنترنت الفضاء، أو حتى تنظيم عملية استقبال وإرسال البث، بل قد تفقد الدولة جزءاً كبيراً من سيطرتها على قطاع الاتصالات بصورة عامة.

بالأمن السيبراني لاسيما عندما يتولى مسؤوليته قطاعات خاصة. عمرو عبدالعاطي، التطورات التكنولوجية ومستقبل الحروب، ملحق اتجاهات نظرية، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢١٥، ٢٠١٩، ص ٢٣.

^١ ابو الفضل الاسنوي، سباق القوة في عالم العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢١٥، ٢٠١٩، ص ١٠.

^٢ اسماعيل زروقة، الفضاء السيبراني والتحول في مفاهيم القوة والصراع، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة الوادي، الجزائر، العدد ١، ٢٠١٩، ص ١٠٢٥.

^٣ ايهاب خليفة، دول بلا سيادة: ماذا لو انتشرت شبكة انترنت الفضاء في عام ٢٠٢٢، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابوظبي، ٢٠/١٢/٢٠٢١، شبكة المعلومات الدولية-انترنت - <https://futureuae.com>.

٣- **انكشاف استراتيجي اكبر للدول:** مع توجه الدول نحو عمليات الرقمنة، والتحول نحو الخدمات الذكية سواء كانت حكومية أو خاصة؛ تصبح الدولة ومواطنيها أصبحوا أكثر انكشافاً لدى هذه الشركات التي تقدم خدمات إنترنت الفضاء، وتمتلك كثيراً من البيانات والمعلومات التي تستطيع من خلالها تهديد الأمن القومي للدول.

وبناءً على ما سبق اوضحت الدولة مستهدفة مهما كانت درجة قوتها في منطقة رمادية-لاسلم ولاحرب- نتيجة الآتي^١:

١- كسر لاحتكار الدولة للصراع والحرب عبر نقل الحرب إلى عمق الدولة مباشرة، وضرب أهداف حيوية دون مواجهة ظاهرة.

٢- غياب الصفة المباشرة لشخص التهديد، واختباؤه وراء شخصيات وهمية، أو روبوتات تُدار بنحو لاسلكي أو عبر الأقمار الصناعية وشبكات الإنترنت.

٣- الإرهاب والترويع تكتيك رئيس لهزيمة الدولة المستهدفة عبر تعميق الخلاف والسلم الوطني، واستخدام أبناء ضالي من الوطن لطحن مجتمعهم، وجيش الدولة المستهدفة.

المحور الثالث: التهديد البيولوجي ترسانة ردعية وسلاح لتعطيل الدول

العلم يتقدم بدرجة لا يمكن التنبؤ بالمخاطر الناتجة عن هذا التطور مع ظهور تقنيات النانو، فبدأت المختبرات العالمية فهماً أدق للأنظمة البيولوجية في المستويات كافة في ظل وجود برامج سرية بيولوجية وتراشق للتهم بين الدول الكبرى؛ ليتم توظيفها في اطار الصراع بين القوى الفاعلة في النظام الدولي التي ترغب في احتلال مكانة دولية او اقليمية في البيئة الاستراتيجية^٢.

وتمثل مدرسة كوبنهاغن أحد أبرز المدارس التي نقدت الأطروحات الأمنية الكلاسيكية، ووسعت مجالات الأمن، بحيث لا يقتصر فقط على الجانب العسكري، بل يتعداه إلى مجالات أخرى، فالتحديات البيولوجية لاسيما التي هي من صنع القوى الفاعلة في النظام الدولي لتعظيم نفوذها وسيطرتها، يكون عبر استخدام القوة بكل أشكالها، قادت الى انتاج اسلحة بيولوجية، هذا المتغير غير المرئي عابرا للحدود القومية تحدي للنظام

^١ غادة محمد عامر، تطور الصراع الدولي وفق التقدم التكنولوجي وظهور الحروب اللامتماثلة: الحروب غير النمطية، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠٢٠، ص ١٦.

^٢ محمد الزهراوي، تأثير جائحة كورونا على النظام العالمي: قراءة في المتغيرات الدولية والاقليمية المحتملة، journal of the geopolitics and geostrategic intelligence، العدد ١، ٢٠٢٠، ص ١١٣.

الدولي، وادرج ضمن التهديدات الامنية والبايولوجية التي تواجه الدولة بفعل المنافسة والصراع^١، وهذا التهديد للأمن القومي للدول يكون عبر الزيادات في معدلات المرضى والوفيات يشكل ضغطاً على الصحة العامة، وتهديد للدول؛ ليتسبب ذلك في عدم استقرار سياسي، وركود اقتصادي، فسرعة انتشارها، وحجم الخسائر البشرية الناجمة عنها تُشكل تحدياً وجودياً للبشرية جمعاء، لاسيما في حال عدم التوصل إلى لقاح أو علاج آمن لتلك الأمراض والأوبئة، فهذا يعد تهديداً للأمن الصحي العالمي^٢.

فالتحديات والاسلحة البايولوجية تعد أقوى أسلحة الدمار الشامل فتكاً وتدميراً؛ لسهولة تصنيعها عبر وقت قصير، وبإمكانات مادية وتكنولوجية بسيطة، ويمكن استخدامها دون الوصول الى الفاعل سواء أكان بواسطة مخبرات الدول أم بواسطة الجماعات الإرهابية؛ لأن تأثيرها لا يظهر إلا بعد فترة حضانة معينة يكون الفاعل الحقيقي قد اختفي تماماً اثناءها قبل أن يتم اكتشاف أمره، وذكر كتاب منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي أن هناك ٣٩ نوعاً يمكن استخدامه كتهديد بايولوجي^٣.

وتتضمن الأسلحة البيولوجية كائنات حية دقيقة ذاتية التكاثر -بما فيها البكتيريا والفيروسات والفطريات والريكتسيا- تنتشر عمدًا لتسبب المرض أو الموت للإنسان أو الحيوان، وتشمل أيضًا عوامل غير حية وغير ذاتية التكاثر تفرزها الكائنات الحية أو تنتج صناعيًا لتكون مشابهة للعوامل التي تفرزها الكائنات الحية لتقود حروب غير تقليدية في المستقبل^٤.

انتشرت سرديات الحرب البيولوجية؛ نتيجة ظهور الاوبئة المتكررة، وحالة عدم اليقين والخوف الذي يصحبها، وادل على ظهور الاتجاهات التآمرية عبر ان الالمان انشؤوا انفلونزا الاسبانية عام ١٩١٨، كسلاح بايولوجي، وان الولايات المتحدة الامريكية انشئت الايدز في مختبراتها في الثمانينات من القرن العشرين، وتكرر الامر مع انتشار الايبولا في افريقيا في التسعينيات من القرن العشرين، والساسر

^١ احمد قاسم حسين، النظام الدولي وجائحة كورونا: سجل تأثير الاوبئة في العلاقات الدولية، مجلة سياسات عربية، المركز العرب للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد ٥٠، ٢٠٢١، ص ٤١.

^٢ سهيلة هادي، تداعيات ازمة كورونا واستراتيجيات مواجهتها، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠٢٠، ص ١٠.

^٣ السيد رافت العابد، الحرب البيولوجية الانتقائية: من خلفها، المعهد المصري للدراسات، اسطنبول، ٢٠١٧/١١/٢٨، ص ١٠.

^٤ محبوب الزويري، الاوبئة وتحديات الامن الوطني في الدولة الحديثة: كوفيد -١٩ أنموذجاً، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، ٢٠٢١/٨/١٩، شبكة المعلومات الدولية -انترنت- <https://studies.aljazeera.net>.

في جنوب شرق آسيا عام ٢٠٠٢، وكذلك الحال لكوفيد-١٩ عد بانه سلاح بايولوجي انشأته حكومات احدى القوى الفاعلة المتصارعة والمنافسة في النظام الدولي^١.

وابرز مثال على ذلك حينما ظهرت جائحة كوفيد-١٩ في مدينة ووهان الصينية عام ٢٠١٩، تصاعدت وتيرة التوترات بين الصين والولايات المتحدة الامريكية وحلفائها حول سبب الفايروس في مؤشر واضح على سيطرة الطابع الصراعى على هذه العلاقات، واصدرت إدارة الرئيس الامريكي السابق دونالد ترامب تقرير استراتيجى موسوم "النهج الاستراتيجى الأمريكى في التعامل مع جمهورية الصين الشعبية، تضمن معلومات تفيد بأن الصين تسعى إلى تغيير النظام الدولى بما يتماشى مع مصالح وإيديولوجية الحزب الشيوعى الصينى"، وفي المقابل فإن مسئولين صينيين حذروا من مغبة اندلاع حرب باردة جديدة مع الولايات المتحدة، اذ أعلن وانغ يى وزير الخارجية الصينى في ايار عام ٢٠٢٠ أن "بلاده والولايات المتحدة على حافة حرب باردة جديدة، قائلًا: أن الولايات المتحدة أصيبت بفيروس سياسى يجبر المسئولين هناك على مهاجمة الصين باستمرار"، إشارة للانتقادات التى وجهتها الولايات المتحدة لكيفية تعامل الصين مع الجائحة^٢.

اذ تم التعامل مع كوفيد-١٩ بعده تهديدًا امنيًا وتكررت عبارة حالة حرب في خطابات قادة دول العالم على عده العدو الخفى كأخطر تهديد صحى عبر جيل كامل؛ تعبيرًا عن الابعاد غير التقليدية، والتوسع في التهديدات الامنية، ونقل الشعور للجماهير لقبول الاجراءات الاستثنائية للبقاء على قيد الحياة خشية عدم الاستقرار الاجتماعى والسياسى الناجم عن هذا التهديد، وهذا يذكرنا بمجتمع المخاطرة العالمى للباحث اورليش بيك الذى يركز على المخاطر التى تتعرض لها الدول والمجتمعات؛ نتيجة عمليات التحديث السريع والعولمة^٣.

لذلك تطلبت التحولات التى فرضها جائحة كوفيد-١٩ أن تعترف الدول بالأخطار المحدقة بالطبيعة المتعددة للأمن القومى، وترابطه مع الأمن الدولى، اذ يجب معالجة كليهما بشكل كُلى، وألا يطرح أي حل نفسه بمعزل عن الآخر، ولا يعنى ذلك أن الدول لم تكن تُدرك طبيعة الأمن القومى إلا أن ما أحدثه هو الكشف عن

^١ مصطفى ربيع، الجائحة الصامتة: ملامح صاعدة لثقافة الاوبئة في افريقيا جنوب الصحراء، دراسات خاصة، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابوظبى، العدد ١٠، ٢٠٢٠، ص ١٦.

^٢ يوسف جمعة الحداد، كورونا والحرب الباردة الجديدة: صراع المصالح والنفوذ، مجلة درع الوطن، الامارات العربية المتحدة، العدد ٥٨٤، ٢٠٢٠، ص ٥٥.

^٣ محمد عبدالله يونس، كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح عالم ما بعد كورونا، دراسات خاصة، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابوظبى، العدد ٢، ٢٠٢٠، ص ٩-١٠.

العديد من الثغرات في أنظمة الأمن الصحي، والبنى التحتية الحيوية في جميع أنحاء العالم، وهشاشة الميكانيزمات المتبعة لاحتواء الأخطار المحيطة والمهددة لهذه الأبعاد^١.

وبناء على ما سبق تشكل الاسلحة البايولوجية تهديداً للأمن الوطني والقومي والدولي عبر^٢:

١. **تهديد الأمن الإنساني:** إذ أن الارتفاع المتزايد في أعداد الوفيات والإصابات في جميع دول العالم يضع المجتمع الدولي أمام كارثة إنسانية؛ لاسيما مع صعوبة التوصل إلى لقاح أو علاج آمن لهذا التهديدات في المدى القريب.

٣. **تهديد الأمن الاجتماعي:** عبر فقدان الافراد لوظائفهم في العديد من دول العالم في ظل عدم وجود تأمين الدعم والرعاية المطلوبة، وتراجع مستوى الخدمات المقدمة للأفراد في بعض الدول فكل هذا قد يؤدي إلى حالة من الغضب التي قد تتطور إلى حركة احتجاجية تهدد الأمن والاستقرار المجتمعي.

٣. **تهديد الأمن الجماعي الدولي:** عبر هشاشة منظومة الأمن الجماعي الدولي؛ نتيجة عن عدم قدرتها على التصدي للتهديدات غير التقليدية التي تواجه العالم او عدم السيطرة عليها في بعض الاحيان، وتصادم وتيرة الخلافات بين الدول الكبرى حول مسؤولية انتشار التهديدات.

٤. **تهديد الامن الاقتصادي:** عبر الخسائر الاقتصادية في القطاعات الداخلية والعابرة للدول وهذا على مستوى القوى الفاعلة اقتصادياً في النظام الدولي، فكيف الحال للدول الفاشلة في هذا النظام التي تعاني ازمة شرعية ومشروعية في ذات الوقت.

المحور الرابع: تهديد امدادات الطاقة بين الاحتواء والتحول نحو البدائل

ان مصادر الطاقة التقليدية –النفط والغاز الطبيعي- اثبت اهميتها في ميزان الطاقة العالمي، وتأثيراتها في العلاقات الاقتصادية الدولية كسلعة استراتيجية لا بد لها من حيث المواصفات النادرة، والاستعمالات المتعددة، فضلاً عن اهمية هذه المصادر ترتبط بمتغيرات الطلب العالمي، وبمعدلات النمو الاقتصادي للدول الصناعية لاسيما الدول المتقدمة التي تتعامل مع متغير الطاقة على انه اهم الابعاد الاقتصادية في بناء

^١ محبوب الزويري، مصدر سبق ذكره.

^٢ اشرف العيسوي، وباء كوفيد ١٩ كيف سيعيد صياغة مفاهيم وسياسات الأمن الوطني، مركز تريندر للبحوث والدراسات، ٢٠٢٠/٤/١٦، شبكة المعلومات الدولية-انترنت-<https://trendsresearch.org>؛ سهيلة هادي، ازمة كوفيد ١٩: الانعكاسات واستراتيجيات المواجهة، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، الجزائر، العدد ٢، ٢٠٢١، ص ٨١-٨٥؛ محمد بوبوش، تداعيات ازمة كورونا على مستقبل قضايا النظام الدولي، مجلة حمورابي للدراسات، بغداد، العدد ٣٣-٣٤، ٢٠٢٠، ص ٥١-٥٤.

استراتيجياتها الجديدة اتجاه دول العالم؛ لذلك تحاول القوى الفاعلة في البيئة الاستراتيجية زيادة قدراتها التنافسية في السيطرة على شبكات الانتاج والتوزيع والنقل للطاقة^١.

فالتعامل مع امن الطاقة كمتغير رئيس لقوة الدولة، وكأداة حاسمة لفرض النفوذ في ظل ان الطاقة احتلت مكانة بارزة في المناقشات الدولية، وارتبطت سياسات الهيمنة السياسية، وفرض النفوذ للقوى الدولية بأمن الطاقة، اذ ان الدول المهيمنة في العالم تضع استقرار الطاقة كأولوية في سياستها الخارجية، وعامل مهم في تأمين قوتها، ومن ثم محاولة السيطرة المستمرة على مناطق انتاج المواد الخام بآليات وادوات متنوعة؛ لذلك تتصاعد العلاقة بين حالي التنافس والصراع وفرض الهيمنة والنفوذ وبين الموارد^٢.

وتؤثر مصادر الطاقة كمورد استراتيجي مهم على السياسة الخارجية لكل من الدول المستوردة والمصدرة لها، اذ يؤثر ما تملكه الدول من قدرات قومية على سياساتها الخارجية عبر دور القدرات الشاملة للدولة في تحديد دور ومكانة الدولة في النظام الدولي، فضلاً عن تأثيرها على الصراع والتعاون الدوليين، وتشير خارطة توزيع مصادر الطاقة عالمياً الى ان النسبة الاعظم من مصادر الطاقة تتركز في عدد محدود من الدول في الخليج، واسيا الوسطى، وامريكا اللاتينية، وافريقيا، وروسيا، في حين لا يكفي الانتاج المحلي الاستهلاك في العدد الاكبر من دول العالم، لاسيما ان هناك خلل كبير بين هيكل وبنية النظام الدولي في توزيع مصادر الطاقة، فالدول الكبرى والمهيمنة في النظام الدولي باستثناء روسيا الاتحادية تعاني من نقص كبير في مصادر الطاقة، ما يجعلها تعتمد على الخارج لتأمين متطلبات الاستهلاك المحلي من هذا المورد الاستراتيجي^٣.

وفي هذا الاطار يتم تفسير مفهوم امن الطاقة من قبل مجموعات الدول المختلفة وفقاً لمصالحها الحيوية، اذ تهتم الدول المستوردة للطاقة بإمدادات طاقة طويلة الاجل وأمنة، وبأسعار منخفضة، أما الدول المصدرة فان أمن الطاقة يعني ضمان استقرار امدادات الطاقة بأسعار مرتفعة ، ودعم كفاءة قطاع النفط والغاز في اقتصادها من اجل استخدام العوائد المالية والاقتصادية لبناء قاعدة اقتصادية حديثة^٤، ومن ثم يعد امن الطاقة

^١ نهلة اسماعيل ابراهيم، اثر متغير الطاقة على التنافس الامريكي الروسي في اوربا، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٦٢، ٢٠٢١، ص ٤١٧.

^٢ سوزي رشاد، أمن الطاقة ومحاولات روسيا لفرض النفوذ الدولي، مجلة كلية الساسة والاقتصاد، العدد ١٣، جامعة ٦ اكتوبر، مصر، ٢٠٢٠، ص ١٢٢.

^٣ خديجة عرفة محمد، امن الطاقة واثاره الاستراتيجية، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، ٢٠١٤، ص ٥.

^٤ Mukhammadsidiqov , M.,&Turaev, A, The Influence Of The Energy Factor On Modern International Relations. The American Journal of Political Science Law and Criminology,2020, 2(12) p.p,5,15.

بمثابة حماية مصالح الطاقة الحيوية للمجتمع والفرد والدولة من التهديدات الخارجية والداخلية السياسية والاقتصادية التي يتعرض لها الامداد للطاقة المستدامة للاقتصاد^١.

وترتبط امدادات الطاقة بمجموعة من التهديدات والمحددات التي تجعل الدول تتبنى سياسات وادوات مختلفة على الصعيدين القومي والدولي وتتمثل تلك التهديدات المحددات في الاتي^٢:

١- تهديدات الهجمات الارهابية على مصادر الطاقة عبر استهداف البنى التحتية للطاقة في الدول المنتجة للنفط والغاز الطبيعي؛ لاستهداف الدول المستهلكة الكبرى للطاقة، مثال ذلك الاعتداء الاخير الذي حصل على منشآت الطاقة السعودية عام ٢٠٢٢.

٢- التحديات المتعلقة بالشركات العالمية للنفط التي تحد من قدرتها وفعاليتها في الدول المنتجة ومن ضمنها التهديدات الامنية، فضلاً عن التقلبات السياسية التي تهدد عقود استثمار تلك الشركات النفطية.

٣- القيود على امدادات الطاقة التي تشمل قيود لأسباب قهرية؛ نتيجة نزوب مصدر الطاقة، فضلاً عن قيود الصادرات بالاتفاق بين الدول المنتجة لتقليل العرض.

تبنيت شركة "روسنفت" الروسية في أكتوبر ٢٠١٧ تقسيم أوراسيا الكبرى إلى ثلاث مناطق رئيسة تبعاً لمناطق استهلاك الطاقة وإنتاجها؛ بحيث تضم الأولى أوروبا بما في ذلك تركيا، وتشمل الثانية آسيا والمحيط الهادئ بما في ذلك الهند. وبين كليهما توجد ثلاث مناطق رئيسية منتجة للطاقة، هي: روسيا-القطب الشمالي، وبحر قزوين، والشرق الأوسط. ومن المثير للاهتمام أن المناطق الثلاث لا تنفصل عن بعضها بعضاً، بل تُعد كتلة واحدة متجاورة جغرافياً، ويتقاطع عددٌ من الصراعات الأكثر تأججاً في العالم المعاصر مع الخط الفاصل بين مناطق إنتاج الطاقة واستهلاكها؛ ومنها: (شرق أوكرانيا، وشمال العراق، وسوريا، وأفغانستان، وكوريا الشمالية). وبطبيعة الحال، لم ينشأ ذلك من فراغ أو في فراغ؛ فقد باتت تلك المناطق "جوائز قيمة" في النضال العالمي على موارد الطاقة^٣.

وبما أن روسيا الاتحادية من الدول المنتجة الكبرى للنفط والغاز، فالحرب الروسية على اوكرانيا صابت صناعتها النفطية، بعد تنفيذ الولايات المتحدة والدول الأوروبية تهديداتهم بالعقوبات على النظام المالي والصادرات البترولية الروسية مادي إلى إرباك الأسواق، بدءاً من ارتفاع الأسعار، التي اقتربت من ١١٥ دولار للبرميل الواحد، وقد يستمر ارتفاعها يومياً في ظل استمرارية الاشتباكات العسكرية لمدة طويلة. كما

^١ Harris.s., Global and regional orders and the changing geopolitics of energy . Australian Journal of International Affairs ,2010, 64(2), pp.166-185.

^٢ سوزي رشاد، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠.

^٣ حسين سليمان، التعقيدات الاقتصادية للامزمة الاوكرانية والعقوبات على روسيا، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٢٢/٣/١، شبكة المعلومات الدولية-انترنت-<https://acpss.ahram.org.eg>.

ستؤثر الحرب على استمرار عمليات شركات النفط الغربية في القطاع البترولي الروسي من حيث إمكانية استمرار العمل في الحقول الروسية بمشاركة الشركات الروسية، وصعوبة حصول الصناعة الروسية على المكنائن وقطع الغيار اللازمة، ما يؤدي بدوره إلى تباطؤ تطوير القطاع، وتراجع الخطط التنموية له، بمعنى إمكانية انخفاض الطاقة الإنتاجية أو التصديرية مستقبلاً، فضلاً عن الخسائر المتوقعة لإيقاف خطوط تصدير الغاز، سيقود الى هزة كبيرة في أسعار الغاز العالمية، وزيادة أسعاره، وستمتد انعكاسات هذا إلى ارتفاع سعر الغاز، ومن ثم زيادة أسعار المواد الصناعية والبتروكيماوية التي تستوردها الأسواق الأجنبية، كما أن ارتفاع سعر الغاز أو ارتفاع تجارته سيؤدي بدوره إلى زيادة الطلب على المنتجات البترولية وحتى الفحم الحجري^١.

المحور الخامس: تهديد الامن الغذائي الناشئ واثره في عدم استقرار الدول

ان التنافس والصراع يحملان أزمات متعددة لا يتوقف تأثيرها على القوى الفاعلة في البيئة الاستراتيجية العالمية، بل يتعداها لتطال الدول التي تربطها استراتيجيات شراكات ومصالح مع الدول المتحاربة، وفي ظل طبيعة النظام العالمي المعولم والتشبيك الحاصل فيه على المستويات الاقتصادية، السياسية، التكنولوجية، وحركة التجارة والمواصلات، أصبح فيها العالم، أشبه بسوق كبير تهاوت فيه الحدود بين الدول، وتراجع دور الدولة لصالح السوق والشركة، في سياق يستبد فيه الاستهلاك بنمط العيش الراهن، ما جعل من الاقتصاد والعقوبات الاقتصادية آلية واستراتيجية بديلة للردع، والذي فضلت الولايات المتحدة الأمريكية والغرب ضد القوى التي لاتسير في مسارها سواء أكان عبر الحرب المباشرة وما تحمله من تأثيرات جيوسياسية واقتصادية، أم بصورة غير مباشرة وفق استراتيجية الردع الاقتصادي بالعقوبات والعزل، فإنها جميعاً تحمل انعكاسات سلبية على النظام العالمي لاسيما الأمن الغذائي^٢.

يعرف الامن الغذائي بانه قدرة المجتمع على توفير الاحتياجات الرئيسة من الغذاء لمواطنيه وضمان الحد الأدنى من تلك الاحتياجات بانتظام عبر انتاج السلع الغذائية محلياً وتوفير حصيلة كافية من عائدات الصادرات لاستخدامها في استيراد ما يلزم لسد النقص في الانتاج الغذائي بدون أي تعهدات او ضغوطات أيّاً كان نوعها^٣. ولقد تطور مفهوم الامن الغذائي على مدار عقود الاخيرة ليركز على توافر وانتاج الغذاء ليتوسع تدريجياً ليشمل امكانية الحصول على الغذاء الجسدي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وبعده تطور لكيفية

^١ وليد خدوري، حرب اوكرانيا: اثار على الاقتصادات الدولية، صحيفة الشرق الاوسط، الرياض، ٢٠٢٢/٢/٢٥، شبكة المعلومات الدولية-انترنت- <https://aawsat.com>.

^٢ يحيى عالم، حرب روسيا على اوكرانيا وانعكاساتها على العالم العربي ٢، موقع الجزيرة، الدوحة، ٢٠٢٢/٣/١٣، شبكة المعلومات الدولية -انترنت- <https://www.aljazeera.net>.

^٣ يوسف معمر وبقنيش عثمان، مساعي تحقيق الامن الغذائي المستدام بالجزائر ورهاناته في ظل تداعيات تحرير التجارة الدولية، مجلة الباحث للدراسات الاكاديمية، جامعة باتنة ١ الحاج لخضر، الجزائر، العدد ١٣، ٢٠١٨، ص ١٧٨.

استخدامه واخيرا ليشمل استقرار هذه الابعاد وهو ما حدد في اعلان روما بشأن الامن الغذائي عام ١٩٩٦ لأبعاده الرئيسية هي مدى توافرها وامكانية الوصول اليها واستخدامها مع التركيز على الرفاه التغذوي^١.

ان موضوع الأمن الغذائي هو مسألة تهم أي دولة من دول العالم، حيث أن الأمن الغذائي لا يقتصر على رصد كمية الغذاء التي يتلقاها الفرد، أو عدد السعرات الحرارية، بل يتعلق أيضا بنوعية الغذاء المتوفرة، فالشعوب التي تتوافر لها كميات معينة من الغذاء ويؤمن لها قدر كاف من السعرات الحرارية ليست بالضرورة آمنة غذائيا. كما تجدر الإشارة إلى أن الأمن الغذائي يختلف عن العديد من المفاهيم اللصيقة به كالحق في الغذاء، فالأمن الغذائي يشكل هدفا من أهداف الدولة الأساسية وبعدا من أبعاد الأمن القومي الذي يمكن أن تضعه الحكومة وتعمل على تحقيقه، في حين أن الحق في الغذاء هو حق من حقوق الإنسان^٢.

وإن مهمة الأمن الغذائي هي مهمة مركبة تقع مسؤوليتها الأولى على الدولة التي يتعين عليها تهيئة البيئة المواتية، فضلاً عن القطاع الخاص والمجتمع المدني، التي ينبغي للحكومات أن تتعاون معها تعاون لتحقيقه، لكن نجد تدهور مستويات تحقيق الأمن الغذائي في معظم الدول التي تعاني شعوبها من انعدام الحد الأدنى لمستويات الأمن الغذائي؛ لغياب الإرادة السياسية الجدية في التعامل مع مشكلة الغذاء، مع عدم تفعيل الآليات اللازمة لتحقيقه، فضلاً عن عدم تقاسم الدولة لمسؤولية توفير الغذاء مع مختلف القطاعات الأخرى ممثلة في المجتمع المدني والقطاع الخاص؛ لأن تحقيقه في دولة ما من شأنه أن يعزز بعداً من أبعاد الأمن الإنساني الذي يجعل من الإنسان محور اهتمامه^٣.

وتعتمد الدول في تحقيق أمنها الغذائي الى ثلاث طرق تقليدية هي: الإنتاج المحلي، الذي يسهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي، والواردات الغذائية التجارية، والمعونة الغذائية الدولية، وعلى مدى العقد الماضي، شهدت عدد من الدول تحويل للنظام الغذائي يؤثران على الأمن الغذائي، الأول: المعروف بالتحول الغذائي الذي يستند الى استهلاك الأغذية التي تحتوي على نسبة عالية من الألياف مثل الحبوب، والبقول، والفواكه والخضار، إلى ما يسمى الحماية العصرية، التي تتميز بنسب أكبر من الدهون المشبعة، والسكر، والأغذية المصنعة، وتيسر هذا التحول الغذائي عبر التحول الثاني، المعروف بالانتقال إلى السوبر ماركت أو النظام الغذائي الثالث والمشارك، الذي ينطوي على الانتقال إلى السوبر ماركت على التحول من إنتاج وتصنيع الأغذية في وحدات صغيرة يباع إنتاجها إلى صغار تجار التجزئة في أسواق الجملة، إلى نظام يتكون من

^١ قادري حسين، سبل تحقيق الامن الغذائي المستدام، مجل الباحث للدراسات الاكاديمية، جامعة باتنة ١ الحاج لخضر، الجزائر، العدد ١، ٢٠٢١، ص ٥٦١.

^٢ هاجر خلافة، الامن الغذائي بين اشكالية تعدد المضامين وتنامي التهديدات، مجلة دفاثر المتوسط، مخبر التنمية المستدامة والحكم الراشد، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، العدد ١، ٢٠١٥، ص ٣١.

^٣ هاجر خلافة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

منافذ بيع بالتجزئة أكبر تتعامل مع تجار جملة متخصصين ومنتجي مواد غذائية متعاقد معهم^١، فضلاً عن ان بعض الدول غير آمنة غذائياً نتيجة التصحر، وندرة المياه، والتغيرات المناخية، وعدم الاستقرار السياسي اثر بدرجة كبيرة في تحقيق التنمية الزراعية وعلى استدامتها^٢، ونتيجة ذلك ادى الدول الاعتماد على استيراد الغذاء وتأثرها بالتغيرات العالمية في أسعارها؛ ليجعل من التنافس والصراع بين القوى الفاعلة في النظام الدولي يؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة على الأمن الغذائي^٣.

وتتنوع الأسباب وراء ارتفاع أسعار الغذاء؛ نتيجة اندماج العديد من الديناميكيات الهيكلية في جانب العرض، بما في ذلك تباطؤ في إنتاجية الحبوب على الصعيد العالمي، ومخزونات الحبوب غير الكافية على مستوى العالم، والقيود التجارية أو الحظر على تصدير المنتجات الزراعية الرئيسية، وتحويل الأراضي الزراعية لإنتاج الوقود الحيوي، وارتفاع تكلفة النفط، والنفقات المرتفعة الناجمة عن الأسمدة والطاقة، والاستثمار القائم على المضاربة في السلع، وتزايد سكان العالم، وتغير أنماط الاستهلاك في العالم النامي^٤، كما قامت بعض الدول وجزء من تركيزها الاستراتيجي على الأمن الغذائي حيازة الأراضي الزراعية الأجنبية على عد أنهم يستطيعون خلق نتائج مربحة للجانبين تعود بالنفع على البلدان المضيفة لهذه المشروعات في الوقت نفسه تحقق فيه عائدات للمستثمر، الا ان الواقع يؤكد النفع بسيط وغير مجدي^٥، فضلاً عن تأثير الاضطرابات والتوترات السياسية العالمية على موضوع الأمن الغذائي تستخدمه بعض الدول كورقة رابحة للضغط على دول أخرى، فضلاً عن احتكار الدول العظمى لمعظم فائض الإنتاج الزراعي والغذائي والذي تستطيع استخدامه كسلاح لخدمة أغراضها متى ما أرادت، لخدمة أهدافها ومصالحها الخاصة^٦.

^١ كارين سيفيرت واخرون الامن الغذائي والتحول الى السوبر ماركت في الشرق الاوسط-دراسة لحالتين، في مجموعة باحثين، الامن الغذائي والسيادة الغذائية في الشرق الاوسط، مركز الدراسات الولية والاقليمية، جامعة جورجتان، قطر، ٢٠١٣، ص ٣٣.

^٢ لمزيد من التفاصيل ينظر: يوسف بن يزه، محددات ومهددات الامن الغذائي في المنطقة العربية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة ١ الحاج لخضر، الجزائر، العدد ٣٨، ٢٠١٨، ص ٢٢-٢٦.

^٣ صقر النور، تحديات السيادة الغذائية في العالم العربي: مصر نموذجاً، سلسلة الاقتصاد البديل، دار بدائل للنشر، مصر، ص ٥-٦.

^٤ مهران كامروا وزهرة بابر، الامن الغذائي والسيادة الغذائية في الشرق الاوسط، مركز الدراسات الولية والاقليمية، جامعة جورجتان، قطر، ٢٠١٣، ص ١٣.

^٥ ماري ان تيترو واخرون، الربح للجانبين مقابل الخسارة للجانبين: الاستثمارات في الزراعة الخارجية كاستراتيجية أمن الغذائي، في مجموعة باحثين، الامن الغذائي والسيادة الغذائية في الشرق الاوسط، مركز الدراسات الولية والاقليمية، جامعة جورجتان، قطر، ٢٠١٣، ص ٣٦.

^٦ هاجر خلافة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

فعلى سبيل المثال تحول القمح تحول إلى أداة هيمنة وبسط النفوذ من قبل الدول المنتجة والمصدرة لا سيما إزاء الدول المستهدفة إخضاعها التي تعاني في الغالب من أزمات غذائية وسياسية طاحنة، تجعلها مادة سهلة الهضم والابتلاع من القوى الكبرى المنتجة للسلاح الأخضر في العالم، إذ تمتلك تلك القوى الكبرى النصيب الأكبر من خريطة القمح عالمياً، وتوظفه لتحقيق أجندات خارجية عبر إخضاع الدول النامية إلى إملاءاتها وشروطها التوسعية، بما يهدد سيادة واستقلالية تلك البلدان التي تجد نفسها في مأزق خطير، بين مطرقة تلبية احتياجات شعوبها من القمح، وسندان الرضوخ لسياسات الدول المصدرة.

اذ عملت الولايات المتحدة على توظيف القمح منذ ثمانينات القرن العشرين سلاح صراع وحرب يمكن استخدامه وقت الأزمات بما يحقق أهداف الأجندة الأمريكية، ويحافظ على مصالحها العالمية، وفي الماضي كانت الولايات المتحدة تقوم بإلقاء فائض القمح لديها في البحر لترتفع قيمته السعرية في السوق أو تقايضه بسلع استراتيجية مثل النفط والغاز والفوسفات، غير أن تلك المعادلة لم ترق القوى المنافسة الأخرى، فكان التفكير في إعادة تشكيل خريطة القمح العالمية مرة أخرى، ومن هنا قررت روسيا الاتحادية خوض حرب قمح صامتة مع الولايات المتحدة، لتتفوق روسيا الاتحادية على الولايات المتحدة عبر سلاح القمح^١.

ولقد كشفت الحرب الروسية الأوكرانية الاختلالات التي ستخلفها على الدول التي تعاني عدم استقلالها ذاتياً في مسألة القمح كما هو الحال مع باقي المجالات ما يجعلها رهينة خيارات لا تسهم في صياغتها، بل إنها في ظل الشروط الراهنة وطبيعة الأسس التي تركز عليها سياسات هذه الدول، وافتقادها للشرعية وللمشروع الوطني الديمقراطي، ولسلطة القانون، واليات الحوكمة الرشيدة، ستبقى عاجزة عن تحقيق أبسط المتطلبات التي تحول بين شعوب منطقة غنية بثرواتها ومساحاتها الجغرافية، وبين هزات اجتماعية قد تكون بسبب الرغيف والقمح وغلاء الأسعار، وإذا كان الوضع كذلك، فكيف بانخراطها الفعال بما يحمي مصالح دولها وشعوبها في سياقات دولية مشتبكة^٢.

الخاتمة :

تعيش الدول في عالم معولم مترابط ومتشابك المصالح وهي إحدى الركائز التي قام عليها النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، وازداد في التعقيد منذ عقدين من الزمن في ظل تطورات الحياة، وبعد هذه الرحلة العلمية توصل البحث الى عدد من الاستنتاجات هي :

^١ عماد عنان، القمح.. سلاح نفوذ وهيمنة وأداة دبلوماسية ناجعة، موقع نون بوست، ٢٨/٣/٢٠٢٢، شبكة المعلومات الدولية- انترنت- <https://www.noonpost.com>.

^٢ يحيى عالم، مصدر سبق ذكره.

- ١- التنافس والصراع بين القوى المحافظة والتعديلية في النظام الدولي مستمر وهذه من طبيعة الحياة؛ كون القوى التعديلية هي القوى التي لا ترضى بالنظام القائم وهي غير قانعة بموقعها في هذا النظام سواء أكانت قوى صغرى ام متوسطة ام كبرى.
- ٢- الدول لا تستطيع الحصول على الاكتفاء الذاتي؛ نتيجة دخولنا في عالم التخصص الدقيق ليجعل من التنافس والصراع بين القوى الفاعلة فيه انعكس بتهديدات مختلفة المجالات على الدول التي ليس علاقة مباشرة بالتنافس والصراع؛ نتيجة وجودها في عالم السيطرة والبحث عن القوة.
- ٣- التطورات التكنولوجية انتجت لها اجيال جديدة للتنافس والصراع وتغيير في ميادين الاشتباك ليجعل من الدول في حالة حرب مستمرة وان كانت الاوضاع طبيعية.
- ٤- دخول انواع جديدة من الاسلحة في البيئة الاستراتيجية العالمية لتهدد البشرية جمعاء ووجود الدول في النظام الدولي؛ نتيجة العمل الدؤوب من قبل القوى الفاعلة في البيئة الاستراتيجية.

الفواعل من غير الدول و تأثيرها في العلاقات الدولية الراهنة

د. محمد بوبوش
جامعة محمد الأول - وجدة المغرب

المقدمة :

بات مقبولا منذ أمد طويل، بين باحثي العلاقات الدولية العرب استخدام مصطلح "فواعل" للحديث عن اللاعبين في السياسة الدولية وذلك ترجمة للكلمة الإنجليزية Actors^١، كما بات مقبولا تصنيف هذه الفواعل إلى فواعل دول أي "الدولة"، وفواعل غير دول "فوق الدولة"، ويقصد بها الفواعل التي تأخذ سمة الهيئة الجامعة لعدد من الدول، وتتضمن المنظمات والأمانات الدولية، وفواعل "تحت دولة" وهي فواعل غير حكومية تعمل داخل نطاق الدولة التي تنتمي إليها وليست عابرة للحدود، وتؤثر في اتخاذ القرار الدولي وصناعة السياسة العالمية ومن أمثلتها أحزاب، ميليشيات، طوائف، قبائل، عصابات وشركات، وجمعيات ووسائل إعلام.. وأخيرا فواعل "عابرة للدولة" وهي جماعات وأطراف حكومية وغير حكومية قد تكون من ضمن المشار إليها في الصنف الثاني، لكنها تتصل وتؤثر في هيئات أخرى من نوعها وتأثيرها (تحت دولة، وعابرة للدولة) أو مع دول أو فوق دولة -منظمات وهيئات وهو اتصال قد يأخذ طابع الندية والشاركة. لعل تشبيه المفكر الأمريكي الشهير "جوزيف ناي" السياسة العالمية في القرن الحادي والعشرين بأنها خشبة مسرح، لم تعد فيه الدولة الممثل الوحيد، إذ بدأ يزحمها ممثلون آخرون كالفاعلين من غير الدول، يشير إلى تعمق المنظور التعددي في العلاقات الدولية، والذي لا يختزل التفاعلات السياسية في الدولة، وإنما يراعي التأثيرات التي بات يحدثها الفاعلون من غير الدول (Non State Actors) في السياسات الداخلية والإقليمية والعالمية. تلك النظرة الأكثر تعقيدا للعلاقات الدولية، مردها إلى ما أحدثه الفاعلون من غير الدول من تغييرات بنيوية في طبيعة النظام العالمي، والتي ترافقت مع انكشاف سيادة الدولة، وتداعي وظائفها الأمنية والتنمية والاجتماعية، وبالتالي بدت هناك بيئة مهيأة لتنامي تأثيرات الفاعلين من غير الدول، فضلا عن تغير أشكالهم، ومضامين تأثيراتهم.

الحديث عن الفواعل في العلاقات الدولية؛ يأتي بمعنى اللاعبين المؤثرين في العلاقات والتفاعلات الدولية؛ وهم الدول بالدرجة الأولى، ثم تأتي الفواعل الأخرى من غير الدول، وفي حين تركز المدرسة الواقعية على الدولة كفاعل رئيسي في العلاقات الدولية؛ باعتبارها تحتكر أدوات العنف، وتملك القدرة على التأثير في المجال الدولي؛ فإنه في الفترة الأخيرة، وبفضل انتشار العولمة، وتراجع سيادة الدول، وغياب الحوكمة والمشكلات الداخلية المحلية للدول، ظهر العديد من الفواعل من غير الدول التي باتت تؤثر على المجال الداخلي والإقليمي والدولي؛ حيث أصبحت هذه الفواعل قادرة على ممارسة بعض السلطات والصلاحيات التي كانت سابقاً محتكرة في يد الدولة، ولم يعد يقتصر تأثيرات هذه الفواعل على النطاق الداخلي للدولة؛ بل أصبحت تشكل مخاطر حقيقية على المحيط الإقليمي والدولي؛ بسبب أنشطتها التخريبية.

^١ - حمد جميل عزم "، عودة الدولة في السياسة الخارجية، " آفاق المستقبل، العدد الثالث، فبراير، ٢٠١٠، أبو ظبي: مركز

الإمارات للدراسات الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، ص: 43

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من كون أن النظام الدولي أصبح يفتقد تدريجياً صفة الدولانية L'Etatisme، فنحن أمام فضاءات ومجالات تتداخل فيها المصالح الاقتصادية، الأديان، الثقافات، الأفراد، المهاجرين. والعلاقات الدولية لم تعد من صنع الدول فقط بل تحركها سياسات جديدة تقودها تيارات العولمة، وكل هذا يعيق إمكانية وضع معايير فعالة ونماذج تحليلية قادرة على استيعاب التفاعلات الجديدة للحقل الدولي^١. ولعل تشبيه المفكر الأمريكي الشهير "جوزيف ناي" السياسة العالمية في القرن الحادي والعشرين بأنها خشبة مسرح، لم تعد فيه الدولة الممثل الوحيد، إذ بدأ يزحمها ممثلون آخرون كالفاعلين من غير الدول، يشير إلى تعمق المنظور التعددي في العلاقات الدولية، والذي لا يختزل التفاعلات السياسية في الدولة، وإنما يراعي التأثيرات التي بات يحدثها الفاعلون من غير الدول (Non State Actors) في السياسات الداخلية والإقليمية والعالمية.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الوقوف على أهم الفواعل من غير الدول التي ترافقت مع انكشاف سيادة الدولة، وتداعي وظائفها الأمنية والتنموية والاجتماعية، وبالتالي بدت هناك بيئة مهيأة لتنامي تأثيرات الفاعلين من غير الدول، فضلاً عن تغير أشكالهم، ومضامين تأثيراتهم.

إشكالية الدراسة:

تدور إشكالية الدراسة حول إثبات مقولة انتصار الدولة القومية من منظور "نهاية التاريخ" مدى قدرة الفواعل الجديدة على التأثير على السياسة الدولية وقضاياها المتنوعة، فضلاً عن إمكانية وقوفها (أي الفواعل) كند للدولة في أداء وظائفها واختياراتها السياسية والاقتصادية (التأثير على رؤساء الدول والحكومات مثلاً..).

مناهج الدراسة:

واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي في فهم أدوار الفواعل الجديدة على الساحة العالمية ومستعينة أيضاً بمنهج دراسة الحالة للوقوف على بعض الحالات والأمثلة التي يتجلى فيها دور الفواعل من غير الدول، إضافة إلى المنهج المقارن لمعرفة الفواعل الأكثر تأثيراً على المسرح الدولي.

^١ -انظر برتران بادى، ماري كلود سموت، انقلاب العالم، ترجمة سوزان خليل، دار العالم الثالث، ١٩٩٨، ص ٩.

أولاً: المتغيرات الدولية الراهنة وتأثيرها على سيادة الدولة الوطنية

شهد النظام الدولي عدة التحولات منذ نهاية الثمانينات من القرن العشرين على مختلف المستويات السياسية والأمنية والاقتصادية، عكست نمط التفاعلات الدولية وأدوار الأطراف والقوى الفاعلة فيه. في ظل ظاهرة تشرذم القوة وما ارتبط بها من تفشي للأزمات الداخلية والإرهاب والنزاعات العرقية وتدفقات المهاجرين واللاجئين وقضايا الأمن والبيئة. ما يمنح أهمية لدراسة توزيع القوة في هيكل النظام الدولي، لتحديد طبيعة التحول في النظام، ما يسمح بتفسير بيئة تفاعلات النظام الدولي في مرحلة إعادة تشكيله وضبط طبيعة اللاعبين وتوزيع الأدوار وكذا خصائص التفاعلات.

١- ملامح التغيير في النظام الدولي الحالي:

يمكن رصد بعض ملامح التغيير في النظام الدولي الحالي على النحو التالي^١:

- أ. صعود القوى الدولية من دون الولايات المتحدة لم يقدم حتى الآن بديلاً للنموذج الليبرالي الغربي بشقيه السياسي والاقتصادي وانعكاساتها على بلورة القوة الناعمة لهذا النموذج، مما يتوقع معه استمرارية في تأثير النموذج الغربي على المؤسسات السياسية والاقتصادية الدولية
- ب. التراجع النسبي لفاعلية الأدوات العسكرية التقليدية في حماية المصالح وتحقيق الأمن مقارنة بالأدوات الاقتصادية والثقافية والنفسية، خاصة مع صعود أجيال جديدة من الحروب، والتزايد المضطرد لتأثيرات التهديدات غير العسكرية ج. ارتفاع وتيرة السياسات التنافسية من جانب القوى الكبرى، ذلك مع السيوالة المتزايدة في توزيع القوة عالمياً، ما صاحبه من زيادة في درجة المرونة في التحالفات السياسية والاقتصادية في أقاليم العالم، حيث لم تعد الأحلاف الثابتة والكتل المتماسكة هي السمة الغالبة للسياسة الدولية في القرن الواحد والعشرين د. اتساع مساحة الحركة المتاحة للقوى الإقليمية متوسطة القوة وانفتاح المجال لصعودها، تحت مظلة منزوع منها قيود الانتماءات الأيديولوجية التي ميزت الجمود في مرحلة الثنائية القطبية خلال الحرب الباردة، وعلى سبيل المثال يمكن رصد التقارب المصري والخليجي من روسيا مؤخراً خاصة في ظل تعقد الأزمات الإقليمية) سوريا واليمن وقضايا الإرهاب والملف النووي الإيراني (واضطلاع روسيا بدور قوي في ظل محدودية ملحوظة للفعل الأمريكي والغربي فيها. بناء على تلك المعطيات يذهب "ريتشارد هاس" وآخرون إلى وصف النظام الدولي بـ "القطبية"؛ أي توزيع القوة بين الفاعلين في النظام الدولي بدال من تركزها^٢.
- ج. بروز نوعية من المشكلات الدولية التي تستلزم تكاتف الجهود الدولية وتضافر الإرادات السياسية للدول في سبيل التوصل إلى حلول ناجحة وفعالة لها، من ذلك مثلاً: مشكلات البيئة والتلوث، ومشكلات الطاقة، مشكلات ندرة المياه والجفاف والتصحر، مشكلات التضخم والبطالة والفقر ونقص الغذاء، مشكلات الإرهاب والعنف السياسي، مشكلات انتشار الأمراض الوبائية كالايدز وإدمان المخدرات والجريمة المنظمة .. الخ.

د. تراجع قوة الدولة القومية و تضائل دورها: لقد ضربت العولمة بسهم وافر في مجال إضعاف دور الدولة القومية، فقد أدت التطورات الجذرية والمتلاحقة التي شهدتها العالم منذ مطلع عقد التسعينيات

^١ - متعدد الأقطاب: حدود التغيير في هيكل النظام الدولي، التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠١٥ ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ص ٣١ - ٣٣.

^٢ Richard N.Haass, "The Age Of Nonpolarity: What Will Follow U.S. Dominance," Foreign Affairs, Vol. 87, No. 3 (May - Jun., 2008), pp. 44-56

وحتى الآن، إلى إزاحة الدولة عن عرشها الذي تربعت عليه زمنا طويلا، فلم تعد الدولة هي الفاعل أو اللاعب الوحيد أو الرئيسي في النسق الدولي كسابق عهدها وإنما راحت تتوارى على استحياء شيئا فشيئا مفسحة المجال أمام لاعبين جدد تعاضمت أدوارهم إلى الحد الذي بات يضيف أحيانا كثيرة على دور الدولة القومية.

هـ. إعادة توزيع عناصر القوة في النظام العالمي بما يرجح أوزان القوى الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات على حساب القوى التقليدية خاصة العسكرية والديمقراطية.

و. إعادة ترتيب الأولويات على جدول أعمال النظام العالمي، خاصة في ظل تراجع القضايا التقليدية التي كانت تحتل موقع الصدارة إبان الحرب الباردة كقضايا الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي، وتقدم قضايا جديدة إلى موقع الريادة، كقضايا حقوق الإنسان، مكافحة الإرهاب الدولي، نزع أسلحة الدمار الشامل، التبشير بالديمقراطية... وما تحمله من مضاعفات خطيرة على السيادة الوطنية للدول.^١

٢- أقول السيادة بمعناها التقليدي

إن السيادة الوطنية للدول باتت تواجه وضعاً خطراً شهد تفاقماً واضحاً لقيود عرفتها هذه السيادة منذ وقت ليس بالقصير إن لم يكن منذ نشأة الدولة الوطنية ذات السيادة أصلاً، ووصلت الأمور على هذا النحو إلى حد أن بات فريق من المحللين والمعلقين يتحدث عن زوال أو اختفاء ظاهرة السيادة الوطنية، وهو حكم يراه البعض مبالغاً فيه، وإن كان ثمة اتفاق على خطورة ما ألم بالسيادة الوطنية للدول المتوسطة والصغيرة بصفة خاصة. فواقع الأمر أن ظاهرة السيادة الوطنية لم تنته تماماً، إذ مازالت هناك فئة من الدول قادرة على أن تختلف مع الإرادة الأمريكية دون أن تختفي من خريطة العالم كما حدث بالنسبة للاتحاد السوفياتي، فالصين وبعض الدول الأوروبية وبعض الدول ذات الأدوار الإقليمية القيادية مازالت قادرة على التعامل مع تلك الإدارة بحسابات رشيدة، ومعقدة تجعل القيود على سيادتها في حدها الأدنى، أو على الأقل ترسم خطأ أحمر أمام المصالح الحيوية لتلك الدول لا يمكن للقيود على السيادة أن تتجاوزه، ومن المؤكد أن تعزيز التطور الديمقراطي الداخلي في الدول سوف يزيد من قدرتها على تحدي القيود الخارجية على سيادتها بقدر ما يوجد هذا التطور من مجتمع متماسك في وجه محاولات الهيمنة الخارجية، وكذلك بقدر ما يقضي على بعض ذرائع التدخل في الشؤون الداخلية للدول ومنها القول بانعدام الديمقراطية أو عدم احترام حقوق الإنسان فيها. ومما أدى من تحولات على الساحة الدولية على إثر العولمة وما لها من تأثيرات على الجوانب الدولية ومنها السيادة الوطنية ومبدأ استقلال الدول. الذي شابهته عدة تيارات مما أدى إلى التأثير عليه بالجانب السلبي، وهذا ما تعاني منه الدول الفقيرة على حساب الدول الغنية، أدى بنا إلى البحث على مدى تواجد السيادة الوطنية على الساحة الدولية، وما مدى تطبيق أو وجود مبدأ الذي هو مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، والتي نص عليها ميثاق هيئة الأمم المتحدة في المادة الثانية الفقرة السابعة.

وقد تعرضت نظرية السيادة في العصر الحديث لانتقادات جوهرية وهجرها الكثير على اعتبار أنها لا تتفق مع الظروف الحالية للمجتمع الدولي، والواقع أن نظرية السيادة أسيء استخدامها لتبرير الاستبداد الداخلي

^١ - حسن ناعفة، سيادة الدول في ظل تحولات موازين القوة في النظام الدولي، على الرابط الإلكتروني:

والفوضى الدولية. ولقد أدت هذه النظرية إلى إعاقة تطور القانون الدولي، وإلى عرقلة عمل المنظمات الدولية وإلى تسلط الدول القوية على الدول الضعيفة. وقد اتجه مفهوم السيادة في الوقت الحاضر نحو منحى جديد، ذلك أن تحولات النظام الدولي في الميادين الاقتصادية والسياسية والعسكرية أدت إلى انحسار و تآكل فكرة سيادة الدولة الوطنية مع هذه التغيرات الهامة التي شهدتها النظام الدولي ظهرت اتجاهات أكاديمية علمية في الأفق تؤكد أن الدولة الوطنية كوحدة سياسية مستقلة تنحوا إلى النهاية في مواجهة الهجوم المتسارع لقوى العولمة مثل: التكتلات الاقتصادية- الأنترنت والشركات المتعددة الجنسيات -المنظمات غير الحكومية- القوى عبر وطنية.... وبدأت العديد من التحليلات الحديثة للعلاقات السياسية الدولية تطرح أننا أمام مرحلة ينفصل فيها الماضي عن المستقبل. فالعولمة بمختلف أبعادها خلال ربع القرن الماضي كانت بداية لإعادة ترتيب حتمية ولا رجعة عنها لأدوار السياسة والاقتصاد والتكنولوجيا، مع خضوع الدول القومية لقوى السوق والاقتصاد والتقنية العلمية.^١

ثانياً: الرأي العام في العلاقات الدولية:

أحد أكثر المفاهيم تداولاً في اللغة السياسية هو مفهوم الرأي العام المحلي والعالمي. هذا المفهوم يظهر بغزارة حين تجتاح منطقة ما أزمة حادة. فور حدوث شيء من هذا القبيل ترى الجميع يتذكر، يبحث ويناجي الرأي العام المحلي والعالمي. أين هو، ما موقفه وما الدور الذي يمكن أن يمارسه ليساهم بشكل ما في وضع حد لهذه الأزمة وتجنب عواقبها الوخيمة.

من الناحية النظرية، الرأي العام هو مجمل مواقف وسلوكيات الجمهور في مختلف المجتمعات. وهي مواقف وسلوكيات تختلف من حيث الشكل والجوهر عن مواقف وسلوكيات المؤسسات والحكومات التي تدير العلاقات بين الدول. في العادة تعمل هذه على اسس تختلف، بل وأحياناً تتناقض، بشكل كبير مع مواقف وسلوكيات عامة الناس. ناهيك عن تحركها البطيء في القضايا التي لا تمس الوطن.

الرأي العام العالمي عبارة عن توافق مواقف تتخذها منظمات دولية أو هيئات دولية، وآراء يعلنها زعماء سياسيون في الدول الكبرى وغيرهم... وغالباً ما يُخلط بين "الرأي العام" و"الأكثرية" التي تحركها قوى ومصالح متناقضة، كما يظهر من استقصاءات الرأي (الكمية والنوعية) ومن الاستشارات النيابية. والفرق بين الرأي الجمعي والرأي العام أن الأول يتجلى بعد التعبير عنه والتصريح به عبر آليات مختلفة منها الاستجواب والتصويت وما إلى ذلك من آليات لقياس مجموع الآراء الفردية.

كمفهوم مطلق، الرأي العام له قلب وضمير، لذلك تراه ينبض ويتحرك فوراً وأمام أي حدث. أحياناً يفعل ذلك بشكل عفوي وأحياناً هنالك من يحركه ويوجهه في هذا الاتجاه أو ذاك. المهم أن هنالك أيادي تقف خلفه. أياد تابعة بشكل مباشر لمؤسسات الدولة أو بشكل غير مباشر لمن يساندها من أحزاب سياسية، نقابات عمالية ومؤسسات مدنية. جميعها تقوم بذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة. بطريقة ما معظم الحكومات تحاول تسخير الرأي العام في صالحها، وتفعل ذلك.

لم يعد العالم المعاصر يتكون من مجتمعات صغيرة منعزلة لا شأن لأحدهما بالآخر، فالهجوم والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، تجمع بين سكان الكرة الأرضية، حيث تلعب وسائل الإعلام العصرية دوراً بارزاً في كل ذلك، فهي الصوت الصارخ المعبر عن هذه المشكلات، والمحرك لضمير الإنسانية والمكون للرأي العام، الذي غدا قوة مؤثرة في الحياة اليومية للعالم خلال دوره في صنع القرارات ووضع القوانين

^١ -Muhittin Ataman ,The Impact of Non-State Actors on World Politics: A Challenge to Nation-States, Alternatives: Turkish Journal of International Relations, Vol.2, No.1, Fall 2003,p:42.

وإلغائها، فبرامج الغوث، والتعاطف الدولي، والتنادي للوقاية من الكوارث البيئية، والتفجيرات النووية، وأشكال الحوار في المؤتمرات الدولية، وشتى التكتلات، ودعوات السلام، وحقوق الإنسان، والتجمع من أجل تنظيم الانتفاع بالموارد الموجودة في البحر والفضاء، كلها تدبّر بوجودها إلى انتشار شبكات الاتصال السلكية واللاسلكية، وخاصة الفضائية منها ووصلها من أطراف الكرة الأرضية وصلاً حقيقياً يلغي المسافات ويلغي فوارق الزمن، ويشيع التعارف بين الشعوب والأمم، هذا التعارف الذي يخلق شعوراً بتماثل بني البشر، ولكن في الوقت نفسه يولد لدى البعض شعوراً بالاختلاف. وخاصة في وقتنا الحاضر، نتيجة للتطور الكبير الذي حصل في مجال تكنولوجيا الإعلام، التي وضعت الإنسان المعاصر أمام إشكاليات مستجدة، لا يكاد يخرج من واحدة منها حتى يقع في دائرة أخرى، مثل إشكالية التوازن والتصدع، الحرية والاغتراب، المواطنة والعالمية... الخ.^١

وبرزت في أعقاب الحرب العالمية الثانية عدة عوامل تؤكد كلها على أهمية الرأي العام وأثره على العلاقات بين الدول، كاشتداد الصراع الأيديولوجي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق، والذي عبر عنه (بالحرب الباردة)، والصراع العربي الصهيوني، والاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الأراضي العربية، وظهور الدول النامية وتزايد دورها على الساحة الدولية عبر منظمة دول عدم الانحياز، وساعد على ذلك تزايد نسبة التعليم في أغلب دول العالم وخاصة في الدول المتحررة من نير الاستعمار، والتطور العلمي والتكنولوجي الهائل في وسائل الإعلام، الذي حول العالم كله إلى قرية إعلامية صغيرة.

كل هذا وغيره جعل من الرأي العام قوة ضغط حقيقية لدى أغلب النظم السياسية المتطورة في المجتمع الدولي المعاصر، إذ أصبح الرأي العام وراء أغلب القرارات المصيرية لأي نظام سياسي في العالم المعاصر، وأضحى هذا النظام أو ذاك يتحدد بمدى احترامه للرأي العام وأخذة بتوجيهاته والعمل على إرضاء متطلباته.

من الخطأ أن المراهنة على الرأي العام وإمكانية تدخله المباشر والفعلية من أجل حل المشاكل الداخلية، خاصة إن كان حجم وتعقيدات هذه تتجاوز مقدرات الشعوب وحكوماتها. حيال أزمة معينة وفي لحظة ما يمكن أن تخرج مظاهرات ترفض أو تدعم ما يحدث هنا أو هناك، كما هو حاصل حالياً في سوريا وفلسطين أو قضايا المناخ والعولمة... لكن في لحظة الفصل فإن القرارات وتحركات الحكومات تتبع أساساً من حسابات قائمة على علاقات مصالح وقوى وليس على أساس رغبة ومشاعر الشعوب. كذلك على مقدرة كل طرف على فرض نمط معين من السلوك على هذه العلاقة. في النهاية، فإن الرأي العام العالمي يكن الأعجاب لمن يثبت أنه الأقوى فعلاً لا قولاً.

ثانياً: المواطن العالمي (الأفراد)

كثر الحديث عن المواطن العالمي، كأحد تجليات عالم اليوم، مع تمدد العولمة، وانفتاح شعوب العالم على بعضها، تماشياً مع الثورة التكنولوجية وانتشار شبكة الإنترنت، وكرهان إنساني يدعم التواصل والتسامح لتجاوز حالة القلق والترقب التي تحيط بعالم اليوم في ارتباطها بالمخاطر والأزمات الأمنية والسياسية والاقتصادية المتصاعدة.

تزايد الحديث عن المواطن العالمي في العقود الأخيرة التي شهد فيها العالم تحولات كبرى بعد نهاية الحرب الباردة، دعمت انفتاح معظم الدول على محيطها، وما رافق ذلك من إصلاحات سياسية وحقوقية، والانتفات

^١ - قدور، صفاء، أثر وسائل الإعلام في تكوين الرأي العام، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف د. علي رحال و د. إسماعيل شعبان، جامعة حلب، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

إلى مخاطر وإشكالات تواجه الإنسانية جمعاء.^١ التعريفات الواردة بصدد «المواطن العالمي» أو «المواطن المعولم» ما زالت تحمل قدراً من الالتباس والغموض، بين من يعتبره ذلك الشخص المنفتح الذي يرى في العالم بتشابكه وعلاقاته ومصالحه التي تعلق على كل مصلحة أو انتماء سياسي أو عرقي أو إيديولوجي ضيق وطناً له، وبين من يرى فيه نتاجاً طبيعياً للتحويلات الدولية الجارية منذ بداية التسعينات من القرن الماضي باتجاه العولمة والاهتمام بقضايا ومخاطر مشتركة.

وتنتج عن «المواطنة العالمية» على غرار المواطنة المحلية حقوق وواجبات كونية بموجب التشريعات والمواثيق الدولية، وتشير الكثير من الأبحاث والدراسات إلى أن حقوق «المواطن العالمي» تنتعش وتزدهر في ظل السلم والأمن الدوليين واحترام الممارسة الديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما تتهدّد وتندهر في أجواء الحروب والتوترات والصراعات والأزمات العالمية المختلفة.^٢

لا بد من الإشارة إلى أن أهم عامل ساهم في تطور هذا الفاعل من غير الدول هو التقدم التقني والتكنولوجي الذي أسهم في تطوير وسائل الإعلام بكل أنواعها بالإضافة إلى وسائل التواصل الاجتماعي التي مكنت الفرد من تنظيم شبكات افتراضية إلكترونية يدير عبرها مجاميع بشرية من خلف شاشات صغيرة والتي بدورها ساهمت في تطوير الفرد وخصوصاً بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة لجعل الفرد متيقن بكل ما يجري على الصعيد الداخلي لمجتمعه والصعيد الخارجي وكذلك ساعدته في معرفة القضايا العالمية المشتركة حيث لا يقل دور شبكات الانترنت الاجتماعية التي ساهمت في جعل التأثيرات تعبر الحدود كما حصل في الوطن العربي من الثورات ضد الحكم والتي تناقلت من دولة لأخرى من خلال تلك التأثيرات ولهذا نجد المواطن يسير على خطى عالمية والتأثير والتدخل بالأحداث العالمية للقضايا المشتركة ليعزز كفاعل عالمي ذات تأثير داخلي وخارجي.^٣

سيصبح المواطن العالمي (le citoyen universel) فاعلاً يحسب له ألف حساب، ويزداد الاهتمام به من كثرة تدخلاته المستمرة محاولة منه إصلاح أوضاع مجتمعه الصغير الدولة وأوضاع مجتمعه الأكبر العالم، بعدما أصبح العالم كقرية صغيرة بعد الثورة التكنولوجية والتقنية والمعلوماتية التي ساهمت في تطوير وترقية مختلف وسائل الإعلام المسموعة منها والمكتوبة والمرئية - قنوات فضائية -، ووسيلة الانترنت التي جمعت بين كل أنواع وسائل الإعلام. لقد غذى الانترنت جزءاً من العالم الافتراضي لا يمكن تجاهله، وقد قالها مستشار للرئيس أمريكي قبل سبعة عشر عاماً أن الانترنت سيحقق للعالم ما عجز عن تحقيقه في مجال الديمقراطية ذلك لأنه سيحقق الديمقراطية الكونية.^٤ وقد ساهمت الظروف السياسية الدولية تعميم فكرة العولمة ومحاولة تجسيدها واقعياً بعد سيطرة القطب

^١ - إدريس لكروني: المواطن العالمي.. بين الأسطورة والضرورة، الخليج الإماراتية، 25 مايو ٢٠١٨ على الرابط:

<https://bit.ly/3lrwxza>

^٢ - إدريس لكروني: المواطن العالمي.. المرجع السابق.

^٣ - كوثر الياسري: الفواعل من غير الدول في العلاقات الدولية، موقع الحوار المتمدن، العدد ٤٨٠٢ بتاريخ ١٠/٠٥/٢٠١٥

على الرابط: <https://bit.ly/3mq2nur>

^٤ - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ط١، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص ٤٥.

^٤ - طلال أبو غزالة، النظام العربي والعولمة، الأردن: دار الفارس، ٢٠٠٤.

الأوحد بفكره الاقتصادي - الليبرالي، وفكره السياسي الديمقراطي على العالم، وقد تصاعد في الوقت الحاضر الاهتمام بفكرة المواطن العالمي وعندما يذكر هذا المفهوم يتبادر إلى ذهن "جعل المواطن الواحد على مستوى عالمي؛ أي نقله من الحيز الجغرافي المحدود (الدولة الواحدة) إلى أفق اللامحدود؛ أي العالم كله"، فيكون إطار تفاعله وتبادلته مع الآخرين على اختلاف المستويات الاقتصادية والثقافية والسياسية متجاوزا الحدود القومية، مشكلاً سمات بدور التحول عن نمط المواطن في الدولة إلى المواطن العابر للقوميات، بالمعنى البسيط إنها علاقة المواطن بالعالم على شكل كتلة واحدة بكافة جوانبها منها السياسية والأخلاقية والبيئية...، وهو بذلك مرتبط بمفهوم العولمة، التي عززتها عوامل كثيرة كالتغيرات الاجتماعية-الاقتصادية، والسلطة السياسية فوق القطرية والمنظمات العالمية الكبرى غير الحكومية والمهتمة بمختلف مجالات الحياة.

ولم تعد مسؤوليته محصورة ومرتبطة بما يحدث في بلده، بل تتسع وتشمل ارتباطه بالعالم متجاوزة الدولة والوطن والحدود.

الفرص التي تحققها فكرة "المواطن العالمي" هي سهولة الحركة الفكرية الحقوقية الإنسانية في إطار الدولة العالمية (الفاعل الدولي الأكبر المتوقع) بعد تحول الدول إلى مقاطعات داخل نظام كوني متفاعل له نظام وقواعد، وتنصهر الدول تحت لواء الكونية.

ثالثاً: المؤسسات الدينية (الفاتيكان نموذجا)

كان الدين ولازال يمثل الدور الأساس في تفسير الأمور وخصوصا في الدول التي تعتمد عليه في تفسير شؤونها السياسية بل وتستمد قوانينها ودساتيرها منه وقد اتخذت الكثير من الدول وخصوصا الدول الكبرى عقيدتها الدينية كجزء من سياساتها الخارجية للتأثير على باقي الدول التي تحمل نفس العقيدة.

ان المؤسسات الدينية تلعب دوراً بارزاً في السياسة الدولية والعلاقات ما بين الكيانات، ذلك لما تمتلكه من سلطة وسلطان على مجموعات ليست بقليلة من الأفراد الذين ينتمون إلى العقائد الدينية المختلفة، فتمارس المؤسسات الدينية مثل الفاتيكان والمرجعيات الدينية الإسلامية وغير السلامية الدولية والمحلية سلطاتها في تحديد توجهات الأفراد العقائدية وحتى السياسية والاجتماعية والتي ربما تتعارض مع سياسات الدولة وتوجهاتها من ما يؤدي إلى حدوث صدام في أغلب الأحيان رغم انه غير معلن بين هذه المؤسسات داخل الدول والدولة نفسها. فقد أصبحت بعض هذه المؤسسات ذات نفوذ كبير داخل الدول إلى تعتمد على الدين في كثير من شؤونها الداخلية.^١

وقد تصاعد دور دولة الفاتيكان خلال العقود الماضية كأحد الأطراف المساهمة في منظومة السلام العالمي. إذ تأسس هذا الدور على الاستدعاء للمفاهيم الأخلاقية والمعمارية في السياق العالمي كمحاولة لتأطير أو وضع حدود للاعتماد المتزايد على المقاربات الواقعية في السياق العالمي، وما أفضى إليه ذلك من تزايد الصراعات والأزمات.

لفهم كيان هذه المؤسسة لا بد من التفرقة تماماً بين دولة الفاتيكان والكرسي الرسولي:

1 - الكرسي الرسولي هو السيادة المجردة أو المطلقة للبابا على الكاثوليك الذين يصل تعدادهم حالياً إلى مليار ومائة ألف نسمة تقريباً. وهذه المؤسسة، حتى وإن لم تكن تمتلك أية أراضي، فهي معترف بها من كافة المنظمات الدولية.

٢ - دولة مدينة الفاتيكان، وهي أصغر دولة في العالم إذ تبلغ مساحتها أقل من نصف الكيلومتر المربع، وتقوم

^١ -كوثر الياسري: الفواعل من غير الدول في العلاقات الدولية...المرجع السابق.

بمهمة مساندة نشاط الكرسي الرسولي والحفاظ على تراثه الديني والفني والثقافي. والبابا يمثل السلطة العليا المطلقة، المدنية والدينية، ممسكا بكل أشكال السلطة التشريعية والقانونية والتنفيذية. أي ان الفاتيكان هو وسيلة تأكيد حرية واستقلالية الكنيسة الكاثوليكية وخاصة الكنيسة العالمية التي يسعى الفاتيكان إلى إنشائها على الأرض وفقا لكاثوليكية روما.

وقد تمكن الفاتيكان من صياغة دور له في النظام العالمي يطمح إلى تحقيق السلام والاستقرار. وقد ارتبط هذا الدور بعدد من المحددات الجوهرية تتمثل فيما يلي:^١

١- إعادة صياغة السياسة الخارجية:

حيث اضطلع بابوات الفاتيكان عبر عقود بدور كبير في إعادة صياغة دور الفاتيكان في النظام العالمي لإضفاء المزيد من الزخم على السياسة الخارجية للدولة ونفوذها الروحي الخارجي، ولا سيما مع ترويج المجمع الفاتيكاني الثاني لمهمة إنسانية عالمية، والإشارة بأن "الكنيسة يمكن أن تسهم في جعل العالم أكثر إنسانية". وفي هذا الإطار، ربما يكون البابا "يوحنا بولس الثاني"، الذي تولى قيادة الفاتيكان في الفترة من أكتوبر ١٩٧٨ حتى إبريل ٢٠٠٥، من أبرز النماذج في التاريخ المعاصر للفاتيكان.

فقد سعى البابا "يوحنا بولس" إلى صياغة دور مؤثر للسياسة الخارجية للفاتيكان في خضم الحرب الباردة، والتزم البابا بالتكريس لدور أكبر للكنيسة الكاثوليكية استناداً إلى أربعة مبادئ أساسية: حماية استقلال الكنيسة، واحترام كرامة الإنسان، والمشاركة الدينية، والمصالحة مع العديد من الدول، والاهتمام بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما سعى البابا إلى الحفاظ على مهمة رجال الدين ورسالتهم، ولذا حثهم على عدم التورط في السياسة الحزبية، أو حتى تفسير المسيحية على أساس الأفكار الماركسية. وكشفت تصورات البابا "يوحنا"، الذي وصفته الكثير من الأدبيات بأنه فاعل جيوبوليتيكي هام في السياسة العالمية آنذاك، عن مساحة جديدة للسياسة الخارجية للفاتيكان استمرت في التمدد حتى بعد رحيله وقدم بابوات جدد دعموا صورة الفاتيكان كمساهم في السلام العالمي، ووسيط في النزاعات التي شهدتها العديد من الدول، فضلاً عن الدعوة إلى نزع السلاح النووي الذي يهدد السلام والاستقرار العالميين.^٢

٢- إعادة بناء الصورة:

تطلب الحفاظ على سمعة الفاتيكان وصورته الأخلاقية التعامل مع الإرث التاريخي للكنيسة الكاثوليكية، ولا سيما مع التحولات التي شهدتها أدوات السياسة الخارجية والعلاقات بين الدول والمجتمعات، والتركيز على الصورة الخارجية للفاعلين العالميين. أو بمعنى آخر، بحسب "فان بيتر هام"، "الانتقال من عالم الحداثة القائم على الجغرافيا السياسية والسلطة إلى عالم ما بعد الحداثة المستند بشكل جوهري إلى الصور والنفوذ". حيث اعتذر البابا "يوحنا بولس الثاني" أثناء قداس له في ديسمبر ٢٠٠٠ عن العنف الذي ارتكبه الكنيسة الكاثوليكية في الماضي. وكرر هذا الاعتذار البابوات اللاحقون بمن فيهم البابا الحالي، البابا "فرانسيس"، الذي تقدم باعتذار علني وطلب المغفرة عن "الخطايا الجسيمة" التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكية لخدمة الاستعمار.

٣- الانفتاح الخارجي:

إذ سعى الفاتيكان إلى تبني سياسة الانفتاح الخارجي على كافة القوى العالمية، ومحاولة تقليل الخلافات

^١-محمد بسيوني: المكانة الأخلاقية الأدوار المتعددة للفاتيكان في بناء السلام العالمي، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة الأربعة، ٠٦ فبراير، ٢٠١٩، على الرابط:

<https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/4530>

^٢-محمد بسيوني: المكانة الأخلاقية...المرجع السابق.

التاريخية مع بعض الدول مثل الصين، وهي خلافات تعود إلى سنوات طويلة نتيجة للسياسات الشيوعية التي انتهجتها بكين، وإخضاع الكنيسة المحلية لسيطرة الحزب الشيوعي الصيني، ورفض إقامة علاقة بين الكنيسة المحلية في الصين والفاتيكان، وخصوصاً مع قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين.

وقد أفضت سياسة الانفتاح التي تبناها الفاتيكان تجاه الصين إلى التوقيع على اتفاق بين الدولتين في سبتمبر ٢٠١٨، بموجبه يمكن للفاتيكان الإدلاء برأيه في تعيين الأساقفة، ويمنح البابا سلطة رفض المرشحين. وبالرغم من أن هذا الاتفاق وصفه الفاتيكان بأنه اتفاق "رعوي" وليس "سياسياً"، إلا أنه يحمل في طياته احتمالات عودة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين.

واستكمل الفاتيكان سياسة الانفتاح الخارجي بالانفتاح على الأديان والمذاهب الأخرى والتعايش معها، متجاوزاً بذلك أطروحات الصراع والصدام بين الحضارات والأديان. وفي هذا السياق، تبرز أهمية وثيقة الأخوة الإنسانية التي تم التوقيع عليها بحضور شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان يوم ٤ فبراير ٢٠١٩ في ختام منتدى حوار الأديان بدولة الإمارات. فالوثيقة تدعو إلى التسامح والتصالح بين أتباع الديانات المختلفة.^١

٤- الوساطة في الصراعات:

منحت المعطيات السابقة للفاتيكان رصيда للتدخل في الصراعات، وبذل جهود الوساطة لتحقيق الاستقرار العالمي، ناهيك عن الحذر في تأييد قرارات الدول بالدخول في حروب على غرار ما حدث إبان حرب العراق ٢٠٠٣، حينما رفض الفاتيكان الذي كان يترأسه آنذاك البابا "يوحنا بولس الثاني" الغزو الأمريكي للعراق، ورأى البابا حينها أن "الأمر بمثابة اعتداء على الأرواح والممتلكات لبلد مستقل".

وظهر دور الفاتيكان في منظومة السلام العالمي من خلال عدد من الملفات الهامة، منها على سبيل المثال: الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فلم يكن البابا فرنسيس ليخالف التوجه العام لباباوات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تجاه «الأرض المقدسة»، بل إنه من المثير أن نجد توافقاً يكاد يصل إلى حد التطابق، بين مواقف أبحار سابقين، وما ذهب إليه البابا فرنسيس، فموقف الفاتيكان ثابت ولا يتغير من الصراع العربي - «الإسرائيلي»، فقد رفضت حاضرة الفاتيكان فكرة هيرتزل بإقامة وطن لليهود في أرض فلسطين، وكان ذلك، في السادس والعشرين من يناير من عام ١٩٠٤ حيث التقى تيودور هيرتزل، الذي كان يدعو في حينه لإنشاء دولة يهودية، وطلب مساعدة البابا بيوس العاشر، في إقامة هذه «الدولة» على التراب الفلسطيني، يومها أجابه البابا بيوس العاشر بقوله: «نحن لا نستطيع أن نساند هذه الحركة (الصهيونية)، وأنا بصفتي رئيساً للكنيسة لا أستطيع أن أجيبك خلاف ذلك، اليهود لم يعترفوا بسيدنا يسوع المسيح، لذلك لا يمكننا نحن الاعتراف بوضع اليهود أيديهم على القدس» وأضاف على هذا الأساس العقائدي المختلف جذرياً، رفض الفاتيكان وعد بلفور الذي صدر بشأن الدولة اليهودية في عام ١٩١٧، وحظي باعتراف الدول الكبرى آنذاك، غير أن البابوية لا تمتلك من الفرق العسكرية التي تمكنها من تنفيذ إرادتها على الأرض، لكن ذلك لم يعجزها عن الاحتفاظ بأرائها الخاصة وقوتها الأخلاقية والأدبية الرافضة لفكرة وضع القدس كمدينة ممزقة بين العرب واليهود، ولهذا كانت تميل دوماً إلى فكرة تدويل القدس.^٢

الفاتيكان يقيم علاقات مع كل من السلطة الفلسطينية وإسرائيل، ويتبنى موقفاً من الصراع يقوم على تدويل القدس، وبالتالي رفض الاعتراف بها كعاصمة لإسرائيل، بالإضافة إلى التأكيد على حق الفلسطينيين في

^١- محمد بسيوني: المكانة الأخلاقية... المرجع السابق.

^٢- قضية فلسطين حقيقة عادلة يتوارثها بابوات «الفاتيكان»، الخليج الإماراتية، بتاريخ ٣ يوليو ٢٠٢٠ على الرابط:

إقامة دولتهم ضمن إطار حل الدولتين. وفي يونيو ٢٠١٥، وقع الفاتيكان اتفاقية مع السلطة الفلسطينية دعم من خلالها الفاتيكان موقفه الملزم بحل الدولتين، وقد عدت الاتفاقية بمثابة اعتراف ضمني بفلسطين كدولة. ختاماً، إن استمرار الدور الذي يقوم به الفاتيكان في السياق العالمي مرتبطاً بقدرته على الحفاظ على صورته الأخلاقية، وحيايته، وعدم ارتهان سياسته الخارجية لأبعاد برجماتية كذلك التي تحكم سياسات بعض الدول؛ وهو الرصيد الأهم الذي تستند إليه جهود وساطة الفاتيكان في خضم الصراعات المعقدة.

رابعاً: فاعلوا الشبكة العنكبوتية

هم مجموعة بشرية (مادية حقيقية موجودة على أرض الواقع) تستخدم الوسط الافتراضي لإدارة مجموعة من الأفراد وتوجههم باتجاه معين عبر التأثير المباشر أو غير المباشر من خلال تشكيل آراءهم بواسطة جملة من الأدوات الإلكترونية والوسائط المعنوية التي لها آثار مادية على أرض الواقع.

و الفاعل في هذا المجال هو أي شخص يمتلك القدرة على أن يؤثر على مجموعة من الأفراد ويوجههم في الاتجاه الذي يريده عبر الوسط الإلكتروني مثل (الفيس بوك وتويتر وانستغرام وغيرهما من مواقع التواصل الاجتماعي)، ومن أحدث تطبيقات هذا الفرع من فروع المعرفة الإلكترونية ما قامت به مجموعة من الشباب العربي في تنظيم تظاهرات وإسقاط حكومات في المنطقة العربية (بغض النظر عن المسبب الرئيس والنتيجة النهائية)، لكن كان لفاعلي الشبكة أثر كبير في عملية التعبئة والتشديد والدعم والضخ الكبير للأفكار وإدارة الرأي العام والتفاعل عبر هذا الوسط الإلكتروني الجديد.^١

١- موقع ويكيليكس وتغيير مفاهيم العلاقات الدولية

اهتزت وسائل الإعلام في العالم كله على أثر تسريب موقع ويكيليكس الإلكتروني ٩٠ ألف ثم ٤٠٠ ألف وثيقة ومستند، أعلن أنه جرى تسريبها من البنتاغون، ثم ٢٥٠ ألف وثيقة تم تسريبها من الخارجية الأمريكية. ولأول مرة يستطيع موقع إلكتروني قرصنة وسائل إعلام كبيرة بإمكانياتها الجبارة في خبر هام مثل ذلك الخبر. وهو ما أعطى قوة إعلامية للمواقع الإلكترونية وخاصة موقع ويكيليكس^٢.

قد ظهر الموقع من قبل بتسريبات كثيرة أحدثت دويماً لكن بحدود وقدر، كان أبرزها ما نشره في يوليو ٢٠١٠م من تسريب ٩٠ ألف وثيقة تتعلق بالحرب على أفغانستان فانتبه العالم كله لأهمية الموقع وذكرت صحيفة «الديلي تلغراف» البريطانية أهم التسريبات التي نشرها موقع «ويكيليكس» الإلكتروني قبل كشفه عن ٩٠ ألف تسجيل ووثيقة عسكرية أمريكية عن خفايا الحرب في أفغانستان وتفاصيلها السرية.^٣

وقالت الصحيفة: «في مقدمة أهم عشرة تسريبات أثارت اهتماماً واسعاً قام بنشرها الموقع: مقطع الفيديو الذي أظهر القوات الأمريكية وهي تقتل ١٢ مدنياً من بينهم صحفيين من رويترز في أحد أحياء بغداد عام ٢٠٠٧م». ومنها رسائل البريد الإلكتروني لعلماء المناخ في العام الماضي قبل قمة كوبنهاغن، تلك التي عززت الشكوك حول الاحتباس الحراري.

ونشر «ويكيليكس» في عام ٢٠٠٧م قائمة بأسماء وعناوين ووظائف أعضاء في الحزب القومي البريطاني المتطرف «بي إن بي» التي كشفت أن من بينهم عدداً ليس بالقليل من ضباط الشرطة والجيش وكذلك أطباء

^١ -كوثر الياسري: الفواعل من غير الدول....المرجع السابق.

^٢ - كلمة «ويكيليكس» Wikileaks معناها بالعربية: تسريبات الويكي، وقد تأسس الموقع عام ٢٠٠٧م تحت عنوان حق الناس في تاريخ جديد، وقد برز على وسائل الإعلام اسم جوليان أسانغ، أسترالي الجنسية؛ وهو أشهر مؤسسي موقع يا.

^٣ - ممدوح إسماعيل: تسريبات ويكيليكس مؤامرة، أم فضيحة؟ مجلة البيان الإماراتية، العدد ٢٨٢، صفر ١٤٣٢ هـ / يناير ٢٠١١ م

ومحامون.

كما نشر نسخة من إجراءات التشغيل الموحدة لمعسكر دلتا، وهي وثيقة تتضمن تفاصيل القيود المفروضة على السجناء في معتقل غوانتانامو الأمريكي بكوبا. و نشر الموقع أيضاً وثيقة لوزارة الدفاع الأمريكية «البنتاغون» تعتبر (ويكيليكس) خطراً على الأمن القومي.

إن الشاهد الذي لا يخفى على ذي عقل وفهم: هو أن ما نشره الموقع قبل نشر وثائق أفغانستان والعراق كان تمهيداً لنشر مصداقية للموقع على أوسع نطاق.

إن ما نشر يؤكد على أن الموقع يقوم بدور خطير يحتاج إمكانيات عالية، منها: أن يكون له عملاء نافذون داخل الأماكن التي جرى تسريب تلك المستندات منها، وهي إمكانيات لا تتحصل إلا لدول أو منظمات تعمل لحساب دول؛ وهو ما يجعلنا نقف أمام مؤامرة خطيرة تحرك الأحداث وفق منظومة عمل وأهداف محددة، منها تغيير الأدوار وتأسيس قواعد لعبة جديدة. وما نشر يجعل الموقع يتفوق على قناة الـ (سي إن إن) بإمكانياتها الجبارة، ووكالة (رويترز)، والـ (بي بي سي)، وصحف كبيرة مثل التلغراف والواشنطن بوست... وغيرهما؛ ليفرض على المتابع أن يقف أمام حقيقة جديدة تفرض قوة المواقع الإلكترونية (خاصة ويكيليكس)، واحتلالها مكان وسائل إعلام جبارة، ومن ثم عندما تنشر فيها أي تسريبات فإنها تقفز بها إلى قمة المصداقية عند المتابع البسيط وهو هدف في حد ذاته.

ثمة أمر لا سبيل للقفز فوقه أو تجاهله: ويكيليكس جزء من ثورة بدأت للتو ضد كل المفاهيم الدبلوماسية التقليدية، كما أنها تعتبر تنويجاً بديهاً للعصر الإلكتروني المعرفي، الذي يعتمد على تبادل المعلومات وشفافيتها^١.

في هذا السياق، تبقى ويكيليكس ظاهرة، لكنها ليست فريدة. فموقع غوغل قبلها يخزن ملايين السجلات الخاصة والعامة، وكذلك موقع فيسبوك، ناهيك عن موسوعة ويكيبيديا، التي تحولت بين ليلة وضحاها إلى ثورة أنوار جديدة قائمة بذاتها وعن موقع "يوشاهيدي"، الذي يستخدم الشبكات الاجتماعية لخلق خرائط يستطيع فيها سكان أي بلد إرسال تقارير حول حوادث العنف والاعتداءات التي لا تبلغ عنها السلطات الرسمية.

لا بل أن المعلومات التي حصلت عليها ويكيليكس، لم تعتمد على الأرشيفات العادية لوزارتي الدفاع والخارجية الأمريكيين، بل استندت إلى إنترنت خاصة بالوثائق السرية والرسمية للولايات المتحدة، يطلق عليها اسم "سبيرنت". ومن سرب وثائق هذه الأخيرة إلى ويكيليكس، فعل ذلك بكبسة فأر واحدة كانت كافية لنقل أطنان من المعلومات في غضون دقائق معدودات^٢.

٢- مواقع التواصل الاجتماعي وثورات الربيع العربي:

لو جئنا إلى مفهوم الربيع العربي أو ثورات الربيع العربي لوجدنا تعريفها هي حركة احتجاجية سلمية ضخمة انطلقت في معظم البلدان العربية خلال أواخر عام ٢٠١٠ ومطلع عام (٢٠١١)، متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء أحراق محمد البوعزيزي نفسه، وبعدها نجحت في الإطاحة بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي ومن أهم أسباب الثورات والانقذاضات الشعبية هي أنتشار الفساد والركود الاقتصادي

^١ - سعد محيو: هل أجهزت تسريبات "ويكيليكس" على عصر الدبلوماسية؟ موقع سويس أنفو بتاريخ ٠٥ ديسمبر ٢٠١٠ على

الرابط: <https://bit.ly/3owFZlv>

^٢ - ممدوح إسماعيل: تسريبات ويكيليكس... المرجع السابق.

وسوء الاحوال المعيشية، إضافة الى التضيق السياسي والامني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلاد العربية، ولازالت هذه الحركة مستمرة حتى هذه اللحظة ثم ما لبث أن نجحت ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١) في مصر من بإسقاط الرئيس السابق محمد حسني مبارك وبعدها في ليبيا بأسقاط معمر القذافي ثم في اليمن والتي اجبرت الرئيس اليمني علي عبد الله صالح بالتناحي، ناهيك عن حركات احتجاجية قد بلغت جميع انحاء الوطني العربي عدى ثلاث دول (قطر والامارات وجزر القمر) وكانت أبرزها ولا تزال قائمة هي حركة الاحتجاجات في سوريا، وتميزت هذه الاحتجاجات في الوطن العربي بظهور هتاف عربي أصبح شهيراً في كل الدول العربية وهي (الشعب يريد أسقاط النظام)، مع هذا كان هناك دور رئيسياً لمواقع التواصل الاجتماعي في تحريك الثورات والاحتجاجات وتحولت تلك المواقع الى داعم حقيقي للثورات العربية وتأثيرها فيما بعد على الحكومات العربية فعلى سبيل المثال في مصر كانت شبكات التواصل الاجتماعي (اختراعاً جيداً بالنسبة للناشطين المصريين) حيث كان الناشطون يتناقلون المعلومات عبر تويتر والفيس بوك واليوتيوب من نقل الصورة عن ما يحدث الى العالم الخارجي، ليس هذا فقط وانما هناك تفاعل وتنظيم وتعاون بين الناشطين على الارض يرصدون الحدث ويرسلوا الصور والفيديوهات الى الناشطين على شبكة الانترنت والذي بدورهم ينشرونها على مواقع التواصل الاجتماعي وهذا مما ادى الى ان الحكومة المصرية السابقة أصدرت قرار بإيقاف شبكة الانترنت لغرض عدم التواصل بين الناشطين،^١ وفي سوريا فقد لعبت مواقع التواصل الاجتماعي دوراً هاماً حيث كانت الملاذ الآمن لكثير من الناشطين في بلد تحظر فيه التجمعات والتظاهرات وأستطاع المواطن السوري نشر الجرائم وتوثيق المجازر المرتكبة في حق المدنيين ونشرها على موقع الفيس بوك وبشكل فيديوهات على اليوتيوب، وفي اليمن والتي يقتصر عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي على ٣٠٠ ألف مستخدم العدد الي لا يواكب حجم الاحداث في الشارع اليمني، مع هذا فإن حشد المتظاهرين وتوجيههم تم بشكل اساسي عن طريق الوسائل التقليدية، وفي ليبيا أستطاع ناشطون الفيس بوك ان ينقلوا صورة عن الاحداث الاجرامية للنظام الليبي عبر الفيس بوك واليوتيوب وبثها فيما بعد عبر وسائل الاعلام.^٢

لم يقتصر دور شبكة الانترنت والمتمثلة بمواقع التواصل الاجتماعي في ثورات الربيع العربي وانما ما بعد الثورات من عدم وجود استقرار سياسي لهذه الدول في نقل الاحداث والتعبير عن الرأي ودور ناشطي مواقع التواصل الاجتماعي في الحث وحدة الاراضي والحفاظ على ممتلكاتها الوطنية، ويعتبر الفيس بوك الاكثر استخداماً في العالم العربي وفي المرتبة الاولى ويليهِ تويتر وبعده اليوتيوب ويكون التواصل فيما بينهم عبارة عن حلقة وصل بين كل ما يجري في الشارع من أحداث ومعلومات ويتم نشرها على صفحات المواقع ودون رقيب.

٣- مواقع التواصل الاجتماعي الآزمة بين الادارة الامريكية وروسيا

بعد الانتخابات الامريكية التي أجريت في نوفمبر/٢٠١٦، بين المرشح عن الحزب الجمهوري (دونالد ترامب) والمرشحة عن الحزب الديمقراطي (هيلاري كلينتون) وبعد فوز الرئيس الامريكي دونالد ترامب ووصولهِ لسدة الحكم في الولايات المتحدة، قامت الادارة الامريكية بتوجيه أول الاتهامات في التحقيق بشأن تدخل روسيا في الانتخابات الامريكية، حيث ذكرت بعض التقارير الاعلامية أنه قد جرى توجيه أول

^١-كوثر الياسري: الفواعل من غير الدول....المرجع السابق.

^٢- المرجع نفسه.

الانتهاكات في التحقيقات التي يقوم بها المحقق (روبرت مولر) بشأن التدخل الروسي في الانتخابات الرئاسية الأمريكية التي جرت عام ٢٠١٦ عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وكما أكد جهاز الاستخبارات الأمريكي (C.I.A) أن الإدارة الروسية سعت لمساعدة الرئيس ترامب على الفوز بالانتخابات، حيث قادة حملة تشوية ضد المرشحة هيلاري كلنتون وذلك عبر عدة وسائل منها اختراق البريد الإلكتروني الخاص بالمرشحة وايضا دفع اموال ضخمة الى ناشطين في وسائل التواصل الاجتماعي لكتابة تعليقات مسيئة تحصد المرشحة الديمقراطية، وعلى الرغم من أن الجانب الروسي نفى كل الاتهامات.

وعند النظر الى هذه الازمة نجد ان مواقع التواصل الاجتماعي خلقت ازمة بين الدولتين (الإدارة الأمريكية والروسية) وعلى الرغم من ان الكونغرس الأمريكي قام باستجواب ممثلي الشبكات الاجتماعية (تويتر وفيس بوك وغوغل) والذي أكدوا على عدم وجود أدلة على التدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية، أن هذه الازمة اكدت وبشكل رئيسي عن مدى أهمية مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها في السياسة الدولية والتي لازالت تأثيراتها موجودة على الساحة الدولية.

٤- حرب الرئيس الأمريكي السابق ترامب مع وسائل التواصل الاجتماعي:

خاض الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب حروبا مستعرة مع الصحافة الأمريكية منذ تولى منصبه معتبراً أن حسابه على تويتر هو منصة التواصل الوحيدة التي لا تخضع "لأعدائه" ومعارضيه من الديمقراطيين. وكثيرا ما اتهم صحفاً ومحطات تلفزة مثل سي ان ان وواشنطن بوست ونيويورك تايمز بأنها تنشر اخبارا كاذبة وأنها تعادي الامة والشعب الأمريكي، وهي المنصات التي نشرت-وغيرها- عشرات الموضوعات التي تتحدث عن خطورة ما ينشره ترامب من معلومات مغلوطة وكاذبة.

ويستعر النقاش حول الحصانة التي تتمتع بها منصات التواصل الاجتماعي، ويتجاوز الأمر بكثير مجرد الخلاف بين دونالد ترامب وتويتر، فقد برزت أصوات من اليمين واليسار منذ بضعة أعوام لإجبار شبكات التواصل الاجتماعي على تحمل مسؤولية أكبر والتدقيق في المحتوى الذي ينشر عليه. ويتحدث مراقبون ومحللون أمريكيون عن أن أحد الأهداف الكبرى لحملة ترامب المقبلة ستكون وضع كافة وسائل الإعلام وخصوصاً مواقع التواصل الاجتماعي تحت رقابة المحافظين.

ولم ينس ترامب أبداً لشركات التقنية موقفها حين حذرت ١٠٠ شخصية مرموقة في صناعة التقنية وأساتذة جامعيون من قرارات ترامب بشأن التعامل مع المهاجرين والذين يشكلون عصب شركات التقنية الأمر الذي من شأنه أن يضر أسواق التقنية الأمريكية ويخفض الصادرات ويقلص من معدلات خلق وظائف جديدة، وأن سياساته تعادي التبادل المفتوح والحر للأفكار، واعتبر الأمر جزءا من الحرب التي تشنها شركات التقنية ضده^٢.

قام ترامب بتضمين موقع تويتر بالكامل في نسيج إدارته، حيث أعاد تشكيل طبيعة الرئاسة والسلطة الرئاسية، وأنه يعتبر تويتر بمثابة المدفع الرقمي وأنه يستمتع بإطلاق النار من خلاله.

اندلع النزاع بين الرئيس الأمريكي المغرم بموقع التغريدات القصيرة تويتر -والذي يتابع حسابه نحو ٨٠ مليون حساب -وبين إدارة الموقع، بعد تغريدة كتبها ترامب زعم فيها أن الاقتراع عبر البريد سيؤدي إلى تزوير الانتخابات على نطاق واسع.

١ -عماد حسن: ترامب وتويتر -معركة عض الأصابع. من يصرخ أولاً؟ موقع دوتش فيليه، ٣٠ ماي ٢٠٢٠ على الرابط:

<https://bit.ly/2ASvZhz>

٢ -عماد حسن: ترامب وتويتر المرجع السابق.

وفي تغريدتيه، زعم ترامب أن بطاقات الاقتراع عبر صناديق البريد "احتياطية"، بينما وعند الضغط عليه يتم إحالة المستخدمين إلى تقارير إخبارية حول ادعاء ترامب غير المدعوم بالأدلة.

وكان موقع تويتر اتهم يوم الثلاثاء ٢٦ ماي ٢٠٢٠ للمرة الأولى ترامب بطرح معلومات كاذبة، وقال إن اثنتين من تغريدات الرئيس "لا أساس لهما من الصحة"، حيث وضعت شبكة تويتر ملصقا أسفل التغريدتين يقول "احصل على الحقائق حول بطاقات الاقتراع بالبريد"، بعد أن كتب ترامب وبدون أن يقدم أدلة أن التصويت عبر البريد سيؤدي بالضرورة إلى احتيال و"انتخابات مزورة" في الاستحقاق الانتخابي الذي أجري في نوفمبر ٢٠٢٠.

ويأتي هذا الإجراء بعد سنوات من انتقادات لشبكات التواصل الاجتماعي-التي اتهمت في أغلب الأحيان بالتساهل في التعامل مع التصريحات التي يدلي بها القادة خصوصا لرئيس الأمريكي بالترويج للمعلومات الخاطئة دون رادع.^٢

ومنذ محاولات التلاعب بالانتخابات الأمريكية عام ٢٠١٦، استثمرت فيسبوك وتويتر بشكل مكثف في مكافحة المعلومات المضللة أو المنشورات المحرصة على العنف. وكثيراً ما حظرت حسابات أو حذفت تغريدات في هذا السياق سواء يديرها أفراد أو تقف خلفها دول وأنظمة حكم، لكن ذلك لم يكن يبال تغريدات القادة السياسيين أو من لديهم حسابات موثقة، إلا أن المعركة التي يبدو أنها قد تأخرت وصلت أخيراً إلى البيت الأبيض.

أعاب ترامب على منصات التواصل الاجتماعي مساحات الحرية التي تحوزها، في وقت يرتقب ان تثير الخطوة التي أقدم عليها عدة اعتراضات قانونية خاصة و ان ترامب لجأ الى تبني القرار دون اشراك السلطة التشريعية المتمثلة في الكونغرس، ولا القضائية، لتعديل النص القانوني الذي يوفر حماية لمنصات التواصل، حيث اعتمد في قراره على إعادة تفسير قانون يعود إلى عام ١٩٩٦، يحمي مواقع الإنترنت وشركات التكنولوجيا من الدعاوى القضائية، فقد سبق على سبيل الذكر، في ٢٠١٧، أن وقفت مجموعة من القضاة الأمريكيين ضد القرار التنفيذي لترامب بشأن الحظر المؤقت لدخول مواطني سبع دول إسلامية إلى البلاد، وفي ٢٠١٩ صدر حكم قضائي يتهم الرئيس الأمريكي بانتهاك الدستور ويضع عليه بعض القيود، حينما حظر بعض مستخدمي موقع "تويتر" من متابعة حسابه، عقب إدلائهم بأراء لم تعجبه، وأيدت المحكمة أول قرار صدر في ماي ٢٠١٨ يجبر ترامب على إلغاء الحظر ومنع عشرات من متابعيه من الوصول الى حسابه الرسمي على منصة الرسائل القصيرة "تويتر".^٣

سبق وأن وقع الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب الخميس (٢٨ مايو ٢٠٢٠) أمراً تنفيذياً يهدف إلى الحد من الحماية التي تتمتع بها منصات التواصل الاجتماعي الكبرى، مثل تويتر، من الحصانة القانونية التي

١ - المواجهة بين الرئيس ومواقع التواصل. ترامب يهدد بإغلاقها وزوكربيرغ ودورسي يردان، الجزيرة نت، ٢٨ ماي ٢٠٢٠

على الرابط: <https://bit.ly/37efhoZ>

٢ - بعد أزمته مع تويتر. ترامب يهدد بـ «ضبط ووقف» مواقع التواصل الاجتماعي، شبكة CNN بالعربية، الأربعاء ٢٧ ماي ٢٠٢٠ على الرابط:

<https://cnn.it/3f21RPH>

٣ - ترامب يستأنف حكماً بمنعه من حظر متابعيه على "تويتر"، دوتش فيليه، ٢٤ أغسطس ٢٠١٩ على الرابط:

<https://bit.ly/30IGiFV>

تتمتع بها في ما يتعلق بالمحتوى والنشر. وبذلك ينفذ ترامب تهديداته بحق هذه المواقع.^١ واعتمد ترامب في هذا الأمر التنفيذي على "قانون آداب الاتصالات" الذي شرع في عام ١٩٩٦ ويمثل حجر زاوية في تنظيم الإنترنت بأمريكا، وتخضع بمقتضاه شركات التقنية العملاقة ومواقع التواصل الاجتماعي للحصانة من أي تتبع قانوني مرتبط بالمحتوى الذي تنشره جهات ثالثة، لكن يمكنها المشاركة في "الحجب لأغراض محافظة"، مثل إزالة المحتوى الفاحش أو المزعج أو العنيف.^٢ ويشير الأمر التنفيذي إلى أن هذه الحصانة القانونية لا تنطبق إذا قامت شبكة تواصل اجتماعي بتحرير محتوى نشره مستخدموها، ودعا الأمر إلى إصدار قانون من الكونغرس "لإزالة أو تغيير" القسم ٢٣٠. وأنه "في بلد طالما اعتز بحرية التعبير، لا يمكننا السماح لعدد محدود من منصات الإنترنت باختيار الخطاب الذي يمكن للأمريكيين الوصول إليه ونقله عبر الإنترنت..." "هذه ممارسة غير أمريكية ومعادية للديمقراطية في الأساس. وعندما تمارس شركات وسائل التواصل الاجتماعي الكبيرة والقوية الرقابة على آراء تخالف رأيها، فإنها تمارس قوة خطيرة".

ويتهم الأمر التنفيذي مواقع التواصل الاجتماعي بأنها "تتذرع بمبررات لا منطقية ولا أساس لها، لفرض الرقابة أو معاقبة خطاب الأمريكيين"... كما تعيب المذكرة على شركة غوغل على سبيل المثال "مساعدة الحكومة الصينية في مراقبة مواطنيها" كما تتهم موقع تويتر بنشر الدعاية الصينية وبأن فيسبوك يستفيد من الإعلانات الصينية.

هل يمكن للرئيس أن يأمر لجنة التجارة الفيدرالية ولجنة الاتصالات الفيدرالية باتخاذ إجراءات معينة؟

- عادة يضع الرئيس سياسة الفرع التنفيذي من الحكومة الفيدرالية ويقرر بشكل عام الإجراءات التي يجب اتخاذها والسياسات الواجب اتباعها، ومع ذلك فقد تم تصنيف بعض الوكالات من قبل الكونجرس على أنها "وكالات مستقلة".

- تعد كل من لجنة الاتصالات الفيدرالية ولجنة التجارة الفيدرالية وكالات مستقلة، والتي من المفترض أن تتمتع ببعض الاستقلال عن الرئيس بموجب القانون، وليس عليهم بالضرورة تنفيذ الإجراءات التي طلبها "ترامب".

وضع موقع التواصل الاجتماعي "تويتر"، الثلاثاء ٢٣ يونيو/حزيران ٢٠٢٠، علامة "تحذير" جديدة على تغريدة للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، بدعوى أنه استعمل عبارات تشجع على العنف، بعد أن هدد الراغبين في "إقامة منطقة حكم ذاتي" في واشنطن برد عنيف وجدي، وهي التغريدة الرابعة التي حجبها "تويتر" من تغريدات الرئيس الأمريكي.

تغريدة الرئيس الأمريكي حملت عبارات شديدة اللهجة، يحذر فيها كل من له رغبة في إقامة منطقة تتمتع بحكم ذاتي في العاصمة واشنطن؛ إذ غرد ترامب قائلا: "هذا لن يكون ممكناً ما دمت أنا الرئيس، سنواجه من

^١ -David Smith, Trump signs executive order to narrow protections for social media platforms, The Guardian, Fri 29 May 2020, available at: <https://bit.ly/3hdghyD>

^٢ -Anshu Siripurapu, Trump's Executive Order: What to Know About Section 230, Council on Foreign Relations, June 4, 2020, available at: <https://on.cfr.org/2YhKvI5>

^٣ -دونالد ترامب يوقع أمراً تنفيذياً يستهدف مواقع التواصل الاجتماعي، هيئة الإذاعة البريطانية BBC، ٢٩ ماي ٢٠٢٠ على الرابط: <https://bbc.in/2MCencJ>

يحاولون عمل هذا بقوة^١." أوضحت الشركة أنه على الرغم من أن التغريدة قد خرقت قواعدها، فإنها "ستبقى في الخدمة نظراً لصلتها بالمحادثات العامة الجارية."

في الوقت الذي حُجبت فيه تويتر تغريدة الرئيس، فإن الأخير توجه صوب فايسبوك وأعاد نشر تدوينته "التهديدية" من جديد، في الوقت الذي لم يحدد فيه فايسبوك هو الآخر موقفه من كلام الرئيس. وإذا ما تم تفعيل هذا القانون فإن مواقع مثل تويتر وفايسبوك سوف تصبح عرضة للمساءلة القانونية ولمزيد من القيود الحكومية. فترامب الغاضب من موقع تويتر تحديداً إن هناك حاجة للتنظيم لأن هذه الشركات لم تعد منتديات محايدة بل تنخرط في "نشاطات سياسية".

ترامب الذي وظف منصات التواصل الاجتماعي لتمرير رسائله ضدها، تكلم باسم الجمهوريين، منتقداً توجهات الرأي في منصات التواصل الاجتماعي، على خلفية صدام جديد يدخله بعد أن خاض سجلاً طويلاً مع وسائل الإعلام الأمريكية، التي اتهمها سابقاً بالانحياز، كما اعترض على التصويت عبر هذه المنصات، معتبراً أنه لا يمكن السماح لبطاقات الاقتراع بالتجذر، لأنها ستكون متاحة بالمجان للجميع لممارسة الغش والتزوير.

ومنذ توليه الرئاسة وظف ترامب وسائل التواصل الاجتماعي، لتمرير قراراته وإيصال رسائله المختلفة، إلى حد اعتبار المراقبون أن هذا الفضاء تحول إلى مدفع بيد ترامب، يطلق منه النيران على خصومه المحتملين، مشيرين إلى الكيفية التي أعاد من خلالها ترامب تشكيل الرئاسة، عبر أكثر من ١١ ألف تغريدة على تويتر، فطوال السنوات الماضية اعتمد على التغريدات في اتخاذ كثير من القرارات المصيرية، وهو الآن يتجه إلى تشديد قبضته عليها، قبل أسابيع من موعد انتخابات حاسمة.

ويبقى السؤال هل ستقود مواقع التواصل الاجتماعي عبر شبكة الانترنت أداة من أدوات الحرب بين الدول في المستقبل؟ وهل هي قادرة على الإطاحة بالرؤساء وتغيير الحكومات؟ وخاصة بعدما اخترقت الشبكة المعلوماتية (الانترنت) كل الوثائق السرية ونشرها عبر موقع مثلاً (ويكيليكس) ومن ثم تم نشرها فيما بعد على مواقع التواصل الاجتماعي !!؟؟

خامساً: الفواعل العنيفة من غير الدول

أحدثت التطورات في البيئة الدولية تراجع محورية الدولة في تفاعلات النظام الدولي مقابل بروز بيئة عبر قومية أسست لمجتمع عالمي تصنع تفاعلاته فواعل غير دولية إلى جانب الدولة، بما جعل السياسة العالمية أشبه بخشبة مسرح - كما عبر عن ذلك جوزيف ناي - Joseph Nye لم تعد الدولة الصانع الوحيد لهذه السياسة، وإنما بات يشاركها الدور فواعل أخرى من غيرها، والتي تنوعت مجالات نشاطاتها، لتشمل الجانب الاقتصادي والسياسي والقانوني والاجتماعي وحتى العسكري.

وتعرفهم الباحثة إيمان رجب على أنهم "الجماعات أو المنظمات التي تتمتع بعدد من السمات، وتتمثل في: الاستقلال التام أو بدرجة كبيرة عن تمويل الحكومة المركزية التي تعمل على أرضها، وامتلاك موارد خاصة بها، ولها هوية متميزة، ولها سياسة خارجية مستقلة عن سياسات الدولة التي تنتمي إليها، سواء عن

^١ -توعد الراغبين في حكم ذاتي بواشنطن.. تويتر يحجب تغريدة ترامب للمرة الرابعة بعد تهديده للأمريكيين، عربي بوست،

<https://bit.ly/31oblBx>

٢٤ يونيو ٢٠٢٠، على الرابط:

قصد أو غير قصد، وسواء كان ذلك غاية للمنظمة أو أحد أبعاد أنشطته^١ بينما التعريف الاصطلاحي للفاعلين العنيفين من غير الدول: الجماعات أو التنظيمات التي تلجأ إلى استخدام أدوات العنف المادي والنفسي بطريقة جماعية، من أجل تحقيق غايات معينة، ولا تنتمي لأجهزة الدولة الرسمية^٢ —يشير إلى أي المنظمات أو الجماعات المسلحة التي تتبنى العنف غير الشرعي لتحقيق أهدافها، وبالتالي تتحدى احتكار العنف للدولة). هي الجماعات المسلحة من الفاعلين من غير الدول التي لا تتمتع بالشرعية، وتخل بنظام الأمن، وتثير اضطرابات سياسية، وصراعات عنيفة. وأنواعها هي و: المجرمون، والمرتزقة، والمتمردون والإرهابيون، وأمرأ الحرب^٣. تلعب الفواعل العنيفة من غير الدول دورا في الحالات الصراعية هاما، وهي أحد أنواع الفواعل من غير الدول التي تختلف فيما بينها على بناء بعض المعايير المحددة مثل: المعيار المدعم لنشاط الفاعل، ومعيار حيز نشاطه، أما الفواعل العنيفة من غير الدول فتتمثل في أنواع مختلفة منها: أمرأ الحرب، الميلشيات، القوات شبه العسكرية، حركات التمرد، المنظمات الإرهابية. ولفهم تنظيمات الفاعلين العنيفين وتحركاتها يجب التركيز على:

- الدافع والغرض منها. من المهم أن نعرف دافع ومحفز هؤلاء الفاعلين، لفهم أهدافهم والنظر في وسائلهم التي تسعى من خلالها لتحقيق هذه الأهداف.
- القوة والنطاق. لم يتم إنشاء جميع VNSA على قدم المساواة من حيث القدرات والنطاق فبعضها صغير نسبيا وتعمل في منطقة جغرافية صغيرة ومقيدة، بينما يعمل الآخرون على نطاق أوسع عبر الحدود الوطنية. أي أنها تمتد من المحلي إلى الوطني إلى عبر الوطنية.
- والطرق التي تحصل من خلالها على التمويل أو الوصول إلى الموارد. في كثير من الحالات، هناك أكثر من وسيلة لتحقيق الغاية واكتساب الثروة والذي يتطلب دراسة علاقتهم “غير المشروعة” بالاقتصاد على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية.
- الهيكل التنظيمي. لا يوجد هيكل موحد لـ VNSA فبعضها هرمية ومركزية، البعض الآخر على شكل شبكات غير مركزية. وبعضها هجين من تلك وذاك، وعلاوة على ذلك، الهياكل التنظيمية ليست ثابتة. تتكيف وتتغير مع مرور الوقت تأقلا مع الفرص والمعوقات.
- العلاقة بين VNSAs والدولة: في كثير من الحالات، تكون العلاقة قائمة على العداء. ومن هنا تبرز خطورة هؤلاء الفاعلين وضرورة مواجهتهم.

وقد أصبحت النزاعات المسلحة التي تحدث في عالمنا اليوم تتضمن عنصر على الأقل من عناصر الفواعل من غير الدول، وهذا مكن أهميتها في الدراسات والأبحاث المستقبلية في مجال السياسات والعلاقات الدولية؛

^١ - إيمان رجب، ” اللاعبون الجدد: أنماط وأدوار الفاعلين من غير الدول في المنطقة العربية “، السياسة الدولية، العدد ١٨٧، (٢٠١٢)، على الرابط التالي: <http://digital.ahram.org.eg/>

^٢ إيمان رجب، ” القوة المنافسة: مداخل تحليل الفاعلين العنيفين من غير الدول في المراحل الانتقالية “، السياسة الدولية، العدد ١٨٩، (يوليو ٢٠١٢).

^٣ - رضوى عمار، ” جدل العلاقة بين الفاعلين المسلحين من غير الدول واستقرار الدولة “، السياسة الدولية، ٢٠١٣، متاح على: <http://www.siyassa.org.eg/NewsQ/3441.aspx>

إلا أن دراسة الفواعل العنيفة من غير الدول بشكل عام ل تتلاءم مع النماذج التقليدية للعلاقات الدولية القائمة على مركزية الدولة، فإن الدولة – من الناحية القانونية – هي آلية إنفاذ المعاهدات الدولية دون الفواعل من غير الدول التي يمكنها أن تتفاوض أو تصبح طرفاً فيها، وينصب تركيز العلماء في هذا الإطار على الفواعل العنيفة من غير الدول أو المجموعات ذات الدوافع السياسية التي لا تعتمد على أهداف خاصة، بالرغم من عدم وضوح أجندتهم السياسية أو متطلبات سياسية واضحة، ويطلق غالباً عليهم اسم (المجموعات المسلحة من غير الدول)^١، في حين يستخدم آخرون (العناصر المتمردة أو المتمردين)، وتختلف الفواعل العنيفة من غير الدول فيما بينها من حيث الأهداف السياسية ومدى وضوحها، وقد يسيطر البعض منهم على الأراضي، وينشئوا هياكل إدارية موازية لهياكل الدولة أو عوضاً عنها، في حين أن البعض الآخر يعتمد على هياكل ضعيفة في سيطرتها على الأعضاء، فمنهم من يدعو أعضائهم للانضمام إليهم إما بالقوة أم طوعية، كما يختلفون في غرضهم باستهداف مناطق ريفية أم حضرية أو أهداف عسكرية أم مدنية.^٢

ويبدو أن مسارات الكوكبة العالمية باتجاه تحييد دور الدولة، وفقدان احتكارها القومي ودخول مرحلة يكون فيها دور اللاعبين الخارجيين ذا أثر محدود في حين تزداد أهمية القوى المحلية حتى تصبح الفواعل من غير الدول (Non – State Actor) التي رسمها ريتشارد هاس، وصعود أنماط القوى الإقليمية، والمنظمات الدولية، والإقليمية، والمنظمات الوظيفية، ووسائل الإعلام العالمية، والشركات المتعددة الجنسيات، ومنظمات مثل حزب الله وحماس؛ لذا يحق تسميته قرن الفاعلين من غير الدول. ولأن الفواعل من غير الدول تعني ظهور جماعات، أو تشكيلات منظمة تقوم بوظائف كانت جزءاً من اختصاص الدولة سواء النظام، أم الأمن

على أية حال فإن ظاهرة تشكيل جيوش رديفة للجيش النظامية ليست وليدة اليوم، ومن يطالع عجلة تاريخ العالم يجد أن محطاتها سبق أن عاشت تجربة الجيش الرديفة بمسميات مختلفة، لكنها تحمل اسماً ومعنى واحداً بأبعاد مختلفة في الحالات التي تحتاج فيها تلك الدول إلى التعبئة الجماهيرية لمواجهة الأخطار. تختلف دائرة نشاطات الفواعل المسلحة من غير الدول، حسب قدراتها وإمكاناتها وأهدافها؛ فهناك فواعل تطمح لتخريب الأمن والاستقرار الداخلي أو إسقاط الدولة أو الحصول على الحكم الذاتي، مثل حركة “النيجريين من أجل العدالة” في شمال النيجر، أو “جبهة النصرة” في سوريا، و”كتائب الثوار” في ليبيا. وقد يتجاوز تأثير الفواعل إلى الدائرة الإقليمية؛ مثل منظمة “بوكو حرام” أو “حزب الله اللبناني” أو تنظيم “داعش” و”الحوثيين” في اليمن، وأحياناً تعمل الفواعل في النطاق العالمي؛ مثل نشاطات تنظيم القاعدة التي شملت شبكة واسعة، وهددت الأمن والاستقرار العالمي بشكل كبير.

يمكن تصنيف الفواعل العنيفة من غير الدول، بشكل أوضح، إلى عدة أقسام رئيسية :
أولاً، **أمرأء الحرب**: وهم عبارة عن شخصيات يمتلكون خبرة عسكرية، ويلجأون إلى القوة والعنف لتحقيق أهدافهم، ولديهم قدرة على إدارة جماعة مسلحة، وهم يحققون الأرباح من خلال استمرار النزاع والصراعات.

^١ - مثلاً تنظيم القاعدة- الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش)- جماعة الحوثي باليمن....

^٢ Geneva Call, "Armed Non-State Actors: Current Trends & Future Challenges", DCAF, Paper –

ثانياً، الميليشيات: وهي جماعات مسلحة غير نظامية تستغل ضعف الدولة، وتسعى لكسب الموارد والأموال والسلطة والسيطرة، ويمكن أن تمثل جماعات عرقية أو دينية أو مذهبية أو طائفية؛ مثل الميليشيات في العراق وسوريا وليبيا.

في هذا الإطار، انتشرت الميليشيات المسلحة على نطاق واسع في المنطقة، استناداً إلى العوامل التالية:^١
١ - عودة العناصر المسلحة - خاصة الأفغان العرب - إلى الوطن الأم أو لدول الجوار، بعد انحسار وتراجع دورها في أفغانستان وباكستان، ربما مع تشجيع من بعض المؤسسات الأمنية الغربية، لإبعادها عن المسرح الأوروبي والأمريكي، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وساعد ذلك صعود التيار الديني في معظم دول الإقليم.

٢ - ظهور ملامح تفكك أو عدم سيطرة الدولة المركزية في بعض مناطق الإقليم، خاصة الجزائر بعد عام ١٩٩٠، والعراق بعد عام ٢٠٠٣، ثم نتائج موجة الثورات العربية في سوريا وليبيا واليمن، مع انتظارنا ما يسفر عنه المستقبل في بلدان أخرى خاصة لبنان.

٣ - زيادة التناحر القبلي والإثني والديني والطائفي، مع توسيع تلك النعرات من الخارج، وارتفاع صوت الفكر المتشدد لبعض الإسلاميين، بأعلى من صوت الفكر الوسطي المعتدل في بعض مناطق الإقليم، واستغلاله الميول الدينية للشباب، وتوجيهها نحو التكفير أو أوهاام الخلافة.

٤ - تداعي الحدود بين دول الإقليم (وسيوالتها)، مع تمدد ظاهرة الجماعات المسلحة العابرة للحدود، من جنسيات مختلفة، مما يصعب من تعقب أفرادها وقياداتها، كما أدى ذلك إلى تزايد ظاهرة المقاتلين الأجانب الذين يأتون إلى المنطقة لأسباب مختلفة.

٥ - يساعد الدعم المالي والتسليحي والمادي من بعض دول الإقليم، إلى استمرار تصاعد العنف واستدامته.

٦ - تعثر التيارات الإسلامية في تجربة الحكم، وسقوط بعضها، مما دعاها إلى دعم الأعمال الإرهابية تحت مسمى "الجهاد" ضد السلطة، بأعمال إرهابية (بدائية)، ولكنها قابلة للتطور مستقبلاً.

٧ - زيادة الخلل في الشارع العربي، مع إمكانية دخول شرائح مجتمعية جديدة إلى دائرة الإرهاب والعنف مثل (الفئات المهمشة - دعاة الفوضى - الثوار المحترفين)، وهو ما بدأ بالتجمعات الاحتجاجية وتصاعدها، لتكون مؤهلة إلى الخطوة التالية في سلم العنف.^٢

ثالثاً، القوات شبه العسكرية أو التشكيلات العسكرية الموازية: وهي تشكيلات وجماعات مسلحة؛ مثل قوات الدفاع الذاتي في كولومبيا.

رابعاً، حركات التمرد: حسب منظمة الدفاع الأمريكية؛ فهي حركة منظمة تهدف إلى الإطاحة بحكومة خلال الصراعات السياسية المسلحة، وهدفها الاستيلاء على السلطة بقيام الثورة؛ مثل حركة (فارك) في كولومبيا.

خامساً، المنظمات الإرهابية: وهي المنظمات التي تستخدم العنف بشكل عشوائي لتحقيق أهدافها السياسية أو الأيديولوجية أو الاقتصادية؛ مثل منظمة إيتا الإسبانية وتنظيم داعش.

من البديهي أن هناك أسباباً وعوامل داخلية وخارجية تسهم في تشكيل البيئة المناسبة لظهور الفواعل العنيفة من غير الدول؛ ومن أهم هذه الأسباب المشكلات السياسية والاقتصادية، والانقسام الطبقي في المجتمع والإدارة الخاطئة التي تؤدي إلى إحداث شرخ بين شريحة من المواطنين والنظام السياسي؛ مما يؤدي إلى

^١ - محمد قشقوش: الميليشيات المسلحة: انتشار "القوات غير النظامية" بالمنطقة العربية، موقع المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة، الاثنين ٠٧ أكتوبر ٢٠١٤، على الرابط: <https://bit.ly/3DB58RT>

^٢ - محمد قشقوش: الميليشيات... المرجع السابق.

تعزيز شعور هذه الشريحة بالمظلومية والتفكير في الانتقال من الدولة عن طريق اللجوء إلى العنف، كما أن التدخلات الخارجية والحروب بالوكالة أسهمت في تقوية هذه الفواعل، وزيادة نفوذها عن طريق الدعم الخارجي؛ حيث تحاول بعض الدول استغلال المشكلات الداخلية، ودعم بعض الجماعات الأيديولوجية عن طريق السلاح والمال، وتوفير التدريب والاستشارات، حتى يخلقوا الفوضى ويزعزعو الاستقرار في دولهم.

سادساً: الإنترنت كقوة فاعلة في النظام العالمي

إن الشيء الوحيد الذي يجب ألا يغيب عن بالنا ونحن نتحدث عن الفضاء الإلكتروني (Cyberspace) والسياسة الدولية هي أن شبكة الإنترنت قد أحدثت تغيرات جوهرية وصادمة في مفهوم القوة. إن محور السياسة الدولية هو القوة من حيث آليات اكتسابها وتعظيمها، وإستراتيجيات توظيفها في الاتجاه الذي يصب في نهاية المطاف في صالح الطرف الفاعل على المسرح السياسي. وبعيداً عن الجدل حول ماهية هذا الفاعل أكان دولة أو شركة عابرة للحدود أو منظمة دولية أو حتى الفرد، فإن الكل يبحث عن مصادر القوة والتأثير ومن ثم النفوذ والهيمنة. وعندما كان الإنترنت واحداً من أهم الآليات الحديثة في اكتساب القوة، تسابق اللاعبون كافة لاكتسابها، وتوظيفها وفق إستراتيجيات مختلفة وخلاقة من أجل تعزيز مصالحهم الشخصية والقومية. ومن هنا برز السؤال حول ما هو الأثر الذي أحدثته شبكة الإنترنت والفضاء الإلكتروني بمفهوم القوة من ثم القدرة على التأثير؟^١

بفضل ثورة التكنولوجيا والاتصالات، وظهور الفضاء الإلكتروني طرأت تحولات جديدة على مفهوم القوة، وظهر على الساحة مفهوم جديد أطلق عليه جوزيف ناي القوة الإلكترونية والتي أدت إلى توزيع القوة بين عدد أكبر من الفاعلين من غير الدول -بما فيهم الفاعلين العنيفين- والأفراد، وذلك بعد أن كانت الدولة هي المحتكر الوحيد للقوة، مما جعل قدرة الدولة على الهيمنة على هذا المجال موضع شك، خاصة مع زيادة تأثير الفاعلين من غير الدول على السياسة على المستوى الداخلي والدولي.

أصبح الفضاء الإلكتروني أداة فعالة في التأثير في النظام الدولي، وأصبحت مسألة "أمن الفضاء الإلكتروني" مسألة مهمة على أجندة الأمن الدولي. خوفاً من تعرض المصالح الاستراتيجية ذات الطبيعة الإلكترونية إلى ساحة الصراع الدولي.

وفرض واقع الفضاء الإلكتروني إعادة تعريف لبعض المفاهيم المهمة: مثل الأمن والصراع والقوة. فبدأ الاهتمام المتصاعد بالفضاء الإلكتروني كتهديد أمني بعد أحداث ١١ سبتمبر، وفي ٢٠٠٧ في الصراع بين روسيا وأستونيا وفي ٢٠١١ لما ساعدت مواقع التواصل الاجتماعي على قيام الثورات في المنطقة العربية. بجانب زيادة عدد مشتركى الشبكات الاجتماعية إلى ٢,٤ مليار، بالإضافة إلى ٥,٩ مليار مستخدم للمحمول^٢.

كما أن استخدام الفضاء الإلكتروني يعد متاحاً للفاعلين من غير الدول، والذي أثر على سيادة الدولة وتحول الصراع إلى صراع إلكتروني والذي يتميز بأن له "طاقة تدميرية لا تصاحبها دماء وأشلاء بالضرورة، وهو يقوم على التجسس، والتسلل، ثم النفس، أي تدمير المواقع على الإنترنت، وقصفها بوابل من الفيروسات، للنيل من سلامتها". ومن ثم أصبح تأمين الفضاء الإلكتروني جزءاً لا يتجزأ من إستراتيجيات الأمن القومي للعديد من الدول، فقامت بعضها بإنشاء هيئات لمواجهة الطوارئ المعلوماتية الإلكترونية، وقيادات عسكرية

^١ - نبيل عودة: "تفاعل الإنترنت" .. وتوازن القوى الدولي، مدونات الجزيرة، ٢٠١٧/١٢/٢، على الرابط الإلكتروني:

^٢ - عادل عبد الصادق، " القوة الإلكترونية: أسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الإلكتروني، السياسة الدولية، العدد ١٨٨، أبريل

لحماية الفضاء الإلكتروني، وأطلقت منظمات حكومية وغير حكومية كثير من المبادرات مثل: الاتحاد الدولي للاتصالات، ومبادرة الاتحاد الأوروبي للأمن الإلكتروني. هناك عدة عوامل ساعدت في تشكيل السيادة الافتراضية:

- تطور عمليات التنصت، بحيث لا تقتصر على عملية رصد محتوى الرسائل بين طرفين فقط، وإنما تتعدى إلى تعديل ذلك المحتوى، وإعادة توجيهه بما يتلاءم مع مصالح الجهة المتنصتة.
- "البقعة"، حيث يتخيل المؤلفان أنه إذا قررت مجموعة من الدولة الإسلامية ذات الأغلبية السنية أن تؤسس "شبكة سنية" لتكون جزءا من شبكة الإنترنت، وتصبح المصدر الرئيسي للمعلومات، والأخبار، والتاريخ، وأنشطة مواطني هذه البلدان، فإنه بذلك سيكون استخدام الإنترنت في هذه البلدان مقتصرًا على وجهة نظر ضيقة، تلك التي تبثها الشبكة الجديدة.
- انتشار الطائرات بدون طيار المزودة بالكاميرات، والتي ستقود بلا شك إلى انتهاك خصوصية الأفراد في مجتمعاتهم، حيث ستكون جميع المناطق وتحركات الأفراد مراقبة ومرصودة، وهو ما قد يدفع العالم إلى تأسيس ما يسمى "المناطق الآمنة" التي يتطلب التصوير بها إذن الأشخاص المعنيين.^١
- ظهور ما يسمى بـ "طالبي اللجوء بسبب الإنترنت"، حيث في ظل النظم السياسية الاستبدادية التي تعمل على تحجيم حركة المعلومات واستخدام الإنترنت، قد يقوم بعض النشطاء بتقديم طلبات للجوء، والانتقال إلى بلدان أخرى، يستطيعون داخلها استخدام شبكة الإنترنت بحرية تامة.
- "الاتحاد السبيراني للدول الاستبدادية"، حيث يمكن أن تقوم تلك الدول الاستبدادية المنبوذة من قبل المجتمع الدولي، مثل روسيا البيضاء، وإريتريا، وزيمبابوي، وكوريا الشمالية، بتأسيس اتحاد إلكتروني خاص بها تتداول من خلاله استراتيجيات الرقابة والرصد.
- "السيادة الافتراضية والدولية"، وهي فرصة قد يتصدر لها أولئك المطاردون في العالمين المادي والافتراضي، والجماعات ذات القومية والثقافة الواحدة، والتي تفقد وجود دولة رسمية تشملهم، حيث يمكنهم تأسيس شبكة إلكترونية تجمعهم في العالم الافتراضي، يمارسون من خلالها نوعا من السيادة الافتراضية، وهو الأمر الذي ربما يكون له تأثير في اتجاه التأسيس الفعلي لدولتهم، مثل تأسيس الشبكة الكردية لأكراد سوريا، والعراق، وتركيا، وإيران كنوع من الاستقلال الظاهري.
- "السلطة التقديرية"، تلك التي سوف تمتلكها منظمات مثل "ويكيليكس"، خاصة في ضوء توقع بروز العديد من المنظمات، مثل ويكيليكس، في التعامل مع البيانات والمعلومات التي تمتلكها، فتحدد متى تتم إذاعة تلك المعلومات، ومتى يتم إخفاؤها، وذلك بغض النظر عن الأضرار التي قد تلحق بأفراد أبرياء نتيجة ذلك.
- انتشار الإرهاب الإلكتروني، حيث ستعتمد الدول والجماعات الإرهابية إلى الاستفادة من تكتيكات الحرب السبيرانية، حيث ستعتمد الهجمات من هذا النوع على سرقة الأسرار التجارية، والحصول على المعلومات السرية، واختراق الأنظمة الحكومية للدول، ونشر المعلومات المضللة.^٢
- تعاظم فرص الدول الصغيرة على مستوى السياسة الخارجية، حيث يذهب المؤلفان إلى أن امتلاك القوة في العالم المادي لا يمثل ضمانا لامتلاك القوة في العالم الافتراضي، وهو ما يمثل فرصا للدول الصغيرة التي

^١- محمد مسعد العربي، العصر الرقمي الجديد .. إعادة تشكيل مستقبل الأفراد والأمم والأعمال، مجلة السياسة الدولية،

٢٠١٤/١٢/٠٧، متاح على الرابط:

<http://www.siyassa.org/News/5025.aspx>

^٢- محمد مسعد العربي، العصر الرقمي الجديد... المرجع السابق.

تمتلك الشجاعة، وتبحث عن دور يتجاوز وزنها في العلاقات الدولية، وذلك من خلال استغلالها لتلك التناقضات التي قد تعترى سياسات الدول الكبرى ما بين العالمين المادي والاقتصادي علي مستوى السياستين الداخلية والخارجية.

يجادل مقال باراخ خانا هنا كلاً من إيان بريمر الذي انتصر لسيادة الشركات التكنولوجية، وستيفن والت الذي انتصر للدولة القومية، لي طرح رؤية ثالثة تمنح "شبكة الإنترنت" نفسها، السيادة على كل من شركات التكنولوجيا والدولة القومية، بما تمتلكه تلك الشبكة من بروتوكولات حاكمية وقواعد مهيمنة تفرض شروطها على جميع الفاعلين، معزراً رؤيته على النحو التالي:

1- "الإنترنت" عصب شركات التكنولوجيا والدولة القومية: أكد عالم السياسة الأمريكي "إيان بريمر" أن شركات التكنولوجيا الكبرى ستعيد تشكيل النظام العالمي، في حين رأى نظيره، "ستيفن والت"، أن الدول ستظل هي المهيمنة. ولكن في هذا المقال، أخذ الخبير الاستراتيجي الأمريكي المتخصص في الجغرافيا السياسية والعولمة، والشريك الإداري لشركة "فيوتشر ماب" Future Map - لتقديم الاستشارات الاستراتيجية، "باراج خانا"، بوجهة نظر ثالثة، مفادها أن التكنولوجيا بالفعل لم تغير النظام العالمي فحسب، بل إنها تغير أيضاً طبيعة الشركات والدول نفسها.

2- تشكيل "بروتوكولات" الإنترنت للعالم المادي المعاصر: تعتبر وجهة نظر "باراج خانا" صحيحة لعدة أسباب؛ ربما يكون أهمها ظهور بروتوكولات العملات الرقمية المشفرة اللامركزية -مثل "بتكوين - Bitcoin" و"إيثريوم - Ethereum" - التي لا تخضع لسيطرة الدول أو الشركات. صحيح أنه يُحسب لـ"بريمر" ذكر تلك البروتوكولات اللامركزية بالفعل، لكنه لا يزال يقلل من أهميتها. فهناك العديد من نقاط الضعف التكنولوجية العالمية التي ناقشها "بريمر" و"الت"، تمت معالجتها من خلال إدخال بروتوكولات التشفير، التي يمكنها حماية الممتلكات وتنفيذ العقود خارج حدود الدول القومية التقليدية. ومع ذلك، يتجاوز تحدي التكنولوجيا للجغرافيا السياسية التقليدية، بروتوكولات التشفير وشركات التكنولوجيا وحتى الفضاء الرقمي نفسه؛ حيث بدأ في إعادة تشكيل العالم المادي.

3- مساس "الإنترنت" بنظريات الجغرافيا التقليدية السائدة: تهتم الجغرافيا السياسية التقليدية لمدرسة "ماكيندر" البريطانية للفكر الجيوبوليتيكي؛ بالموقع الأبدى للقوى الإقليمية؛ حيث قد يكون لروسيا واليابان - على سبيل المثال- أيدولوجيات مختلفة بمرور الوقت، لكن جغرافيتهما تظل ثابتة. ولكن، يضيف الإنترنت بُعداً جديداً لذلك؛ فالمسألة ليست مجرد مجموعة من البيانات تسمح بالتمكين والمنافسة، بل هي نوع جديد من الجغرافيا قابلة للمقارنة في نطاقها مع العالم المادي¹.

خاتمة:

لقد أدت التطورات التي حصلت في البيئة الدولية إلى تراجع محورية الدولة في تفاعلات النظام الدولي، في مقابل بروز بيئة عبر قومية أسست لمجتمع عالمي تصنع تفاعلاته فواعل غير دولانية إلى جانب الدولانية، بما جعل السياسة العالمية أشبه بخشبة مسرح -على حد تعبير جوزيف ناي- لم تعد الدولة القومية الصانع الوحيد لهذه السياسة وإنما بات يشاركها الدور فواعل أخرى من غيرها والتي تنوعت مجالات نشاطاتها لتشمل الجوانب الاقتصادية، السياسية، القانونية، الاجتماعية وحتى العسكرية.

¹ -Parag Khanna and Balaji S. Srinivasan, Great Protocol Politics, **Foreign Policy**, December 11, 2021, accessible at: <https://foreignpolicy.com/2021/12/11/bitcoin-ethereum-cryptocurrency-web3-great-protocol-politics/>

المشاهد المستقبلية لمسارات التحولات العالمية

ا.د. حيدر علي حسين

كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

مقدمة :

تشير التحولات العالمية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى عدد من الآفاق التي تستند إلى تحليل معمق للمعطيات الراهنة وامتداداتها المحتملة استنادا إلى مناهج تجمع بين الخيارات المختلفة للرؤية والتحليل. ويمكن رصد بعض التحولات الدولية ذات الدلالة وهي محددة بمسارات معينة . لذا فان لهذا البحث اهمية كبيرة تكمن في تناوله للعوامل التي ستضع بصماتها على العالم خلال العقد المقبلين، وفي مقدمها انتشار وباء كورونا بعده "أخطر اضطراب عالمي منذ الحرب العالمية الثانية" وصعوبة السيطرة عليه، وكذا التغيرات المناخية وشيخوخة السكان في الدول الصناعية الكبرى بما فيها الصين، والأزمات المالية وخطورة الانقسات نتيجة التطور المذهل في التقنيات ووسائل التواصل والاتصالات، ودخول لاعبين جدد وكيانات غير حكومية إما في النطاق الإقليمي أو على المستوى الدولي.

ينطلق البحث من افتراض وجود تحولات كبيرة على المستوى العالمي ستنتج عن احتدام التنافس على النفوذ وبلوغه أعلى مستوى منذ ، مما سينتج عنه بيئة جيوسياسية مضطربة تصارعية تسهم في اعادة ترتيب القطبية والقوة ومكانة الدولة ونمطية التحديات التي تواجهها .

في حين ان الاشكالية الاساسية للبحث تتمثل في مدى الارتباط المتحقق من حدوث التحولات العالمية بأنماطها ومستوياتها والتحديات التي ستواجه الدولة والتي ستكون بنمطية مختلفة .

المحور الاول : الاتجاهات الاساسية للتحولات العالمية الراهنة ..

لابد اولا ان تضع الدراسة المسار الاساس للاتجاهات التي تتخذها التحولات العالمية الراهنة ، فهي لا تتبع من فراغ وانما تسببها جملة عوامل ومتغيرات تؤثر فيها ، فتحدد هذه الاتجاهات تعني وضع التقسيمات التي ستكون بنية المجتمع الدولي السياسية والاقتصادية والديموغرافية والتكنولوجية، فضلا عن تحديد المتغيرات الرئيسية الفاعلة والمؤثرة في تحديد المسارات التي تأخذها الاتجاهات. ومن خلال تتبع هذه الاتجاهات يتضح وجود أربع مسارات في هذا الموضوع

المسار الاول :

تأثير متصاعد ومهم على المستوى الفردي في النظام العالمي : اي التمكين الذي سينعكس على حدود مكانة وقوة الدولة كمؤسسة تظم الافراد ويستند هذا الاتجاه على افتراضات اساسية وهي تزايد في حجم الطبقة

الوسطى وتحسن التحصيل العلمي لنسبة أكبر من سكان العالم، وينشأ عن ذلك اتساع قاعدة مستخدمي تكنولوجيا الاتصالات، وامتلاك القدرة على أحداث تغييرات في بنية العمل^١

المسار الثاني :

توزيع انتشار القوة بين عدد من الاطراف : اي عدم وجود قوة دولية مهيمنة في النظام الدولي فعلى الأرجح أن يميل الوضع الدولي نحو نوع من التحالفات بين قوى مختلفة، تمهيداً لنظام دولي بصيغة متعددة الأقطاب^٢.

المسار الثالث :

التحول المهم والممتد يتمثل في تراجع معدلات النمو الاقتصادي مع ارتفاع كثافة السكان^٣.

المسار الرابع :

اتجاه عالمي نحو اتساع حجم الطلب على الموارد بالتزامن مع ارتفاع اعداد السكان مما سيؤثر على وفرة المصادر وبخاصة ازدياد الطلب على المياه^٤.

هذه بأختصار اهم الرؤى المتكونة حول مسارات التحولات العالمية التي تتفاعل لتنتج انماط من التحديات التي ستواجه الدولة مما يتطلب التركيز عليها ودراسة انواع العناصر المؤثرة في دينامية التحولات العالمية .

المحور الثاني : المتغيرات المؤثرة في حركية التحولات العالمية

كما اشرنا، فإن هذه التحولات لم ولن تأتي من فراغ، ولم تكن وليدة الصدفة فهي فاعلة وقائمة ولها ابعاد مستقبلية، فهناك متغيرات مهمة تعد الأكثر تأثيراً على حركية التحولات العالمية ويمكن تصنيفها الى :

المتغير الاول

^١ وليد عبد الحي ، الاتجاهات العالمية ٢٠٣٠: سيناريوهات الاستخبارات الأمريكية،

<https://studies.aljazeera.net/ar/bookrevision/2013/03/2013325151912299122.html#:~:text=%D8%A>

^٢ محمد ياس خضير الصين ومستقبل النظام السياسي الدولي، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، بتاريخ ١٣/١/٢٠٢٠، متاح على موقع www.pplitics-dz.com

^٣ ينظر ، فيليب إنغلر، ومارغو ماكdonald، وروبرتو بياتسا، وغالين شير، الهجرة إلى الاقتصادات المتقدمة يمكن أن ترفع معدلات النمو، صندوق النقد الدولي ، <https://www.imf.org/ar/News/Articles/2020/06/19/blog-weo-chapter4-migration-to-advanced-economies-can-raise-growth> ، كذلك ينظر وليد عبد الحي ، مصدر سبق ذكره

^٤ أزمة المياه في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/azmt-almyah-fy-mntqt-alshrq-alawst-wshmal-afryqya-tjnb-hrwb-almyah-almhtmlt>

بيئة الاقتصاد المتأثر بالاضطرابات والعولمة ، اذ أن تزداد الفجوة بين القوى الاقتصادية إلى الحد الذي قد يقود لانهايار اقتصادي على المستوى العالمي.

المتغير الثاني:

تعدد مراتكز القوى المفترض يمكن ان يكون عامل انسجام مهم بين القوى الاقتصادية باتجاه استقرار اقتصادي. فتساعد الدور الروسي في العالم مثلاً من خلال الأدوار الكثيرة التي باتت تقوم بها روسيا في العالم وإن كان تركيزها على أوروبا والشرق الأوسط بشكل أساسي، فالنظام الأحادي القطبية بات يتضعع مع وجود قوى تحاول إعادة موضوعة نفسها من جديد في النظام العالمي^١.

المتغير الثالث:

السلطة العالمية العليا وإدارة التحكم: ويركز هذا المتغير على نقطة محددة وهي التفاوت بين إيقاع التغير والقدرة على التكيف مع هذا التغير المتسارع، وسيرتبط الاستقرار الدولي بمدى قدرة الوحدات على التوفيق بين إيقاعي التغير والتكيف.

المتغير الرابع :

طبيعة الصراعات (بين الدول، وداخل الدول): التي ستحدث في الدول ومدى تأثير التغير في مراكز القوى الدولية، وتسارع هذا التغير، على النزاعات بين الدول من ناحية والنزاعات داخل الدول (الحروب الأهلية)^٢.

المتغير الخامس:

انتشار أو امتداد النزاعات الإقليمية إلى مناطق أخرى: احتمال امتداد النزاعات الإقليمية خاصة في الشرق الأوسط وجنوب آسيا إلى مناطق أخرى، مما يزيد من احتمالات عدم الاستقرار الدولي.

المتغير السادس:

التطور المفرط في التكنولوجيا وادواتها : القدرة المستقبلية للتكنولوجيا على حل مشكلات العالم، مثل الزيادة السكانية والتكدس الحضري وتغيرات المناخ من خلال زيادة الإنتاج. واهم اتجاهات التطور التكنولوجي، لاسيما في قطاعات تكنولوجيا المعلومات والاختراعات الجديدة والتكنولوجيا التي تساعد على تأمين أو

^١ ينظر وليد عبد الحي ، مستقبل المشهد الدولي بعد الكورونا (كوفيد ١٩)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، عمان ،

^٢ كذلك ينظر : <https://www.alzaytouna.net/2020/05/02>

^٢ ابراهيم الخطيب، روسيا بوتين وإعادة صياغة النظام القطبي من جديد، <https://www.aljazeera.net/opinions/2022/3/2>

تطوير الموارد فضلا عن البنية المفتوحة المصدر ومنظومات التفكير التقدم لحماية المعلومات واختراقها ايضا^١.

المتغير السابع

مكانة ودور الولايات المتحدة الامريكية في النظام العالمي : احتمالات الاتجاه نحو ايجاد صيغة من التعاون بين الولايات المتحدة وباقي القوى الاخرى بغية اعادة توزيع الادوار في ظل اختلاف معايير القوة والتأثير للتعاون الولايات المتحدة مع القوى الاخرى لإعادة تشكيل النظام الدولي ببنية جديدة^٢.

كل هذه المتغيرات مترابطة ومكملة لبعضها بل هي نتاج لبعضها لكن في المقدمة ينبغي ان ندرك ان المتغير الالهم هو ما يرتبط بمكانة الولايات المتحدة ودورها العالمي ومكانتها وحدود قوتها التي سترسم ملامح العلاقات الدولية والمكانة المستقبلية في ضوء التحديات التي تواجه التحالفات القائمة في البيئة الدولية .

المحور الثالث : الاحتمالات المستقبلية لمسارات التحولات العالمية :

ان المخاوف في دراسة التحولات العالمية ونتائجها تحيلنا الى التفكير في الاثار المترتبة على مخرجاتها هذه التحولات وما ستقرره من عوامل مؤثرة في بنية النظام الدولي ككل. فلو وضعنا التنافس الدولي المفرط في اطار التقييم وهو احد ابرز التحولات العالمية بصيغته الجديدة لنجد ان احتدام التنافس على النفوذ ببلوغه أعلى مستوى منذ الحرب الباردة، سيكون مجالات استراتيجية تنافسية للقوى المتفاعلة ويوجد بيئة جيوسياسية متقلبة وتصادمية تعيد تشكيل تعددية الاقطاب وتوسع الفجوة بين التحديات العابرة للحدود، وتلك المرتبطة بالترتيبات المشتركة للقوى الكبرة والفاعلة . وهذا يحيلنا الى تكون ادراك مستقبلي يفسر النزوع الى مواجهة عالم سيخوض خلال العقدين المقبلين صراعات لن تتمكن فيها أية دولة أو كيان من السيطرة بمفردها على جميع المناطق والمجالات، وهو ما يستدعي نشوء تحالفات جديدة قد يبدو بعضها استثنائياً

وهذا يعني ان العالم سيكون في مواجهة جملة من المعطيات :

١-ارتفاع وتيرة النزاعات العالمية: أن تراجع دور ومكانة الولايات المتحدة سيؤدي لنوع من الفراغ الذي يتيح المجال لمزيد من عدم الاستقرار خاصة في آسيا والشرق الأوسط، وسيبرز التراجع الأميركي بتراجع مكانة الدولار. ناهيك عن أن تزايد انتشار التسليح النووي قد يزيد من احتمالات استخدامه^٣.

^١ أهم ١٠ تحديات تكنولوجية يجب التغلب عليها من أجل التحول الرقمي، <https://aitnews.com/2020/08/23>

ينظر أيضا : التكنولوجيات الجديدة والأهداف العالمية، الامم المتحدة ، <https://www.un.org/ar/61413>

^٢ قحطان حسين طاهر ، تحولات النظام الدولي واحتمالية تراجع الهيمنة الأمريكية، <https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/24685>

^٣ عمرو دراج ، تراجع الدور الأمريكي وسيناريوهات مستقبل المنطقة العربية، المعهد المصري للابحاث والدراسات ، <https://eipss-eg.org>

٢- استبعاد حدوث نزاعات مسلحة بين القوى الكبرى، كما أن حركة التفاعل من المحتمل ان تشهد تعاوناً صينيًا-أميركيًا لضبط الأوضاع الآسيوية^١

٣-ترجيح تنامي دور الدين بمقدار فشل الدول في تأدية وظائفها، كما أن النزعة القومية ستتردد نتيجة تزايد تداخل المجتمعات مع بعضها^٢.

٤- المياه ستكون ضمن أهم العوامل حتى عام ٢٠٣٠ في تأجيج الحروب الدولية والداخلية.

٥- هناك تحول عالمي نحو أحداث توازن جديد على المستوى العالمي مرتبطا بتغييرات على الصعد سياسية واجتماعية واقتصادية وتقنية في ضوء تصاعد التراكم الاستراتيجي للقوة في اسيا والذي سيتمثل في تفوق آسيا على كل من أوروبا والولايات المتحدة في مقياس القوة، فمراكز القوة في العالم تتحول من الغرب إلى الشرق". وهذا التحول سيتبعه تغيرات جيواستراتيجية وجيوسياسية ستكون له انعكاسات مهمة على القرار الدولي.^٤

٦-تزايد الأطراف الفاعلة غير الدول وترجيح تزايد دور المنظمات والهيئات، وغيرها من الكيانات (دون الدولة أو فوق الدولة)، في مواجهة الأزمات الدولية^٥.

نتيجة لهذا التنافس والتحولات، ستعمل دول على القيام بأدوار إقليمية أكبر مما سيدفعها إلى محاولة ممارسة دور القوى الكبرى في حيزها الجغرافي ضد بعضها بعضاً، وقد تسعى إلى بناء تحالفات خاصة من دون أن تنجر إلى صراعات تخرج عن إطار السيطرة، وربما تعاونت في مواجهة تحديات عالمية مع احتمالات أن تكون عدوانية في تصرفاتها عند حدوث نزاعات قريبة منها جغرافياً، ولتفادي هذا الاحتمال فمن الضروري إعادة النظر في طبيعة العلاقات العربية البينية، وتغليب المصلحة المشتركة لأنه غير ممكن الانكفاء وإهمال تأمين الجوار اقتصادياً وأمنياً لحماية المنطقة برمتها.

١٠ هنري كيسنجر ،أمريكا والصين بين التعاون «الضرورة» والحرب «الكارثة» ، القدس العربي ، ٢٤ - نوفمبر - ٢٠٢٠ كذلك ينظر: شريف شعبان <http://rawabetcenter.com/archives/22490>

^٢ كسلاح في الحرب التجارية.. هل تتخلص الصين من السندات الأميركية: <https://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2019/5/28>

^٣ إيمان عبد الملك ، الحروب المستقلة للمياه- مقالات ، صحيفة الزمتمن اللندنية ، ٤ مايو ، ٢٠١٦

^٤ سوباش كابيللا، الانتقال العالمي، للقة الى آسبيا، مركز الجزيرة للدراسات ، ٢٠١٢:

<https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2012/05/201253114644759234.html>

^٥ يمان رجب "القوة المنافسة: مداخل تحليل الفاعلين العنيفين من غير الدول في المراحل الانتقالية"، السياسة الدولية، العدد ١٩٢، نيسان/ أبريل

٢٠١٣، المجلد ٤٨، ص ١٥-١٦

سيبقى الصراع الأميركي – الصيني الشغل الشاغل للدولتين، إذ إن القدرة الصينية في استخدامات الذكاء الاصطناعي وتقنية الجيل الخامس من وسائط نقل البيانات تضعها في موقع يمكنها من التحكم في تدفق المعلومات والسيطرة على التكنولوجيا الرقمية في مجال التسويق، وهذا سيساعدها في سرعة الوصول إلى المجتمعات وقدرة التلاعب المعرفي والاستقطاب من خلال تشكيل أسلوب تلقي الناس للمعلومات وتفسيرها والتصرف بناء عليها. ويمكن استخدام الابتكارات والتكنولوجيا الحديثة في جعل الحملات الدعائية أكثر مرونة وأسرع وصولاً إلى الجماهير مع صعوبة اكتشافها ومكافحتها، وهكذا يمكن تكييف التواصل مع الجمهور وتوقع ردود أفعالهم^١.

خاتمة :

من خلال ما تقدم ومن خلال التحليل المنهجي لمعطيات المرحلة وتحولاتها المحتملة فإن بيئة جيوسياسية جديدة أخذت بالتشكل قوامها عدم الاستقرار والتنافس والصراع ستسهم في إعادة تشكيل ملامح البيئة الدولية وهيكلية القطبية الدولية مما يعني زيادة في التحديات التي تواجه الدولة بطبيعتها الجديدة ، مما يعني إن الدولة ستكون في مواجهة النمط المتحول من التحديات الناجم عن تحولات النظام الدولي والقوة والتأثير مما يتطلب إعادة تشكيل التحالفات والمؤسسات الدولية التي عززت النظام الدولي لعقود ماضية. فالعالم يشهد تحركات متوالية ستقود إلى ترتيبات هندسية مختلفة ناتجة عن تراكم التحولات والمتغيرات المتسارعة والتي ستؤثر في قضايا الأمن الجماعي والمحاور والقوة وعناصرها والمكانة الجيو استراتيجية للدولة .

^١ مصطفى النعمان، الاتجاهات العالمية حتى ٢٠٤٠ <https://www.nasnews.com/view.php?cat=58416>

الاستمرارية في السياسة الخارجية الأمريكية ما بين جو بايدن ودونالد ترامب

د. خالد هاشم / مستشار المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية

ملخص

كثير ما يقال أن سياسة جو بايدن الخارجية تختلف كثيراً عن سياسة سلفه دونالد ترامب، من ناحية إعادة تقديره لحلفاء الولايات المتحدة التقليديين في أوروبا وآسيا ورفع شعار "أمريكا عادت"، والتزام إدارته بـ "نظام دولي مرتكز على القواعد والتعددية ويحترم المؤسسات الدولية والعودة إلى العديد من الاتفاقيات التي انسحب منها سلفه، إضافة إلى ترميم صورة أمريكا التي تدعم الممارسات الديمقراطية، وليس الأنظمة الاستبدادية عبر العالم، وهي كلها سياسات تبدو تختلف تماماً عن سياسات سلفه دونالد ترامب.

ورغم تلك الاختلافات الواضحة الدلالات، فإنها تغفل حقيقة أساسية، ألا وهي أن سياسة جو بايدن الخارجية في حقيقتها ما هي إلا استمراراً لسياسة دونالد ترامب وعلى عدة نواح وصعد.

كلمات افتتاحية: الاستمرارية، السياسة الخارجية، جو بايدن، دونالد ترامب

Continuity in American foreign policy from Joe Biden to Donald Trump

Dr. Khaled Hashem

Advisor to the Iraqi Center for Strategic Studies

Abstract:

It is often said that Joe Biden's foreign policy differs greatly from that of his predecessor, Donald Trump, in terms of his re-appreciation of the traditional US allies in Europe and Asia and his slogan "America is back", and his administration's commitment to an "international order based on rules and pluralism that respects international institutions and a return to many Among the agreements that his predecessor withdrew from, in addition to restoring the image of America that supports democratic practices, not authoritarian regimes across the world, all of which seem completely different from the policies of his predecessor, Donald Trump .Despite these clear-cut differences, they overlook a basic fact, which is that Joe Biden's foreign policy is, in fact, nothing but a continuation of Donald Trump's policy in many ways and ascendants.

Keywords: (continuity, foreign policy, Joe Biden, Donald Trump)

مقدمة:

يبدو للوهلة الأولى أن سياسة جو بايدن الخارجية تختلف كثيراً عن سياسة سلفه دونالد ترامب، لجهة إعادة تقديره لحلفاء الولايات المتحدة التقليديين في أوروبا وآسيا عبر رفعه شعار "أمريكا عادت"، والتزام إدارته بـ "نظام دولي مرتكز على القواعد والتعددية ويحترم المؤسسات الدولية والعودة إلى العديد من الاتفاقيات التي انسحب منها سلفه، إضافة إلى ترميم صورة أمريكا التي تدعم الممارسات الديمقراطية، وليس الأنظمة الاستبدادية عبر العالم. لقد كان سلفه دونالد ترامب من أشد الرافضين للمؤسسات الدولية متعددة الأطراف، عبر رفعه شعار "أمريكا أولاً"، وأعلن انسحابه من الاتفاقات الدولية الموجودة كـ "اتفاق باريس للمناخ" و "الاتفاق النووي الإيراني" لسنة ٢٠١٥، والتملص من اتفاقات جديدة أخرى على شاكلة "الشراكة عبر المحيط الهادئ"، وظل حتى آخر يوم في ولايته يلاطف الحكام المستبدين ويوجه سهام غضبه نحو شركاء الولايات المتحدة الديمقراطيين.

ورغم تلك الاختلافات الواضحة الدلالات، فإنها تغفل حقيقة أساسية وهي ما نحاول التركيز عليه وإثباته من خلال هذه الدراسة، ألا وهي أن سياسة جو بايدن الخارجية في حقيقتها ما هي إلا استمراراً لسياسة دونالد ترامب وعلى عدة نواح وصعد.

وبالتالي، فالسؤال الرئيسي المطروح هنا هو: إلى أي مدى تمثل سياسة جو بايدن استمراراً لسياسة سلفه دونالد ترامب على صعيد السياسة الخارجية الأمريكية؟

ومن هذا التساؤل الرئيسي ستفزع عدة أسئلة فرعية:

١: إلى أي مدى تمثل سياسة جو بايدن استمراراً لسياسة سلفه دونالد ترامب فيما يتعلق بالعلاقة مع الصين وروسيا؟

٢: إلى أي مدى تمثل سياسة جو بايدن استمراراً لسياسة سلفه دونالد ترامب فيما يتعلق بموضوع الانسحاب من الشرق الأوسط؟

٣: وأيضاً، إلى أي مدى تماثل سياسة بايدن سياسة ترامب في التعامل مع إيران وبرنامجها النووي؟

٤: وأخيراً، إلى أي مدى تمثل سياسة بايدن استمراراً لسياسة ترامب فيما يتعلق بالتحامل مع القيم الديمقراطية العالمية؟

وسنحاول الإجابة عن تلك التساؤلات من خلال ما يلي:

أولاً: العلاقة مع الصين.

بعد إعلان فوز الرئيس جو بايدن بالانتخابات الأميركية، توقع الكثيرون أن يقدم سياسة أكثر استقراراً تجاه العالم. لكن مع تجاوز العام الأول لإدارة بايدن، أظهرت المؤشرات أن سياسته لم تختلف كثيراً عن نهج سلفه ترامب وإنما تمثل استمرارية لها.

وأول عوامل الاستمرارية والتشابه بين سياسة جو بايدن ودونالد ترامب الخارجية، هو عامل الخصومة والصراع مع القوى العظمى العالمية وعلى رأسها الصين. إذ لم تشهد سياسة الولايات المتحدة إزاء التينين الصيني أي تغيير يذكر منذ تولى بايدن السلطة إلى الآن، وحافظت إدارته وإلى حد كبير على سياسة سلفه ترامب، وتحدث الرئيس بايدن بنفسه عن "الخصومة الشديدة" مع الصين فيما أعلن منسقه الخاص لشؤون المحيطين الهندي والهادي أن "الفترة التي وصفت على نطاق واسع بأنها فترة مشاركة مع الصين، ولت إلى غير رجعة". وهذا أخذ أشكال عدة من العلاقة مع الصين على المستوى الداخلي والخارجي^(١).

• **داخلياً:** أبقت إدارة بايدن على التعريفات الجمركية والضوابط التصديرية التي اعتمدت في عهد ترمب، كما سعت تلك الإدارة للحد من الاستثمارات الصينية في الولايات المتحدة وضغطت على الحلفاء لتجنب شراء التكنولوجيا الصينية، وإعادة التفتيش في سلاسل التوريد والأنظمة التكنولوجية، وثمة تقارير تفيد بأنها تعمل حالياً على إمكانية إطلاق تحقيق بشأن الإعانات الضخمة التي تقدمها الصين للصناعة فيها. وفي هذا الصدد أشار مستشارو بايدن إلى أن الصين "منافس مدمر" وبالتالي، فإن الخلاف بين الصين والولايات المتحدة سيظل شديداً^(٢).

كما استمرت إدارة بايدن بانتقادها لموقف الصين الرفض إجراء تحقيق مستقل في أصل وباء كورونا، وأيدت الرواية التي كانت إدارة ترامب قد تبنتها سابقاً بشأن إمكانية تسرب فيروس كورونا من مختبر مدينة "ووهان" الصينية. وعلى خطى الإدارة السابق أيضاً وصفت إدارة بايدن قمع بكين لمسلمي الإيغور في شينجيانغ بـ"الإبادة الجماعية"، ونددت أيضاً بانتهاكها مبدأ "دولة واحدة ونظامين" في هونغ كونغ.

• **خارجياً:** يمكن لمس الاستمرارية في السياسة الخارجية لكل من بايدن وترامب في مقاربتهم حيال القضية التايوانية، باعتبارها بؤرة التوتر الأكثر احتمالاً لنشوب صراع بين الولايات المتحدة والصين. لقد أصبحت حماية تايوان مسألة تحظى باهتمام الحزبين الجمهوري والديمقراطي على السواء في الولايات المتحدة، حيث تعتبر واشنطن ملف تايوان من أهم الأوراق التي تمتلكها للضغط على بكين.

¹⁾ Richard Haass, The Age of America First: Washington's Flawed New Foreign Policy Consensus, Foreign Affairs, September 2020, At: <https://www.foreignaffairs.com>.

²⁾ Jacob M. Schlesinger, What's Biden's New China Policy? It Looks a Lot Like Trump's: Even with an administration change in January, China would face continued heightened friction with the U.S, The wall street journal, Sept. 10, 2020, At: <https://www.wsj.com>.

وعلى خطى إدارة ترامب التي أزالته القيود المفروضة على التفاعلات الرسمية بين المسؤولين الأميركيين والتايوانيين، ارتأت إدارة بايدن تطبيق تلك السياسة بفاعلية، مع الترويج لاجتماعات رفيعة المستوى بين المسؤولين الأميركيين ونظرائهم التايوانيين. وفيما دأبت إدارة ترامب على تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة وتايوان، شددت إدارة بايدن في مناسبات عدة دعمها "الصلب" لتايوان، كما استمرت سياسة "الغموض الاستراتيجي" والمعتمدة منذ فترة طويلة من قبل الولايات المتحدة، التي تساعد واشنطن بموجبها تايوان على بناء دفاعاتها وتعزيزها من دون التعهد صراحة بتقديم مساعدتها في حال حدوث هجوم من قبل بكين^(١).

من جانب آخر، استمرت إدارة بايدن في احتواء الوجود الصيني وتقييده في منطقة بحر الصين الجنوبي ورفض سيادة الصين عليه، فكثفت إدارة بايدن جهودها من أجل الدفع قداماً بـ "الحوار الأمني الرباعي"، الرامي إلى تعزيز التعاون بين أستراليا والهند واليابان والولايات المتحدة، وأطلقت مبادرة استراتيجية تكميلية مع أستراليا والمملكة المتحدة وما يرتبط بها من بناء عشرات الغواصات التي تعمل بالوقود النووي، كما لم تتوقف إدارة بايدن عن استعمال مصطلح "المحيطين الهندي والهادي" الذي أدخلته إدارة ترامب في الاستخدام الرسمي الأمريكي^(٢).

ورغم التشابه والاستمرارية في السياسة الخارجية لكل من بايدن وترامب تجاه الصين، يمكن تسجيل بعض الاختلافات بينهما، من قبيل تركيز إدارة بايدن على إيجاد مقاربة للتعاون مع الصين في مجال التغير المناخي، وهو التعاون الوحيد بين الجانبين عندما فاجأت الدولتان المتنافستان العالم بإصدار إعلان مشترك يستهدف التصدي للتغير المناخي أثناء محادثات مؤتمر "كوب ٢٦" في اسكتلندا^(٣). كما امتنعت إدارة بايدن عن ترديد دعوة وزير خارجية ترامب، مايك بومبيو، إلى تغيير النظام في بكين، ولكن لم تحل تلك الاختلافات دون انتشار وترسيخ الرأي القائل بأن الصين المنافس الرئيس، بل الخصم، للولايات المتحدة، ما يعني أن الاستمرارية بين الإدارتين تفوق بأشواط كبيرة التغيير بينهما.

ثانياً: العلاقة مع روسيا:

ما ينطبق على علاقة الولايات المتحدة بالصين ينطبق على العلاقة مع روسيا، وفي الواقع لم تكن سياسة جو بايدن تجاه روسيا في جوانب كثيرة منها، إلا استمراراً أيضاً لسياسة سلفه دونالد ترامب، فقد راوحت

^١) Richard Haass and David Sacks, The Growing Danger of U.S. Ambiguity on Taiwan, Biden Must Make America's Commitment Clear to China—and the World, foreignaffairs, December 13, 2021, At: www-foreignaffairs-com.

^٢ (محمد منصور وآخرون، من ترامب إلى بايدن.. الطريق نحو الأمن القومي الأمريكي، المرصد المصري، ٢٠٢١/٢/١٥، متاح: marsad.ecss.com.eg

^٣ (زهراء رمال، كيف تبدو العلاقات الأميركية-الصينية في العام الأول من عهد بايدن؟، الميادين نت، ٢٠٢١/١/١٩، متاح:

السياسة الأميركية الروسية مكانها، ولم تتغير سياسة الولايات المتحدة تجاه روسيا إلا قليل من حيث الجوهر، فباستثناء الإعجاب الذي يكنه ترامب للرئيس بوتن (عكس بايدن الذي يراه زعيما دكتاتوريا يقود نظاما متهورا وقاسيا ويعارض بطبيعته القيم والمصالح الأمريكية)، إلا أن تلك النظرة الشخصية للقيصر الروسي من قبل ترامب لم تؤثر في موقف إدارته من روسيا، فظلت تلك الإدارة على قدر كبير من الحزم والصرامة. وأبقت على العقوبات الاقتصادية التي أصبحت أكثر صرامة (التي كانت مفروضة على روسيا في عهد أوباما)، كما عملت إدارة ترامب على إغلاق القنصليات الروسية في الولايات المتحدة وتوطيد الدعم العسكري الأميركي لأوكرانيا، وهي إجراءات لا يزال معمول بها من قبل إدارة بايدن إلى الآن، بل فرضت إدارة بايدن عقوبات مالية جديدة وطردت دبلوماسيين بسبب اتهامات تخص هجوما سبيرانيا روسيا وتخص أيضا التدخل في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٢٠، ويبدو أن هناك وجهة نظر مشتركة ما بين إدارة بايدن وإدارة سلفه ترامب، هي أن سياسة الولايات المتحدة تجاه روسيا يجب أن يكون هدفها هو الحد من الأضرار، أو بالأحرى، منع التوترات، في أوروبا أو الفضاء الإلكتروني، ومن التدهور إلى مستوى أزمة، وليس إحراز مزيد من التقدم، وحتى رغبة بايدن في توسيع دائرة اتفاقات تحديد الأسلحة بين أميركا وروسيا وبدء محادثات "الاستقرار الاستراتيجي"، فإنها تصب في ذلك الاتجاه من ضبط العلاقة^(١).

ولكن من الواضح أن محاولات "إعادة ضبط" إيقاع العلاقة مع موسكو قد ولت مع تجدد الازمة الأوكرانية وخصوصا هذه الأيام.

ثالثا: الانسحاب الأمريكي من منطقة الشرق الأوسط.

استمر جو بايدن على سياسة دونالد ترامب فيما يتعلق بالنظر إلى الشرق الأوسط الكبير بأنه مكان "للحروب الابدية" التي لا تنتهي (وهي التسمية التي أطلقتها إدارة ترامب على الشرق الأوسط)، وبالتالي على ضرورة الانسحاب منه وتركه لدوله تدير شؤونها بنفسها. وهذه الاستراتيجية أخذت نماذج متعددة:

• **أفغانستان:** تعد أفغانستان مثالا بارزا لاستمرار سياسة جو بايدن على نهج سلفه دونالد ترامب، ففي فبراير ٢٠٢٠، وقعت إدارة ترمب اتفاقا مع طالبان يحدد ١ مايو ٢٠٢١ موعدا نهائيا لانسحاب القوات الأميركية من البلاد. لكن تلك المفاوضات تعثرت فيما بعد، وفي الحقيقة لم يكن اتفاق ترامب مع طالبان اتفاق سلام بقدر ما كان اتفاقا لتسهيل الانسحاب العسكري الأمريكي من هناك.

مع تسلّم بايدن السلطة كانت الاستراتيجية الأميركية التي بني على أساسها احتلال أفغانستان قد تغيرت وأصبحت شيئا من الماضي، وانخفض عدد القوات الأميركية إلى أقل من ٣ آلاف بعد أن وصل إلى ١٠٠ ألف خلال إدارة أوباما واقتصر دورها على التدريب وتقديم المشورة ودعم القوات الأفغانية، ولم يكن هذا العدد كافيا لتحقيق النصر أو السلام بعد ٢٠ عاما من الاحتلال. ومع ذلك، رفضت إدارة بايدن إعادة

¹) Richard Haass, Op. Cit.

التفاوض أو إلغاء الاتفاق الذي وقعته إدارة ترامب، بل عملت على احترامه باستثناء نقطة واحدة، وهي تمديد موعد الانسحاب النهائي الكامل من أفغانستان إلى مئة يوم إضافية أي حتى ١١ سبتمبر ٢٠٢١، لكن الإجراء الفعلي انتهى قبل الموعد المحدد له. ومن وجهة نظر بايدن، لا يمكن ربط انسحاب القوات الأميركية بالظروف على أرض الواقع أو حدوث أفعال إضافية من قبل حركة طالبان، وهكذا نرى وعلى غرار سياسة ترامب، أن بايدن اعتبر الحرب في أفغانستان "حرباً أبدية"، وصمم على الخروج منها بأي ثمن كما أراد سلفه ترامب^(١).

• **المنطقة العربية.** واصلت إدارة بايدن السير على نهج ترامب فيما يتعلق بالانسحاب من بقية مناطق الشرق الأوسط، ففي سوريا كانت سياسة جو بايدن إلى حد كبير استمراراً لسياسة دونالد ترامب، ويرجع ذلك جزئياً إلى استمرار فك الارتباط الأمريكي الذي بدأ في عهد أوباما واستمر في عهدي ترامب وبايدن، إذ قاومت إدارة بايدن إغراءات زيادة انخراطها في سوريا ولم تلتفت كثيراً إلى قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٢٥٤) الداعي إلى وقف إطلاق النار وإيجاد حل سياسي هناك، كما تضاعفت المعارضة السورية وساد نظام بشار الأسد^(٢).

أما ليبيا، فلم تكن يوماً تمثل أولوية لإدارة ترامب، كما لم تضع إدارة بايدن ليبيا على راس جدول أعمالها، على الرغم من أن إدارة بايدن تحتوي على العديد من صناعات القرار الديمقراطي الذين عانوا تداعيات مقتل السفير الأمريكي "كريس ستيفنز" في بنغازي^(٣).

وفي اليمن، لا تعد قرارات بايدن بشأنها خروجاً عن قرارات الإدارة السابقة، فهي ببساطة جزء من انتقال الولايات المتحدة البطيء من الدعم المباشر لأحد الأطراف المتحاربة إلى دور الوسيط في حل النزاع هناك، وهي عملية بدأت في الأشهر الأخيرة من إدارة أوباما، وتقدمت في ظل إدارة ترامب^(٤).

وفي العراق استكملت إدارة بايدن ما كانت إدارة ترامب تتحدث عنه بضرورة الانسحاب من العراق، وهو ما تم بالفعل بانسحاب القوات الأمريكية القتالية من هناك مع نهاية العام ٢٠٢١، مع الإبقاء على وحدة عسكرية صغيرة على الأراضي العراقية.

^١) Ron Elving, Withdrawing From Afghanistan May Be The One Thing Biden And Trump Agree On, npr, August 18, 2021, At: <https://www.npr.org>.

^٢) بول ايدن، كيف ستكون ملامح سياسة بايدن تجاه سورية؟، الغد الأردنية، مقالات مترجمة، ٢٠٢١/٣/١٦، متاح:

<https://alghad.com>

^٣) Sanam Vakil, How is a Biden victory perceived across both sides of the Gulf?, chatham house, 18 NOVEMBER 2020, At: www.chathamhouse.org.

^٤) Sultan Alamer, Biden and the War in Yemen: The Larger Context of the Shifts in the American Position, Carnegie Endowment for International Peace, April 14, 2021, At: carnegieendowment.org.

أما ما يتعلق بالسلام في الشرق الأوسط، وعلى الرغم من اعتراف إدارة بايدن باتفاقات أبراهام للسلام والتطبيع بين إسرائيل ودول عربية، التي تعد إحدى الموروثات الرئيسية لإدارة ترامب^(١)، فقد شاركت إدارة بايدن على مضض في الجهود الدبلوماسية لإنهاء القتال بين إسرائيل و"حماس" الأخيرة، وتحاشت إطلاق أي محاولة جديدة للتوصل إلى اتفاق سلام بين إسرائيل وفلسطين إلى الآن.

رابعاً: الملف الإيراني.

على المستوى النظري قد يبدو الملف الإيراني هو الاستثناء الوحيد البارز عن الاستمرارية في السياسة الخارجية ما بين جو بايدن ودونالد ترامب، كان هذا واضحاً بانسحاب ترامب من الاتفاق النووي عام ٢٠١٨، ذلك الاتفاق الذي كان بايدن نائباً للرئيس عندما وقع عام ٢٠١٥.

وعلى النقيض من سياسة ترامب، أوضحت إدارة بايدن عند تسلمها السلطة (التي تضم مسؤولين رفيعي المستوى ممن كان لهم دور أساسي في التفاوض على ذلك الاتفاق) عن رغبتها في إعادة إحياء الاتفاق النووي مع إيران. ولكن على المستوى العملي يبد ذلك استمراراً لسياسة ترامب لسببين:

١_ إلى الآن لم يتمكن كلا الطرفين من عقد ذلك الاتفاق، في ظل التباينات الواضحة وغياب الثقة بينهما، كما أن الحكومة الإيرانية الجديدة التي توصف بالتشدد لم تبد أي اهتمام واضح وصريح بعقد ذلك الاتفاق الذي تسعى إليه إدارة بايدن.

٢- السبب الثاني هو أن إدارة بايدن تحدثت عن الدبلوماسية والتعددية والعودة إلى الاتفاقات السابقة ومن ضمنها طبعاً الاتفاق النووي مع إيران، ومع ذلك ما زلنا نرى استمرارية من قبل إدارة بايدن على اتباع نفس سياسة إدارة ترامب، فلا تزال الاستمرارية موجودة فيما يتعلق بالعقوبات الاقتصادية المفروضة على طهران وما يزال يمنع التصرف بالعائدات النفطية الإيرانية في البنوك الأجنبية. وهي نفس الإجراءات المتبعة من قبل الإدارة السابقة، إدارة ترامب^(٢).

أضف إلى ذلك كان أول استخدام لبايدن للقوة العسكرية بعد تسلمه السلطة، هو غارة جوية ضد ما وصفته الإدارة الأمريكية جماعات مسلحة مدعومة من قبل إيران في سوريا، رداً على سلسلة الهجمات الصاروخية

^١) Ishaan Tharoor, Biden carries forward a Trump-era Middle East policy, The Washington post, October 13, 2021, At: www.washingtonpost.com.

^٢) Biden policies the same as Trump's, says Iran's only presidential candidate, theguardian, Thu 11 Feb 2021, At: www.theguardian.com

التي استهدفت المصالح الأمريكية في العراق، ويبدو أن بايدن يسير على نفس خطوات سلفه ترامب وتكتيكاته في منع إيران من نشر نفوذها في الخارج^(١).

خامسا: القيم الأمريكية وشعار "أمريكا أولا":

يرتكز دور أمريكا ومصالحها في العالم على المؤسسات الدولية التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية، التي تستند إلى القيم الديمقراطية الغربية المشتركة.

على مستوى الخطاب، استند خطاب كل من ترامب وبايدن إلى وجهات نظر مختلفة حول دور القيم في السياسة الخارجية، فعندما انتُخب دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة عام ٢٠١٦، شرع على الفور، وباستمتاع واضح، في محاولة هدم إرث السياسة الخارجية القائم على تلك القيم. اعتبر ترامب الديمقراطية عائقا أمامه ولطالما سعى إلى إقامة علاقات شخصية وثيقة مع عديد من قادة العالم المستبدين، فقد كان يكيل الثناء للرئيس الروسي فلاديمير بوتين والزعيم الكوري الشمالي كيم جونج أون وامتدح الرئيس الصيني شي جين بينج، لكنه في الوقت نفسه قلل من شأن حلفاء أمريكا الديمقراطيين وفي طليعتهم المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ورئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو. ولم يكتف ترامب بتشويه سمعة أولئك الحلفاء فقط، بل قام حتى بفرض رسوم جمركية على كندا والاتحاد الأوروبي^(٢).

وفي المقابل، كان خطاب بايدن قائما على أن الولايات المتحدة في صراع مع الحكام المستبدين، وأعلن عن عقد قمة "من أجل الديمقراطية" وتعهد بإعطاء الأولوية لعلاقات بلاده مع الدول التي تقيم وزناً للقيم الأميركية^(٣).

مع ذلك، فإن خطاب بايدن والتزاماته لم يجدا طريقهما إلى التطبيق على مستوى السياسة الخارجية للولايات المتحدة بشكل واضح بل مثلا أيضا استمرارية لسياسة ترامب، والمثال البارز على ذلك هو "انقلاب ميانمار"، لم تفعل إدارة بايدن سوى القليل في الرد على هذا الانقلاب من خلال فرض عقوبات على رموز النظام في ميانمار، في حين ساهمت المساعدات والدعم الدبلوماسي الصيني الجيش هناك على الصمود وتجاوز العقوبات^(٤). كما لم تفعل إدارة بايدن الشيء نفسه بانسحابها المشين من أفغانستان تاركة العديد من الأفغان عرضة للانتقام من طالبان وتخلت عن مشروعها هناك في مساعدة البلاد بتجربته الفتية في

^١) Bill G. Schuette, Opinion: Why Biden should follow Trump in Middle East, The detroit news. March 1, 2021, at: www.detroitnews.com

^٢) Richard Haass, Op. Cit.

^٣) Stephen M. Walt, Biden's Democracy Summit Could Backfire: There are dangers to hosting diplomatic meetings without a clear purpose, Foreign Policy, December 8, 2021, At: foreignpolicy.com.

^٤) Daniel Ten Kate, Myanmar Crisis Sets Stage for Biden–Xi Duel, Bloomberg, February 1, 2021, At: <https://www.bloomberg.com>.

الديمقراطية، كذلك لم يفعل بايدن سوى القليل في الرد على حوادث أخرى مشابهة كرد الفعل الوحشي للحكومة الكوبية حيال الاحتجاجات الصيف الماضي، أو اغتيال رئيس هايتي.

ولذا نرى هناك اختلافا واضحا على مستوى الخطاب ما بين إدارة بايدن وإدارة ترامب فيما يتعلق بمسألة احترام القيم الديمقراطية والالتزام بها، ولكن على مستوى التطبيق والعمل تبدو الفوراق ضئيلة وتتقارب سياسات كل من بايدن وترامب في ذلك وإن اختلفت المنطلقات.

وإذا ما انتقلنا إلى نقطة أخرى، تتعلق بشعار "أمريكا أولا" الذي رفعته إدارة ترامب ودافعت عنه بشغق (رغم أن الشعار يعود إلى فترات قد مضت من "الانعزالية" التي سادت الولايات المتحدة خلال فترة الحربين العالميتين)، في مقابل الشعار الذي رفعت إدارة بايدن "أمريكا عادت" (إلى دورها في قيادة العالم وإلى التعددية والدبلوماسية وإلى المنظمات متعددة الأطراف وإلى الاتفاقات التي انسحبت منها)، نجد أن شعار بايدن هذا "أمريكا عادت" يعكس في جوانب كثيرة منه ميلاً وعودة لشعار "أمريكا أولا" الذي رفعه ترامب. مما يمثل مزيداً من الاستمرارية ما بين بايدن وترامب وعلى أكثر من مستوى:

• أثبتت ممارسات بايدن فيما يتعلق بالجهود العالمية لمواجهة جائحة كورونا، استمرارية لشعار ترامب "أمريكا أولاً"، فقد كانت الاستجابة الأمريكية محدودة ومتأخرة لتوفير كميات من اللقاحات وتصديرها للعالم رغم تجاوز العرض المحلي الطلب بكثير في أمريكا^(١). وكان هذا الاستئثار باللقاحات قصير البعد والنظر، فقد انعكس على تضاعف عدد الإصابات العالمية، وبالتالي ارتدادها داخليا على الولايات المتحدة مما ضاعف الإصابات فيها. كما تباطأت إدارة بايدن في رفع القيود المتعلقة بفيروس كورونا عن القادمين إلى الولايات المتحدة من أوروبا.

من جانب آخر، فوتت إدارة بايدن الفرصة لتنمية النوايا الحسنة للولايات المتحدة دولياً من خلال إظهار التفوق التكنولوجي الأمريكي وعطفها وكرمها في مواجهة "دبلوماسية اللقاحات" الصينية والروسية.

• هاجم ترامب العديد من الاتفاقيات التجارية والعسكرية الموقعة بين أمريكا وعدد من الدول وانسحب منها، باستثناء تلك التي تفاوض هو عليها. ومن تلك الاتفاقيات التي انسحب منها، اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادئ التي وصفها بأنها "صفقة سيئة" لأمريكا، وفي المقابل على الرغم من عودة إدارة بايدن إلى العديد من الاتفاقيات التي انسحب منها ترامب، فإن تلك الإدارة لم تظهر سوى القليل من الاهتمام في تقوية منظمة التجارة العالمية، أو التفاوض على اتفاقيات تجارية جديدة، أو الانضمام إلى الاتفاقيات القائمة، بما في ذلك الاتفاقية الشاملة للشراكة عبر المحيط الهادئ^(٢). وهو ما يعني ضياع فرص في مجالات أخرى، مثل

^(١) نهج "قومية التطعيم" يكشف عن "الأنانية الأمريكية"، القناة العربية لشبكة تلفزيون الصين الدولية، ٢٠٢١-٢٠٢٣، متاح:

<https://arabic.cgtn.com>.

^(٢) Takatoshi Ito, What Biden should do on trade, Project Syndicate, Jan 13, 2022, At: <https://www.project-syndicate.org>.

النهوض بأهداف المناخ العالمي من خلال فرض ضرائب الكربون العابر للحدود أو استخدام الصفقة لتوفير ثقل اقتصادي موازي للصين.

وحتى رغبة بايدن في توسيع دائرة التفاوض مع روسيا كما أوضحنا سابقا حول اتفاقات تحديد الأسلحة ما بين أميركا وروسيا، فإنها تهدف إلى الحيلولة دون وقوع مزيد من الأضرار، وليس إحراز مزيد من التقدم.

وبالتالي نرى، أن بايدن لم يكتف بتنفيذ السياسة التي ورثها عن سلفه، بل فعل ذلك بطريقة ترميمية، وعمل على الإخلال بالتعددية القائمة عليها السياسة الخارجية الأمريكية بإعطاء الأولوية للتحالفات، من خلال تمهيد الطريق أمام الأحادية ووضع عبارة "أميركا أولاً" موضع التطبيق.

في النهاية، يتضح لنا، أن السياسة الخارجية الأمريكية بعد أكثر من عام من حكم جو بايدن لم تتغير كثيرا، قد يكون مجرد تغيير في الأسلوب أكثر من كونه تغييرا في المضمون، وبالتالي هي تمثل بالنسبة لنا في كثير من المجالات والحالات استمرارية لسياسة سلفه دونالد ترامب.

المراجع:

العربية

(١) بول ايدن، كيف ستكون ملامح سياسة بايدن تجاه سورية؟، الغد الاردنية، مقالات مترجمة، ٢٠٢١/٣/١٦، متاح: <https://alghad.com>

(٢) زهراء رمال، كيف تبدو العلاقات الأميركية-الصينية في العام الأول من عهد بايدن؟، الميادين نت، ٢٠٢١/١/١٩، متاح: www.almayadeen.net

(٣) محمد منصور وآخرون، من ترامب إلى بايدن.. الطريق نحو الأمن القومي

الأمريكي، المرصد المصري، ٢٠٢١/٢/١٥، متاح: marsad.ecss.com.eg

(٤) نهج "قومية التطعيم" يكشف عن "الأنانية الأمريكية"، القناة العربية لشبكة تلفزيون الصين الدولية، ٢٠٢١/٣/٢٠، متاح: <https://arabic.cgtn.com>

المصادر الأجنبية

1) Biden policies the same as Trump's, says Iran's only presidential candidate, the guardian, Thu 11 Feb 2021, At: www.theguardian.com

2) Bill G. Schuette, Opinion: Why Biden should follow Trump in Middle East, The detroit news. March 1, 2021, at: www.detroitnews.com

- 3) Daniel Ten Kate, Myanmar Crisis Sets Stage for Biden-Xi Duel, Bloomberg, February1,2021, At:<https://www.bloomberg.com>.
- 4) Jacob M. Schlesinger, What's Biden's New China Policy? It Looks a Lot Like Trump's: Even with an administration change in January, China would face continued heightened friction with the U.S, The wall street journal, Sept. 10, 2020, At: <https://www.wsj.com>
- 5) Ishaan Tharoor, Biden carries forward a Trump-era Middle East policy, The washington post, October 13, 2021, At: www.washingtonpost.com
- 6) Richard Haass, The Age of America First: Washington's Flawed New Foreign Policy Consensus, .Foreign Affairs, September 2020, At: <https://www.foreignaffairs.com>.
- 7) Richard Haass and David Sacks, The Growing Danger of U.S. Ambiguity on Taiwan, Biden Must Make America's Commitment Clear to China—and the World, foreign affairs, December 13, 2021, At: www-foreignaffairs-com.
- 8) Ron Elving, Withdrawing From Afghanistan May Be The One Thing Biden And Trump Agree On, npr, August 18, 2021, At: <https://www.npr.org>.
- 9) Sanam Vakil, How is a Biden victory perceived across both sides of the Gulf?, chatham house, 18 NOVEMBER 2020, At: www.chathamhouse.org.
- 10) Sultan Alamer, Biden and the War in Yemen: The Larger Context of the Shifts in the American Position, Carnegie Endowment for International Peace, April 14, 2021, At: carnegieendowment.org.
- 11) Stephen M. Walt, Biden's Democracy Summit Could Backfire: There are dangers to hosting diplomatic meetings without a clear purpose, Foreign Policy , December 8, 2021, At: foreignpolicy.com.
- 12) Takatoshi Ito, What Biden should do on trade, Project Syndicate, Jan13, 2022, At:<https://www.project-syndicate.org>.

الدولة في مواجهة التحديات الامنية الجديدة

الباحث: محمد اسعد شعيب / مؤسس لمبادرة الحركة الديمقراطية المستقلة
ومؤسس جمعية وعي وقيم/ لبنان

المقدمة

يستوجب التطرق إلى موضوع التهديدات الأمنية الجديدة توظيف بعض المفاهيم الأساسية التي لا بد من التدقيق في استعمالها ومعرفة فحواها، كما أن الإحاطة بأبرز تصنيفات التهديد الأمني ومعرفة العوامل التي تساهم في تحديده أمر ضروري يسمح لنا بالتقرب منه أكثر واستكشافه بدقة ومن بينها مفهوم التهديد والخطر والتحدي.

ان التهديدات الامنية ترتبط بالعديد من الجوانب، منها الجانب السياسي ومنها الجانب الاقتصادي ومنها الجانب الاجتماعي ومنها الجانب الصحي ومنها الجانب السيبراني. في الجانب السياسي ان الامن هو موضوع اساسي لان السياسة تقوم على اساسين هما القانون والدفاع. وفي الشق الامني والدفاعي فان الامن السياسي بات جانبا اساسيا ينعكس بشكل مباشر على امن المواطن ومعيشته حتى ان الانهيار الاقتصادي بات يعتبر من التحديات الامنية.

يتم تناول الاشكالية التالية في هذا البحث :

ما هو اثر التهديدات الامنية على الدولة والمجتمع؟ وكيف يمكن للدولة مواجهة ابرز التحديات الامنية المستجدة في مجالات الامن العالمي والامن الصحي والامن السيبراني؟

المحور الأول: مفهوم التهديدات الأمنية

أولاً: تعريف التهديد الأمني

اشتقت كلمة “تهديد” من الناحية اللغوية من لفظ “هدد”، ويقصد به محاولة إلحاق الضرر والأذى بشيء معين قصد الإخلال بالأمن، ويُعبر التهديد عن وجود نية لإيذاء أو معاقبة أو إلحاق ضرر من خلال عمل عدائي على شخص معين.

ولقد ورد في قاموس أكسفورد على أن التهديد هو: محاولة شخص أو شيء الإضرار بحياة الآخرين مثل: التلوث يهدد حياة الحيوانات والناس.

ويرى تيري ديبيل على أن التهديد: عمل نشط وفعال تقوم به دولة معينة للتأثير في سلوك دولة أخرى، ويشترط نجاحه توفر عدة عوامل أبرزها المصادقية والجدية والقدرات التي تتناسب مع التهديد، وهناك ثلاث سمات يتميز بها التهديد، وهي: درجة الخطورة ومدى احتمالية وقوع التهديد وعنصر التوقيت.

أما باري بوز عرف التهديد على أنه تهديد لمؤسسات الدولة باستخدام الإيديولوجيا أو استخدام مكونات القدرة للدولة ضد دولة أخرى، حيث يمكن أن يكون إقليم الدولة مهدداً بضرر أو غزو أو احتلال، ويمكن أن تأتي التهديدات من الخارج أو من الداخل، ويعتقد باري بوز أن الدول القوية عادةً ما تتعرض للتهديدات خارجية عكس الدول الضعيفة التي تتعرض للتهديدات من الداخل والخارج.

ويعتبر الباحث التشيكي يان إيشل ان التهديد يعبر عن إرادة إلحاق الضرر بفاعل (الفرد/ جماعة/ دولة...)، ويشترط توفر فيه العناصر التالية:

-أن يسبب حالة من الهلع والخوف

-توفر القدرة على الاستهداف سواء استهداف الدولة مباشرة أو مواطنيها أو الدول المجاورة للدولة، وهنا يكون للتهديد تأثير جيوسياسي، فمثلاً: الفوضى الأمنية والتهديدات الأمنية الموجودة بدول الجوار الجزائرية خاصة ليبيا تجعل الجزائر في حالة من الخوف والترصد والتأهب لمواجهة تهديدات محتملة قد تأتي منها.

-درجة الخطورة، أي طبيعة الخطورة (محتملة، فعلية، كامنة)، فكما كان التهديد خطير كلما تطلب ذلك رد فوري فعال من الطرف المهدد.

وانطلاقاً من هذه العينات المختارة من التعريفات سألنا الذكر يمكن استخلاص عدة نقاط تشكل الوعاء الحقيقي لمفهوم التهديد على النحو التالي:

-أن التهديد يُعبر عن نية لإلحاق الضرر والأذى قصد الإخلال بالأمن

-يتأثر التهديد بالمستجدات والتغيرات التي تحدث على أرض الواقع، وهو ما يضيف الطابع الحركي والنسبي لمفهوم التهديد -تتعدد مستويات التهديد (فرد، جماعة، دولة، إقليم وغيرها)، ومصادره (من داخل وخارج الدولة) ومسبباته وأنواعه، وهو ما يجعله مفهوم مركب ومُعقد -يتداخل ويتفاعل التهديد في البيئة الراهنة مع عدة تهديدات أخرى.

ثانياً: التهديد الأمني ومفاهيم مشابهة
لا تزال إشكالية التدقيق في الضبط التعريفي للمصطلحات المتعلقة بالتهديدات الأمنية محل نقاش كبير بين الباحثين والدارسين، فالكثير منهم يخلط في استعمال مفردات التحدي والخطر، ويستعملها كمرادف للتهديد الأمني، وهو ما قد ينعكس سلباً على تقديرات الدراسة.

التحدي

اشتقت كلمة تحدي من الناحية اللغوية من اللفظ "تحدي"، حيث يُقال في اللغة العربية فلان تحدى فلان حول شيء معين أي طالب مباراته في هذا الشيء.

وتشير القواميس الانجليزية البريطانية إلى عدة معاني للتحدي، فهو يعبر على شيء صعب يجب اختباره ويحتاج إلى القوة والمهارة، وهو أيضاً دعوة للمنافسة والمواجهة كأن يقترح شخص مبارزة آخر وما إلى ذلك.

ومن الناحية العلمية، فإن المتفق عليه أن مُفردة "التحدي" يقصد بها مجموعة معقدة من المشاكل والظروف التي ننتجها في الواقع والمستقبل بإرادتنا ورغباتنا الواعية وغير الواعية، فلقد عرفت بأنها المشاكل والصعوبات أو المخاطر التي تواجه الدولة وتحد وتعوق من تقدمها وتشكل حجر عثرة أمام تحقيق أمنها واستقرارها ومصالحها الحيوية الذاتية المشتركة ويصعب تجنبها أو تجاهلها، فعلى سبيل المثال تعتبر كل من معضلة البطالة ومشاكل الانفجار الديمغرافي تحدياً بالنسبة للدولة.

والتحدي شيء صعب يتم فيه اختبار قدرة الدولة على إدارة شؤونها ومنافسة الآخرين، سواء تعلقت هذه التحديات بالمشاكل الداخلية أو الخارجية.

الخطر

الخطر على أنه كل فعل مهدد يُحتمل وقوعه وإمكانية التنبؤ به تتأرجح بين الزيادة والنقصان، وهو مرتبط بمدى قدرة المجتمع ومناعته حيال مواجهته.

ويعتبره الكثير من المفكرين والمختصين على أنه خاصية تدل على شيء يلحق ضرر معنوي أو مادي، فعندما نقول عن شيء خطر بمعنى أنه يحمل ضرر معنوي أو مادي يُحتمل وقوعه، وقد يؤدي إلى الخسارة أو الدمار أو الإصابة، ويشمل الخطر ثلاث عناصر أساسية تتمثل في:

المصدر المنتج للخطر

الوسيلة الناقلة للخطر بحيث قد تكون ميكانيكية أو كيميائية أو إشعاعية

البيئة الناقلة للخطر التي قد تكون مائية أو حضرية أو هوائية

الخطر عبارة ضرر يهدد أمن الأفراد والبيئة والجماعات البشرية، لكنه يوشك أن يحدث أو حدث فعلاً ويمكن احتواءه إن لم يتفاقم، كما يعتبر أليش بيك أن الأخطار استفحلت وتنوعت مع التطور التكنولوجي والعلمي وتزايد تأثيرات العولمة وأصبحت تتميز بسرعة الانتشار من منطقة إلى أخرى.

(Risk)

من حيث مضمون كل مفهوم محاولة إلحاق الضرر بفاعل معين (دولة/ جماعة/ أفراد...).

مشاكل وصعوبات يقتضي للدولة مجابتهها .

فعل مُهدد يُحتمل وقوعه وإمكانية التنبؤ به تتأرجح بين الزيادة والنقصان.

ثالثاً: تصنيفات التهديدات الأمنية
التهديدات الاجتماعية والثقافية

التهديدات البيئية

التهديدات فعلية: وهي ما يعرض الدولة لخطر داهم نتيجة الاستخدام الفعلي والجاد للقوة العسكرية

التحديات المحتملة: تُرصد هذه التهديدات من خلال مجموعة من الأسباب الحقيقية التي تؤكد تعرض الدولة لمجموعة من التهديدات دون وصولها إلى مرحلة استخدام القوة العسكرية

التهديدات الكامنة: تتميز بأنها غير مرئية (كامنة)، كوجود أسباب خلاف بين دولتين أو أكثر دون وجود أي مظاهر مرئية على السطح

التهديدات المتصورة: وهي التهديدات التي يُحتمل ظهورها مستقبلاً

التهديدات التماثلية: يطلق على النمط التقليدي للتهديدات الذي تتميز بالطابع البيئي والعسكري وتتشابه في الفواعل من حيث الخصائص كالتهديد العسكري الذي يكون بين دولة ودولة مثل: التهديدات المتبادلة بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية باستخدام القوة بينهما.

التهديدات اللاتماثلية: هي تلك التهديدات التي تُبنى على فكرة الغموض وعدم إمكانية تحديد ماهية العدو، إذ تكون بين أطراف غير متكافئة من حيث القوة، ويشمل هذا النوع من التهديدات الجريمة الاقتصادية والمتاجرة بالأسلحة والإرهاب العابر للحدود، والجريمة المنظمة والنزاعات الداخلية، وما يصحبها من انتهاكات واسعة للحقوق الإنسان، والإبادة الجماعية التي تجد لها مكاناً مثالياً في الدول الفاشلة ولقد برزت نتيجة للتغير المهم في هيكله المخاطر الأمنية من النمط التماثلي (باعتبار تماثل أطرافها) إلى النمط اللاتماثلي.

عند توصيف البيئة العالمية الأمنية منذ نهاية الحرب الباردة فإننا سنقترب من فرضية أساسية مفادها أن: تطور الإنسانية يثبت قدرة كبيرة على صنع التغيير والتحول، وهذا هو الفارق بين كل حقبة وحقبة زمنية أخرى، فإذا كان هذا التغير يمس مواطن القوة في العلاقات الدولية فسيؤثر على موازين القوى في النظام الدولي وترتيب الوحدات ومنظومة القيم فيه، وهو ما يجعلنا نعيد النظر في الكثير من المعطيات، ومن بينها الأمنية..

فالراصد لمؤشرات البيئة الأمنية العالمية في العقود الثلاث الأخيرة، سيرى أن هناك تحول قد لحق بطبيعة المخاطر التي تُهدد الأمن العالمي من النمط التقليدي الذي يُركز على الدولة كفاعل مُهدد، وعلى الطبيعة

العسكرية للتهديد إلى أنماط جديدة عديدة، ومن بينها التهديدات اللاتماثلية، والتي سنحاول توضيحها وتبسيطها في هذا العنصر.

نوع التهديد

مؤشر الاختلاف

التهديدات التماثلية

التهديدات اللاتماثلية

التهديدات التقليدية

التهديدات اللاتماثلية والتهديدات الهجينة

رابعاً: الجريمة المنظمة

تُعرف الجريمة المنظمة على أنها تنظيم إجرامي يضم أفراد أو مجموعات ينشطون بشكل منظم للحصول على فوائد مالية من خلال ممارسة أنشطة غير قانونية، ويعمل أعضاؤه من خلال بناء تنظيمي دقيق ومُعقد يُشبه ما عليه الحال في المؤسسات الاقتصادية، وتشمل الجرائم المنظمة جرائم السرقات والسطو والسلب والنهب الاقتصادي والاجتماعي، والتخريب والمخدرات، والمتاجرة بالبشر والغش الصناعي والتزوير والاحتياز والاتجار بالأعضاء البشرية، وأي عمل يحرمه القانون الداخلي والدولي يُرتكب بصورة منظمة ومعدة سلفاً بالتخطيط والترصد والتصميم.

وتلتقي الجريمة المنظمة مع الظاهرة الإرهابية في عنصر التنظيم والعمل غير المشروع قانونياً، ويختلفان من حيث الهدف، حيث يهدف الإرهاب إلى تحقيق هدف سياسي إيديولوجي عبر العنف ونشر الهلع والتخويف، في حين تهدف الجريمة المنظمة إلى تحقيق الربح المادي، ويتميزان بوجود طابع علائقي من حيث التعاون الوظيفي من خلال تبادل الخبرات الفنية كتزويد عصابات الجريمة المنظمة الجماعات الإرهابية تقنية تزوير الهويات، وأيضاً الأدوار من خلال تبادل الأفراد النشيطة، كما توفر عصابات الجريمة المنظمة الجماعات الإرهابية المال والسلاح في حين تعمل الجماعات الإرهابية على حمايتها.

المحور الثاني: الامن العالمي

أولاً: مفهوم الأمن العالمي وتطوره

برز الاهتمام بموضوع الدراسة " تطور مفهوم الأمن العالمي في عالم متغير " في ضوء التطورات والأحداث المتسارعة والمتلاحقة التي شهدتها المجتمع الدولي والعلاقات الدولية في فترة الحرب الباردة وما بعدها في العام ١٩٩٠م، إذ كان لها انعكاسات كبيرة وأثار واضحة واهتمام إقليمي وعالمي بتطورات قضايا الأمن الإقليمي والعالمي بأبعاده المتعددة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمعلوماتية وأثرها في تنامي الإرهاب والجريمة تعرض مفهوم الأمن إلى تطور كبير وشامل عبر مراحل زمنية مختلفة، لقد تغير مفهوم الأمن التقليدي بشكل جذري متجاوزاً مفهومه القائم على القوة العسكرية الصلبة في التعامل مع التحديات والمخاطر التي تواجه الدول والمجتمع الدولي، عبر إدراك أهمية التركيز على منظومة أمنية شاملة تتوسع من محيط الجزء - الأمن التقليدي - (الأمن الصلب) إلى محيط الكل - الأمن أهمية التركيز على منظومة أمنية شاملة تتوسع من محيط الجزء - الأمن التقليدي - (الأمن الصلب) إلى محيط الكل - الأمن غير التقليدي- (الأمن المجتمعي المتكامل).

وقد أدى ظهور النظرية النقدية في حقل الدراسات الأمنية إلى إعادة تعريف الأمن وتوسيعه إلى مرجعيات وقطاعات تحليلية جديدة، ويشير التوسع إلى التحليل الأفقي وفق القطاعات انطلاقاً من القطاعات العسكرية التقليدية إلى القطاعات الأخرى (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، البيئية)، أما التعمق فيشير إلى التحليل العامودي وفق الفواعل انطلاقاً من الدولة نزولاً إلى المجتمع والجماعات والأفراد.

ساهمت العولمة بأبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية وكذلك التطور والتقدم التكنولوجي والمعرفي إلى تنوع مصادر التهديد.

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في تطور وتوسع مفهوم العالمي بمختلف أبعاده العسكرية والسياسية والقانونية والاقتصادية والإنسانية، وتحليل أبعاده المختلفة من خلال مناقشة وجهات نظر المدارس الأمنية المتعددة الغربية والشرقية.

تنطلق الدراسة من فرضية رئيسة مفادها:

إن هناك علاقة بين المتغيرات التي شهدتها النظام الدولي وبين التطور والتوسع الذي يشهده مفهوم الأمن العالمي

كما تتضمن الدراسة المواضيع التالية:

مفهوم الأمن العالمي

التوسع والتطور الذي طرأ على مفاهيمه وقطاعاته

وننقسم الدراسة الى:

تطور مفهوم الأمن وجدلياته

مفهوم الأمن التقليدي

الأمن المعاصر في النظريات السياسية

مفهوم الأمن المتكامل

ثانيا: تطور مفهوم الأمن العالمي في عالم متغير
أخذت الدراسات الأمنية بالانتشار والتوسع وخاصة المتعلقة بمفهوم الأمن بجوانبه وأبعاده المختلفة سواء كان ذلك على مستوى الدراسات الغربية أو الشرقية باعتباره يشكل مفهوما مهما في العلاقات الدولية، ويعد أحد الظواهر السياسية التي تخضع للتغيير والتفاعل المتبادل مع غيرها من الظواهر، ولا شك أن ظهور الأحلاف العسكرية والمحاور والتكتلات الدولية التي نشأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية وما تبع ذلك من تطور هائل في صناعة الأسلحة والتقدم التكنولوجي والعلمي والانتشار الكثيف والواسع لأسلحة الدمار الشامل والأسلحة غير التقليدية والتنافس على سباق التسلح بين المعسكرين الشرقي والغربي أثناء فترة الحرب الباردة، كل ذلك دفع إلى المزيد من الاهتمام بموضوع وقضايا الأمن المختلفة في معظم مناطق العالم، ورافق ذلك اهتمام واضح من المدارس الفكرية في حقل العلاقات الدولية بمفهوم الأمن باعتبار هذا المفهوم من المفاهيم الأساسية والمؤثرة في العلاقات الدولية.

ثالثاً: مفهوم الأمن التقليدي

تشكل طبيعة البيئة الدولية والظروف والمتغيرات التي تمر بها هذه البيئة الحاضنة التي يتم بها الصياغة المفاهيمية للأمن، فمنذ معاهدة ويستفاليا التي عقدت عام ١٦٤٨م التي على أساسها اعتبرت الدولة الوطنية وحدة التحليل الأساسية في العلاقات الدولية من منطلق أنها تشكل المكون والمحرك الفاعل في العلاقات الدولية، ولذلك كان لابد من أن يفهم الأمن من داخل الدولة أو في أبعد تقدير من حدود تماسها مع الوحدات الأخرى.

الاستراتيجية بمعنى مقدار القوة العسكرية المستعملة للأغراض السياسية

ويمكن القول أن الدراسات الأمنية التقليدية اتسمت بعدد من السمات أبرزها

أن معظم الأفكار والنظريات التي ظهرت في الحقل وناقشت موضوع الأمن كانت موجهة عبر فرضيات النموذج الواقعي من خلال التركيز على الدولة ودوافعها للحصول على القوة والأمن، بالإضافة إلى قضايا الحرب والنزاع وهي لم تخرج عن إطار المقولات الأساسية للنظرية الواقعية.

سيادة مفهوم الأمن القومي على الأجندة البحثية للتحليل، حيث تركز الاهتمام على الجوانب المادية للتهديدات (نسبة التسليح، قدرات الدولة وعناصر القوة الأخرى)، وأهملت في نفس الوقت أهمية القواعد والمعايير وتاريخ التفاعل ونمط العلاقات وغيرها من العناصر المهمة في تعريف الأمن.

ولكن هذه النظرة إلى مفهوم الأمن وأبعاده المختلفة لم تقوى على الاستمرار في ضوء التحولات الدولية الجديدة التي مست العديد من المفاهيم والقيم في السياسة العالمية وأدت إلى الدخول في مرحلة جديدة من تاريخ الدراسات الأمنية، وارتبط الاتجاه المعاصر في تحديد مفهوم الأمن بطبيعة التطورات التي حدثت بعد انتهاء الحرب الباردة وانحيار الاتحاد السوفييتي، وانتشار الصراعات الداخلية في بعض الدول، وتزايد مشاكل الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا، وكذلك بروز تهديدات غير تقليدية عابرة للدول مثل الأمراض والجريمة الدولية، ومشكلة اللاجئين، وانتهاكات البيئة والإرهاب وغيرها.

رابعاً: الأمن المعاصر في النظريات السياسية

اتسم مفهوم الأمن المعاصر بناء على متغيرات البيئة الدولية بصيغة التحول ولم يعد يقتصر على مسائل الحدود أو إنشاء ترسانة من السلاح أو التدريب العسكري والمعدات العسكرية، وا قضايا ذات طبيعة اقتصادية، نما تعدى هذه المسائل ليشمل واجتماعية فهو قضية مجتمعية تشمل الكيان الاجتماعي بكافة جوانبه وعلاقاته المختلفة.

إن الأمن هو التنمية ومن دون التنمية لا يمكن أن يوجد الأمن (مكنمارا، ١٩٧٠: ١٢٥)، والدول التي لا تنمو في الواقع لا يمكنها ببساطة أن تظل آمنة، وتجدر الإشارة إلى ان طرح مكنمارا الذي صدر قبل خمسة عقود قد التقى في بعض جوانبه مع طرح احد.

ظواهر مثل الانهيار الاقتصادي والظلم السياسي والندرة والفائض السكاني والتنافس الأثني وكوارث الطبيعة والإرهاب والجريمة والمرض تشكل تهديدات على الأفراد لا تقل خطورة عن تلك الناجمة من الحروب التي تعرف في ذاتها كجزء من مشروع كبير الإنساني للانعتاق.

وفي هذا السياق ينظر إلى الفرد كموضوع ومصدر للحقيقة الأمنية، على اعتبار أن أمن الأفراد لا يمكن تأطيره بالمنظور الأمني القومي فهناك حالات كثيرة تتمتع فيها الدولة بالأمن في حين يعيش الأفراد في ظروف يكاد يكون الأمن فيها معدوما وبالتالي فإن وضع الأفراد في مركز التحليل الأمني يؤدي إلى ظهور العديد من التهديدات والمخاطر ذات طبيعة مختلفة ومتغيرة من التحديات التي تواجه الفرد مثل العنف الجسدي، الاضطهاد، وتردي الوضع الصحي، والجهل، وانخفاض مستوى المعيشة والبطالة والتهميش والإهانة وغيرها من التهديدات والمخاطر الوثيقة الصلة بالحياة الروتينية للأفراد وهكذا يصبح أمن الأفراد عبارة عن انعتاق من مثل هذه الظروف، وهو ما يعد كفاح مستمر ضد اللا أمن.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الأمنية بعد الحادثة قامت بإعادة فحص الكثير من القضايا التقليدية في العلاقات الدولية ومن أهمها مفهوم الأمن، ومصطلح ما بعد الحادثة يشير إلى حقبة العصر بعد الحديث أو الحركات الصاعدة كرد فعل على الحادثة التي تتضمن إعادة النظر في الفرضيات الحداثية حول الثقافة والهوية والتاريخ واللغة.

تعد قضايا العنف وقد ساهمت المفاهيم النقدية لما بعد الحادثة في وضع تصور لمفهوم الأمن وحقل الدراسات الأمنية، والسيادة والهوية من أكثر القضايا التي تناولتها الدراسات الأمنية بعد الحادثة، وعلى

الرغم من محاولة الحداثيين فحص وكشف العلاقة الموجودة بين العنف ووجود الدولة السيادية، إلا أنهم لم يهملوا الدور الذي تقوم به الحدود ومنطق السيادة في حماية الأفراد.

وتبحث ما بعد الحداثة عن بديل للخطاب الأمني التقليدي هو خطاب أمني جماعي يرتكز على متغيرات التعاون والسلم والعدالة والفهم المشترك، بالإضافة إلى التركيز على القضايا الأمنية الجديدة التي أهملها التقليديون، لذلك يرى أنصار ما بعد الحداثة كل شيء قابل للتفسير والتأثير من الأمن والقوى والفوضى والنظام الدولي بل وحتى التاريخ الذي يفترض أنه مسار تطوري.

خامساً: مفهوم الأمن المتكامل لقد كان للحروب والصراعات بأنواعها المختلفة وما خلفت من انعكاسات وأثار سلبية على البشرية هي الدافع الرئيسي في البحث عن مصادر تهديد الأمن الإنساني، ففي ضوء التطورات الدولية والإقليمية والتغير في طبيعة القضايا الأمنية ومصادر التهديد الجديدة، فقد أصبح الاهتمام ينصرف إلى قضايا وأولويات مختلفة عما كان عليه الوضع في السابق. فقد شهدت العقود الماضية دعوات كثيرة لإعادة تفسير الأمن الدولي بحيث ينقل النقطة المرجعية بعيداً عن الدولة القومية حتى يصل بها إلى مستوى الفرد وهو ما أدى إلى ظهور مفهوم الأمن الإنساني في مقاربة تدعو إلى أن يكون الأفراد وليس الدول هم الشغل الشاغل لسياسيات الأمن الدولي على اعتبار أن الدول موجودة أصلاً لخدمة الأفراد وليست هي هدفاً بحد ذاتها، بالإضافة إلى أن تحسين مستوى حياة الأفراد بالحد من الفقر وحماية حقوق الإنسان وغيرها يمكن أن يؤدي إلى معالجة الأسباب الجذرية للصراع الدولي.

سادساً: المدارس الشرقية

فقد ظهرت بعض المدارس غير الغربية وقدمت وجهات نظر مختلفة حول موضوع الأمن، حيث قدم عدد من المفكرين تصوراً جديداً حول هذا المفهوم، تجدر الإشارة إليه والاهتمام بما طرحه هؤلاء المفكرين، وتالياً عرض لأهم هذه الأفكار لابد من الإشارة إلى أن الاهتمام بمفهوم الأمن وتطوره لم يعد حكراً على المدارس والنظريات الغربية وإنما انتقل الاهتمام بهذا المفهوم إلى مناطق أخرى من العالم وهي الصين وروسيا واليابان.

المحور الثالث: الأمن الصحي

يشهد العالم اليوم حالة من الصراع مع خصم غير ملموس، لا يستثني دولة ولا جماعة ولا يتوقف عند أي حدود. بالنسبة لكثير من الدول، يبدو هذا الصراع كأنه مشهد حرب، فأعداد "الضحايا" في تنامي مستمر، والعواقب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية باتت واضحة بشكل متزايد، وارتفعت حالة عدم اليقين بين

الأفراد، ولكن أيضًا تعزّز تماسك المجتمعات لمواجهة هذا الخصم. ففي ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٩، سُجّلت أول حالة إصابة بفيروس كوفيد-١٩ في مدينة ووهان بالصين، وفي ٢١ فبراير/شباط ٢٠٢٠، أعلنت منظمة الصحة العالمية أن احتواء تفشي الفيروس بات صعبًا، لتصنفه يوم ١١ مارس/آذار ٢٠٢٠، وباء عالميًا "جائحة".

وبينما ارتكز الاهتمام في ظل الجائحة على المجالات الطبية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية والسياسية والثقافية في ضوء الطبيعة الوجودية للتهديد، تبيّن أنها مسألة وقت فقط قبل أن تُصبح هذه الأزمة أيضًا محور السياسة الأمنية. فلما تجاوز أثر الفيروس حدود الدولة منذ بدء انتشاره خارج الصين باتجاه مختلف دول العالم، ولما كان تأثيره على الإنسان في المجتمع، ثم على المجتمع في الدولة، ثم على الدولة في العالم، فإن الاستجابات لهذا الفيروس قد تراوحت في شدتها بين مختلف الدول، إلا أنها جميعها تعاملت معه منذ ظهوره بما يمكن أن يُسمّى نهج "الأمننة"، أي أنه عومل كمُهدّد ينبغي مجابهته أمنيًا. ومن هذا المنطلق، يستدعي تناول استجابة الدول لأزمة كورونا، الإلمام بالمقاربات الأمنية التي يمكن أن تُفسّر طبيعة التعامل مع الجائحة، وبالتالي محاولة استشراف التحوّلات التي يُحتمل أن تُقبل عليها الدول في مرحلة ما بعد انقضاء الجائحة، بالإضافة إلى وضع سُبل لمعالجة المعضلات المتعلقة بالتهديدات الوارد ظهورها أمام الأمن القومي للدول. وهنا، يدور السؤال البحثي لهذه الدراسة حول العلاقة بين انتشار فيروس كوفيد-١٩ والأمن، وكيفية التعامل مع هذه الأمراض عبر مختلف قطاعات الدولة ومؤسساتها، بالإضافة إلى تأثير الجائحة على موقع الدولة الجيوسياسي من زاوية أمنية، والأدوات التقنية والسؤال الأمني، وذلك بالإجابة عن سؤال رئيسي هو: ما تأثير فيروس كوفيد-١٩ على مختلف جوانب الأمن في الدولة؟

أولاً: الأمن والصحة والدولة والفرد: أيّ علاقة؟

ماذا يحدث عندما تكون الصحة مسألة ملحة على كل من العلاقات الدولية والأمن؟ ما المعضلات التي لم تُعدّ الدول قادرة على إيجاد حل لها فتحوّلت إلى تهديد؟ وهل يؤدي تشديد الأمن على الحدود إلى تحسين الأمن الدولي أيضًا؟

تاريخيًا، كان يُنظر إلى تحقيق الأمن على أنه مسؤولية الدول الوطنية، إلا أن تطوّر التهديدات غير هذا الفهم إلى حدٍّ كبير. فمنذ نهاية الحرب الباردة ومع تنامي ظاهرة العولمة، أصبح الوضع الدولي أكثر تعقيدًا، وباتت حياة الملايين مُهدّدة بالصراعات. وقُدّمت هجمات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ على الولايات المتحدة بُعدًا جديدًا

لانعدام الأمن، يتحدّى نهجه التقليدي، فحركة الأشخاص والأموال والسلع والأفكار والمعلومات تحدث بسرعة وعبر الحدود وداخلها. وعليه، شهدت العقود الأخيرة ظهور مجموعة واسعة من التهديدات الأمنية الجديدة على المستويين الوطني والعالمي، بما فيها التهديدات المتعلقة بالصراعات العرقية والإثنية والحروب الأهلية والتطرف وتغيّر المناخ، والتجارة غير المشروعة والجريمة المنظمة والتهديدات البيئية وزيادة الأمراض الوبائية، وعدم الاستقرار الناجم عن النزوح والهجرة الجماعيين للسكان وانتشار أسلحة الدمار الشامل. وأدى هذا الكم الهائل من التهديدات المتشابكة والسريعة التحوّل، إلى العديد من التغيّرات في الخطابات الوطنية والدولية وفي طريقة صنع السياسات فيما يتعلق بالتدخلات في الصراعات. ولم يُعدّ يمكن لأي دولة وحدها حماية مواطنيها فقط بتعزيز آلياتها الرقابية، حيث تعتمد الدول والمجتمعات الآن -أكثر من أي وقت مضى- على إجراءات الدول والمجتمعات الأخرى من أجل أمنها، وفي بعض الأحيان حتى من أجل بقائها.

يختلف مفهوم الأمن البشري عن المسؤولية عن الحماية وتنفيذها لا ينطوي الأمن البشري على التهديد أو استخدام القوة أو التدابير القسرية، كما لا يحلّ محلّ أمن الدولة ولا يشتمل الأمن الشامل فقط على الدفاع العسكري، فهو مجرد جزء واحد من جوانب أمنية أخرى متعددة، فالهدف من الأمن الشامل هو تأمين الوظائف الحيوية للمجتمع في جهد مشترك، حيث تتعاون السلطات الحكومية والبلديات وقطاعات الأعمال والمنظمات غير الحكومية المختلفة مع بعضها البعض لإنتاج أعلى مستوى ممكن من الأمن، ففلسفة الأمن الشامل تصبح موضع التنفيذ من خلال تفاعل مختلف الجهات المعنية بالأمن والدفاع، مثل الوكالات الحكومية والقطاع العام والمنظمات غير الحكومية ومؤسسات القطاع الخاص والمجتمعات المحلية. وعليه، فالتعاون يُعدّ مفهوماً حاسماً في إنفاذ نهج واسع للأمن والدفاع، على الرغم من أن هذا ليس الشكل الوحيد الممكن للتفاعل.

ولما أدت العولمة إلى زيادة انتشار الأمراض الوبائية، ناقشت كثير من الدراسات العلاقة بين الأمراض والأمن على خطر انتشار الأوبئة عبر الحدود، وأعطى الاهتمام بشكل متزايد لمسألة أكثر اتساعاً، وهي تأثير الأمراض الوبائية على مفاهيم الأمن الأخرى. وهنا، يبرز مفهوم جوهري آخر يتعلق بشكل كبير بالأمن البشري، وهو الأمن الصحي. ولا تُحصر الصحة هنا في غياب المرض، ولكنها كذلك "حالة من الرفاه الجسدي والعقلي والاجتماعي الكامل"، فالصحة الجيدة ضرورية وفاعلة على حدّ سواء لتحقيق الأمن

البشري، لأن جوهر الأمن هو حماية أرواح البشر. والأمن الصحي هو جوهر الأمن البشري، فالمرض والعجز والوفاة تهديدات خطيرة وواسعة الانتشار للأمن البشري. ولما كانت الصحة مهمة على المستوى الفردي، فهي أساسية كذلك على المستوى الجماعي لكونها شرطاً مسبقاً للاستقرار الاجتماعي، حيث يمكن أن يؤدي الانتشار المفاجئ لمرضٍ مُعدٍ أو أزمة صحية إلى زعزعة استقرار المجتمع بأكمله. إذًا، الصحة والأمن البشري مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، ومع ذلك لا ينبغي اختزال الصحة الجيدة كـ رديفٍ للأمن، كما أن الأمن لا يشمل جميع جوانب صحة الإنسان. من جانب آخر، أدى احتمال استخدام أسلحة الدمار الشامل البيولوجية إلى زيادة الاهتمام ووضع الأمور الصحية على الأجندات الأمنية.

وعلى الرغم من توفر كتابات واسعة حول الأمن البشري والأمن الصحي وأمن الصحة العامة العالمي، فإنه لا يوجد تعريف متفق عليه عالمياً، حيث أدى الاستخدام الواسع النطاق، ولكن غير المنسق للمصطلح في مجال الصحة العامة على مستوى العالم، وما رافقه من تصورات وأولويات وجدول أعمال متباينة، إلى حدوث ارتباك وانعدام ثقة إلى حدٍ كبير، وذلك رغم إقرار صانعي القرار -بشكل متزايد- بالترابط المنهجي بين صحة الإنسان وصحة الحيوان والبيئة. بالإضافة إلى ذلك، فإن وتيرة العولمة والتوسع الحضري والحركة المتزايدة للأشخاص والحيوانات، تؤدي إلى تقاطع نقاط الضعف الموجودة في العلاقة بين البشر والحيوانات والنظام الغذائي والبيئة الطبيعية.

وعلى مدار الأعوام الثلاثين الماضية، أصبح مفهوم الأمن الصحي العالمي محلّ اهتمام، خاصة أنه في جوهره يشمل أهمية تجنّب الإرهاب البيولوجي، واحتواء مخاطر الأمراض المعدية والإقرار بأن العمل الجماعي مطلوب للتصدي لها. ومع ذلك، لم يواكب مجال الأمن الصحي العالمي اتساع نطاق التهديدات للأمن والمخاطر العالميين. لقد تم تصوّر الأمن الصحي العالمي إلى حدٍ كبير على أنه شكل من أشكال الدفاع ضد التهديدات الوبائية (أكثر من الأمن في حدّ ذاته) على سبيل المثال، من خلال تخزين العلاجات. ويُشير الدفاع عادة إلى عدوٍّ معروف وإلى الإجراءات التي يمكن لها أن تُحدّد نهجاً للتعامل مع قضايا محددة في حالة معينة. أما الأمن فهو مصطلح أكثر غموضاً ويتطلب إنفاذه حالة استعداد مستمرة. في هذا الصدد، يصعب تأطير الأمن بعبارات مطلقة لأنه -على عكس الدفاع- يضع إطاراً زمنياً طويلاً الأجل، ويستلزم مجموعة مستمرة من المشاريع دون هدف واضح. وعلى الرغم من أن المصطلحين متشابهان عملياً، فإن الدفاع يفترض هدفاً، على سبيل المثال، مُسبّبات الأمراض المعروفة، بينما يركز الأمن على نظام، وبالتالي

فهو مجهز لمواجهة احتمال ظهور أمراض جديدة. وبالتالي، يُشكّل الأمن العمود الفقري لإطار الأمن الصحي، خاصة العالمي، نظرًا للمخاطر الكامنة والترابط والتعقيدات التي نواجهها في هذا المجال.

وبينما ركزت كثير من الدراسات على العلاقة بين النمو الاقتصادي وصحة الإنسان، خاصة أن بريطانيا وفرنسا أثرت فيهما الثورة الصناعية سلبيًا على صحة السكان، مما حفّز ظهور حقل الدراسات الوبائية، كما أدى إلى قيام حركة الصحة الوقائية العامة، تناولت دراسات أخرى العلاقة بين الأمراض الوبائية والأمن، وركزت على تأثير الصحة على النجاح العسكري، حيث يرتبط الأمن الصحي والأمن العسكري ارتباطًا مباشرًا. فتاريخيًا، اعتمدت شرعية الحكام على مدى قدرتهم على حماية صحة شعوبهم من خلال الوسائل العسكرية وغيرها، أما في العقود الأخيرة، لاسيما خلال الحرب الباردة، اتجهت مجالات الصحة والأمن العسكري إلى طرق منفصلة، حيث طوّر كل منهما جوانبه الفنية المميزة ودوائره السياسية وشبكاته المؤسسية. وعزت بعض الدراسات انتشار الأمراض إلى عدم أخذ الدول بالمبادئ التوجيهية واللوائح المنصوص عليها بشأن الإبلاغ عن الأمراض الوبائية، وذلك لأن هذه المبادئ واللوائح لا تأخذ بعين الاعتبار ما قد تُعاني منه الدولة من عواقب اجتماعية واقتصادية ثقيلة بسبب إبلاغها، وهو ما يمنع الدول من الإبلاغ.

وشككت بعض الدراسات في قدرة الأمراض الوبائية على تهديد أمن الدول بشكل مباشر وكبير، إلا أنها جادلت بوجود عناصر وعواقب أمنية أخرى حاسمة للأمراض الوبائية. لكن في الوقت نفسه، جادلت هذه الدراسات أنه غالبًا ما تكون هذه التداعيات الأمنية محدودة، مقارنة بالعواقب الأخرى للأمراض الوبائية. وقد تناولت كثير من الدراسات مسألة الاستقرار في ظل وجود أمراض وبائية، وكيف يتحوّل الوباء إلى مسألة تُهدّد استقرار الحكومات والمؤسسات والتنمية في الدولة. وكذلك، ناقشت بعض الدراسات كيف يمكن أن تؤدي الآثار السياسية والاقتصادية التي تُخلّفها الأمراض الوبائية إلى صراع عنيف، فالمرض قد يُضعف من الحرمان النسبي والمطلق ويُسرّع من تآكل قدرة الدولة في المجتمعات المتأثرة بشكل خطير. وبالتالي، فإن الأمراض الوبائية قد تُسهم في زعزعة الاستقرار المجتمعي والعنف داخل الدول، وفي الحالات القصوى قد تُسرّع من فشل الدولة.

وعليه، يتضح أن المرض الوبائي يمكن أن يُسهم في اندلاع الصراعات، لاسيما من خلال التسبّب في عدم الاستقرار المحلي، وبهذه الطريقة يمكن أن يُهدّد الأمن القومي للدول. ومن جانب آخر، فاقم ظهور ما يُعرف بالحرب البيولوجية من أهمية العلاقة بين الأمن والصحة بسبب مقدرتها على نشر العوامل الوبائية والفتاك.

وتتضمن الأسلحة البيولوجية كائنات حية، وهي في الغالب كائنات دقيقة ذاتية التكاثر -بما فيها البكتيريا والفيروسات والفطريات والريكتسيا- تُنشر عمدًا لتُسبب المرض أو الموت للإنسان أو الحيوان. وقد تشمل أيضًا عوامل غير حية وغير ذاتية التكاثر تُفرزها الكائنات الحية أو تُنتج صناعيًا لتكون مشابهة للعوامل التي تُفرزها الكائنات الحية. هنا تبرز كذلك أهمية تطوير قدرة الدول على مواجهة حروب غير تقليدية في المستقبل.

وضعت لجنة الأمن البشري التابعة للأمم المتحدة أربعة معايير تؤثر في قوة العلاقة بين الصحة والأمن البشري، تتمثل في: حجم عبء المرض الآني والمستقبلي، والحاجة الملحة إلى الاستجابة، وعمق ومدى التأثير على المجتمع، والاعتماد المتبادل أو العوامل الخارجية التي يمكن أن تحدث آثارًا مضاعفة تتجاوز أمراضًا أو أشخاصًا أو مواقع محددة. وعند تطبيق هذه المعايير، تبرز ثلاثة تحديات صحية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالأمن البشري، وهي: الأمراض الوبائية، والتهديدات المرتبطة بالفقر، والعنف والأزمات.

ثانيا: المعيار الجيوسياسي الانكفاء أم التفاعل بين الدول
إن انتشار الفيروس على هذا النطاق العالمي يُمهد لنقاشات مستقبلية تتعلق بما إذا كان هذا الفيروس عاملاً نحو الوحدة والتكامل أم نحو التفكك والتفرق، وما إذا كانت الدول ستعيد حساباتها فيما يتعلق بتحالفاتها. الجزم في الإجابة على هذا السؤال ما زال صعبًا، إلا أنه يمكن القول باحتمالية انفراط عقد التشكيلات الدولية والإقليمية، وبتغيرات في التوازنات العالمية، وربما بحركة مضادة للعولمة، استنادًا إلى عوامل يُمثل الأمن الصحي والأمن البشري المحددات الأولى لها.

على المستوى الجيوسياسي، لن تؤدي أزمة فيروس كوفيد-١٩ إلى بروز قوة عظمى رائدة في اتباع سياسة أمنية جيدة، ويبدو أنه لن تخرج أي من الدول معافاة بشكل مطلق من هذا المأزق العالمي. على المدى القصير على الأقل، ظهر انكفاء اللاعبين الدوليين على أنفسهم، وأصبحت السياسات الانعزالية أكثر رواجًا، فقد كشفت الأزمة نقاط ضعف العولمة، كما أنها ستؤدي إلى إعادة التفكير في بعض أبرز سماتها، مثل: انتشار الطيران والكثافة الحضرية، والاعتماد على المعونات والإمدادات الدولية، والانتشار غير المنضبط للمعلومات الخاطئة. ويُمكن لأزمة كوفيد-١٩ أن تُعزز موقف أولئك الذين يرون في البلدان المتقدمة، والعولمة الاقتصادية، وتحرير التجارة والاستثمار، تهديدات غير مقبولة لسيادة دولتهم. وسرعان ما امتدت صدمة كوفيد-١٩ إلى الاقتصاد العالمي، مما أدى إلى انخفاض كبير في النشاط الاقتصادي، بسبب ممارسات

التباعد الاجتماعي وعمليات الإغلاق التي تفرضها الحكومة والقيود الأخرى على التنقل والحركة، فمثلاً، شهد العالم انخفاضاً في حركة التجارة في البضائع، لاسيما في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

وعلى الصعيد الدولي، تواجه المؤسسات والمنظمات الدولية صعوبات جمة في إثبات فعاليتها أمام موجة من الانتقادات اللاذعة التي طالتها، بعدما تبين أنها باتت تقل أهمية بشكل متزايد أمام جائحة كوفيد-١٩؛ فقد استجاب مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بطريقة غير فعالة، بينما أصبحت منظمة الصحة العالمية مادة للسخرية، فألقى الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، باللوم عليها نظراً "لسوء إدارة انتشار فيروس كورونا" (٣٥)، وحذر من أن الولايات المتحدة ستنتهي مساهمتها السنوية للمنظمة وتنسحب منها، وهو ما فعله (٣٦)، كما طعن بشدة في مصداقية المنظمة وتبعيتها.

وهنا، يُطرح سؤال أمام أولويات الدول والحكومات في التعامل مع المؤسسات الدولية، فبينما يُلاحظ التناقض بين استجابة النخب النشطة لبعض الاضطرابات السياسية، مثل الاستجابات السريعة لمؤسسات النقد العالمية، كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في بعض الدول التي تُعاني من مشكلات اقتصادية، كما حدث بشكل جلي مع اليونان وغيرها من الدول، فإن هذه النخب والمؤسسات والدول أذعنّت بشكل متزايد للفتاوات الاجتماعية والأضرار البيئية مثلما حدث مع انسحاب رؤساء الولايات المتحدة من بروتوكولات بيئية عالمية، وهو ما فعله الرئيس جورج بوش مع بروتوكول "كيوتو" بشأن تغير المناخ، والرئيس دونالد ترامب مع اتفاقية باريس للمناخ.

ثالثاً: في أولوية الصحة: من يوفر الأمن؟

إن العلاقة بين الأمن والصحة ليست نتاج مصادفة، بل إنها تعكس تحولات سياقية بدأت منذ التسعينيات وتمتد حتى اليوم. وهناك بعض الأسباب التي يمكن أن تُبين حجم الارتباط بين الصحة والأمن البشري:

أولاً: تعكس الحروب الجديدة والأمراض الوبائية والنتائج الصحية للفقر؛ إما الهشاشة في ظل العولمة، أو الاعتراف بالأوجه اليومية لانعدام الأمن التي تواجهها الشعوب المهمشة. فقد تحدّت التحولات السياقية الطرائق والآليات التقليدية للاستجابة للعديد من حالات انعدام الأمن، وبرز الأمن البشري والصحي مدفوعاً بهذه التحولات الجديدة.

ثانيًا: يبدأ الأمن البشري من منظور يتمحور حول الفرد والناس، ويولّد مجموعة من الأولويات المختلفة عن تلك التي لدى الأمن القومي المتمحور حول الدولة. كما لا يمكن تلبية الاحتياجات الأمنية للنازحين داخليًا أو للفقراء أو المعرضين لخطر كبير للإصابة بالأمراض الوبائية من خلال الفهم التقليدي للأمن والتنمية، ولا يمكن للحماية العسكرية للحدود الوطنية أن تفعل الكثير لحماية الناس من العديد من التهديدات الصحية الجديدة. ويمكن لنموذج جديد محوره الأفراد، بما له من تداعيات على السياسات، أن يُكَمِّل ويُعزِّز أمن الدولة لحماية الناس في عالم مترابط وغير مستقر.

ثالثًا: يساعد الأمن البشري في التعرّف على عمق الأزمات الصحية وتأثيرها الممتد، فعمقها يتمثّل في أن الصراعات والأوبئة والأمراض تولّد اضطرابات اقتصادية واجتماعية وسياسية عميقة، بينما تكون المؤسسات الاجتماعية، بما فيها الحكومات والخدمات الصحية، مُعَطَّلة بشدة. علاوة على ذلك، يجب أن تتعامل السياسات والإجراءات الصحية مع حالات الطوارئ ومع الأزمات الممتدة. وفي كثير من الأحيان، تؤكد الروابط بين الصحة وانعدام الأمن البشري ضعف قطاع الصحة العامة والخدمات العلاجية في معظم البلدان، الغنية منها والفقيرة على حدّ سواء.

أخيرًا، يُجسد الأمن البشري الشمولية التي يجب أن يواجه بها قطاع الصحة العديد من التحديات الناشئة، فلم يعد بإمكان الفاعلين في مجال الصحة التصرف بمفردهم دون التنسيق مع العديد من الجهات الفاعلة الأخرى المعنية. كما أن السيطرة على الأوبئة باتت غير ممكنة بدون المراقبة والسيطرة والاستجابة للتجارة الدولية والهجرة والتحرّكات العالمية. وعليه، يجب أن يكون مفهوم الأمن البشري شاملاً، وغير مقتصر على قطاع صغير أو مجال ضيق أو أفراد بأعينهم.

رابعًا: التقنيات في مواجهة الجائحة: تجارب عملية

على مدى العقد الماضي، انتقلت البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل نحو نُظُم المعلومات الرقمية واستخدام تقنيات جديدة لجمع البيانات، وهو ما أتاح استيعاب المزيد من التقنيات الرقمية لدعم الأمن الصحي العالمي للبلدان ومنع تفشي الأمراض. وقد استدعت سياسات الوصول إلى البيانات والأمن أن تُحدد اتفاقيات مشاركة البيانات شروطها، مع الحفاظ على السيادة وضمان حماية الخصوصية المتناسبة مع هياكل الحوكمة في مختلف البلدان. وتطرح هذه النُظُم الصحية الجديدة تحديات أمام الأمن الصحي، مثل: الحاجة إلى الحد من

إساءة استخدام البيانات من خلال تدابير الأمن السيبراني، والتصدي للهجمات الإلكترونية أو حملات المعلومات المضللة.

وقد وضعت منظمة الصحة العالمية استراتيجية عالمية للصحة الرقمية عام ٢٠١٩، وعُرِّفت الصحة الرقمية على أنها "مجال المعرفة والممارسة المرتبط بأي جانب من جوانب اعتماد التقنيات الرقمية لتحسين الصحة، منذ البدء وحتى العمل بها، وهو تعريف يتجاوز المعنى البسيط لاستخدام التقنيات الرقمية في الصحة، حيث تصبح الصحة الرقمية أكثر شمولية وقدرة على تعزيز التنوع المطلوب لفهم الفئات المتعددة ووظائفها واحتياجاتها من حيث السياسات التي يجب اتباعها، وبالتالي فإنه يتلاقى مع مفاهيم الأمن التي من شأنها أن تضمن السلامة أمام انتشار الأوبئة.

قدّم انتشار فيروس كوفيد-١٩ مفاهيم جديدة للاتصال في عالم اليوم، ففتحت قنوات خدماتية جديدة، وقدّمت آفاقاً مستحدثة في قطاعات ومجالات متعددة، وأدخلت تقنيات جديدة في العمل والتعليم والصحة والجمارك وغيرها. فإلى جانب فرض إجراءات الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي، والاتجاه نحو العمل عن بُعد، اتجهت العديد من الدول إلى الحلول التقنية للسيطرة على جائحة كوفيد-١٩ والحد من آثارها، ومنها تطبيقات تتبّع الاتصال، والروبوتات، والطائرات المسيّرة، والأقمار الصناعية، وكذلك كاميرات التصوير الحراري لقياس درجة حرارة الأشخاص في مناطق حركة السير عالية الكثافة، مثل المطارات ومراكز التسوق.

المحور الرابع: الأمن السيبراني

الأمن السيبراني هو عملية حماية الأنظمة والشبكات والبرامج ضد الهجمات الرقمية. تهدف هذه الهجمات السيبرانية عادةً إلى الوصول إلى المعلومات الحساسة أو تغييرها أو تدميرها؛ بغرض الاستيلاء على المال من المستخدمين أو مقاطعة عمليات الأعمال العادية.

يمثل تنفيذ تدابير الأمن السيبراني تحديًا كبيرًا اليوم نظرًا لوجود عدد أجهزة يفوق أعداد الأشخاص كما أصبح المهاجمون أكثر ابتكارًا.

تتظر شركات الأمن السيبراني في العديد من مجالات البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات للشركة، من الأجهزة إلى عادات المستخدم، والهدف هو تحديد مجالات المخاطر التي قد تسمح لهجوم التصيد الاحتيالي بالنجاح أو تمكين المهاجم من الوصول إلى نظام شركة أو تطبيق سحابي، واهم عناصر الأمن السيبراني:

اولاً: أمن التطبيق

يتعلق أمان التطبيقات بالحفاظ على تطبيقات البرامج منوعة أمام التهديدات، في حين أن هذا يمثل تركيزاً كبيراً لتلك الشركات التي تطور وتبيع تطبيقاتها وخدماتها السحابية، إلا أنها مهمة أيضاً للشركات.

يعد التهينة الخاطئة لإعدادات الأمان سبباً رئيسياً لخروقات بيانات الحساب السحابي، ستستخدم الشركات خدمة سحابية كبيرة مثل Microsoft 365 لكنها لن تفهم أنها بحاجة إلى تخصيص إعدادات الأمان من الإعدادات الافتراضية.

ثانياً: أمن المعلومات

يغطي أمن المعلومات حماية بيانات الشركة وتلك البيانات التي تجمعها من العملاء أو البائعين، عندما تسمع عن خصوصية البيانات والامتثال للوائح الخصوصية، تضع هذه اللوائح القواعد الأساسية لأمن المعلومات.

ستحتاج معظم الشركات إلى الالتزام بواحد أو أكثر من معايير أمن المعلومات، يمكن أن يكون لهذه المعايير عقوبات صارمة إذا كان الإهمال يؤدي إلى اختراق معلومات التعريف الشخصية.

ستتظر شركات الأمن السيبراني في كيفية جمع البيانات وتخزينها ونقلها، سيضعون وسائل الحماية لضمان تشفير البيانات حسب الحاجة وحمايتها من التعرض للانتهاك.

ثالثاً: التخطيط للتعافي من الكوارث

تسعى العديد من الشركات للحصول على المساعدة من خدمات استشارات الأمن السيبراني عندما يتعلق الأمر بتخطيط التعافي من الكوارث، هذا هو المفتاح لمنع عمالك من أن يكون واحداً من ٦٠٪ التي تتراجع بعد وقوعها ضحية لهجوم إلكتروني.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

وتعمل المؤسسات وضع استراتيجيات لمنع الإصابة بالبرامج الضارة أو الاختراق والاستعدادات للشفاء السريع في حالة وقوعك ضحية لهجوم، وضع نظام النسخ الاحتياطي والاسترداد، والتدريبات على الاستجابة للحوادث، وحماية نقطة النهاية القوية.

رابعاً: أمن الشبكة

يتضمن أمان الشبكة حماية شبكتك المادية وجميع الأجهزة المتصلة بها، تستخدم معظم الشركات جدران الحماية لمراقبة حركة المرور الواردة والصادرة بحثاً عن التهديدات، هذا شكل من أشكال أمن الشبكة.

يعد تأمين شبكتك اللاسلكية والتأكد من حدوث أي اتصالات عن بُعد من خلال طرق مشفرة أيضاً من الطرق التي تتضمن بها خدمات الأمن السيبراني أمان الشبكة. يمكنك التفكير في أمان الشبكة كحارس يقف يراقب المحيط الخارجي للقلعة، إنه مصمم لضمان وصول المستخدمين المصرح لهم فقط إلى الشبكة وعدم حدوث أي سلوكيات مشبوهة داخل الشبكة تشير إلى حدوث خرق.

خامساً: أمن المستخدم النهائي

يُعرف أمان المستخدم النهائي أيضاً باسم أمان نقطة النهاية، يتعلق هذا بحماية الأجهزة التي يعمل بها المستخدمون والمستخدمون أنفسهم، ويعد أمان المستخدم النهائي أمراً حيوياً لأن ٩١٪ من الهجمات الإلكترونية تبدأ برسالة بريد إلكتروني للتصيد الاحتيالي.

جزء مهم آخر من أمان المستخدم النهائي، بخلاف حماية الجهاز، هو تدريب الوعي بأمن الموظفين، يحتاج الموظفون إلى التدريب بانتظام على كيفية اكتشاف رسائل البريد الإلكتروني المخادعة وأمن كلمات المرور وكيفية التعامل مع البيانات الحساسة وأساسيات النظافة الإلكترونية المهمة الأخرى.

سادساً: أمن العمليات

يتضمن الأمن التشغيلي التراجع والنظر إلى إستراتيجية الأمان بالكامل ككل، إنه يضمن أن جميع التكتيكات الأمنية تعمل في انسجام تام خلال عملياتك وأن لا تتعارض أي منها مع بعضها البعض.

الأمن التشغيلي هو المظلة التي تشمل جميع عمليات أمن تكنولوجيا المعلومات الخاصة بك، إنه يضمن أن العملية ككل لا تقوم فقط بتأمين جميع مناطق الخرق المحتمل، بل تقوم أيضاً بتحديث استراتيجياتها الأمنية بانتظام لمواكبة أحدث التهديدات والتقدم الأمني.

خاتمة

يتبين لنا من خلال ما تم عرضه في هذه الورقة البحثية أن التهديدات اللاتماثلية هي نتاج لما يحصل من تطورات في البيئة العالمية الأمنية، فطبيعة هذه التهديدات أخذت أشكال أكثر تعقيداً لتأثرها بالتطور التكنولوجي والمعلوماتي الحاصل، والتي أوجدت فيه وسائل وآليات جديدة للمواجهة يصعب تحديدها، عكس عدو الأمس التقليدي الذي يسهل مواجهته وتحديد مكانه.

في شق الامن الصحي لقد أثبتت جائحة كورونا بروز المعضلة الأمنية كمسألة لا يمكن تجاوز إمكاناتها لمواجهة التحديات التي فرضتها التحولات الجارية منذ تسعينيات القرن الماضي، فلا ينبغي أن تُطمس أبعاد السياسة الأمنية عند تحليل التطورات المحلية والإقليمية والدولية للجائحة. وبالتالي فإن الحديث عن المرحلة الراهنة أو المقبلة تستدعي تضمين المحور الأمني، إذ يُفترض أن تفتح جائحة كوفيد-١٩ فرصاً أمام السياسة الأمنية حيث يُعمل الآن بالإجراءات التي كانت تُعتبر سابقاً غير قابلة للتصور، أو استثنائية، وهو ما يتطلب التعلم من الأزمة عبر إيلاء المزيد من الاهتمام الاستراتيجي للصحة والأمن العالميين في المستقبل بحيث يصبحان محور السياسات الخارجية والأمنية والعسكرية. وهنا، تبرز أهمية الخبرة العلمية في الأزمات، حيث يجب التحقيق في أسباب ومظاهر تداعيات انتشار كوفيد-١٩ بدقة بكل الأساليب العلمية المتوفرة، كما يجب أن تُسخر الجامعات والمعاهد العلمية، وأن ينضم الخبراء والعلماء في مجال الصحة إلى الخبراء الأمنيين وصناع القرار.

وتشير النزاعات الناشئة في إطار الصحة والاقتصاد والسلامة والأمن إلى أنه يجب العثور على إجابات أخلاقية جديدة لهذه النزاعات. وكذلك، سيكون مفيداً توعية الأفراد وتزويدهم بالمعلومات حول الجائحة وانتشارها، ومحاولة تجنب أمنتها على المستوى المحلي. ويتطلب إدراك الأزمة كذلك تبني استراتيجية متكاملة مُصممة للحفاظ على مستوى معقول من الاستمرارية الوظيفية على المستويين المدني والوطني، والهدف ليس فقط الحفاظ على الحد الأدنى من نسيج الحياة، ولكن لاحقاً، بعد زوال التهديد، تسهيل عودة النظام وتعافيه بأسرع ما يمكن. وفقط عند صياغة وتنفيذ مثل هذه الاستراتيجية المتكاملة لتعزيز المرونة

الوطنية، ستضمن الدولة حماية أفرادها وحماية حدودها من المهددات في النهاية، تُعد جائحة كوفيد-١٩ تحديًا عالميًا يتطلب إجراءات عالمية وشاملة، حيث عبرت الجائحة مختلف مناحي الحياة ومختلف قطاعات الدولة ومؤسساتها وشتى قنوات التعاون الدولي، كما فتحت آفاقًا جديدة في مجالات الصحة والأمن والسياسة، وأجرت تحولات شاملة على مستوى الاقتصاد والمجتمع، بالإضافة إلى إظهارها حقولًا جديدةً ينبغي التركيز على مدى إسهاماتها مستقبلاً، مثل الأمن السيبراني ودور الأدوات التقنية في مواجهة الأوبئة. وبالتالي يجب على الدول أن تُبدي ما إذا كانت مستعدة وقادرة على التفكير والتصرف بطريقة شاملة. والأهم أنه يجب عدم الاستخفاف بالآزمات الصحية على قُلَّتْها، وعدم ارتكاب الخطأ نفسه مرة أخرى. ومهما كانت الحلول، فمن المرجح أن نهجًا ما كان ليكون أكثر فعالية في الماضي من النهج المتبع حاليًا لاحتواء الجائحة. ومن المفارقات أنه من خلال العلاقات الدولية والاتصال والشفافية فقط يمكن تعزيز الصحة والأمن، حتى لو تطلبت هذه الدبلوماسية مناقشة غير محبذة للتدابير التي تزيد من عزل البلدان عن بعضها البعض لصالح الصحة العامة، وأحيانًا تُعزّز الأمن والاستقرار الدوليين.

المراجع

١- الدراسات البحثية المتخصصة، مقارنة معرفية حول التهديدات الامنية الجديدة ، المركز الديمقراطي العربي ، مجلة العلوم السياسية والقانون ، العدد الاول ٢٠١٧

محجوب الزويري ، جائحة كورونا ، مجلة لباب العدد ٢٢ ، ٢٠٢٠

الامن السيبراني ، موقع الامة بريس عدد ٢١ ، كانون اول ، ٢٠٢١

التحديات السياسية التي تواجه النظام السياسي بعد التحول الجذري

م. د. حسن هادي رشيد/ باحث جمعية البصيرة للبحث والتنمية الاعلامية

إذا كان هنالك تغيير وتحول قد حصل في نظام ما ان كان على مستوى الدولة او على مستوى النظام الدولي، وبغض النظر عن طبيعة وشكل هذا التغيير هل هو دموي ام سلمي، وهذا التغيير ان اخذ شكله النهائي ام لم يأخذ شكله النهائي بعد، كون عملية التغيير تحتاج لسنين في اكثر الاحيان، فان هذا التحول سيواجه العديد من التحديات واولى التحديات ستظهر خلال الفترة الزمنية الاولى على عملية التغيير، خاصة اذا كان التغيير لم يقتصر على جانب السلطة فقط، بل هو تغيير جذري شمل المنظومة الفكر للمجتمع، وطريقة تعاطي المنظومة الجديدة مع الاحداث، السياسية والاجتماعية والثقافية، والاقتصادية ايضا، ولا يقتصر التأثير والتحديات على العوامل الداخلية، على من شارك بصورة مباشرة او غير مباشرة بعملية التغيير، او كان ضده ممن يحاول اعادة عقارب الساعة الى الخلف، وهذا التحول سيحرك الكثير من التحديات، سواء بالمادة او من خلال دغدغة مشاعرهم الوطنية او الدينية، او المناطقية او العشائرية او الخوف والكرهية من الاخر، فاصبح كل من شارك او لم يشارك في عملية التغيير له صوت، ولا نتحدث هنا عن الصوت الانتخابي فقط، وانما صوت في الشارع من خلال الاحتجاجات العامة او المطالب الفئوية لأصحاب المهن او مناطقية، اذا الوضع لم يعد كما كان قبل التغيير بعد ان رفع حاجز الخوف. ويبقى للعامل الخارجي دور مؤثر على عملية التحول، ويعتمد ذلك على حسب نظرة الخارج لطبيعة النظام السابق او الجديد، ويمكن له ان يحرك كل العوامل السابقة.

ويبقى العامل المهم في سبب تأخر او سرعة انجاز التحول، وتحقيقه لكل أهدافه يعود لحجم وتنوع التحديات التي تواجه عملية التحول، واذا كانت هذه التحديات تنقسم الى داخلية وخارجية، فكلهما يتضمنان تحديات كثيرة، ويتمثل التحدي السياسي احدهما والذي يتمثل باتجاهين، اولهما: كيفية التعاطي مع الارث القديم الذي ورثته الحكومات الجديدة من النظام السابق. والثاني: هل ان ما يحمله النظام الجديد من فكر سياسي يعد واقعي يستطيع من خلال تجاوز كل الاسباب التي ادت للتغيير، فضلا عن التحديات الجديدة التي ستظهر له اثنا وبعد عملية التحول، وهذا ما سنبحثه في هذا البحث.

اهداف البحث:

يهدف البحث الى بيان اهم العوامل المؤثرة على نجاح او فشل عملية التحول، وبيان اهم التحديات التي تواجه عملية التغيير، والى بيان قدرة القائمين على التغيير على الصمود بوجه التحديات بنوعيتها الذاتية من داخل منظومته، فضلا عن تأثير النظام السابق والعوامل السياسية والاجتماعية السابقة كمعوق اساسي امام التحول، دون نسيان العامل الخارجي واثره ان كان مع او ضد التحول.

اهمية البحث

يعطي البحث تصور واضح عن الاسباب الحقيقية التي تحول دون نجاح التحول ووصوله للهدف الذي كان يصبو اليه القائمين عليه، ونحن هنا ليس بصدد بيان احقية التغيير من عدمه، ولا البحث في النوايا الحقيقية التي انطلق لأجلها التغيير، قد تكون النوايا جيدة، ولكن تفشل بسبب الاسلوب والاعداد غير الجيد، وقد يكون العكس فينجح التحول والتغيير فقط لحسن التدبير؛ فيكون التغيير للأسوء، كل ذلك يقاس بحجم التحديات وقدرة المنظومة الجديدة على مواجهتها.

الإشكالية

كل تغيير وان كان طبيعيا فانه وبلا شك سيلاقي تحديات طبيعية او مصطنعة، فكيف بتغيير لنظام سياسي كامل، وربما تتغير معه كل المؤسسات، وقد يكون له تأثير على المنظومة الدولية الاقليمية او العالمية، هذا التحول يوجب على القائمين عليه التصدي للماضي، مع الطموح بوضع سياسي افضل وعلى كل الاصعدة، فضلا عن ما يتطلب من النظام السياسي الجديد من الوقف بوجه التحديات الخارجية التي تعمل بشتى السبل على الحفاظ على مصالحها.

الفرضية:

ينطلق البحث من فرضية مفادها "ان التحدي السياسي يعد من التحديات المهمة التي تواجه اي عملية تحول في المنظومة السياسية ببعده الداخلي والخارجي، ولا يختص ذلك بدولة دون اخرى".
المنهج المستخدم: سيتم اعتماد المنهج التحليلي، والذي يتم من خلاله تحليل الافكار والآراء، واستشفاف الغايات والأهداف التي كانوا يرمون إليها الفاعلون في عملية التحول.

المطلب الاول: انواع التحديات التي تواجه عملية تحول النظام السياسي وطبيعة التحول.

نقصد بالتحول الجذري بهذا البحث، هو التغيير الجوهري والواضح في طبيعة النظام السياسي وقد يصاحبه تغير اخر في طبيعة تعاطي المجتمع مع هذا التحول سلبا او ايجابا، بخلاف ما كان قبل التغيير. وانطلقا من ذلك فقد يكون هذا التغيير والاكثر بروزا ووضوحا في الثورات، او من خلال صناديق الانتخاب عندما يكون هناك تغير في قانون الانتخاب او بدخول جهة سياسية لم تكن قد شاركت من قبل، ولندكر بعض الامثلة عن التغير الجذري الذي حصل في الوطن العربي من منتصف القرن الماضي.

اولا انواع التحول الجذري:

التغيير سنة كونية واجتماعية ونفسية (وشرعية)، وتاريخ الإنسانية يوحي لنا بأن الحاجة إلى التغيير قضية ملحة وذات أهمية لاستمرار الحياة، والتغيير السياسي جزء من منظومة التغيير، وان كان يعبر بكونه فعل نخبي او اجتماعي تقوم به الجماهير، واحد ادواته هم الطبقات التي تعاني الظلم والحرمان، من أجل تبديل ظروف حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية نحو الأفضل، او لأسباب شتى كالصراع على السلطة او غيره من الاسباب، فما هي الثورة وما هي اهدافها، ولماذا قد تتعرض للفشل؟.

وهناك نمطين من التحولات الجذرية التي تصيب المجتمعات منها ما يقع ضمن الاطار المتعرف عليه بين الباحثين وهو التغير الثوري ان كان سلمي او مسلح، فيما سنضيف له تحول اخر وهو ايضا يقع ضمن التحول الجذري، الا وهو سماح الجهات الحكومة للمعارضة بالمشاركة بالانتخابات، وهو غالبا ما يأتي من شعور تلك الحكومات بعجزها امام الشارع الذي يظهر سخطه من سياسته الفاشلة، فتحاول اشارك قوى المعارضة التي كانت يمنع مشاركتها بالانتخابات.

١-التغيير الثوري السلمي وغير السلمي:

تمثل الثورة احد اشكال التحول الجذري وهي في ابرز تعريف لها ، تعني الاضطراب والهيجان، وكلمة ثورة في اللغة العربية، جاءت من الفعل يثور، ثار، ثورة، وتأتي في الأصل لمعنى الهيجان، أو في معنى اشتداد الغضب والانديفاع العنيف، وتدل على الهيجان والثوب والسطوع، وجمعها أثوار وثورة، وثورة مال ورجال كثيرة، والثائر

الغضب، والثائر هو من يدرك ثأره وان لم يبقَ على شيء^(١). والثورة، بقدر ما تستهدف احلال علاقات اجتماعية جديدة محل علاقات اجتماعية كانت قائمة من قبل، تجد نفسها امام ضرورة تقرير شكل الحكم الجديد الذي يتناسب مع هذه العلاقات الاجتماعية الجديدة. وهي تلجا الى ذلك حال نجاحها لأن النجاح يمثل التعبير الأكثر وضوحا والأكثر دلالة على تطلع الثورة نحو اقامة علاقات اجتماعية جديدة، كتغيير شكل الحكم والعلاقات الاجتماعية بأخرى، وربما ذلك يفسر لجوء الثورات حال نجاحها الى تغيير شكل الحكم لتحقيق ذلك^(٢). ويتجسد ابالاستيلاء على السلطة من قبل قوى اجتماعية جديدة سيعني بدء اجراء التغيير على مستوى العلاقات الاجتماعية، والا فان هذا الاستيلاء سوف لن يكون له معنى^(٣). وعادة تمر الثورة بمرحلتين، تتعلق أولاهما بهدم النظام القائم وهي المرحلة الاقصر والاسرع والاسهل وتتعلق الثانية بإعادة صياغة النظام السياسي الجديد وهي المرحلة الاصب والاطول، واللافت للنظر ان المرحلة الثانية من تطور الثورات سوف تقود الى انظمة سياسية مختلفة عن الانظمة قبل الثورات^(٤). لذلك فالمعيار الحقيقي للتغيير لا يتم فقط عبر الإطاحة بالأنظمة الحاكمة السابقة، بل مدى ما يمكن انجازه من عملية التغيير الاجتماعي-الاقتصادي، السياسي والثقافي والقانوني، ولاسيما في ميداني التنمية والرفاه الاجتماعيين، ولعل ذلك يحتاج الى زمن طويل للحكم على هذه التجربة وتقويمها ايجابا او سلبا ضمن مؤشرات الدخل ومعايير دولية، مع اخذ الظروف الخاصة بالحسبان، بما فيها مستوى التعليم والصحة ومياه الصرف والكهرباء والماء الصافي الصالح للشرب والبنية التحتية والهياكل الارتكازية والبطالة والفقر^(٥).

وعموما فان الرؤية للثورات المعاصرة، لم تكن معقدة أو غامضة، بل كانت في غاية البساطة والوضوح، والتي اختزلت في مطلبين اساسيين لم يختلف عليهما اثنان، الاول ضرورة اعتناق المجتمع من هيمنة الاستبداد السياسي بصورة سلمية، وثانيهما، إقامة نظم سياسية تعزز حاكمية القانون والشرابة الشعبية وتحقيق العدالة والمساواة الاجتماعية وتحترم الحريات العامة. وعلمنا العربي شهد الكثير من الثورات والانقلابات العسكرية، وربما تعد ثورة ثورة تموز ١٩٥٢ في مصر، وتموز ١٩٥٨، ابرز ثورتين على الساحة العربية حيث كان لهما تأثير مباشر على الساحة السياسية العربية، وربما لا نجافي الحقيقة ان قلنا على الساحة الدولية، ولاحقا حدثت ثورات وانقلابات في هذين البلدين فضلا عن انتفاضات جماهيرية واحتلال اجنبي، وما يهمننا في بحثنا هذا ثلاث تجارب مهمة هي، احتلال العراق ٢٠٠٣، وخروج الاحتلال الصهيوني من قطاع غزة، وثالثهم ما اطلق عليه، الربيع العربي.

٢- التغيير من خلال الانتخابات التحول السلمي:

يقتضي بناء دولة جديدة على اعقاب مرحلة تحول جذري يتطلب اقامة مؤسسات شرعية دائمة لا تتأثر بوجود الشخصيات ولا النتائج التي تسفر عنها العملية الانتخابية، وتقوم بالواجبات المناطة بكل دولة بغض النظر عن خلفيتها الايدلوجية، وبخلاف ذلك فان الفوضى وعدم الاستقرار ستكون سمة لهذه الدولة، وما

^١ - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ٣٥٨ - ٣٦٠.

^٢ - عبد الرضا الطعان، مفهوم الثورة، جامعة الموصل، نينوى، ١٩٨٠، ص ١٠٠.

^٣ - المصدر السابق، ص ٩٣.

^٤ - وصال العزاوي، الثورات العربية واستحقاقات التغيير: دراسة تحليلية حول أسباب انهيار النظم السياسية، مجلة قضايا سياسية، تصدر عن كلية العلوم السياسية جامعة النهرين، بغداد، المجلد الرابع، العدد السادس والعشرون، ٢٠١٢، ص ١٧٨.

^٥ - عبد الحسين شعبان، خريطة التغيير العربية اضاءات في اطروحات مغايرة!، مجلة حمورابي للدراسات، العدد الخامس، السنة الثانية، نيسان/ابريل ٢٠١٣، ص ١٢.

التحول الا عملية شكلية، لم يهدف منها الانتقال نحو الاحسن بل البقاء في السلطة كان يكون هروب للأمام ليس الا. وهناك بعض الامثلة عن قوة وتأثير الانتخابات في التحول الجذري من خلال صناديق الانتخابات من تلك التجارب المهمة. وفي نتيجة مسبقة حكمها واقعنا العربي ان الديمقراطية ليس نظام ينسجم مع طبيعة تكوين هذا المجتمع، فالعلمانيين ينادون بها عندما تكون الغلبة لهم، والاسلاميون ومع كونهم لا يؤمنون بها كفلسفة للحكم الا انهم يخوضون غمارها لأجل الوصول للحكم. وما ان يشتركن الطرفان في هذه اللعبة الا ويكون من نتائجها الفوضى وربما الحرب، وبهذه النتيجة المسبقة نذكر امثلة عن ذلك، ولكن قبل ذلك كيف يمكن ان يكون التحول الديمقراطي تحول جذري كما هي الثورة او الانقلاب او الاحتلال باتجاهيه دخول المحتل او خروجه ومن الامثلة على التحول الجذري عن طريق الانتخابات.

أ- التجربة الجزائرية.

مع بداية الثمانينات شهد المناخ السياسي نوعا من الانتعاش و بدأت بعض التيارات تظهر للوجود وتزامنت مع انتعاج سياسة اقتصادية من أهم معالمها إعادة هيكلة المؤسسات الاقتصادية الاشتراكية، و ظهور شعارات جديدة من بينها من اجل حياة أفضل، وعرف البترول انتكاسة كبيرة مما كان له أثرا سلبيا على الاقتصاد الوطني وعلى الحياة المعيشية للمواطن حيث مست الإضرابات مختلف أنشطة الاقتصاد الوطني. وفي ١٩ سبتمبر ١٩٨٨ بمناسبة الإعلان عن افتتاح مناقشة المشروع التمهيدي لدستور الاتحاد بين الجزائر و ليبيا، ألقى رئيس الجمهورية خطابا أمام مكاتب التنسيق الولائية وجه فيه انتقادات كبيرة للجهاز الحكومي ولأداء أجهزة الحزب في معالجتها للصعوبات والأوضاع المزرية التي يعرفها الشعب وللتسيب واللامبالاة التي أصبح يتصف بها إطارات الدولة وأفراد المجتمع بصفة عامة، والدعوة لانتعاج سياسة النقشف لمواجهة أخطار^(١). وتجسد هذا الخطاب بعد اضطرابات عام ١٩٨٨م، ما اطلق عليها انتفاضة الخبز التي خرجت ضد ارتفاع اسعار الخبز، نتج عن ذلك إقرار بعض الإصلاحات السياسية عن طريق صدور دستور شباط ١٩٨٩م، الذي نصت المادة (٣٩) منه على أن حريات التعبير والجمعيات والتجمع مضمونة للمواطنين ، الى جانب ما نصت عليه المادة (٤٠) من الحق في إنشاء جمعيات ذات طابع سياسي معترف به^(٢). ولتتضح الصورة للتغير الحقيقي بعد وفاة الرئيس السابق (هواري بومدين)، وتولي الرئيس (الشاذلي بن جديد) الحكم، كان هنا التحول والانفتاح السياسي بإقرار التعددية السياسية، فأعطى الدستور حرية تشكيل جمعيات ذات طابع سياسي، وايضا تم الإفراج عن المساجين السياسيين الإسلاميين^(٣).

وكان من بين المستفيدين من التغيير الدستوري التيار السياسي الاسلامي، بعد ان كانت قد مرت بمرحلة صعبة من العمل السري، فضلا عن التيار العلماني بكل تقسماته، من بينها حركة المجتمع الاسلامي (حماس)، و(حركة النهضة الاسلامية ١٩٨٩)، وما يهمنها هنا "الجبهة الاسلامية للإنقاذ" شباط ١٩٨٩

١ - أحمد سويقات، التجربة الحزبية في الجزائر ٢٠٠٤- ١٩٦٢، مجلة الباحث، جامعة قاصدي مرباح ورقلة كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، المجلد ٢٠٠٦، العدد ٤ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٦)، ص ١٢٤.

٢ - سناء كاظم كاطع، المنطلقات الفكرية للحركة الاسلامية الجزائرية وجدلية العلاقة مع النظام السياسي، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، العدد (٤٥)، ٢٠١٠، ص ٩٩.

٣ - زيدان سعيد وجبران سفيان، طور حركات الإسلام السياسي في الجزائر قبل و بعد الربيع العربي، ضمن اشراف وتحرير محمد الامير احمد ومحمد كريم، تجارب حركات الإسلام السياسي بعد ثورات الربيع العربي: دراسة في التحديات الراهنة وآفاق المستقبل، ط ١، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ٢٠١٩، ص ٢٤٦.

وحلت في اذار ١٩٩٢، والذي فاز بالانتخابات البلدية حزيران ١٩٩٠، في ٨٥٣ بلدية من اصل ١٥٤١ بلدية، بنسبة ٥٥,٤٢٪، فيما فازت جبهة التحرير الوطني التي حكمت الجزائر لـ ٢٨ سنة بـ ٤٨٧ بلدية أي بنسبة ٣١,٦٤٪، وفي الدورة البرلمانية الاولى اواخر ١٩٩١، حصلت جبهة الانقاذ في الجولة الاولى على ١٨٨ مقعدا من اصل ٤٨٠ مقعد ولم تحصل على الاغلبية، وجبهة التحرير الوطني على ١٦ مقعدا، وبقي ٢٠٠ مقعد للجولة الثانية، وقدم ٣٤١ طعن ضد نتائج ١٤٠ مقعد^(١).

ب تجربة الاخوان في مصر ٢٠٠٥.

اتبع الرئيس المصري الاسبق (حسني مبارك) اتباع في بداية الالفية الثالثة سياسة المصالحة والمهادنة مع جميع القوى السياسية ومنهم الإخوان، الذين سجلوا نجاحات انتخابية في انتخابات ٢٠٠٥ وان كانوا قد خاضوها كمستقلين وقاموا بالحصول على ٨٨ مقعدا بالبرلمان رغم اتهامهم الموجه للحكومة، وجرى على ثلاث مراحل، ومع ما شهدته الانتخابات من تزوير وضغط وخاصة في المرحلة الثانية والثالثة بعد تقدم الاخوة في المرحلة الاولى، وهذا الرقم يعادل ٥ أضعاف العدد الذي حصلوا عليه في انتخابات عام ٢٠٠٠^(٢). وكانت مشاركتهم الثانية بعد الربيع العربي في انتخابات نزيهة حصلوا فيها على اغلبية مجلس الشعب المصري، وفوز (محمد مرسي) برئاسة الجمهورية. الشعب بمواجهة الحكومة الجديدة فقد اتم المصريون قبل الانقلاب خمس جولات أشتملت عليها تلك المرحلة انتخابات تشريعية (النواب والشعب، والاستفتاء على البيان الدستوري الذي اصدره المجلس العسكري ومن ثم انتخاب الرئيس واخيرا الاستفتاء على الدستور) وهي المرة الاولى التي "تشهدها البلاد بعد ثورة ٢٥ يناير، بنسب مشاركة غير مسبوقه في اي انتخابات عرفت مصر في تاريخها الحديث. وبالرغم من كل ما شاب (هذه الجولات) من مخالفات او عثرات، فان احد من القوى السياسية المشاركة فيها لم يجرؤ على الطعن في نزاهتها، انطلاقا من ان تلك المخالفات او العثرات تعكس في جزء كبير منها طبيعته المجتمعية المصري وخصائصه الراهنة، التي لم يكن من الممكن، بأي حال، تتجاوزها في اي عملية انتخابات يتم تنظيمها حاليا^(٣).

ج- تجربة حماس.

تمثل تجربة حماس مزيج من التحول اولها خروج الاحتلال مما شجع حماس للمشاركة الفعالة في الانتخابات لأول مرة وبداية هذه الخطوات مع بدأ (إسرائيل) في ١٥ أغسطس/ آب ٢٠٠٥م تنفيذ خطة الانسحاب من قطاع غزة بعد احتلال دام نحو ٣٨ عاما، وتشمل الخطة إخلاء ٢١ مستوطنة إضافة لأربع مستوطنات في شمال الضفة الغربية^(٤). حيث شكل الانسحاب (الإسرائيلي) الأحادي الجانب في سبتمبر آب ٢٠٠٥- بيئة مواتية للمشاركة في للانتخابات التشريعية والرئاسية الفلسطينية التي تأخرت مدة خمس سنوات بسبب

١ - محمد احمد فيصل العبيدي، الحركة الاسلامية والصراع على السلطة في الجزائر ١٩٩٠-١٩٩٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب جامعة الموصل، ٢٠٢٠، ص ٨ وما بعدها، وينظر ايضا: أحمد سويقات، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥.

٢ - بوجحفة رشيدة ، حركة الإخوان المسلمين في مصر: تاريخ يعيد نفسه بين الماضي الملبد...، الحاضر المجهول...، المستقبل -المنشود-...، ضمن محمد الامير احمد ومحمد كريم مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

٣ - عبد الحسين شعبان. تونس- مصر: اسئلة ما بعد الانتفاضة، ص ٤.

٤ - معتز سمير الدبس، التطورات الداخلية و أثرها علي حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ٢٠٠٠/ ٢٠٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية ، جامعة الأزهر -غزة، ١٤٣١-٢٠١٠م، ص ٦٨.

انتفاضة الأقصى والتي اندلعت في سبتمبر عام ٢٠٠٠^(١). وثانيهما تحول في الأوضاع السياسية المحلية والعالمية التي ألقت بظلالها على الواقع السياسي لحركة حماس قبل مشاركتها في الانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٦م، من ذلك "إعلان القاهرة" عام ٢٠٠٥م توافقت القوى الوطنية والإسلامية على أن يتم التأسيس لمرحلة جديدة من مراحل بناء النظام السياسي الفلسطيني خلال مشاركة جميع القوى تحت مظلة وطنية واحدة، وتم الاتفاق على التحضير لإجراء الانتخابات التشريعية، ولم تكن تشارك حينها حركة حماس في أية مؤسسة أو جهة سياسية رسمية ولم تكن ضمن النظام السياسي الفلسطيني الذي تمثل بمنظمة التحرير والسلطة الفلسطينية، حيث كانت حماس مهمشة لوقت كبير بسبب تعرض أفرادها وقياداتها للملاحقة الأمنية والسياسية غير القانونية من قبل السلطة الفلسطينية والتي كانت مشتتة بين عام ١٩٩٤م حتى أواخر عام ٢٠٠٠م^(٢)..

جرت الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية يوم الأربعاء الموافق ٢٥ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٦م في جو يسوده الديمقراطية والشفافية والنزاهة وتمت عملية الفرز بوجود مراقبين من الخارج والداخل وكانت النتيجة فوز قائمة "التغيير والإصلاح" حركة حماس بـ (٧٤) مقعداً في المجلس التشريعي الفلسطيني لعام ٢٠٠٦م وبذلك شكلوا ما نسبته ٥٦% تقريباً من أعضاء المجلس مقسمة كالتالي: (٤٥) مقعداً في الدوائر الانتخابية و(٢٩) مقعداً في القوائم الانتخابية وفاز المستقلون المدعومون من حركة حماس بـ(٤) مقاعد وشكلوا ما نسبته ٣% لتصبح المقاعد المولية لحركة حماس (٧٨) مقعداً، أي ما نسبته ٥٩% من مجموع مقاعد المجلس التشريعي، أما حركة فتح فقد حصلت في هذه الانتخابات على (٤٥) مقعداً وشكلوا ما نسبته 34% من هذا المجلس، حيث حصلت على مستوى الدوائر الانتخابية على (17) مقعداً، في حين تمكنت الحركة من الفوز بـ (٢٨) مقعداً من مقاعد القوائم الانتخابية^(٣).

ثانياً: أنواع التحديات التي تواجه التغيير الجذري

بدءاً ينبغي التأكيد على بديهية أساسية، وهي أن القوى المقاومة للتغيير موجود في كل زمان ومكان، وهي موجودة داخل كل مجتمع، وحينما وجد التغيير توجد هذه المنظومة^(٤). ومنذ البدء، لا بد من الاعتراف بأن هناك صعوبات نظرية ومنهجية وعملية أيضاً في تحديد التهديدات والأخطار الأمنية التي تواجه الثورات، وتنتج هذه الصعوبات في تحول النسق النظامي لمستويات التفاعل والتحليل المختلفة، فعلى المستوى المحلي، تخضع عمليات صناعة القرار السياسي لإعادة صياغة تمر بعملية تنافس وصراع، حسب القوة أو القدرة لدى الثوار والمضادين لهم، فتمر عملية التحول والانتقال الجذري بتغيير الكثير من عملية صنع القرار السياسي، بما تظهره المرحلة من ضبابية في هرم العلاقة القائمة، وهذه العلاقات هي على قدر كبير من الأهمية والحساسية في صياغة محدّات التغيير ومحتواه، وإن كانت أكثر تأثراً

١ - عز الدين سامي كساب، تجربة حركة حماس في الحكم وانعكاساتها على استراتيجية التحرير لدى المقاومة الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة في إدارة الدولة والحكم الرشيد، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا وجامعة الأقصى، غزة، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، ص ٦٦.

٢ - ناهض زكي جعور، انعكاس المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية على التجربة السياسية لحركة حماس 2006م (م - 2014م)، رسالة ماجستير غير منشورة في الدبلوماسية والعلاقات الدولية، جامعة الأقصى، ٢٠١٥م - ١٤٣٧هـ، ص ٤١.

٣ - معتز سمير الدبس، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.

٤ - عبد السلام إبراهيم بغداد، النظم السياسية العربية، ط ١، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ٥٣.

بميزان القوى الإقليمي الذي يتأثر في المقابل بالتضارب بين الجماعات المنتشرة في البلاد والارتباطات والنقاطات التي تقوم بينهم^(١). وثمة أكثر من وجه للشبه بين عموم الثورات وبين التحديات التي تقف بالضد منها، ويرى (أحمد طاهر)، رئيس مركز الحوار للدراسات السياسية بالقاهرة انه ليس مصادفة أن تشهد الثورات حزمة من التحديات الداخلية والخارجية في ضوء الأوضاع التي عاشتها تلك المجموعات والتي أدت الى اندلاع تلك الثورات^(٢). كما يذهب الى ذلك (أحمد علي ابراهيم)، ويبين ان الثورات لن تستكمل اهدافها الا بعد سنوات من الصراعات الداخلية لابد ان نتخلص فيها الشعوب من نخر مرتكزات الانظمة القديمة، لذ يعد التغيير ان نجح فانه البداية فقط، بداية التحول الحقيقي نحو النظام الافضل، وبداية الطريق لتأسيس انظمة خالية من الاستبداد، ولا يتم الا باكتشاف الذات، من خلال اكتشاف مصادر القوة والضعف في المجتمع، وان الثورات كما يرى قد لا تحقق كامل اهدافها وقد تواجه مخاطر واشكالا جديدا للاستبداد في اشكال متعددة من الارتدادات، ضمن اطار من الصراع السلمي، مصحوب بعصيان مدني ربما لن تتوقف^(٣).

من ذلك انه لابد ان "يدرك السياسيون أن اللعبة السياسية قد تكون لها أبعاد دولية أو إقليمية ومحلية، وفي الغالب فإن الخصائص الثلاث قد تشترك في اللعبة السياسية، وتحديد أيٍّ من الأبعاد الثلاثة السابقة داخل في اللعبة وقوته، يسمح لنا بتحديد من يتحكم في قواعد اللعبة، وهذه أخطر درجات الصراع السياسي وأهمها؛ حيث تتنافس الأطراف السياسية المختلفة الداخلة في الصراع - سواء كانت محلية أو إقليمية أو دولية - على وضع قواعده، وتحديد معالم الطاولة السياسية وأبعادها، وإنشاء دعائمها المختلفة"^(٤).

ثالثا: تنامي القوة الداخلية المؤثرة في المشهد بعد التغيير الجذري.

وإذا كان الفواعل المؤثرين في عملية التحول والتغيير يمكن معرفتهم بصورة ما، من خلال مشاركتهم الفعلية في الثورات او الانتخابات، ولكن يبقى هنالك قوى مؤثرة قد تكون شاركت او لم تشارك في عملية التغيير، ربما قد يكون قد حصل تغيير في طبيعة وشكل هذه الفواعل على صعيد التنظيم والتركيب الداخلي لها، وبشكل خاص الاحزاب والجهات المنطقية ضمن تكتل يميزها عن جمهور الشعب، وهل ازدادت قوتها ام ضعفت خلال هذه المرحلة هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى وبعد ان أصاب التغيير كل شيء كيف أصبحت تفكر هل بعقلية جديدة، اما ما زالت نفس تلك العقلية الفكرية والايولوجية ملاصقة لهذه الفواعل، ولم تتغير او تتكيف مع ما حصل، وانها ما زالت تحمل نفس نهج وفكر المعارضة بكل سلبياتها، بالإضافة الى قلة الخبرة ومن ثم القدرة على مجابهة السلطة نفسها ومن ثم المعارضة لها، ام انها تغيرت كما تغير كل شيء وأصبحت تدرك انها لم تعد في المعارضة، وانها تواجه تحدي جديد، عند ذلك نستطيع ان نعرف كيف ستواجه هذه الفواعل التحديات، وكيف ستتفاعل معها لتجاوزها او القفز عليها ولو مرحليا، ضمن التحدي الالهم وهو التحدي السياسي.

^١ - يوسف محمد الصوّاني، التحديات الأمنية للربيع العربي: من إصلاح المؤسسات إلى مقاربة جديدة للأمن، مجلة المستقبل العربي، مجلة "المستقبل العربي"، العدد ٤١٦، تشرين الاول/ اكتوبر ٢٠١٣، ص ٢٢.

^٢ - صدام عبد الستار رشيد، ثورات الربيع العربي ((دراسة سياسية اجتماعية تحليلية)) أطروحة دكتوراه غير منشورة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه الى مجلس كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد في العلوم السياسية / النظم السياسية، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م، ص ٢٠٧.

^٣ - احمد علي ابراهيم، الربيع العربي: رياح التغيير وعواصفها نحو انظمة خالية من الاستبداد، مجلة تضامن، بغداد، العدد الثالث عشر/ نيسان ٢٠١٢، ص ٦.

^٤ - حسن الرشيدى، السلفيون وقواعد اللعبة السياسية، مجلة البيان، الرياض، السنة السادسة والعشرين، العدد ٢٨٧، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م، نسخة من الموقع الالكتروني للمجلة.

ويبين (سجعان القزي) ان حركة التغيير، في كل بلد، تقوم بها أربع قوى رئيسية مختلفة الموقع والدوافع والإحجام، وهي: أولاً: الرأي العام ويطالب بالتغيير الشامل. ثانياً: الحركات التقدمية المعارضة وتأمل بولادة حكم ديمقراطي. ثالثاً: الحركات الإسلامية، وأبرزها الإخوان المسلمون، وتسعى لقيام أنظمة دينية. ورابعاً: المؤسسات العسكرية والأمنية وتحاول إبقاء التغيير داخل مؤسسات الأنظمة، ويضاف الى هذه القوى جهات فتنويه تختلف هوياتها ومراميها حسب خصوصية كل مجتمع وبلد. وغالباً ما تتحرك هذه الجهات بتوجيهات خارجية لضرب نقاوة الثورة وحرف اهدافها^(١). فما هو دور هذه الفئات بعد الثورة ما كان سلباً او ايجاباً، ما كان منه بالانتفاضات او بالمشاركة بالانتخابات.

العامل الأول: الشعوب.

والعامل الاول هم والشعوب خاصة وقد كسرت حاجز الخوف بعد ان كانت هذه الشعوب محكومة بالخوف وبالأجهزة الأمنية والخوف، فهذه الثورات ساهمت في نقل الخوف الى الطرف الآخر أي السلطة. واذا كان الشعب بعمومه كان له حضور وان كان متفاوت قبل الانتفاضات والتي تحدثت الأجهزة الأمنية والتحقت بالمظاهرات، وساهمت في إنجاح الثورة، فان الشباب يعد المبادر الى الاحتجاج هذا الاحتجاج تحول الى ثورة كما في تونس ثم مصر، ثم انتقل الى عديد الدول العربية، هذا الاحتجاج كان وراءه جيل متعلم و مثقف بغرض التواصل مع العالم، جيل التكنولوجيا^(٢).

نعم وبكل تأكيد انه زمن الشعوب بعد ان ازاحة حاجز الخوف عنها، وأصبحت السلطة بالنسبة لها لا تمثل القوة الخارقة التي لا تقهر والتي يجب مهابتها والابتعاد عنها والانزواء بين الجدران ان لم يكن تحتها، بعد ان اصبحت مقولة (كمب الحيط)، من المقولات التي اكل عليها الدهر وشرب في ظل الأنظمة القمعية التي شهدتها الوطن العربي خلال العقود الاربعة الاخيرة، ومن قوة الشعوب ما نجد من المشاركة الانتخابية الواسعة للجزائريين، بعد تغيير القوانين، والمناطق الانتخابية لصالح "جبهة التحرير الوطني" وعند تأجيل الانتخابات لمرتين للحد من قوة الجبهة، لتلك الاسباب دعا (عباس مدني)، في ٢ نيسان ١٩٩١ الى اضراب مفتوح رداً على هذه القرارات في ٢٥ ايار ١٩٩١، وفي تصاعد للداعمين له وصل من شارك في حوالي ٩٥% من عموم الشعب^(٣). في اشارة واضحة على دور الشعب الساخط على حكوماته.

وكان لمصر عام ٢٠١٢ النصيب الاوفر في الحراك الشعبي متمثلاً في الاحتجاجات والتظاهرات والاعتصامات وصولاً الى احداث العنف السياسي العديدة التي ضربت البلاد واسقطت العديد ومن المدنيين والعسكريين على حد سواء، وقد تم رصد اكثر من خمسين تظاهرة كبرى على مدار عام ٢٠١٢ في ميدان التحرير وميادين مصر الاخرى بدأت بالمطالب بالقصص للشهداء مع حلول الذكرى الاولى للثورة في كانون الثاني/يناير ٢٠١٢، ثم ما لبثت التظاهرات ان تحولت الى مواجهات مباشرة بين الشرطتين المدنية والعسكرية من ناحية وبين المتظاهرين في مناسبات مختلفة^(٤). والامر لم يتوقف بعد انقلاب ٣ تموز/يونيو ٢٠١٣، فاذا كانت جماهير واسعة من الشعب من القوى المناهضة للانقلاب والداعمة للشرعية من الاخوان

^١ - سجعان القزي، تغيير الأنظمة والثورات، منشورات دار سائر المشرق، لبنان، ٢٠١٣، ص ٢٤.

^٢ - حلوز خالد، الإسلام السياسي والربيع العربي: دراسة حالة تكتل الجرائر الخضراء في الانتخابات التشريعية ماي ٢٠١٢، ضمن محمد الامير احمد ومحمد كريم مصدر سبق ذكره، ص ٩٩.

^٣ - محمد احمد فيصل العبيدي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩.

^٤ - مالك عوني، سيطرة اعادة البناء: هل يمكن أن تؤسس الثورة المصرية نموذجاً، مجلة السياسة الدولية، عدد ملحق رقم (١٨٧) مؤسسة الاهرام، القاهرة، يناير ٢٠١٢، ص ٣.

وغيرهم ما زالت تعلن رفضها لهذا الانقلاب رغم مرور سنة عليه، ورغم قتل المئات في ميدان رابعة والنهضة ومدن مصر الاخرى، وعمليات الاعتقال التي طالت الالف حكم وعلى اكثر من الف ومئتين شخصا منهم بالاعدام.

العامل الثاني: الشباب.

وانطلاقاً من ان الثورة كما يعرفها علماء السياسة والتاريخ هي عملية تغيير شامل لأوضاع المجتمع نحو الاحسن صار الشباب العنصر الاساسي في عملية التغيير هذه، اذ من طبيعة الشباب انه يعمل على التغيير نحو ما يعتقد انه الاحسن، ومن طبيعة الشباب ايضا انه يرفض الجمود والتكؤ في القرارات، ويدافع عن قيم يؤمن بها او قيم وافدة ربما تتعارض في مرحلة متقدمة مع ترسيات مجتمعية قائمة^(١). مثل الشباب عنصر مهم في دعم جبهة الانقاذ الاسلامية بعد الانقلاب على نتائج الانتخابات، وخاصة في المناطق الفقيرة^(٢). اذن نحن امام جيل يمتلك القدرة والادراك والفهم، جيل يختلف عن جيل السبعينات والثمانينات، جيل استحق لقب (جيل الثورات العربية) فهذا الجيل اتسم بمجموعة من الملامح التي تراوحت ما بين انخراطه في العولمة بقيمها والياتها وافقها، وارتباطه بمحلية تكوينه السيولوجي لجهة الهوية العربية والاسلامية^(٣).

العامل الثالث: الأحزاب وقوة تأثيرها بعد التغيير وتنافسها على السلطة.

يمثل الصراع على السلطة بين احقية من شارك على من التحق فضلاً عن الصراع الازلي بين تيارين مهمين هما التيار الاسلامي والتيار العلماني بكل تياراته الليبرالية او الاشتراكية ابرز التحديات التي تواجه عملية التحول.

وتظهر لنا ثنائيه الاسلام والديمقراطية بعيدا عن ذلك كله فالإسلام كدين بدا تاريخيا منذ اربعة عشر قرنا من الزمان انطلاقا من ارض جزيرة العرب، والديمقراطية نظام سياسي تعود اصوله الى اليونان البعيد وترسخت جذوره مع الغرب الحديث على ضوء السيرورة التاريخية الزمنية في القرنين التاسع عشر والعشرين فما الذي يجمع بين طرفي الثنائية حتى يتم تشكيلها او تركيبها لكن غالبا ما يكون القصد من وراء ذلك هو السؤال المضمّر في طياتها ويتعلق بمدى قدرة المسلمين على الانسجام مع الديمقراطية كنظام سياسي^(٤). ويرى البعض ان صعود القوى الاسلامية الى الحكم بعد ثورات الربيع العربي ادى الى إزدياد المواجهة بينها وبين القوى المدنية المتمثلة بالقوى الليبرالية والعلمانية والقومية بشكل كبير، على اعتبار أن الثورات العربية قامت على أكتاف الشباب العربي الذي ينتمي معظمه الى تيار الدولة المدنية الحديثة الساعية الى التغيير ، وأن ما حدث يعد بمثابة سرقة لثوراتهم حسب اعتقادهم باعتبار أن الإسلاميين لم يكونوا في بداية الثورات متحمسين كثيراً لفكرة التغيير الجذري للنظام وعدم قدرة هؤلاء الشباب على القيام بذلك ، ولكن ما أن حدث التغيير وبدأت ملامحه تظهر للعيان حتى سارع الاسلاميين الى تغيير موقفهم بسرعة

١ - وصال العزاوي. الثورات العربية واستحقاقات التغيير: دراسة تحليلية حول أسباب انهيار النظم السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٧١.

٢ - محمد احمد فيصل العبيدي، مصدر سبق ذكره، ص ٦١

٣ - وصال العزاوي. الثورات العربية واستحقاقات التغيير: دراسة تحليلية حول أسباب انهيار النظم السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠.

٤ - الكر محمد، حركات الاسلام السياسي واشكالية الدولة العميقة في دول الربيع العربي دراسة مقارنة في المآلات وآليات التعامل، ضمن محمد الامير احمد ومحمد كريم مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

واصطفوا الى جانب الثوار المنتفضين في ساحات الاعتصام والتحرير^(١). وكذلك فعلت باقي القوى الليبرالية واليسارية وغيرها من الاتجاهات التي لم تؤيد تلك الانظمة أو حتى من ايقنت لاحقا ان هذه الانظمة اصبحت من الماضي.

ويذهب العلمانيون ابعد من ذلك كما يرى البعض بان الانشقاقات والانقسامات داخل البنى الحزبي للتيار الاسلامي ويبين من يرى أن التيارات الإسلامية لم تولد لأصل ممارسة العمل السياسي، بل إن نشأتها داخل المجتمعات كانت لأساس دعوي وإرشادي وديني وتعليمي، وكانت تحمل في أبعدياتها مضامين رئيسة تتعلق أساسا بحماية المرجعية الدينية وإعادة الهبة للموروث الإسلامي وتنقية العقائد مما شابها من فساد نتيجة إغراض الناس عنها أو وجود المجتمع في حالة عدم اتحاد وانسجام كحالة المجتمع الجزائري إبان فترة الاستعمار، وعليه أمكن رمي تيار الإسلام السياسي بعدم حيازته الخبرة والتمرس التي تجعله في منأى من الأفول بعد التوهج وتحميه من محاولات تغييره القسرية أو تجاهله من طرف النظام أو مؤسساته، فكان بذلك لقلة تجربته وأن تعاطي السياسة ليس أصلا فيه أهم الأسباب التي جعلت العديد من حركاته تتعرض لانشقاقات وانقسامات داخلية، والانشقاق الحزبي هو "أحد أوجه الصراع السياسي على المستوى الداخلي للحزب، ويظهر من خلال إحداث شرخ داخله يؤدي إلى ظهور حزب أو مجموعة أحزاب"^(٢). وهذا امر غير منطقي ولا له علاقة بكون الاحزاب اسلامية او غير اسلامية وعلى العموم ، فإن الحقيقة التي لا يمكن انكارها أن التيارات الإسلامية باتت جزءاً رئيساً من الطيف السياسي في المجتمعات العربية ومن ثم لا يمكن تجاهل دورها ولا نفوذها ولا شعبيتها وإنما ينبغي التعامل معها من هذا المنطلق^(٣). وان من شارك في الانتفاضات كانوا من جميع الانتماءات، وأنها ليست من صنع الإخوان المسلمين بل هم شاركوا فيها بنسبة معقولة وعملوا على حمايتها من العنف المضاد الذي مورس ضدها من الحكومة والأجهزة الأمنية^(٤). وهكذا ستغدو الصراعات السياسية والاجتماعية أكثر عنفا وعمقا، مما كان متصورا له في دول الربيع العربي، فالقضية تجاوزت إقامة نظام "ديمقراطي" جديد محل النظم الاستبدادية القديمة، لتحول التنافس الى صراع على السلطة من ناحية، وصراعات على مقدرات الدولة من ناحية أخرى، لسعي كافة القوى السياسية إلى إثبات وجودها، وحجز غنيمتها في النظام الجديد، ليس فقط من خلال آليات التحول القائمة على المنافسة السياسية، وإنما الاستمرار في الحشد الثوري أيضا متى ما تأثرت مصالحها، بل وقد يتطور الامر الى استخدام العنف ان تطلب الامر، والتي ربما يؤدي التمادي فيها ليس إلى إجهاض الثورة بل الى تدمير البلاد.

العامل الرابع: دور المؤسسة العسكرية في افشال التحول.

رغم مرور السنوات وتعرض المنطقة العربية للعديد من التغييرات، إلا أن دور الجيوش في مختلف دول المنطقة يبقى حاسما إذ لم يقتصر على الدفاع عن سلامة البلاد ووحدة أراضيها، بل امتد ليدخل في لعبة السياسة ويعمل على تغيير مجريات الأحداث الداخلية. وتنامي هذا الدور وتزايد بشكل كبير في ظل ما يحدث في المنطقة من تخطيط وتنافس بين التيارات العلمانية فيما بينها وعلان حربها على التيارات الإسلامية بكل مشاربها، فوجد بعض القادة العسكريين ان الفرصة ربما تكون مواتية اكثر من أي وقت للفوز على المشهد

١ - صدام عبد الستار رشيد. مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٤.

٢ - جيدرور حاج بشير، مأزق الإسلام السياسي في الجزائر: دراسة تحليلية عن تراجع الأداء السياسي للأحزاب ذات التوجه الإسلامي، مجلة دفاتر السياسة والقانون (الجزائر) ، العدد ١٩، جوان ٢٠١٨، ص ٢٩٤.

٣ - صدام عبد الستار رشيد. مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٥.

٤ - بوجحفة رشيدة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

واستلام السلطة، بما تمتلكه المؤسسة العسكرية من قوة ضبط وولاء للقادة، وربما هي القوة الوحيدة المنظمة بشكل جيد، بعد رحيل الأنظمة السابقة، وفي نفس الوقت قدرتها على لاستفادة من رجالات النظام السابق.

١- الجيش الجزائري.

بعد فوز جبهة الانقاذ ادرك الجيش خطورة فوز جبهة الانقاذ الاسلامية واحتمال كبير ان تفوز في الجولة الثانية الامر الذي ادى الى تدخله والقيام بالانقلاب العسكري، لذلك حل البرلمان في ٤ كانون الثاني ١٩٩٢، بحجة ان الجيش هو حامي الدستور فكان عليه القيام بالانقلاب لحماية "الديمقراطية"، واجبار الرئيس "الشاذلي" على الاستقالة لتفادي الذهاب الى الجولة الثانية في ١١ كانون الثاني ١٩٩٢، وتم حل مجالس البلديات المنتخبة في عام ١٩٩٠، واعلان حالة الطواري، واعتقال قادة واعضاء الجبهة باعتبارهم خطر على الامن العام، وفي نهاية ١٩٩٢ وبعد حملة الاعتقالات التي طالت الكثير من اعضاء الجبهة، انطلقت العمليات العسكرية وصعودهم الى الجبال بعد وتشكيل "الجيش الاسلامي للإنقاذ"^(١). أن تدخل المؤسسة العسكرية مباشرة في الحياة السياسية لوقف المسار الانتخابي ادى الى ما يسمى في العلوم السياسية بـ(أنغلاق النظام السياسي) الذي يؤدي الى تطرف واستخدام المعارضة للسلاح حيث خرجت من الجبهة تنظيمات عسكرية تشكلت من فئة الشباب التي كانت بدورها مهمشة داخل (الجبهة)، فمع اجبار المؤسسة العسكرية الرئيس (بن جديد) على الاستقالة والغاء الانتخابات وحل جبهة الانقاذ بالأعتماد على المادة ٣٣ من قانون الجمعيات السياسية الصادرة عام ١٩٨٩م بعدها تشكل خطراً على النظام العام تبعه حملات واسعة لأعتقال اعضاء الجبهة، ولد ردود افعال من جانب المعارضة الإسلامية باستخدام العنف المسلح لمواجهة النظام أولاً الذي انتقل فيما بعد ليطال الشعب والمجتمع الجزائري بأسره^(٢).

٢- دور الجيش المصري.

دار الكثير من الكلام كيف أن تركيا قد توفر نموذجاً يمكن لمصر ما بعد الثورة أن تحذو حذوه؛ فليها نخبة عسكرية علمانية مؤيدة للغرب تفرض نفوذها على جماعة الإخوان المسلمين الصاعدة بقوة والمناهضة للغرب بشراسة^٣. وهل صحيح ان "اطاحة" الرئيس المصري محمد مرسي قادة المجلس العسكري كانت ضربة اختصرت في يوم ما حدث في سنوات في تركيا على يد الاسلاميين من تحجيم لدور الجيش التركي وابعاده عن الحياة السياسية؟^٤. ام هو استعجال لم يحسب حسابه، وان هذا الفعل هو ما اظهر او عجل بظهور المؤسسة العسكرية المصرية من جديد وفرضت كلمتها على الشارع والساحة السياسية، وهي صاحبت الدور الاول والاخير في الحياة السياسية المصرية منذ انقلاب تموز ١٩٥٢.

"تحت عنوان الانفتاح السياسي والاقتصادي تم تفكيك مؤسسات نظام ثورة ٢٣ تموز/يوليو، مع المحافظة على الدور المركزي للجيش، ومع تعزيز ملحوظ لدور قوى الأمن وأجهزته. تم تحييد القوى المؤيدة لنهج

١ - محمد احمد فيصل العبيدي، مصدر سبق ذكره. ص ٦٢.

٢ - سناء كاظم كاطع مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠.

٣ - جون آر برادلي، ما بعد الربيع العربي: كيف اختطف الإسلاميون ثورات الشرق الأوسط، ترجمة شيماء عبد الحكيم طه، ط١، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٧٢.

٤ - أمينة ابو شهاب. العرب بعد الربيع العربي، مركز الخليج للدراسات - دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر، الشارقة، ٢٠١٢، ص ١٥٠.

عبد الناصر وتأجيج الصراع والتنافس بينها وبين التيارات الاسلامية^١. وانها لم تعد تحتكم على المشهد السياسي فقط، بل على المشهد والوضع الاقتصادي، بما تمتلكه من مؤسسات صناعية وشركات تنجيم وشركات بناء الدور والطرق والجسور، وبالإضافة الى الامتيازات التي تمتلكها في الحصول على العقود الحكومية تمتلك الحصانة والإعفاء من التجاوزات القانونية والفساد المالي والاداري في ادارة المشاريع المحالة اليها. فضلا عن المساعدات الخارجية حيث تزيد المساعدات الامريكية وحدها اكثر من مليار وثلاثمئة مليون دولار، تختص المؤسسة العسكرية وحدها بالتصرف بها كما هو حال الميزانية التي تكون من رقم واحد لا يحق لاحد حتى من مجلس الشعب معرفة كيفية صرفها، كل هذه الامتيازات يصعب معها تصور دور هامشي للجيش المصري في الحياة العامة والسياسية منها بشكل خاص.

في ٣ يوليو ٢٠١٣ قام الجيش المصري بانقلاب عسكري تحت قيادة عبد الفتاح السيسي وعزل الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي وعطل العمل بالدستور وقطع بث عدة وسائل إعلامية وكلف رئيس المحكمة الدستورية عدلي منصور برئاسة البلاد وتم احتجاز محمد مرسي، وصدرت أوامر باعتقال ٣٠٠ عضو من الإخوان المسلمين وجاء تحرك الجيش بعد سلسلة من المظاهرات للمعارضة المصرية طالبت بتنحي الرئيس محمد مرسي^(٢). حيث تم ترسيخ دور المؤسسة العسكرية، مع استقواء فريق سياسي بها لإقصاء فريق آخر، وقيام المجلس العسكري بالتدخل لملء ما اسماه "الفراغ الناتج عن صراعات السياسيين" والحفاظ على مصالحه، نظرياً، واصطف الجيش مع القوى المدنية ضد التيار الإسلامي، ورسم مساراً سياسياً من دون الإسلاميين، بل واعتمد سياسة إقصائية تجاه حركة الإخوان المسلمين وحلفائها، ولاحقاً ضد كل القوى المحسوبة على الثورة^(٣).

العامل الخامس: قوة وتأثير القبيلة والأقليات على المشهد ما بعد التغيير.

تلعب العوامل الثقافية دوراً بارزاً ومؤثراً على الإصلاح السياسي اما بدفع مسيرته إلى الأمام أو العكس بوقف وإعاقة عملية الإصلاح ، ذلك أن تركيبة المجتمع ومؤسساته وقيمه وأنماط سلوكه ، لها دور مباشر في التأثير على الإصلاح سلباً أو إيجاباً^(٤). لذلك ومما لاشك في ان ازمة الهوية تحدث عندما يصعب جمع افراد المجتمع كافة في بوتقة واحدة تتجاوز انتماءاتهم التقليدية الضيقة، وتتغلب على اثار الانتقال الى المجتمع العصري بتعقيداته المختلفة، بحيث يشعرون بالانتماء الى ذلك المجتمع، ويحدث ذلك عندما تشعر احدى المجموعات المكونة للمجتمع بما يسمى بـ "الحرمان النسبي" اي شعورهم بحرمانهم من حقوق يتمتع بها اشخاص اخرون في المجتمع نفسه^(٥). وهكذا اطلت القبائل والطوائف والمذاهب بعد رده طويل من الخمول كأنها ((خلايا نائمة)) بلغها الأمر بالتحرك، وحافظت الانتفاضة على سلميتها في مكان وفقدت أعصابها في

١ - زياد حافظ، ثورة يناير في مصر: تساؤلات الحاضر والمستقبل، ضمن جميل مطر وآخرون، تحرير عبد الإله بلقزيز، رياح التغيير في الوطن العربي: حلقات نقاشية عن مصر - المغرب - سورية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١م، ص ١٩.

٢ - بشير محمد النجائب، ثورة ٢٥ يناير وصعود حركة الإخوان المسلمين في النظام السياسي المصري، ضمن محمد الامير احمد ومحمد كريم مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٧.

٣ - مستقبل النظام السياسي المصري: التحديات والمسارات، المعهد المصري، د.م، ٢٠١٦، ص ٤.

٤ - امين مشاقبة، معوقات إصلاح السياسي في الوطن العربي ، ورقة غير منشورة مقدمة إلى ورشة عمل إصلاح السياسي - مركز الرأي للدراسات ، عمان - سبتمبر ٢٠٠٥.

٥ - اسامة الغزالي حرب. مستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. محور العرب والعالم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٤.

آخر، وتكاثر عناوين المعارضة وقل خرابها وسكت السياسة وتكلم الرصاص، وتزايد الشهداء ومركب التشيع، وارتفع في الأعلى سؤال الغد واشتد القلق... الخ. جرت مياه ذلك كله وما برحت، لكن شيئاً واحداً وحيداً أحداً لا يتسرب إليه الشك، وهو اليقين الذي لا يقين يشبهه: ان غدنا لن يشبه أمسنا، وان القادم غير الذي انصرم، فقد تغير في حياتنا ويومياتنا الشيء الكثير^(١). وان تسييس الافكار المرتبطة بالانتماء العرقي او الطائفي على نطاق واسع بصورة تقسيمية، أدى الى تجزئة اجهزة الدولة على اساس عرقي وطائفي، كما اصبح الوضع في العراق يناقش ويبنى مع التركيز بصورة متزايدة على مسألتين أساسيتين: الاولى هي الدين والطائفة، والثانية هي العرق^(٢).

المطلب الثاني: التحديات والاسباب السياسية لفشل عملية التحول

ان الانتفاضات بإسقاطها الدكتاتوريات وضعت سؤالاً محرجاً امام أحزاب المعارضة والاحزاب الكلاسيكية: اين دورها، وما هو موقعها في الخريطة السياسية الجديدة؟! تلك التي ظلت تلوك خطابها ولغتها الخشبية عقوداً من الزمان سواء كانت شيوعية أم قومية أم إسلامية^(٣). وثمة مشكلة اخرى تواجهها الثورات، لا تأتي من بنية السلطة، بل من السياق العالمي الذي نندرج فيه الآن، فالمجتمعات البشرية تنخرط اليوم، في واقع كوني فانق هو التنوع والتعقيد في بنيته وتركيبه، ومن الالتباس والتشابك في مستوياته وروابطه، ومن الحراك المتسارع في صيرورته ومآلاته^(٤). ولذلك فالثورات امامها طريقاً طويلاً لتكريس المفاهيم التي انطلقت من أجلها، وعلى هذا الطريق ستواجه الكثير من العوائق منها^(٥):-

- ١- احتمال الثورات المضادة، وهذا الامر عرفته الثورات التاريخية كافة، وبعضها استطاع اجهاض الثورات.
- ٢- الانشقاقات والخلافات بين القوى السياسية التي قادت الثورة، فكل منها بعد تجاوز الهدف الجامع بإسقاط النظام، سيعمل على تحقيق مكتسباته الذاتية، ومثل هذه المسألة تبقى في سياقها السليم، ما لم يندرج هذا الطرف أو ذاك في مغامرات الاقصاء والالغاء.
- ٣- مخاطر التعويل على العامل الخارجي من القائمين على الثورة والواقفين ضدها، واثار ذلك في تركيب التحالفات الداخلية أو في اعادة بناء النظم السياسية وعلاقتها الخارجية.
- ٤- هواجس الطرق على ابواب الولاءات الفرعية، مثل القبلية والعشائرية والجهوية والمذهبية والطائفية، فهذه الولاءات إذا أعيد أحيائها ولجأ إليها بعض الأطراف للاستقواء بها ستطفأ بقعة الضوء التي سطعت في الفضاء العربي وأثارت الطريق نحو بناء الدولة الوطنية الجامعة.

١ - عبد الإله بلقزيز، مقدمة، ضمن جميل مطر وآخرون. تحرير عبد الإله بلقزيز، رياح التغيير في الوطن العربي: حلقات نقاشية عن مصر - المغرب - سورية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١م، ص ١٠.

٢ - جاريث ستانسفيلد، العراق، الشعب والتاريخ والسياسة، ابو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١-٢٠٠٩، ص ٦١، وبعدها بتصرف.

٣ - عبد الحسين شعبان. تونس - مصر: اسئلة ما بعد الانتفاضة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٥٣، ٥٤.

٤ - علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي: من المنظومة الى الشبكة، ط٢، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، ص ١٢٣.

٥ - توفيق شومان، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣٨٦، نيسان ٢٠١١، ص ٣٥ ص ١٣٠.

هذا يضعنا امام واجب ببيان هذه التحديات بصورة اكثر دقة، لمعرفة كيف يتم الوصول الى تحقيق اهداف التحول نحو الافضل، لكي تمتلك السلطة الجديدة من وصل للسلطة لمقومات البقاء ومجابهة التحديات ومن هذه التحديات التي تواجههم هي:-

١- غياب البعد الاستراتيجي المستقبلي للثورة.

كان مفهوم الاستراتيجية يقتصر على مجال الحرب، الا انه اليوم لم يعد مقتصرًا على العلوم العسكرية فقط، بل أصبح فنًا يزاوله الجميع، وظهرت الاستراتيجية الشاملة للدولة التي بدأت تتفرع منها الاستراتيجيات الفرعية الأخرى حسب مجال العمل او الاختصاص، كالاستراتيجية السياسية تمثل إعداد الخطط والمبادئ الكفيلة لتحقيق سياسية الدولة، إذ أصبحت المبادئ كالخطط التي تعتمد عليها الدولة في تصريف شؤونها، في المجال الداخلي والخارجي^(١). ويذهب (عبد القادر محمد فهمي) الى أن الاستراتيجية في جوهرها علاقة بين وسط واهداف، وان احد اهم جوانبها هو القدرة على تجسيد وتكثيف الموارد والامكانيات المتاحة بالعمل على استخدامها بالطريقة التي تخدم تحقيق الاهداف المرسومة، وبنسب متفاوتة ولكن مقبولة^(٢). اذا فالاستراتيجية في بعض استخداماتها هي تعبير عن التوجه العام أو المسار الذي يربط بين الأهداف العامة المرتبطة بالغايات وبين النقطة التي نقف عندها؛ بمعنى هو انتقال بين واقع حالي وواقع مأمول، وكل ذلك مبني على تشخيص حقيقي للواقع يستفيد من الفرص المتاحة ويعزز مواطن القوة ويحارب التهديدات ويعالج مواطن الضعف، كذلك تتوافر فيه رؤية وغاية نهائية وحالة تميز الوحدة عن غيرها من الوحدات، بمجموعة من الأهداف والغايات لتحقيق هذه الرؤية، فالحركة الاستراتيجية تقتضي دراسة أطراف الصراع وعناصر القوة والضعف فيها وترتيب الأهداف للوصول إلى الغاية المنشودة وتحديد مسارات العمل^(٣).

ومن بين وجوب الالتزام بالاستراتيجية ان تكون بين من يشرع من الحكومات لفسح المجالات للمعارضة ان تشارك بالانتخابات، ولكننا نجد ان ما يشرع القوانين ليس الا لذر الرماد في العيون ويرى البعض أن استعمال مصطلح الجمعية الذي جاء في دستور الجزائر لعام ١٩٨٩ بدلا من حزب يرمي إلى ثلاث أمور، اولها، تضيق مجال ونفوذ التعددية لينحصر دورها في المعارضة دون المشاركة الفعالة والمؤثرة، ثانيهما، استبعاد انتعاش أو قيام أحزاب معينة، ثالثهما، افتراض عدم وجود أو قيام أحزاب مؤهلة وقادرة على خوض معركة المنافسة السياسية^(٤). ويأتي ذلك القانون لكون الاعتقاد السائد عند النواب بأن جبهة التحرير تفوز بجميع المقاعد أو أغلبها نظرا لما تتمتع به من هيكلية وتنظيم على المستوى الوطني^(٥). ولكن لفشل هذه الاستراتيجية لدى الحزب الحاكم وعدم قدرته على حساب مكانه لدى الشارع رغم خسارته الانتخابات المحلية، لذلك تم الاعلان عن الغاء الانتخابات التشريعية بانقلاب عسكري. واذا لفشل كل الحسابات تم الغاء التحضير للدور الثاني عندما فاجأ رئيس الجمهورية الجميع بتقديم استقالته بتاريخ ١١ جانفي ١٩٩٢ وأثبت المجلس الدستوري الشغور النهائي لمنصب رئيس الجمهورية والتصريح باقتراح بشغور البرلمان عن طريق الحل مما تسبب في أزمة دستورية، وبذلك تم تشكيل المجلس الأعلى للدولة وإنشاء مجلس استشاري بدلا من البرلمان في ٤ فيفري ١٩٩٢. وقام وزير الداخلية برفع دعوى أمام الغرفة الإدارية للمطالبة بحل

١ - كاظم هاشم نعمة، الوجيز في الاستراتيجية، ط ١، الدار العربية للعلوم الناشرين، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٦٠.

٢ - عبد القادر محمد فهمي، المدخل الى دراسة الاستراتيجية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٩.

٣ - حسن الرشيدى، مصدر سبق ذكره.

٤ - أحمد سويقات، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤.

٥ - المصدر السابق، ص ١٢٥.

الجبهة الإسلامية للإنقاذ، التي أصدرت في النهاية قرارا بالحل في 4 مارس ١٩٩٢، والذي أيدته المحكمة العليا بقرارها الصادر في ٢٩/٠٤/١٩٩٢ وعلى إثر ذلك صدرت عدة مراسيم لحلها^(١). لتنتقل الجرائر لمرحلة العنف لفشل استراتيجية الحكومة في التعامل مع أزمة الخبز لعام ١٩٨٨، وإصدارها للإصلاح لم تلتزم بها ما ان خسرت الانتخابات.

و ذات الفشل الاستراتيجي نجده في الحالة الفلسطينية، ذلك عندما جاءت نتائج الانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٦م صدمة كبيرة للأطراف الفلسطينية كونها أفرزت نتائج غير متوقعة للجميع، فمحليا و لقد تفاجئت حركة حماس أيضا بحجم الفوز، حيث كان من الصعب عليها الانتقال من المعارضة إلى مقاعد الحكم، وهذا الالتباس أدى إلى تأزم النظام السياسي الفلسطيني، وحالة الاشتباك السياسي، إلى أن تحولت في النهاية إلى اقتتال داخلي، نتج عنه تقاسم للنظام السياسي الفلسطيني، إذ سيطرت حركة "فتح" على الضفة الغربية وسيطرت حركة "حماس" على قطاع غزة^(٢). والامر ينطبق على حركة فتح فلم يكن من السهل عليها الانتقال إلى مقاعد المعارضة، وبين هذا وذاك دخل النظام السياسي الفلسطيني حالة من الإرباك السياسي والإعلامي^(٣). ويضاف لذلك ان مبدا حماس الرافض للمشاركة في الانتخابات في ظل الاحتلال، ولكنه في عام ٢٠٠٦م حصل تغيير واضح في ستراتيجه السياسية تغييراً فقرر الدخول الانتخابات التشريعية الثانية رغم أن المجلس التشريعي والسلطة لازالا قائمين وفق اتفاق أوسلو ومازال الاحتلال محاصراً لغزة ومحتلاً للضفة الغربية، فما الذي استجد لدخول حماس المجلس التشريعي^(٤). أي ان حسابه للتأثير العامل الخارجي لم يكن بالمستوى المطلوب لمعرفة ما ستؤول اليه الامور.

والامر لا يختلف كثير في مصر فيلاحظ أن مرحلة رئاسة مرسي كشفت عن عدة أمور منها عدم وجود برنامج واضح أو رؤية استراتيجية فعلية "للجماعة"، وأن مشروعهم كان عن عبارة عن مجموعة أفكار تفتقد في كثير منها إلى الآليات^(٥). من ذلك التحديات التي توجه كل التيار الاسلامي المشارك في الانتخابات عملية صياغة الدستور وضبط مضامينه من التحديات التي واجهت وتواجه حركات الاسلام السياسي وذلك من خلال طبيعة الجدل القائم في المسائل الدستورية لاسيما فيما يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية واصرار العلمانيين والتيارات الأخرى على الابتعاد عن ذلك المخالفة لتوجهاتهم، وكذلك في اختيار نظام الحكم يعد تحديد طبيعة نظام الحكم للدولة المدنية الجديدة تحدياً حقيقياً يواجه حركات الاسلام السياسي والائتلاف الحاكم معها في الفترة الانتقالية وما بعدها بين داعين الى تطبيق النظام الرئاسي او المناصرين النظام البرلماني او الجمع بينهما^(٦).

وتأتي هذه الاستراتيجية الفاشلة من سياسة أساليب للتلاعب في عملية الانتخابات - أو ما يسمى في أدبيات السياسة "manipulation of technology" - بغرض تحقيق مقاصد غير تلك التي ترجى من الانتخابات الديمقراطية، وعلى رأسها الحصول على الشرعية أمام الجماهير والتخفيف من حدة الضغوط المطالبة

١ - المصدر السابق ص ١٢٥.

٢ - ناهض زكي جعور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.

٣ - المصدر السابق، ص ٤٨.

٤ - معتز سمير الدبس، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

٥ - بوجحفة رشيدة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢.

٦ - الكر محمد، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠.

بالإصلاح واحترام حقوق الإنسان في الداخل والخارج. وفي المنطقة العربية لم تؤد الانتخابات التي تجريها بعض أنظمة الحكم إلى انتقال ديمقراطي واحد، ناهيك عن تحول ديمقراطي حقيقي^(١). ومن هذا يتضح ان غياب البعد الاستراتيجي المستقبلي للحكومة وللثوار معا كان سببا لمشكلة كبرى التي تواجه التحول، لذلك نجد التحول في الامثلة التي ذكرناها قد وقعت في مازق الغرور، خاصة اذا ما بني التصور إن تغيير المجتمع مسألة بسيطة، هنا يظهر تحدي النظرة المستقبلية لتطور المجتمع، فتغيير المجتمع ثقافيا واجتماعيا ليس مهمة سهلة، وهذا البعد الاستراتيجي المستقبلي يحتاج لتطور التركيبة الذهنية والسلوكية للمجتمع ويحتاج لوقت طويل، وقد تبين من دراسة الثورات إن سقوط النظام اسهل كثيرا ونسبيا من بناء نظام جديد، كما تشير تجربتي دول الربيع العربي^(٢). واهمية الاستراتيجية تتجسد حين تثور الشعوب، فهي لا تفكر بلعبة الامم، ولا بالنفط والغاز وبواطن الارض، بل بالخبز والحرية، بالكرامة والعدالة، وبمجتمع جديد، يحمل غد افضل، فيه ضمان لمستقبل اولادها، الثورة تكون "كسكرة"، وبعدها يبدأ التفكير، لكن المهم الا تطول السكرة فتقمع الانظمة الثورة، والا تطول فترة قمع الانظمة للثورة فيحصل تدخل خارجي، فالمجتمع الدولي المعاصر يتغاضى عن الحروب لا عن المجازر (مبدئيا)^(٣).

٢- فقدان القيادة

إن غياب الرؤية بعد التغيير بين الجماعات المتصارعة سواء من وصل الى الحكم ومن ارتكن الى جانب المعارضة أو ارتكن صامتا سوف تؤدي الى المزيد من الحراك والاستمرار من شأنه أن يعطل الاستقرار وما يبتغيه النظام الحاكم الجديد من وجوب فرض نفوذه. ولذلك فان من اولى التحديات التي تمنع رسم استراتيجية واضحة المعالم، وتشنت الافكار والروى من على صفحات الجرائد، ومناير الاعلام من الفضائيات الى الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بكل مسمياتها، هو عدم وجود قيادة موحدة تجمع كل القوى المؤثرة التي شاركت بالثورة، فضلا عن التخوف من أن لا يتحقق الاجماع بين القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة التي ساهمت في اسقاط النظام^(٤). وهذه احدى الاشكاليات التي تواجه اغلب الثورات، وان كانت جهة واحدة وتحمل ذات الفكر؛ فكيف بالثورات الشعبية متعددة القيادة. ويرى البعض ان هناك نقطة قد تصيب مسار الثورات وهي ضمور دور الدعاة الحزبيين الأيدلوجيين، العقائديين^(٥). وان غياب الايدلوجية والقيادة الكارزمية التي تصاحب انطلاق الثورة، وليس المقصود القيادة التي تركب الموجة وتسرق الثورة، بل القيادة التي يمكن اعتبارها هي صاحبة الرؤيا التي تقود الجماهير ولا تتفصل عنها، فرغم ان التنوع يعد عامل قوة وتأثير في مجريات الثورات وما تصل اليه من تغيير الا ان هذا التنوع، ان كان يفتقد لهذه القيادة التي تحظى برضا الجميع او حتى بطيف واسع ممن خرجوا في بداية الثورة، لا شك سيكون نقطة ضعف بعد التغيير؛ فيأتي الضعف بما يحمله من نظرية الخوف من الآخر، والخوف من تبوء القمة من قبل أشخاص لا هم لهم إلا التسلق على أكتاف ورقاب (ودماء) الآخرين.

والتخوف ايضا من وجود الزعيم للثوار والذي يمثل الرمز او الزعيم المخلد او الملهم المخلص، لان يصبح لاحقا "معبودا" ومقدسا، وفوق حدود النقد، واذا لم يكن لهم نصوص مقدسة أو مقولات خالدة؛ فتوجههم ينطلق من الواقع

١ - بشير محمد النجاب، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٢.

٢ - خير الدين حسيب، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣٨٦، نيسان ٢٠١١ ص ١٠.

٣ - سجعان الفزي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

٤ - خير الدين حسيب، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٢.

٥ - عبد الحسين شعبان، تونس- مصر: اسئلة ما بعد الانتفاضة، ضمن جميل مطر وآخرون. تحرير عبد الإله بلقزيز، رباح التغيير في الوطن العربي: حلقات نقاشية عن مصر - المغرب - سورية، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١، ص ٥٢.

المعقد برفع شعارات واضحة ورمزية وواقعية في آن واحد^(١). وهو كما بينا فان الوضع يحمل جانبي القوة والضعف وهو قمة التحديات الواجب تجاوزها لاحقا، وليس قبل أو أثناء الثورة، لان ذلك كان مرتبط بعملية التغيير من عدمه، وعندما تحقق التغيير بتلك الأمانى والإمكانات، فان مجابهة ما بعد التغيير هو الأهم والذي يشكل معضلة ليس لنا كباحثين وإنما كجزء من الشعب الواجب علينا البحث فيه، ألا وهي القيادة وهل يمكن تجاوزها مستقبلا دون ان تؤثر على اهداف القائمين عليها. ونرى ان هذا الشك من وجود الزعيم المقدس نابع من فقدان الثقة بالآخر والذي ولد عبر تراكمات من الزمن والافكار التي بنيت نتيجة التشويه للآخر من قبل الحكومات السابقة او ما يبيته الاعلام الحكومي او المعارض وحتى الاعلام الغربي الذي اصبح صوته مسموع اكثر مما يسمع من الاخر بجلسات حوار مفتوحة لا تسبقها أي شروط.

وفي الجانب الاخر فمع اندلاع الثورة وانتشارها وتجاوزها مرحلة الانتفاضة المحدودة، قد يجد السياسيون المعارضون من كل الاتجاهات - سواء كانوا منظمين أو مستقلين- أنفسهم أمام تحدٍ لم يعدوا له العدة، وليست عندهم مساحات واسعة ليتحركوا من خلالها، لان الجماهير التي تخرج في اغلبها لا تكون منظمة ولا تتبّع فكرًا أو تنظيمًا محددًا ليتم التأثير عليها أو توجيهها، بل إنها في انقطاع شبه تام عن الجماعات والأحزاب، وان مثل هذه الجماهير لا تخرج تلبية لدعوة السياسيين أو الناشطين^(٢). وهذه من التحديات المهمة والمؤثرة التي تواجه من يتولى السلطة لاحقا لان عليه ان يراعي مطالب وطموح كل هذا التنوع، ومن ثم ينال قناعاتهم، وربما لينالها قد ينجر لاستخدام العنف فيخسر شرعيته ومشروعيته والعودة لنقطة الصفر، او ان تستمر المظاهرات والاحتجاجات فتمنعه من تحقيق اهدافه.

مع ان البعض لا يرى اهمية القيادة مستشهدا بمقولة "الشعب يريد" تدحض هذه الرؤية الخيالية والواحدية للزعيم الملهم الذي كان يقول نعم والباقيون يصمتون، ويرى اصحاب هذا الراي ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية تقوم على مشروع وطني يقوم على تذليل العقوبات والتحديات الاجتماعية والاقتصادية وقهرها لصالح الإنسان المضطهد بعيداً عن الزعامة الفردية والشعبية التي تثير حماس الجماهير وتريد أن تقف في وجه العالم على حساب المشروع الوطني التنموي في الداخل^(٣).

٣- الثورة المضادة والمقاومة للتغيير (الدولة العميقة).

فضلا عن ما ذكر من تحديات تمس البناء الثوري من داخلها؛ ويرتبط هذا بسؤال هل إن ما حصل هو ثورة كاملة، ام هي ثورة لم تستطع ان تنجز وتنتهي ما ابتدأته من خطوات على طريق التغيير، ام إن قوة الدولة العميقة وما يطلق عليه "الفلول" بحكم ما امتلكوه من قوة وامكانيات يستطيعوا معه من اجهاض الثورة، من خلال الثورة المضادة، عن طريق خلق الازمات الامنية وفقدان السلع والخدمات التي كانت متوفرة على قلتها، ويبرز هذا التحدي بوجه الثورة نتيجة تغلغل الاجهزة الادارية والحكومية السابقة بكل مفاصل الدولة، من خلال المدة الطويلة التي قضاها في سدة الحكم، مما شكل طبقة من المنتفعين، والمتضررين او المتخوفين من الضرر الذي قد يصيبهم من التغيير الجديد، نتيجة اخطاء ارتكبوها او جرائم اقترفوها بأيديهم، حتى اصبح العامة ممن لم يكن لهم هم سوء الاكل والشرب داعمين لعودة النظام السابق بدعوى توفير الامن والامان وعودة مصدر الرزق على قلته، هذا بالإضافة الى شعور البعض بالحنين الى الماضي وكأنه دين في عنقه للنظام السابق يريد ان يردده اليه من خلال محاربته للتغيير.

١ - عبد الحسين شعبان، المصدر السابق، ص ٥٣.

٢ - هيثم محمد الكنانى، ثورة سورية والبحث عن ممثل سياسي، مجلة البيان، الرياض، العدد ٣٠٩ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ، مارس - إبريل ٢٠١٣م، النسخة الالكترونية.

٣- جميل مطر، أمل يتجدد في روسيا، صحيفة الشروق، الاثنين ١٨/ اذار ٢٠١٢.

ومع كل ذلك فإن هنالك نوع آخر من التحديات الذي توجه الدول العربية بعد التغيير وهذه التحديات، "لا تأتي فقط من الثورات المضادة لقوى النظام الاقل وفلوله، كما يخشون في مصر وتونس، بل لان الثورة تولد بذاتها ما يعمل ضدها. ذلك ان اسقاط نظام وبناء آخر محله، من اصعب الامور لغير سبب: الاول أن السلطة هي من حيث منطقتها انفراد بالامر. وما من امر يخلو من اعتبارات أو أقصاء بوجه من الوجوه، ولو في حده الأدنى. وثانيهما: ان النظام الذي يراد تغييره يترك اثره فينا على غير وعي منا، بحيث نستعيد، عندما نمسك بزمام السلطة، بعض طبائعه الاستبدادية وممارساته المعتمدة؛ تماما كما ان الواحد ينماهى مع أبيه".^١

اذا واتساقا مع تطورات المشهد العربي الراهن ، بعد نحو عقد من موجة التغيرات السياسية التي أطلق عليها ثورات الربيع العربي ظهرت مفاهيم جديدة على الساحة العربية ولدراسته بشكل علمي ومنهجي يبتعد فيه عن التقويمات الإيجابية والسلبية التي تحيط به، والتي قد ترتقي به احيانا الى منزله الوطن والوطنية، وتهوي به احيانا اخرى الى منزله المؤامرة او الخيانة وبين هذا وذاك يجعل منه البعض شماعة لتعليق اخطاء الفاعلين السياسيين و المجتمعيين ، والتنصل من المسؤولية عن اخفاقات المرحلة الانتقالية في الدول العربية فعلى مدى العقود الثلاثة الماضية برزت مصطلحات في تحليل ومناقشة الأنظمة الاستبدادية غير الديمقراطية لعل اهمها واكثرها شهره كان مفهوم "الدولة العميقة" والذي على الرغم من الاستخدام المتزايد له فان تأصيله نظريا ومنهجيا يبدو محدودا ما جعله لدى البعض مصطلح ملتبسا غامضا، حتى ربطه البعض بسياسات نظريه المؤامرة التي تجد قبولا واسا لدى قطاعات عربية عده شعبية ونخبوية^(٢).

لا ينتمي المصطلح نظرياً إلى المدونة السياسية الأكاديمية، بقدر انتمائه إلى الممارسة السياسية التاريخية التي ارتبطت بتاريخ تركيا القديم وارتبط المصطلح ارتبط عملياً بالتاريخ التركي الحديث أو آخر الدولة العثمانية، وتقسيم ما سمي تركية الرجل المريض بين الدول الاستعمارية، وبالتالي فهو مرتبط بالجماعات السرية والتنظيمات شبه العسكرية، على غرار جمعيات مثل (الاتحاد والترقي) وكذلك (تركيا الفتاة) ثم استمر استخدامه في سياق الأمة التركية، حيث ظهرت الدولة العميقة بعد انقلاب ١٩٦٠، وتمكنت من إعدام رئيس الوزراء (عدنان مندريس) ثم في حقبة حكم (عدنان أفرن) في السبعينيات، وفي حكم (سليمان ديميريل)، وكذلك في عهد رئيس الوزراء (تركت أوزال) نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات^(٣). وتتطابق الرؤية التاريخية من باحث آخر، وان (سليمان ديميريل وبولنت أجويد) قد ضاقا ذرعا من عدم وصول السياسات التي يطرحونها إلى أرض الواقع معتبرين أن ما يفصل عن تحقيق ذلك هو "الدولة العميقة". وقد فهم المصطلح في تركيا على أنه التحالف بين العسكر وجهاز القضاء والإدارة والنقابات، وهي هياكل دائمة تربطها مصالح متشابكة فتكون منظومة من الامتيازات وبغرض حمايتها تقف حائلا أمام مشاريع النخبة السياسية المتغيرة على رأس جهاز الدولة، حتى أصبحت فكرة الدولة العميقة بعد ذلك ظاهرة إعلامية ومجتمعية في تركيا يفسر بها الأتراك الفساد والسياسة المتبعة تجاه المعارضة وتجاه الأقليات^(٤). ويختصرها (وائل عبد الفتاح) بقوله انها فكرة مشابهة "دولة داخل

١ - علي حرب. مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢.

٢ - الكر محمد، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

٣ - عباس شريفة، الثورة والدولة العميقة، مؤسسة رؤية للثقافة والإعلام، اسطنبول، ٢٠١٨، ص ٩.

٤ - عماد مجيد المولى، مفهوم الدولة العميقة، مجلة سطور، الأحد، ٢٨ تموز ٢٠١٣، على الرابط التالي:

<http://www.sutuur.com/all-articles/8837-emad.html>

الدولة، وهي تمثل المؤسسات غير المرئية، والتي تدير الدولة من الأسفل، بعيداً عن سلطات وقرارات الرئيس أو الحكومة أو البرلمان^(١).

وفي تعريف الدولة العميقة يعرف قاموس Cambridge على أنها: " منظمات مثل الجيش أو الشرطة أو المجموعات السياسية التي يقال إنها تعمل سرا من أجل حماية مصالح معينة وحكم بلد معا دون أن يتم انتخابه، كما يرفض البعض فكرة أن هناك حالة عميقة تحكم من وراء الكواليس كنظرية مؤامرة^(٢). إذا المقصود بالدولة العميقة هي بقايا النظام السابق من المنتفعين به، ومن المتضررين من سقوطه، باعتبارهم كيان مادي وملموس غير مخفي كما يعتقد البعض، والذين يعملون على إسقاط التجربة الجديدة، مع خلال الممارسات غير القانونية، وعدم تنفيذ الاوامر والتعليمات الجديدة، واعاقة توفير الخدمات، مستغلين نفوذهم ومن خلال تمرّكهم في مختلف مفاصل الحكومة والجهزة الادارية فيها، ولا يشك ان لهم قيادة توجههم.

إن الدولة العميقة المزعومة، المؤلفة من النخب الحاكمة من الجيش والفرع القضائي والأعمال التجارية والإعلام، كانت تتمتع بسلطة هائلة وراء الكواليس. كما أن الدولة العميقة تستمد القوة من مجتمع الأمن القومي والمخابرات^(٣). وعلى صيد المكونات فتتكون الدولة العميقة الى جانب الجيش و المؤسسات الأمنية والاستخباراتية من كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين السابقين من يتناوبون على السلطة ويتقاسمون الثروة والامتيازات بما لا يخلو من تنفس بينهم على هذا التقسيم والنخبة الرأسمالية وطبقه رجال الاعمال بما في ذلك الاثرياء الجدد وعناصر منتفاه من الاوساط الأكاديمية والثقافية والإعلامية لا سيما اولئك المختصين في كيفية السيطرة على الدولة من خلال عملية القانون مثل الاكاديميين الذين يتميزون بالمعرفة والمهارات في صياغة القوانين والدساتير يضاف الى ذلك شبكه واسعه من العلاقات العابرة للحدود مع القوى الكبرى الإقليمية والدولية لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وروسيا لتحصيل المنافع المتبادلة و الاهداف المشتركة^(٤). وفي حالة مصر كما يرى البعض ان فلول النظام السابق وبالتأمر مع قوات خارجية آلت دون أن تستمر التجربة الديمقراطية في مصر فكان الانقلاب على الشرعية في ٣ تموز ٢٠١٣^(٥).

وعلى صعيد الاهداف الدولة العميقة فهي جهات تعمل لتحقيق جملة من الاهداف والاستراتيجيات اهمها خلق صورته مشوهه للنظام السياسية الجديد وجعلنا خبير يشرون بانهم لا يستطيعون الاعتماد على هذا النظام ومن ثم عدم جدوى الخيار الانتخابي وجعله عاجزا عن الانجاز ومن ثم تبدأ امام الجماهير لا قيمه لها ولا تستحق الحكم تغطيه على اي انجاز للحكومة وتشويه وجهه في مهده^(٦). اذا فهدف الثورة المضادة هو افشال الثورة بعد إن عجزت في البداية إن توقفها كما حدث في مصر فبعد "قيام الثورة، انسحبت الشرطة من الشوارع، وكالمتوقع تفاقمّت معدلات الجريمة، والسبب في ذلك حالات الهروب الجماعي من السجون أثناء الثورة من جانب، فضلاً عن كونها سياسة متعمّدة من جانب النظام الحاكم في آخر أيامه؛ لإثارة الفوضى كوسيلة للتحذير من فراغ السلطة الذي سيصاحب سقوطه. كان للشرطة نفسها أجندتها التخريبية؛ فقد هاجمهم الثوار بسبب ما كانوا يشتهرون به من ضرب المشتبه بهم

١ - وائل عبد الفتاح، الدولة العميقة تبحث عن ((دولتها))، جريدة الاخبار، بيروت، الخميس 10 أيار 2012 العدد 1703، وينظر ايضا، عباس شريفة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

٢ - الكر محمد، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨.

٣ - المصدر السابق، ص ٦٨.

٤ - المصدر السابق، ص ٦٩.

٥ - بوجحفة رشيدة ، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨.

٦ - الكر محمد، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.

وتعذيبهم، والآن هم يرفضون ترك مراكز الشرطة، حتى عند الإبلاغ عن وقوع جرائم خطيرة، كي يلقنوا الشعب المصري درساً قاسياً عن حكمة الخضوع للسلطة الحاكمة^(١).

لهذه الاسباب فان التخوف من الدولة العميقة لها مبرراته، لما لها قوة وتأثير لا يمكن إنكارها واثرها في نجاح او فشل الثورة، من خلال رجال المصالح المرتبطين بالنظام السابق، والذين يستطيعون تحريك بعض البلطجية واصحاب السوابق ماديا، او من خلال الوعود ببعض الامتيازات والعطايا.

فالمنتبع لأحداث الربيع العربي مثلا يرى أن وجهات النظر والرؤى قد اختلفت بين تيارين رئيسيين ، الرأي الاول : يرى أنه بمجرد ازالة أنظمة الحكم المستبدة والفاصلة عن السلطة فإن هذا يعد انجازاً بحد ذاته لأنه يفتح الافاق والآمال بشكل أوسع وأكبر أمام مجتمعات هذه الدول نحو المزيد من التقدم والتغيير ، أما الرأي الثاني ، فإنه يرى أنه بمجرد إحداث التغيير فإنه غير كافي، لأن ذلك يتطلب تغيير البنية الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، من أجل استيعاب متطلبات التغيير ، فمنح الحرية السياسية لا يمكن أن يحدث تغييراً في ظل التخلف الاجتماعي، ومن ثم ستنجح نظاماً سياسياً متخلفاً بطبيعة الحال، ثم أن هذه المعادلة سوف تنتج ديمقراطية قائمة على أساس الجهوية والجغرافية المحلية والقبلية والعشائرية، لأن الممارسة الانتخابية سوف تبني نظام سياسي مبني على أساس هذه الولاءات ومن ثم يتم الحفاظ على المصالح والرموز والقيادات المجتمعية نفسها رغم تغيير الوجوه وعليه سيكون التغيير شكلياً وظاهرياً^(٢).

ان عدم تجاوز العوامل والاسباب التي أدت الى انهيار الانظمة السابقة في دول الربيع العربي، او باقل تقدير ايجاد حلول ولو (ترقيعية) مؤقتة لحين ايجاد الحلول الازمة، سيجعل من الحكومات الجديدة اكثر سرعة في السقوط من سابقتها، في ظل متغير جديد اصاب المجتمع، وهو رفع حاجز الخوف من السلطة، وقد اصبح من الماضي بالنسبة للجماهير المستعجلة لقطف ثمار التغيير، ويشمل هذا كل الاسباب التي ادت الى عملية التغيير، وعلى الحكومات الجديدة اذا ما ارادت ان تتم دورتها الانتخابية او نصفها على اقل تقدير ان تعلم كما يرى (زياد حافظ) ان الاختناق السياسي الداخلي عبر التعديلات الدستورية لا يحقق شيء في ظل سيطرة النظام السابق على وسائل الاعلام التي ادت الى تعطيل الحياة السياسية، فأصبحت الحياة السياسية محصورة بيد العائلة الحاكمة وزمرة "رجال الاعمال" المهيمنة على مقدرات البلاد وعلى نهبها، فضلا عن كون الاحتقان السياسي، قد سد الافاق الاقتصادية لشريحة واسعة من الشعب، ابرز فئة هم الشباب، وللذين يشكلون البيئة الحاضنة للحالة الثورية^(٣).

والسؤال المهم الذي يواجه كل عملية تغيير والتحول السياسي السلمي حتى السلمي منه وهل تتمكن دول الثورات من الانتقال إلى الحكم الرشيد ؟ وهل شروط وقواعد الانتقال له متوافرة في ظل صراعات الاستقطاب الحادة بين القوى السياسية المختلفة؟ وإلى أي حد سينعكس التغير في نظم الحكم على أداء النظام السياسي الجديد؟.

المطلب الثالث: التحديات السياسية الخارجية التي تواجه النظام السياسي الجديد.

لا يمكن تجاهل العامل الخارجي الدولي والإقليمي، وان مصالح كل دولة ومدى تأثيرها في المشهد السياسي، الا اننا نعتقد بان العامل الخارجي يمثل اقوى تحدي يواجه الثورة العربية بعد ازالة الطغاة، بما يمتلكه العامل الخارجي من قوة استيعاب للصدمة التي أصابته من جراء التغيير، ومن قدرته على تسخير إمكانياته

١ - جون آر برادلي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.

٢ - احمد أبو غوش، الربيع العربي: البوصلة والآمال، جريدة حق العودة، العدد ٥٠، ٢٣/ تشرين اول ٢٠١٢.

٣ - زياد حافظ، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

لتوجيهها باتجاهه، "وفيما لا ينبغي تجاهل استراتيجيات أطراف دولية مختلفة تستخدم كل الوسائل لمضاعفة دورها الإقليمي، سواء بمحاصرة التهديدات أو الحد منها، أو توسيع دائرتها"^(١). لان الثورة العربية كان لها دور كبير ومؤثر في تغيير السياسات الدولية اتجاه المنطقة وشعرت ان مصالحها لم تعد بأمان كما كانت، ولذلك فان دورها أصبح يأخذ جانب الحذر والترقب مع المكر والخداع لتحقيق مكاسب او في اقل تقدير المحافظة على مكاسبها السابقة.

١- تداعيات التدخل الخارجي في الجزائر بعد فوز جبهة الانقاذ ١٩٩١.

دور العامل الخارجي في افشال تجربة التحول الجزائرية، اذ مثلت الحركة الإسلامية الجزائرية ونجاحها في الانتخابات، تهديدا لأقطاب النظام الدولي الجديد بدافع الخوف من نظرية الدومينو، وخوف البلدان المجاورة مثل (تونس والمغرب) وغيرها من انتشار عدوى التحول السياسي، ورغم تباين وجهات النظر لكل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية من الأزمة الجزائرية، إلا ان نقاط الاتفاق الرئيسة بينهما واضحة تمثلت بعدم وصول الإسلاميين الى السلطة، وأن قبلت الولايات المتحدة امريكية ان تكون لهم نسبة من المشاركة بشكل لا يؤثر على مصالحها ومصالح حلفائها^(٢).

٢- تداعيات التدخل الخارجي بعد احتلال العراق ٢٠٠٣.

فرق تسد شعار رفعه الاستعمار خلال القرون الماضية وهو الشعار الذي يرفعه الاحتلال الأمريكي في القرن الواحد والعشرين، ومنذ البداية لعبت الادارة الأمريكية على الوتر الحساس ليس في العراق وحده بل في المنطقة وهو وتر الطائفية، يقول بشير نافع "وقد برزت في العاصمة الأميركية منذ عام على الأقل بوادر على إدخال العامل الطائفي والإثني باعتباره عاملاً أساسياً في رسم السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، منه تداعيات الاحتلال الأمريكي على وحدة العراق الداخلية، وما أدت إليه سياسات الاحتلال من دمار لمقدرات الدولة العراقية الجديدة"^(٣).

وقد أثار الاحتلال الأمريكي للعراق في نيسان / ٢٠٠٣، وما رافقه من انهيار معالم الدولة العراقية تساؤلات مهمة حول مستقبل الوحدة الوطنية في العراق عموماً. "وفي ظل سياسات الاحتلال الأمريكي لإعادة صياغة البنية السياسية والاجتماعية وفق نمط التفكيك والتقسيم الذي يديم مصالحه في العراق وفي ظل ضعف الشعور الموحد بالهوية الوطنية وسيادة الهويات التحتية - الطائفية والقومية العشائرية - لمختلف شرائح الشعب العراقي فان مفهوم الهوية الواحدة يصبح مغيباً وقاصراً عن الحضور في الذهنية العراقية"^(٤).

٣- التداعيات السياسية لفوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية ٢٠٠٦:

دعت الولايات المتحدة إلى معاقبة حركة حماس حيث كان جواب هذه الدول المباشر "نحن لن نعاقب الشعب الفلسطيني واتركوا حماس كخيار للشعب الفلسطيني تأخذ مداها وفرصتها"، إلا أن الواقع على الأرض يوضح أن الممارسات صبت كلها في حصار قطاع غزة. فمثلاً، أعلنت الولايات المتحدة حرباً سياسية شاملة

١ - يوسف محمد الصوّاني. مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

٢ - سناء كاظم كاطع، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤.

٣ - [بشير نافع](#)، دولة شيعية في العراق وأخرى سنية في سوريا، الجزيرة نت.

٤ - دهام محمد العزاوي، الاحتلال الأمريكي للعراق وأبعاد الفيدرالية الكردية، ط١، الدار العربية للعلوم ومركز الجزيرة للدراسات، بيروت الدوحة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٨٠٧.

على حركة حماس ابتداء من وضعها على قائمة المنظمات الإرهابية وصولاً لتجفيف منابع الدعم عنها وعزلها سياسياً. وبعد وصول حركة حماس إلى سدة الحكم في أعقاب انتخابات عام ٢٠٠٦م وجدت الولايات المتحدة نفسها أمام واقع جديد فرض عليها التعامل بطريقة مغايرة مع حركة حماس، فانتقلت من مرحلة المواجهة الشاملة إلى مرحلة محاولات الاحتواء والإخضاع بفرض شروط الرباعية الدولية على الحركة. ومع ظهور حركة حماس كقوة تنتهج المقاومة المسلحة وترفض الاعتراف بشرعية الاحتلال تم وضعها على قائمة المنظمات الإرهابية في منتصف تسعينات القرن الماضي إلى جانب السعي الحثيث لتجفيف منابع الدعم المالي لها وحصارها وفرض العزلة السياسية عليها^(١).

فور الإعلان عن حكومة الوحدة الوطنية سارعت إسرائيل رفض التعامل معها، كما دعت المجتمع الدولي إلى الإبقاء على الحصار الذي كان مفروضاً على حكومة حماس، فيما رفضت الولايات المتحدة الأمريكية التعامل مع وزراء حماس في حكومة الوحدة ولم تمنع الاتصال مع وزراء فتح والمستقلين أما الموقف البريطاني والفرنسي فقد تناغم إلى حد ما مع الموقف الأمريكي، أما بالنسبة للموقف العربي فقد كان مرحباً وداعماً من خلال تصريحاته، فقد دعا وزير خارجية مصر أحمد أبو الغيط المجتمع الدولي إلى التعامل بإيجابية مع الحكومة واتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان نجاحها في عملها، كما طالب الجامعة العربية برفع الحصار عن الحكومة الفلسطينية الجديدة وهذا يوضح الموقف الأمريكي المهيمن، والذي أقر واعترف بالانتخابات الديمقراطية ونتائجها ولكنه لن يعترف بحكومة لا تلبى الشروط التي وضعتها اللجنة الرباعية الدولية^(٢). أما ردة فعل الاتحاد الأوروبي فقد تمثلت بتبني شروط اللجنة الرباعية أيضاً، وسعى لحمل الحركة للموافقة عليها لتكون شريكا سياسياً، والا فعلى "حماس" أن تواجه حصاراً سياسياً واقتصادياً^(٣).

٤- التدخل الخارجي بعد الربيع العربي

لقد أثر الربيع العربي لاسيما للقوى الكبرى ولاسيما للمشروع الإمبراطوري الأمريكي، خصوصاً بعد الربيع العربي، فقد وصل إلى مفترق طرق بعد انهيار أنظمة حليفة وبعضها ممانعة له، وإذا كان التعامل معها يسيراً في السابق، فإن التعامل مع انتفاضة شعبية وثورة شبابية وهياكل غير مكتملة في ظل مرحلة انتقالية هو أكثر صعوبة، لاسيما إذا استمرت الولايات المتحدة في نهجها، دون أن تأخذ بنظر الاعتبار تطورات الشعوب في التنمية والديمقراطية وفي تأمين مستلزمات نهوضها وتقدمها في إطار الجماعة السياسية التي تنتمي إليها وتجمعها بها مشتركات كثيرة مثل اللغة والدين والتاريخ والمصالح المشتركة^(٤). فإن الإدارة الأمريكية ولاسيما بعد حالة التغيير التي أطاحت بأربعة أنظمة في منطقة الشرق الأوسط في مطلع العام ٢٠١١، وضعت المنطقة تحت الاختبار وانتظارها لاقتناص أي فرصة يمكن توظيفها للدفع باتجاه الاستفادة من تجربتها بهذا المجال في العراق على مستوى الشرق الأوسط وفق آليات مختلفة ومتعددة كالديمقراطية

١ - ناهض زكي جعور، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢.

٢ - معتز سمير الدبس، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.

٣ - ناهض زكي جعور، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

٤ - عبد الحسين شعبان، قبل وبعد الربيع العربي الجيوبوليتيك ومفترق الطرق، مجلة حمورابي للدراسات، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العدد (٣)، السنة الأولى، حزيران ٢٠١٢، ص ٣٧.

وحقوق الإنسان والإصلاح السياسي وإلى آخره من المصطلحات المفرغة من مضامينها^(١). لذلك وجدنا استمرار تدفق المساعدات العسكرية الأميركية لمصر ووقعت وزارة الدفاع عقوداً جديدة بعد الانقلاب، وأعلنت الولايات المتحدة الإفراج عن مساعدات عسكرية كانت مجمدة سابقاً، ثم قدمت مساعدات إضافية بقيمة ٣ مليار دولار في ديسمبر ٢٠١٢، بجانب عقد صفقات سلاح مع كل من فرنسا وروسيا والصين وإيطاليا وألمانيا، وتنامي حجم التعاون الأمني مع الكيان الصهيوني، مع تقارير إسرائيلية وغربية تؤكد أن هذه العلاقات تجاوزت كثيراً ما كانت عليه أيام مبارك الذي وصفه الإسرائيليون بأنه كنز إستراتيجي بالنسبة إليهم^(٢).

تطمح روسيا لموقع في النظام الدولي يفوق مقدراتها القومية. وقد وجدت أن الثورات العربية قد تنتج تغييرات جيوسياسية في الإقليم لا تتلاءم وطموحها المتنامي في عهد أوباما، فأنتجت تحفّظات ومواقف مناوئة لحصول التغيير في ليبيا، وبفاعلية أكبر في سورية، إلى حد جعلها أبرز اللاعبين المرشحين في الأزمة السورية^(٣). وهكذا وجدنا أن الأزمة الليبية لا تقتصر التدخلات فيها على الفواعل الداخلية بل شمل دول الجوار، لما للتداعيات الداخلية من أثر مباشر على دول الجوار، فاتخذت كل دول أحد طرفي النزاع الداخلي لتدعمه على حساب الآخر ضننا منها أنها تحمي مصالحها وحدودها، ولم يكن دور دول الخليج بعيداً عن هذا الاصطفاف، فضلاً عن المحيط الأوربي وأبرز هذه الدول إيطاليا وفرنسا التي كانت أكثر الداعمين للتدخل الدولي، منطلقين من التنافس التاريخي على الأراضي الليبية، فضلاً عن الاطماع الاقتصادية. ولا ننسى الدور التركي، والروسي والأمريكي، وهكذا نجد أن الأزمة الليبية تفاقمت من التدخل الخارجي بكل اتجاهاته، لاختلاف مصالح الدول في ليبيا^(٤).

يبين البعض أن المنظمات غير الحكومية (منظمات المجتمع المدني)، أصبحت إحدى أدوات السياسة الدولية الضاغطة والمؤثرة في عملية اتخاذ القرارات، ولا سيما بعد ما شهده العالم من نقلة نوعية في مجال العلوم والتكنولوجيا والتطور، والذي أدى إلى تعميم ونقل التجارب التي خاضتها الشعوب الأخرى إلى مناطق متعددة حول العالم، فهذه المنظمات ليس لها علاقة بالعمل السياسي، لكن القصد هنا من الدوافع السياسية هو خلق آلية ضغط جديد عبر هذه المنظمات المدنية، التي تمارسها على الحكومات بأساليب تسمح بها أساساً هذه الحكومات، كحرية التجمع والتعبير والتثقيف في مجال حقوق الإنسان وحقوق المرأة والطفل وتوزيع المساعدات... الخ من الأمور المدنية، وكل هذه النقاط المشار إليها لا تخلو من أغراض سياسية توظفها الولايات المتحدة على وجه التحديد^(٥).

١ - علي جلال عوض ، الارتباك : تحليل أولي للدور التركي في ظل الثورات العربية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد ١٨٥ ، المجلد ٤٦ ، يوليو ٢٠١١ ، ص ٦٠.

٢ - مستقبل النظام السياسي المصري: التحديات والمسارات، مصدر سبق ذكره، ص ٤.

٣ - التوازنات والتفاعلات الجيوسياسية والثورات العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، أبريل ٢٠١٢، ص ٢٨.

٤ - حمزة علوي، تحديات بناء الدولة في دول الربيع العربي: دراسة حالة ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، قسنطينة / الجزائر، ٢٠٢٠، ص ٥٧ وما بعدها.

٥ - سرمد زكي الجادر، التوظيف الأمريكي لمنظمات المجتمع المدني، مجلة حمورابي للدراسات، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العدد (٣)، السنة الأولى، حزيران ٢٠١٢، ص ٩٦، ٩٧.

ان ما حدث في المنطقة العربية وضع الغرب بصورة عامة و(إسرائيل) بصورة خاصة أمام تحديات، تجاه استحقاقات الشعوب العربية من قيامها بالثورة وان من أسبابها هو التدخلات الخارجية ومساندتها للدكتاتور بالضد من شعبه، وهذا الدور سيكون هدف القوى الخارجية بإيجاد شبيه بذلك النظام يخدم مصالحها لا مصالح شعوبها، ولذلك فهي ستحاول التدخل بكل ثقلها لتحاول التقليل من اثر هذه التحديات، مستخدمة كل الوسائل المتاحة الشرعية وغير الشرعية السلمية وغير السلمية، وان هذه المحاولات هي ما تشكل التحدي الاكبر بوجه الربيع العربي.

يعطينا هذا التصور المختصر عن طبيعة القوة المؤثرة والفعالة في المشهد السياسي بعد التغيير قدر ولو بسيط على فهم وادراك حجم التحديات التي تواجه الدول العربية في ظل صعود قوة ومشهد سياسي يختلف عن المرحلة السابقة او في اقل تقدير عن السنوات القليلة التي سبقت التغيير.

الخاتمة

إن عملية التغيير واسقاط النظام السابق هو اسهل مرحلة وخطوة في اتجاه الثورة او التحول في النظام الانتخابي، اما كيفية تحقيق الاهداف التي جرى التغيير لأجلها فهي الخطوة الاصعب، وهي التي ربما تشكل الخطوة التي تؤدي الى فشل عملية التحول، حيث ستطرح الكثير من القضايا التي ستطفو على السطح مثل كيفية تحقيق رغبات الجماهير وكل الجهات الاخرى الحزبية وغير الحزبية، التي خرجت لإحداث التغيير او تلك التي وجدت نفسها في وضع مغاير بعد التغيير وتستطيع الان ان تطالب بحقوقها، بعد ان تم ازاحت الخوف من قلوب وعقول الجميع واصبحت السلطة ليست كما كانت، تعبر عن الرعب والخوف بل اصبحت في متناول السنة وايدي الجميع القوي والضعيف. وهكذا ستبرز بعض القضايا السياسية في الواجهة مثل الموقف من الأقليات والتنوع الثقافي، لاسيما الديني والطائفي والاثني، وبعض القضايا والمشاكل القبلية الأخرى أيضاً. ولذلك فان التغيير لا يجب ان يقتصر على تغيير السلطة فقط، بل يجب ان يشمل ممارسات السلطة نفسها، ولا تكون كالداء الذي ينتقل من سلطة الى اخرى وان انقلبت على سابقتها، فتأخذ وتقتبس منها كل المنكر والظلم والاضطهاد، والا فأنها ستواجه كما تبين لنا عدد من التحديات، من فقدان الاستراتيجية الى فقدان القيادة الموحدة، الى محاولة سرقة الثورة من بعض الجهات وليس بالضرورة هي من الفلول او اتباع النظام السابق، مع انها من التحديات السياسية الخطرة على النظام الجديد، والتي ستواجه عملية التحول، فعلى النظام الجديد الخروج منها باقل الخسائر بمواجهته هذه التحديات مع تحقيق اهدافه وبرامجه، رغم انه قد يكون ورث ترثة ثقيلة من الفساد السياسي والاقتصادي اضافة الى البطالة والفقر المتفجع المتربع على قمة اولويات الثورة العربية.

وبغض النظر عن طبيعة وشكل التغيير هل هو دموي ام سلمي، الا انه ان اصبح حقيقة، وامام هذه الحقيقة، هنالك حقيقة اخرى، هي تغيير في قوة القوى التي واكبت عملية التحول او شاركت بها، او حتى التي وقفت ضده من الداخل والخارج، ولذلك فان لم تستطع عملية التحول ان تنجز كل ما كانت تطمح له قوى التغيير، فان التغيير لن يأخذ شكله النهائي، وذلك نتيجة عاملين الاول قد يكون قصر الفترة الزمنية على عملية التغيير الكبيرة التي حدثت في هذه الدول، او نتيجة تأثير القوى الفاعلة في الثورة او المناهضة لها بالإضافة الى تأثير العامل الخارجي، والذي سيصبح له دور اكبر بعد التغيير، بما يمتلكه من قوة تأثير ربما لم تكن حاضرة اثناء التغيير الذي قد يكون فوجئ به في اقل تقدير من حيث التوقيت، والجهة التي نفذته، مع إيماننا ان من خروج الشعوب لم يكن بكبسة زر منه كما يرى البعض، فيجب معرفة كيفية التعامل معه وهو لا يطمح الا للحفاظ على مكاسبه السابقة في اقل تقدير او الفوز بمغانم جديدة من الحكومات التي تريد تحقيق

رفاه وتقديم الشعوب لتثبيت للجماهير أنها أهل للحكم، وهكذا تجد نفسها بين اذرع الاجنبي، او لربما ان الاجنبي هو من استطاع ان يلعب لعبته ويأتي بلعبة جديدة.

وهكذا وجدنا ان عمليات التحول السلمي او الثوري تواجه تحيات كبرى من داخلها ومن أبنائها الذين انتفضوا ضد الظلم والطغيان بسبب جهلهم بالسياسة او بطمعهم بالحكم والاستئثار به واتباع اسوء ما في الحكومات السابقة، او من اطراف خارجية لا نلومها اذا ما عملت لتحقيق مصالحها، بل يجب ان يلام القائمين على التغيير بان لم نحافظ على خيرات بلادهم.

المصادر:

اولاً: الكتب العامة.

- ١- احمد علي ابراهيم، الربيع العربي: رياح التغيير وعواصفها نحو انظمة خالية من الاستبداد، مجلة تضامن، بغداد، العدد الثالث عشر/ نيسان ٢٠١٢.
 - ٢- اسامة الغزالي حرب. مستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. محور العرب والعالم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧.
 - ٣- أمينة أبو شهاب. العرب بعد الربيع العربي، مركز الخليج للدراسات- دار الخليج للطباعة والنشر، الشارقة، ٢٠١٢.
 - ٤- جاريث ستانسفيلد ، العراق، الشعب والتاريخ والسياسة ، ابو ظبي ،مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط١-٢٠٠٠.
 - ٥- جميل مطر وآخرون، تحرير عبد الإله بلقزيز، رياح التغيير في الوطن العربي: حلقات نقاشية عن مصر- المغرب -سورية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١م.
 - ٦- جون آر برادلي، ما بعد الربيع العربي :كيف اختطف الإسلاميون ثورات الشرق الأوسط، ترجمة شيماء عبد الحكيم طه، ط١، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٣م.
 - ٧- دهام محمد العزاوي، الاحتلال الأمريكي للعراق وأبعاد الفيدرالية الكردية، ط١، الدار العربية للعلوم ومركز الجزيرة للدراسات، بيروت الدوحة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
 - ٨- سجعان القزوي، تغيير الأنظمة والثورات، منشورات دار سائر المشرق، لبنان، ٢٠١٣.
 - ٩- عباس شريفة، الثورة والدولة العميقة، مؤسسة رؤية للثقافة والإعلام، اسطنبول، ٢٠١٨.
 - ١٠- عبد الرضا الطعان، مفهوم الثورة، جامعة الموصل، Ninوى، ١٩٨٠.
 - ١١- عبد السلام ابراهيم بغدادى، النظم السياسية العربية، ط١، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
 - ١٢- عبد القادر محمد فهمي، المدخل الى دراسة الاستراتيجية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠٠٩.
 - ١٣- علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي: من المنظومة الى الشبكة، ط٢، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢.
 - ١٤- كاظم هاشم نعمة، الوجيز في الاستراتيجية، ط ١، الدار العربية للعلوم الناشرين، بيروت، ٢٠٠٨.
 - ١٥- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
 - ١٦- محمد الامير احمد ومحمد كريم، تجارب حركات الإسلام السياسي بعد ثورات الربيع العربي: دراسة في التحديات الراهنة وآفاق المستقبل، ط ١، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ٢٠١٩.
- #### ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية.
- ١٧- حمزة علويط، تحديات بناء الدولة في دول الربيع العربي: دراسة حالة ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، قسنطينة / الجزائر، ٢٠٢٠.

- ١٨- صدام عبد الستار رشيد، ثورات الربيع العربي ((دراسة سياسية اجتماعية تحليلية)) أطروحة دكتوراه غير منشورة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه الى مجلس كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد في العلوم السياسية / النظم السياسية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
 - ١٩- عز الدين سامي كساب، تجربة حركة حماس في الحكم وانعكاساتها على استراتيجيتها التحريرية لدى المقاومة الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة في إدارة الدولة والحكم الرشيد، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا وجامعة الأقصى، غزة، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
 - ٢٠- محمد أحمد فيصل العبيدي، الحركة الإسلامية والصراع على السلطة في الجزائر ١٩٩٠-١٩٩٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب جامعة الموصل، ٢٠٢٠م.
 - ٢١- معتز سمير الدبس، التطورات الداخلية و أثرها علي حركة المقاومة الإسلامية (حماس) (٢٠٠٠/٢٠٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية ، جامعة الأزهر - غزة، ٢٠١٠-٢٠١١م.
 - ٢٢- ناهض زكي جعور، انعكاس المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية على التجربة السياسية لحركة حماس ٢٠٠٦ (م ٢٠١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة في الدبلوماسية والعلاقات الدولية، جامعة الأقصى، ٢٠١٥م - ١٤٣٧هـ.
- ثالثاً: المجالات والصحف.**
- ٢٣- احمد أبو غوش، الربيع العربي: البوصلة والآمال، جريدة حق العودة، العدد ٥٠، ٢٣/ تشرين اول ٢٠١٢.
 - ٢٤- أحمد سويقات، التجربة الحزبية في الجزائر ٢٠٠٤- ١٩٦٢، مجلة الباحث، جامعة قاصدي مرباح ورقلة كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، المجلد ٢٠٠٦، العدد ٤ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٦).
 - ٢٥- امين مشاقبة، معوقات إصلاح السياسي في الوطن العربي ، ورقة غير منشورة مقدمة إلى ورشة عمل إصلاح السياسي - مركز الرأي للدراسات ، عمان - سبتمبر ٢٠٠٥.
 - ٢٦- توفيق شومان، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣٨٦، نيسان ٢٠١١،
 - ٢٧- جميل مطر، أمل يتجدد في روسيا، صحيفة الشروق، الاثنين ١٨ / آذار / ٢٠١٢.
 - ٢٨- جبدور حاج بشير، مآزق الإسلام السياسي في الجزائر: دراسة تحليلية عن تراجع الأداء السياسي للأحزاب ذات التوجه الإسلامي، مجلة دفاتر السياسة والقانون (الجزائر) ، العدد ١٩، جوان ٢٠١٨.
 - ٢٩- حسن الرشيد، السلفيون وقواعد اللعبة السياسية، مجلة البيان، الرياض، السنة السادسة والعشرين، العدد ٢٨٧، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، نسخة من الموقع الالكتروني للمجلة.
 - ٣٠- خير الدين حسيب، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣٨٦، نيسان ٢٠١١.
 - ٣١- سرمد زكي الجادر، التوظيف الأمريكي لمنظمات المجتمع المدني، مجلة حمورابي للدراسات، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العدد (٣)، السنة الاولى، حزيران ٢٠١٢.
 - ٣٢- سناء كاظم كاطع، المنطلقات الفكرية للحركة الاسلامية الجزائرية وجدلية العلاقة مع النظام السياسي، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، العدد (٤٥)، ٢٠١٠.
 - ٣٣- عبد الحسين شعبان، خريطة التغيير العربية اضاءات في اطروحات مغايرة!، مجلة حمورابي للدراسات، العدد الخامس، السنة الثانية، نيسان/ابريل ٢٠١٣.
 - ٣٤- ، قبل وبعد الربيع العربي الجيوبوليتيك ومفترق الطرق، مجلة حمورابي للدراسات، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العدد (٣)، السنة الاولى، حزيران ٢٠١٢.
 - ٣٥- علي جلال عوض ، الارتباك : تحليل اولي للدور التركي في ظل الثورات العربية ، مجلة السياسة الدولية، القاهرة ، العدد ١٨٥ ، المجلد ٤٦ ، يوليو ٢٠١١.
 - ٣٦- عماد مجيد المولى، مفهوم الدولة العميقة، مجلة سطور، الأحد، ٢٨ تموز ٢٠١٣، النسخة الالكترونية.
 - ٣٧- مالك عوني، سياقة اعادة البناء: هل يمكن أن تؤسس الثورة المصرية نموذجاً، مجلة السياسة الدولية، عدد ملحق رقم (١٨٧) مؤسسة الاهرام، القاهرة، يناير ٢٠١٢.

- ٣٨- هيثم محمد الكناني، ثورة سورية والبحث عن ممثل سياسي، مجلة البيان، الرياض، العدد ٣٠٩ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ، مارس - إبريل ٢٠١٣م، النسخة الالكترونية.
- ٣٩- وائل عبد الفتاح، الدولة العميقة تبحث عن ((دولتها))، جريدة الاخبار، بيروت، الخميس 10 أيار 2012 العدد 1703.
- ٤٠- وصال العزاوي، الثورات العربية واستحقاقات التغيير: دراسة تحليلية حول أسباب انهيار النظم السياسية، مجلة قضايا سياسية، تصدر عن كلية العلوم السياسية جامعة النهرين، بغداد، المجلد الرابع، العدد السادس والعشرون، ٢٠١٢.
- ٤١- يوسف محمد الصوّاني، التحديات الأمنية للربيع العربي: من إصلاح المؤسسات إلى مقاربة جديدة للأمن، مجلة المستقبل العربي، مجلة "المستقبل العربي"، العدد ٤١٦، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٣.
- رابعاً: البحوث:**
- ٤٢- التّوازنات والتّفاعلات الجيوستراتيجية والثّورات العربيّة، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة، أبريل ٢٠١٢.
- ٤٣- مستقبل النظام السياسي المصري: التحديات والمسارات، المعهد المصري، د. م، ٢٠١٦.
- خامساً: المواقع الالكترونية.**
- ٤٤- بشير نافع، دولة شيعية في العراق وأخرى سنية في سوريا، الجزيرة نت.

السيادة الوطنية للدولة في مواجهة تطورات النظام الدولي الراهن

بوخالفه سعاد / جامعة الجزائر - ١ - كلية الحقوق

ملخص

تعد فكرة السيادة الوطنية للدول من الركائز الثابتة و الراسخة في القانون الدولي بل تعتبر من أهم المبادئ التي إستقر عليها التعامل الدولي ، فسيادة الدولة كمفهوم متكامل سياسيا واقتصاديا وثقافيا أمر لاغنى عنه في المجتمع الدولي المعاصر، حيث تعتبر من ضمن أهم المبادئ التي تأثرت بفعل الظروف التي مر بها المجتمع الدولي، حيث تراجعت شيئا فشيئا أمام الفاعلين في الساحة الدولية و على رأسهم المنظمات الدولية خاصة منظمة الأمم المتحدة هذه الأخيرة التي ما فتئت توسع من إختصاصاتها و الى درجة التدخل في شؤون كانت من لإختصاص الحصري للدول، وهذا في سعيها لحفظ السلم و الأمن الدوليين الذي يعتبر من أهم مقاصد الأمم المتحدة وغاياتها ، بل من أهم الأهداف التي من أجلها وجدت منظمة الأمم المتحدة، ويعود ذلك إلى أن كون تحقيق السلم والأمن الدوليين هو الهدف الذي بدون تحقيقه لا يمكن تحقيق الأهداف الأخرى للمنظمة.

مقدمة

إن النظام الدولي الراهن يتجه نحو إفراغ السيادة من مضمونها لأن التطورات الدولية الحديثة أفرزت جملة من المؤثرات التي بإمكانها خرق المجالات الأساسية للدول النامية، كما أن تدويل حقوق الإنسان و ظهور مفهوم "الأمن الإنساني" أدى إلى تغير النظرة التقليدية المتعلقة بالدولة ، فأصبحت الدولة أداة لا غاية بذاتها كالسابق فهي وسيلة لتحقيق الأمن الإنساني "و أصبحت حقوق الإنسان تعلو على حقوق الدول و سيادتها في نظام القانون الدولي المعاصر، فلم تعد سيادة الدول غير موصوفة و غدت الإنسانية المرجعية الأساسية لفهم النظام القانوني الدولي و مبادئه و قواعده القانونية و ليست الدول " وبالتالي لا يمكن إعتبار التدخل الإنساني إنكارا لسيادة الدولة المعنية بل مطالبة لهذه الدولة بممارسة إمتيازاتها السيادية بطريقة أكثر إنسانية خاصة مع تزايد دور المنظمات الدولية و تعدد أهدافها.

و من بين الأهداف التي تسعى إليها المنظمات الدولية تنظيم العلاقات الدولية إعتمادا على وسائل تؤمن حل النزاعات سلميا و التخفيف أو الحد من وقوع النزاعات و الحروب الدولية و الإقليمية و المحلية للمساعدة على إيجاد بيئة سلام دائم فيما بينها و وضع ترتيبات دفاعية مشتركة لتحقيق و ضمان أمن مجموعة من الدول.

هذا الأمر الذي نتج عنه مصادمة بين مبدأ سيادة الدولة و حق المنظمات الدولية في التدخل لأسباب إنسانية مما أدخل مبدأ السيادة حسب المفهوم التقليدي في أزمة جراء الهجمات المتكررة التي كان يتعرض لها باسم الحق في التدخل الإنساني و نتيجة لهذا التصادم و في إطار التوفيق بين سيادة الدولة و سيادة الشعب و استجابة لذلك خاصة مع التطورات الدولية برز مفهوم "مسؤولية الحماية".

الملاحظ أن الكثير من التطورات في عصرنا أصبحت تتحدى مصداقية مبدأ سيادة الدولة خاصة مع تزايد دور المنظمات الدولية و مساسها بالمجال المحفوظ للدول و التأثير على مبدأ سيادتها الوطنية تحت ذريعة حفظ السلم و الأمن الدوليين و حماية حقوق الإنسان.

و لمعالجة ما سبق نطرح الاشكالية التالية: ما هي ضمانات عدم المساس بمبدأ السيادة الوطنية للدولة في ظل التطورات الدولية الراهنة ؟

و لمعالجتها قسمنا دراستنا الى محورين خصصنا المحور الأول لدراسة انحصار المجال المحفوظ للدولة أمام تدخلات الأمم المتحدة , أما المحور الثاني من دراستنا فقد خصصناه لدراسة التوفيق بين الحق السيادي للدولة و مبدأ التدخل الدولي لحفظ السلم و الأمن الدوليين.

المبحث الأول: انحسار المجال المحفوظ للدولة أمام تدخلات الأمم المتحدة .

يتفق غالبية فقهاء القانون الدولي عموماً على أن الأساس النظري لمبدأ المجال المحفوظ للدولة يكمن في نظرية سيادة الدولة التي أخذت في مراحل تطورها عناصر جديدة توسع بها مضمونها على مر الزمن، ولقد حمل مبدأ عدم التدخل في طياته مبدأ المجال المحفوظ للدولة ليتفرع عنه و عن مبدأ القوميات مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ليكون الخاصية الكبرى التي تميز بها القرن العشرين بفضل مجهودات منظمة الأمم المتحدة خاصة مع إعلانها المتعلق بحق الشعوب في تقرير مصيرها^١.

المطلب الأول: ماهية المجال المحفوظ للدولة

سنحاول تحديد ماهية المجال المحفوظ للدولة بتعريف هذا المبدأ أولاً ثم التطرق إلى طبيعته القانونية وكذا البحث عن الأساس الذي يقوم عليه .

الفرع الأول: تعريف المجال المحفوظ للدولة

لقد تعذر على الفقه الدولي رغم التأويلات المتعددة لمفهوم لإختصاص الوطني، وضع تعريف دقيق له رغم عديد المحاولات لفقهاء القانون والسياسة الهادفة للوقوف على المقصود بالمجال المحجوز للدولة. حسب الفقيه " Alf Ross " فإن المسائل التي تفسر من المجال المحفوظ للدول هي: " تلك المسائل التي لا تخل بحقوق الدول وكذا المسائل التي تمس مصالح الدول " ^٢.

^١ قرار الجمعية العامة المؤرخ في ١٤ ديسمبر ١٩٦٠ وثيقة رقم A/RES/1514 المتضمن اعلان اخضاع الشعوب للحكم الاجنبي و السيطرة و الاستقلال للبلدان و الشعوب المستعمرة.

^٢ د. عبد العزيز رمضان علي الخطابي، نظرية لإختصاص في القانون الدولي المعاصر، فلسفة في القانون الدولي العام، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ١١٧

ويقول الدكتور "محمد سامي عبد الحميد" عن المجال الخاص بالدولة^١ بأنه حرية الدولة في ممارسة اختصاصها ما لم يوجد قيد يقيد هذه الحرية ولا يمكن رفع هذا القيد أو التحرر منه إلا وفقا لقواعد القانون الدولي.

أما الأستاذ الدكتور "عامر عبد الفتاح الجمرّد" فيعرف المجال الخاص بالدولة بأنه "مجال نشاطات الدولة حيث تكون اختصاصاتها غير مرتبطة بالقانون الدولي"^١.

وعليه فالمجال المحجوز للدولة أو لإختصاص الداخلي للدولة أو المجال الخاص بالدولة أو المجال المحفوظ للدولة كلها تسميات تدل على المسائل التي تدخل في صميم أو جوهر لإختصاص الداخلي للدولة الذي تم النص عليه في ميثاق الأمم المتحدة و الذي أوصى بضرورة إحترام ذلك لإختصاص وفق المادة ٢/٧ من الميثاق الأممي^٢، هذه المادة التي جاءت عباراتها واسعة المفهوم حيث ترك الباب مفتوح لتقدير مطبق النص إما لإستخدامه لحماية سيادة الدولة أو توسعته عن طريق التوسع في فكرة الإهتمام الدولي، فغموض عبارات النص و مرونتها فضلا عن تطور العلاقات الدولية و زيادة الإهتمام بحقوق الإنسان قد يؤدي إلى الحرية في تفسير النص تحقيقا للغرض الأسمى الذي تهدف إليه هذه المنظمة.

الفرع الثاني: طبيعة المجال المحفوظ للدولة وأساسها القانوني

رغم أن مبدأ المجال المحفوظ للدولة قد تم النص عليه في بنود ميثاق منظمة الأمم المتحدة إلا أن تداخل المنازعات السياسية مع المنازعات القانونية في الواقع أدى الى إثارة الكثير من الجدل حول طبيعة هذا المبدأ و الأساس الذي يقوم عليه.

أولا: تكييف طبيعة المجال المحفوظ للدولة

يرى بعض من فقهاء القانون أن فكرة المجال المحفوظ وجدت بسبب نقص في قواعد القانون الدولي التي تحكم المسائل والمنازعات التي قد تعرض بينها يرى فريق آخر أنه إضافة إلى هذا النقص يجب التفرقة بين المنازعات بحسب طبيعتها.

حيث هناك منازعات سياسية لا يمكن أن تطبق عليها قاعدة قانونية ومنازعات قانونية يكون الحل فيها حلا قانونيا^٣، لهذا يعتبر غالبية الفقهاء أن فكرة المجال المحفوظ مبدأ قانونيا يفسر تفسيراً قانونيا إلا أن فريقاً من

^١ لخضر رابحي، التدخل الدولي بين الشرعية الدولية و مفهوم السيادة، اطروحة دكتوراه قانون عام ، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ٢٠١٤/٢٠١٥، ص ١٥٥

^٢ حمريط النوري، مجلس الأمن وحقوق الإنسان، مذكرة ماجستير في الحقوق تخصص القانون الدولي والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، بن عكنون، جامعة الجزائر ١-٢٠١٢، ص ٣٢

^٣ N Guen quocdink et autre(et Patrick doillier et Allain pellet) droit international public, 5ème édition, édition delta L.G.D.J1994p425

الفقهاء يعتبرها فكرة سياسية لا تفسر إلا تفسيراً سياسياً وحجتهم في ذلك أن الهدف من حذف الإشارة إلى القانون الدولي في الفقرة ٠٧ من المادة ٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة، هو ترك تفسير المجال المحفوظ لأجهزة المنظمة وهي أجهزة سياسية تقوم بالتفسير السياسي للمبدأ و إلا أن الراجح في الفقه أنه مفهوم قانوني يرتكز أساساً على القانون الدولي و يرتبط بمفهوم السيادة^١.

وبالنظر إلى هذا المبدأ على أنه ذات طبيعة سياسية يمكننا أن نتبين اتجاهين متعارضين الأول ويحكمه الرأي الذي يميل إلى حماية المجال الداخلي وصون السيادة من أية وسيلة ترمي إلى الانتقاص من حقوقها الأولية التي جرى عليها العرف، أما الاتجاه الثاني فيرى أن الأجهزة الدولية هي الأجهزة ذات الصلاحية لتقرير المجال المحجوز، والصلاحية المذكورة تتحقق عند الخلاف على طبيعة المجال المحجوز للدول^٢.

أما إعتبار المبدأ ذو طبيعة قانونية فيستند لكونه جاء في صلب الميثاق الأممي باعتباره أحد أحكامه العامة، إلا أن تحديد مضمون هذا المجال لا يخضع لقاعدة ثابتة ولا يقوم على معيار دقيق، وسبب هذا الإهتزاز وعدم إستقرار الفكرة أنها تتطور وفق خط متواز مع تطور العلاقات الدولية وتطور المجتمع الدولي.

يستنتج أنه إذا كانت الفكرة في أساسها فكرة قانونية فهذا لا ينفي أنها ذات مضمون متغير تتأثر كما و كيفاً بالأفكار السياسية السائدة و لا يمكن إنكار الدور الذي لعبته هذه الأفكار في تعديل القواعد القانونية الدولية لا سيما ضمن أطر المنظمات الدولية^٣.

ثانياً: أساس مبدأ المجال المحفوظ للدولة

يرى فقهاء القانون أن مبدأ المجال المحفوظ للدولة يرتكز على مبدأ سيادة الدولة باعتبار أن النص عليه في ميثاق الأمم المتحدة لم يكن إلا لحماية سيادة الدولة أو إستقلالها أو حقوقها الأساسية أي أنه حاول التوفيق بين حماية سيادة الدولة من جهة و تلبية حاجاتها إلى التعاون مع الدول الأخرى ، فالملحوظ أن مفهوم السيادة في حد ذاته إختلف فيه الفقهاء عند تعلق الأمر بالمجال المحفوظ للدولة، فمنهم من يرى أنها السيادة المطلقة التي لا يعلوها القانون الدولي و منهم من يرى أنها السيادة النسبية للدولة الخاضعة للقانون الدولي، كما يذهب فريق ثالث إلى تأسيس فكرة المجال المحفوظ على مبدأ لإختصاص و بالتالي التمييز بين لإختصاصات المقيدة و لإختصاصات التي تتمتع فيها الدولة بالسلطة التقديرية ، مع رفض وجود مسائل تدخل بطبيعتها في المجال المحفوظ للدولة^٤.

^١ علي رضا عبد الرحمان رضا، مبدأ لإختصاص الداخلي أو المجال المحجوز للدولة في ظل التنظيم الدولي، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٥٤

^٢ عدنان نعمة، السيادة في ضوء التنظيم الدولي المعاصر، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٨، ص ٤٥٨

^٣ بن حمودة ليلي، الإستخدام السلمي للفضاء الخارجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ٣٢

^٤ هناء سعدي أحمد ، المنظمة الدولية في مواجهة المجال المحفوظ للدولة، مذكرة ماجستير، تخصص القانون الدبلوماسي، جامعة الجزائر ١-كلية الحقوق، ٢٠٠٦/ ٢٠٠٧، ص ٣٥

المطلب الثاني: إنحصار المجال المحفوظ للدولة أمام تدخلات منظمة الأمم المتحدة

تنشئ الدول المنظمات الدولية على أمل أن تساهم في الوقاية وتهدئة خلافاتها المصلحية بطريقة أنجح من الوسائل الدبلوماسية التقليدية، ورغم وعيها بأن الهدف يتطلب منها أن تمنح لهذه المنظمات سلطات ضغط جماعية إلا أنها تخشى دائما أن تستخدمها ضدها.

الفرع الأول: جدلية العلاقة بين الاختصاص الداخلي والاختصاص الدولي

من خلال نص المادة ٢ الفقرة ٧ من الميثاق الأممي و التي تنص على عدم تدخل الأمم المتحدة في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء إلا أنه في نفس الوقت لم تحدد المادة هذه الشؤون الداخلية، حيث يرى الأستاذ محمد المجذوب بأن نص المادة ٢ الفقرة ٧ لا يزودنا بتعريف واضح للسلطان الداخلي للدول مما جعل من الصعب تحديد المسائل التي تدخل في صميم هذا السلطان^١.

و يرجع السبب في صعوبة وضع حد فاصل بين المسائل التي تدخل في اختصاص الداخلي و لإختصاص الدولي إلى عدم وجود معيار موضوعي يحدد ماهية المسائل المتعلقة بسيادة الدولة خاصة بعد إعتبارها لبنة أساسية في بنیان المجتمع الدولي و على الرغم من رسوخ مبدأ سيادة الدول و إستقراره في إطار النظام القانوني الدولي إلا أن هناك صعوبة في تحديد مضمونه وترجع الصعوبة إلى عدم وجود معيار دقيق يفصل المسائل الداخلية التي يحظر المساس بها و بين المسائل الدولية التي يجوز للدول و الهيئات الدولية التطرق إليها و التدخل فيها من أجل الحفاظ على بقاء المجتمع الدولي و كرامة الإنسان^٢، على أن فقهاء القانون الدولي و منهم الدكتور "حسام أحمد محمد هندأوي" يرى أن تحديد المسائل المتعلقة بالإختصاص الداخلي يرتبط ارتباطا وثيقا بوجود قواعد دولية إتفاقية كانت أو عرفية، فكلما وجدت قاعدة قانونية تنظم مسألة من المسائل الداخلية، كلما خرجت هذه المسألة من إطار اختصاص الداخلي للدولة و من ثم جاز للأشخاص الآخرين للقانون الدولي التدخل فيها و على العكس، فكلما توارت القواعد الدولية عن تنظيم إحدى المسائل الداخلية، كلما إندرجت هذه الأخيرة في إطار لإختصاص الداخلي للدول و صار من غير الجائز السماح لتلك الأشخاص بالتدخل فيها^٣.

إذن فإن فكرة لإختصاص الداخلي لا بد أن تأخذ طابعا مرنا ومتغيرا تبعا لتطور الأحداث الدولي.

^١ د. سعد حقي توفيق، مبادئ في العلاقات الدولية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ط ١، ٢٠٠١، ص ٣٨٩

^٢ علي رضا عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 37

^٣ عبد القادر دحماني ، التدخل الإنساني بين الشرعية الدولية و مبدأ حماية حقوق الإنسان، مذكرة ماجستير في العلوم القانونية و الإدارية، تخصص قانون دولي عام، كلية الحقوق و العلوم الإنسانية، قسم العلوم القانونية و الإدارية، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٢٤

الفرع الثاني: أزمة العلاقة بين المجال المحفوظ لسيادة الدول والمجال المسموح لتدخل أجهزة هيئة الأمم المتحدة.

لقد أصبح القانون الدولي في ظل "النظام العالمي الجديد" إحدى أدوات اختراق حرمة لإختصاص الداخلي والوسيلة المثلى للحد من السيادة، ولقد كتب "براين أور كارت" تحت عنوان "تألم السيادة" ما يلي "إن الكثير من التطورات في عصرنا أصبحت تتحدى مصداقية مبدأ سيادة الدولة، ونحن نعيش اليوم مرحلة نمو الاعتماد المتبادل الشامل، ذلك أن الاهتمام بالأم الإنسانية وبحقوق الإنسان كان عادة ما يتوقف في الماضي عند الحدود"^١.

و مع تزايد التعاون الدولي يمكن أن نؤكد دون خوف من الخطأ أن المجال الخاص للدول يتقلص باستمرار كلما إنخرطت الدول في علاقات منظمة قانونيا مع الأشخاص الآخرين في المجتمع الدولي، كالترامها بالإتفاقيات المتعددة الأطراف سواء فيما يتعلق الأمر بحقوق الإنسان أو حفظ السلام أو تحقيق مبادئ الإعتماد المتبادل، و عادة ما تكون الدولة مضطرة بمقتضى التزاماتها إلى التنازل عن بعض لإختصاصات التي كانت تندرج سلفا ضمن المجال المحفوظ و ذلك لفائدة مؤسسات دولية أو تنظيمات إقليمية، و هي في هذه الممارسة لا تنقص في الواقع من سيادتها بقدر ما تعبر عن تلك السيادة.

إن القانون الدولي يحظر تدخل أية دولة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى إذ أن كل دولة حرة في إختيار وتطوير نظامها السياسي والإقتصادي والإجتماعي والثقافي من دون تدخل أية دولة أخرى، غير أن سيادة الدولة مقيدة بأحكام القانون الدولي وبخاصة فيما يتعلق بحقوق الإنسان وإرتكاب جرائم الحرب وجرائم إبادة الجنس البشري، فالدولة ليست مطلقة التصرف في ميدان العلاقات الدولية إذ هي تخضع للقانون الدولي الذي هو مفروض على الدول بناء على إعتبرات تعلو إرادتها والذي يورد قيودا على تصرفات الدول ويحكم علاقاتها مع الدول الأخرى ومع الهيئات الدولية^٢.

إن المنظمة الدولية قد أيدت منذ نشوئها على تفسير الفكرة تفسيرا ضيقا وبالتالي حصرها في أضيق الحدود والتعرض للكثير من الموضوعات التي قد يدفع أحد الأطراف للتمسك بدخولها ضمن لإختصاص الداخلي له، وكذلك فإنها أخذت منذ قيامها بالتفسير السياسي البحث لفكرة لإختصاص الداخلي عمليا فتتحكم المصالح والمناورات للدول الكبرى والقوية تبعا لظروف كل حالة بحالها فلم تترك مجالا كافيا ومناسبا للتوسع في البحث الفقهي حولها^٣.

إن تحديد أو إعتبر تدخل المنظمة الدولية تدخلا في الشؤون الداخلية يعتبر من الأمور الصعبة والقابلة للخلاف بشأنها.

^١ نوازي أحلام، تراجع السيادة الوطنية في ظل التحولات الدولية، مجلة دفاتر السياسية والقانون العدد الرابع جانفي ٢٠١١، ص ٣٧

^٢ نوازي أحلام، مرجع سابق، ص ٣٢

^٣ عثمان علي الرواندوزي، السيادة في ضوء القانون الدولي المعاصر، دار الكتب القانونية، ٢٠١٠، ص ٢٣٧

والملاحظ هو توسع مجال نشاط الأمم المتحدة، فالواقع أثبت تعدد تدخلات الأمم المتحدة من خلال أجهزتها خاصة الجمعية العامة ومجلس الأمن في المجال السياسي للدول تحت ذريعة حماية حقوق الإنسان والتدخل لحماية نظام الحكم في الدول الأعضاء عن طريق مثلا التدخل في إنتخاباتها.

فالتسليم بوجود حقوق دولية للإنسان يعني إمكانية تدخل القانون الدولي لحمايتها وتنظيمها وبالتالي تدخله في أحد المجالات الأساسية للاختصاص المطلق للدول وبالتالي أصبحت حقوق الإنسان محلا لتدخل الأمم المتحدة بطريقة مباشرة.

ومنه نلاحظ تراجع المنظمة الأممية عن مواقفها التقليدية بعدم التدخل في الأنظمة الداخلية للدول وحريتها في إختيار شكل حكومتها حيث جعلت من إرساء الديمقراطية أهم نشاطاتها على الصعيد الدولي^١، باعتبار الأنظمة الديمقراطية هي الوحيدة القادرة على ضمان الإستقرار الإجتماعي، كما أن التبشير بالديمقراطية قد يؤدي لنتائج مرضية تحترم سيادة الدول^٢.

وإذا ما كان ميثاق الأمم المتحدة قد تضمن الكثير من الأحكام حول منع إستعمال القوة، إلا أنه لم يمنع صراحة إستخدام الإكراه الإقتصادي من قبل دولة أو مجموعة دول أو المنظمة الدولية و حتى فروعها، مع أن الضغط الإقتصادي غير ودي وغير عادل، خصوصا إذا مورس ضد الدول الصغيرة^٣،

إلا أن الشرعية الممنوحة لأجهزة الأمم المتحدة خاصة الجمعية العامة ومجلس الأمن وكذا الدول الأعضاء في الهيئة سمحت بتزايد التدخلات في المجال الإقتصادي والإجتماعي للدول رغم إعتراف الهيئة نفسها بسيادة هذه الدول على مجالاتها بما فيها الإقتصادية والإجتماعية.

المبحث الثاني: التوفيق بين الحق السيادي للدولة و مبدأ التدخل الدولي.

سارت التطورات التي شهدتها النظام الدولي في عقود الأخيرة في إتجاه تقليص دور السيادة الوطنية وإبلاء أهمية خاصة للعمل الجماعي في نطاق العلاقات الدولية، وعلى الرغم من حق الدولة في العمل بقوانينها وفي أن تكون في مأمن من التدخل الخارجي لم يسلب تماما، فإن القداسة التي أحاطت بها كمظهر أساسي لسيادة الدولة لم تعد كما كانت من قبل، فأصبح لممارسة الحقوق في توفير شروط وهذا ما سنوضحه من خلال تأكيد تقييد سيادة الدولة وكذا السماح بالتدخل في ظل التغيرات التي عرفها المجتمع الدولي المعاصر.

^١ نفس المرجع السابق، ص ٩

^٢ - jean charpentier، le phénomène étatique à travers la grande mutation politique contemporaines، l'état souverain à l'aube du XXI siècle: colloque de Nancy، société française pour le droit international، édition A. pedone، paris، p29

^٣ مهى عيسى مخايل الدير، 'العقوبات الدولية وفق ميثاق هيئة الأمم المتحدة'، الجامعة اللبنانية، كلية الحقوق والعلوم

السياسية، أطروحة دكتوراه، ص ٢٥ .

المطلب الأول: سيادة الدولة بين عدم جواز التدخل وحق التدخل .

يعد مبدأ عدم جواز التدخل من المبادئ التقليدية الراسخة في القانون الدولي وقد إنبثق عن فكرة السيادة التي ترتب عليها منع أية دولة من التدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى باعتبار أن التدخل يعد إنتهاكا لسيادتها ويعرض النظام الدولي للخطر، وأن التزام الدول بإحترام حقوق بعضها البعض يفرض عليها واجب عدم التدخل في الشؤون الخاصة بغيرها .

الفرع الأول: مبدأ عدم التدخل

يأتي مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول في مقدمة المبادئ الرئيسية التي تسود العلاقات الدولية لتنفرد كل دولة بممارسة إختصاصها ضمن حدود إقليمها، وعلى الرغم من سعي الدول الضعيفة الى التمسك بهذا المبدأ الإدانة التدخل المباشر في شؤونها السيادية، إلا أن الممارسات الدولية تكشف عن عدم تقيد الدول به في سياستها الخارجية حيث تبرر التدخل إذا إتفق مع مصالحها الدولية و تستنكره إذا لم يكن لها فيه مصلحة.

أولاً: ماهية مبدأ عدم التدخل.

عرف مبدأ عدم التدخل الذي يستند في وجوده لميثاق الأمم المتحدة تطوراً ملحوظاً منذ النص عليه أول مرة في بنود الميثاق الأممي.

١- مفهوم مبدأ عدم التدخل

مبدأ عدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى يكرس ويكمل سيادة الدولة على إقليمها وأي تدخل في شأن من شؤون الدولة يفقدها أو ينتقص من سيادتها، كما يعتبر أساساً لضمان النظام الدولي وفي نفس الوقت لضمان إستقلال الدولة، وبمقتضى هذا المبدأ يمتنع على كل دولة أن تتدخل بطريق مباشر أو غير مباشر في شؤون دولة أخرى سواء كان هذا التدخل سياسياً أو إقتصادياً أو إجتماعياً أو التدخل بقصد التخريب إذ أن التدخل بأي صورة من الصور السابقة يعتبر إعتداء خطير على النظام العام الدولي في المجتمع المعاصر^١.

إلى جانب الكثير من موثيق المنظمات الدولية وعلى رأسها ميثاق الأمم المتحدة ورغم إعتراف القانون الدولي بمبدأ عدم التدخل إلا أنه يجيز في نفس الوقت عدة أشكال من التدخل عندما تتوفر المبررات الشرعية لذلك.

^١ أميرة حناشي، مبدأ السيادة في ظل التحولات الدولية الراهنة، مذكرة ماجستير، قسم القانون العام فرع العلاقات الدولية وقانون المنظمات الدولية، كلية الحقوق، جامعة منتوري، قسنطينة ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ٨٩-٩٠.

٢- الأساس القانوني لمبدأ عدم التدخل الدولي وخصائصه.

سوف نحاول التطرق والوقوف على الأساس القانوني لعدم مشروعية التدخل الدولي، وذلك بمعالجة مجموعة من النقاط التي تتصل بأهم المبادئ الواردة في ميثاق الأمم المتحدة وبالأخص المبادئ الأساسية، ولكن قبل هذا سوف نوضح خصائص مبدأ عدم التدخل .

أ - خصائص مبدأ عدم التدخل

نظرا لأهمية مبدأ عدم التدخل كأحد المبادئ الأساسية للقانون الدولي فإنه يتسم بمجموعة من الخصائص:

١ - قاعدة عرفية و إتفاقية

من المتفق عليه أن المبادئ الدولية في ظل النظام القانوني الدولي يجب أن تمر عن طريق إحدى المصادر الشكلية، أي عن طريق العرف والمعاهدات الدولية^١، وهذا ما كان واضحا في مبدأ عدم التدخل، الذي ظهر في شكل إعلانات من طرف الدول، وأدى هذا إلى تبنيه من طرف الفقه الدولي، وطور عن طريق العرف الدولي إلى أن إستقر في صورة قاعدة إتفاقية واردة في ميثاق الأمم المتحدة وإتفاقيات ومواثيق دولية^٢.

٢ - قاعدة قانونية مطلقة و مجردة

يعد مبدأ عدم التدخل مبدأ قانونيا مجردا، أي أنه ينطبق على جميع الأحوال ويفرض إلتزامات على جميع الدول بإعتباره مبدأ مطلقا لا يرد عليه أي إستثناء إلا إذا كان بناء إتفاق حر بين الدول، فهناك حاجة أساسية لمبدأ عدم التدخل، لأنه يعزز الوجود السليم للمجتمع، ولذلك ينبغي معاملته بإعتباره قاعدة قانونية مطلقة^٣.

٣- قاعدة أمرة ناهية.

يعد مبدأ عدم التدخل من القواعد الأمرة " Jus Cogon " في القانون الدولي، فهو ملزم لجميع الدول، لأنه يهدف إلى حماية مصلحة المجتمع الدولي، وبما أن إنتهاك المبدأ يمس هذه المصلحة يمكن القول بأنه قاعدة ناهية أيضا.

^١ بوراس عبد القادر، التدخل الدولي الإنساني و تراجع مبدأ السيادة الوطنية، دار الجامعة الجديدة الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٩٠-٩١.

^٢ بوكرا ادريس، مبدأ عدم التدخل في القانون الدولي المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة ١٩٩٠، ص ٢٣٧.

^٣ عاطف علي الصالحي، مشروعية التدخل الدولي وفقا لقواعد القانون الدولي العام، ط ١ القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩، ص ٩٩.

ب- مبادئ عدم جواز التدخل الدولي

إن الأساس القانوني لعدم مشروعية التدخل الدولي، مرتبط بمجموعة من المبادئ الواردة في ميثاق الأمم المتحدة وبالخصوص المبادئ الأساسية.

١- مبدأ المساواة بين الدول.

يقصد بالمساواة أمام القانون الدولي العام تمتع الدولة مهما كانت صغيرة أو ضعيفة بذات الحقوق والواجبات التي تتمتع بها الدول الأخرى^١، وليس لدولة أن تدعي من الحقوق التي أقرها هذا القانون الدولي أكثر مما لغيرها، ولا تكون هذه المساواة إلا بين الدول تامة السيادة، فالدول الناقصة السيادة لا يمكن أن تتساوى في جميع النواحي مع التي تتمتع بسيادة كاملة^٢.

٢- مبدأ عدم اللجوء إلى القوة أو التهديد بها وفق المادة 02 فقرة 04 من الميثاق الأممي.

الواقع بين أن هناك مبدأ ظل التأكيد عليه قائما، وتدعيم قيمته الإلزامية مستمرا ومتواترا منذ تبني الميثاق- ميثاق الأمم المتحدة- و هو مبدأ حظر اللجوء إلى القوة في العلاقات الدولية، قاعدة و ركيزة النظام القانوني الدولي ككل

والواضح من نص المادة 2 فقرة 04 أنه لا يعني فحسب الدول الأعضاء في منظمة هيئة الأمم المتحدة وإنما يعني أيضا الدول غير الأعضاء فيه وذلك وفقا لفكرة أن السلام لا يتجزأ.

٣- مبدأ عدم التدخل في شؤون الدول الداخلية وفق المادة 02 فقرة 07 من الميثاق.

يعتبر مبدأ عدم التدخل أساسا لضمان النظام الدولي ، وفي نفس الوقت لضمان استقلال الدولة ، وبمقتضى هذا المبدأ يتمتع على كل دولة أن تتدخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة...، إن الكثير من فقهاء القانون الدولي المعاصر والذين يقرون بأن نص المادة ٠٢ الفقرة ٢٠٧^٣ هو الوثيقة الأساسية التي يستند إليها مبدأ عدم التدخل^٤، فهذه المادة تنص بعدم إمكانية تدخل المنظمة في المجال الخاص للدول وبالتالي فهي أحد الضمانات لإحترام مبدأ المساواة في السيادة بين الدول، من طرف الأمم المتحدة المؤكدة عليه في الفقرة الأولى من نفس المادة^٥.

^١ بن عامر تونسي، قانون المجتمع الدولي المعاصر، الطبعة ٤، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٣، ص ١٣١.

^٢ خليل حسين، موسوعة القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ١٧٧-١٧٨.

^٣ تنص المادة 2 الفقرة ٧ على أن " : ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم هذا الميثاق على أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع "

^٤ بوراس عبد القادر، مرجع سابق، ص ٩٥.

^٥ دحماني عبد القادر، مرجع سابق، ص ٢٢.

ثانيا- الإستثناءات الواردة على مبدأ عدم التدخل الدولي.

بالرغم من أن الأصل العام في العلاقات الدولية هو عدم التدخل في الشؤون الداخلية والخارجية للدول، وأيضا عدم إستعمال القوة أو التهديد بإستخدامها، هذا وفق المادة ٠٢ في الفقرتين ٠٤ و ٠٧ من ميثاق الأمم المتحدة، إلا أن هذه القاعدة ليست مطلقة...، بل وردت عليها عدة إستثناءات تستند إلى أسس قانونية وفق ماتتضمنه مواد ميثاق منظمة الأمم المتحدة، والذي من خلالها يكون العمل الدولي فيها مشروع.

فجد التدخل لحفظ السلم والأمن الدوليين طبقا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، و التدخل في حالة الدفاع الشرعي، إضافة الى التدخل الدولي من أجل المحافظة على الحقوق الأساسية للإنسان.

١ - التدخل لحفظ السلم والأمن الدوليين طبقا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

يعتبر حفظ السلم والأمن الدوليين من أهم مقاصد الأمم المتحدة وغاياتها ، بل إن هذا الهدف حفظ -السلم والأمن الدوليين -كان وما يزال وسوف يبقى من أهم الأهداف التي من أجلها وجدت منظمة الأمم المتحدة، حيث نرى ذلك بوضوح من خلال ديباجة ميثاق الأمم المتحدة في الفقرة السادسة، والتي جاء فيها : "و في سبيل هذه الغايات إعتزنا -أعضاء الأمم المتحدة -أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معا في سلام وحسن جوار، وأن ننظم -نوحده -قوانا كي نحفظ بالسلم والأمن الدولي.

كما نصت أيضا المادة الأولى 'في فقرتها الأولى" :حفظ السلم والأمن الدوليين، وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفاعلة لمنع الأسباب التي تهدد السلم ولإزالتها، وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم وتتنذر بالوسائل السلمية، وفقا لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم أو لتسويتها".

بالإضافة إلى الإشارة إليه في العديد من مواد الميثاق، ويعود ذلك إلى أن تحقيق السلم والأمن الدوليين هو الهدف الذي بدون تحقيقه لا يمكن تحقيق الأهداف الأخرى للمنظمة، إذ هو الضمان الأكيد للوصول إلى الأهداف والغايات الأخرى، فلا يمكن تصور إمكانية إنماء العلاقات الودية بين الدول أو تحقيق التعاون الدولي في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية أو تعزيز إحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في حالة غياب السلم أو إنعدام الأمن في المجتمع.

٢ - التدخل في حالة الدفاع الشرعي.

إن من بين الإستثناءات الواردة على مبدأ تحريم إستخدام القوة في العلاقات الدولية الدفاع الشرعي ، تلك الحالة التي تعد الأكثر شيوعا في ظل العلاقات الدولية المعاصرة، وهو لجوء الدولة أو الدول التي يقع عليها العدوان إلى إستخدام القوة لدفع الضرر الواقع عليها دفاعا عن وجودها وكيانها، والدفاع الشرعي حق تقرره

^١ المادة ١ من ميثاق الأمم المتحدة الموقع في ٢٦ جوان ١٩٤٥ الذي دخل حيز التنفيذ بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥ .

سائر الشرائع لمن يقع عليه أي إعتداء^١، وهو رد مسلح على عدوان مسلح تتعرض له دولة ما، كما أنه حق من الحقوق الطبيعية التي تتمتع بها الدول كافة كنتيجة حتمية للحق في البقاء والمحافظة على النفس، وجاء النص عليه في المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة^٢، والتي تنص على أنه "ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذ إعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء (الأمم المتحدة)، وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلام والأمن، والتدابير التي إتخذها الأعضاء إستعمالاً لحق الدفاع للمجلس - بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق الحق في أن يتخذ في أي موقف ما يراه ضرورة - من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه، وكما في القانون الداخلي فإن الدفاع المشروع في القانون الدولي الجنائي يفترض وجود فعل إعتداء من جهة وفعل دفاع من جهة أخرى.

٣- التدخل الدولي من أجل المحافظة على الحقوق الأساسية للإنسان.

إن نقشي ظاهرة الإنتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان أصبح أمر يقلق المجتمع الدولي ككل، لأن هذه الإنتهاكات تنطوي على المستوى الأخلاقي على تحدي سافر للضمير الإنساني الجماعي، كما أنها تمثل على المستوى القانوني إنتهاكا صارخا لقواعد قانونية دولية موضوعية، أما على المستوى الأمني، فإن إهدار حقوق الإنسان على نطاق واسع ومنظم ومتواصل يؤدي في أغلب الحالات إلى تهديد السلم والأمن الدوليين أو الإخلال بهما بالفعل، والذي يتطلب تدخل المجتمع الدولي للحد من هته الإنتهاكات^٣.

وبما أن مسائل حقوق الإنسان كانت تعتبر من صميم لإختصاص الداخلي للدول والتي يحرم على منظمة الأمم المتحدة ذاتها وفقاً للمادة ٠٢ الفقرة ٠٧ من الميثاق التدخل بشأنها في شؤون الدول، حتى بالرغم من النص على ضرورة إحترامها في ميثاق الأمم المتحدة، والنص عليها في دساتير وتشريعات الدول، حيث أن ذلك لم ينشئ إلتزامات قانونية بالمعنى الصحيح على عاتق الدول. وذلك لأن الميثاق لم يتناول حقوق وحريات معينة على وجه التحديد، ولم يولد إلتزامات على عاتق الدول بوجوب إحترامها، ولم يقرر عقوبات عليها في حالة إنتهاكها ولم يؤسس أجهزة تسهر على مراقبتها وحمايتها وتمنع إنتهاكها^٤.

^١ سامح عبد القوي السيد، التدخل الدولي بين المشروعية وعدم المشروعية وانعكاساته على الساحة الدولية، ط١، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ١٦٤.

^٢ ماهر عبد المنعم أبو يونس، إستخدام القوة في فرض الشرعية الدولية، المكتبة المصرية، الإسكندرية ٢٠٠٤، ص ١٢٩.

^٣ أحمد سي علي، دراسات في التدخل الإنساني، الطبعة ١، الجزائر، دار الاكاديمية، ٢٠١١، ص ١٠٠.

^٤ حسين حنفي عمر، التدخل الدولي في شؤون الدول بذريعة حماية حقوق الانسان، دار النهضة العربية الطبعة الاولى ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ٣١٣.

وأن الميثاق لا يتضمن الربط بين إختصاصات مجلس الأمن وفقا للفصل السابع وتحقيق التعاون الدولي في مجال تقرير حقوق الإنسان^١ ، وبالرجوع إلى مفاهيم الحالات الواردة في المادة ٣٩ من الميثاق نجد أن إنتهاكات حقوق الإنسان لا تتدخل بشكل مباشر ضمنها ولكن بالرجوع إلى طبيعة مفاهيم تلك الحالات ومرونتها ، فضلا عن صلاحية مجلس الأمن في تفسير مضمونها وإقرار خطورتها، إذ أن المادة 31 جاءت بتعابير عامة ولم يحدد الميثاق مفاهيم تلك التعابير، وما يدخل ضمن مفهومها ويخرج عنه، وأنه على الرغم من الجهود الفقهية لتحديد مفهومها والجهود الرسمية في الأمم المتحدة لتعريفها وتحديدها، فقد بقيت صلاحية تحديد الحالة وخطورتها وأوصافها ضمن مفهوم الحالات الواردة في المادة ٣٩ بيد مجلس الأمن حصرا وله أن يعد أي وضع أو موقف داخلا ضمن مفهوم الحالات الواردة في المادة 39 لذلك نجد أنه ليس من المستبعد إعتبار إنتهاكات حقوق الإنسان ضمن مفهوم تلك الحالات ويتأكد ذلك بشكل واضح بالرجوع إلى تلك الإتجاهات المستقرة في الأمم المتحدة حول الربط بين حقوق الإنسان والسلام والأثار المتبادلة بينهم.

إذ أن تحقيق السلام يعد الشرط العام الضروري لتحقيق إحترام حقوق الإنسان وفي الوقت نفسه فإن إنتهاك حقوق الإنسان يعني إمكانية المساس بالسلم والأمن الدوليين، وبالتركيز على الأثر الثاني يمكن عد إنتهاكات حقوق الإنسان من الأسباب التي تدفع إلى تدخل الأمم المتحدة لحفظ الأمن والسلم الدوليين، لذلك وجب على مجلس الأمن ربط إنتهاكات حقوق الإنسان بإحدى الحالات الواردة في المادة 39 لتبرير إستخدام سلطاته القسرية بموجب الفصل السابع.

ثالثا: تطور مبدأ عدم التدخل تماشيا والحق السيادي للدولة

يأتي مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى في مقدمة المبادئ الرئيسية التي تسود العلاقات الدولية لتنفرد كل دولة بممارسة إختصاصها ضمن حدود إقليمها^٢ وهو من المبادئ التقليدية الراسخة في القانون الدولي، و قد إنبثق عن فكرة السيادة التي ترتب عليها منع أية دولة من التدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى باعتبار التدخل يعد إنتهاكا لسيادتها، ويعرض النظام الدولي للخطر، و أن التزام الدول بإحترام حقوق بعضها البعض يفرض عليها واجب عدم التدخل في الشؤون الخاصة بغيرها، و قد جعل بعض الفقهاء من مبدأ عدم التدخل مبدأ مطلقا إلا إذا كانت الدولة في حالة دفاع شرعي .

وعلى الرغم من أن مبدأ عدم التدخل يشكل حجر الزاوية في العلاقات الدولية، إلا أن الممارسات الدولية تكشف عن عدم تقييد الدول به في سياستها الخارجية، فهي تقر بالتدخل إذا إتفق مع مصالحها الوطنية وتستنكره إذا لم تكن فيه مصلحة، و بذلك تعرض هذا المبدأ للإهتزاز و التراجع^٣، فالملاحظ من خلال الممارسات الدولية أن زيادة التداخل بين مصالح الدول المختلفة أدى إلى عدم إمكانية مراعاة مبدأ عدم

^١ عمران عبد السلام الصفراني، مجلس الأمن وحق التدخل لفرض إحترام حقوق الانسان، جامعة قار يونس، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨ ص ٢٠٠.

^٢ عثمان علي الرواندوزي، مرجع سابق ص ٦١.

^٣ بطرس بطرس غالي، نحو دور أقوى للأمم المتحدة ، السياسة الدولية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية الأهرام، العدد ١١١، سنة ١٩٩٣ ص ١١.

التدخل بصفة مطلقة و إضطرار الدول في بعض الأحيان إلى الخروج عنه لصيانة مصالحها الخاصة أو المصالح العامة للجماعة الدولية^١.

وأمام تطور العلاقات الدولية خاصة في ظل التغيير في بنية النظام الدولي، وأمام النظرة الجامدة للمبدأ من جهة والمرونة الموسعة من جهة ثانية كان تأثر هذا المبدأ واضحا لصالح التفسير المرن الموسع على حساب التفسير الجامد ولصالح حقوق الإنسان باعتبارها متغير عالمي ينادي بوحدة الإنسانية ومن شأن كفالة إحترامها أن يحقق السلم والأمن الدوليين. وهذا ما يتطابق مع ما جاء في تقرير الأمين العام الأسبق بطرس بطرس غالي عام ١٩٩١ بقوله إن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول يجب ألا يستخدم كعازل واق لبعض الحكومات التي تمارس إنتهاكات بشعة لحقوق شعوبها، كما أشار إلى أن المنظمة الدولية ملتزمة بميثاقها الذي يحمي سيادة الدول الأعضاء ولكنها ملتزمة أيضا بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان^٢.

الفرع الثاني: مبدأ التدخل الدولي

التدخل ظاهرة سياسية معبرة عن الطبيعة التنافسية للنظام الدولي، كما أنه يعتبر أحد الخيارات المستعملة لتحقيق المصالح الخارجية للدول، لكن بالرغم من قدم الظاهرة فإن مفهومها مازال غامضا، وأدى هذا الغموض إلى إعطاء تعريفات غير متطابقة وتطوير مفاهيم غير متناسقة، ومما يزيد في غموض هذا المفهوم وصعوبة تعريفه تعدد أشكاله وأدواته وأبعاده^٣، ولكن على الرغم من الإفتقار لتعريف متفق عليه إلا أن هناك محاولات لتعريفه في نطاق العلاقات الدولية.

أولا: تعريف التدخل الدولي

رغم إفتقار الأدبيات السياسية والقانونية لتعريف متفق بشأن مفهوم التدخل، إلا أن عدد من الباحثين السياسيين والقانونيين قدموا محاولات عديدة لتعريف التدخل وقد عرف أحد كبار فقهاء القانون الدولي الألماني شتروب التدخل على أنه التعرض للشؤون الداخلية أو الخارجية لدولة أخرى دون أن يكون لهذا التعرض سند قانوني، بغرض التزام الدولة المتدخلة في أمرها على إتباع ما تمليه عليها. في شأن من شؤونها الخاصة- الأطراف المتدخلة.

وعرف مارتين وايت (martin Wight) التدخل على أنه " عملا مباشرا وعنيفا على مستوى العلاقات الدولية لكنه لا يصل إلى درجة الحرب المعلنة بين دولتين أو أكثر، لأن الحرب هي المرحلة القصوى في

^١ علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، طبعة ١، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، سنة ١٩٧٢. ص ١٨٧.

^٢ التقرير العربي الاستراتيجي لعام ١٩٩٩ العرب و أزمة كوسوفا مخاطر سوء تقدير الوضع العالمي، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية بالأهرام ، يناير ٢٠٠٠ ص ٦٦ .

^٣ جمال منصر، التدخل العسكري الإنساني في ظل الأحادية القطبية، دراسة في المفهوم و الظاهرة - أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية ، فرع العلاقات الدولية ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ٢٠١١ .

مثل هذا التفاعل وبهذا يكون التدخل سلوكا يعتمد التهديد باستخدام القوة العسكرية إن لم يستعملها لتحقيق المصالح الوطنية للدولة المتدخلة^١.

وبالنسبة للدكتور طلعت الغنيمي فإن مفهوم التدخل مفاده هو التعرض لشؤون دولة ما، بطريقة إستبدادية وذلك بقصد الإبقاء على الأمور الراهنة أو تغييرها ومثل هذا التدخل قد يحصل بحق أو بدون حق ولكنه في كافة الحالات يمس الإستقلال الخارجي أو السيادة الإقليمية للدول المعنية ولذلك فإنه يمثل أهمية كبيرة بالنسبة للوضع الدولي للدولة^٢.

والبعض يعرف التدخل على أنه التعرض للشؤون الداخلية أو الخارجية لدولة ما لإرغامها على تنفيذ أو الإمتناع عن تنفيذ أمر معين بدون أي مبرر قانوني، فالدولة أو المنظمة الدولية المتدخلة لفرض إرادتها على الدولة المتدخل فيها تلجأ إلى إستعمال سلطتها ونفوذها ومن أجل ذلك تمارس ضغوطا مختلفة على هذه الأخيرة سواء كانت سياسية أو إقتصادية أو نفسية أو عسكرية وغيرها^٣.

وإستنادا للتعريف السابقة لفقهاء القانون والسياسة ووجهات نظرهم يمكن تقديم تعريف إجرائي لمفهوم التدخل يقوم على العناصر الآتية: "التدخل عمل إرادي ومنتظم تقوم به وحدة سياسية دولية سواء كانت دولة، أو مجموعة من الدول أو منظمة دولية عالمية أو إقليمية بوسائل الإكراه والضغط التي تشمل جميع أشكال الضغط السياسي والإقتصادي والعسكري أو بعضها، من أجل تغيير بنية السلطة في الدولة لهدف أو الحفاظ عليها أو بهدف إعادة توجيه سلوك السياسة الداخلية أو الخارجية لها^٤.

ثانيا: مشروعية التدخل الدولي

الأصل في التدخل غير جائز وهذا ما أكدته موثائق المنظمات الدولية وقراراتها حفاظا على حقوق الدول التي تقضي بالتزام الدول بتلك الحقوق، كما أن غالبية الفقهاء يشجبون التدخل ويحرمونه إلا قليلا منهم من أباح التدخل إذا ما كانت للدولة مصلحة فيه، منهم كامبتر الألماني وباتور الفرنسي، إلا أن الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت، والعلامة الفرنسي لويس ربنو يران عدم جواز التدخل على الإطلاق، إلا إذا كانت الدولة في حالة دفاع شرعي^٥.

^١ نفس المرجع ، ص ١٥ .

^٢ نفس المرجع، ص ٢١٤ .

^٣ غازي حسن صباريني، الوجيز في مبادئ القانون الدولي العام، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن ٢٠٠٧ ص ١٣١ .

^٤ جمال منصر، مرجع سابق ص ٨٧

^٥ أحمد رضوان الفيومي، مشروعية التدخل الدولي في الحروب الأهلية، طبعة ١، سنة ٢٠١٧، مكتبة الوفاء القانونية ، ص

ورغم أن الأصل هو عدم جواز التدخل وعدم شرعيته إلا أن هناك إستثناءات على ذلك الأصل أي وجود حالات يصبح فيها التدخل مشروع حسب رأي بعض من الفقهاء إلا أن جانب آخر منهم يرفض منح أي شرعية لأي تدخلا مهما كان سببه.

ثالثا: التدخل الدولي ومساسه بمبدأ سيادة الدول

إن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى، يكرس ويكمل سيادة الدولة على إقليمها، وأن أي تدخل في شأن من شؤونها يفقد الدولة أو ينتقص من سيادتها، وسلطة الدولة على إقليمها يتضمن تنظيم علاقاتها مع سكان الدولة من الرعايا والأجانب وكذلك إختيار نظامها السياسي والإقتصادي والإجتماعي والثقافي وإصدار القوانين والجزاءات على مخالفيها وحرية إستغلال مواردها الطبيعية، وسيادة الدولة على إقليمها هي مظهر من مظاهر الإستقلال التي تتمتع الدولة بسلطانها الكاملة باستثناء ما نظم بموجب القانون الدولي و الذي لا يعتبر إنتقاصا من سيادتها أو إستقلالها.

إن مبدأ السيادة والإستقلال لا يقتصران على الدول الكبيرة أو القوية فقط فجميع الدول بموجب المواثيق الدولية متساوية في الحقوق والإلتزامات الصغرى منها والكبرى، ومع ذلك هناك من المسائل ما يخرج من إختصاص الدولة وإنتقالها إلى إختصاص الدولي دون أن يؤدي ذلك الإنتقال إلى الإنتقاص من سيادة الدولة^١.

وفي ظل المعطيات والمتغيرات التي طرأت على المجتمع الدولي بدأ القانون يهتم بمواضيع شتى وأصبح يتدخل في بعض القضايا التي كانت تعد من صميم القانون الداخلي كإحترام الأفراد وإحترام الأقليات^٢، وقد حاول مفهوم الحق في التدخل تجاوز التعريفات التقليدية للسيادة التي تعطي الحق للدولة بأن تفعل ما تشاء داخل حدودها الإقليمية بواسطة التأسيس لواجب مساعدة الشعوب المعرضة للخطر و قد تعوض الحماية غير الكافية أو غير الفعالة لحقوق الإنسان من طرف القانون الدولي، متحججا في ذلك بالدفاع عن الحقوق الأساسية للإنسان و رافعا قيما مثالية من قبيل إشاعة الديمقراطية ، بناء دولة القانون و إحترام الكائن البشري و أخلة العلاقات الدولية.

رغم كل الزخم الذي أحاط بمفهوم الحق في التدخل الإنساني وتوظيفه عديد المرات إلا أن جدلا كبيرا ثار بشأنه بين المدافعين عنه والمعارضين له وتبين أن الحق في التدخل الإنساني عادة ما يتم الترويج له بناء على مسوغات أخلاقية دون سند قانوني واضح، وهذا ما نتج عنه مصادمة بين مبدأ السيادة والحق في التدخل الإنساني^٣.

^١ د. أحمد رضوان الفيومي، مرجع سابق، ص ٨٤ .

^٢ بن عامر تونسي، قانون المجتمع الدولي المعاصر، الطبعة ١، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٣، ص ٥٤

حيث أن السيادة في ظل النظرية التقليدية كانت تعبر عن الحق المطلق للدولة ولذا كانت الدول خلال هذه المرحلة إذا حدث في أي منها صراع داخلي مسلح أو غير مسلح تعتبر نفسها المعنية بمواجهة هذا الموقف أولاً وأخيراً، وأي محاولة من أي جهة خارجية في هذا الصدد كانت تقابل بالإستنكار والرفض وقد يصل الأمر إلى حد استخدام القوة لمنع ذلك إنطلاقاً من الحفاظ على سيادته^١ ولكن مع تطور العلاقات الدولية وتقدم التنظيم الدولي تراجعت الدول عن هذه المفاهيم فاعترفت في بادئ الأمر بإمكانية إعطاء دور للمنظمات الدولية في هذا الخصوص خاصة للمنظمات والهيئات الإنسانية في حالات النزاعات المسلحة أو بعدها أخذت الأمم المتحدة تتعامل مع النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي بصورة لم يسبق لها مثيل و تجاوزت في بعض الأحيان القواعد القانونية، التي تحكم عملها خاصة مبدأ احترام سيادة الدول، مما أدى إلى إختراق وإنتهاك السيادة، كما أن إنخراط الدول و التزامها بالاتفاقيات و المعاهدات الدولية خاصة المتعلقة منها بحقوق الإنسان، قد ساهم في تقليص السلطات السيادية للدول في المجال الذي تنظمه هذه المعاهدات و بالتالي فإن الدول و بإرادتها قد التزمت بالسيادة النسبية إذن فمبدأ السيادة يتغير مفهومه و مضمونه تبعاً لتغير العلاقات الدولية التي تتغير وفقاً لتزايد الحاجات، و هو ما أدى إلى تغيير وظيفة الدولة التقليدية من المكلفة بالحراسة و الأمن إلى الوظيفة الجديدة المتمثلة في فكرة الدولة الحانية القائمة على تحقيق الخير لمواطنيها و لجميع البشر، بفعل إنتشار أفكار المساواة و العدل و الرفاه و التي تخطت الحدود الوطنية إلى النطاق الدولي مما أدى إلى اعتبار هذه القيم ضرورية لتحقيق السلام و الأمن الدوليين^٢.

المطلب الثاني: مسؤولية الحماية الدولية و تأثيرها على سيادة الدول

مسؤولية الحماية نهج جديد، يتميز بكونه يغير من المفهوم التقليدي لسيادة الدولة على شؤونها الداخلية التي طالما إستخدمت من طرف الحكام المستبدين لإقتراف جرائم فظيعة في حق شعوبهم وبذلك أصبحت السيادة مرادفة للمسؤولية وليس حقاً مطلقاً للدولة، ونظراً للإنتقادات التي وجهت إلى التدخل الإنساني المسلح، باعتباره نقيضاً للمبادئ والأهداف التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة، فقد استحدث هذا النهج لإستدراك الثغرات والنقائص التي شابت التدخل الإنساني المسلح^٣.

الفرع الأول: مفهوم مسؤولية الحماية

أول بداية لإستعمال مصطلح مسؤولية الحماية كانت في عام ١٩٩٦ في كتاب "السيادة كمسؤولية" الصادر عن معهد بروكينغز، ملخصه أن مبدأ سيادة الدول يجب ألا يصبح ستاراً للأنظمة التي فشلت في حماية مواطنيها، ومانعاً من التدخل الدولي في شؤونها الداخلية إذا أخفقت في تحمل مسؤولياتها، إذ أن السيادة

^١ مسعد عبد الرحمان زيدان، تدخل الأمم المتحدة في النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي، مصر، دار الكتب القانونية، ٢٠٠٨، ص ٤٨٩، ٤٩٠.

^٢ نفس المرجع، ص ٤٩٠.

^٣ د. عدنان نعمة، السيادة في ضوء التنظيم الدولي المعاصر، مرجع سابق، ص ٣١.

^٤ Droit international humanitaire général, 2ème édition. Gualine éditeur. Michel Belanger ٩٩٤، Paris، 2007

ليست امتيازاً مطلقاً، وإنما يمكن تعليقه إذا ما أخفقت في أداء واجباتها ومسؤولياتها إتجاه مواطنيها، وعليه فإن الدولة لا بد أن تتحمل المساءلة أمام شعبها إذا مارست مقتضيات السيادة بما يخالف مصالحه، وأمام نظرائها من الدول الأخرى إذا بلغ إخفاقها في تحمل مسؤولياتها حداً لم يعد من الممكن إحتماله^١.

وفي إطار التوفيق بين سيادة الدولة وسيادة الشعب وإستجابة لذلك تم تشكيل "لجنة دولية للتدخل وسيادة الدول" التي أصدرت تقريرها بتاريخ ١٨ ديسمبر ٢٠٠١ وأكدت فيه على ثلاث مبادئ أساسية هي^٢:

١ - مبدأ إستعمال مفهوم "المسؤولية الدولية للحماية" بدل "التدخل الإنساني" لتجنب ما قد يثيره التعبير الأخير من مخاوف السيطرة والهيمنة.

٢ - وضع مسؤولية الحماية في يد الدولة المعنية على المستوى الوطني أما على المستوى الدولي فتوضع تحت سلطة مجلس الأمن.

٣ - عملية التدخل لأغراض "الحماية الإنسانية" يجب أن تتم بجدية وكفاءة وفاعلية وبناء على سلطة مباشرة ومسؤولة.

وانتهت اللجنة بعمل تقرير حول "مسؤولية الحماية" ومن هنا كان أول ظهور لفكرة مسؤولية الحماية التي تعد تطوراً للتدخل الإنساني وقد سعت فكرة "مسؤولية الحماية" معالجة التناقض الأساسي بين حق الدولة في السيادة ومسؤولية المجتمع الدولي لحماية المدنيين، ووفقاً لهذه التعاليم، تتحمل الدولة ذات السيادة، مسؤولية حماية مواطنيها من كارثة يمكن تفاديها، ولكن المجتمع الدولي عليه تحمل المسؤولية، عندما تكون الدولة غير مستعدة أو غير قادرة على حماية مواطنيها المدنيين^٣.

^١ عبد الوهاب الأفندي، التدخل من دار فور إلى ليبيا : تأملات في المبدأ والتطبيق ، جريدة القدس العربي ، ٢٢ مارس ٢٠١١

^٢ بديار الدراجي، مجلس الأمن الدولي والتدخل الإنساني ، رسالة ماجستير في القانون الدولي والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، جامعة الجزائر ١-٢٠١١ ص ١١٧

^٣ محمد الحرماوي، قانون مسؤولية الحماية في إطار الأمم المتحدة ، تاريخ النشر ٣٠، ٠٨، ٢٠١٣ مقال متوفر على الموقع الإلكتروني: [http:// www.ahewar.org/debow.art.asp?aid=375697](http://www.ahewar.org/debow.art.asp?aid=375697)

وتعرف اللجنة مسؤولية الحماية على أنها 'سلسلة عريضة من الأعمال والتدابير طويلة الأجل وقصيرة لأجل المساعدة على الحيلولة دون حدوث أوضاع تهدد الأمن البشري أو دون تفاقمها أو إنتشارها أو بقائها، وفي الحالات بالغة الشدة تنطوي على تدخل عسكري لحماية المدنيين المعرضين للخطر من الأذى'.

الفرع الثاني: دور أجهزة الأمم المتحدة في إقرار مبدأ مسؤولية الحماية

إن التدخل الدولي تحت مظلة مسؤولية الحماية أكثر محدودية من التدخل الإنساني بكثير وقد أبرزت الأحداث التي وقعت في السنوات الأخيرة أهمية الإستجابة في الوقت المناسب وبطريقة حاسمة للجرائم والانتهاكات ومع أن منع الجرائم والانتهاكات أفضل بكثير من الإستجابة لها بعد أن ترتكب فإن هناك أوقاتا يفشل فيها المنع ويلزم فيها الإستجابة في الوقت المناسب وبطريقة حاسمة وقد أثارت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة مخاوف بشأن 'مسؤولية الحماية' إذ رأت الأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون الداخلية عسكريا طبقا للفصل السابع من الميثاق ، لكن مسؤولية الحماية لا توضح بشكل كاف الدور الذي ينبغي منحه إلى مختلف السلطات، فقد دعت أنه من الأنسب أن مجلس الأمن يجب أن يكون الفاعل الرئيسي في أن يقرر اللجوء إلى التدخل الدولي بغرض تفعيل مبدأ مسؤولية الحماية، وأنه في حالة إستخدام حق النقض (الفيتو) ، يمكن أن يحل محله كيانات أخرى مثل الجمعية العامة على أساس قرار الإتحاد من أجل السلام لعام ١٩٥٠ و تستبعد الدول الراغبين في التدخل من قبل التحالفات أو حتى الدول من جانب واحد^٢.

خاتمة

الملاحظ أن التطورات الدولية برهنت على أن مفهوم السيادة المطلقة الذي وضع في معاهدة واستقاليا، لم يعد قادرا على تحقيق هدفه في تحقيق حفظ السلم و الأمن الدوليين في ظل المتغيرات الدولية المعاصرة، الأمر الذي حتم تطويره باعتباره مفهوما نسبيا ينطلق من فكرة المسؤولية و لاسيما بعد أن أصبحت حقوق الإنسان جزءا من المسؤولية الدولية و بما يمكن للأمم المتحدة من التدخل لحماية هذه الحقوق في الصراعات الداخلية التي يرافقها أعمال تطهير عرقي و تشريد للاجئين و إلا فإن هذه الصراعات ستهمش المنظمة الدولية و تؤدي إلى تعميق جمود ميثاقها، كما أن تزامم الأحداث في المجتمع الدولي و التطورات الحاصلة في مجال العلاقات الدولية، و خاصة بعد تغيير موازين القوى و سقوط القطب الشيوعي، أحدثت تحولات هامة أفرزت معطيات جديدة تمثلت في فقدان هامش المناورة التي كانت الدول الضعيفة تشغله بسبب إنشغال القطبين ببعضها البعض و قد أدى هذا التحول إلى بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة مهيمنة متجهة نحو فرض تطوراتها و مفاهيمها في مختلف المجالات السياسية و الإقتصادية و الثقافية مما يطرح تساؤلا حول مصير السيادة الوطنية للدول الضعيفة.

^١ تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتدخل و سيادة الدول "مسؤولية الحماية " المقدم الى الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة ٥٧ ، بتاريخ ١٤ أوت ٢٠٠٢ رقم (A/57/303).فقرة ٣٢ / ٢.

^٢ Carlo Focarelli، the responsibility to protect doctrine and humanitarian intervention: too many ambiguities، for a working doctrine, journal of conflict and security, p211

قائمة المصادر والمراجع

- قرار الجمعية العامة المؤرخ في ١٤ ديسمبر ١٩٦٠ وثيقة رقم A/RES/1514 المتضمن اعلان اخضاع الشعوب للحكم الاجنبي و السيطرة و الاستقلال للبلدان و الشعوب المستعمرة .
- د. عبد العزيز رمضان علي الخطابي، نظرية لإختصاص في القانون الدولي المعاصر، فلسفة في القانون الدولي العام، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢.
- لخضر رابحي، التدخل الدولي بين الشرعية الدولية و مفهوم السيادة، اطروحة دكتوراه قانون عام , كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة ابي بكر بلقايد , تلمسان ٢٠١٤/٢٠١٥.
- حمريط النوارى، مجلس الأمن وحقوق الإنسان، مذكرة ماجستير في الحقوق تخصص القانون الدولي والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، بن عكنون، جامعة الجزائر-١-٢٠١٢.
- *N Guen quocdink et autre(et Patrick doillier et Allain pellet) droit international public, 5ème édition, édition delta L.G.D.J1994.*
- علي رضا عبد الرحمان رضا، مبدأ لإختصاص الداخلي أو المجال المحجوز للدولة في ظل التنظيم الدولي، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٩٧
- عدنان نعمة، السيادة في ضوء التنظيم الدولي المعاصر، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٨ .
- بن حمودة ليلي، الإستخدام السلمي للفضاء الخارجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.
- هناء سعدي أحمد ، المنظمة الدولية في مواجهة المجال المحفوظ للدولة، مذكرة ماجستير، تخصص القانون الدبلوماسي، جامعة الجزائر -١-كلية الحقوق، ٢٠٠٦/ ٢٠٠٧.
- د. سعد حقي توفيق، مبادئ في العلاقات الدولية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ط١، ٢٠٠١.
- عبد القادر دحماني ، التدخل الإنساني بين الشرعية الدولية و مبدأ حماية حقوق الإنسان، مذكرة ماجستير في العلوم القانونية و الإدارية، تخصص قانون دولي عام، كلية الحقوق و العلوم الإنسانية، قسم العلوم القانونية و الإدارية، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ٢٠٠٨.
- نواري أحلام، تراجع السيادة الوطنية في ظل التحولات الدولية، مجلة دفاتر السياسية والقانون العدد الرابع جانفي ٢٠١١.
- *le phénomène étatique à travers la grande mutation politique ← jean charpentier société française ، l'état souverain à l'aube du XXI siècle: colloque de Nancy contemporaines paris. ، pedone ، édition A pour le droit international*
- مهى عيسى مخايل الديبر، 'العقوبات الدولية وفق ميثاق هيئة الأمم المتحدة'، الجامعة اللبنانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، أطروحة دكتوراه
- أميرة حناشي، مبدأ السيادة في ظل التحولات الدولية الراهنة، مذكرة ماجستير، قسم القانون العام فرع العلاقات الدولية وقانون المنظمات الدولية، كلية الحقوق، جامعة منتوري، قسنطينة ٢٠٠٧-٢٠٠٨ .
- بوراس عبد القادر، التدخل الدولي الإنساني و تراجع مبدأ السيادة الوطنية، دار الجامعة الجديدة الاسكندرية، ٢٠٠٩
- بوكرا ادريس، مبدأ عدم التدخل في القانون الدولي المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة ١٩٩٠ .
- عاطف علي الصالحي، مشروعية التدخل الدولي وفقا لقواعد القانون الدولي العام، ط ١ القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩.
- بن عامر تونسي، قانون المجتمع الدولي المعاصر، الطبعة ٤، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٣.
- خليل حسين، موسوعة القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الاولى، ٢٠١٢.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

للعام ٢٠٢٢

- ميثاق الأمم المتحدة الموقع في ٢٦ جوان ١٩٤٥ الذي دخل حيز التنفيذ بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥.
- سامح عبد القوي السيد، التدخل الدولي بين المشروعية وعدم المشروعية وانعكاساته على الساحة الدولية، ط١، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢.
- ماهر عبد المنعم أبو يونس، إستخدام القوة في فرض الشرعية الدولية، المكتبة المصرية، الإسكندرية ٢٠٠٤ .
- احمد سي علي، دراسات في التدخل الإنساني، الطبعة ١، الجزائر، دار الاكاديمية، ٢٠١١.
- حسين حنفي عمر، التدخل الدولي في شؤون الدول بذريعة حماية حقوق الانسان، دار النهضة العربية الطبعة الاولى ٢٠٠٤-٢٠٠٥.
- عمران عبد السلام الصفراني، مجلس الأمن وحق التدخل لفرض إحترام حقوق الانسان، جامعة قار يونس، الطبعة الاولى ٢٠٠٨.
- عثمان علي الرواندوزي، السيادة في ضوء القانون الدولي المعاصر، دار الكتب القانونية، ٢٠١٠ .
- بطرس بطرس غالي، نحو دور أقوى للأمم المتحدة، السياسة الدولية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية الأهرام، العدد ١١١، سنة ١٩٩٣ .
- علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، طبعة ١، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، سنة ١٩٧٢.
- التقرير العربي الاستراتيجي لعام ١٩٩٩ العرب و أزمة كوسوفا مخاطر سوء تقدير الوضع العالمي، القاهرة، مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية بالأهرام، يناير ٢٠٠٠.
- جمال منصر، التدخل العسكري الإنساني في ظل الأحادية القطبية، دراسة في المفهوم و الظاهرة – أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، فرع العلاقات الدولية، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة ٢٠١١ .
- غازي حسن صباريني، الوجيز في مبادئ القانون الدولي العام، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن ٢٠٠٧ .
- أحمد رضوان الفيومي، مشروعية التدخل الدولي في الحروب الأهلية، طبعة ١، سنة ٢٠١٧، مكتبة الوفاء القانونية .
- بن عامر تونسي، قانون المجتمع الدولي المعاصر، الطبعة ١، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٣.
- in site: www.opérationpaix.net.acceuil. ‘ Devoir et droit d’ingérence – Sandrine Perrot .Ressources.25 avril 2006
- مسعد عبد الرحمان زيدان، تدخل الأمم المتحدة في النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي، مصر، دار الكتب القانونية، ٢٠٠٨ .
- Droit international humanitaire général, 2éme édition. Gualine éditeur. – Michel Belanger .Paris, 2007
- عبد الوهاب الأفندي، التدخل من دار فور إلى ليبيا: تأملات في المبدأ والتطبيق، جريدة القدس العربي، ٢٢ مارس ٢٠١١
- بديار الدراجي، مجلس الأمن الدولي والتدخل الإنساني، رسالة ماجستير في القانون الدولي والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، جامعة الجزائر ١- ٢٠١١ .
- محمد الحرماوي، قانون مسؤولية الحماية في إطار الأمم المتحدة، تاريخ النشر ٣٠، ٠٨، ٢٠١٣ مقال متوفر على الموقع الإلكتروني:

[http:// www.ahewar.org/debow.art.asp?aid=375697](http://www.ahewar.org/debow.art.asp?aid=375697)

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
للعام ٢٠٢٢

- تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتدخل و سيادة الدول "مسؤولية الحماية " المقدم الى الجمعية العامة للامم المتحدة دورة ٥٧, بتاريخ ١٤ أوت ٢٠٠٢ رقم (A /57/303).

the responsibility to protect doctrine and humanitarian intervention: too many^١, Carlo Focarelli
for a working doctrine, journal of conflict and security. 'ambiguities

تطور إستراتيجية حروب الجيل الرابع: الحروب اللاتماثلية (اطار نظري)

م.م رشاشهيل محمد زيدان/ كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل

الخلاصة

أن التغييرات الهيكلية والقيمية والتحولات التي شهدتها البيئة العالمية بعد انتهاء الحرب الباردة وانحسار مرحلة الصراعات الإيديولوجية_القيمية، ساهمت في إعادة رسم مجتمع عالمي يتميز بالغموض والتعقيد والترابط في أن الوقت، وأدت إلى اختلاف طبيعة وخارطة التهديدات الأمنية الجديدة وانتقالها من النمط التقليدي إلى نمط جديد عرف بـ " بالتهديدات اللاتماثلية "وتعرف أيضا بـ التهديدات غير المتوازنة **والحرب غير المقيدة**، وأعقب ذلك أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ والغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق عام ٢٠٠٣ والتي أثرت بشكل كبير على النظام العالمي وظهور مفاهيم ونظريات وفواعل وتهديدات أمنية جديدة تتجاوز النطاق العسكري السيادي للدولة القومية وبدأت تزام الدولة على سيادتها وانكشاف سيادتها، مما دفع الكثير من المفكرين أمثال "باري بوزان Barry Buzan" و"أول ويفر Ole Waeber" إلى صياغة نظريات وطروحات فكرية أمنية جديدة تتناسب مع تلك التهديدات الغير التقليدية بقوله "بأنه علينا تجاوز التفكير الضيق للأمن والتهديدات الأمنية الذي بات ينحصر حول أمن الدولة والأمن العسكري، وتوسيع هذا التفكير من خلال البحث عن الفواعل الجديدة المهددة للأمن والتهديدات الأمنية الجديدة ". باعتبارها نمطاً جديداً من أنماط الجيل الرابع للحروب والتي تطورت إلى شكل جديد عرفت بـ "التهديدات الهجينة" **Hybrids Threats** والتي تعد نمطاً جديداً من أنماط الجيل الخامس للحروب والتي أنتجت "إستراتيجيات هجينة" وظهرت الحاجة لصياغة نظريات جديدة للأمن القومي الدولي لمواجهة، نتيجة للتعقيد والغموض والحركة التي باتت تؤثر على أهم مرتكزات وظواهر العلاقات الدولية وهو الأمن **العالمي** باعتباره مرتكزا أساسا للمجتمع الدولي الذي بات معرضاً للتهديد بسبب التقدم في المجال المعلوماتي والمعرفي.

ومن هذا المنطلق ذات الأهمية الفكرية والأمنية سيجيب البحث عن التساؤل الرئيس الآتي: (يبدو أن الصراع المسلح غير التقليدي أصبح اليوم أكثر انتشاراً من أي وقت مضى، إذ بدأنا نشهد عالم ما بعد الدولية الذي حل محلها النظام العالمي، من خلال لجوء أطراف وفواعل من غير الدول إلى إحداث تحولات في مفاهيم القوة ودلالاتها التقليدية والخروج من الإطار التقليدي المألوف إلى الإطار اللاتماثلي _ اللاتناظري في مستويات الأداء الاستراتيجي الثلاثي الذي طرحته كإحدى الاستراتيجيات الأمنية الهجينة الجديدة لتحقيق أهدافها وإعادة صياغة مفاهيم القوة وفقاً لتصوراتها وإمكانياتها، فمن المحتمل أن يظل تحديد ملامح الصراع المسلح منوطاً بالحرب اللاتماثلية والإرهاب الدولي).

واستندنا في بحثنا على الفرضية التالية (أن الحروب اللاتماثلية هي حروب غير متكافئة وغير تقليدية، وباتت أحد التهديدات الأمنية الجديدة التي ظهرت بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، كونها نمطاً جديداً من أنماط الجيل الرابع للحروب الحديثة غير النمطية _ اللاتناظرة _ غير المتوازنة وتحدث بين فاعلين قد يكون أحدهما الدولة والفاعل الآخر جماعة إرهابية مجهولة وغير متكافئة في الوسائل والتنظيم

والإمكانيات والقوة، وتنبئ إستراتيجية تقوم على عنصر المفاجأة والمباغطة والحركية والسرية والغموض وعدم إمكانية تحديد ماهية العدو وهويته، والسعي لخلق صراع غير متكافئ طويل الأمد، وتنطوي على ثلاثة مستويات يتضمن المستوى الأول المستوى الميداني وينطوي على العمليات السرية والخطف والغدر وغيرها، في حين ينطوي المستوى الثاني وهو المستوى الاستراتيجي العسكري على العمليات الخاطفة وحرب العصابات، أما المستوى الاستراتيجي السياسي الأخير ينطوي على الحروب ذات معطى اجتماعي وقيمي وديني، فهي تطبيق واقعي لمجموعة من الاستراتيجيات العسكرية أبرزها حرب العصابات والحروب الخاطفة والحروب بالوكالة والهجرة غير الشرعية والعمليات الإرهابية والجريمة المنظمة وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الحروب غير الخطية _ اللانمطية _ التهديدات اللاتماثلية _ الحروب اللامتناظرة، الحروب غير المتوازية، إستراتيجية الاقتراب غير المباشر _ الردع بالشك _ الاستباقي _ الوقائي .

Abstract

The structural and value changes and transformations that the global environment witnessed after the end of the Cold War in 1991 and the decline of the stage of ideological conflicts, contributed to drawing a global community characterized by ambiguity, complexity and interdependence at that time, and led to the different nature and map of new security threats and their transition from the traditional pattern to a new pattern known as Asymmetric threats, also known as asymmetric or asymmetric threats, World War IV, and unrestricted warfare. And the asymmetric war, which was followed by the events of September 11, 2001 and the American invasion of Afghanistan and Iraq, which greatly affected the international system, and the emergence of new concepts, theories, actors and security threats that transcend the sovereign military scope of the nation-state and began to compete with the state over its sovereignty and the exposure of state sovereignty, which prompted many thinkers like “ Barry Buzan and Ole Waever to formulate new security theories and thought propositions commensurate with these non-traditional threats by saying, "We must transcend the narrow thinking of security and security threats, which has become confined to state security and military security, and expand this thinking through research About new actors threatening security and new security threats. As a new type of the fourth generation of wars, which has evolved into a new form known as "hybrid threats", which is a new type of fifth generation wars, which produced "hybrid strategies" and the need to formulate new theories of international national security to confront them emerged, as a result of complexity and ambiguity And mobility, which has come to affect the most important foundations and phenomena of international relations, which is global security, as it is a mainstay

of the international community, which is under threat due to progress in the information and knowledge field.

From this point of view, which is of importance in its intellectual and security premises, the research will answer the following main question: (All of these security threats imposed on the United States a reassessment of its military strategy in proportion to the new security challenges that it may face in the foreseeable future, so it created a new strategy for it And different, unconventional ones to confront its enemies and achieve its undeclared goals, given that the parties to the conflict are aware of the nature of the tools and mechanisms they used in the second Gulf War in 1990, especially after their military strategy was subjected to failure and penetration after the events of September 11, 2001. By proposing new unfamiliar strategies for its opponents to enhance its position and hegemony over the international system by proposing a strategy of deterrence with skepticism-preventive).

We based our research on the following hypothesis (that asymmetric wars are asymmetric and unconventional wars, and one of the new security threats that emerged after the events of September 11, 2001, as a new type of fourth generation of modern, asymmetrical, asymmetric wars and occurring between actors who have One of them is the state and the other actor is an unknown terrorist group that is unequal in means, organization, capabilities and strength, and adopts a strategy based on the element of surprise, surprise, mobility, secrecy, ambiguity, and the inability to determine the nature and identity of the enemy, and striving to create a long-term unequal conflict. It involves three levels, including the first level, the field level. It involves covert operations, kidnapping, treachery, and others, while the second level, which is the military strategic level, involves lightning operations and guerrilla warfare. Proxy, illegal immigration, terrorist operations, organized crime and Other.

Keywords: non_ linear wars _ asymmetric threats _ asymmetric wars, _ indirect approach strategy, asymmetric threats _ deterrence with doubt, preemptive _ preventive.

المقدمة

منذ منتصف القرن العشرين انتهت ما يسمى بظاهرة الحروب بين الدول، ولم تعد الدول تلجأ إلى استخدام القوة العسكرية لحل الصراعات، ويبدو أن الصراع الحالي بات صراعاً داخلياً غير نمطي وأكثر انتشاراً من أي وقت سابق، حيث حدث تحول في أنماط الحروب، وباتت تمثل إحدى استراتيجيات الاقتراب غير المباشر لتقليل الخسائر المادية والتكاليف، وفي الوقت ذاته عدم تحمل المسؤولية الدولية عن اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية من قبل الوحدة الدولية، لكن ذلك لا يعني أن استخدام القوة العسكرية انتهى بشكل نهائي، ولكنه أصبح أكثر محدودية في الامتداد الديموغرافي ولكنه أكثر عنفاً من السابق، بهدف

حماية المصالح الاقتصادية والعسكرية _ الأمنية والحفاظ عليها أو من أجل توسيع الطموحات السياسية للوحدة الدولية، ومع مطلع القرن الحادي والعشرين ومع ازدياد نسبة تكاليف الحروب وإدراك الدول أن تحقيق مصالحها لا يتم فقط من خلال استخدام القوة العسكرية الصلبة، فقد أدى ذلك إلى حدوث تحول في القوة، مما انعكس على ذلك التحول على مفاهيم الحرب وإستراتيجيتها، وفي مقدمة تحولات القوة هو بروز فاعلين من غير الدول لجاءوا إلى باستخدام وسائل غير تقليدية _ متوازية وتنامي التهديدات الأمنية الجديدة، التي من المحتمل أن تبقى ملامح الصراع الدولي في القرن الحادي والعشرين منوطاً بالحرب غير المتوازية والإرهاب الدولي غير الخطي _ اللانمطي، كإحدى نتائج التطورات التكنولوجية وتغييرات النظام الجيو سياسي الحالي الذي جعل جل الاهتمام ينصب على الحروب اللاتماثلية والتي باتت تأخذ أشكالاً مختلفة من حرب العصابات والتمرد والإرهاب الدولي والحروب بالوكالة أو النيابة، وتعد الحرب الأمريكية في أفغانستان والعراق من أبرز الأمثلة على هذا النوع من الحروب الحديثة، فضلاً عن، انتشارها في مناطق شمال أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا والتي انطوت على ثلاثة تقنيات تتمثل في استخدام أسلحة المشاة الحديثة والعبوات الناسفة والتفجيرات الانتحارية وحرب العصابات والمليشيات والمرتزقة وحركات التمرد الذي ساعد الجماعات الإرهابية على تطوير آليات واستراتيجيات لعملها لتحقيق أهدافها.

الأهمية

تأتي أهمية البحث من كونه يتضمن موضوعاً بحثياً جديداً، وبات من الموضوعات الحيوية والهامة في الوقت الحاضر لاسيما وان البيئة الدولية باتت تشهد صراعات داخلية ذات نطاقات ديموغرافية محدودة قلما نشهد حروب ذات امتدادات واسعة النطاق كما كان في السابق، هذا يدفعنا إلى محاولة فهم كل تلك التحولات والتغييرات التي حدثت والوقوف على أسبابها وتداعياتها وتأثيراتها الإقليمية والعالمية، كما أن قيمتها العلمية والواقعية متأنية من أهميتها في حقل الدراسات الأمنية _ الإستراتيجية، فالحروب اللاتماثلية تعد الظاهرة الأكثر واقعية التي تتزامن مع التحولات الحركية والمتطورة التي تشهدها البيئتين السياسية الإقليمية والعالمية.

الإشكالية

إن مؤشرات البيئة الأمنية العالمية في العقود الثلاث الأخيرة، شهدت تحول لحق بطبيعة المخاطر التي تُهدد الأمن العالمي من النمط التقليدي الذي يُركز على الدولة كفاعل مُهدد، وعلى الطبيعة العسكرية للتهديد إلى أنماط جديدة عديدة، ومن بينها التهديدات اللاتماثلية، حيث بات الصراع المسلح غير التقليدي اليوم أكثر انتشاراً من أي وقت مضى، إذ بدأنا نشهد عالم ما بعد الدولية الذي حل محلها النظام العالمي، من خلال لجوء أطراف وفواعل من غير الدول إلى إحداث تحولات في مفاهيم القوة ودلالاتها التقليدية والخروج من الإطار التقليدي المألوف إلى الإطار اللاتماثلي _ اللاتناظري في مستويات الأداء الاستراتيجي الثلاثي الذي طرحته كإحدى الاستراتيجيات الأمنية الهجينة الجديدة لتحقيق أهدافها وإعادة صياغة مفاهيم القوة وفقاً لتصوراتها وإمكانياتها، فمن المحتمل أن يظل تحديد ملامح الصراع المسلح منوطاً بالحرب اللاتماثلية والإرهاب الدولي، وفي إطار هذه الإشكالية تثار العديد من التساؤلات الفرعية التي ينبغي الإجابة عنها في إطار البحث منها:

١ _ ماهية الحروب اللاتماثلية وتوصيفاتها وخصائصها وتطبيقاتها

٢ _ ماهية تحولات أجيال الحروب وتكتيكات التوظيف

٣ _ ماهية الفرضيات الأساس في تطور المستويات الثلاثية لإستراتيجية الحروب اللاتماثلية

الفرضية

أن الحروب اللاتماثلية هي حروب غير متكافئة وغير تقليدية، وباتت أحد التهديدات الأمنية الجديدة التي ظهرت بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، وتحدث بين فاعلين قد يكون أحدهما الدولة والفاعل الآخر جماعة إرهابية مجهولة وغير متكافئة في الوسائل والتنظيم والإمكانيات والقوة، وتتبنى إستراتيجية تقوم على عنصر المفاجأة والحركة والسرية والغموض وعدم إمكانية تحديد ماهية العدو وهويته، والسعي لخلق صراع غير متكافئ طويل الأمد بصورة منظمة، وتنطوي على ثلاثة مستويات يتضمن المستوى الأول المستوى الميداني في حين ينطوي المستوى الثاني وهو المستوى الاستراتيجي العسكري و المستوى الاستراتيجي السياسي فهي تطبيق واقعي لمجموعة من الاستراتيجيات العسكرية أبرزها حرب العصابات والحروب الخاطفة والحروب بالوكالة والهجرة غير الشرعية والعمليات الإرهابية والجريمة وغيرها.

الهدف

يهدف البحث إلى الكشف عن شكلاً ونمطاً جديداً من التهديدات الأمنية الجديدة وهي الحروب اللاتماثلية وأثرها على نظرية الأمن المحلي والإقليمي والعالمي ومرتكزاته بوصفها إحدى الحروب الحديثة والتي من الممكن أن تتطور إستراتيجيتها لتأخذ شكلاً جديداً لحروب المستقبل، فضلاً عن ذلك، تقودنا إلى البحث عن استراتيجيات لمواجهة من قبل الدولة القومية التي باتت تتراجع سيادتها وتتكشف أمام تحولات القوة وتأثيراتها بصياغة استراتيجية محلية وإقليمية ودولية مشتركة للحد من تفاقم تطبيقاتها الواقعية وخطورتها لكي يتم الوصول إلى نهج انكفائي وذاتي لتأمين الأمن العالمي في ظل تملص وإنكار الفواعل من غير الدول لمسؤولياتها، ولاسيما أننا أصبحنا في بيئة أمنية دولية يعترينا التعقيد والغموض وأصبح الحفاظ على الأمن العالمي أكثر شمولية ومسؤولية جميع الوحدات الدولية في النظام العالمي القائم وجزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي للدولة.

المنهج

تم اعتماد مجموعة من مناهج البحث العلمي لحاجة البحث إليها، فقد تم اعتماد (المنهج الوصفي _ التحليلي) لتحديد مفاهيم وخصائص وأبعاد البحث ووصفه وصفاً موضوعياً دقيقاً، من خلال توضيح مفهومها وتحديد طبيعتها ومستوياتها ودلالاتها واشتقاقاتها، فضلاً عن ذلك، دراسة أبرز التهديدات اللاتماثلية التي أثرت وتؤثر على الأمن العالمي والأمن القومي للدولة باعتبار أن كلاهما يشكلان قضية عالمية، ومن خلال الاستدلال بتطبيقات واقعية للحروب اللاتماثلية بالاستعانة بمنهج دراسة الحالة.

النطاق ويحدد بمجموعة من الامتدادات والحدود

الحدود المكانية: _ ويشمل الوحدات الدولية والفاعلين من غير الدول في النظام العالمي.
الحدود الزمانية: _ بعد أحداث ١١/أيلول/٢٠٠١ والهجمات على الولايات المتحدة الأمريكية والتي شكلت بداية لتطور مستويات ودلالات واشتقاقات الحروب التقليدية وتحول في طبيعة القوة ومصادرها.

الدراسات السابقة

تم التطرق في البحث إلى العديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الحروب اللاتماثلية محاولة لتقديم أطر موضوعية علمية أكاديمية تساعدنا على فهم التهديدات الأمنية الجديدة نظرياً وتطبيقياً _ ميدانياً، ومعرفة طبيعتها وخصائصها وأبرز تطبيقاتها الواقعية، ومن أبرزها ماياتي:

١ _ دراسات ومقالات أخرى متفرقة حول التهديدات اللاتماثلية والهجرة تم الاعتماد عليها في موضوعنا “توني بافانر Toni Pfanner ”حول الحروب اللاتماثلية “فرانك هوفمان

Frank G Hoffman "حول" النزاعات في القرن الواحد والعشرين صعود الحروب الهجينة " Conflict in the 20th Century the Rise of The Hybrid War.

٢ دراسة للباحث "هانس براوتش Hans Günter Brauch" بعنوان "بمفاهيم التهديدات الأمنية، التحديات، نقاط الضعف والمخاطر Concepts of Security Threats, Challenges, Vulnerabilities and Risks"، وهي دراسة تحليلية مفصلة لأبرز المفاهيم المستخدمة عند دراسة الأمن القومي، وتم التطرق فيها إلى مفاهيم: الأمن، التهديد الأمني، المخاطر.

٣ دراسة للباحث عادل جارش، باحث دكتوراه في المدرسة العليا للعلوم السياسية (الجزائر، بعنوان مقارنة معرفية حول التهديدات الأمنية الجديدة، المركز الديمقراطي العربي، العدد الأول لسنة ٢٠١٧ "من مجلة العلوم السياسية والقانون.

٤ سليمان عبد الله الحربي، "مفهوم الأمن: مستوياته و صيغه و تهديداته: دراسة نظرية في المفاهيم و الأطر". المجلة العربية للعلوم السياسية. العدد ١٩، ٢٠٠٨.

الصعوبات

نجد من الناحية الأمنية صعوبة في إيجاد مقارنة للتهديدات الأمنية اللاتماثلية نتيجة لاختلاف الفواعل التي تتدخل فيها، فضلا عن، ذلك نجد أنها تفتقر إلى رؤية أمنية جماعية عالمية مشتركة لمواجهة، لذلك فإن محاولة التفكير في الحد من هذه التهديدات الأمنية ينبغي إيجاد حلول لجميع التحديات التي باتت تواجه الدولة القومية التي تعري سيادتها وتكشفها وتحاول انتزاعها من الدولة صاحبة السيادة.

الهيكليّة

انطلاقاً من إشكالية البحث وما يثيره من تساؤلات عديدة ولإثبات صحة الفرضية الموضوعية وفقاً لمناهج البحث العلمي التي يتضمنها البحث، فقد تم تقسيم بحثنا الموسوم ((تطور إستراتيجية حروب الجيل الرابع: الحروب اللاتماثلية _ إطار نظري)) ، فضلا عن المقدمة والخاتمة ومجموعة من الاستنتاجات وقائمة المصادر والهوامش، وكمياتي: _

المحور الأول: مفهوم الحروب اللاتماثلية وتوصيفاتها وخصائصها وتطبيقاتها

المحور الثاني: تحولات أجيال الحروب وتكتيكات التوظيف

المحور الثالث: الفرضيات الأساس في تطور المستويات الثلاثية لإستراتيجية الحروب اللاتماثلية

المحور الأول

مفهوم الحروب اللاتماثلية وتوصيفاتها وخصائصها وتطبيقاتها

يعد مفهوم الحروب اللاتماثلية إحدى الأدوات والوسائل والأساليب والتكتيكات التي تستخدم في إدارة وتوجيه الحروب لتحقيق الأهداف والمصالح سواء من قبل الدولة القومية أو من قبل الكيانات غير الدولية، حيث تمثل في الواقع شكلاً من الأشكال القديمة للحروب لاسيما في المحتوى والمضمون، حيث ابتدعها الاستراتيجي الصيني (سن تزو) في عام ٥٠٠ قبل الميلاد، وكان فلسفته تقوم على أساس بأنه من غير الصواب الدخول في حرب ضد قوة عسكرية اقوى بنفس الأسلحة القتالية المتناظرة، وإنما لابد من استخدام أسلوباً مختلفاً، من خلال استهداف وحدة المجتمع الذي أنتج تلك القوة العسكرية وتحطيم التماسك الاجتماعي والقيمي وسالديني، مما يؤدي إلى تفكك القوة العسكرية وانهيارها، وبذلك يصبح السكان هدف العمليات

العسكرية لتمزيق البنيان الاجتماعي (١). وحدد (ماوتسي تونغ) مجموعة من المراحل الضرورية لنجاح حركة التمرد وفقاً لتصوراته والتي تتمثل بمجموعة من المراحل وكماياتي: (٢).

١ المرحلة الأولى اعتماد حركة التمرد بصورة كبيرة بناء الدعم السياسي لها، إذ تقتصر العمليات العسكرية في المرحلة الأولى على الاغتيالات السياسية المصحوبة بحملات دعائية من أجل حشد الدعم الشعبي لحركة التمرد.

٢ المرحلة الثانية تبدأ مع زيادة قوة حركة التمرد عندما تشرع في السيطرة على بعض المناطق المتنازع عليها وتحكمها.

٣ المرحلة الثالثة تبدأ عندما تتحول هذه المرحلة إلى جيش نظامي والسعي لإسقاط الحكومة المعادية، لذلك نجد أن ماوتسي تونغ أول من رأى أن الحصول على القوة السياسية يعد شيئاً ضرورياً من أجل نجاح حركة التمرد. أن الحروب اللاتماثلية تعتمد بدرجة كبيرة على توظيف أسلوب حرب العصابات من أجل إقناع متخذ القرار السياسي للخصم بأن الأهداف الإستراتيجية إما يصعب تحقيقها أو أنها مكلفة للغاية مقارنة بالأهداف المتوقعة في حالة تنفيذها. (٣)

كما أشار العديد من المفكرين الاستراتيجيين إلى المفهوم أمثال (ميكافيلي) و(ليدل هارت) و(كلاوزفيتز) وغيرهم، إلا إن استخدام المصطلح لأول مرة في عالم السياسة كان من قبل (جي آر مارك) عام ١٩٧٥ في مقالته الموسومة (لماذا الأمم الكبيرة تفقد الحروب الصغيرة) وأشار إلى أن الحروب اللاتماثلية تمثل التفاوت الكبير وعدم التكافؤ في القوة بين الخصوم المتجهين صوب الصراع، ولكن مع نهاية الحرب الباردة والتي فرضت مفاهيم وصياغات جديدة على الولايات المتحدة الأمريكية لإعادة تقويم إستراتيجيتها تجاه التحديات المستقبلية وفي مقدمتها الحروب اللاتماثلية، فمنذ عام ١٩٩٠ بدأ المفهوم يلقي اهتماماً كبيراً وامتزاجاً من قبل الأكاديميين والتقارير الحكومية والوثائق لاسيما من قبل البنتاغون، وقد خلصت التقارير

١ _ عادل عبد الحمزة البديري _ سرمد زكي الجادر، اللاتماثل في الإستراتيجية الأميركية الشرق أوسطية: توظيف داعش، مجلة حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العدد ١٠، السنة الثالثة، بغداد، تموز/ يوليو ٢٠١٤، ص ٦٦. للمزيد ينظر كذلك: عبد الصمد سعدون، حروب الجيل الرابع في عالم متغير: السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط أنموذجاً، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، المجلد ١٢، العدد ١٢، بغداد، ٢٠٢١، ص ٦-٧.

٢ _ شادي عبد الوهاب منصور، حروب الجيل الخامس: التحولات الرئيسية في المواجهات العنيفة غير التقليدية في العالم، مجلة دراسات المستقبل، العدد ١، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الإمارات العربية المتحدة، نوفمبر ٢٠١٧، ص ٩. للمزيد ينظر: شرقي سارة، الإستراتيجية الأمنية الإسرائيلية في ظل التهديدات اللاتماثلية: حزب الله وحركة حماس ٢٠٠٦-٢٠٠٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بو ضياف _ المسيلة، الجزائر، ٢٠١٦/٢٠١٧، ص ١٢-١٣. للمزيد ينظر: محمد ياس خضير، الإستراتيجية الأميركية والجيل الرابع من الحروب، مركز حمورابي للبحوث والدراسات، العدد ٦، السنة الثانية، بغداد، تموز/ يوليو ٢٠١٣، ص ١٤١.

٣ _ شادي عبد الوهاب منصور، المصدر السابق، ص ٩. للمزيد ينظر كذلك: بشير سبهان احمد، موقف القانون الدولي من الحرب بالوكالة أو الإنابة: حروب الجيل الرابع، مجلة جامعة تكريت للحقوق، الجزء ١، العدد ٢، كلية الحقوق، جامعة تكريت، ٢٠١٩، ص ٧٣-٧٤.

بأنه باستطاعتها أن تفترض بأن أعدائها أو خصومها في المستقبل تلقوا وفهموا الدرس من حرب الخليج (عاصفة الصحراء)، لذلك ليس من المتوقع أن يحاولون مواجهتها في حرب تقليدية تعتمد على القوات الجوية والبحرية والدبابات ذاتها، لذلك يتوجب عليهم أن يكشفوا عن وسائل وأدوات جديدة تمكنهم من تهديد مصالحها أو قواتها أو مواطنيها واستغلال نقاط الضعف والولوج من خلالها لتحقيق مصالحهم وأهدافهم^(١). لذلك نجد أن الحروب اللاتماثلية تعرف بأنها الحرب التي تصف الصراع الذي تكون فيه مصادر وموارد المتحاربين والخصوم مختلفة اختلافا جوهريا سواء على مستوى المقاومة أو التفاعل، وتتميز بمحاولة استغلال نقاط الضعف عند بعضهم البعض من خلال استخدام تكتيكات غير مألوفة وغير خطية من أجل خلق حالة من التوازن في الكمية والنوعية لدى الخصم^(٢). وأتفق الخبراء العسكريين على أن حروب الجيل الرابع صنيعة أمريكية طورت من قبل قيادة الجيش الأمريكي وسميت بالحروب اللامتناظرة، ونشأت عندما وجد الأمريكيين أنفسهم يحاربون كياناً لادولتياً لا يعتمد وطناً له ولا دولة ولا جيش نظامي، بل تنظيم يحمل طابع ديني عقائدي أو سياسي بأيدولوجية محددة، ويمتلك إمكانيات جيدة لضرب مصالح حيوية لدول أخرى لإضعافها أمام الرأي العام الدولي مثل تنظيم القاعدة، وتنظيم داعش الإرهابي فيما بعد، وفي هذا الجيل من الحروب تستغل وسائل الإعلام الحديثة والتقليدية إلى جانب العمليات الإستخباراتية للقيام بدور كبير لإضعاف الخصم والتأثير عليه^(٣).

ومن هذا المنطلق ذهبت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مراجعة لاستراتيجيتها في عام ١٩٩٩، عندما عرفت أنها بحاجة إلى محاولة الالتفاف وتفويض قوة الولايات المتحدة من خلال استغلال نقاط ضعفها، من خلال استخدامها لنهج اللاتماثلية الذي يقوم على التأثير النفسي الكبير كالصدمة وإثارة الفوضى والارتباك الذي يؤثر على الخصم، وتوظيف الأدوات غير التقليدية الأكثر إبداعاً في التكتيك مثل الأسلحة والتكنولوجيا والتي يمكن أن تطبق على جميع المستويات من الحرب الإستراتيجية والعملياتية والتكتيكية وعبر جملة من العمليات العسكرية، وفي ضوء تلك التعريفات حدد (ديفيد كيلكولان) أربعة أبعاد رئيسة لها وهي :

- ١_ عدم التماثل التكنولوجي.
 - ٢_ الاختلاف والتباين في الأسلوب والأدوات.
 - ٣_ عدم التماثل في الصالح والأهداف .
 - ٤_ عدم التماثل في الثقافة والقيم ويبقى الاختلاف في الجانب التكنولوجي هو الأكثر وضوحاً.
- وفي عام ٢٠٠٦ صدر كتاب "الحبال والصخرة" للكونونيل المتقاعد (توماس هامز) التي تكلم فيه عن حروب الجيل الرابع وأوضح فيه أن التمردات والصراعات الداخلية والاحتجاجات قادرة على هزيمة الدولة من الداخل، وعلى كافة المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية للدولة ومهاجمة

^١ _ محمد المصري، الحرب اللامتماثلة ونظرية الأمن الإسرائيلي ٢٤ آذار ٢٠١٤، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط التالي <http://alma3raka.net/>

^٢ _ عادل عبد الحمزة البديري و سرمد زكي الجادر، المصدر السابق، ص ٦٧-٦٨. **لمزيد ينظر كذلك:** اشرف أبو الهول، حروب الجيل الرابع: محاولة للفهم والتمييز، مقال متاح على الرابط التالي <http://www.ahram.org.eg>

^٣ _ صلاح الدين أبو بكر الزيداني، الحرب الهجينة : ثورة المفاهيم الإستراتيجية، ١١ يناير ٢٠١٤، مقال متاح على الرابط التالي.

عقول صانعي القرار داخل الدولة (١). فهي تعتمد إشكال محددة من حرب العصابات والتمرد، حيث تقوم باستخدام عصابات من المقاتلين تكون صغيرة ومتنقلة تعمل أحيانا بدون زي عسكري رسمي، وتقوم بمهاجمة الأجنحة والمناطق الخلفية من التشكيلات العسكرية الأكبر حجما وأهمية وأقل حجما، بحيث تشن هجوما ثم تنسحب، كما أن مقاتليها يستخدمون بشكل مكثف الافخاخ والألغام والكمائن والاعتياالات لإضعاف الخصم وهزيمته، كما تلجأ إلى إستراتيجية التمرد للسيطرة على ارض ما من خلال استخدام المنظمات السياسية غير القانونية والقوات المسلحة غير النظامية، فضلا عن طبيعتها السرية، إذ يمارس المتمردون نشاطهم ضمن مجموعة من السكان المدنيين على نطاق واسع، وبذلك في كثير من الأحيان تتقاطع حرب العصابات مع حركات التمرد لان العناصر العسكرية في حركات التمر في الغالب عصابات مسلحة، إما حرب العصابات ليست دائما جزءا من حركة التمرد ولا تلجأ حركة التمرد دائما إلى حرب العصابات (٢).

ومن خلال ماتقدم، نجد أن هنالك مجموعة من الخصائص التي تتميز بها حروب الجيل الرابع مايتي:

- ١ الامتداد الزمني: ويعني بأنها تمتد لسنوات، وفي بعض الأحيان لعقود طويلة، وتتمثل بحرب الولايات المتحدة ضد فيتنام التي استمرت لأكثر من عقد (٣).
- ٢ أولوية الإبعاد السياسية على الأهداف العسكرية: ويعني أن الهدف الأساسي من خوض هذا النوع من الحروب لتحقيق أهداف سياسية بالدرجة الأولى وليست عسكرية. فالهدف من الحرب ليس هزيمة الخصم ودحره بحرب تقليدية وإنما تحقيق هدف سياسي بكسر إرادته ورفع تكلفة خسائره الحربية.

^١ الجيل الرابع من الحروب: أبعاد وانعكاسات وتهديدات، مجلة درع الوطن: مجلة عسكرية وإستراتيجية، ١/١/٢٠١٤/ الإمارات العربية المتحدة، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت، على الرابط <http://nationshield.ae> **للمزيد ينظر:** محمود محمد علي، حروب الجيل الرابع وجدل الأنا والآخر، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ٢٠١٩، ص ص ٧-٨. **للمزيد أيضا ينظر:** محمود محمد علي، كيف تتعافى الدول من حروب الجيل الرابع، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٩، ص ص ١١-١٢. **للمزيد ينظر:** جارش عادل، التهديدات الأمنية اللاتماثلية في المجال المغاربي وأساليب المواجهة، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط التالي: <https://www.politics-dz.com>

^٢ أوستن لونج، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط١، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٤، ص ص ٢٤-٢٥.

^٣ Col.Thomas X hammes, Countering Evolved Insurgency Networks, Military Review, July - August 2006, p.151.

فهي حرب استنزاف كما في الحرب الأمريكية في فيتنام والتجربة السوفيتية في أفغانستان في ثمانينيات القرن العشرين^(١).

٣ الهدف من الحرب استهداف الجبهات الداخلية والنسيج الاجتماعي القيمي: أن من أهم خصائص حروب الجيل الرابع أنها تستهدف الجبهات الداخلية وهم المدنيين وذلك لأن هيكل الدعم والإسناد لحركة التمرد يضم كل من المدنيين والمقاتلين معا لتحقيق أهدافها، كما أنها مستويات القتال تكون داخل المناطق المكتظة بالسكان^(٢).

٤ توظيف الحرب التكنلوجي معلوماتية: في هذا النوع يتزايد اعتماد العدو على القوة المعلوماتية وتوظيف الإعلام ووسائله بالشكل الذي يحقق يقلل من شعبية النظام السياسي والتفاف الجماهير حوله من خلال بيان الانتهاكات العسكرية الجسيمة التي يقترفها تجاه المدنيين وحقوقهم^(٣). اتخذت شكلا جديدا واستحدثت وسائل وأساليب جديدة تزامنا مع التطور التكنولوجي المستمر، وان أهدافها لا تقتصر على الجانب العسكري فقط وإنما تمتد إلى الجوانب المجتمعية وتعتمد على إستراتيجية الهدم من الداخل من خلال استهداف المجتمع المدني بكل مكوناته، بدلا من الدخول في مواجهة مسلحة ضد القوات المسلحة للدولة المستهدفة، في حين نجد أن الأجيال الثلاثة السابقة من الحرب تعتمد بالدرجة الأولى على الاستخدام المباشر للقوة العسكرية لتحقيق أهداف الدولة المعتدية، بينما تعتمد الحروب اللاتماثلية على القوة الذكية وهي مزيج من القوة الصلبة والقوة الناعمة في إستراتيجية شاملة واحدة فاعلة^(٤).

٥ تدخل الأطراف الخارجية المتمثلة بالفواعل التقليديين وغير التقليديين: أنها لا تقتصر على طرف واحد ومباشر وإنما تتعدد الأطراف وبصورة غير مباشرة، فمثلاً قد تلجأ دولة ما أو فواعل من غير الدول إلى تقديم الدعم والمساعدة لمقاتل دولة معينة أو جماعة مسلحة لخوض الحرب وتحقيق مجموعة من الأهداف السياسية ويتمثل بإطالة أمد الحرب أو استنزاف الخصم، وتحددها مجموعة من التباينات الكبيرة بين المقاتلين في القوة العسكرية الكلية وفي طبيعة وطريقة تنظيم تلك القوة وتوظيفها على حد سواء^(٥).

¹ _Michael J.Artelli And Deckro,Richard F,Deckro ,Fourth Generation Operations ;_principles For The Long War,Small Wars And Insurgencies ,Vol,19,No 2,June 2008,p.227.

² _Martin Van Creveld , Technology And War II, To 1945; Postmodern War? In Charles Townshend,The Oxford History Of Modren War,New York; New York; Oxford University Press,2000,p.357.

³ _ Minwoo yun insurgency warfare as an emerging new modes of warfare and the new Enemy , the Korean Journal of Defense Analysis ,Vol 22 ,No 1 ,March 2010 , p114. <https://www.tandfonline.com/doi/abs/>

⁴ _ هشام الحلبي، حروب الجيل الرابع والأمن القومي، ط١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٢٠، ص ص ٧_٨.

⁵ _ اوستن لونغ، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، المصدر السابق، ص ٢٤.

٦ أن الحروب اللاتماثلية لا يوجد لها معالم واضحة وثابتة ومحددة، إذا تعددت ساحاتها القتالية حيث ينتشر القتال في أماكن متعددة وغير محددة، إذ لم تعد عمليات حركات التحرر تقتصر على منطقة جغرافية محددة، وباتت تستهدف المناطق والمواقع والمدن الهامة في الدولة.

لذلك نجد أن هنالك علاقة وثيقة بين حروب الجيل الرابع وبين الإرهاب الدولي الذي يمارس خارج قوانين الحرب ويتم تنفيذها من قبل الفواعل خارج نطاق الدولة والتي تتصل معها مصالح أو تتعاطف معها دولة فاعلة مما يعبر عنه بحروب الوكالة وعادة ما يتم ذلك لإعطاء صفة السرية والإنكار من قبل الدولة الفاعلة^(١).

ويرى الكثير من الاستراتيجيين العسكريين أن حروب الجيل الرابع حروبا أمريكية، بدأت منذ عام ٢٠١١ الولايات المتحدة وحلفائها في تحقيق مخطتها لبناء الشرق الأوسط الكبير أو الجديد من خلال استخدام وسائل أو أدوات الحرب اللاتماثلية في بث الفرقة بين الشعوب ومؤسسات الدول المستهدفة والسعي لنشر الفوضى الخلاقة داخل الدولة نفسها من خلال أنهاك مؤسساتها، والسعي لتحطيم اقتصادها مستغلين بذلك الانفلات الأمني الناتج عن حركات التغيير العربي، وسقوط أنظمة لإعادة بناء المنظمة بما يلائم الإستراتيجية الأمريكية ومصالحها وتقسيمها على نحو عرقي طائفي، وقد ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي والغزو التكنولوجي في دعم الحروب اللاتماثلية، لتشتيت الرأي العام وتوجيهه في مسار معين ومحدد خدمة لمصالحها بالتزامن مع التظاهرات الجماهيرية في المدن الكبرى من أجل إضعاف الدول ومؤسساتها وتشتيتها^(٢).

وتعد منطقة الشرق الأوسط واحدة من أهم مناطق التفاعل الاستراتيجي العالمي نظرا لأهميتها الإستراتيجية بالنسبة للقوى الدولية الكبرى، لذلك نجد أن هنالك تخطيطا استراتيجيا استثنائيا تجاه هذه المنطقة بهدف الهيمنة عليها مرة لأهميتها الجيو استراتيجية ومرة لأهميتها الجيو اقتصادية، انطلاقا من هذه الأهمية أفردت الولايات المتحدة الأمريكية مساحة كبيرة لها في أجندتها الخارجية وتصورتها الإستراتيجية، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بخلق قوس من عدم الاستقرار والفوضى التي تبدأ من لبنان وفلسطين فسوريا والعراق، فالخليج فايران وصولا إلى أفغانستان، من خلال التوظيف الداعشي الذي يمثل جزءا من آليات مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي طرحته (كوندليزا رايس) في حزيران / ٢٠٠٦، والذي تضمن خلق من عدم الاستقرار والفوضى لإعادة رسم خريطة منطقة الشرق الأوسط بما يتناسب مع التعديلات الإستراتيجية التي أجرتها الولايات المتحدة الأمريكية على مخططاتها الجديدة لتحقيق أهدافها في إطار بيئة إستراتيجية جديدة^(٣).

كل تلك التغييرات التي أعادت رسم معالم الخارطة الجديدة للمنطقة بدأت من العراق و ولادة ما يسمى بـ (الربيع العربي) وقيام ثورات وانتفاضات في العديد من دول المنطقة العربية وصولا إلى حروب داخلية

^١ Ekaterina Stepanova; Terrorism In Asymmetrical Conflict Ideological And Structural

Aspects, Sipri Research Report No.23.Oxford.Univ Press 2008,p28 .

^٢ _ غادة عبد الفتاح عبد العزيز، برنامج في التاريخ قائم على أدوات حروب الجيل الخامس لتنمية مهارات موثوقية المعلومات والاتصالات الرقمية لدى طلاب كلية التربية ومدى تأثيره على اتجاهاتهم، المجلة التربوية، بلا مجلد، العدد ٦٨، ديسمبر ٢٠١٩، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٩، ص ٣٤٣٧.

^٣ _ عادل عبد الحمزة البديري _ سرمد زكي الجادر، المصدر السابق، ص ٨٢.

وصراعات وعدم استقرار انتهت باستخدام تنظيم داعش الإرهابي لهذا النوع للتسريع من إعادة هدم المنطقة ورسمها وهيكلتها وفقا للتصورات الأمريكية الجديدة^(١). لذلك نجد أن ابرز تطبيقات الحروب اللاتماتلية تتمثل بإستراتيجية الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية التي تقوم على ركيزتين أساسيتين وهي التدخل والفوضى الخلاقة فالأولى تقوم في البحث عن بؤر التوتر ومن ثم إقليمية جديدة تتناسب والرؤى الإصلاحية للولايات المتحدة وتدعم توجهاتها الفكرية. أما الثانية فهي محاولة تغذيتها واستخدامها في إشعال الصراعات الإقليمية في مناطق النفوذ للقوى الأخرى المنافسة لها، ومن ثم التحكم بهذه الصراعات لإنهاء القوى بشكل جماعي، وفي النهاية يتم التدخل الأمريكي لإنهاء هذه الصراعات بعد ضمان سيطرتها على منطقة النزاع مستغلة قوتها العسكرية لحسم الصراع على اعتبار انهل تمثل الضامن النهائي والأخير لحل الصراعات وإنهائها^(٢). لذلك قامت الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام الحروب اللاتماتلية لإعادة رسم منطقة الشرق الأوسط بتوظيف تنظيم داعش الإرهابي لخلق ركانز أساسية تتمثل بماياتي: (٣).

١ خلق إقليم جديد تضطلع الولايات المتحدة بدور كبير في إعادة رسمه بما يحقق أهدافها ومصالحها الجديدة، وإعادة هيكلة قواعد اللعبة السياسية في المنطقة لصالح قوى جديدة من خلال آليتين: تفكيك التحالفات القديمة وإعادة إنشاء تحالفات ومحاور جديدة وهو ما يتضح من خلال السعي الأمريكي لتفكيك المحور الإيراني _ اللبناني _ السوري، أما الآلية الثانية تتمثل بتقليل الاعتماد على القوى والأحلاف التقليدية وخلق تحالفات جديدة وحلفاء جدد.

٢ خلق بيئة جديدة للولايات المتحدة من أجل السيطرة على المنطقة بالشكل الذي يجعلها الفاعل الرئيس والأساس والرفيق على سلوكيات وتفاعلات دول المنطقة ومن ثم ترسم التفاعلات الإقليمية والعالمية بالشكل الذي يحقق مصالحها وأهدافها الجديدة، من خلال خلق الأزمات والصراعات الإقليمية وصناعة الحلول الناجعة لإدارتها بالشكل الذي يحقق مقاصدها الرئيسة.

وأخيرا يتضح مما تقدم يمكننا القول بان أن حروب الجيل الرابع تهدف إلى تحقيق أهدافها من خلال الخروج عن قوانين الحروب التقليدية ومثل تنظيم داعش الإرهابي إحدى تطبيقات الحروب اللاتماتلية الذي عمل على إشاعة بؤر التوتر والصراعات المذهبية والطائفية والعرقية، وهدم الدولة من الداخل من خلال التركيز على هدم الجانب المجتمعي _ القيمي _ الديني، والذي أدى إلى إعادة رسم وهيكله وبناء الشرق الأوسط بما يحقق الأهداف والمصالح الأمريكية ويتناسب مع توجهاتها الفكرية الجديدة.

^١ _ المصدر نفسه ، ص ٨٢.

^٢ _ ريتشارد ن هاس _ مارتين أندريك، انه وقت التجديد للدبلوماسية : نحو إستراتيجية أمريكية جديدة في الشرق الأوسط، في ريتشارد ن هاس وآخرون، استعادة التوازن، إستراتيجية الشرق الأوسط برسم الرئيس الجديد، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٤.

^٣ _ خليل العناني، دلالات التحول في خريطة الشرق الأوسط في الإستراتيجية الأميركية في المنطقة: مشروع الشرق الأوسط الكبير، القسم الثاني ، مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية ، شباط ٢٠٠٥، ص ١٤.

المحور الثاني

تحولات أجيال الحروب وتكتيكات التوظيف

في الواقع يستعمل مفهوم (جيل) أو (أجيال) لتوصيف التطور الحاصل في الحروب، وتمييزها من حيث الأدوات المستعملة وطريقة إدارتها من جيل إلى جيل آخر، لذلك يبقى هنالك اختلافاً وتباين بين المحللين الاستراتيجيين في تعريف أجيال الحروب وازنتها، نتيجة لاختلاف المعايير التكتيكية والعسكرية، فنجد أن التطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها النظام الدولي خلال المائة عام السابقة، كان لها تأثيراً كبيراً في حدوث تسارع في تطور أجيالها، والتي بدأت أولها منذ الحرب العالمية الأولى في نهاية الجيل الأول وبداية الجيل الثاني ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ برز الجيل الثالث ثم الجيل الرابع وما تلاه من تطور في أجيالها وإستراتيجيتها الجديدة، وقد صنفت أجيال الحروب وفقاً لتصنيفات رئيسة وكماياتي:

١ حروب الجيل الأول: يعرفها الخبير العسكري والكاتب الأمريكي (ويليام ليند) بأنها حروب الحقبة التي تمتد بين العامين (١٨٦٠ _ ١٦٤٨)، والتي عرفت (بالحروب التقليدية)، وأطلقت عليها هذه التسمية استناداً إلى إستراتيجيتها التي تقوم رحاها بين جيشين نظاميين على أرض واحدة وفي ميدان محدد، وتكون المواجهات مباشرة بين خصمين أو أكثر من خلال استخدام التكتيكات التقليدية^(١). والتي تعتمد على الشجاعة والإقدام والفروسية ويعتمد على المناورات والالتفاف والتطويق وضرب الخصم في الأهداف التي تقضي عليه وتحقق أهداف الخصم^(٢).

٢ حروب الجيل الثاني: يتميز هذا الجيل الذي يعرف بحرب العصابات أو الحرب الثورية وتكون بين جيش نظامي تقليدي وبين مجموعات قليلة العدد نسبياً لتحقيق أهداف معينة، وهي شبيهة لحد ما بالجيل الأول، وظهرت نتيجة التطور التكنو _ معلوماتي الذي حدث في تقنيات الأسلحة تكتيكات المناورة والحركة والنيران والدبابات والطيران، وكذلك الإفراط في استخدام المدافع وانتشار المدرعات الثقيلة من أجل استنزاف قوات العدو، إذ اعتمد في البداية على القصف المدفعي ثم يليه احتلال الأراضي بعد إحراقها، من خلال الاعتماد على المبدأ القائل "المدفعية تهزم والمشاة تحتل" وهو ما جعل النيران الكثيفة هي السلاح الحاسم في المعركة لتحقيق الأهداف وتراجع الخصم، ويعتمد ذلك على إستراتيجية التنسيق بين أسلحة المدفعية والمدرعات والمشاة إلى جانب التركيز على الطاعة والنظام والانضباط العسكري، ولا تعتمد على المبادرة التي تخل بعنصر التنسيق بين الأسلحة المختلفة، فضلاً عن، اعتماد أسلوب ونهج محدد يتم من خلاله تدريب الضباط على تطبيقه، مما يحتم اللجوء إلى استخدام أسلوب المفاجأة والمباغطة في العمليات

^١ _ جهاد محمد حسن، حروب الجيل الرابع وتوظيف الميليشيات والمرتبقة، بلا طبعة، مركز بيت المقدس للدراسات، بلا سنة،

ص ١١. للمزيد ينظر كذلك: ألاء ناصر حسين، و فراس عبد المنعم عبدالله، الحماية الجنائية لأمن الدولة الداخلي في ظل حروب الجيل الرابع، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد ١٠، العدد ٢، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة ديالى، ٢٠٢١، ص ٤١ _ ٤٢. للمزيد ينظر أيضاً: حسن سلمان خليفة، الحروب اللامتماثلة وتوازن القوى: سيف القدس أنموذجاً، مركز حمورابي للبحوث والدراسات، العدد ٣٩، بغداد، خريف ٢٠٢١، ص ٣٧ _ ٣٨.

^٢ _ محمد عبد ربه المغير، الجبهة الداخلية من حروب الجيل الخامس، مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، المجلد الأول، العدد الثاني، المركز الديمقراطي الألماني، برلين، كانون الأول ٢٠١٨، ص ٤٧ _ ٤٨.

القتالية ضد الجيوش النظامية لتحقيق أهدافها من خلال حروب صغيرة ومتعددة تضعف قدرته وتجعله يتراجع عن أهدافه تحت وطأة الضربات المتلاحقة والسريعة من قبل خصم يظهر ويختفي.^(١)

٣ حروب الجيل الثالث: ويعرف هذا النوع (بالحروب الوقائية) أو (الإستباقية) التي انطلقت من طروحات إستراتيجية (الردع بالشك) وهي تمثل نظرية سياسية عسكرية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، من خلال توجيه ضربات استباقية وشن الحرب كل من شأنه أن يهدد الأمن القومي الأمريكي أو السلم العالمي، وتشكل الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ أنموذجاً عنها، ويرى (وليام ليند) إن الألمان هم من طوروا هذا الجيل خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، باعتمادهم أسلوب المرونة والسرعة في الهجوم نتيجة لقيام الجيش الألماني بتطبيق الحروب الخاطفة، فضلاً عن التقدم التكنولوجي _ العلمي خاصة الطائرات المقاتلة وظهور الدبابات ونظم المعلومات^(٢).

٤ حروب الجيل الرابع: ظهر مفهوم الجيل الرابع في الأدبيات السياسية والعسكرية للمرة الأولى في النقاشات داخل الولايات المتحدة عام ١٩٨٠، ثم ظهر المفهوم بصورة تدريجية في مقالة نشرها أحد ضباط الجيش الأمريكي بعنوان "الوجه المتغير للحرب: إلى الجيل الرابع"، ونتيجة أيضاً لانهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١ وظهور العولمة وسيطرتها على مجالات الحياة كافة، وشيوع فكرة (القولبة _ النمذجة) في الجوانب المختلفة، ولاسيما الجانب الثقافي. فضلاً عن، انتشار الحروب والصراعات التي خاضتها الولايات المتحدة في العراق في عام ٢٠٠٣، ليؤكد طبيعة اختلاف الحروب والصراعات عن سابقتها^(٣). حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في تحقيق مخططها لبناء الشرق الأوسط الجديد، من خلال بث الفوضى الخلاقة داخل الدولة نفسها وإنهاك مؤسساتها والسعي لتحطيم اقتصادها مستغلين بذلك الانفلات الأمني الناتج عن ثورات الربيع العربي، وسقوطها لإعادة بنائها بما يلائم المصالح الأمريكية والغربية وتقسيمها على نحو عرقي _ طائفي، وتشتيت الرأي العام وتوجيهه بالشكل الذي يخدم مصالح الدول الخارجية، في الوقت الذي تزامن مع تشتيت جهود الدولة لإنقاذ الموقف، حيث تمثل حروب الجيل الرابع صراع الإرادات السياسية مع ابتكار مبررات أخلاقية _ قانونية لخدمة مصالحها مثل منظمة حقوق الإنسان^(٤).

^١ William S . Lind.Understanding Fourth Generation War, Milita, Review ,September / October 2004,p12.

^٢ George Michael, Counter Insurgency and Lone Wolf Terrorism, Terrorism and political Violence,Vol26,No1,January 2014.p46.

^٣ _ الجيل الرابع من الحروب: أبعاد وانعكاسات وتهديدات، مجلة درع الوطن: مجلة عسكرية وإستراتيجية، ٢٠١٤/١/١/ <http://nationshield.ae> على الرابط
المزيد ينظر كذلك: مصطفى تاهمي، البعد المعلوماتي في الحروب اللاتماثلية دراسة التنظيمات الإرهابية: داعش أنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة زيان عاشور _ الجلفة، ٢٠١٦/٢٠١٧، ص ٤٤ _ ٤٥.

^٤ _ غادة عبد الفتاح، برنامج في التاريخ قائم على أدوات حروب الجيل الخامس لتنمية مهارات موثوقية المعلومات والاتصالات الرقمية لدى طلاب كلية التربية ومدى تأثيره على اتجاهاتهم، المجلة التربوية، العدد ٦٨، كلية التربية، جامعة عين شمس،

ولعل أهم الأسباب لتطور إستراتيجية الحروب هي أن احتلال الأرض لم يعد مجدياً أو ضرورياً لتأكيد حصول الدولة على مصالحها الرئيسية للاستدامة الاقتصادية، لاسيما في عصر العولمة التي تتمثل بعولمة الإنتاج وتحرير التجارة العالمية وبروز الشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات، فضلا عن التطور التكنولوجي - معلوماتي الذي أكد على أن الدولة أصبحت بحاجة إلى السلع الناقصة لسد حاجتها والعثور على البدائل^(١).

أن التحول الذي حدث في أجيال الحروب التقليدية يعود إلى جملة من العوامل الرئيسية إذ لم يعد الخصم واضح بدرجة كبيرة، فضلا عن ذلك، أن البيئة العالمية شهدت تغييرات وتطورات في مجال تكنولوجيا التسليح وانعكاساتها على الإستراتيجية العسكرية مما أدى إلى تغيير في الروى والعقيدة العسكرية الإستراتيجية للدولة، ومن هذا المنطلق نجد أن هنالك مجموعة من الفرضيات الأساس والسرديات الرئيسية التي أدت إلى تطور إستراتيجية الحروب وأبرزها كالآتي: (٢)

١ - تغير طبيعة الخصوم أن من أهم فرضيات تطور الأجيال المتخلفة من الحروب هو التزامن بين تطور أنماط جديدة للصراعات وتطور أنماط الحروب الجديدة، فضلا عن تغير طبيعة الخصم، والتي تعد من أهم محددات تطور أجيال الحروب المختلفة، ويشير فان كريفلد في كتابه (تحولات الحرب) انه من بين أكثر من ١٦٠ مسلحا حول العالم خلال المدة بين ١٩٤٥ - ١٩٩١ فان ٧٥% لا تنسم بأنها منخفضة سواء كانت حرب عصابات أو أعمالا إرهابية، لذلك نجد أن الحروب اللاتماثلية اقتصرت على الدول والجماعات المنظمة أو شبه المنظمة مثل حركات التمرد والتنظيمات الإرهابية.

٢ - تطور في طبيعة أهداف الحروب التي تسعى لتحقيقها.

٣ - التحولات والتطورات في مراكز الثقل التي تميزت بها طبيعة الحروب في الأجيال الثلاثة الأولى، إذ تميز العمل العسكري بالتركيز على مهاجمة مراكز الثقل الخاص بالعدو لتدميره في معركة مادية.

٤ - أن تكلفة استخدام القوة العسكرية مكلفة جدا وتعمل على استنزاف القوة الاقتصادية للدول، لذلك عمدت هذه الدول إلى خلق ما يسمى الحرب الأقل تكلفة، فضلا عن، المسؤولية القانونية الدولية التي تتحملها الدول في حالة اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية.

٥ - تراجع احتكار القوة وحدوث تحولات في مفاهيمها في النظام العالمي، إذ لم تعد الدولة صاحبة السيادة والمحتكرة للقوة المسلحة، فقد شهد النظام ظهور فاعلين من غير الدول قادرين على استخدام القوة وشن

ديسمبر ٢٠١٩، ص ٣٤٣٧-٣٤٣٨. للمزيد ينظر كذلك: سهام بوهالي، التهديدات اللاتماثلية وانعكاساتها على الأمن الإقليمي لمنطقة شمال أفريقيا، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد ٩، الجزائر، ديسمبر ٢٠١٧.

١ - الآن ستيفنز و نيكولا بيكر، منطق الحروب واستراتيجيات القرن الحادي والعشرين، ترجمة ادهم وهيب مطر، بلا ج، بلا ط، دار رسلان للنشر، سوريا، ٢٠١٦، ص ٢٦٤. للمزيد ينظر: صدام عبد الستار رشيد، الحروب المستقبلية للولايات المتحدة الأمريكية، مجلة قضايا سياسية، العدد ٦١، كلية العلوم السياسية، جامعة النهريين، بغداد، السنة الثانية عشر ٢٠٢٠، ص ٢٢٨.

٢ - شادي عبد الوهاب منصور، المصدر السابق، ص ١١. للمزيد ينظر كذلك: بوعلام برزق، التهديدات الأمنية اللاتماثلية وأثرها على السلم والأمن في إفريقيا، مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، المركز الديمقراطي العربي-برلين/المانيا/ العدد ١ -أيلول/سبتمبر/ ٢٠١٨، ص ١٣٢-١٣٣. للمزيد ينظر: روبرت غيلبن، الحرب والتغيير في السياسة العالمية، ترجمة عمر سعيد الأيوبي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٤٦-١٤٧.

الحرب مثل التنظيمات الإرهابية وعصابات الجريمة المنظمة وتعتمد بالدرجة الأولى على كاريزمية القيادة أكثر من اعتمادها على العوامل المؤسسية.

أما بصدد تكتيكات التوظيف التي من الممكن أن تلجا إلى توظيفها المجاميع الإرهابية أو الجهات الحكومية، التي تستخدمها من خلال مجموعة من الأدوات والتكتيكات وتتمثل بماياتي: (١).

١_ تكتيكات حرب العصابات والعمليات الاستشهادية والخلايا الأمنية النائمة وتوجيهها لتحقيق الأهداف المراد منها تحقيقها.

٢_ استخدام الحرب النفسية والذهنية المتطورة وأدواتها ووسائلها المتطورة وتتمثل بالإعلام والانترنت والتلاعب النفسي وتحريك الرأي العام بالشكل الذي يحقق أهدافها.

٣_ استخدام الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية.

٤_ توظيف الميليشيات والقوات المحلية والدولية مختلفة الجنسيات وهنا يبرز دور الميليشيات والمرتزة والشركات الأمنية، فضلا عن، دور المتقاعدين العسكريين في إدارة تكتيكات الحروب اللاتماتلية، بالاعتماد على الخبرة في المجال الاستراتيجي _ العسكري.

٥_ أن التطور التكنو _ معلوماتي لاسيما تكنولوجيا النانو والهندسة الجينية والحواسيب المتطورة والرادار التموجي وتشكيل الجيوش السيبرانية، والطائرات بدون طيار والمسيرات وغيرها، لتصبح أدوات لهذا النوع من الحروب التي لم يكن من الممكن الحصول عليها في الحروب التقليدية، وترى العديد من الدراسات أن كل هذه الوسائل توظفها دولة ما في سبيل إخضاع الدولة المستهدفة عن طريق جعلها دولة فاشلة وهشة من الداخل وضعيفة، وبذلك تصبح خاضعة للضغوطات والتدخلات الخارجية وتصبح الأرض صالحة للنفوذ والسيطرة.

٦_ كما تمارس الحرب المعلوماتية دورا كبيرا وهاما يتمثل في مساندة الميليشيات من خلال مرافقتها للآلة الإعلامية التي تضخ الإخبار والمعلومات ودورها في صناعة الرأي العام وإضفاء الشرعية على ممارستها وتضليل الجماهير وإعطاء الصورة المختلفة تماما عن الواقع من خلال اعتمادها على التضخيم والتشويش والإقناع في أحيان أخرى، وهنا يبرز دور جيش الذباب الالكتروني إلي يمارس دوره إلى جانب الميليشيات وهو ذباب مدعوم على مستوى الدول والحكومات مقابل المال، وهناك العديد من الشركات الإعلامية التي تدعم هذا النوع من الحروب وتلتقي بنفس مبدأ المرتزة لتحقيق الربح المادي وتغيير الرأي العام وضخ قناعات معينة وصناعة تصورات وأفكار ومسارات محددة لتخدم أجندة ممولي الميليشيات، حيث لا تزال الأنظمة والحكومات توظف الإعلام والمؤسسات الدعائية والمرتزة والذباب الالكتروني لصناعة واقع مغاير لما يجري على الأرض(٢).

١_ جهاد محمد حسن، المصدر السابق، ص ص ١٨_١٩.

٢_ جهاد محمد حسن، المصدر السابق، ص ص ٢٥_٢٦. للمزيد ينظر كذلك المقال المتاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنت.

وأخيرا يمكننا القول ان حروب الأجيال الحديثة تختلف عما سبق كونها تجاوزت مجالات الصراع التقليدية، لتصبح شكلا من الحروب غير المقيدة، التي تجمع في الوقت ذاته بين الحروب الاقتصادية والسيبرانية والمعلوماتية والحروب الهجينة وحروب أسلحة الدمار الشامل وحرب المخدرات والبيئة، وان ما يميز هذه الحروب هو انه يمكن تطبيقها حتى في حالة عدم وجود صراعات عسكرية عنيفة معلنة بين الدول، وهي إحدى الوسائل التي يمكن أن توظفها العناصر أو الجماعات المنخرطة في الصراع سواء كانت حكومية أو الجماعات الجهادية والمتمردة التي قد تشترك أو تنفرد في توظيفها وإدارتها.

المحور الثالث

الفرضيات الأساس في تطور المستويات الثلاثية لإستراتيجية الحروب اللاتماثلية

ترتكز الحروب اللاتماثلية في نظريتها إلى تحقيق فكرة إسقاط الدولة من خلال استخدام الأفكار المستحدثة التي باتت تبني على التطورات التكنولوجية في علم الحرب، من خلال التوسع في الاتجاهات نتيجة التطور العلمي لنظم القتال من أجل إسقاط الخصم وإفقاده السلطة ومن ثم احتلاله^(١). حيث يركز هذا النوع من الحروب بفلسفتها في بعدين: التقدم التكنولوجي واستخدام الوسائل والتكتيكات غير التقليدية والتي في الغالب تقترن بالفاعل من غير الدول ضد الدولة وتنفيذ أساليب متنوعة من القتال الحربي مثل حرب العصابات والإرهاب و الحرب غير النظامية وما إلى ذلك، لاسيما وان هذا النوع ينشعب من الصراعات على الموارد التي تنصف بالندرة والقضايا القومية والدينية والجريمة العابرة للقارات مع ارتباطها بالإرهاب والهجرة غير الشرعية والنزاعات الحدودية وتفكك الدولة^(٢).

وينطوي المستوى الاستراتيجي العسكري باعتمادها على نشر قواتها وتحديد نتيجة المعركة عن طريق نوعية وكمية القوات العسكرية والأسلحة والقيادة والسيطرة التي تتميز بها كل طرف عن الآخر، حيث يكون هنالك عدم تماثل في العدد والعدة، فهي تلجأ إلى استخدام شيئا غير مالوف _ عادي لم يسبق له مثيل، بمعنى أن يكون هنالك عد تماثل واختلاف في القوة والعدة والعدد للقوات العسكرية لصالح طرف دون الآخر ويلجأ الطرف الأضعف إلى حالة الحرب اللانمطية تكتيكا من خلال اعتماد حرب العصابات والخاطفة^(٣). كما تلجأ إلى استخدام الترويع والذي يعد تكتيكا أساس لهزيمة الدولة المستهدفة، ويظهر ذلك من خلال تعميق الخلاف والسلم الوطني واستخدام الإرهابيين والمنشقين من أبناء الوطن لطحن مجتمعهم وخلق الاقتتال الطائفي _ الديني^(٤).

^١ _ غادة محمد عامر، تطور الصراع الدولي وفق التقدم التكنولوجي وظهور الحروب اللاتماثلية: الحروب غير النمطية، المركز الديمقراطي العربي،مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، العدد ٨، برلين، ٢٠٢٠، ص ٣٦.

^٢ _ عباس سعدون _ عقيل نعمة، الحروب اللاتماثلية : النشأة والتطور،مجلة قضايا سياسية، العدد ٦٥،كلية العلوم السياسية ، جامعة النهدين ، ٢٠٢١، ص ١٧١.

^٣ _ المصدر نفسه ، ١٧١.

^٤ _ غادة محمد عامر، المصدر السابق، ص ١٦.

أما على المستوى الميداني يلجأ إحدى الخصوم التي يتميز عن خصمه الآخر بميزة تجعله يتفوق عليه قوة، وذلك من خلال إتباعه تكتيكات تجعله يتلافى اللاتماثل الاستراتيجي الذي يتميز به خصمه، سواء كان الموقف دفاعيا أو هجوميا بالشكل الذي ينسجم مع أساليب اللاتماثلية ويتمثل ذلك بحروب (العصابات والحروب الثورية) التي تركز على استخدام تكتيكات دفاعية أو هجومية تميزها عن خصمها، وتتمثل بالانسحاب إلى الأراضي الوعرة وإتباع (استراتيجية الكر والفر) بحيث تعيق تقدم العدو، أو (الغارة على أهداف مفردة) وهو تكتيك عسكري بحيث تكون الغارة بشكل سريع وخاطف لضرب أهداف محددة عن طريق مجاميع صغيرة ومن ثم الانسحاب لإثارة الخوف والرعب وتشثيت العدو أو اللجوء إلى استخدام تكتيك المطرقة والسندان والتي تنطوي على إجبار الخصم على خوض المعركة بعدم توفير خيارات بديلة له، أو (تكتيك المشاغلة والهجوم بالالتفاف) من خلال مشاغلة العدو في مكان أو اتجاه معين تمهيدا للهجوم عليه من الخلف أو تكتيك (مصادم المغفلين) ويتمثل بصنع مصادم لانهام الخصم بوجود شيء هام وثمين أو وجود خطر، فضلاً عن، العديد من التكتيكات العسكرية التي تتميز بهجوم العدو على مواطن الضعف الحرجة لدى القوات العسكرية النظامية للتغلب عليها ودحرها^(١). كما تنطوي على الحروب بالوكالة من خلال اعتماد السرية من قبل مجاميع فاعلة خارج نطاق الدولة مثل الجماعات العابرة للحدود الوطنية أو جماعات داخل مجتمع الدولة سواء دينية أو قومية، حيث يقومون بالتحالف مع دولة معينة ويتعاطفون مع مصلحتها عبر أساليب غير تقليدية مثل الإرهاب وحرب العصابات بغية مواجهة القوات النظامية للدولة المستهدفة تمهيدا لإضعافها وتقسيمها، فقد تكون حروبا إقليمية أو أهلية تديرها جماعات مسلحة^(٢).

أما على المستوى القيمي الثقافي التكنو معلوماتي أن نظرية الحروب الجديدة في العلاقات الدولية، تشير إلى أن هنالك مجموعة من الأسباب التي أدت إلى بروز هذا النوع من الحروب أبرزها العولمة وتطور وسائل الاتصالات على هيكل الدولة ونظمها ومفاهيمها الداخلية لاسيما الضغوط الثقافية _ الإيديولوجية _ القيمية كل هذه الأسباب تؤثر مباشرة على تماسكها لاسيما التي تمس هويتها الثقافية _ القيمية والتي تحدث هذه العوامل في حالة الانشطار الفكري الهوياتي للدولة، فضلاً عن، دور مؤسسات المجتمع المدني سواء إيجاباً أو سلباً من خلال استيعابها لمفاهيم ومفردات دولية قد لا تكون مناسبة للدولة وشعبها والعكس صحيح، كل تلك العوامل من الممكن أن تجعل الدولة ومكونات تماسكها القيمي _ الديني سببا مباشرا للتقويض الداخلي الذي يؤدي إلى حدوث تنافر بسبب التعددية الفكرية والتي ينتج عنها صراع على مستوى الدولة وبروز الهوية الجماعية^(٣). حيث تتميز بخصائص اجتماعية تتمثل في الهوية والانتماء الثقافي التي تعد الهدف الأساس لها، فيكون الصراع ليس مجرد صراعا مباشرا مع الخصم وإنما يكون صراع ثقافات وقيم، بحيث يتجلى في استمرار العمل على انحدار الدولة وظهور ولايات وثقافات بديلة

^١ _ عباس سعدون و عقيل نعمة، المصدر السابق، ص ١٧٥.

^٢ _ مالك محسن، الحروب بالوكالة : إدارة الأزمة الإستراتيجية الأمريكية ، دار العربي للنشر، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٦٤.

^٣ _ محمد عبد الستار، الإيديولوجية والحروب، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ١٣٥٤٢، لندن، ٢٠١٥، ص ١٢.

ودخيلة عن الثقافة المحلية وغالبا ما تكون خارجية وغريب، فضلا عن، تقليل الانسجام المجتمعي وتضخيم جوانب الاختلاف لخلق المشاحنات وتدمير الروابط المجتمعية واستغلال الجوانب الضعيفة للتغلغل وبالتالي تدمير العدو^(١).

اخيرا يمكن القول ان حروب الجيل الرابع تختلف بصورة جذرية عن الجيل المعروف للحروب سواء من حيث الهدف منها أو أدوات تنفيذها أو طرق إدارتها، إذ كانت الجيوش تقود الحروب بصورة مباشرة وعلنية لتحقيق أهدافها السياسية، أما هذا النوع منها يتراجع دور القوات المسلحة ليحل محله قوات أخرى تستطيع إدارة مثل هذه الحروب عن بعد، أو قيادتها وراء الكواليس ومن الخلف وتعمل على إسقاط الدولة المستهدفة دون حاجة إلى التدخل العسكري الخارجي المباشر، وذلك باعتمادها على إستراتيجية المستويات لتحقيق أهداف معينة.

الخاتمة والاستنتاجات

شهدت إستراتيجية الحروب تحولات وتغييرات في طبيعتها ونظرياتها ومفاهيمها وأساليبها وأنماطها وأدواتها غير التقليدية، وأدت إلى حدوث تحول في مفاهيم القوة ومصادرها، فضلاً عن، حدوث تحول في طبيعة الفاعلين الدوليين، وانعكست بشكل رئيس على عقائد الجيوش القتالية واستراتيجياتها العسكرية على كافة المستويات الثلاثية مما أدى إلى خلق تهديدات أمنية غير نمطية، كما أنها أدت إلى حدوث تزاوج بين التكنولوجيا وبين تلك التهديدات اللاتماثلية، فأصبحت التكنولوجيا إحدى الوسائل المستخدمة من قبل الفاعلين من غير الدول التي تستخدمها لتحقيق أهدافها، لذلك تمثل حروب العصابات التي تمتزج باستخدام التكنولوجيا من قبل مجاميع وعصابات صغيرة تشن هجمات ضد الدولة التي لم تتوقع تلك الهجمات، فمثلاً نجد حرب المعلومات أو الفضاء الإلكتروني في جميع صورها تستهدف النفاذ إلى داخل دورة اتخاذ القرار للخصم وشل الخصم وإفقاذه السيطرة على القنوات وهي إحدى استراتيجيات الاقتراب غير المباشر لتقليل الخسائر المادية والتكاليف وفي الوقت ذاته عدم تحمل المسؤولية الدولية عن اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية، كما نجد الخصم يسعى إلى خلق صراع غير متكافئ طويل الأمد مع الطرف الآخر وليس السعي إلى خلق معركة حاسمة.

لذلك يمكن القول أن أطراف الحرب قد تغيروا ولكن منطق الحرب لم يتغير وثابت وهو نفسه اليوم كما كان عليه الحال في السابق، بمعنى أنها استمرت من حيث وجودها ولكنها اختلفت في سردياتها وأدبياتها وإشكالاتها وأنماطها وأدواتها بعد الحادثة، لذلك فإن هذا يقود إلى مجموعة من الاستنتاجات كماياتي:

١ **أنها تمثل إحدى مراحل التحول في مصادر القوة ومفاهيمها،** إذ لم تعد القوة تقتصر على الجانب العسكري، ولنما حلت محلها القوة الإلكترونية واستخدام التكنولوجيا والمعلومات والتجسس وتحقيق الأهداف من خلال استخدام أنماط القوة الغير خطية، بالشكل الذي يفاجئ الخصم ويخلق لديه الإرباك، لاسيما وإنها تقوم على أساس السرية والمفاجئة والاستباقية، مما يمكنه من تحقيق أهدافه بأقل الخسائر وخلال مدة قصيرة وبصورة سرية.

٢ **أن طبيعة هذه الحروب أدت إلى خلق لاعبين دوليين أو فاعلين خارج نطاق الدولة القومية، ومحاولة هؤلاء الاضطلاع بدور عالمي مستقل عن الدولة، وبالتالي أدى ذلك إلى محاولة تهميش دور الدولة**

^١ _ غادة محمد عامر، المصدر السابق، ص ١٥.

وانكشاف سيادتها القومية واضمحلالها، فلم تعد الدولة هي صاحبة السيادة وإنما بدأت تراجحها في ذلك فواعل لا دولتيه مستقلة تمارس دورها العالمي بشكل منفصل تماماً عن الدولة.

٣ بروز دور الشركات الأمنية كإحدى الفاعلين من غير الدول إلى جانب العديد من الفواعل التي تتخذ تسميات مختلفة، وزيادة دور المتعاقدين الخاصين في الحروب، كونهم يمثلون الأساس الذي تستند منه استراتيجياتها العسكرية الحديثة.

٤ أن الامتداد الديموغرافي لتلك الحروب أصبح أكثر محدودية من السابق وتمثل بصراعات داخلية داخل الإقليم والدول، إذ لم تعد أطراف الحرب تلجأ إلى توسيع نطاق حروبها وإنما تلجأ إلى استراتيجيات اللاتناظر لكسب الحروب وتحقيق أهدافها، ويتمثل باللجوء إلى الحروب الالكترونية والتجسس وسرقة المعلومات أو محاولة إثارة الصراعات القيمية الدينية.

٥ أن التهديدات الجديدة أدت إلى تراجع احتكار القوة حيث لم تعد الدولة الفاعل الرئيس والوحيد الذي يمتلك القوة، وإنما تتعدد الفواعل من غير الدول التي أصبحت تملك القوة وتراجحها والتي تتمثل بالمجاميع الإرهابية والشركات الأمنية الخاصة التي باتت تصنع استراتيجيات الحروب وتكتيكاتها.

٦ أدت الحروب اللاتماثلية إلى ظهور جيل ثالث من القوى خارج نطاق الدولة والتي اصطلح على تسميتها بـ (الفاعلون الافتراضيون)، وهي مجموعات منظمة ولكنها لا تعمل وفقاً لهيكل واضح، بل تنشط من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، إذ عززت العولمة من تطور وسائل التواصل الاجتماعي وبالتالي زيادة قدرتها على التأثير والتحكم في مجمل التفاعلات المحلية والإقليمية والدولية.

٧ أن الحروب المستقبلية هي قطعاً امتداداً للحروب الحديثة والتي تتخذ أشكالاً متنوعة وجديدة جعلت من الفضاء الالكتروني مجالاً للتنافس وشكلت نمطاً جديداً ومختلفاً عن غيرها من الحروب، والتي اختلفت من حيث إدارتها والأسلحة المستخدمة فيها عن تلك الحروب التي دارت بين القوى الكبرى (حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥).

٨ أن حروب الجيل الرابع تعتمد بدرجة كبيرة على الميليشيات والمرتزة ويزداد الأمر تعقيداً حيث تتعدد الميليشيات والمرتزة في خدمة القوى الخارجية الأجنبية المختلفة مثل ما حدث في ليبيا واليمن.

٩ كل تلك التهديدات الأمنية فرضت على الولايات المتحدة الأمريكية إعادة تقييم لإستراتيجيتها العسكرية بما يتناسب مع التحديات الأمنية الجديدة التي من الممكن أن تتعرض لها في المستقبل المنظور، لذلك أوجدت لها إستراتيجية جديدة ومختلفة غير مقيدة لمواجهة أعدائها وتحقيق أهدافها غير المعلنة على اعتبار أن أطراف النزاع يدركون طبيعة الأدوات والآليات التي لجأت إلى استخدامها في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠، لاسيما بعد تعرض إستراتيجيتها العسكرية للإخفاق والاختراق بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١. بطرحها استراتيجيات جديدة غير مألوفة ومعلنة بالنسبة لخصومها لتعزيز مكانتها وهيمنتها على النظام الدولي بطرحها لإستراتيجية الردع بالشك _ الوقائي.

قائمة المصادر والهوامش

الكتب العربية

١. الآن ستيفنز و نيكولا بيكر، منطق الحروب واستراتيجيات القرن الحادي والعشرين، ترجمة ادهم وهيب مطر، بلا ج، بلا ط، دار رسلان للنشر، سوريا، ٢٠١٦.
٢. أوستن لونج، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط ١، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٤.
٣. بلا اسم، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط ١، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٤.

٤. ريتشارد ن هاس _ مارتن أنديك، انه وقت التجديد للدبلوماسية : نحو إستراتيجية أمريكية جديدة في الشرق الأوسط، في ريتشارد ن هاس وآخرون، استعادة التوازن، إستراتيجية الشرق الأوسط برسم الرئيس الجديد، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
٥. شادي عبد الوهاب منصور، حروب الجيل الخامس: التحولات الرئيسية في المواجهات العنيفة غير التقليدية في العالم، مجلة دراسات المستقبل، العدد ١، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الإمارات العربية المتحدة، نوفمبر ٢٠١٧.
٦. مالك محسن، الحروب بالوكالة : إدارة الأزمة الإستراتيجية الأمريكية ، دار العربي للنشر، القاهرة، ٢٠١٥.
٧. محمود محمد علي، حروب الجيل الرابع وجدل الأنا والآخر، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ٢٠١٩.
٨. محمود محمد علي، كيف تتعافى الدول من حروب الجيل الرابع، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٩.
٩. محمود محمد علي، كيف تتعافى الدول من حروب الجيل الرابع، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٩.
١٠. هشام الحلبي، حروب الجيل الرابع والأمن القومي، ط١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٢٠.

الرسائل الجامعية

١. شرقي سارة، الإستراتيجية الأمنية الإسرائيلية في ظل التهديدات اللاتماثلية: حزب الله وحركة حماس ٢٠٠٦ - ٢٠٠٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بو ضياف _ المسيلة، الجزائر، ٢٠١٦/٢٠١٧.
٢. مصطفى تاهمي، البعد المعلوماتي في الحروب اللاتماثلية دراسة التنظيمات الارهابية : داعش أنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة زيان عاشور _ الجلفة، ٢٠١٦/٢٠١٧.

المجلات العلمية

١. ألاء ناصر حسين، و فراس عبد المنعم عبدالله، الحماية الجنائية لأمن الدولة الداخلي في ظل حروب الجيل الرابع، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد ١٠، العدد ٢، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة ديالى، ٢٠٢١.
٢. بشير سبهان احمد، موقف القانون الدولي من الحرب بالوكالة أو الإنابة: حروب الجيل الرابع، مجلة جامعة تكريت للحقوق، الجزء ١، العدد ٢، كلية الحقوق، جامعة تكريت، ٢٠١٩.
٣. بوعلام برزيق، التهديدات الأمنية اللاتماثلية وأثرها على السلم والأمن في إفريقيا، مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، المركز الديمقراطي العربي _ برلين/ المانيا/ العدد ١ _ أيلول/سبتمبر/ ٢٠١٨.
٤. جهاد محمد حسن، حروب الجيل الرابع وتوظيف المليشيات والمرتزقة، بلا طبعة، مركز بيت المقدس للدراسات، بلا سنة.

٥. حسن سلمان خليفة، الحروب اللامتماثلة وتوازن القوى: سيف القدس أنموذجا، مركز حمورابي للبحوث والدراسات، العدد ٣٩، بغداد، خريف ٢٠٢١.
٦. خليل العناني، دلالات التحول في خريطة الشرق الأوسط في الإستراتيجية الأميركية في المنطقة: مشروع الشرق الأوسط الكبير، القسم الثاني، مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية، شباط ٢٠٠٥.
٧. سهام بوهالي، التهديدات اللامتماثلة وانعكاساتها على الأمن الإقليمي لمنطقة شمال أفريقيا، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد ٩، الجزائر، ديسمبر ٢٠١٧.
٨. صدام عبد الستار رشيد، الحروب المستقبلية للولايات المتحدة الأمريكية، مجلة قضايا سياسية، العدد ٦١، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، السنة الثانية عشر ٢٠٢٠.
٩. عادل عبد الحمزة البديري _ سرمد زكي الجادر، اللاتماثل في الإستراتيجية الأميركية الشرق أوسطية: توظيف داعش، مجلة حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، العدد ١٠، السنة الثالثة، بغداد، تموز/ يوليو ٢٠١٤.
١٠. عباس سعدون _ عقيل نعمة، الحروب اللامتماثلة : النشأة والتطور، مجلة قضايا سياسية، العدد ٦٥، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٢١.
١١. عبد الصمد سعدون، حروب الجيل الرابع في عالم متغير : السياسة الأميركية في الشرق الأوسط أنموذجا، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، المجلد ١٢، العدد ١٢، بغداد، ٢٠٢١.
١٢. غادة عبد الفتاح عبد العزيز، برنامج في التاريخ قائم على أدوات حروب الجيل الخامس لتنمية مهارات موثوقة المعلومات والاتصالات الرقمية لدى طلاب كلية التربية ومدى تأثيره على اتجاهاتهم، المجلة التربوية، بلا مجلد، العدد ٦٨، ديسمبر ٢٠١٩، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٩.
١٣. غادة محمد عامر، تطور الصراع الدولي وفق التقدم التكنولوجي وظهور الحروب اللامتماثلة: الحروب غير النمطية، المركز الديمقراطي العربي، مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، العدد ٨، برلين، ٢٠٢٠.
١٤. محمد عبد ربه المغير، الجبهة الداخلية من حروب الجيل الخامس، مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، المجلد الأول، العدد الثاني، المركز الديمقراطي الألماني، برلين، كانون الأول ٢٠١٨.
١٥. محمد ياس خضير، الإستراتيجية الأميركية والجيل الرابع من الحروب، مركز حمورابي للبحوث والدراسات، العدد ٦، السنة الثانية، بغداد، تموز/ يوليو ٢٠١٣.

الصحف العربية

- ١ _ محمد عبد الستار، الايديولوجية والحروب، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ١٣٥٤٢، لندن، ٢٠١٥.

شبكة المعلومات الدولية الانترنت

١. اشرف أبو الهول، حروب الجيل الرابع: محاولة للفهم والتمييز، مقال متاح على الرابط التالي <http://www.ahram.org.eg>
٢. جارش عادل، التهديدات الأمنية اللامتماثلة في المجال المغاربي وأساليب المواجهة، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط التالي: <https://www.politics-dz.com>
٣. الجيل الرابع من الحروب: أبعاد وانعكاسات وتهديدات، مجلة درع الوطن: مجلة عسكرية وإستراتيجية، ١/١/٢٠١٤ / الإمارات العربية المتحدة، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت، على الرابط <http://nationshield.ae>

٤. صلاح الدين أبو بكر الزيداني، الحرب الهجينة: ثورة المفاهيم الإستراتيجية، ١١ يناير ٢٠١٤، مقال متاح على الرابط التالي. <http://www.almusallh.ly/ar/thoughts/>
٥. محمد المصري، الحرب اللامتماثلة ونظرية الأمن الإسرائيلي ٢٤ آذار ٢٠١٤، مقال متاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط التالي <http://alma3raka.net/>
٦. ينظر كذلك المقال المتاح على شبكة المعلومات الدولية الانترنت.

[Exclusive: U.S. Says Drone Shot Down by Russian Air Defenses Near Libyan Capital \(insider.com\)](http://www.insider.com)

الكتب الأجنبية والمترجمة

1. Col.Thomas X hammes, Countering Evolved Insurgency Networks, Military Review, July August 2006.
2. Ekaterina Stepanova; Terrorism In Asymmetrical Conflict Ideological And Structural ,Aspects, Sipri Research Report No.23.Oxford.Univ Press 2008.
3. George Michael, Counter Insurgency and Lone Wolf Terrorism, Terrorism and political Violence, Vol26, No1, January 2014.
4. Martin Van Creveld , Technology And War II/ To 1945; Postmodern War? In Charles Townshend, The Oxford History Of Modern War, New York; New York; Oxford University Press, 2000.
5. Michael J. Artelli And Deckro, Richard F, Deckro, Fourth Generation Operations;_ principles For The Long War, Small Wars And Insurgencies , Vol, 19, Noh.
6. Minwoo yun insurgency warfare as an emerging new modes of warfare and the new Enemy, the Korean Journal of Defense Analysis, Vol 22 , No.1, March, 2010. <https://www.tandfonline.com/doi/abs/>
7. William S. Lind. Understanding Fourth Generation War, Military Review , September / October.

فرضيات التغيير في السياسة الدولية

أ.م.د. مصطفى جاسم حسين

كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

المقدمة :

مثلت ظاهرة التغيير في السياسة الدولية ثابتاً يكاد يكون الوحيد بين العديد من المتغيرات الأخرى ، ذلك ان سمة السياسة بشكل عام والسياسة الدولية بشكل خاص هو التغيير الذي غالباً ما يحدث بفعل دوافع وحوافز قد يكون ذاتية مرة واخرى موضوعية (بنية السياسة الدولية نفسها) وهي في كل الاحوال تعمل كمحركات دافعة نحو التغيير في الوضع الراهن (الاستاتيكي) المؤقت بفعل سيطرة دولة مهيمنة او مجموعة دول (تحالف دولي) معينة تتفق على العوائد المرجوة من بقاء النظام الدولي لمدة مشروطة غالباً ببروز وظهور دولة او مجموعة غير راضية وليست قانعة بما تحصل عليه من موارد (مادية او معنوية) في النظام الدولي ، الأمر الذي يعد مبرراً لديها لأن تعمل على تغيير ذلك الوضع ، مشفوعاً غالباً بقدرة اقتصادية وتكنولوجية ومالية تستطيع بموجبها تديم عملية التغيير المنشود وتحمل كلفه أملاً بالحصول على عائد افضل من السابق .

زيادة كلف الدولة (الدول) المهيمنة هو صافي ربح للدولة (الدول) الطامحة للتغيير واعاقة الدولة المهيمنة هو سياسية عليا تعتمد على الدولة (الدول) الراغبة بالتغيير وما بين الحفاظ على وضع معين وما بين مَنْ يسعى الى تغييره وكلاً يتحرك ، وهكذا وفقاً لمعيار المصلحة الوطنية العليا له ، تحدث ظاهرة التغيير وفقاً لفرضيات نظرية علمية مدعومة بأمثلة مستمدة من واقع النظام السياسي الدولي (قديماً وحديثاً) من أجل تأسيس فهم أوسع لماهية الظاهرة (التغيير في السياسة الدولية).

وأهم هذه الفرضيات ما يلي:

الافتراض الأول :

تكون السياسة الدولية مستقرة (أي في حالة توازن) اذا لم تكن هناك دولة تؤمن بجذوى محاولة تغيير النظام.

الافتراض الثاني :

ستحاول احدى الدول تغيير النظام الدولي عندما تتجاوز المنافع المتوقعة الحصول عليها من عملية التغيير ، التكاليف المتوقعة لذلك التغيير (أي توقع حدوث مكسب اضافي).

الافتراض الثالث :

ستسعى دولة ما تغيير النظام الدولي من خلال التوسع الاقليمي والسياسي والاقتصادي حتى تصبح التكاليف الحدية للتغيير الاضافي مساوية الى المنافع الحدية أو أكبر منها.

الافتراض الرابع :

حالما يتحقق توازن بين تكاليف ومنافع التغيير والتوسع الاضافيين ، تميل التكاليف الاقتصادية للمحافظة على الوضع الراهن الى الزيادة بسرعة ، اكثر من القدرة الاقتصادية الضرورية لدعم الوضع الراهن.

الافتراض الخامس:

مالم يتم حل عدم التوازن في النظام الدولي ، عندئذ سيتم تغيير النظام ، وإقامة توازن جديد يعكس إعادة توزيع القوة.

منهجية البحث :

استعان الباحث بمنهج التحليل النظمي وذلك لأنه يوفر أدوات تحليل صحيحة للمالات التي ستكون عليها السياسة الدولية بفعل سلوك وحدات النظام الدولي وهي الدولة بالأساس وحالة الوهن والقوة التي تعثرها في أوقات معينة والتي تتبعها حالة من التغيير في النظام السياسي الدولي سلباً وإيجاباً . كما تمت الاستعانة بالمنهج التاريخي لأنه يوفر للباحث أمثلة واقعية مستمدة من الماضي والتاريخ الدولي من أجل البرهنة على مضمون الفرضيات الخمسة حينما استدعت الحاجة البحثية لذلك.

إشكالية البحث

الإشكالية التي يحاول البحث الإجابة عليها يمكن أن تكون حاصل جمع لعدد من الأسئلة وهي :

١. كيف ولماذا يحدث الاستقرار في النظام السياسي الدولي ؟
٢. ماهي الكيفية التي يحدث بها التغيير في السياسة الدولية ؟
٣. ماهي الظروف الذاتية والموضوعية التي تدفع باتجاه أحداث تغيير ما في النظام الدولي ؟
٤. كيف يمكن تفسير ظاهرة الهيمنة من قبل دولة (او مجموعة دول) ؟ وأسباب اضمحلال هذه الظاهرة فيما بعد ؟

فرضيات الدراسة :

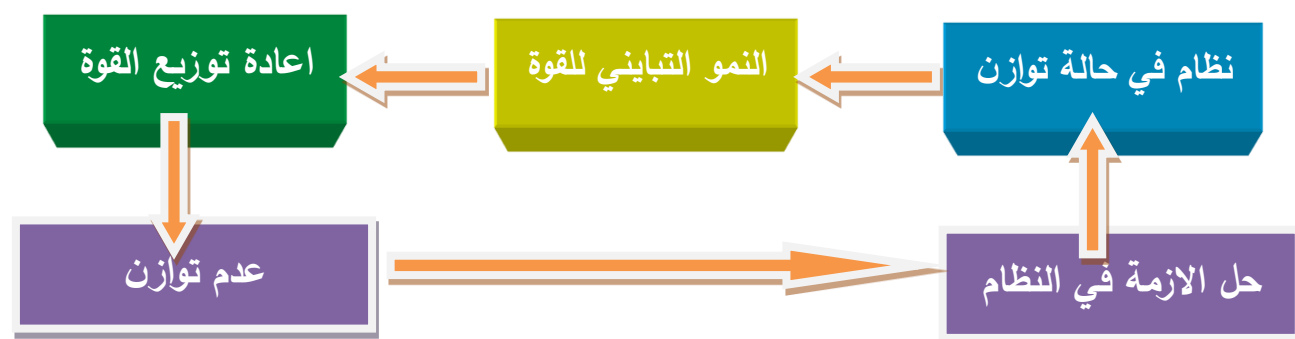
يحاول البحث إثبات الفرضية الأتية :

إن ظاهرة التغيير في السياسة الدولية ، هي ظاهرة لا تحدث من فراغ وإنما تحدث بموجب عوامل معينة (ذاتية وموضوعية) وبالتالي هي تحدث وفقاً لفرضيات معينة يمكن تفسير ظاهرة التغيير بمقتضاها.

الافتراض الأول : الاستقرار في النظام الدولي :

يكون النظام الدولي في حالة من التوازن عندما تقتنع الدولة الاكثر قوة فيه ، بالترتيبات الاقليمية والسياسية والاقتصادية الموجودة، فعلى الرغم من احتمال حدوث تغيرات وتسويات طفيفة ، فالتوازن هو تلك الحالة التي لا توجد فيها دولة (أو مجموعة دول) قوية تعتقد بجدوى التغيير في السياسة الدولية من شأنه ان يؤدي الى منافع اضافية ، حينئذ تتساوى وتتعاادل التكاليف المتوقعة مع الارباح الصافية ، يتحقق عندها الاستقرار

وقد وصف احد الكتاب تلك المحاولة بالقول : يمثل توازن القوى صورة سياسية مستقرة شريطة ان لا يترتب على الاستيلاء على الارض مثلاً اية تغييرات^(١). وفي ظل هذه الظروف، حيث ليس لأحد حافز لتغيير النظام حينما يقال عن النظام أو الوضع الراهن بانه مستقر.



المخطط يمثل الديناميكية التي تؤدي الى التغيير في النظام الدولي في عالم العلاقات الدولية يتم الابقاء على الوضع الدولي القائم على انه وضع شرعي ، من قبل الدول الكبيرة في النظام ، وهنا يحدد كيسنجر معنى الشرعية بالقول: ^(٢) تنطوي "الشرعية" على قبول كل القوى الكبرى في النظام الدولي على طريقة توزيع المصالح فيه ، الى الحد الذي لا توجد فيه دولة غير مقتنعة بشكل تعبر فيه عن عدم قناعتها من خلال اعتماد سياسة خارجية عنيفة. كما كانت الحال مع (المانيا بعد معاهدة مرسيلى)، فالنظام الشرعي لا يعني عدم امكانية قيام نزاعات ، لكنه يحد من نطاقها ، فالحروب ربما تحدث ولكنها ستخاض هذه المرة باسم الحفاظ على الوضع الراهن والقائم ، في حين سيتم تبرير السلام الذي يليها على انه افضل تعبير عن الاجماع العام والشرعية^(٣). وما يمكن ان نستنتجه من النص اعلاه ، هو ان النظام الدولي يظهر في حالة من التوازن شبه الستاتيكي (الثابت) أو الديناميكي (المتحرك) ، فالنظام الدولي مثله مثل اي نظام اخر ، لا يكون في حالة استقرار تام ، اذ تحدث التغييرات على مستوى التفاعلات بين الدول بشكل مستمر. وعلى العموم فالنزاعات والتحالفات

(١) روبرت جيلبين ، الحرب والتغيير في السياسة العالمية ، ترجمة باسم مفتن ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، سلسلة المائة كتاب ، ١٩٩٠ ، ص ٢٥ .

(٢) د: وحيد عبدالمجيد ، نحو تفسير جديد لأنليات التغيير العالمي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢٠٠ ، نيسان ٢٠١٥ ، ص ٨.

(٣) ممدوح محمود مصطفى ، مفهوم النظام الدولي بين العالمية والنمطية ، سلسلة دراسات استراتيجية ، أبو ظبي ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، العدد ٦٧ ، ص ١٣ .

والتفاعلات الدبلوماسية بين الفاعلين في النظام تميل الى الابقاء على الخصائص المميزة للنظام وهكذا فكما اوضح كيسنجر فحالة التوازن " الشرعي " التي شهدتها النظام الدولي بفعل مؤتمر فيينا عام ١٨١٤ تفادى اثار النزاعات في المناورات الدبلوماسية المحدودة الى ان : انهارت في النهاية بفعل التغييرات الاقتصادية والتقنية والسياسية الكبيرة التي وقعت في الجزء الاخير من القرن التاسع عشر^(١). وتحدث في كل نظام دولي تغييرات سياسية واقتصادية وتقنية مستمرة تعود بالمكاسب على محدثيها وتعود بالضرر على المتضررين منها . وفي اغلب الحالات تكون هذه المكاسب والخسائر طفيفة في حين تكون التسويات الكبيرة الحجم مبرراً كافياً للتغيير الحاد في النظام الدولي. وتؤدي مثل هذه التغييرات ضمن النظام الدولي إلى حالة من التوازن شبه الساكن، في حين يتحدد الاستقرار النسبي للنظام إلى حد بعيد من خلال قدرته على تلبية مطالب الأعضاء المتأثرة بالظروف السياسية والبيئية المغيرة. ولذلك تحدث في كل نظام عملية عدم توازن وتسوية بشكل متواصل ، بينما يستمر النظام في حالة التوازن عند غياب المنافع الكبيرة الصافية التي يمكن الحصول عليها من التغيير^(٢).

ونتيجة للمصالح المتغيرة للدول وعلى نحو خاص، بسبب النمو المتباين للقوة بين الدول يتغير النظام الدولي من حالة التوازن إلى حالة عدم التوازن التي تنسجم فيها التطورات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية عند زيادة ملحوظة في المنافع الممكنة أو نقصان في التكاليف الممكنة لواحدة أو أكثر من الدول الساعية لتغيير النظام الدولي. وبذلك يصبح انخفاض التكاليف أو زيادة المنافع باعث لدولة أو أكثر لتغيير النظام. وهنا تنشأ حالة انفصال بين النظام الدولي القائم والمنافع التي يمكن ان تحصل عليها الدولة من عملية التغيير في النظام الدولي^(٣).

الافتراضين الأول والثاني:

ان الحديث عن المكاسب أو المنافع الصافية المتوقعة عند تغيير النظام يعني احد امرين:^(٤)
الأول يمكن ان يشير الى معادلة زيادة المنافع المستقبلية .
وثانياً يمكن ان يعني محاولة تقليل الخسائر المتوقعة.

(١) نقلاً عن : أ.م.د. عبد علي كاظم المعموري ، انبلاج فجر النظام الدولي الجديد متعدد الاقطاب ، مجلة حمورابي للدراسات ، بغداد : مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، العدد الثاني ، آذار ٢٠١٢ ، ص ٤ .

(٢) د: السيد أمين شلبي ، من الحرب الباردة الى البحث عن نظام دولي جديد ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الاهرام ، العدد ١٧٩ ، يناير ٢٠١٠ ، ص ٧٠ .

(٣) ابراهيم نوار ، اختلالات النظام الاقتصادي العالمي وحركات تغييره ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الاهرام ، العدد ٢١٦ ، نيسان ٢٠١٩ ، ص ٥٦ .

(٤) روبرت جيلبين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥ .

ففكرة سعي دولة لتغيير النظام باتجاه زيادة منافعها ، لا تعني بان المنافع حقا وحتمًا ستزيد على التكاليف ، ذلك ان هذا السعي يتم في ظروف من الشك وعدم اليقين ، وبالتالي فانه الدولة الساعية للتغيير انما تفعل ذلك بناء على قدر كافي من المعلومات وحينما تكون تلك المعلومات عالية ومؤكدة تصبح نسبة التغيير الايجابي عالية باتجاه زيادة منافعها والعكس صحيح ايضا، وعلى الرغم من اعتبارات التكاليف والمنافع في نهاية المطاف هي اعتبارات ذاتية ، الامر الذي يجعل الحسابات المتعلقة بالمنافع الصافية من تغيير النظام تتأثر الى حد بعيد بعوامل موضوعية في المحيط الدولي، وهكذا فان اي تطور يقلل من كلفة التوسع أو يزيد مقدار الدخل سيشحج الدولة الى توسيع رقعتها الجغرافية والعكس بالعكس^(١).

ففي المقام الاول يتأثر حافز الدولة لمحاولة تغيير النظام الدولي باليات المجتمع في توزيع التكاليف والمنافع المتحققة جراء التغيير ، وعدالة التوزيع تضمن دعما شعبيا واجتماعيا لمساعي الدولة الراغبة بالتغيير وتضفي على عملية التغيير المنشودة نوعاً من الشرعية الاجتماعية المتأنتية من التوزيع العادل للثروات ، عكس ما يؤدي التوزيع غير المنصف للثروات الى تدمير الناس وعدم قناعاتهم بجدوى التغيير المنشود طالما لم يصب في النهاية في مصلحتهم^(٢).

ويبقى من المهم القول ان احدى الدول ستحاول التغيير في السياسة الدولية ، فقط عندما تكون لها أفضلية أو ميزة نسبية على غيرها من الدول الاخرى ، اي حينما يكون ميزان القوى يعمل لصالحها ، والمتاتي أساساً من تفوق تنظيمي أو اقتصادي أو عسكري أو تقني أو كلها جميعاً . وفي اغلب الاحيان تتأثر هذه الميزة النسبية في العصر الحديث من نتائج عمليات البحث العلمي وكمية الاموال المرصودة لها وطبيعة وعدد العاملين في هذا المجال ولا سيما القطاع المتخصص في ابتكار واختراع انواع حديثة من الاسلحة المتطورة وكذلك الانتاج الصناعي المدني ، وكلاهما يعطي للدولة في حالة توافرها معا ادوات مهمة تكون هي الفيصل في عملية التغيير لتوسيع سيطرتها على النظام الدولي والعوامل الداخلية للتغيير :^(٣)

- نظام النقل والمواصلات والاتصالات

- التقنية العسكرية

- طبيعة الاقتصاد

وعملية التغيير التي تسعى اليها دولة ما أو مجموعة دول هي في الاخير ، عملية البحث عن تعظيم للمكاسب أو المنافع الصافية المتوقعة جراء عملية التغيير المنشودة هذا من جهة ومن جهة اخرى يمكن ان تعني

(١) للمزيد من المعلومات حول تأثير البعد الاقتصادي في عملية التغيير الدولي ، انظر :

- أبراهيم نزار ، اختلالات النظام الاقتصادي العالمي ومحركات تغييره ، مصدر سبق ذكره .

(٢) أنظر : يورغ سورنسن : إعادة النظر في النظام الدولي الجديد ، ترجمة اسامة الغزالي ، سلسلة عالم المعرفة الكويتي : المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، العدد ٤٨٠ ، كانون الأول ٢٠٢٠ ، ص ٦٢٣ .

(٣) انظر : اللواء احمد يوسف عبدالنبي ، تطور مفهوم وتطبيقات توازن القوى في النظام الدولي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الأهرام ، العدد ٢٢٠ ، نيسان ٢٠٢٠ ، ص ١٢ .

محاولة تقليل الخسائر الحالية الى خسائر اقل في المستقبل ، وبذلك يكون كل من المنتفعين والخاسرين المحتملين من التطورات المستمرة في السياسة الدولية الى تغييرها معا ، فالمنتفعين يقومون بذلك لان المنافع المستقبلية ستكون اكبر من التكاليف المصروفة جراء عملية التغيير ، في حين يفعل ذلك الخاسرون لان التكاليف الحالية ستكون اكبر فيما لو استمر النظام يعمل بذات الطريقة في المستقبل ، الأمر الذي يدفع الخاسرون إلى دعم عملية التغيير من اجل تقليل خسائرهم في المستقبل الذي يشهد عملية التغيير باتجاه تقليل الخسائر الحالية الى مقادير اقل ^(١)، ومثال ذلك ، ان عملية تغيير النظام الدولي الحالي التي تقودها الصين وروسيا الاتحادية سوف تكون مدمومة من قبل دول أخرى مثل ايران وكوريا الشمالية وفنزويلا وكوبا و كونها تأمل ان يكون المستقبل افضل من الوضع الحالي الذي تعد اطراف خاسرة فيه في جراء السياسات الأمريكية ضد هذه الدول ، بمعنى ان الأطراف الدولية التي تشعر بخسارة حاليا تدعم عملية التغيير السياسي في النظام الدولي فيما لو حدثت، اعتقادا منها بان خسارتها المستقبلية ستكون اقل عن الخسارة الحالية فيما لو استمر النظام السياسي الدولي الحالي والتحكم الأمريكي فيه^(٢).

وما يمكن ان نستنتجه مما تقدم بأن سعي دولة ما للتغيير في المحيطين الإقليمي والدولي رغبة منها في زيادة المنافع المتحققة جراء عملية التغيير المنشود ، لا يعني بحتمية تحقيق ذلك ، فكما هو معلوم ، ان النشاط السياسي هو يبقى جزءا من النشاط الإنساني المتحرك في بيئة غير تقنية ، بل في بيئة إقليمية ودولية يغلب عليه طابع القلب والشك والريبة ومن هنا ياتي دور المعلومات الصحيحة والدقيقة التي يتوافر عليها صانع القرار السياسي (الراغب بالتغيير) بمثابة العصب الاساسي لنجاح أو فشل لمساعي التغيير ، فربما تكون المعلومات غير صحيحة وغير متكاملة ، الامر الذي ينعكس سلبا ويجعل من عملية التغيير تسير نحو الاسوء ، مما يزيد من التكاليف ويضاعفها بدلا من كسب المزيد من الارباح المتوقعة ، وعلى الرغم من اعتبارات الخسارة والربح هي في نهاية المطاف تبقى وتخضع لحسابات ذاتية في المقام الاول ، فهذا لا يعني عدم تأثرها بمحددات موضوعية في البيئتين الدولية والاقليمية^(٣).

(١) د: خالد حنفي علي ، معضلات إدارة الدول للعلاقة مع الخصوم ، ملحق اتجاهات نظرية لمجلة العلاقات الدولية ، القاهرة ، مركز الأهرام ، العدد ٢٤٠ ، نيسان ٢٠٢٠ ، ص ٣ .

(٢) عبير ربيع يونس ، من الهيمنة الى التعددية : صعود القوى التشابكية في النظام الاقتصادي العالمي ، ملحق اتجاهات نظرية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الأهرام ، العدد ١٩٦ ، نيسان ٢٠١٤ ، ص ٢١ .

- عمرو عبد العاطي ، مستقبل النظام الدولي مع انحسار حقبة الأحادية الأمريكية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢١٧ ، تموز ٢٠١٩ ، ص ٢٤٤ .

(٣) السفير محمد انيس سالم ، جدلية التغيير والاستمرار في النظام العالمي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الأهرام ، العدد ٤٢١ ، تموز ٢٠٢٠ ، ص ١٢٤ .

فقد يكون التغيير على المستوى الذاتي محسوم لجهة دعم عملية التغيير ، فقد تكون هي غير كذلك على المستويين الاقليمي والدولي و"المحدد الموضوعي" الامر الذي يعيق ويمنع عملية التغيير ، مثال على ذلك غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠ ، فعلى الرغم من توافر صانع القرار السياسي العراقي حينها على جميع ادوات التغيير من قوة عسكرية واقتصادية وبشرية و مقارنة بما لدى دولة الكويت ، الا العوامل الاقليمية والدولية افشلت عملية التغيير بل وعاقبت من قام به ، وكانت ردة الفعل الدولية والاقليمية ضد العراق كبيرة جدا الى الحد الذي جعلت صانع القرار العراقي بعدها يتمنى لو لم يقم بتلك الحركة المأساوية التي لازال العراق شعبا ونظاما سياسيا يدفع تكاليفها حتى الوقت الحاضر^(١).

الفرضية الثالثة:

(ستسعى دولة ما لتغيير النظام الدولي من خلال التوسع الاقليمي والدولي "سياسيا واقتصاديا"، حتى تصبح التكاليف الحدية للتغيير الاضافي مساوية الى المنافع الحدية أو اكبر منها)^(٢).

حينما تزداد قوة دولة ما ، فانها تسعى لتوسيع سيطرتها الاقتصادية ونفوذها السياسي وبالتالي توسيع هيمنتها على الاقتصاد الدولي ، مثال ذلك الصين بعد نهاية الحرب الباردة ، ولهذه التطورات تأثير متبادل ايضا في قوة الدولة ، الامر الذي ينعكس ايجابيا على مواردها مستفيدة من اقتصاديات الاسعار ، وهكذا يكون التوسع الاقليمي والدولي لدولة ما سوف يزيد من كمية الفائض الاقتصادي المطلوب لممارسة الهيمنة على النظام ، اذ ان تقدم أو نهوض الدول والإمبراطوريات المهيمنة كونها تتوافر على فائض اقتصادي يدعم عملية التوسع الدولي والإقليمي ، اي التغيير ، كما ان انعدامه يفقد الدولة الحافز لعملية التغيير^(٣).

ولو كانت هذه العلاقة بين نمو دولة ما وسيطرتها على النظام الدولي بشكل مستقيم ، لكان من المنطقي ان تؤسس احدى الدول إمبراطورية كونية مستمرة ، الأمر الذي لم يحدث حتى الان ، بسبب القوى الدولية الأخرى المتضررة من عملية التغيير سوف تعيق عملية التوسع وبالتالي ايقافه، وقد يكون الوقوف ضد هذه الدولة الطامحة للتغيير ، مبررا لمجموعة من الدول المضادة فكرياً وايدولوجياً ، مثال ذلك التحالف السوفيتي الأمريكي ضد المانيا هتلرية الباحثة عن التوسع ، لان تتوحد ضدها وحينما تزيد دولة سيطرتها على نظام دولي ، فأنها تحفز دول ما وفي مرحلة ما ، تبدأ وفي نقطة معينة ، بزيادة التكاليف للدولة الباحثة عن التوسع الإضافي (التغيير) وتعمل بذات الوقت الى تقليل العائد من هذا التوسع ، اي هناك منافع صافية

(١) سمير أمين ، البد البديل للنظام النيوليبرالي المعولم والمسلح، الإمبريالية اليوم وحملة الولايات المتحدة للسيطرة على العالم ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوطن العربي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ٢٩٨ ، كانون الأول ، ٢٠٠٣ ، ص ١٥ الى ص ٢٥.

(٢) روبرت جليبن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٩.

(٣) رغبة البهي ، الصعود الصيني ومستقبل الهيمنة الأمريكية مع النظام الدولي ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢١٤ ، أكتوبر ٢٠١٨ ، ص ٢٨٨ .

متناقضة يتم كسبها من الجهود الاضافية المبذولة لتغيير النظام الدولي والسيطرة عليه، وهذا التغيير في انخفاض العائد من التوسع يفرض بالطبع قيда على التوسع الاضافي للدولة^(١).

ومن الجدير بالذكر ، ان المرحلة الاولى من التغيير ، تتميز بانخفاض التكاليف مستفيدة من انخفاض كلف التغيير ، كما ان التكاليف المتزايدة للتوسع مقارنة بالمنافع المكتسبة ستحدد في النهاية حجم وتوسيع سيطرة الدولة على النظام ، والنقطة التي سيحدث عندها هذا التحول هي مسالة تعتمد في مرحلة ما على حسن التقدير لدى صانع القرار الطامح للتغيير^(٢).

وبالوقت الذي تصبح فيه الجهود المبذولة لتغيير النظام غير مربحة ، حينها يقال بان النظام الدولي قد رجع الى وضع التوازن ، كون التكاليف الحدية للتوسع الاضافي تكون حينها مساوية للمنافع الحدية الناتجة عن التوسع أو اكبر منها^(٣).

وبذلك يمكن لنا أن نستنتج ما يلي وهو : ان الدولة الراغبة في التغيير ستزيد اولاً من قوتها وسيطرتها على النظام ، فقرة الدولة وتوسع سيطرتها يعززان احدهما الاخرى ، بمعنى ان زيادة القدرة الاقتصادية لدولة ما تعد هدفاً استراتيجياً لها ، يكون بعد مدة وسيلة أو حالماً يتم انجاز الهدف (الوسيلة) لتحقيق هدف اسمى واكبر منه ، وهكذا نكون نحن امام جدلية (الهدف والوسيلة (الاداة)).

الافتراض الرابع :

حالماً يتحقق توازن بين تكاليف التغيير والتوسع الاضافيين تميل التكاليف الاقتصادية المطلوبة للمحافظة على الوضع الراهن الى الزيادة بسرعة اكثر من القدرة الاقتصادية الضرورية لدعم الوضع الراهن...^(٤). ان الامبراطوريات والدول المهيمنة والتي تحكمت لمدة زمنية مختلفة على النظام الدولي وحتى نظمها الاقليمية ، فهي بالرغم من توسعها المستمر الا انها وصلت الى مرحلة من التوازن بين التكاليف والمنافع المتأتبة من التغيير ، وحالماً يتحقق هذا التوازن بينهما ، تبدأ المتغيرات في داخل القوة المهيمنة (داخليا)

(١) احمد السيد ال سليم ، تطور .الاطار النظري لعلم العلاقات الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الاهرام ، العدد ١٦١ ، تموز ٢٠٠٥ ، ص ٤٠.

- للمزيد من المعلومات حول هذه الفكرة ، أنظر : محمد محمود السيد ، التحالف الروسي - الصيني لأزاحة الولايات المتحدة من صدارة النظام الدولي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الاهرام ، العدد ٢١٦ ، نيسان ٢٠١٩ ، ص ٢٩٠.

(٢) أنظر : أنور عبد الملك ، تغيير العالم ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد ٩٥ ، تشرين الثاني ، ١٩٨٥ ، ص ١٩٧ وما بعدها .

(٣) يوسف سعداوي ، الأزمات المالية العالمية : الأسباب والنتائج المستخلصة منها ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ٣٦٥ ، تموز ٢٠٠٩ ، ص ٣٤.

(٤) روبرت جليين ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٩.

وكذلك في البيئة الخارجية (الدولية) بتقويض هذا التوازن، الامر الذي يؤدي الى زيادة التكاليف المطلوبة للمحافظة على الوضع الراهن بوتيرة اسرع من زيادة القدرة المالية المطلوبة لادامة الوضع الراهن^(١). يتوافر التحكم بالنظام الدولي من قبل الدولة المهيمنة على كلف اقتصادية، فكما ان السيطرة والتحكم بالنظام الدولي يعود بالفائدة عليها (اي الدولة المهيمنة) الا ان ذلك يتطلب تكاليف على الصعيدين البشري والمادي لإدامة الموقع المهيمن، فالانفاق على القوات العسكرية وعمليات دعم الحلفاء وتقديم المساعدات للغير وغيرها من عمليات الانفاق الاخرى، كل ذلك يشكل بالاخير استنزاف لموارد للدولة ويتطلب منها وجود فائض اقتصادي مستمر، الامر غير المتحقق بشكل مستمر دائم، كما هو الحال في التجربة السوفيتية، حيث ادى الاستنزاف المستمر لموارده الاقتصادية بعمليات غزو الفضاء وتسابق التسلح الاستراتيجي بينه وبين الولايات المتحدة الامريكية والدعم المستمر لحلفائه في حلف وارشو على الصعيدين العسكري والاقتصادي كل ذلك ادى الى التسريع بعملية تفككه منذ عام ١٩٨٩ و ١٩٩٠ حيث زيادة كلف السيطرة من عوائد ومنافع الهيمنة، عملت بالنهاية الى تفككه مؤذنا ببداية نظام دولي جديد قائم على احادية قطبية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ونجم عنه تحول جذري في بنية وهيكلية النظام الدولي^(٢). فالدرس المستنتج مما تقدم هو حالما تتوافر دولة على فائض اقتصادي معين، فسرعان ما تتم ترجمته الى سلوك سياسي يتسم بالتوسع، واذا كان الامر مختلف، فلن يكون للدولة حينها لا الدوافع ولا القدرة الاقتصادية التي تعينها على التوسع وادامته.

ويفرض عدم التوازن هذا حالة من الانقسام بين العناصر الاساسية للنظام الدولي الراهن وقدرة الدولة المهيمنة على النظام، وبين تكاليف الدفاع المترتبة جراء الحفاظ على الهيمنة اتجاه الدول المتضررة الضرورية لادامة الهيمنة، الامر الذي يستلزم استمرار عمليات التمويل الضرورية لادامة الهيمنة، ويؤدي التباين بين زيادة الكلف وانخفاض العوائد الى ازمة مالية للدولة المهيمنة الامر الذي في حال استمراره غالبا ما يؤدي الى الانهيار الاقتصادي والسياسي لها، (التجربة السوفيتية السابقة) فالاسباب الداخلية (المحلية) لزيادة الكلف تتمثل في انخفاض معدل النمو الاقتصادي والكلف المتزايدة للحماية والزيادة في الاستهلاك الخاص والعام والتغيير التركيبي للخدمات والنتائج الهدامة للثراء والتفوق "الفساد" والتي تظهر نفسها على شكل صراع سياسي شديد على توزيع الدخل القومي "انعدام العدالة الاجتماعية" بين الحماية والاستهلاك

(١) مالك عوني، انتصار الواقعية: اساطير التعاون الدولي في ادارة التغيير العالمي، ملحق مقولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة: مركز الاهرام، العدد ٢٠٠، نيسان ٢٠١٥، ص ٣٤٠.

كذلك أنظر: سامح راشد، تجليات مبكرة للتعددية القطبية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة: مركز الاهرام، العدد ٢١٣، تموز ٢٠١٨، ص ١٦٠.

(٢) د: دلال محمد السيد، مقومات مفقودة، معضلات الدولة القائد في النظم الاقليمية والدولية، ملحق اتجاهات نظرية لمجلة السياسة الدولية، القاهرة: مركز الاهرام، العدد ١٩٦، نيسان ٢٠١٤، ص ١٥.

والاستثمار ، فبينما قوة مهيمنة فيتحول الصراع على هذه المطالبات المتعارضة ، سياسة النمو المعتدلة نسبيا الى سياسة توزيع اقل عدلا واكثر اجحافاً^(١).

وظل عدم التوزيع العادل للثروة من اهم الاسباب الداخلية التي تقوض جهود الدولة المهيمنة فالانشقاقات السياسية الداخلية منشأؤها الاحساس بالغبن ، الامر الذي يزيد من حالة التدهور الذي يتمظهر على شكل صراعات اجتماعية تزيد من ضعف المجتمع كما هو الحال ابان مدة هيمنة بريطانيا العظمى وربما في الولايات المتحدة الامريكية غدا^(٢).

اما **العوامل الخارجية** تتمثل في زيادة تكاليف الحماية بسبب القوى الدولية والاقليمية المنافسة والتي تدفع الدولة المهيمنة الى زيادة صرف المزيد من الموارد الاقتصادية لها من اجل ادامة زخم الهيمنة العالمية ، ومن اهم تلك العوامل :^(٣)

أولاً : الانفاق المتزايد بسبب ادامة الهيمنة.

تعد التكاليف المتزايدة للهيمنة العامل الخارجي الاول الذي يستنزف مواردها من اجل الابقاء على الهيمنة ، فتكاليف الحماية تميل الى الزيادة بسبب التغيرات في البيئة الدولية ، فالارتفاع في اعداد وقوة القوى المنافسة تجبر الدولة المهيمنة على صرف المزيد من الموارد للمحافظة على تفوقها العسكري أو موقعها الدولي.

وتؤدي زيادة الأنفاق في سبيل الحماية لحلفاء الدولة المهيمنة من اجل ادامة وحماية الوضع الراهن بصورة اسرع من زيادة المنافع الاقتصادية للوضع الراهن ، الأمر الذي من شأنه في حال استمراره (وتزايد التكاليف وانخفاض العوائد) لان تكون الهيمنة غير مجدية ، مما يدفع بالدولة المهيمنة إلى زيادة الأنفاق لتعويض انخفاض عوائد الهيمنة الأمر الذي يشكل نزيفا لميزان المدفوعات حيث تستلزم تلبية تكاليف الحماية خلق فائض اقتصادي والحصول على ما يسمى ((العملة الصعبة)) وفي حال عدم توفرها ينعكس سلبا على الوضع الاقتصادي والعسكري للدولة المهيمنة^(٤).

(١) د: داليا رشدي ، اختلال الهياكل ؟ متى تنشأ أزمة القيادة في النظام السياسي الدولي ، ملحق اتجاهات نظرية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ١٩٦ ، نيسان ٢٠١٤ ، ص٩.

(٢) انظر بهذا المصدر :

- ايمانويل تود ، ما بعد الامبراطورية : دراسة تفكك النظام الامريكي ، ترجمة : محمد زكريا اسماعيل ، بيروت ، دار الساقى ، ٢٠٠٣ ، ص١٢٩ .

(٣) zbigniew Berzlnki, straigic Vition American and The Crisis of Global Power , New york, basic e (Books, 2012 , p134 .

(٤) مالك عوني، هل الولايات المتحدة قائد عالمي ام قوة إمبراطورية مأزومة ، ملحق تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢٠٦ ، أكتوبر ٢٠١٦ ، ص٣.

وخلال العقد الأول من الحرب الباردة ، مَوَّلَت الولايات المتحدة نفقات أحياء الانتعاش الاقتصادي العالمي لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية وتكفلت بدفع النسبة الأكبر لمستحقات الصراع مع الاتحاد السوفيتي السابق عن طريق سحب الاحتياطي المالي الأمريكي وكبح الاستهلاك المحلي ... ومن الجدير بالذكر كانت الولايات المتحدة الأمريكية عند نهاية الحرب العالمية الثانية جزءاً أساسياً من موارد الذهب العالمية وتمتعت بفائض تجاري هائل ، وبذلك استطاعت و حتى عام ١٩٥٩ بتمويل إعادة أعمار حلفائها واحتواء التوسع السوفيتي من خلال فائضها التجاري الإجمالي واحتياطات الذهب لديها ، وخلال ثلاثة عقود استنزفت الولايات المتحدة بشكل كبير احتياطاتها من النقد والذهب الذي جمعته خلال عصرها الذهبي^(١).

اما خلال المدة من ١٩٦١ الى ١٩٧١ مولت الولايات المتحدة موقعها العسكري والسياسي عن طريق طبع النقود حيث اصبح الدولار أساس النظام النقدي العالمي وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مركز صيرفة العالم وسيطرت على الات الطبع وطبعت الدولار لتلبية حاجاتها الدولية : فالاستثمار الخارجي للمؤسسة الأمريكية واستيراد السلع وتقديم المساعدة الخارجية وإدامة زخم القطاعات العسكرية في الخارج وخوض الحروب (فيتنام و لاوس وكمبوديا) وفي ظل نظام اسعار صرف ثابتة التزم الآخرون أخلاقيا بقبول التعامل بهذه الدولارات كما انهم قد رغبوا في ذلك ، وفي الواقع قدم حلفاء امريكا الاعتمادات لها لتمويل موقعها العالمي ، لان من مصلحتهم الاقتصادية والامنبة فعل ذلك ، وازمة الاقتصاد العالمية في ثمانينيات القرن الماضي ، نجمت جزئيا عن حقيقة ، ان زمن هذه الآلية في تمويل الموقع العالمي للولايات المتحدة ادت الى تضخم باهض ساعد على تقويض استقرار الاقتصاد العالمي^(٢).

ثانياً : فقدان القيادة الاقتصادية والتقنية :

توضح تجارب كل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية تطورا خارجيا يقوض موقع الدولة المهمة . ولذا فإن الميزة الرئيسية لدولة توسعية هي قدرتها العسكرية او الإنتاجية ولاسيما التقنية او كلاهما ، وعلى كل حال وفي وقت ما تختفي هذه الميزة التقنية ... وبسبب تناقص هذا التفوق تزداد تكاليف الهيمنة^(٣). بعد انتشار التقنية العسكرية والاقتصادية في المجتمعات الأكثر تقدما الى المجتمعات الأقل تطورا عنصراً رئيس في إعادة توزيع الدولي للقوة ... وعلى الرغم من ان التقنية باهضة الثمن ولا يمكن ايجادها بسرعة فانها تنتشر عادة بسهولة نسبياً ان الابتكارات الاقتصادية والتقنية ستؤدي تحولات أساسية في موضع القوة

(١) مجموعة مؤلفين ، الحضارات في السياسة العالمية ، وجهات نظر جمعية وتعددية ، تحرير : بيتر جي كاتزنشتاين ، ترجمة : فاضل جتكر ، عالم المعرفة ، الكويت : المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، العدد ٣٨٥ ، فبراير ٢٠١٢ ، ص ٧٣ .

(٢) عمرو عبد العاطي ، الانقاذ : مستقبل الاقتصاد الأمريكي والاقتصادات الناشئة في العالم ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ١٨٩ ، يوليو ٢٠١٢ ، ص ١٥٣ .

(٣) مالك عوني ، انتهاء الامبراطورية القوة العسكرية واستراتيجيات بناء النفوذ الدولي ، ملحق تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢٠٢ ، أكتوبر ٢٠١٥ ، ص ٣ .

والثروة عبر الزمن ... فالدولة ذات الموقع والمزايا الاستراتيجية المتعلقة بالتجارة والتقنية والجغرافيا ربما تجد نفسها في الوقت المناسب وقد تخطتها مجتمعات أكثر ابداعا بسبب التغيرات الأساسية في البيئة السياسية والاقتصادية. ان اتجاه التقنية والابتكار للانتقال من القوى المهيمنة الى الدول التي تعيش على اطراف محيط النظام والتي تصبح بدورها القوى المهيمنة الجديدة ضمن نظام دولي اوسع وحدوث تفاعلات جوهرية في موضع القوة السياسية والاقتصادية قادت ارنولد تونبي الى صياغة مجموعة من التعميمات المتعلقة بحركية السياسة الدولية ، في كتابه الموسوم : دراسة التأريخ، وبغض النظر عن صدقيتها فانها حقا توفر اراء ثاقبة حول التغيير في السياسة الدولية^(١).

وقد لاحظ توينبي عند كتابته عن المصير البائس لاوروبا عام ١٩٣٠ بان تفوق " دول من العالم الخارجي على الدول الأوروبية كان العلامة الأكثر بروزاً ووضوحاً في خارطة ما بعد الحرب العالمية الأولى" ومقارنة باوروبا ، لقد كانت هذه الدول المحيطية ذات حجم ضخم فكانت الولايات المتحدة الأكثر قوة ولكن كانت ببساطة الدولة الاولى في تطوير قوة من بين مجموعة من العمالقة" و قد تنبأ بظهور عمالقة اخرين في يوماً ما، الاتحاد السوفيتي، البرازيل، كندا، الصين ، الهند، الخ ... وهي دول طرفية في النظام اذا ما اعتبرن اوروبا هي المركز في ذلك الزمن وهو ما اسمها توينبي "ميل موقع القوة الى التحول من المركز الى المحيط في نظام دولي". حيث اتجهت الدول من مراكز الانظمة الدولية الى التضائل بالحجم والى ان تهيمن عليها في النهاية قوى كبرى ومتوسطة القدرات في اطراف النظام الدولي^(٢).

وقد كان توينبي قد اجاب على السؤال الاتي : لماذا كانت الشعوب الموجودة في مركز العالم المتحضر اقل ... من الشعوب الموجودة في الاطراف وهو يرى ان توسع المركز ازاء الاطراف يوقض الشعوب الطرفية ، فيصبحون عارفين بتفوق الحضارة "المتقدمة" ويسعون لتبني طرائقها فاننتقال الافكار والأساليب من المركز الى الاطراف يقلل الهوة بالقدرات العسكرية وغيرها... وهذا الانتشار للأساليب المتقدمة في الاقتصاد والتقنية العسكرية من المركز الى الاطراف المتخلفة يؤدي إلى تعزيز القوة على نطاق واسع وسيطيحون بالنهاية بدول المركز ، الامر الذي تزداد معه تكاليف الهيمنة بالنسبة لدول المركز^(٣).

الافتراض الخامس :

(١) Robert cox , social forces states and world order , edited by steven c.roech .critical the org (and internat and relations , Taylor and Francis Group , New york , 2008 , p241

(٢) هيرفريد مونكلر ، الإمبراطوريات ؛ منطق الهيمنة العالمية من روما القديمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة: عدنان عباس علي ، سلسلة دراسات مترجمة تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠٠٨ ، ص١٢٢.

(٣) نقلاً عن : إيمانويل أدلر ، اوريا بوصفها اسرة ممارسة حضارية ، في كتاب : الحضارات في السياسة العالمية : وجهات نظر جمعية وتعددية ، مصدر سبق ذكره ، ص١١٣.

ما لم يتم حل عدم التوازن في النظام الدولي ، عندئذ سيتم تغيير النظام واقامة توازن جديد يعكس اعادة توزيع القوة^(١).

ينتج عن حالة عدم التوازن في النظام الدولي تزايد الانفصال بين السيطرة القائمة على النظام واعادة توزيع القوة في النظام ورغم بقاء مقدار الشهرة وتوزيع الارض وقواعد النظام والتقسيم الدولي للعمل الى جانب القوة أو القوى التقليدية المهيمنة ، فقد ادى النمو والتطور المتباينين بين الدول الى تاكل قاعدة القوة التي تقوم عليها في الاساس للسيطرة على النظام، وهذا الانفصال بين عناصر النظام الدولي يخلق تحديات للدولة المهيمنة ويوفر فرص نهوض اخرى كدولة متحدية صاعدة في النظام الدولي^(٢).

وبسبب اعادة توزيع القوة ، تزداد تكاليف الحفاظ على الوضع الراهن الذي يشير الى وجود هيمنة من قبل دولة ما ، وحينما تزداد تكاليف الابقاء على ذلك الوضع ، الامر الذي ينتج معه ازمة مالية حادة (سبقت الاشارة اليها في المباحث السابقة) كما تنخفض للسبب ذاته تكاليف تغيير النظام التي تتحملها الدولة الناهضة فتبدأ بتقييم الموقف على انها تستطيع زيادة مكاسبها الخاصة من خلال فرض تغييرات في طبيعة النظام بالقوة.... وهذا يعني ، ان تحسن قوة الدولة يعني انخفاض التكاليف النسبية التي تدفعها الدولة الصاعدة لتغيير النظام و ضمان مصالحها وهكذا وبموجب قانون العرض والطلب ، ستسعى الدولة الناهضة وكما هو حال الصين اليوم ، ومع تزايد قوتها الى تغيير الوضع القائم حالما يتم ادراك ان المنافع الكامنة تبدأ بتجاوز التكاليف المتوقعة للقيام بتغيير ما في بنية السياسة الدولية القائمة^(٣).

وعندما تزداد القوة النسبية للدولة الصاعدة فانها تحاول تغيير القواعد التي تحكم النظام الدولي ، وتقسيم مناطق النفوذ والاكثر اهمية من كل ذلك ، التوزيع الدولي للارض وردا على ذلك تجابه القوة المهيمنة هذا التحدي من خلال التغييرات في سياستها الهادفة الى اعادة التوازن، ويبين لنا التاريخ بانه في حال فشل القوة المهيمنة في هذه المعادلة ، سيتم حل عدم التوازن عن طريق الحرب وهو ما اشار اليه شيبوروكلو في كتابة بزوغ وسقوط الحضارة^(٤).

(١) روبرت جليبن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٩.

(٢) لورنس سميث ، العالم في العام ٢٠٥٠ اربع قوى تواجه مستقبل العالم في الشمال ، ترجمة :حسان البستاني ، بيروت : دار شروق ، ٢٠١٢ ، ص ٢٩٢ .

(٣) تداعيات التنافس الاميركي - الصيني على مستقبل النظام الدولي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢١٨ ، أكتوبر ٢٠١٩ ، ص ١٣٠

(٤) نقلاً عن : باتريك تاديوس جاكسون ، أسلوب التفكير في الحضارات ، في كتاب الحضارات في السياسة العالمية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨١ وما بعدها .

وبذلك يكون امام الدولة (القوى) المهيمنة ، طريقين من اجل اعادة التوازن في النظام ، الاولى : ^(١) وهي المفضلة ، حيث تسعى لزيادة الموارد المخصصة للحفاظ على التزاماتها وموقعها المهيمن .
والثانية : تكمن في امكانية تقليص التزاماتها الحالية ، وبطريقة لا تعرض موقعها الدولي للخطر في نهاية المطاف.

وبالتالي فان استراتيجيتها زيادة الموارد أو تقليص التكاليف ، وقد نجحت احدهما أو كلاهما من وقت لآخر ، وعلى اي حال فغالبا ما تكون الدولة المهيمنة غير قادرة على خلق موارد اضافية كافية للدفاع عن التزاماتها الحيوية ، وحالما تكون غير قادرة على الايفاء بالتزاماتها الداخلية والخارجية ، حينها يصبح عدم التوازن في النظام حادا وبشكل متزايد ، طالما كانت القوة المتدهورة تحاول الابقاء على الوضع الراهن.
والسبب الثاني يكمن في تأثير الصراع على القوى في المركز. فتوازن القوة في المركز ، يعمل بطريقة عامة على ابقاء الموقع المتوسط للدول منخفضا بحدود كل معيار لقياس القوة السياسية : مساحة الارض والسكان والثروة ^(٢)، حيث يؤدي الصراع على اضعافها وإعفاء بصبرتها عن خطر داهم يترقب اللحظة المناسبة للانقضاض عليها ، عندها تصبح هذه الدول ضحية لقوة الاطراف الصاعدة بسبب فشلها في توحيد نفسها ضد تلك القوة الطامحة للسيطرة والمجد .

(١) مالك عوني ، الديناميات اللاقطبية لنشوء قوة كبرى هندية ، محلق تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية ، القاهرة :

مركز الأهرام ، العدد ٢١٧ ، تموز ٢٠١٩ ، ص ٣ .

(٢) ارنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد ،مراجعة محمد شفيق ،بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٣٠٢ .

الخاتمة والاستنتاجات

تأسيساً لما سبق يمكن القول إن ظاهرة التغيير في السياسة الدولية هي ظاهرة دائمة الحدوث كون الثبات في السياسة الدولية لا يحدث ولا يمكن له الاستمرار ، وذلك لان التغيير هو الأصل وليس البقاء على حال واحد هو امر غير متحقق بفعل عوامل وأسباب (ذاتية وموضوعية) ، فالذاتية غالباً ما ينصرف الذهن إلى وجود زعامة غير تقليدية راغبة في دولة ما تتوافر على إمكانيات وقدرات داعمة لعملية التغيير المنشود إقليمياً ودولياً وهذه القدرات غالباً ما تكون اقتصادية - تقنية - مالية توظف لتحقيق غاية معينة وهو تغيير وضع إقليمي او دولي غير مرضياً عنه من قبل الدولة الساعية للتغيير.

ومن الجدير بالذكر أن تنمية قدرات دولة معينة والارتقاء بها إلى مصاف الدول الكبرى أو العظمى ، بقدر ما تكون هدفاً وغاية لصانع القرار السياسي ، فإنها تصبح أداة يوظفها في أوقات أخرى لتحقيق غاية معينة وهي غالباً ما تكون تغيير وضع معين يعتقد صانع القرار بجدوى وإمكانية تحقيقه على المستوى الدولي أو الإقليمي ، وبالتالي فهي غاية وهدف في بادئ الأمر وتتحول إلى أداة ووسيلة في المستقبل لإنجاز هدف أسمى وأكبر وهو "التغيير" في مسعى لزيادة مساحة التأثير والنفوذ السياسي الدولي ، ولذا فإن أهم الاستنتاجات التي يمكن ان نخلص إليها هي :

- أن استقرار النظام السياسي الدولي يتحقق طالما هناك قسمة عادلة لسوق العمل والعائد المالي والاقتصادي ، الأمر الذي يستتبعه حالة من الرضا والقناعة للأطراف الفاعلة في النظامين الإقليمي والدولي.

- طالما تسود حالة عدم الرضا والقناعة بالوضع القائم (stutesa94) لأسباب سياسية أو اقتصادية أو تقنية ، تبدأ الدولة أو مجموعة الدول المتضررة إلى اتباع سياسات تعمل على الحد من نفوذ وسياسات الدولة المهيمنة او (مجموعة الدول المتحالفة معها) بالاعتماد على قدرات وامكانيات تعينها على إنجاز تغيير ما نحو الأفضل من السابق .

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب

١. ارنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد، مراجعة محمد شفيق، بيروت، ١٩٥١.
٢. ايمانويل تود، ما بعد الامبراطورية : دراسة تفكك النظام الامريكي، ترجمة : محمد زكريا اسماعيل، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٣.
٣. روبرت جيلبين، الحرب والتغيير في السياسة العالمية، ترجمة باسم مفتن، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب، ١٩٩٠.
٤. لورنس سميث، العالم في العام ٢٠٥٠ اربع قوى تواجه مستقبل العالم في الشمال، ترجمة: حسان البستاني، بيروت : دار شروق، ٢٠١٢.
٥. مجموعة مؤلفين، الحضارات في السياسة العالمية : وجهات نظر جمعية وتعددية، تحرير : بيتر جي كاتزنشتاين، ترجمة : فاضل جتكر، عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، العدد ٣٨٥، الكويت، ٢٠١٢.

ثانياً : البحوث والدوريات

١. ابراهيم نوار، اختلالات النظام الاقتصادي العالمي وحركات تغييره، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مركز الاهرام، العدد ٢١٦، نيسان ٢٠١٩.
٢. احمد السيد ال سليم، تطور الاطار النظري لعلم العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة : مركز الاهرام، العدد ١٦١، تموز ٢٠٠٥.
٣. أنور عبد الملك، تغيير العالم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد ٩٥، تشرين الثاني، ١٩٨٥.
٤. تداعيات التنافس الامريكي – الصيني على مستقبل النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة : مركز الأهرام، العدد ٢١٨، أكتوبر ٢٠١٩.
٥. خالد حنفي علي، معضلات إدارة الدول للعلاقة مع الخصوم، ملحق اتجاهات نظرية لمجلة العلاقات الدولية، القاهرة، مركز الأهرام، العدد ٢٤٠، نيسان ٢٠٢٠.
٦. داليا رشدي، اختلال الهياكل ؟ متى تنشأ أزمة القيادة في النظام السياسي الدولي، ملحق اتجاهات نظرية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة : مركز الأهرام، العدد ١٩٦، نيسان ٢٠١٤.
٧. دلال محمد السيد، مقومات مفقودة، معضلات الدولة القائد في النظم الاقليمية والدولية، ملحق اتجاهات نظرية لمجلة السياسة الدولية، القاهرة : مركز الأهرام، العدد ١٩٦، نيسان ٢٠١٤.
٨. رغبة البهي، الصعود الصيني ومستقبل الهيمنة الأمريكية مع النظام الدولي، القاهرة : مركز الأهرام، العدد ٢١٤، أكتوبر ٢٠١٨.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

٩. السفير محمد انيس سالم ، جدلية التغيير والاستمرار في النظام العالمي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الاهرام ، العدد ٤٢١ ، تموز ٢٠٢٠.
١٠. سمير أمين ، البد البديل للنظام النيوليبرالي المعولم والمسلح ، الإمبريالية اليوم وحملة الولايات المتحدة للسيطرة على العالم ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوطن العربي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ٢٩٨ ، كانون الأول ، ٢٠٠٣.
١١. السيد أمين شلبي ، من الحرب الباردة الى البحث عن نظام دولي جديد ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الاهرام ، العدد ١٧٩ ، يناير ٢٠١٠.
١٢. عبد علي كاظم المعموري ، انبلاج فجر النظام الدولي الجديد متعدد الاقطاب ، مجلة حمورابي للدراسات ، بغداد : مركز حمورابي للبحوث ، العدد الثاني ، آذار ٢٠١٢.
١٣. عبير ربيع يونس ، من الهيمنة الى التعددية : صعود القوى التشابكية في النظام الاقتصادي العالمي ، ملحق اتجاهات نظرية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الأهرام ، العدد ١٩٦ ، نيسان ٢٠١٤.
١٤. عمرو عبد العاطي ، الانقاذ : مستقبل الاقتصاد الأمريكي والاقتصادات الناشئة في العالم ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ١٨٩ ، يوليو ٢٠١٢.
١٥. عمرو عبد العاطي ، مستقبل النظام الدولي مع انحسار حقبة الأحادية الأمريكية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢١٧ ، تموز ٢٠١٩.
١٦. كذلك أنظر : سامح راشد ، تجليات مبكرة للتعددية القطبية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢١٣ ، تموز ٢٠١٨.
١٧. اللواء احمد يوسف عبدالنبي ، تطور مفهوم وتطبيقات توازن القوى في النظام الدولي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الأهرام ، العدد ٢٢٠ ، نيسان ٢٠٢٠.
١٨. مالك عوني ، الديناميات اللاقطبية لنشوء قوة كبرى هندية ، ملحق تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢١٧ ، تموز ٢٠١٩.
١٩. مالك عوني ، انتصار الواقعية : اساطير التعاون الدولي في ادارة التغيير العالمي ، ملحق مقولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الاهرام ، العدد ٢٠٠ ، نيسان ٢٠١٥.
٢٠. مالك عوني ، انتهاء الامبراطورية القوة العسكرية واستراتيجيات بناء النفوذ الدولي ، ملحق تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية ، المجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢٠٢ ، أكتوبر ٢٠١٥.
٢١. محمد محمود السيد ، التحالف الروسي – الصيني لأزاحة الولايات المتحدة من صدارة النظام الدولي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الاهرام ، العدد ٢١٦ ، نيسان ٢٠١٩.
٢٢. ممدوح محمود مصطفى ، مفهوم النظام الدولي بين العالمية والنمطية ، سلسلة دراسات استراتيجية ، أبو ظبي ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، العدد ٦٧.

٢٣. هيرفريد مونكلر ، الإمبراطوريات ؛ منطق الهيمنة العالمية من روما القديمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة: عدنان عباس علي ، سلسلة دراسات مترجمة تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠٠٨.
٢٤. وحيد عبدالمجيد ، نحو تفسير جديد لأليات التغيير العالمي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة : مركز الأهرام ، العدد ٢٠٠ ، نيسان ٢٠١٥.
٢٥. يورغ سورنسن : إعادة النظر في النظام الدولي الجديد ، ترجمة اسامة الغزالي ، سلسلة عالم المعرفة الكويتي : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد ٤٨٠ ، كانون الأول ٢٠٢٠.
٢٦. يوسف سعداوي ، الأزمات المالية العالمية : الأسباب والنتائج المستخلصة منها ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ٣٦٥ ، تموز ٢٠٠٩ .

المصادر الإنكليزية

1. Robert cox , social forces states and world order , edited by steven c.roech .critical the org and internat and relations , Taylor and Francis Group , New york , 2008.
2. zbigniew Berzlnki, straigic Vition American and The Crisis of Global Power , New york, basic e Books, 2012.

الاعلام الالكتروني وتداعياته على مقومات الدولة القومية

أ.م. د. أنعام عبد الرضا سلطان العكّابي

جامعة بغداد / كلية الاعلام/ قسم الصحافة

المقدمة

تهدف الاداة الاعلامية الي التأثير النفسي والمعنوي والفكري علي صانعي القرار في دولة ما او الرأي العام بها علي النحو الذي يحقق مصالح واهداف الدولة وتتضمن استخدام الدولة لمختلف وسائل تقنيات الاتصال الدولي في التأثير علي الرأي العام في دولة ما او الرأي العام العالمي وتوجيهه بما يخدم المصلحة القومية للدولة سواء من خلال استمالته نحو التعاطف مع قضاياها او بث الفرقة في صفوف الدول المعادية او تحطيم الروح المعنوية لجيوش الاعداء او زعزعة الاستقرار السياسي داخل هذه الدول من خلال اثارة الاقليات داخلها مثلا أو تقنيت الوحدة والهوية الوطنية وغيرها . ومن عوامل القوة التي يزداد وزنها في العلاقات الدولية هي الاعلام وهذه الوسيلة لا يمكن عداها انها ظهرت في هذا العهد وأنها هي وسيلة قديمة , الأ ان التركيز عليها تصاعد بفعل ما احدثه التطور في تكنولوجيا الاتصال والاعلام من تأثيرات وتغييرات مباشرة على الساحة الدولية وفتحت الحدود بين الدول وجعلتها عرضة لتأثر وتأثير متعدد الابعاد, وبما ان الاعلام في الاساس عملية اتصال تتجه الى القوى الاجنبية أو الى المجتمع الدولي, وهي بذلك تصبح مقدمة لحركة سياسية اساسها الرغبة في الحصول على مصالح معينة ومن ثم تصبح الوظيفة الاتصالية في تلك اللحظة اداة مساندة لتنفيذ السياسة الخارجية , أذ ان العملية تسعى لخلق المنفعة واصطناع ادوات الارتباط بالمصالح. لقد شهد العالم منذ بداية العقد الأخير من القرن الماضي عدداً من المتغيرات في هيكل العلاقات الدولية وتفاعلاتها، وقد انعكس ذلك بشكل واضح على معظم مجالات الحياة، ولعل ما حدث من تطورات تكنولوجية وما تبعها من تطور في وسائل الإعلام ونظم الاتصالات يُعد أبرز هذه المتغيرات، عنصر قوة بل أصبح

الإعلام وكيفية تطويره لتكنولوجيا الاتصال عنصراً مهماً من عناصر تقييم القوة الشاملة للدولة، وبالتالي تقييم قوة الدولة المتحكمة في النظام الدولي الحالي. وهكذا أصبح العصر الذي نعيشه الآن، هو عصر ثورة الاتصال والفضائيات التي تبث عبر الأقمار الصناعية، وتحول العالم إلى قرية صغيرة، وذلك كنتيجة مباشرة لما شهدته وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة، من تقدم تقني ووظيفي، أدى إلى انتشار القنوات التلفزيونية الفضائية، فضلاً عن الانتشار المذهل لوسائل الإعلام الأخرى سواء المسموعة أو المقروءة، ناهيك عن شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، ما دفع بالأحداث المحلية إلى دائرة الاهتمام العالمي، وجذب الأحداث العالمية إلى بؤرة الاهتمام المحلي. لقد كتب الكثير منذ ربع قرن حول التأثير المتنامي للإعلام، واختلف منذ البداية رواد علوم الإعلام السياسي في تحديد نوعية العلاقة بين السياسة والإعلام، فرأى بعضهم أن العمل السياسي والعمل الإعلامي يشكلان مجالين متميزين، ورأى البعض الآخر أنه لا يمكن الفصل بين هذين النشاطين باعتبار أهمية الوظيفة الإعلامية هي التبليغ وإشراك المواطنين في الحياة السياسية، وربط قنوات الاتصال بين التشكيلات المتألّفة أو المتعارضة، فأضحى الجمهور مرتبطاً بما يقرأه في الصحافة ويشاهده على الشاشة أو يسمعه في الإذاعة، لذلك فإنه لا تكتمل الحياة السياسية في الدولة العصرية إلا بالإعلام الغزير والحوار الدائم بين المواطنين ومختلف أجهزة الحكم. وهذا العمل الإعلامي الذي يطلق عليه صفة "الإعلام السياسي" يتصل خاصة باهتماماته المحلية والدولية ذات الطابع السياسي، وللإعلام السياسي في النظام الدولي أو النظام السياسي المحلي أهداف كثيرة، منها دعم الديمقراطية وخدمة التنمية السياسية وتكريس الحقوق الإنسانية.. أن تراجع الخطاب المطالب بإقامة نظام عالمي جديد للإعلام والاتصال، كامتداد طبيعي للمطالبة بإرساء أسس نظام اقتصادي عالمي جديد يكون الهدف منهما تقليص الاختلافات والتفاوتات التي تطبع العلاقات بين دول الشمال ودول الجنوب. ومن الثابت كذلك أن تراجع الخطابين إنما جاء نتيجة المعارضة الشديدة التي لقيها من لدن الدول الغربية الكبرى، عبرت عنها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالانسحاب على اعتبار "أدلجة" المؤسسة "اليونسكو" التي تشبّثت دول العالم الثالث في ظلها بالنظامين. لقد خلق النظام الدولي بقيادة الولايات

المتحدة الأمريكية لنفسه نظاماً إعلامياً برزت معالمه الأولى في تغطية حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م ثم في أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م واحتلال أفغانستان عام ٢٠٠٢م وأخيراً في حرب الخليج الثالثة عام ٢٠٠٣م، وكذلك أحداث ما يسمى (بالربيع العربي) موظفاً في ذلك أقوى ما وصلت إليه تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وأثبتت الوقائع تهميشه الممنهج لمشكلات دول عالم الجنوب وتشويهه الصارخ لقضاياها وتطلعاته المستقبلية. ما يشد الملاحظ للتطورات العالمية التي واكبت خطاب النظام الدولي الأمريكي ملامحه التكنولوجية البارزة، والتي أحتلت الولايات المتحدة بامتياز مركز الصدارة بدون منازع في إعادة تشكيل بنية العلاقات الدولية لما بعد الحرب الباردة. ويوجز أهل العلم سمات النظام الدولي الأمريكي في السياسة الدولية المعاصرة في ثلاث سمات رئيسية أدت إلى تشكيل هيكلية النظام العالمي الحالي برفقة نظام إعلامي معاصر، وهذه السمات هي: السمة الأولى: تتمثل في الثورة الهائلة في وسائل الاتصال ونقل المعلومات وسرعة تداولها عبر الدول، وما ترتب على ذلك من اختصار غير معهود للزمن والمسافات بين مختلف مناطق العالم... إلى الحد الذي حمل بعض المفكرين الاجتماعيين، مثل آلفن توفلر، إلى التساؤل بشأن مدى قدرة الإنسان على التكيف مع هذه الدرجة غير المسبوقة من السرعة في تداعي الأحداث وتلاحقها. السمة الثانية: تتجلى في خاصية الثورة العلمية والتكنولوجية التي أغرقت "المجتمعات" بالسلع والأجهزة والمعدات ووسائل إنتاج وتوزيع واستهلاك العلم .

السمة الثالثة: تكمن في تزايد الاعتماد الدولي المتبادل، سيما مع تصاعد ظاهرة الشركات المتعددة الجنسيات، إذ أصبح من الشائع اليوم أن نجد عديداً من المنتجات الصناعية "سيارات، أجهزة إلكترونية، حاسبات آلية... إلخ" يتم تجميع مكوناتها في أكثر من دولة بحيث تقوم كل واحدة منها بالتركيز على/أو بالتخصص في صنع أحد هذه المكونات فقط. هذه السمات الكبرى هي التي تأسست "لأطروحة" النظام الدولي المعاصر وكرست له بالتأكيد كمرجعية أولى في العلاقات الدولية "الجديدة". توظيف الإعلام ما يقدم إشكالية البحث في هذا الموضوع، ليس تبني هذه الأدبيات النظام الجديد، فقد تبناه جانب كبير منها وعارضه جانب آخر وتحفظ على طرحه جانب ثالث، ولكن توظيف تكنولوجيا ووسائل الإعلام والاتصال للترويج للنظام الجديد أثناء

تغطيتها وتضليلها لكل ما يمت بصلة لمصالحها الاستراتيجية، كما هو في حرب الخليج الثانية والثالثة وأحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ . يتضح مما سبق دور وأثر الإعلام في السياسة المحلية والدولية في ظل النظام الدولي الجديد الذي كرّس أهمية الإعلام السياسي في خدمة أهدافه واستراتيجياته الجديدة، وسعى إلى الاعتماد على الإعلام كسلاح أكثر فعالية من اللجوء إلى القوة العسكرية والعنف، بل وسلاح أكثر خطورة من السابق باعتباره يعتمد على وسائل الإقناع والترغيب والترهيب والتضليل والخداع بصورة تبدو للعيان أنها الواقع أو الحقيقة. يرمي البحث الى بلوغ اهمية دراسة هذا الموضوع في قراءة الاثار الحاصلة في الربط بين الاعلام الجديد ومقومات الدولة القومية وهي كما يلي:

١- ان ربط الاعلام بسياسة الدولة الداخلية والخارجية يبين ان واحدا من أهم مدخلات ممارسة التأثير عالمياً في عالم اليوم هو الاعلام . ومعرفة الدور السياسي للاعلام في التحكم بالرأي العام , وتقديم الفلسفة السياسية وتحليلها التي يستند الاعلام في تبرير دوره في دفع دول العالم واقناعها في السياق الذي يتوافق وتوجهات الدولة ومصالحها.

٢- ان تتبع التغير في وسائل الاعلام وتتبع التغير في قدرتها على التأثير عالمياً يفيد بإمكانية تتبع التغير في قدرة الدول على ممارسة التأثير في النظام الدولي.

وترمي الدراسة الى بلوغ الاهداف التالية.

١-دراسة التحول الذي تشهده البيئة الدولية على صعيد اللاعبين الدوليين وعلى صعد وسائل القوة, وكيف ان العالم صار يتفاعل مع ما يُعرف بفاعلي الشبكة وهو نوع من التفاعلات تقوم على استخدام وسائل الاعلام الجديدة على نحو يخلق تأثيراً على العلاقات الدولية ومن ثم لا يمكن لدولة ان تتجاوز ذلك التأثير عالمياً.

٢-دراسة التحول في الاعلام من وسيلة الى قوة والتي اضحت سلاحاً للمستقبل وكيف اصبحت
الفكرة السائدة هي ان من يمتلك تكنولوجيا الاعلام يمتلك مفاتيح القوة التي اجتاحت الحواجز
المادية والمعنوية للدولة

المشكلة البحثية: تكمن مشكلة الدراسة في بحث وتحليل تكنولوجيا الاعلام الرقمي واثره في تغيير
أو بقاء مقومات الدولة القومية طالما ان الاعلام منفتح على المعلومات كلها ويتفاعل معها
ويؤثر في طريقها , فإنه أدى الى اظهار الاعلام واحداً من مقومات القوة عالمياً. وهو ما يطرح
عدة تساؤلات :

ماهي التغيرات التي حدثت في العلاقات الدولية؟

ما الذي طرأ من تغير في وسائل الاعلام؟ وفي قدرته على التأثير عالمياً ؟

ما هي ظاهرة الاعلام الرقمي؟ وكيف تم استخدامها من قبل الدول لأحداث التأثير؟

ما الذي يتوقعه من تأثير الاعلام في مقومات الدولة ؟ وكيف يمكن قراءة مستقبل الاعلام
الرقمي في سياسة الدولة وبقاء وظيفتها؟

الهيكلية: ان موضوع البحث دفع الباحثة الى اعتماد الهيكلية التالية القائمة على مقدمة وثلاثة
مباحث وخاتمة واستنتاجات وهي:

المحور الأول: الاعلام ومقومات الدولة:

١-مفهوم الاعلام والاعلام الجديد(الفضائي والالكتروني)

٢-تأثير الاعلام على السيادة الوطنية

٣- تأثير الاعلام في سياسة الدولة

المحور الثاني: تكنولوجيا الاعلام والمتغيرات الخارجية:

١- التحول في عوامل القوة

٢- بروز اللاعبين الجدد

المحور الثالث: سيناريوهات مستقبلية لتأثير الاعلام الرقمي في مقومات الدولة القومية

١-تصاعد تأثير الاعلام في مقومات الدولة القومية

٢- ضعف احتمالية تأثير الاعلام في مقومات الدولة القومية

الخاتمة والاستنتاجات:

المحور الاول: الاعلام ومقومات الدولة

ان الثورة الاعلامية أو تكنولوجيا الاعلام التي يشهدها العالم قد قلبت كل الموازين واضحى الاعلام ركيزة اساسية في بناء الدولة بل بات يُعتبر من مقومات ورموز السيادة الوطنية , فلا بد من تفعيل أدائه لترسيخ بناء الدولة وترسيخ الثوابت الوطنية لديها ولدى مواطنيها وذلك لأنه يرتبط بقوى الدولة الشاملة.

١- مفهوم الاعلام والاعلام الجديد (الفضائي والالكتروني)

ان التطور التكنولوجي للاتصال الرقمي كانت له تداعيات سلبية وايجابية أذ عملت على تقريب واندماج التطبيقات التكنولوجية لوسائل الاعلام والاتصال التي كانت في الماضي غير مرتبطة عن بعضها البعض, واصبح هناك تقارب بين اجهزة التلفزيون واجهزة الحاسوب وارتبط الهاتف في عالم الصورة, ومن ثم اثرت التكنولوجيا على انشطة الاعلام ووظائفه التقليدية , أذ تحولت من ارسال وبث تلفزيوني وهاتفي سلكي ثم لاسلكي الى ارسال رقمي تفاعلي. ومن هنا تعددت المداخل التي توضح معنى مفهوم الاعلام الجديد وتطورت وسائله ضمن سياقات تاريخية وتكنولوجية مختلفة, فهناك العديد من الباحثين الذين سعوا لطرح فكرة الاعلام الجديد من ادوات

التكنولوجيا الرقمية واستخدامات شبكة المعلومات الدولية وتطبيقاتها. وازاء ما تقدم هناك مفاهيم عدة للأعلام فضلاً عن تنوع اشكاله وعلاقته المتينة مع الاتصال والمعلومات.

أولاً: معنى الاعلام

يعد مفهوم الاعلام من المفاهيم المتداولة في المجتمعات الانسانية القديمة أذ بدأ النشاط الاعلامي يأخذ بالنمو السريع مع النصف الاول من القرن التاسع عشر بمسعى وجهد عالمي ليس من أجل تغطية الاحداث والقضايا ونقل أو تحليل الاخبار فحسب بل لتلبية احتياجات الافراد واشباع رغباتهم في الحصول على المعلومات والاخبار (١). ومع مجئ القرن العشرين بدأ التطور في استخدام وسائل الاعلام بدلاً من منهج الاتصال الشفوي والطباعة. وبناءً على ما تقدم , برزت العديد من تعاريف مفهوم الاعلام على الرغم من تنوع وسائله والعلاقة الوثيقة مع الاتصال والمعلومات , فهناك من يعرفه انه: " النقل الحر الموضوعي للاخبار والمعلومات بأحدى وسائل الاتصال أو نقل الاخبار والاحداث بصورة صحيحة وبذلك فهو يختلف عن مفهوم الدعاية (٢), وكذلك هو " تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأي صائب في حدث أو مشكلة بحيث يكون الرأي المكون موضوعياً " وهو مجموعة النشاطات التي هي في الواقع المادة الاولى الخام للأعلام والادوات والوسائل والتأثيرات الهادفة الى جمع واختيار حقائق

موضوعية تعتبر ذات اهمية للحياة الاجتماعية" (٣). لذلك فأن مصطلح الاعلام يمكن ان يشمل الاتصال واحياناً يختلط الاعلام ليشمل المعلومات والوثائق تخاطب وتواصل : اي بمعنى ارسال معلومات واستقبال اشارات ورموز ورسائل . وتم تحديد معنى الاعلام عموماً: " يمكن ان يشمل جمع ومعالجة المعلومات ونشرها من اجل استيعاب ومعرفة الظروف المحيطة بالأحداث للوصول الى وضع يمكن لأفراد المجتمع من اتخاذ القرارات المناسبة, حيث يعد الاعلام اليوم

احد المصادر الاساسية لجمع المعلومات بفعل الثورة الاعلامية الحاصلة في ميزة سرعة جمع المعلومات وضخها (٤)

ثانياً : الاعلام الجديد (الفضائي والالكتروني) لقد تشكل الاعلام الجديد جراء عملية الترابط والاندماج بين تكنولوجيا جراء عملية الترابط والاندماج بين تكنولوجيا البث الجديدة والتقليدية والاتصال مع تطبيقات الحاسوب وشبكات النت ، وعلى الرغم من هذه الآلية الجديدة في تحقيق الاندماج الا ان خصائصه النهائية لم تستكمل بعد، فتعددت تسمياته ومصطلحاته، وذلك لأنه لم يعد هناك تشابهاً بين وسائط الاعلام والاتصال التقليدية سواء من حيث الوسيلة أو من ناحية التطبيقات. وهناك تسميات متنوعة للتطبيقات الاعلامية المستحدثة وعلى منهجيات واساليب جديدة، فهو الاعلام الرقمي الذي ترتبط تطبيقاته على التكنولوجيا الرقمية على سبيل المثال التلفزيون الرقمي والاذاعة الرقمية وغير ذلك من الانظمة والوسائل الاعلامية التي ترتبط مع الحاسوب. وتُطلق على الإعلام الجديد أيضاً تسمية الإعلام التفاعلي، حيث تبرز هناك نوع من الاستجابة بين مستخدمين شبكة المعلومات الدولية وبين وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وغيرها من النظم الإعلامية التفاعلية الجديدة (٥) ، وهناك من يطلق عليه بالإعلام الشبكي حيث يعتمد على خطوط الاتصال وتطبيقاته على شبكة المعلومات الدولية ، ويدعى كذلك بالوسائط السيبرونية انطلاقاً من كلمة الفضاء

السيبروني " والتي ترجع إلى روايات الخيال للكاتب ويليام غبسون، والتي تُعرف بعلم التحكم الآلي ، ويعني تعبير السايرميديا: العالم المصنوع من المعلومات الخام التي لا تأخذ شكل إعادة "فيزيائياً"، وتُعبّر عن وسائل التحكم الالكتروني التي استبدلت مكان العمل البشري، ولكنه تم استعماله لتفسير آلية المعلومات التي تبث باستخدام الفضاء في الشبكة (٦). وكذلك يمتلك صفة أخرى وهي إعلام المعلومات لتوصيف الاندماج بين آليات الحاسوب ووسائل تكنولوجيا الاتصال، حيث يُعبّر عن تشكيل نظام إعلامي حديث يستثمر ويندمج مع تكنولوجيا المعلوماتية ، وقد أطلق عليه تسمية أخرى بـ "إعلام الوسائط المتعددة" انطلاقاً من الاندماج في داخل هذه

الوسائط بين النص والصورة والصوت (٧). وأخيراً وليس آخراً ، للإعلام الجديد وصف آخر وهو الإعلام الالكتروني : " الذي هو نوع جديد من الإعلام يتم تنشيطه في فضاء العالم الافتراضي ويستخدم الوسائط الالكترونية كأدوات له تديرها وتتحكم بها دول ومؤسسات وأفراد فاعلين يمتلكون قدرات وامكانيات متباينة ويمتاز بالسرعة في الانتشار والتكلفة الزهيدة وشدة التأثير (٨). وعليه ، يمكن تقسيم الإعلام الجديد إلى أربعة أقسام وهي كالآتي :-

أ- الإعلام الجديد يستند على شبكة الانترنت وتطبيقاتها، وهو ظاهرة تتسم بصفات وميزات غير مسبوقة وهو ينمو بسرعة كبيرة وتنشأ عنه حزمة من التطبيقات الجديدة التي لا حصر لها.

ب- الإعلام الجديد قائم على الاجهزة والوسائل النقلة بما في ذلك آليات قراءة الكتب والصحف وهو أيضاً ذات نمو سريع، وينشأ من انواع جديدة من التطبيقات على الأجهزة المحمولة المختلفة منها اجهزة الهاتف والمساعدات الرقمية الشخصية وغيرها.

ج- نوع قائم على قاعدة الوسائل التقليدية مثل الراديو والتلفزيون التي اضيفت اليها خصائص جديدة مثل التفاعلية والاندماج والرقمية والاستجابة للطلب .

د- الإعلام الجديد قائم على شاشة الحاسوب ويتم تداوله اما بوسائط شبكية أو بوسائل الحفظ والخزن المختلفة مثل الاسطوانات الضوئية والذاكرة وغيرها من ادوات الحفظ ، ويشمل العروض البصرية والالعاب الفيديو وتشمل أيضاً الكتب والصحف والمواقع الالكترونية وغيرها (٩). ونخلص هنا على وجود مجموعة: "من الخصائص والمميزات التي يتمتع بها الإعلام الجديد على ما سبقه، وتتمثل عملية دمج للوسائل المتنوعة القديمة والمستحدثة في مكان واحد على جهاز الحاسوب وشبكاته ووسائطه، فضلاً عن ان هذا الإعلام مستند وقائم على التكنولوجيا الرقمية وحالات التفاعلية والتشابك وتطبيقات الواقع الافتراضي وتعددية الوسائط، ويحتفظ بميزة الإستثنائية والتخصيص، وقد تجاوز مفهوم الدولة القومية واخترق الحدود الدولية" (١٠).

٢- تأثير الإعلام على السيادة الوطنية

لقد غيرت تكنولوجيا الإعلام أحد أهم العناصر الأساسية لسيادة الدولة وهي التحكم في أراضي واجواء الدول وحدودها السياسية ، فالاستخدام الواسع للأقمار الصناعية على سبيل المثال غير من تحكم الدولة في سيادتها على المجال الجوي، ولعل أخطر تقنيات وادوات هذه الثورة الإعلامية الجديدة هي شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) (١١)، فولدت ثورة الإعلام والاتصالات نتائج وخصائص كبيرة من أبرزها اضعاف صفة الطابع الدولي على وسائل الاتصال الجماهيري، وبدى من الصعب تمييز الاختلاف بين ماهو إعلام وطني وماهو إعلام دولي ، فضلاً عن دورها الفاعل في التأثير على عملية اتخاذ القرار السياسي(١٢).

وبفعل عوامل الاندماج والتفكك التي طالت وحدات المجتمع الدولي ، فإن الثورة في مجال الإعلام والاتصالات عملت على فتح الحدود السياسية واختراق سيادتها، ومن ثم فقدت الدولة القومية وظيفتها وقدرتها على إدارة وتنظيم سياستها الداخلية والخارجية، مما ألزمها على اتباع سياسات الدول المسيطرة والمالكة لادوات الثورة المعلوماتية(١٣).

أولاً: تآكل السيادة الوطنية والاختراق الثقافي

يشهد العالم نتيجة لتطورات الثورة العلمية والتكنولوجية وانعكاسها في تبادل وتداول المعلومات وانتقال رؤوس الاموال من دون حواجز إلى التداخل وتشابك القضايا بين أمور السياسة والاقتصاد دون اخذ الاعتبار بأن المجتمع الدولي يتشكل من دول ذات سيادة.لقد اجتاحت تكنولوجيا الإعلام والاتصالات الحدود وتراجعت المسافات وتقلصت سلطة الدولة ووظائفها الرسمية ، ففتحت منافذ جديدة للتدخل المباشر وغير المباشر في قضايا الشؤون الداخلية للدول(١٤).

ولعل الأثر المباشر للثورة العلمية والتكنولوجية بدى واضحاً تأثيره على اسس ومبادئ النظريات التقليدية للسيادة* فقد عمل الاختلاف في آراء وافكار نظريات السيادة التقليدية بين مصطلح السيادة كمفهوم قانوني(أي صفة من صفات الدولة وعنصر اساسي فيها ، قوامها الاستقلال القانوني في مجابهة غيرها من السيادات الأخرى)، وبين مصطلح السيادة كمفهوم سياسي :

وتعني القوة الحقيقية للدولة في قدرتها على ابراز وتأکید مكانتها في المجال الدولي بحرية كاملة دون الخضوع لأي سلطة خارجية , أي القدرة الفعلية على تحقيق الاستقلال وتنفيذ الارادة الحرة في المجال الدولي . حيث بقت هذه النظرة سائدة لفترة طويلة ,

وجرى العرف التمييز بين الدول التي تتمتع بالسيادة القانونية والسياسية في آن واحد , وبين دول تتمتع بالسيادة القانونية دون ان تحظى بالتمتع في المفهوم السياسي للسيادة" (١٥).

ان الثورة العلمية والتكنولوجية والاكتشافات في مجال الإعلام والمعلوماتية والاتصالات ونقل المعلومات عبر الاقمار والقنوات الفضائية ومراكز المعلومات , أفرزت تغييراً وتداعيات كبيرة على مفهوم السيادة , واصبحت الممارسة الحقيقية لمظاهر السيادة تقاس بإمكانية الدولة أو بقدر ما تملكه من قوة المعرفة والمعلومات في شتى المجالات بحيث تستطيع من خلالها الحفاظ على سيادتها من الاختراق , فاذا كانت ممارسة السيادة كاملة لدى بعض الدول فأنها تكون مشروطة وتتسم بالتحديد لدى البعض الآخر , واصبح إكمال السيادة أو نقصانها من الناحية السياسية متعلق بما تملكه الدول من امكانيات علمية وفنية متقدمة تسمح لها بمعرفة ظروف محيطها الاقليمي , بل وفي محيط اقاليم غيرها من الدول (١٦). إن بعض الدول تمتلك معلومات عن قضايا مهمة مما تملكه الدولة صاحبة الشأن، ولم تعد من الصعوبة اختراق الحدود السياسية , بل لم يعد بإمكانها الصمود طويلاً امام تقدم تكنولوجيا الإعلام والاتصالات، فعلى سبيل المثال فإن موجات الاذاعة والبث التلفزيوني والفضائي ووسائل الإعلام وشبكة المعلومات العالمية والبريد والاتجار الالكتروني أصبحت تدخل حدود الدول دون الحاجة إلى موافقة منها، فلا يمكن للدولة ايقاف هذا الاختراق إلا من خلال انتهاج سياسات معينة مثل سن التشريعات التي تحظر ذلك أو بث موجات مضادة أو الدخول في منافسة تعتمد أساساً على الامكانيات التكنولوجية، كما عملت التكنولوجيا على تحسين خط الانتاج بصورة متزايدة لسد حاجة الأسواق بشكل اوسع خارج إطار الدولة القومية ولتسويق سلع وخدمات أجنبية وتسويق قيم وثقافات وأفكار من خارج حدودها القومية (١٧). أما من حيث التأثير الآخر الذي تأثرت فيه سيادة الدولة من جراء الثورة الاتصالية والمعلوماتية والإعلامية هو عامل الاختراق الثقافي , حيث استند تطور الثقافة وانتشارها في

مراحل التاريخ البشري على التكنولوجيا اعتماداً كبيراً ، فاستخدمت الاتصال البشري المباشر في المراحل

الأولى للتطور البشري ، ثم استخدمت بعدها الاشارات والحركات والخطاب الشفهي ثم الطباعة والفيلم السينمائي والبث الاذاعي والتلفزيوني التقليدي ثم الوصول إلى محطات البث الارسالي والاستقبال والاقمار الفضائية والحاسبات ومراكز المعلومات, وفي النهاية تم اختراع شبكة المعلومات العالمية(الانترنت) والاعتماد عليها بشكل كبير في نشر الثقافة الغربية(١٨) ولم تُعد إذاعة ونشر الثقافة خاضعة لوسائل تقليدية كما في السابق ، بل أصبحت متأثرة إلى حد بعيد بالتكنولوجيا الاتصالية والإعلامية ، وهذه التكنولوجيا تم الاستعانة بها في تحقيق الإختراق الثقافي ، إذ بإمكان التكنولوجيا بث ونشر الثقافة التي ترغب بها (١٩). ان الثقافة في الوقت الحاضر, اصبحت تواجه تحدي كبير تمثل بتنامي بنوك المعلومات واتساعها وسرعة تداولها والهيمنة على الصناعات الثقافية والاتصالية واحتكارها من قبل الولايات المتحدة, وإنتاج وتصنيف المعلومات ووسائل تخزينها وتسويقها إلى معظم أرجاء العالم ، فمن البديهي ان من له القدرة على انتاج اسس المعلومات واحتكار صناعة الإعلام والاتصال وقواعد استخدامها يكون له دور رئيسي في التأثير على ثقافة المتلقي , وفي هيكلة شخصية الفرد وتشكيلها لأنه يمتلك المعرفة والتكنولوجيا ، والمعرفة قوة مؤثرة على الشعوب ودولها على حدّ سواء(٢٠).

لقد اصبحت مراكز المعلومات وتكنولوجيا الإعلام والاتصال لها التأثير في منافذ الثقافة، فالثقافة القائمة عبر التكنولوجيا تقوم بعملية الإختراق الثقافي بهيمنة الثقافات التي تمتلك أساساً قوياً من التكنولوجيا على الثقافات التي تعاني من الضعف (٢١). وهذا يعد بمثابة سلاح رئيس للتدخل والعدوان غير المباشر (indirect Aggression) من خلال هدم المعتقدات المذهبية والدينية للمجتمعات الأخرى أو تشويه عاداتها وتقاليدها أو تحريك جوانب الخلافات الداخلية فيها أو إستغلال عوامل الصراع المحلي دعائياً ضدها أو للتحريض على قلب انظمة الحكم فيها أو لفرض تبعيتها لقوى دولية مؤثرة في النظام الدولي (٢٢).

لقد باتت الثقافة متأثرة بالعامل التكنولوجي إلى حد بعيد، ومن هنا انبثق مصطلح "العولمة *
الذي أثار ولا يزال تحدي واشكالية ثقافية وفكرية واقتصادية كبيرة في عالمنا المعاصر لها ارتباطاً
كبيراً بالتكنولوجيا، حيث لعب الإعلام دوراً مهماً في تفعيل العولمة الثقافية وبالتالي تحقيق
الاختراق الثقافي (٢٣). وعلى الرغم من أن الإطار الوظيفي للإعلام عبر تاريخه الطويل،
وتطور وسائله وتقنياته بصيغة محدودة في أطر واسس معينة، إلا أن دوره وتأثيره قد إزداد
اتساعاً في عصرنا الحالي إلى الحد الذي لم تُعد فيه الدول قادرة على فرض سيادتها في مجالها
الجوي أو تتحكم فيه، فالمراقبة الحكومية أصبحت فاعلة عملياً (٢٤) ولم يبقَ للدول في هذه
الحالة سوى خيار التعامل والرضوخ لشبكة الاتصالات والمعلومات التي تقوم الإدارة المالكة
والممولة لها من خلال احتكار التكنولوجيا في الإشراف والرقابة على أسس التحكم في المعلومات
وفي عملية انتقالها ووسائل تخزينها وتوظيفها لتحقيق الهدف المطلوب (٢٥) وهذا يفسر بأن
الإعلام أضحى كأداة ووسيلة من أجل تحقيق الهيمنة الدولية، أن تحول مفهوم الثقافة إلى سلعة
يرافقها وجود ثقافات مدعومة بوسائل تكنولوجية متقدمة إلى حالة من انعدام المساواة والتي أثارت
حفيظة معظم الدول في أن عولمة الثقافة أصبحت من الأسلحة الرئيسة في إبراز الازدواجية
وانقسام وضمور الهوية الثقافية والوطنية (٢٦).

وذلك بإعتبار أن الهوية الثقافية لا تستطيع الصمود أمام ضغوط وتحديات البيئة الخارجية في
حالة ضعف مؤسسات البنية الداخلية الخالية من وسائل المقاومة أو غير قادرة على استخدامها،
ولاسيما أن الثقافة التي تستند إلى التقاليد الاجتماعية تحولت إلى سلطة مادية تتحكم فيها القوى
العظمى من الناحية التقنية محاولة اختراق خصوصية هويتها الثقافية. لقد أفرزت عولمة الثقافة
والاتصال من خلال البث التلفزيوني الفضائي وبالتحديد من خلال شبكة المعلومات التي تربط
جميع الأفراد في كافة انحاء العالم إلى تعميم الثقافة الرأسمالية والقضاء على الهوية الوطنية
والتشكيك في جميع القنوات الدينية والهوية الثقافية.

٣- تأثير الإعلام في سياسة الدولة

ان الثورة التكنولوجية المتسارعة في وسائل الاتصال والإعلام أحدثت اختراقاً خطيراً على سياسة الدولة والوصول إلى عقول الشعوب الأخرى في محاولة لتغيير إدراكهم ومواقفهم حيال الأحداث والقضايا، ومن ثم امكانية التأثير في سلوكهم أو حتى تغييره ، وقد ينتج عن ذلك إحداث تفكك داخلي ، أو قد يتمرد أفراد المجتمع على سلطة الدولة ، وقد يصل الامر إلى التأثير على السلوك السياسي الخارجي للدولة نتيجة خشية نخبتها الحاكمة من التأثير الجانبي لمصادر الدعاية المناوئة لهم. لقد اوصلت الثورة التكنولوجية وسائل الاتصال حداً غير مسبوق ، وجعلت من العالم بالفعل قرية صغيرة بالمعنى الإعلامي وان كانت بصيغة استبدادية للمؤسسة الإعلامية، حيث تتحكم الولايات المتحدة في تدفق الاخبار وبث المواد الإعلامية على نحو يبرز الفوارق في موازين القوى المادية بين الدول. وهكذا يتفقم الاختراق الإعلامي الغربي للكيانات السياسية بحيث يكون اتجاهه واحد من عالم الشمال التي تتحكم على معظم مقاليد القوة إلى دول عالم الجنوب النامية ، و تفرض عليها مزيد من القيود التي تحدد سيادتها من خلال الآلة الإعلامية الأمريكية المهيمنة عالمياً . لقد تنافست وسائل الإعلام الجديد والعولمة الإعلامية مع سلطة الدولة في بعض صلاحياتها ولاسيما في مجال الإعلام وتأثيره على الرأي العام والانتقاص من السيادة الوطنية، حيث ان بروز الشبكات العملاقة من وسائل التواصل الاجتماعي أثرت على السيادة الإعلامية والمعلوماتية للدولة، بعد ان زال عصر احتكار السلطات للاخبار والمعلومات (٢٧).

ان الدولة في ظل الاختراقات العابرة للحدود سوف تكون عرضة للاختراق والتغيير نتيجة للتأثير المتزايد للفواعل من غير الدول من الشركات العابرة للقومية والقوى أو المنظمات السياسية المحركة في المجتمعات ، وتطور وسائل الاتصال والإعلام في عصر المعلوماتية التي قللت من فاعلية وظيفة الدولة، وسوف يدفع ذلك بالمنظمات والشركات المتعددة القوميات إلى ممارسة ادوار متزايدة بصورة دائمة لتكون البديل عن دور الدولة الذي بدأ يتقلص نتيجة لمتغيرات العصر الراهن(٢٨). لقد اسهم الإعلام كوسيلة فعالة لتحقيق العولمة والاختراق الثقافي(٢٩) وهناك سلطة تكنولوجية ذات منظومات متشابكة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول وانما تطرح حدوداً فضائية غير مرئية ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على اعتبارات سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية

لتشكل عالماً من دون دولة ومن دون امة أو وطن وهو عالم المؤسسات والشبكات المنتشرة في كل انحاء العالم , فهي مرة تعمل كمنظمات ذات طبيعة خاصة وشركات عابرة القومية يتصف مضمونها بالعالمية والإنفراد , والتي تُبث عبر مختلف الوسائل بحيث تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة لتخاطب افراد متعددي العقائد والرغبات والاهواء. ان المجتمع والمعلومات ادى إلى زيادة فرصة اتخاذ القرارات ومشاركتهم في صنع القرار السياسي واستخدام الإعلام الرقمي في الاقتراع والتصويت والانتخابات وزيادة الوعي الاجتماعي من خلال التواصل التشابكي بين الجماعات التي تتجاوز الحدود الوطنية وتكوين جماعات ضغط سياسي (٣٠) بالإضافة إلى ذلك ان التواصل عبر الانترنت قد عمل على الغاء الحواجز الجغرافية وحتى الثقافية بين الفاعلين الدوليين وغير الدوليين , وبوجود كل وسائل الاتصال واجهزة التقنيات الحديثة مثل الحاسوب والفاكس والجوال الخ.. يجعل تقييد وعولمة الثقافة كونياً وجعله أمراً ممكناً المعلومات أمراً غير ممكناً فأصبحت المعلومات متوفرة للجميع . لقد تم ربط العالم بشبكة واسعة من الاتصالات من خلال الاقمار الصناعية والقنوات الفضائية والانترنت , مما سهل عملية الانتشار الثقافي وعموماً لا يعترف بالحدود

الوطنية والإقليمية للدول , واصبح نطاقها ومجالها هو العالم اجمع، حيث ان في مجتمع وفرة المعلومات ووجود الانترنت تُذوب فيه الحدود الجغرافية بين الدول لإرتباط العالم بشبكة واحدة (٣١). بمعنى آخر ، ان الإعلام في عصر المعلوماتية انتقل وتحول من النطاق المحلي إلى النطاق الكوني، ومن التأثير محدود النطاق إلى التأثير اللامحدود. لقد أصبحت مسألة الحفاظ على أمن الحدود موضعاً للتحدي في العالم المعاصر، إذ ان التحدي الاخطر الذي يجعل الحدود ملغاة وغير معترف بها تقريباً هو تحدي وسائل الإعلام والاتصال الدولية التي يتم نقلها عبر موجات الاثير أو عبر الاقمار الصناعية، ولهذا فإن التحدي المطروح حالياً على الدول القومية هو تحدي بقاء الهوية والسيادة الوطنية معاً (٣٢) ان قضية العولمة الإعلامية وتأثيرها على المهام والصلاحيات التي تمارسها الدول ، أي تحدي سيادة الدول ، حيث أصبحت الدولة في بعض الحالات غير قادرة على تلبية حقوق المواطنة في الداخل وتم تحقيقها من قبل

الخارج أي (الفاعلين من غير الدول) واستغلال تزايد أهمية الاعتمادية المتبادلة ، مما أثر على قدر السيادة التي كانت تتمتع بها الدول في السابق (٣٣). وكخلاصة ، فإن الإعلام يمارس تأثيره في سياسة الدولة بشكل متزايد ، لأنه يعمل بشكل فاعل كلما تناقشت تلك السيادة للدولة القومية (٣٤).

المحور الثاني: تكنولوجيا الاعلام والمتغيرات الخارجية:

١ - التحول في عوامل القوة

يشهد العالم تحول نحو تبني قوة المعرفة والمعلومات, لكن هذا لا يفسر تراجع معايير القوة التقليدية للدول مثل الموارد الأولية وحجم اصناف القوة التقليدية والقوة الاقتصادية ، ولكن سوف تتداخل معها اشكال جديدة في محاور التنافس والصراع، حيث يؤكد الباحث الامريكي (الفن توفلر) في كتابه تحول السلطة : " ان العالم

يشهد الان انتقال في القوة الأساسية المسيطرة على حركته والتحول من القوة الصلبة بعواملها المتمثلة بالقوة العسكرية والقوة الاقتصادية إلى نسق جديد يعتمد على المرونة والجذب القائمة على قوة المعرفة والمعلومات" (٣٥).ويمكن تتبع التحول في عوامل القوة عبر النقاط التالية:

أولاً : تراجع عوامل القوة التقليدية:-

وعلى الصعيد العسكري والتكنولوجي، نجد ان تقنية التكنولوجيا النووية لم تعد حكرًا على الدول العظمى فقط حيث أصبحت اليوم في متناول عدد كبير من الدول، وهذه المتغيرات من شأنها ان تفرض حدوداً معينة على الخيارات السياسية والعسكرية المتوفرة لدى الولايات المتحدة، وعليها ان تتعامل مع هذا الواقع الجديد، وان تتنازل عن فكرة قيادة العالم من خلال القوة وسياسة التدخل العسكري في الشؤون الداخلية للدول (٣٦).

لقد أدركت الدول حجم الخسائر الفادحة من جراء استخدام القوة العسكرية وعبء التكاليف المالية التي تحملتها وحدها في ادارة النظام الدولي والتي اثقلت كاهل ميزانيتها مما أدى الى

ضرورة التفكير ببدائل في التراجع عن استخدام القوة العسكرية إضافة الى استثمار القوى الكبرى احتكارها الكبير لوسائل الاتصال والإعلام الجماهيري المعدة مسبقاً لصياغة نمط الحياة وقواعد السلوك بما يتوافق مع اتجاهاتها ، حيث عملت التكنولوجيا على اضعاف وازاحة وتحيد الكثير من عناصر القوة عن مراكزها التي هيمنت عليها فترة طويلة من الزمن ، مما عرض المفهوم التقليدي للقوة إلى اعادة النظر فيه والإفصاح عن محتوى جديد في مفهوم القوة ومستقبلها في إدارة الصراع للقرن الحادي والعشرين،(٣٧) ان اتجاهات هذا التغيير الذي أحدثته الثورة

التكنولوجية في مستقبل مفهوم القوة وآلياته ومكوناته في حالة حركة مستمرة ومتصاعدة وهو في مراحل تكوين جديدة لقد أحدث المتغير التكنولوجي تغييرات ملموسة في مفاهيم القوة والاستقطاب والتوازن، فمن الجانب النظري فإن القوة بدلالة التكنولوجيا تتميز عن القوة بدلالة الإكراه التي انطبع عليها المفهوم التقليدي للقوة بالجوانب التالية(٣٨):-

١- القوة بدلالة التكنولوجيا لا تعرف النضوب، حيث أن بمقدورها ان تمنح المزيد من الابتكارات على عكس القوة بمفهومها التقليدي والتي تتسم بكونها محدودة فيما يتعلق بكافة الشؤون العملية، إذ ان هناك حدوداً لمقدار وكمية القوة الذي يمكن استخدامها في تدمير ما تطمح في السيطرة عليه أو الدفاع عنه.

٢- تقوم القوة بدلالة التكنولوجيا بعمل مضاعف بالمقارنة مع القوة العسكرية والاقتصادية، بمعنى ان الاولى يمكن ان يتم استخدامها اما لزيادة المتاح من الامكانيات أو التقليل من القدر المطلوب من أجل تحقيق أهداف معينة مما يجعلها اداة هيمنة وتغيير في آن واحد .

٣- الترابط الاندماجي، والذي يعني ان التكاتف والتعاون الذي يجمع عناصر قوى مختلفة سيؤدي إلى حصيلة تراكم القوة التي تتفوق عن الجمع الفردي لعوامل القوة. وبالنسبة لم يعد المعيار العسكري يمثل العنصر الأول لمعرفة قياس قوة الدول، حيث اتسمت الثورة التكنولوجية للمعلومات والاتصالات والمواصلات بالأهمية النوعية والعديدية، ولكي يتم استخدام هذه الآلية بفعالية يجب إضافة عوامل أخرى عليها كالتقنية والمعلوماتية والاتصالية وكذلك إمكانية التحرك

والتدخل بعيداً عن إمكانية إختراق الحدود بخوض معارك برية، هذه العوامل بالإجماع قد تعطي قوة للعامل العسكري تدفعه إلى التطور والتقدم" (٣٩).

لقد سعى متغير التطور التكنولوجي إلى فرز قواعد وسلوكيات بنمط جديد لم تعد الدول قادرة على ضبط آليات اقتصادها بمنأى عن هياكل وآليات اقتصاديات الدول الأخرى، لقد احدثت التغييرات الاقتصادية في ظل حقبة مجئ الثورة التكنولوجية المعاصرة وثورة الاتصالات والمعلومات تغييرات في أغلب المفاهيم الاقتصادية. بالإضافة إلى العامل العسكري الذي نتج عنه تطور في امكانيات وأدوات الرصد والمراقبة من خلال استخدام الاقمار الصناعية وشبكات الرادار المثبتة تقنياً ووسائل الاتصالات والإعلام، فضلاً عن العامل الثقافي الذي تأثر بمجئ ثورة الاتصالات والإعلام والتغييرات التي طرأت عليها ، والتي أفضت إلى بروز ظاهرة العولمة التي أدت إلى توحيد الاسواق العالمية ودمج الاقتصاد العالمي ، وفي الوقت ذاته فأنها تسعى إلى تفتيت الثقافات الوطنية واختراقها . وبهذا اتخذ المفهوم الثقافي للعولمة بعداً اقتصادياً ومالياً وإعلامياً من خلال توظيف الإعلام كأداة للتوصيل والتأثير تجاه الافكار الثقافية.

ثانياً : سيادة العوامل المعرفية والمعلوماتية والإعلامية

طبقاً للمفهوم التقليدي للقوة ووظيفة الدولة، فإن الجغرافية السياسية من موارد طبيعية وبشرية وموقع جغرافي سوف تؤثر في سياسة الدولة الداخلية والخارجية، فإذا كان للقوة الصلبة وأدواتها التي تترجم في السلاح والقوة الاقتصادية المتمثلة بأدوات الضغط وموارد المال، فإننا نجد ادوات قوة المعلومات والمعرفة المعروفة على الساحة العالمية المتمثلة بالحواسيب والوسائط الإعلامية وشبكة المعلومات الدولية والاقمار الفضائية (٤٠)، هذه العوامل والأدوات تندمج مع بعضها البعض لتتواءم وتتلاقى لتشكل صيغة ائتلافية جديدة فيما بينها تُعرف بإسم التقارب والاندماج التكنولوجي، مما يمنح مفهوم جديد للقوة وعنصر متنامي في سرعته ليتحول إلى سلاح أساسي جديد للتنافس العالمي في القرن الحالي (٤١) ..وهنا يمكن مقارنة الأدوات فيما بين القوة الجديدة والقوة التقليدية والتي يستخدم فيها الجذب بدلاً من الضغط ، واستخدام الاقناع بدلاً عن الاكراه،

وهي نمط من انماط القوة حيث تمتلك أهمية كبيرة في اعتبارها قوة مضاعفة . فإذا كانت القوة تفسر بدلالة التأثير فأن القوة المعلوماتية والإعلامية والمعرفية أعتبرت بمثابة اداة شرعية وذات مقبولة لدى الآخرين من خلال

امكانية تجديد صياغة أفكارهم والتأثير في قيمهم وتحديد انشطتهم بدلاً من انفاق وتبديد العديد من عناصر الموارد التقليدية العسكرية والاقتصادية والتي سوف تكون ذات تكلفة باهضة (٤٢).

وبعد ان انتشرت نظم المعلومات دعت الحاجة إلى إعادة صياغة مفهوم المعارف، وفي الفرق بين المعرفة والمعلومة تم استخدام الحاسوب كمعالج قريب من العقل البشري التي تحتاج إلى المعرفة من أجل التوصل الى الحلول المقبولة(٤٣).. وتمكنت هذه القوة والقدرة المعلوماتية والمعرفية والإعلامية من اختراق وعبور الحدود الإقليمية ويتفاعل مع الأحداث خارج الحيز والاطار الجغرافي التي يعيش فيها ويتفاعل مع هذه الأحداث معاً بصورة سلبية وإيجابية (٤٤) . أن عناصر البعد المستقبلي لقوة المعلومات على الصعيد العسكري يتمثل في قابلية وامكانية الدول المالكة لتكنولوجيا المعلومات في صياغة ما يمكن تعريفه ب(المظلة المعلوماتية) والتي هي خاصة بالشؤون العسكرية . وبالتالي مشاركة ومكافئة اطراف معينة عن طريق تزويدهم أو بيعهم معلومات تؤثر في قوة هذا الطرف أو ذاك أو إنزال عقوبات على اطراف معينة من خلال حجب وتقييد المعلومات والوثائق المهمة. لقد إزدادت أهمية ودور المعلوماتية والمعرفة والمجال الاتصالي والإعلامي وفق نظريات الحروب التقليدية باصنافها المختلفة ذات الأسلحة البرية والبحرية والجوية ونمو دورها في خوض المعارك واتخاذ القرار ومنظومات القيادة وإدارة السيطرة . كما تراجع دور العامل الجغرافي وأصبحت الحروب تجري عبر فضاءات عابرة للحدود التقليدية للدولة ، وهذا بدوره يعني تراجع عامل الوقت وامتلاك الجيوش للقدرة الهائلة على خوض الاستراتيجية الهجومية في حسابات زمنية قياسية(٤٥). ومن بين الجوانب والعوامل الأخرى التي أفضت إلى التحول من عوامل القوة التقليدية هو تقليص دور ووظيفة العنصر

البشري وتعاضم دور الآليات والمعدات التكنولوجية والانظمة الحاسوبية والارتفاع الملحوظ في هامش معدلات المناورة والتحرك السريع ، وتعاضم فاعلية المبادرة الهجومية عن طريق استخدام عناصر قتالية جديدة في مفاهيم مثل حروب المعلومات وحروب الإعلام وحروب الفضاء الالكترونية ، حيث تختلف بشكل كبير عن ميادين القتال الحركية التقليدية(٤٦). وقد خلفت سيادة العوامل المعرفية والمعلوماتية والإعلامية إلى بروز ما يمكن ان نطلق عليه ب(الحرب الإعلامية) التي تستخدم جميع وسائل الإعلام الالكترونية والمرئية والمسموعة إلى الوسائل المطبوعة كأدوات وآليات تابعة لها ، ومن خلال قدرتها على التأثير في الرأي العام والتواصل في مخاطبة ملايين المستخدمين من خلال عناصر الجذب المؤثرة المتمثلة بالنص والصوت والصورة(٤٧). لقد افرزت الثورة العلمية والتكنولوجية على صعيد الاتصالات والمواصلات إتساع هائل في ظاهرة الاعتمادية الدولية التي ظهرت على نحو متزايد ، ودفعت بها إلى الدخول ضمن تفاعلات وظيفية ، فالدولة في الوقت الراهن لم تعد بإمكانها ضبط توجهاتها وتنشيط وظائفها بصورة منفردة وبمعزل عن الآخرين، حيث يتسم الوجود السياسي الدولي بوصفه عالمًا تتشابك وتتدمج فيه المصالح وتتداخل فيه الحاجات والغايات (٤٨). فتطور تقنية المعلومات أنشأت وضعاً أطلق عليه (ولتر رستون) ب(افول للسيادة) : بقوله " ان التطورات التكنولوجية أفرزت آثاراً ومخاطر قاسية أفقدت الدول من خلالها قدسية حدودها وسيادتها السياسية". وذلك لعدم استطاعتها مواجهة الموجة العارمة التي وصفها الباحث الأمريكي (الفن توفلر) ب(الموجة الثالثة) ان سرعة نقل المعلومة إلى أماكن مختلفة عمل على زيادة ترابط واندماج العالم وتشابكه بالاحداث والقضايا، حيث ان الفضاء الالكتروني للمعلومات قد أخترق وتجاوز اعتبارات الجيوبولتيك للدول ، والتي اثرت بشكل كبير على توازن القوى الدولي باعتبارها فاعل دولي يفوق قوة الدولة(٤٩).

٢- بروز اللاعبين الدوليين الجدد

ان المتغيرات التي انبثقت عن النظام الدولي وما أفرزه من تفاعلات، ومجئ ثورة الاتصالات والمعلومات وزيادة عدد الدول المستقلة وظهور فاعلين سياسيين يتنافسون مع وظائف الدولة

القومية ويؤثرون على توجهاتها ، وازدياد دور مؤسسات المجتمعات الافتراضية ومنظمات المجتمع المدني، أجبر الولايات المتحدة على ضرورة التعامل مع واقعاً جديداً في البيئة الخارجية والداخلية ، حيث لم تعد الدولة هي الفاعل الوحيد والحائز للقوة وانما ظهرت هناك عدة فواعل دولية .

في هذا سنشير إلى التحول في معنى وظائف الدولة وان قوى أخرى صارت تشارك الدولة بعضاً من تلك الادوار ، مع اشارة إلى ابرز الفواعل من غير الدول.

أولاً: تغيير وظائف الدولة في عصر العولمة

ان الركيزة الأساسية التي افرزت تغيير في طبيعة العلاقات الدولية، تقترن بإنحسار دور الدولة وتراجع وظائفها ، باعتبارها الوحدة الأساسية في إطار العلاقات السياسية الدولية، فعلى المستوى الداخلي نتج عن تنامي وتصادد ادوار وظائف المجتمع المدني إلى تقليص وتقليل دور الدولة من خلال سحب بعض الوظائف من الدولة ومنحها لفاعلين دوليين بارزين كما سنبينه فيما بعد. اما على صعيد البيئة الخارجية، كان هناك تحول لجزء من سلطات الدولة وانتقالها إلى كيانات غير قومية متعددة الجنسيات ، كالتكتلات الاقتصادية التي انبثقت كظاهرة جديدة في النظام الاقتصادي الدولي والتي يتم من خلالها إعادة ترتيب وتوزيع الادوار ، وكذلك توزيع انتشار القوة بين الكتل المتنافسة والمتنازعة اتساقاً مع آليات والمتغيرات التي تطرأ على البيئة الدولية (٥٠). هذه المسألة يمكن تسميتها "تآكل الدولة من الاعلى ومن الاسفل، فالدولة يتم تفتيتها من الاعلى خلال جهود القوى العالمية لتقليص قوة وسلطة الدولة المركزية ، ومن الاسفل تتآكل الدولة من خلال تبلور مطالب محلية غير وطنية ولا تتصف بالتماسك أو الارتباط بإطار المصلحة الوطنية (٥١)

اذن هي عملية اقضاء وتفتيت السيادة الوطنية والإقليمية لمصلحة السيادة العالمية المقترنة ببقاء الاحادية القطبية. لقد ظهر مفهوم الدولة القومية بعقد معاهدة وستغاليا عام ١٦٤٨ ، حيث برزت الدولة الامة أو الدولة المدنية التي تمارس ادارة السلطة رأسياً من الاعلى إلى الاسفل، إلا

ان الكثير من المتغيرات والأحداث التي أثرت على قواعد القانون الدولي عملت على تقليص وتراجع وظائف ودور الدولة، فمجيء ظاهرة العولمة انشأت بالتدريج النفوذ والامتداد الافقي للسوق الحرة والتي حلت محل القدرة الرأسية للدولة، فينتقل دور السلطة الرأسية للدولة، في حين ان مرونة القوى المحركة في المجتمع تزداد في كافة ارجاء العالم ومنها ضمنها منشآت ومنظمات غير حكومية وهيئات علمية ، وبوسع المنظمات المتجاوزة للحدود ان تختار وتنجز وظائف عديدة. ان القرن الجديد سوف يكون في مواجهة الفوضى وتداعيات التكنولوجيا، وهما عاملان يعيدان صياغة لتاريخ ، وبالتالي من المحتمل أن يؤثر احدهما على الآخر (٥٢)

ولهذا يمكن القول ان الوظائف والادوار الجديدة للدولة من خلال عصر العولمة التي سوف تتأثر بعدة متغيرات ذات تأثير كبير على الدولة وهي:-

١- الانتقال من مفهوم الدولة القومية إلى مصطلح الدولة الشبكية، حيث أن العالم سوف ينتقل من حالة الدولة القومية ذات السيادة السياسية على إقليمها وسكانها إلى ظاهرة الشبكات عابرة القومية والحدود ، فالشبكات المالية والتجارية والتكنولوجية والإعلامية والثقافية هي التي سوف تحدد ملامح الوضع القائم في العالم، ويفرض على دول العالم التكيف مع الواقع الجديد من خلال اعادة صياغة البنية الداخلية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإداري (٥٣). ان السيادة القومية قد انهارت ، فتحقيق الرفاهية للمواطن لم تعد تستند على افعال وتوجهات حكومته بقدر ما تكون قائمة ومعمدة على افعال وقرارات يتم استيرادها والاعتماد عليها من خارج حدود دولته عن طريق منظمات ومؤسسات التي تتخذ قراراتها بصفة جماعية، فإدارة الاقتصاد الوطني أو الحكومي لا يُدار من خلال الحكومات أو الدول القومية فقط ولكن يتم إدارتها أيضاً بمشاركة المؤسسات والمنظمات الخارجية، وتتساوى الدول الغنية مع الدول

الفقيرة في ممارسة هذا التعامل، وكانت الكثير من القضايا والمواضيع السياسية هي من صميم الحكومات الوطنية ، لكنها أصبحت اليوم لها ابعادها الخارجية المهمة والمؤثرة (٥٤)، ومن ثم فظاهرة العولمة قد احدثت تغيير عنيف في المفهوم التقليدي للدولة بعناصره الاساسية الثلاثة،

فمن الناحية العملية لم يعد الجانب المكاني أي الإقليم خاضعاً بشكل تام ومطلقاً لسلطة وسيادة الدولة الرسمية، كما كان كان في السابق، كما ان عنصر السكان أو الشعب لم تعد مصالحه ترتبط وتتحدد في نطاق إقليم الدولة فحسب، بل أصبح امتداد هذه الارتباطات والمصالح امتداداً أفقياً خارج حدود إقليم الدولة القومية، أضف إلى ذلك ان ممارسة الدولة لسلطتها السياسية كانت تستند بشكل طبيعي إلى مفهوم تطبيق القوة في ممارسة سيادتها على اراضيها، لكن اليوم أصبحت تواجه اشكالية تآكل وانحطاط عناصر السيادة التقليدية، ففي ظل تفشي ظاهرة العولمة وآلياتها ومؤسساتها على وحدات المجتمع الدولي لم تعد السلطة السياسية صاحبة اليد الطولى في ممارسة السلطة المطلقة أو بعض مظاهر السيادة التقليدية ومن ضمنها ان الدولة لم تعد بمقدورها فرض الضرائب وتحديد سعر الضريبة الكمركية، كما لم تعد بإمكانها التصرف بحرية مطلقة حول استخدام العنف والقوة القهرية في ضبط مواطنيها (٥٥). كل هذه المتغيرات فرضت واقعاً جديداً في احداث تغيير جذري في البنية الهيكلية للدولة والانتقال إلى مفهوم الدولة الشبكية التي يمتد تأثيرها خارج إطار حدودها القومية والوطنية ، فالاختلاف الجوهرى بين مفهوم الدولة القومية والدولة الشبكية التي هي في طور التشكيل ان المفهوم الأول يرتبط بالعناصر الاساسية في تكوين الدولة وبالأخص وجود الاطار الاقليمي المحدد تمارس الدولة فيه نشاطها، في حين ان المفهوم الثاني لا يعترف بضرورة قيام اطار إقليمي محدد للدولة (٥٦).

٢- ان العولمة عملت على إخضاع ارادة الدولة لمؤسساتها، فالشركات والمنظمات المتصلة بالعولمة ستقضي على قدرات الدولة وفعاليتها للقيام بوظائف الدولة بدلاً عنها، فآليات العولمة عملت على تحويل الدولة إلى أداة تنفيذية تتحكم فيها قوى ليس للدولة قدرة وسلطة بالتحكم فيها سياسياً، فالعولمة سعت إلى إعادة توزيع القوى بين الدول ومنظمات المجتمع المدني والهيئات والاسواق الدولية والشركات، فالحكومات لم تفقد قدراتها الذاتية بشكل مطلق نهائياً في التحكم بعناصر قوتها في ظل ظاهرة العولمة، لكنها وجدت لها شريك في القيام بأدوارها ووظائفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأمنية وذلك من خلال انخراط رجال الاعمال والمنظمات الدولية ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام إلى مجال الدولة السياسي (٥٧).

٣-تم التحول في ظل عصر العولمة من الإطار القومي إلى المجال الدولي، ومن ثم إلى المجال العولمي، والذي كان متأثراً بالتطور التكنولوجي الحاصل ، هذا التطور يفسر الاختلافات التي طرأت على المجال المكاني والزمني والتي لم تعد حاضرة بالنسبة للمجالين الاقتصادي والسياسي، فعندما اتجهت الاسواق الاقتصادية نحو تحقيق ترابط الاندماج والتكامل الاقتصادي على صيغة اتفاقيات وتحالفات اقتصادية وتجارية نجد ان الابعاد السياسية مالت نحو التفكك والتجزؤ، وبذلك يعمل التجزؤ السياسي على دعم واسناد النفوذ الاقتصادي بشكل متزايد، ومن ثم تتولد الاضرار على السلطة السياسية للدول(٥٨). وباختصار يمكننا القول ، ان العولمة تجاهلت الحدود السياسية للدولة وتجاهلت سيادتها فدمجت معاً الاسواق الوطنية باسواق الاقتصاد العالمي، وهكذا يتولد ضمن نطاق مسؤولية الدول قوة جديدة مهيمنة ومتفذة بالتحكم على شؤون الدولة نتيجة لأنعدام التوازن والتوافق بين جانبي الاقتصاد والسياسة. وهكذا في ظل عصر العولمة، تآكلت وظائف الدولة، والذي تغير في محتوى ومضمون هذه الوظائف وفي نطاقها (٥٩) فحدود قيام الدولة بوظائفها قد أمتد افقياً ورأسياً بمعنى القدرة على امتداده خارج نطاق إقليم الدولة، ورأسياً بمعنى ان امتداده

اصبح من القمة إلى بقية الوحدات المحلية الصغيرة، أما الوظائف الاقتصادية والاتصالية للدولة ايضاً نالت نصيبها من التغيير حيث أصبح لها ابعادها الهامة الجديدة متأثرة بمتغيرات التطور التكنولوجي الهائل الذي اجتاح كل وحدات العالم أجمع.

المحور الثالث: سيناريوهات مستقبلية لتأثير الاعلام الرقمي في مقومات الدولة القومية

وبالرغم من اتفاق جميع الباحثين على ان المستقبل سيشهد تطورات نوعية فارقة سواء على كافة صُعد وسائل الإعلام الجديد أو على صعيد التأثيرات التي تفرزها هذه الوسائل على مختلف مقومات الدولة، فإن هناك تباينات واضحة في بناء توقعات أو بلورة سيناريوهات للمستقبل على المدى القريب ، وتطرح هنا عدة تساؤلات عما ستكون عليه الدولة في ظل تطور وهيمنة وسائل

الاعلام على مفاصل الدولة ووظائفها، والى أي مدى سيكون تأثير العولمة في تغيير هيكلية
وصعود الدولة الشبكية؟

وسيتم مناقشة هذا المحور عبر السيناريوهان التاليان:

السيناريو الاول: تصاعد تأثير الإعلام في مقومات الدولة القومية

السيناريو الثاني: ضعف احتمالية تأثير الإعلام في مقومات الدولة القومية

السيناريو الاول: تصاعد تأثير الإعلام في مقومات الدولة القومية

أصبح الإعلام وكيفية تطويعه لتكنولوجيا الاتصال عنصراً مهماً من عناصر تقييم القوة الشاملة
للدولة، وبالتالي تقييم قوة الدولة المتحكمة في النظام الدولي الحالي. وهكذا أصبح العصر الذي
نعيشه الآن، هو عصر ثورة الاتصال والفضائيات التي تبث عبر الأقمار الصناعية، وتحول
العالم إلى قرية صغيرة، وذلك كنتيجة مباشرة لما شهدته وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة إذ
أصبح من الشائع اليوم أن نجد عديداً من المنتجات الصناعية "سيارات، أجهزة إلكترونية،
حاسبات آلية... إلخ" يتم تجميع مكوناتها في أكثر من دولة بحيث تقوم كل واحدة منها بالتركيز
على/أو بالتخصص في صنع أحد هذه المكونات فقط ، ولكن توظيف تكنولوجيا ووسائل الإعلام
والاتصال للتأثير على وظائف ومقومات الهوية الوطنية للدولة وتراجع التنمية السياسية لصالح
الاغتراب الثقافي. يتضح مما سبق دور وأثر الإعلام في السياسة المحلية والدولية في ظل النظام
الدولي الجديد الذي كرّس أهمية تكنولوجيا الإعلام السياسي في خدمة أهدافه واستراتيجياته
الجديدة، وسعى إلى الاعتماد على الإعلام كسلاح أكثر فعالية لتفتيت مقومات الدولة ، بل
وسلاح أكثر خطورة من السابق باعتباره يعتمد على وسائل الإقناع والترغيب والترهيب والتضليل
والخداع بصورة تبدو للعيان أنها الواقع أو الحقيقة. فسوف يتزايد عدد الناشطين والمتسللين إلى

فضاء الشبكة الافتراضية وتتعدد أنشطة المصادر المفتوحة، وتساعد وسائط ووسائل التشفير التي تستخدمها الدولة (٦٠).

إن التكنولوجيا ليست هي الوسيلة الحاسمة والوحيدة في صياغة القوة الجديدة في العلاقة الشبكية التي اكتشفها الإنسان بإستخدام هذه الوسائل وأستطاع لأول مرة من إمتلاك قدر من المعرفة التي هي الخبرات والمهارات المكتسبة من التجارب، أي التحول من الحتمية التكنولوجية إلى فرضية الاختيار المعرفي بمعنى إنه كلما تطور الاتصال الإنساني وكسر احتكار المعرفة ونشرها إلى الناس أعيد تشكيل القوة من جديد (٦١) لأنها تنقل المجتمعات والسلطات من الصراع على التفوق التقني واحتكار الاسرار التكنولوجية إلى الصراع على المحتوى الإعلامي والمعلوماتي، ويتدفق الاختيار المعرفي من خلال ما يلي:

أ- تجزئة القوة :- ونقصد بها تعميم المعرفة وتيسير وصول المجتمعات والافراد أليها، فكلما أزدادت المعلومات زادت أمكانية الناس على الوصول اليها وتحويلها إلى معرفة، حيث اصبح المجتمع أكثر قوة، مما جعل الاختيار المعرفي الحديث من وسائل الإعلام ومصادر المعلومات المفتوحة وسيلة لتجزئة والأنهاء النسبي للسيطرة المركزية، أذ تتصل مصادر القوة الجديدة بأدوات مهمة للتجزئة (٦٢) من خلال:-

• الوفرة الهائلة في المعلومات والقدرة وامكانية الوصول، والتراجع النسبي للسيطرة المركزية على الوسائل، ونمو سريع في التشارك والتشابك، والتفاعلية.

• الجاذبية الجديدة والتي تكمن في جاذبية المرونة والحدود الشفافة والفرص الكبيرة وجاذبية تمدد الهوية وجاذبية الاندماج والاستقطاب .

ب- انتقال القوة:- حيث تنتقل القوة من الدول إلى المجتمعات والكيانات، وتحولت التهديدات الكبرى من القوة التقليدية والقوى الدولية الصاعدة الجديدة إلى كيانات غير معلومة أو غير تابعة لدول ما وظهور ما يُسمى " بقراصنة العصر"، والتي تمثلت بمصادر المعلومات المفتوحة ,

وتطبيقات تكنولوجيا المعلومات هي أحد أهم أسلحتها، ونجد مؤسس موقع ويكيليكس (جوليان اسانج) مثال على التهديد الجديد في مرحلة الانتقال (٦٣).

ج- انتشار القوة: - إن نشر المعلومات وسهولة الوصول اليها وتنامي المصادر المفتوحة، يعني ان القوة ستؤدي إلى تقليص احتكار المعلومات في أيدي البيروقراطية التقليدية، فكلما زاد انتشار المعلومات اقلها إزداد عرض مساحة القوة، وازدادت صعوبة السيطرة المركزية بها، كما ان السرعة التي يتصف بها عصر الإعلام الرقمي ستتمكن الحكومات من فرض قدر بسيط من السيطرة

السيناريو الثاني: ضعف احتمالية تأثير الإعلام في مقومات الدولة القومية

ليس من الخطأ القول إن قوة الدول تُقاس من خلال قوتها العسكرية التقليدية والنووية بشكل أساسي، وإذا ما تفحصنا برؤية ثاقبة هذا المعطى نجد أن الولايات المتحدة لا تقتصر حيازتها على مقومات قوة عسكرية فحسب، وإنما إمكانية استخدام قوتها العسكرية بشقيها التقليدي والنووي، إذ أسهمت القدرة العسكرية الفعلية وليس الشكلية في صياغة مكانتها العالمية، وبالتالي تمكّنها من صناعة وإدارة قضايا السياسة الدولية بما ينسجم مع طروحاتها ويصب في مُحصلتها النهائية.

ان الطبيعة البشرية المائلة للنزاعات والحروب تجعل من استخدام الإعلام الرقمي في اسفل الاولوية والاعتمادية من حيث تراتبية في الاستخدام الاستراتيجي للدولة. وعلى الرغم من ان قوة تكنولوجيا الإعلام يمتلك تأثير كبير في مختلف مركبات القوة الأخرى بالتحديد الاقتصادية منها ولا بد لنا أن نذكر ان ثورة الاتصالات الحديثة وما أُنبت عنها من امتداد وانتشار لوسائل الإعلام الجماهيرية بأشكالها التقليدية أفرزت بصماتها على وظيفة الدولة ودورها، الذي بدأ يضمحل في مجتمع عصر التدفق الحر للمعلومات من خلال تقنيات الاتصال الحديثة، ولم يُعد بالإستطاعة الحديث عن السيادة الإعلامية ضمن الحدود السياسية للدولة. وبهذا نرى أن مشهد ضعف تأثير الإعلام الرقمي في صياغة وإدارة القضايا العالمية يلقي إحتمالات ضعيفة أمام هذه المتغيرات

الجديدة الحاصلة أمامه أو المتوقع ظهورها خلال السنين القليلة القادمة. ان الحرب تعبير أو غرض لهدف معين، أو الدخول في الحرب للدفاع عن مصلحة أو لغرض تحقيق هدف ما، حيث إن آلية ونمط تاريخ الحروب السابقة لا تختلف في دوافعها وأسبابها إلا من خلال الأدوات.

الخاتمة والاستنتاجات

لقد بحثت هذه الدراسة في طبيعة ومضمون العلاقة بين متغيري الإعلام ومفهوم الدولة القومية، وهذا الموضوع يحظى بأهمية واسعة وكبيرة ، لأسباب متعددة وقد تم توضيحها في متن البحث ومحتواه ، نظراً إلى كون الإعلام واحد من عوامل القوة الحديثة، والتي اعطته الثورة التكنولوجية قدرة الوصول إلى كل اطراف الكرة الارضية، وبأقل القيود الممكنة ، بل ان الإعلام كان واحد من المدخلات التي قلصت من سيادة الدولة الوطنية ، وصار الإعلام يتجه بشكل متزايد إلى ان يكون تفاعلياً ورقمياً. أما على صعيد استخدام الإعلام الرقمي في تقليص دور الدولة وتفجيت مقوماتها ، فتوصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

١- إن وسائل الإعلام تُوظف من خلال استخدام الاسلوب العلمي في صياغة الرسالة الإعلامية وإعدادها حيث أستعانت بالتطور التكنولوجي من أجل اختراق الثقافات الأخرى بقصد الهيمنة. وأخيراً ،

٢- ان على الدول ان تستخدم كل مصادر القوة كآلية لإحداث التأثير في إدارة النظام الدولي، فلم تُعد القوة الصلبة الآلية الأمثل للبقاء والنفوذ، لا سيما بعد اختراق سيادة الدول من خلال العامل التكنولوجي والإعلامي والمعلوماتي، وبسبب القيود الكثيرة على استخدام القوة الصلبة، فإن أكثر الادوات فاعلية في سياسات الدول في البيئة الدولية هي الوسائل الناعمة ومن ضمنها استخدام تكنولوجيا الإعلام.

٣- مهما بلغت أهمية ودور تكنولوجيا الإعلام لكنه ليس من الممكن الإغفال عن دور وأهمية القوة الاقتصادية في دعم مقومات القوة الأخرى ، فهي البنية التحتية بمجمل مركبات القوة الشاملة الأخرى، وكلما إتسعت قدرة الدولة في المجال التكنولوجي والاقتصادي فإنه يمكن لها ان بناء قدرات إعلامية مهمة.

٤- ان على الدول ان تستعد داخليا وخارجيا للتعامل مع صراع أو تنافس يدار بطريقة إعلامية محترفة ، فهو الاضمن لكي تبقى محافظة على مصالحها في عالم اليوم، خصوصا أن الشق التعاوني وتماسك المجتمع يعد عامل قوة الى جانب قوة الدولة العسكرية والسياسية والاقتصادية.

٥- ان التطور الكبير في وسائل الاتصال السمعية والبصرية جعلت الرسائل الإعلامية تغطي العالم كله بواسطة البث المباشر عبر الاقمار الصناعية وبرامج التلفزيون وغيرها من وسائل الاتصال التي تخترق الحواجز والعقول لتمارس الهيمنة الثقافية والإعلامية.

المصادر

- ابي عبد الله محمد سعيد، العولمة والمصالح الأمريكية، الدار الاثرية للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠١١
- احمد ثابت ، العولمة محدد الاندماج وعوامل الاستبعاد ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٧٦ ، ١٩٩٨
- احمد عبد الله ، السيادة الوطنية في ظل المتغيرات العالمية، مجلة السياسة الدولية مركز الاهرام للدراسات السياسية الدولية والإستراتيجية، القاهرة، العدد ١٢٣ ، ١٩٩٩
- أحمد عبدالله ، السيادة الوطنية في ظل المتغيرات الدولية، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٢٣ ، القاهرة ، ١٩٩٦
- احمد نوري النعيمي، الاعتمادية الدولية والنظام السياسي الدولي المعاصر، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٢٩ ، ٢٠٠٠

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢ انظر كذلك: خيرى الدين عبد الرحمن، القوة الفاعلة في القرن الواحد والعشرين، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦
- أسد الدين التميمي ، الانترنت والاقمار الصناعية ، مصطلحات ومفاهيم، دار اسامة للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ، ٢٠٠٩
- الصادق الرابع، وسائل الإعلام والعولمة، مجلة المستقبل العربي، مركز الوحدة العربية، بيروت، عدد ٤٣، ١٩٩٩
- الفن توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ، ترجمة : فتحي بن شوان ونبيل عثمان ، مكتبة طرابلس ، ط١ ، ليبيا، ٢٠٠٩
- الفن توفلر ، حضارة الموجة الثالثة ، ترجمة: عصام الشيخ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ط١، ١٩٩٠
- باسم الطويسي، المصادر الإعلامية الجديدة وإعادة توزيع القوة، من كتاب ظاهرة ويكيليكس جدل الإعلام والسياسة بين الافتراضي والواقعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١ ، ايلول، ٢٠١٢
- بانكاج غيماوات ، اعادة تعريف الاستراتيجية العالمية، عبور الحدود في عالم ما زالت الفوارق والاختلافات مهمة ، ترجمة: معين الأمام ، مكتبة العبيكان ، المملكة العربية السعودية ، ط١، ٢٠١٠
- توماس ماكفيل ، الإعلام العالمي، ترجمة: عبد الحكم احمد الخزامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٢
- ثامر كامل الخزرجي ، العلاقات السياسية الدولية ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ، ٢٠٠٥

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- جوزيف سي ناي، وليام واينز، ترجمة شامل سرسم، المعلومات الأمريكية موارد قوة المستقبل ، مجلة السياسة الدولية ، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية ، العدد ١٥٦ ، ٢٠٠٧
- حسنين شفيق، الإعلام التفاعلي ، دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط١، ٢٠١٠
- داخل حسن جربو، تقانة المعلومات والأمن القومي، مجلة آفاق عربية، بغداد، ١٩٩٨
- رأفت رضوان ، النظام الدولي للمعلومات ، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد ١٢، ١٩٩٧
- رضا عبد الواحد أمين، الإعلام الجديد، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥
- ريتشارد كلارك وروبرت نيك، حرب الفضاء ، مركز الامارات للدراسات والبحوث ، ابوظبي، ٢٠١٤
- زكريا حسين ، التكنولوجيا وتنمية القوة المسلحة ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢
- عبد الحي زلوم ، نذر العولمة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩
- عبد الله عليان ، التحديات الجديدة لتأثير الدولة في الإعلام في عصر المعلومات، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٠٥ ، ٢٠٠٤
- عصام سليمان ، ثورة وسائل الاتصال وانعكاساتها على مراحل تطور الإعلام العربي والقومي ، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢٥، ١٩٩٦
- علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام الالكتروني، دار الايام للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥
- غابرييل كولكو، العالم في أزمة نهاية القرن الامريكي ، ترجمة: عمرو سلام واحمد حاليو الطيب غوردو، لندن، ط١، سبتمبر، ٢٠١٥

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- فريدريك فاسور ، وسائل الإعلام في المستقبل ، تعريب: خليل احمد خليل، منشورات عويدات ، بيروت، ط١، ١٩٩٦
- فضيل دليو، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال، المفهوم، الاستعمالات ،الآفاق، دار الثقافة، ٢٠١٠
- لورينا باريني ، دول وعولمة ، استراتيجيات وادوار، ترجمة : نانيس حسن عبد الوهاب ، المركز القومي للترجمة ، ١٦٤٧، ط١، ٢٠٠٧
- لورينا باريني، دول وعولمة : إستراتيجيات وادوار، ترجمة: نانيس حسن عبد الوهاب، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧
- مايكل ديرتوزوس ، ماذا سيحدث كيف سيغير عالم المعلومات الجديد حياتنا ، ترجمة وتقديم ، بهاء شاهين ، مركز الحضارة العربية، ط٢ ، ٢٠٠٠
- مجد هاشم الهاشمي، الإعلام الدولي والصحافة عبر الاقمار الصناعية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١
- مجدي كامل ، حرب جواسيس القرن ٢١، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٨
- مجموعة باحثين ، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، الامارات ، ط١ ، ٢٠١٤
- محمد ابو الفتوح، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٦
- محمد حسن آل ياسين، اندماج التكنولوجيا ومهام البحث والتطوير الجديد، النشرة الفصلية الصادرة عن المنظمة العربية للتنمية الادارية، العدد ٢٩، ١٩٩٩
- محمد حمدان، القوة الناعمة وإدارة الصراع عن بُعد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، ط١، بيروت، ٢٠١٣
- محمد شومان، الإعلام والازمات، مدخل نظري وممارسات عملية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت ، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧
- محمد عبد الشفيق عيسى، العالم الثالث والتحدي التكنولوجي الغربي، دار الطليعة للطباعة ، بيروت، ١٩٨٤
- ممدوح الشيخ ، التجسس التكنولوجي ، سرقة الاسرار الاقتصادية والتقنية، مكتبة بيروت ، بيروت ، ٢٠٠٧
- موسى علي الفهد، شؤون فؤاد الالوسي، وسائل الإعلام والحرب، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان ، ط١، ٢٠٠٩
- نبيل علي ، تكنولوجيا المعلومات ، المنظور التنموي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، العدد ٥٨، ٢٠٠٧
- والتر ريستون ، أفول السيادة : كيف تحول ثورة المعلومات عالما ، وكيف غيرت العالم ، ترجمة : نشوى ماهر، الجمعية المصرية للمعرفة والنشر ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥
- والتر ريستون ، افول السيادة كيف تحول ثورة المعلومات عالما ، ترجمة: سمير عزت وجورج خوري ، دار النسر للنشر والتوزيع ، عمان، ط١، ١٩٩٤
- وليد عبد الحي ، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، عيون المقالات ، مراكش ، ط٢، ١٩٩٣
- ياس خضير البياتي، الإعلام الدولي العربي، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٣
- Definition for new media, High-tech Dictionary, [http: // www. Comre](http://www.Comre.com) sources dictionary. Html.Oct.2006

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

- (١) فريدريك فاسور ، وسائل الإعلام في المستقبل ، تعريب: خليل احمد خليل، منشورات عويدات ، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص١٩، ص٧٩. انظر كذلك: مجد هاشم الهاشمي، الإعلام الدولي والصحافة عبر الاقمار الصناعية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١، ص٥٠.
- (٢) ياس خضير البياتي، الإعلام الدولي العربي، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٣، ص٧
- (٣) الصادق الرابع، وسائل الإعلام والعولمة، مجلة المستقبل العربي، مركز الوحدة العربية، بيروت، عدد ٤٣، ١٩٩٩، ص٢٣.
- (٤) عصام سليمان ، ثورة وسائل الاتصال وانعكاساتها على مراحل تطور الإعلام العربي والقومي ، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢٥، ١٩٩٦، ص١٢٠
- (٥) مجد هاشم الهاشمي، الإعلام الدولي والصحافة عبر الاقمار الصناعية مصدر سبق ذكره، ص١٥
انظر كذلك :حسنين شفيق، الإعلام التفاعلي ، دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط١، ٢٠١٠، ص٧.
- (٦) علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام الالكتروني، دار الايام للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥، ص١٠
- (٧) محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت ، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٤١.
- (٨) Definition for new media, High-tech Dictionary, [http:// www. Computer user. Comre sources dictionary. Html.Oct.2006](http://www.Computer user. Comre sources dictionary. Html.Oct.2006)
- (٩) موسى علي الفهد، سؤود فؤاد الالوسي، وسائل الإعلام والحرب، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان ، ط١، ٢٠١٢، ص٣٢٤-٣٢٥.
- (١٠) رضا عبد الواحد أمين، الإعلام الجديد، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥، ص٣٧.
- (١١) سعيد الصديقي، القوى السياسية عبر الوطنية: قراءة في تأثير الفاعلين غير الحكوميين في السياسات العالمية من كتاب السيادة والسلطة والافاق الوطنية والحدود العالمية، سلسلة كتب المستقبل العربي، (٥٢) ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٨٤.
- (١٢) أ سد الدين التميمي ، الانترنت والاقمار الصناعية ، مصطلحات ومفاهيم، دار اسامة للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ، ٢٠٠٩، ص٦٦. انظر كذلك: سوزان موزي، الثورة المعلوماتية التكنولوجية، مصدر سبق ذكره، ص٧٦.
- (١٣) محمد ابو الفتوح، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٦، ص١٠٥

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

*تم تقديم قدم فكرة السيادة في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر فظلت السيادة قائمة على أساس فكرة النطاق الإقليمي، وقد كانت الحدود الجغرافية هي التي تحدد سلطة أي عاهل وحتى امتيازات الحصانة التي تتمتع بها السفارة الأجنبية تتحد بالنطاق الجغرافي للدول، واعتبرت هذه الفكرة من أهم عناصر السيادة في أدبيات السياسة الدولية. انظر: محمد فايز عبد سعيد، قضايا علم السياسة العام، دار الطليعة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٣، ص ٦٠-٦١.

- (١٤) محمد ابو الفتوح، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦
- (١٥) والتر ريستون، افول السيادة كيف تحول ثورة المعلومات عالماً، وكيف غيرت العالم ترجمة: نشوى ماهر، الجمعية المصرية للمعرفة والنشر، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٧٧
- (١٦) فادية عباس هادي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣
- (١٧) محمد ابو الفتوح، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦
- (١٨) سعيد الصديقي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣
- (١٩) (٢٠) - والتر ريستون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣-٣٥

- (٢١) محمد شومان، الإعلام والازمات، مدخل نظري وممارسات عملية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٦، ص ٦
- (٢٢) ابي عبد الله محمد سعيد، العولمة والمصالح الأمريكية، الدار الاثرية للنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ٢٠١١، ص ٣٦.

- (٢٣) داخل حسن جربو، تقانة المعلومات والأمن القومي، مجلة آفاق عربية، بغداد، ١٩٩٨، ص ٢٢
- (٢٤) احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢ انظر كذلك: خيرى الدين عبد الرحمن، القوة الفاعلة في القرن الواحد والعشرين، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦، ص ١٥.
- (٢٥) احمد ثابت، العولمة محدد الاندماج وعوامل الاستبعاد، مجلة شؤون الأوسط، العدد ٧٦، ١٩٩٨، ص ٨٨

- (٢٦) احمد نوري النعيمي، الاعتمادية الدولية والنظام السياسي الدولي المعاصر، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٢٩، ٢٠٠٠، ص

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- (٢٧) عبد الله عليان ، التحديات الجديدة لتأثير الدولة في الإعلام في عصر المعلومات، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٠٥ ، ٢٠٠٤ ، ص ٧٥.
- (٢٨) توماس ماكفيل ، الإعلام العالمي، ترجمة: عبد الحكم احمد الخزامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٢، ص ٤٧٨.
- (٢٩) لورينا باريني ، دول وعولمة ، استراتيجيات وادوار، ترجمة : نانيس حسن عبد الوهاب ، المركز القومي للترجمة ، ١٦٤٧، ط١ ، ٢٠٠٧، ص ٦٨.
- (٣٠) نيايب موسى البداينة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٤٥.
- (٣٢) احمد عبد الله ، السيادة الوطنية في ظل المتغيرات العالمية، مجلة السياسة الدولية مركز الاهرام للدراسات السياسية الدولية والإستراتيجية، القاهرة، العدد ١٢٣ ، ١٩٩٩، ص ٥٠.
- (٣٣) لورينا باريني، دول وعولمة : إستراتيجيات وادوار، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.
- (٣٤) عبد الحي زلوم ، نذر العولمة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٤٤.
- (٣٥) الفن توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ، ترجمة : فتحي بن شوان ونبيل عثمان ، مكتبة طرابلس ، ط١ ، ليبيا، ٢٠٠٩، ص ١٥٣.
- انظر كذلك: محمد حمدان، القوة الناعمة وإدارة الصراع عن بُعد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، ط١، بيروت، ٢٠١٣، ص ٣٥.
- (٣٦) غابرييل كولكو، العالم في أزمة نهاية القرن الأمريكي ، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.
- (٣٧) رأفت رضوان ، النظام الدولي للمعلومات ، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد ١٢ ، ١٩٩٧، ص ٦ انظر كذلك: محمد عبد الشفيق عيسى، العالم الثالث والتحدي التكنولوجي الغربي، دار الطليعة للطباعة ، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٦.
- (٣٨) وليد عبد الحي ، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، عيون المقالات ، مراكش ، ط٢ ، ١٩٩٣، ص ٩.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

أنظر كذلك : محمد حسن آل ياسين، اندماج التكنولوجيا ومهام البحث والتطوير الجديد، النشرة الفصلية الصادرة عن المنظمة العربية للتنمية الادارية، العدد ٢٩، ١٩٩٩، ص ٩.

(٣٩) الفن توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٥-١٦٠.

انظر كذلك : زكريا حسين ، التكنولوجيا وتنمية القوة المسلحة ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١.

(٤٠) مجموعة باحثين ، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، الامارات ، ط ١ ، ٢٠١٤، ص ١١٢-١١٥

(٤١) ممدوح الشيخ ، التجسس التكنولوجي ، سرقة الاسرار الاقتصادية والتقنية، مكتبة بيروت ، بيروت ، ٢٠٠٧، ص ٣٥

(٤٣) نبيل علي ، تكنولوجيا المعلومات ، المنظور التنموي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، العدد ٥٨، ٢٠٠٧، ص ٣٧-٤٣.

(٤٤) مايكل ديرتوزوس ، ماذا سيحدث كيف سيغير عالم المعلومات الجديد حياتنا ، ترجمة وتقديم ، بهاء شاهين ، مركز الحضارة العربية، ط ٢ ، ٢٠٠٠، ص ٥٥ .

(٤٥) جوزيف سي ناي، وليام واينز، ترجمة شامل سرسم، المعلومات الأمريكية موارد قوة المستقبل ، مجلة السياسة الدولية ، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية ، العدد ١٥٦، ٢٠٠٧، ص ٧٥. أنظر كذلك: مجدي كامل ، حرب جواسيس القرن ٢١، دار الكتاب العربي، دمشق، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٦ وما بعدها

(٤٦) ريتشارد كلارك وروبرت نيك، حرب الفضاء ، مركز الامارات للدراسات والبحوث ، ابو ظبي، ٢٠١٤، ص ٣٠

(٤٧) ثامر كامل الخرجي ، العلاقات السياسية الدولية ، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان ، ٢٠٠٥، ص ٣٤٢

(٤٨) والتر ريستون ، أفول السيادة : كيف تحول ثورة المعلومات عالما ، وكيف غيرت العالم ، ترجمة : نشوى ماهر، الجمعية المصرية للمعرفة والنشر ، القاهرة ، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٥٩-٦٣

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- (٤٩) الفن توفلر ، حضارة الموجة الثالثة ، ترجمة: عصام الشيخ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٥٩
- (٥٠) سمير أمين، الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، مكتبة مدبولي القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ص١٠
- (٥١) جوزيف سي ناي، مفارقة القوة الأمريكية ، مصدر سبق ذكره، ص٨٢.
- (٥٢) لورينا باريني، دول وعولمة : إستراتيجيات وادوار، ترجمة: نانيس حسن عبد الوهاب، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص٥٦
- (٥٣) أحمد عبدالله ، السيادة الوطنية في ظل المتغيرات الدولية، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٢٣ ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص٥٤.
- (٥٤) نياي موسى البدائية ، الامن الوطني في عصر المعلومات ، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٠
- (٥٥) بانكاج غيماوات ، اعادة تعريف الاستراتيجية العالمية، عبور الحدود في عالم ما زالت الفوارق والاختلافات مهمة ، ترجمة: معين الأمام ، مكتبة العبيكان ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص١٢٣-١٢٥
- (٥٦) والتر ريستون ، افول السيادة كيف تحول ثورة المعلومات عالما ، ترجمة: سمير عزت وجورج خوري ، دار النسر للنشر والتوزيع ، عمان، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص٩٥
- (٥٧) سعيد الصديقي، القوى السياسية عبر الوطنية: قراءة في تأثير الفاعلين غير الحكوميين في السياسات العالمية من كتاب السيادة والسلطة الافاق الوطنية والحدود العالمية، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، العدد ٥٢ ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص١٥٠.
- (٥٨) محمد بوبوش، اثر التحولات الراهنة على مفهوم السيادة الوطنية، من كتاب السيادة والسلطة الافاق الوطنية والحدود العالمية، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، العدد ٥٢ ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص٢١٠.
- (٥٩) احمد عبد الله ، السيادة الوطنية في ظل المتغيرات العالمية، مجلة السياسة الدولية ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد ١٢٣ ، ١٩٩٦ ، ص٧٦.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- (٦٠) فضيل دليو، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال، المفهوم، الاستعمالات، الآفاق، دار الثقافة، ٢٠١٠، ص ١٧٣
- (٦١) باسم الطويسي، المصادر الإعلامية الجديدة وإعادة توزيع القوة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥
- (٦٢) المصدر نفسه، ص ١٦٨
- (٦٣) جوزيف ناي، القوة الناعمة، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

الامن السيبراني ودوره في تعزيز الامن القومي للدول

م.د زينة عبد الامير عبد الحسن ابراهيم/كلية الاسراء الجامعة

الملخص:

يُعدُّ الامن السيبراني للدول احدى العوامل الاسياسية لحماية امنها ومستقبل بلادها ، فاصبح هذا الامن يضاف الى حدود الدولة الرئيسية (الحدود البرية – الحدود البحرية – الحدود الجوية) ، لما له من دور رئيسي وفاعل في حماية الدولة وتعزيز استقرارها وسيادتها على اراضيها ، فاصبحت الدول في اغلب تفاعلاتها تنطلق في فضاء الكتروني واسع ، وتقوم بالكثير من اعمالها على المستوى الداخلي والدولي في نطاق هذه الفضاء الذي اصبح يمثل جزء لا يمكن التقليل منه او تحييده على صعيد حياة الافراد والدول ، الا ان هذا المجال الالكتروني المهم وما يحمله من فرصة على صعيد الدول وانشطتها واعمالها التي باتت تتم بشكل اسرع وبجهد اقل يحمل معه العديد من التحديات للدولة ، فقد شكل هذا الفضاء بيئة جديدة للقيام بعدد غير محدد من الجرائم الالكترونية الخطيرة التي تهدد امن الدول وسلامتها وسلامة مؤسساتها وبنائها التحتية بالاضافة الى الجرائم الى ترتكب بحق الافراد والجرائم المنظمة الموجه لاستهداف الشباب والاطفال وهو ما فرض على الدول التركيز بشكل كبير على بناء منظومة الامن السيبراني ووضع ستراتيجية لها قادرة على تحقيق اهداف الدولة والاستفادة من هذا الحيز الجديد بمزاياه الفريدة و في ذات الوقت قادرة على وضع حد للتحديات والجرائم التي من الممكن ان توجد في اطاره .

الكلمات المفتاحية : (الامن ، الفضاء الالكتروني ، المعلومات ، الامن السيبراني ، الامن القومي).

Abstract:

The cyber security of states is one of the main factors to protect their security and the future of their country. This security has become added to the main state borders (land borders - sea borders - air borders), because of its key and active role in protecting the state and enhancing its stability and sovereignty over its lands. Most of its interactions are launched in a wide electronic space and do a lot of its work at the internal and international levels within the scope of this space, which has become a part that cannot be minimized or neutralized at the level of the lives of individuals and countries, but this important electronic field and the important opportunity it holds at the level of countries and their activities

And its work, which is now taking place faster and with less effort, but it brings with it many challenges for the state This space has created a new environment for carrying out an unspecified number of serious electronic crimes that threaten the security and safety of countries and the safety of their institutions and infrastructure, in addition to crimes committed against individuals and organized crimes directed at targeting youth and children, which forced states to focus heavily on building a cybersecurity system And developing a strategy for it that is capable of achieving the state's goals and taking advantage of this new space with its unique advantages, while at the same time able to put an end to the challenges and crimes that may exist within it.

Keywords: (security, cyberspace, information, cybersecurity, national security).

مقدمة :

يُعدُّ الفضاء الإلكتروني ونظم المعلومات والاتصالات الالكترونية احدى اوجه التفاعلات والاتصالات الاساسية للدول ، ففي عالم تحول الى قرية صغيرة اصبحت هذه النظم الالكترونية تشكل جانب كبير منها ، وبالتالي باتت الدول اليوم متجه الى زيادة تفاعلاتها عبر هذا الفضاء الالكتروني ومواكباً لعالم متطور ، بالاضافة الى ان الجزء كبير من التفاعلات الدولية اصبحت تتم عن طريق هذا الفضاء . وكأي مجال مهم وحيوي وذا مردود كبير على مصالح واهداف الدول ، فان جانب الخطر والتهديد فيه يتناسب مع تلك الاهمية ، فبات الفضاء الالكتروني يشكل احدى اوجه التهديد الذي من الممكن ان تتعرض اليها الدول بصورة تختلف عن الطرق التقليدية ، وهو ما فرض على الدول ضرورة التصدي لها ومنعها من التوسع والاضرار بمصالح حيوية وحساسة تمس امن وسلامة الدول والافراد ، خاصة وان الفضاء الالكتروني اصبح يمس كافة جوانب التفاعلات الدولية سياسياً وامنياً واقتصادياً وعسكرياً . وقد جاء الامن السيبراني لحماية هذه الشبكة المهمة وتأمين مصالح الافراد والدول من عصابات منظمة ومجرمين اصبحوا يمارسوا هذه الجرائم بصورة الكترونية مسببين ضرر كبير للامن والسلم سواء على نطاق الافراد او بصورة اشمل ليضم امن الدولة وسلامتها ، كالحالة مع جرائم التجسس وسرقة المعلومات والقرصنة الالكترونية وتخريب البنى التحتية والاحتلال الالكتروني وانتحال الشخصية والارهاب الالكتروني وغيرها من الجرائم التي تقع في نطاق هذا المجال ، والتي اصبح من الضروري اي تضع الدول كافة التدابير وتتخذ جميع الاجراءات لوقف تلك الاعمال الاجرامية في هذا المجال الحيوي والمهم .

اهمية الموضوع :

تتبع اهمية الموضوع من كون الفضاء الالكتروني ونظم المعلومات الحديثة اصبح اليوم هي احدى مجالات عمل الدولة المهمة وان تامينها وسلامة هذا الفضاء والنظم يعد من حدود وسلامة امن الدول ، وبما ان اليوم جزء كبير من نشاطات وعمل الدولة اصبح يتم من خلال هذا الفضاء المعلوماتي الالكتروني وان معلومات مهمة وحساسة تتعلق بامن الدولة باتت تتواجد وتحفظ فيه ، فان حماية هذه النظم والمعلومات وسلامتها تعدى احدى التحديات الخطيرة التي تقع على عاتق الدولة ، فحماية الفضاء الالكتروني من جرائم خطيرة ربما تقع في نطاق يعد احد الاسس لحماية الامن القومي للبلاد .

اشكالية البحث :

تتمثل اشكالية البحث في ان الفضاء الالكتروني قد فتح مجالاً جديداً امام اشكال من الجرائم غير التقليدية والخطيرة في ذات الوقت تتم هذه العمليات من قبل جماعات واشخاص مجهولين الهوية ومنتسبين الى جهات متعددة على الصعيد الداخلي والخارجي ، وهو ما فرض جهداً اضافية على الحكومة اضافياً ، خاصة فيما يتعلق بالارهاب الالكتروني وجرائم التجسس الالكتروني وسرقة هياكل البنى التحتية المعلوماتية المهمة .

فرضية البحث :

تنطلق فرضية الدراسة من مدى قدرة الحكومات على تعزيز الامن السيبراني لها وبما يسمح للبلاد من الاستفادة من هذا المجال الواسع الحديث ومن توفره من فرصة لتدعيم الامن والاستقرار وتوفير الفرص الاقتصادية الاستثمارية وتعزيز مجال التعاون وكذلك فان تعزيز ودعم هذا المجال سيمكن الدولة من الحد من تأثير تهديدات كبيرة على امنها وسلامتها القومية .

ولاثبات هذه الفرضية او نفيها او تعديلها فسوف يتم الاجابة على التساؤلات الآتية :

اولاً : ما المقصود بالامن السيبراني ؟

ثانياً : ما اهمية الامن السيبراني ؟

ثالثاً : ما هي العلاقة الترابطية بين الامن السيبراني والامن القومي ؟

رابعاً : التأثير للامن السيبراني على الامن القومي ؟

هيكلية البحث :

انضوت هيكلية البحث في مبحثين رئيسيين تضمن الاول التعريف بالامن السيبراني ومدى اهمية وجاء المبحث الثاني ليسلط الضوء على العلاقة الترابطية للامن السيبراني وكذلك تاثير الامن السيبراني على الامن القومي بالاضافة الى الخاتمة والاستنتاجات .

المبحث الاول : التعريف بالامن السيبراني واهميته

يُعدُّ الامن السيبراني اليوم من القضايا المهمة والحساسة في أمن الدول وسلامتهم ، خاصة وان جانب كبير من الحياة العملية اليوم انتقل الى جانب المعلومات ونظم الحاسوب ، وبالتالي فان الامن السيبراني اصبح يمثل جانب من عمل الدول وميدانٍ تحقق فيه تطورها ونموها .

المطلب الاول : التعريف بالامن السيبراني

يقصد بالامن السيبراني هو امن حماية المعلومات الرقمية والانظمة والشبكات الالكترونية ضد الهجمات الرقمية ، وتهدف هذه الهجمات الى الوصول الى معلومات مهمة وحساسة والقيام بتغييرها او تدميرها او استخدام للاحتيال على الافراد او تخريب الاعمال التي تتم من خلالها ، وقد زادت هذه الاعمال بسبب ازدياد مجال وفاعلية جانت نظم المعلومات الرقمية ودخولها في مجالات الاعمال كافة بالاضافة الى ازدياد اعداد المستخدمين والاجهزة المستخدمة الى اصبحت تفوق اعداد الاشخاص واصبح المستخدمين لها اكثر ابتكاراً^١.

فالامن السيبراني هو عبارة عن مجموعة من الوسائل التقنية والادارية والتنظيمية والتي تعمل من خلالها الدول على حماية نظم المعلومات والبيانات التي اصبحت مفتوحة على عدد من الدول الاخرى ضمن ما يعرف بالفضاء الالكتروني والعمل على حماية تلك المعلومات وعدم السماح الوصول اليها من قبل اشخاص غير مصرح لهم بذلك ، من اجل ضمان استمرارية عمل نظم المعلومات وتعزيز سرية وخصوصية البيانات فيها ، وضمان امن معلومات الاشخاص والحد من الجرائم الالكترونية التي من الممكن ان تقع ضمن هذا الفضاء^٢. وكذلك دعم العمليات التشغيلية والمحافظة على سرية وسلامة الاصول المعلوماتية ودقتها وتوافرها^٣.

وتُعرف ايضاً بانها مجموعة الاجراءات التي تتخذها الاجهزة الامنية او الاجهزة المعنية الاخرى الغرض منها حماية امن المعلومات وسريتها ، ومنع الاختراقات الفايروسية من اجل ضمان

^١ Cisco ، ماهو الامن السيبراني ، الموقع الرسمي ل Cisco ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ، تاريخ الاقتباس ٢٥-٤-٢٠٢٢
https://www.cisco.com/c/ar_ae/products/security/what-is-cybersecurity.html ، ٢٠٢٢

^٢ الجمهورية اللبنانية الهيئة المنظمة للاتصالات ، National Internet Safety Lebanon ، الموقع الرسمي للهيئة ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ، تاريخ الاقتباس ٢٥-٤-٢٠٢٢ ، <http://www.tra.gov.lb/Cybersecurity-AR>

^٣ الضوابط الاساسية للامن السيبراني ، الهيئة الوطنية للامن السيبراني ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٨ ، ص ١٩ .

حماية المعلومات والبيانات المهمة والبنى التحتية المعلوماتية وضمان وصولها بشكل سليم الى كافة المؤسسات والافراد المستفيدين منها ، والسعي في عدم وقوعها بيد الاصدقاء او الاعداء على حد سواء . حيث يمثل هذا الجانب الامني هاجساً كبيراً امام الحكومات والدول ، خاصة مع تعدد مصادر التهديد والجهات التي تقف ورائه ووقوعها في اغلبها خارج سيادة الدولة .^٤

وهو أيضاً مجموعة من الاجراءات المتخذة من قبل الدول من اجل الدفاع ضد الهجمات السيبرانية ونتائجها ، التي تتمثل في اتخاذ التدابير المطلوبة . وقد عرفت وزارة الدفاع الامريكي " البنتاغون " الامن السيبراني بانه " جميع الاجراءات التنظيمية اللازمة لضمان حماية امن المعلومات بجميع اشكالها المادية الالكترونية ، من مختلف الجرائم : الهجمات ، التخريب ، التجسس والحوادث " ، وقد عرف الاعلان الاوربي ان الامن السيبراني هو " قدرة النظام السيبراني على مقاومة محاولات الاختراق التي تستهدف البيانات " .^٥

فالامن السيبراني هو تلك الاجراءات والسياسات المتبعة من قبل الدول والمتعلقة بحماية امن وسلامة المعلومات والبيانات ومنع الاشخاص غير المخولين من الوصول اليها ومحاولة تخريبها او تغييرها او ممارسة اي نوع من انواع الجرائم الالكترونية من خلالها .

المطلب الثاني : اهمية الامن السيبراني

أن وجود التكنولوجيا اضحى امراً ضرورياً واساسي ، لاعطاء المؤسسات والافراد ادوات الامن السيبراني من اجل حماية انفسهم من خطر الهجمات السيبرانية ، وتتضمن الحماية في جوانب رئيسة هي الاجهزة الطرفية واجهزة الكمبيوتر والاجهزة الذكية والموجهات والشبكات . وضمن عالم اليوم التكنولوجي المتصل فان وجود الامن السيبراني مهم جداً ، فعلى صعيد الافراد يمكن ان تُسفر الهجمات السيبرانية من اختراق المعلومات الشخصية والاطلاع عليها ، انتحال الشخصية ، العمليات التخريبية والاحتيال وفقدان المعلومات الشخصية كالصور العائلية وغيرها ، فالاعتماد على بنية من الامن السيبراني ضروري فمحطات الطاقة والمستشفيات وشركات الاتصالات والمعلومات والنظم المالية والمصرفية كلها اليوم تعتمد على نظم المعلومات وشبكة كبير من تكنولوجيا المعلومات التي من المهم جداً حمايتها من خلال انظمة الامن السيبراني ، فوصول عصابات الاختراق الالكتروني او الهكرز الذين اصبحوا يوظفون التكنولوجيا بطريق محترفة للوصول الى المعلومات والبيانات المهمة يعتبر من الجرائم الخطيرة التي اصبح من

^٤ علي زياد العلي ، المرتكبات النظرية في السياسة الدولية ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٧ ، ص٢٢٤ .

^٥ الامن السيبراني ، الموسوعة السياسية ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ، تاريخ الاقتباس ، ٥-٥-٢٠٢٢ ،

[https://political-](https://political-encyclopedia.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A)

<encyclopedia.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A>

الضروري على الدول أن تهيأ لها كافة الامكانات المادية والبشرية للتصدي لها، لما تشكله من
خطورة على امن المجتمع وسلامته.^٦

ويمكن تلخيص أهمية الامن السيبراني بالاتي:^٧

- ١- تقديم الحماية الكاملة لامن المعلومات والبيانات وعدم السماح للاشخاص غير المخولين
بالاطلاع او العبث بها .
- ٢- المحافظة على المعلومات وتجانسها وسلامتها .
- ٣- السماح بتوفير وفرة من المعلومات والبيانات وجاهزيتها للاستخدام في اي وقت يتم
الحاجه فيه اليها .
- ٤- حماية الاجهزة الالكترونية ونظم المعلومات من الاختراق ككل .
- ٥- اكتشاف نفاط الخلل والضعف في الانظمة الالكترونية ومعالجتها حتى لا يتم استغلالها
واختراقها .

٦- توفير بيئة العمل الامنة لجميع مستخدمي شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) .
ومن الناحية العملية فقد ارتبطت اهمية الامن السيبراني مع تزايد الهجمات الالكترونية والتي
حدثت بسبب عاملين رئيسيين :^٨

الاول والذي يمثل بظهور اجهزة الكمبيوتر منذ خمسينيات القرن الماضي كادارة لمعالجة وحفظ
المعلومات رقمياً (Digital) ، مع تزايد عمل الشركات الخاصة والعامة لتطوير وحدة
المعالجة المركزية (CPU) ، وذلك لتسهيل المهام المكلفة بها ، وقد تطور هذا المجال في
العقود اللاحقة ، بحيث اصبح جهاز الكمبيوتر اساسي في عمل الشركات الخاصة والعامة
بالاضافة الى دخوله الى الحياة اليومية للأفراد .

الثاني : تمثل في دخول شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وتزايد المعلومات المشتركة
المنتقلة من خلالها والذي احدث نقل نوعية مهمة في حياة البشرية من خلال نقل وتبادل
المعلومات من خلال تلك الشبكة ، وقد تسارعت وتيرة استخدام شبكة المعلومات الدولية
الانترنت لاحداث تغيرات وتطورات نوعية في المجال الامني والعسكري وهو ما فتح المجال
امام مفاهيم جديدة كالحالة مع سباق التسلح السيبراني والحروب الالكترونية .

لذلك فان الامن السيبراني هو ضرورة لكل دولة تسعى لحماية امنها وسلامته مجتمعا حيث ان
اهمية هذا الجانب المعلوماتي والتكنولوجي اصبح لا يقل عن جانب اخر ممكن اي يؤثر على
امن وسلامة الدولة كالحالة مع الجانب الاقتصادي والسياسي والعسكري ، فاتجاه العالم اليوم
نحو التعامل والتعاون الكترونياً ضمن ما يعرف بالفضاء الالكتروني جعل من الامن السيبراني

^٦ Cisco ، مصدر سبق ذكره .

^٧ قاسم بشأن التميمي ، الامن السيبراني واهميته في نشر الوعي المجتمعي ، معهد ابرار معاصر طهران ، شبكة المعلومات الدولية (

الانترنت) ، تاريخ الاقتباس ٢٨-٤-٢٠٢٢ ، <https://tisri.org/ar/?id=mkl6y9sj> ،

^٨ الموسوعة السياسية ، مصدر سبق ذكره .

من ضروريات التي يجب ان تسعى الدول لتوفير كافة الموارد المادية والبشرية لدعمها وجعلها في مستوى متقدم .

المبحث الثاني : الامن السيبراني والامن القومي للدول

ان التدعيات التي شهدتها العالم ومنذ خمسينات القرن العشرين ودخول التكنولوجيا الجانب العملي في حياة الدول واستمرار تزايد وتيرة استخدامها الى ما وصل الى انتهاج عدد من الدول نمط الحكومة الالكترونية والتي تعمل من خلالها على ادارة الدولة ومؤسساتها كافة من خلال نظم المعلومات والحاسوب ادى الى ان يكون امن الدول واستقرارها وتقدمها الاقتصادي والسياسي وحتى العسكري يرتبط بشكل كبير بامن معلوماتها ونظم التكنولوجيا فيها .

المبحث الاول : الترابطية بين الامن السيبراني والامن القومي

تبرز العلاقة بين الفضاء الالكتروني والامن القومي للدول مع التوسع في استخدام نظم المعلومات والتكنولوجيا واتجاه عدد كبير جداً من الدول لتبني نمط الحكومات الالكترونية واتساع نطاق مستخدمي نظم المعلومات سواء على الصعيد المعاملات الحكومية او من جانب شخصي ، ففي هذه الحالة (الحكومة الالكترونية) تصبح نظم المعلومات القومي امام تحدٍ كبير وهو خطر تعرض تلك المعلومات المهمة والحساسة الى التهديد^٩ من خلالها انكشافها على الفضاء الالكتروني او احتمال تعرضها لهجمات الالكترونية ، فضلاً عن التعرض الى الدعاية المغرضة والمضللة ونشر الاشاعات او الدعوة لاعمال تخريبية او عنف ودعم المعارضة لنظام الحكم وتقديم الدعم المالي والمعنوي الكترونياً وهو بمجملها تمثل تحدياً كبيراً لامن الدولة . وان هذا الاعتماد الكبير على جانب المعلومات والتكنولوجيا التي هي اليوم احدى الجوانب التي لا يمكن الاستغناء عنها ، والتي جعلت الامن القومي عرضة لجملة من التحديات الجديدة ، كالحالة مع شركات الطاقة والنقل والمواصلات والتجارة الالكترونية والخدمات الحكومية ومؤسسات الدولة المالية ومؤسساتها الامنية ، كل هذا جعل امكانية الوصول الى تلك المعلومات من الجرائم الخطيرة التي من الممكن ان تتعرض لها اي دولة . وقد جعل الفضاء السيبراني جميع تلك المصالح مرتبطة ببعضها البعض في بيئة عمل واحدة تعرف بالبنية التحتية القومية للمعلومات وهي التي ترتبط بدورها بالبنية التحتية الكونية للمعلومات ، وهو ما جعل الامن العالمي يتعلق بمدى قدرة المجتمع الدولي بتوفير أنظمة حماية فعالة جداً ومطورة امام اي هجمات الكترونية ممكن ان تعرض امن الدول وسلامتها للخطر .^{١٠}

^٩ Kenneth Geers , Strategic Cyber Security , CCDCOE , USA , 2011 , p9 .

^{١٠} عادل عبد الصادق ، الاقتصاد الرقمي وتحديات السيادة السيبرانية ، المركز العربي لابتحاث الفضاء الالكتروني ، القاهرة ، ٢٠٢٠ ، ص ١٥ .

وقد امتدت هجمات الفضاء الالكتروني والتطور الكبير الذي جرى عليه الى امكانية توظيفها من قبل دول وجماعات منظمة خاصة للنيل من مراكز ومؤسسات حيوية لدى الدول كالحالة مع استهداف المنشآت العسكرية للدول ، خاصة في ظل اعتماد الدول في اغلب منشأتها الحيوية على التكنولوجيا المتطورة ونظم المعلومات . وهو ما دفع الدول الى تعظيم عناصر قوتها من خلال الاعتماد المتزايد على مزايا الفضاء الالكتروني ، وظهر ما يعرف بالاستراتيجية السيبراني التي تعمل من خلالها الدول على توظيف الفضاء الالكتروني لتحقيق اهدافها وغاياتها واحراز التقدم والتطور الذي تتميز به عن غيرها من الدول .^{١١}

عمل انفتاح العالم على الفضاء الالكتروني في تغيير طبيعة وخصائص الامن والقوة والصراع في المشهد الدولي ، سواء على المستوى التطبيقي او النظري ، واصبح له تأثيرات وشواهد في العلاقات بين الدول ، والذي يتم عبر متغيرات ثلاثة:^{١٢}

البعد الاول : حيث ان الامن السيبراني لم يعد مقتصرأ على البعد التقني بل تمدد الى ابعاد اخرى مع تراجع سيادة الدولة في ظل هذه المتغيرات الجديدة ، وتزايد العلاقة بين الامن والتكنولوجيا بصفة عامة ، مع تزايد فرص تعرض المصالح الوطنية للخطر ، وقد فرضت تلك التطورات اعادة النظر في مفهوم الامن القومي للدول ، والذي يعمل على حماية قيم المجتمع الاساسية ، وابعاد مصادر التهديد عنها ، وابعاد اي خطر ممكن اي يعترض تلك القيم او يهاجمها . كذلك فان تحول الفضاء الالكتروني الى ساحة عالمية عابرة لحدود الدول . ادى الى ان يكون هناك ارتباط عضوي بين الامن السيبراني الداخلي للدولة وامن الفضاء الالكتروني وهو ما يمثل اسس الامن الجماعي العالمي ، خاصة مع وجود تهديدات مشتركة لجميع الفاعلين في مجتمع المعلومات العالمي .

البعد الثاني : فقد فتح الفضاء الالكتروني المجال لبروز نوع جديد من القوة وهي القوة السيبرانية ، حيث اصبح التفوق في هذا المجال من اوجه قوة الدولة الاساسية ويوفر لها تنفيذ عمليات ذات فاعلية في الارض والبحر والجو والفضاء . وفي هذا السياق فقد اسهم في تدعيم القوة الناعمة ، حيث بات الفضاء الالكتروني مسرحاً لشن هجمات تخريبية ترتبط بنشر المعلومات المضللة والحرب النفسية وتأثير في توجهات الرأي العام والنشاط الاستخباراتي ، وهو ما دفع الدول الى زيادة انفاقها علي سياسات الدفاع الالكتروني وحماية شبكاتها الوطنية من خطر التهديدات . وايجاد مؤسسات الوطنية متخصصة في الامن السيبراني .

^{١١} Greg Austin , Cyber Security in China : The next wave , Springer Briefs in Cyber Security , Australia , 2018 , p3 .

^{١٢} عادل عبد الصادق ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧ وما بعدها .

البعد الثالث : والذي يتمثل في ان الفضاء الالكتروني قد اوجد نوع جديداً من مجالات الصراع بين الدول ، وهو الصراع الالكتروني والذي ينشأ نتيجة تعارض المصالح والقيم سواء كان ذلك بين الفواعل من الدول او غير الدول .

وتمثل التهديدات السيبرانية ، احد اهم واكثر الاخطار التي من الممكن ان تتعرض لها الدول كوجود محاولات لالتلاف او تعطيل شبكات الكمبيوتر ونظم المعلومات ضعيفة التحصين ،^{١٣} حيث ان طبيعة وتأثير التهديد السيبراني متنوعة وعديدة وعادة ما يبدأ ذلك التهديد مع محاولة استغلال حدوث خلل في شبكة المعلومات او وقوع حادث يسمح بحدوث خرق في شبكة المعلومات المهمة او الضوابط الامنية . وتتبع تلك العمليات القيام بهجوم الالكتروني الذي ينطوي على استخدام برمجيات وضارة وتغيير الرموز البرمجة الرقمية والانظمة الرياضية او البيانات التي تضر بسرية وسلامة البيانات الهدف النهائي منها احراز اضرار تخريبية بالبنى التحتية الالكتروني والوصول الى معلومات مهمة وتقييد الخدمات الالكترونية او تحقيق المكاسب المادية^{١٤} . وهي بمجملها تمثل خطراً كبيراً ممكن ان يتعرض له الامن القومي لاي دولة .

المطلب الثاني : تأثير الامن السيبراني على الامن القومي للدول

يُعدُّ الامن السيبراني اليوم عنصراً مهماً من عناصر امن الدولة ، لذلك فقد راحت الدول تتنافس للحصول على مزايا اكثر للامن السيبراني وتعزيزه في مجالات الدفاع والهجوم ، وكذلك تبني استراتيجية وطنية للامن السيبراني تعمل من خلالها على اتباع سياسات فعالة ضمن الفضاء الالكتروني الرقمي تعمل من خلالها على دعم اهدافها السياسية والامنية وفي مختلف جوانب عمل الدولة والعمل على حفظ فرص النمو الاقتصادي في ظل تداعيات ما يعرف بالثورة الصناعية الرابعة والعلاقة القوية بين الامن الرقمي والاقتصاد الرقمي وما يؤسسه هذا من الثقة في الحكومة وسياساتها المتبعة .^{١٥}

ونتيجة لتزايد الترابط بين الامن والتكنولوجيا المعلومات والفضاء الالكتروني من جهة وتصادد دور التطبيقات التكنولوجية في الاقتصاد من جهة اخرى ، وظهور فجوة في الاستجابة لتقديم استراتيجيات للامن السيبراني تتلائم مع تحديات الفضاء الالكتروني ، وما قدمه من تحديات خطيرة للامن القومي للدول ومنها تأثير ضعف الامن السيبراني على اقتصاد الدولة الرقمي ومؤسساتها المهمة وبالتالي فان لهذه العلاقة الطردية دور كبير في بناء الثقة في البيئة الرقمية والعرض الرقمي والطلب الرقمي والبنية التحتية المعلوماتية في وقت تتصاعد فيه التهديدات الرقمية ، في الوقت الذي تتجه فيه العديد من الحكومات للاستحواذ على مقدرات الثورة الصناعية

^{١٣} Joseph Steinberg , Cyber Security , Dummies , Canada , 2020 , p5-p7.

^{١٤} استراتيجية الامن السيبراني العراقي ، مستشارية الامن الوطني امانة سر اللجنة الفنية العليا لامن الاتصالات والمعلومات ، ٢٠١٧ ، ص٤.

^{١٥} Nick Heard and others , Data Science for Cyber-Security , World Scientific , London , 2018 , p3 .

الرابعة واحراز تقدم تقني كبير يسهم في تحقيق ازدهار الدولة وتقدمها في الوقت الذي يجب على الدول ان تعي مخاطر هذا التطور والانفتاح على الفضاء العالمي الالكتروني وتكون قادرة على حماية امن مجتمعتها وسلامته . ويجاد السياسات والتشريعات التي تعمل على تعزيز امنها السيبراني وتطويره والدخول في مجال التنافس مع غيرها من الدول والتي اصبحت قائمة على المساهمة في الابداع والابتكار ، وترجمة ذلك عن طريق تطبيقات تستطيع من تحقيق الاستخوذ على الاسواق الاقتصادية ضمن العالم الجديد . وتظل اهداف الاستراتيجية العليا للامن السيبراني مقترنه بالسياسات والقدرات الدفاع السيبراني ، وتحقيق المرونة السيبرانية ، والحد من جرائم الالكترونية ، ودعم الصناعة في مجال الامن السيبراني ، وتأمين البنية التحتية للمعلومات المهمة ^{١٦}. فالوجود الاقتصادي للبلاد اصبح يعتمد اليوم بشكل كبير جداً على الفضاء الالكتروني ، والذي بدوره جعل هذا الاقتصاد منفتح على فاعلين ودول اخرى ، منها ما قد يحمل نوايا طيبة او لا ، وهو ما يفرض على البلدان تطوير بنى تحتية معلوماتية ^{١٧} قادرة على حماية المجالات المهمة في البلد كالامن والاقتصاد والمجتمع من جرائم خطيرة وحديثة من نوعها اوجدت تحدٍ لمواجهتها والتي قللت معها من قدرة الدولة على السيطرة عليها ، خاصة وانها قد تتم من قبل اشخاص ودول عديدة كالحالة مع : ^{١٨}

- ١- العمليات التي تستهدف المعلومات المهمة في مؤسسات الدولة .
- ٢- اساءة استخدام شبكة المعلومات الانترنت ومواقع التواصل لنشر الشاعات والاذخار المضللة التي قد تضر امن وسلامة الدولة .
- ٣- جرائم الاحتيال وكذلك انتحال الشخصية .
- ٤- جرائم الابتزاز التي تمارس خصوصاً على طبقة الشباب .
- ٥- التدخل في الاجهزة الرقمية وانظمة الكمبيوتر .
- ٦- التخريب الاقتصادي من خلال منع المواطنين من الوصول الى الخدمات الحكومية وغير الحكومية .
- ٧- الوصول الى معلومات حساسة لمؤسسات الدولة الامنية والخدمية .
- ٨- الارهاب الالكتروني .
- ٩- سرقة الاصول الفكرية .
- ١٠- غسيل الاموال .

ان نقطة انطلاق استراتيجية الامن السيبراني تبدأ مع العمل على تطوير سياسة وطنية لرفع الوعي حول قضايا الامن السيبراني وكيف التعامل مع اي خلل او خرق يتعرض له امن

^{١٦} عادل عبد الصادق ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ وما بعدها .

^{١٧} Tim Stevens , Cyber Security and Political of Time , Cambridge University Press , London , 2016 , p4-7.

^{١٨} استراتيجية الامن السيبراني العراقي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣ .

المعلومات الشخصية للأفراد والمؤسسات والابلاغ عنه ، بهدف تقليص المخاطر والتهديدات السيبرانية ، وكذلك يتضمن عمل الدول على المشاركة في الجهود الدولية والاقليمية لتشجيع الوقاية الوطنية والتحضير والاستجابة والتعافي من الحوادث السيبرانية.^{١٩} كالحالة مع الجهود الدولية التي تسعى الى دعم الجهود الدولية الرامية لمنع الجهات الفاعلة من غير الدول من اقتناء او صناعة او نقل تحويل او استخدام تقنيات الكترونية ذو استخدامات متعددة قد تستخدم كادوات للهجمات الالكترونية وكذلك العمل على اعتماد وتنفيذ قوانين لحظر استخدام او تطوير او اقتناء الاسلحة الالكترونية.^{٢٠}

ومن الامور المعروفة في العلاقات الدولية ان القوة واشكالها في حال تغير مستمر والتاثير الناتج عنها يخضع لذات الامر ، فمن القوة الصلبة بشقيها العسكري والاقتصادي وتزايد الاهتمام بالقوة الصلبة بوصفها التعبير الاوحد لها ، الى بروز شكل جديد من اشكال القوة^{٢١} والمتمثل بالقوة الناعمة وقدرت الدول على الجذب والاقتناع ، ومع ظهور ثورة المعلومات ظهر شكل جديد من اشكال القوة وهو القوة السيبرانية Cyber Power والتي اصبح لها تاثير كبير على صعيد المحلي والدولي ، فقد ادى ظهور هكذا ادت الى توزيع وانتشار القوة بين عدد كبير من الفاعلين وهو ما جعل موضوع قدرة الدولة على السيطرة على مواردها وممتلكاتها وبنائها التحتية في حالة من عدم الاستقرار ومنح الفاعلين الاصغر القدرة على التحكم في القوة الصلبة والقوة الناعمة عبر الفضاء السيبراني وهو ما يعني تغير في شكل العلاقات الدولية وهو ما اثر على الامن القومي للدول وتاثير الفضاء الالكتروني على قوة الدولة والسيادة والحكومة الالكترونية .
٢٢

ويتمثل هدف الامن السيبراني في قدرة الدولة على مواجهة التهديدات والتحديات التي فرضتها البيئة الدولية والقدرة كذلك على الاستجابة والتعافي من اي هجمات قد تتعرض لها الدولة فيما يخص المجال الالكتروني وبالتالي التحرر من الاضرار الناتجة عن تلك الهجمات كاتلاف او تعطيل المعلومات او بسبب اساءة استخدام تكنولوجيا المعلومات ونتيجة الاهمية المتزايدة للامن السيبراني في حياة الدول والافراد اصبح تعتبر على راس الاولويات المهمة للدول ، خاصة بعد ظهور مجال جديد للقوة والحروب خاصة بين الدول الكبرى وهي التنافس في الفضاء الالكتروني والحروب الالكترونية .

^{١٩} علي زياد العلي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٦ .

^{٢٠} عادل عبد الصادق ، اسلحة الفضاء الالكتروني في ضوء القانون الدولي الانساني ، المركز العربي لاجتات الفضاء الالكتروني ، ط٢ ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ص ١٥٢ .

^{٢١} Riant Nugroho ، Rethinking National Security Policy : Indonesia Case ، Institute for Policy Reform ، Pakistan ، 2020 ، p11 .

الخاتمة :

يُعدُّ الأمن السيبراني إحدى المقومات الأساسية لبناء أمن الدول اليوم ، حيث ان التكنولوجيا والمعلومات أصبحت تشكل جزءاً كبيراً من مؤسسات الدولة وبنائها التحتية ، فلم تعد الدولة تقتصر في قوتها على عناصر القوة الصلبة والناعمة او الذكية فقط بل أصبح جزء منها يذهب الى ما يعرف بالقوة السيبرانية التي تعتبر عن مدى قدرة الدولة على العمل في مجال نظم المعلومات والتكنولوجيا و حماية امنها المعلوماتي وضمان سلامة امنها ومجتمعها فيه ، فقد فتح الفضاء الالكتروني افاق لتحديات جديدة تواجهها الدولة ومخاطر غير تقليدية وجرائم قد تتم من قبل دول او اشخاص او عصابات منظمة متخصصة بهذا النوع من الجرائم ، وهو ما فرض على الدولة المزيد من الجهود لحماية هذا الجانب وكذلك المزيد من الموارد والامكانيات والاستعداد لتكون مستعدة من الدخول في جانب التكنولوجيا والمعلومات والاستفادة من مزايا الثورة الصناعية الرابعة وتحقيق ميزة تنافسية مع غيرها من الدول ، فراححت الدول اليوم تتعامل وتتعاون مع غيرها من الدول عن طريق الفضاء الالكتروني الذي أصبح فيه نطاق المعلومات والأمن الخاص بالدول مشترك ومنتشر في هذا المجال ، اضافة الى ان العديد من الدول انتقلت الى نمط الحكومة الالكترونية ، وهو ما يعني ان معلومات وبيانات المؤسسات وكذلك الخدمات المقدمة تتم عن طريق نظم المعلومات والاتصالات ، وهو ما جعل جرائم خطيرة وجديدة من نوعها تواجه الحكومات والتي لها تأثير كبير على الأمن القومي للدول كالحالة مع سرقة المعلومات المهمة والحساسة او تغييرها ، ايقاف الخدمات المقدمة للمواطنين ، او الوصول الى معلومات متعلقة بأمن الدولة ، وكذلك جرائم الاحتيال والنصب الالكتروني وانتحال الشخصية والابتزاز التي تمثل جرائم مهددة لأمن وسلامة أي دولة ، وبالتالي فان وجود مستويات عالية من الأمن السيبراني للدولة يعد اليوم ضرورة لحماية امنها وسلامتها ، طالما ان العالم اليوم يتجه الى ان تتم اغلب اعمال الدولة من خلال الفضاء الالكتروني والجانب المعلوماتي والتكنولوجي فان حماية هذه المعلومات يعد اساسي لضمان امنها واستقرارها ، والعكس صحيحاً أيضاً كل ما كانت الدولة ضعيفة في مستوى حماية امنها المعلوماتي فان هذا يعني تعرض تلك الدولة لجرائم خطيرة وتحديات تهدد امنها وسلامتها .

الاستنتاجات :

- ١- ان أمن المعلومات والبيانات أصبح ضرورة لأي دولة تسعى الى تحقيق الأمن والاستقرار والازدهار لبلادها ، حيث ان وجود أنظمة ومؤسسات متخصصة لحماية هذه المعلومات يعد من عناصر قوة الدولة الحديثة .

^{٢٢} الموسوعة السياسية ، مصدر سبق ذكره .

- ٢- ان وجود الامن السيبراني يعني تحقيق النمو والتقدم على المستوى الاقتصادي ، حيث ان اقتصاد الدول اليوم تعتمد في جانب كبير منها على نظم المعلومات والتكنولوجيا وتتم في فضاء الكتروني تتشارك من خلاله عدد من الدول تلك العمليات الاقتصادية .
- ٣- ان الامن السيبراني اليوم يعكس في جزء كبير منه الامن القومي للدولة ومدى قدراتها على ضبط حدودها التقليدية (البرية والبحرية والجوية) وحدودها الافتراضية من خلال وجود امن المعلومات لديها .
- ٤- ان الضعف الحاصل في مجال الامن السيبراني و عدم جود الامكانيات والاجهزة والمؤسسات المتخصصة في هذا المجال يعني دخول البلاد في سيل من الجرائم الالكترونية الخطيرة والتي تمس امن وسلامة البلاد والنظام القائم فيها .
- ٥- ان قدرة الدولة اليوم على تحقيق جانب متطور من الامن السيبراني يعني ذلك تحقيق الدولة ذات المستويات على الجانب الاقتصادي والسياسي والامني والدولي حيث ان الامن السيبراني يوفر الحماية والسلامة على الصعيد الداخلي للدولة ويمكنها لان تكون اكثر تعاوناً وتأثيراً على الصعيد الدولي .

المصادر :

- ١- استراتيجية الامن السيبراني العراقي ، مستشارية الامن الوطني امانة سر اللجنة الفنية العليا لامن الاتصالات والمعلومات ، ٢٠١٧ .
- ٢- الامن السيبراني ، الموسوعة السياسية ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ، تاريخ الاقتباس ، ٢٠٢٢-٥-٥ ، <https://political-encyclopedia.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A>
- ٣- الجمهورية اللبنانية الهيئة المنظمة للاتصالات National Internet Safety Lebanon ، الموقع الرسمي للهيئة ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ، تاريخ الاقتباس ٢٥-٤-٢٠٢٢ ، <http://www.tra.gov.lb/Cybersecurity-AR>
- ٤- الضوابط الاساسية للامن السيبراني ، الهيئة الوطنية للامن السيبراني ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٨ .
- ٥- عادل عبد الصادق ، اسلحة الفضاء الالكتروني في ضوء القانون الدولي الانسان ، المركز العربي لابعاث الفضاء الالكتروني ، ط٢ ، القاهرة ، ٢٠١٦ .
- ٦- عادل عبد الصادق ، الاقتصاد الرقمي وتحديات السيادة السيبرانية ، المركز العربي لابعاث الفضاء الالكتروني ، القاهرة ، ٢٠٢٠ .
- ٧- علي زياد علي ، المرتكبات النظرية في السياسة الدولية ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٧ .

٨- قاسم بشأن التميمي ،الامن السيبراني واهميته في نشر الوعي المجتمعي ، معهد ابرار
معاصر طهران ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ، تاريخ الاقتباس ٢٨-٤-٢٠٢٢ ،

<https://tisri.org/ar/?id=mkl6y9sj>

٩- Cisco ، ماهو الامن السيبراني ، الموقع الرسمي ل Cisco ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ، تاريخ الاقتباس ٢٥-٤-٢٠٢٢ ،

https://www.cisco.com/c/ar_ae/products/security/what-is-cybersecurity.html

- 10- Greg Austin , Cyber Security in China : The next wave , Springer Briefs in Cyber Security , Australia , 2018 .
- 11- Joseph Steinberg , Cyber Security , Dummies , Canada , 2020 .
- 12- Kenneth Geers , Strategic Cyber Security , CCDCOE , USA , 2011 .
- 13- Nick Heard and others , Data Science for Cyber-Security , World Scientific , London , 2018 , p3 .
- 14- Riant Nugroho , Rethinking National Security Policy : Indonesia Case , Institute for Policy Reform, Pakistan , 2020 .
- 15- Tim Stevens , Cyber Security and Political of Time , Cambridge University Press , London , 2016 .

الديمقراطية الالكترونية والتغير في العراق

م . د : كمال حسين ادهم

المخلص :

قد اتاحت ثورة المعلوماتية وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي ابواب وطرق جديدة للشباب من كلا الجنسين من اجل التعبير وتحديد وتوحيد الكثير من الافكار والتصورات حول الوضع والحلول السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات ، ولم يكن العراق بمعزل عن هذه التطورات والجماعات الالكترونية والتي ظهرت في سائر المجتمعات المحلية في كل انحاء العراق والعالم ، فبالجماعات الالكترونية هذه ارتبط الشباب العراقي بأقرانهم على مستوى العالم والدول العربية وحتى المحلية مشكلين رأياً "عاماً" يدعو الى احداث تغيير وانهاء الكثير من الحالات السلبية والمتمثلة بالفساد وحتى المحاصصة التي جعلت العراق من الدول التي تعاني من الفساد والكثير من الازمات ، وهو ما تأكد من خلال تعثر اكمال وتحقيق الديمقراطية والنمو في العراق بعد اكثر من عقدين من تغيير للنظام السياسي فيه وهو ما جعل الشباب العراقي يدخل في معترك الثورة الالكترونية والتي تحققت من خلال تشكل تجمعات وشبكات من المدونين والمعلقين على الازمات السياسية في العراق والمطالبين بالتغيير فكان من باكورة مساهماتهم احداث تغيير في تشكيل الوزارة من خلال الضغط وتحتية رئيس الوزراء السابق السيد عادل عبد المهدي وتبديله بالسيد مصطفى الكاظمي عبر الاستفادة من فرص اكثر اتساعاً في العالم الرقمي واطاحة المجال لديمقراطية الكترونية ساهمت في تعزيز التغيير السياسي في العراق ، فالمعروف هو سيادة الفئة العمرية والمتمثلة بالشباب فالمجتمع العراقي يصنف على انه مجتمع شاب الا ان الظروف والتغيرات السياسية والاقتصادية والامنية اسهمت في تراجع دور الشباب الحقيقي في البناء ، وهذه الثورة الالكترونية والتي يسير معها الشباب العراقي لأجل فتح مجالات جديدة للتحويل والتغيير السياسي تتيح اكثر من توجه فهي من جانب تدعو الى التفاؤل ونجاح الشباب في احداث تغييرات وان كانت طفيفة الا انها حاسمة عبر ايصال مطالب وصوت الشباب العراقي الى السلطة الحاكمة ، الا انها من طرف اخر تدعو للتشاؤم عبر زيادة محور الرقابة الالكترونية والتي ساهمت في قتل العديد من المدونين في العراق ، فالتوسع في الاستعانة بالبرمجيات الإلكترونية في مؤسسات والهيئات العامة التنفيذية والتشريعية وحتى وسائل الاعلام ادخلت العراق مرحلة جديدة من انها الاعمال المتعلقة بالمواطنين بصورة اكثر سرعة ولكنها فتحت مجال ثانياً بأن يجد الناشطين والمدونين المطالبين بالإصلاح تحت اطار الرقابة على المراسلات الالكترونية و المدونين المطالبين بالإصلاح ، فهذه الدراسة بعنوان الديمقراطية الالكترونية والتغيير في العراق تم تحديد المبحث الاول فيها بمعضلة تحقيق الديمقراطية والنمو في العراق ، في حين ذهب المبحث الثاني الى الشباب العراقي والثورة الالكترونية ، اما المبحث الثالث آفاق التحول السياسي بين التفاؤل والتشاؤم الى جانب المقدمة والخاتمة.

الكلمات المفتاحية : شبكات التواصل الاجتماعي ، الشباب ، الازمات السياسية .

Summary

The electronic Democracy and the change in Iraq

The information revolution submitted with the expand of Social media has open new roads to youths of both boys and girls to expression their ideas and united their perceptions about the political and social and economic solutions in their societies . and Iraq didn't lonely from these develops in electronic groups which appeared in every local society in all over Iraq . and these electronic groups has gathered Iraqi youths with their peers in the world and Arabic states and all they established public opinion on the need to change and negative cases represented by corruption and quotas that led Iraq to suffering from corruption this is what is confirmed and bog down achievement of democracy in Iraq and development for more than two decades. The change of political regime and that's open the roads to Iraqi youth to electronic revolution and made groups of writers comments on political states and the summary of their efforts change Iraqi government of Adel abed al mahdy and take office to Mustafa al kadimy and all these benefit from digital world opened the for electrical democracy which promote political change in Iraq and the know about Iraqi youth . bout conditions and the changes of political and economic and security participated to regression role of youth in develop . electronic revolution open the roads to Iraqi youths to demands of change . these pessimistic and optimist. This scientific research has divided to three chapters : the first the dilemma of democracy and develop in Iraq . the second chapter the Iraqi youth and electronic revolution. The chapter three the change between pessimistic and optimist and the introduction and conclusion .

Key words: Social networks. Young . political crises .

المقدمة :

الازمات والمشاكل التي اوقفت وعطلت التغيير في العراق بعد العام ٢٠٠٣، وما تلاها من استمرار واستفحال هذه المشاكل السياسية والاقتصادية للتطور وتسبب الكثير من الازمات والتشنجات الاجتماعية لشعب هو مأزوم اساسا، ليتم ويزداد التمايز بين ابناء العراق على اساس الولاءات الثانوية وما صاحبها من ارتفاع وتيرة العنف وضعف دور المؤسسات والمصالح العامة واتساع دائرة الفساد وعدم الاستقرار الحكومي وهو من مسببات عدم الرضى عن الدور الحكومي ومع الثورة العالمية في مجال الاتصالات واتساع شبكات التواصل الالكتروني في العراق وحتى في العالم العربي وتشكل صيغ جديدة لديمقراطية الرأي وانتشاره فالمدونات وبانتشارها وضعت لنفسها دورا مهما في حشد وتعبئة لتخرج الاحتجاجات في المدن العراقية ويتشكل جيل من المدونين الالكترونيين وحدث تغيير ولو بشكل طفيف للبيئة الفكرية التي يعيش في كنفها اغلب العراقيين وانقسامه بين مدونين لا زالوا يتبنون الافكار المتطرفة والمتعصبة وهي افكار واره لا تقبل التبدل والتغير ، وبين افكار جديدة تقوم على الانتقاد والسعي ومطالبات التغيير وهو ما يظهر تغيير في طبيعة تفكير جزا من العراقيين ويمكنهم التعبير بحرية وجراءه في وسائل التواصل الالكتروني وتشكيل رأي عام جديد.

اهمية البحث: العراق مع مجمل التغيرات السياسية من تمكن الراي العام من تغيير حكومة السابقة والاتيان بالحكومة الحالية اصبح واضح للعيان الدور والاهمية البالغة التي تمتع بها المدونون الالكترونيين في تشكيل راي عام والتوجيه الى التظاهرات والاعتصامات وهو ما يحدد اهمية البحث عن دور الثورة الالكترونية في احداث تغيير سياسي في العراق.

هدف البحث: الديمقراطية الالكترونية والتغيير في العراق يهدف لتبيان مدى تغيير الافكار لجزء من الشعب العراقي واستخدامه لوسائل جديدة وحديثة للتعبير عن رأي جديد ربما يكون غير مقبول لجزء او نسبه اخرى من الشعب في العراق.

اشكالية البحث: بكل تأكيد ان واقع نشوء ديمقراطية الكترونية في العراق هو موضوع جديد وحديث بالمقياس المعتمد وبالتالي فندرة المصادر هي واقع حال البحث عن الديمقراطية الالكترونية في العراق.

فرضية البحث: افتراضات تشكل جيل جديد من الشباب العراقي الداعي للتغيير سببت حقيقة انه رغم صغر هؤلاء المدونين وقتلهم الا انهم تمكنوا من اثبات وجودهم وتأثيرهم .

منهجية البحث : تم اعتماد منهج التحليل النظامي في البحث عن الديمقراطية الالكترونية والتغيير العراقي.

هيكلية البحث: هذا البحث الديمقراطية الالكترونية والتغير في العراق، قسم الى ثلاثة مباحث كان المبحث الاول في المعضلة تحقيق الديمقراطية والنمو في العراق ، اما المبحث الثاني

تطرق الى دور الشباب العراقي والثورة الالكترونية، وتناول المبحث الثالث افاق التحول السياسي بين التفاؤل و التشاؤم ، الى جانب كل من المقدمة والخاتمة .

المبحث الاول: معضلة تحقيق الديمقراطية والنمو في العراق

مع الاشكالات التي تعرض لها اقامة النظام الديمقراطي على اشلاء نظام تمت الاطاحة به في العام ٢٠٠٣ ، ومع السعي للتحول والتغيير والذي لم يكن فاعلا وتحول حقيقي بسبب و نتيجة لغياب العزيمة السياسية والارادة التي تمهد لبناء هذا النظام الديمقراطي بمؤسساته المعهودة والتي حاضرة كهياكل ومؤسسات ولكنها غائبة كفعل ملموس، وهو ما دفع الى عدم الايمان المطلق بجدوى الديمقراطية في العراق ، والتي لم تكن مسيرتها سهلة اصلا منذ بداية العملية السياسية بعد ٢٠٠٣، فتدنت المشاركة الانتخابية وتحديداً في دورتي عام ٢٠٠٥ و ٢٠١٠ ، اذ بلغت ما نسبته من العازفين عن الانتخابات ٤٠% ، من اصوات الناخبين ففي انتخابات ٢٠٠٥، لم يشارك فيها سوى ٦ مليون ناخب عراقي من اصل ١٤ مليون فهذا العدد رغم تدنيه هو في حقيقته اعلى من نسبة المشاركين في نفس الانتخابات خارج العراق والتي وصلت الى ١٢% من مجموع الاصوات المسجلة فهذا التدني في مستوى المشاركة السياسية وقفت وراءه طبيعة السياسات المطبقة (عنف - طائفية - عشائرية) وحجم المشاريع المنجزة (سياسية كانت او خدمية) وهو ما دفع الى ضعف الايمان بجدوى الديمقراطية في العراق والتي هي من احدى اشكالها الانتخابات الاداة الرئيسية التي تقود الى تسوية الخلافات بين القوى الاجتماعية في الدولة ، ووسيلة للتحكيم بين الافكار والاختيارات فالانتخابات بكل معانيها ما هي الا تجسيد لفكرة القبول بالآخر والعيش المشترك فكان هذا الافتراض من الصعوبة تعميمه على الحالة العراقية فهو مشهد ديمقراطي لكنه يفتقر الى الديمقراطيةيين فالحكومات العراقية المتعاقبة اجرت عمليات الانتخابات معتبرة ذلك هي الديمقراطية بعينها ، في حين ان الديمقراطية لها آليات متحركة على الارض وراسخة في الضمان والسلوك على مستوى الافراد والجماعات^١ ، وعدم الاستقرار هذا كان ما يدعمه فلم تستقر فالحكومات العراقية المتلاحقة وعدت كثيرا لكنها لم تقدم او تغير الا قليلا والحال يسري على لغة خطاب القوى السياسية في العراق ومع عدم استقرارها كان هناك شيء من عدم الوضوح في ادوارها و في سياسات الدولة العراقية ووظائفها وان كانت اللغة التي اعتمدتها حكومة السيد رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي مختلفة نوعاً ما عن سابقتها لكنها لم تختلف عنها في النتائج التي خرجت بها فهو من جهة سعى الى اقناع الطبقة السياسية بانه ان الأوان للتسليم بحقائق جديدة فرضت نفسها في العراق اولها الخروج من الصيغة التقليدية بان تكون القوى السياسية المهيمنة وليس الشباب المتضرر نتيجة البطالة وسوء الخدمات وغياب الامن هو من يرسم سياسة البلاد^٢، فقد مرت على تشكل نظام الدولة السياسي الجديد بعد انتهاء النظام السياسي السابق قرابة العقدين من الزمن وهو

^١ د. صالح غانم محمد ، (٢٠١٩) ، تطورات العراق السياسية وفاق المستقبل ، العدد ٣، تموز - اب ٢٠١٩، ص ٢٢٤-٢٢٥.

^٢ الشمري عماد، (٢٠١٩/٣/٢٠)، المحاضرة عنوان النظام السياسي بالعراق بعد الغزو الامريكي ،

www.aljazeera.net/news/politics/2019/3/20 تاريخ الدخول: ٢٠٢٢ / ٤ / ٥

ما ينقل واقع حال الشعب والنظام السياسي العراقي بكون ان النظام السياسي الديمقراطي في العراق يضمن للمواطن العراقي حرية التعبير وتنظيم الاقتصاد الى جانب الاهتمام بالصحة والتعليم ودعم السلع الضرورية والرعاية الاجتماعية ويحل مشاكل العاطلين ، فما كان واقعا هو تدمير الاقتصاد في البلاد واهمال الصحة والتعليم وزيادة في جيش العاطلين وفقدان الامن ، والفارق الواضح ان من يمثل المجتمع المدني في العراق رغم التطور الذي شهده مجال التعبير عن الطموحات والمطالب والمصالح والتي توسعت بشكل مبالغ فيه بعد تغير النظام في ٢٠٠٣، ليبدأ تحرك الشباب من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي تمكنوا من وضع ملامح لعملية بناء شبكات كقوة دافعة للتغيير فهذه الشبكات في حقيقتها لا تستهدف من المستخدمين الغاءهم كجهات فاعلة منضوية في هذه الشبكات بل التوازن بين استقلالية المستخدمين والمدونين وتعاونهم لتحقيق اهدافهم المشتركة عبر توازن الادوار بما قد يوفر لهم معلومات وموارد اكبر بتكلفة اقل فتتضاعف بذلك فرص الفاعلين والمستخدمين في التأثير ، فالمنطق الشبكي الذي تعمل عليه وسائل التواصل بين الشباب يستهدف تعزيز الروابط البيئية وتبادل الخبرات والتعلم بين مستخدمين يتسمون بالتنوع وبالتالي القدرة على بناء اتفاقات على اجندة قيم ومصالح معززة العلاقات الاجتماعية أي ان عمليات التشبيك داخل هيكل الشبكات تشكل نوعا " من قوة التماسك الجماعي الدافعة للتغيير ، وكذلك الصيغة الافقية لا الهرمية للشبكات تفترض الحد من سيطرة قلة من الفاعلين ، هذا داخل الشبكة اما خارجها ليس في العراق فحسب بل في العالم العربي فالصيغة نفسها في ديمقراطية الرأي وانتشاره فالدونات و بانتشارها وضعت لنفسها دورا مهما في حشد وتعبئة الشعوب وتحديد الشباب برفع وعيهم العام بالقضايا السياسية وغيرها من مواضيع شتى ° ، والعراق حالة حال باقي دول المنطقة في مجال عمل نظامه السياسي وقيام الدولة بوظائفها فهذه الوظائف والدول اصبحت في مقتل مع اتساع الاحتجاجات التي انتهت نظم سياسية كانت في ظاهر القول ثابتة ومستقرة نسبيا فالبداية كانت من اهم مسببات عدم استقرار والعاصفة التي كل الانظمة السياسية في المنطقة بدون استثناء مع فارق مدى قوة الاحتجاجات والتي كانت بقوة لم تتمكن معها انظمة زين العابدين بن علي التونسي والمصري حسني مبارك والعقيد معمر القذافي من الاستمرار مربكتا انظمة البحرين واليمن وسوريا فالتغيير شمل كل الدول العربية والتي كان على انظمتها التكيف جاعلتا من سياسيي العراق محاولين اعادت ترتيب حساباتهم مع معاناة الشارع العراقي من بطالة وفقير وعدم توفر الكهرباء والماء والخدمات الاخرى فكانت البداية مع يوم الجمعة موعدا " اسبوعيا " يجتمع فيه العراقيين في ساحات العاصمة والمحافظات في مطالبهم الاصلاحية وتحسين الخدمات فكانت اولى الرسائل السياسية اطلقت يوم الجمعة ٢٠١١/٢/٢٥ ، مطالبة بضرورة تغيير السياسات التي انتهجتها الحكومة - فخلال هذا التاريخ كان قد مر على تغير النظام السياسي في العراق - لعقدين من الزمن بعد التغيير - دون ان تأتي

^٣ ملهم الملايكة (٢٠١٣/١٠/٢٥)، العراق اليوم. ماذا بقي من منظمات المجتمع المدني في العراق ؟

^٤ د علي خالد حنفي ، (أكتوبر ٢٠١٥) ، أي دور للشبكات في تغيير عالما ؟ ، العدد ٢٠٢ ، اكتوبر ٢٠١٥ ، ص ٤ .

^٥ د. عبد ربه أحمد (أكتوبر) ، الشبكات وحركات الاحتجاج .. الثورات العربية نموذجا " ، العدد ١٠٢ ، اكتوبر ٢٠١٥ ، ص ١٣ .

بشمار واضحة فكانت هذه المظاهرات ثورة على سوء الاوضاع في البلاد^٦، فالعراق بالنسبة للتمثيل وطرح المطالب فالان يعتمد الانتخابات الا ان هذه الانتخابات واجراءها لا يمكن ان يضمن ايصال الاكفاء الى مواقع المسؤولية بل هي عرضة تكون للتضليل والخداع من قبل الاعلام اذ ان لكل كيان اعلامه في العراق كما ان اعتماد ترشيح المرشحين لأي انتخابات اعتمد التوطين العرقية والطائفية فكان من الطبيعي ان يرى في العراق ما بين المرشحين والنواب من هو غير مؤهل مطلقاً لتحمل المسؤولية فيساهم بدوره في تخريب مفاصل الدولة اذاً "فهناك خلل في طريقة ترشيح المرشحين وحتى دوافع انتخابهم وهو ما يستوجب النظر فيه"^٧، فجبل الشباب بطبيعتهم هم القادة للتغيير لكن واقع العراق اصطدم بمعوقات ادارية واجتماعية وحتى مرتبطة بالموارد البشرية والتشريعات وحتى ضعف الاداء ، ادارياً "هناك الكثير من القيادات الادارية غير المؤهلة الى جانب فقدان الابتكار وغياب الخطط الشاملة ، اجتماعياً" ضعف وعي المواطن وعدم الاعتماد على الخبرات والعقول ، اما ضعف الموارد البشرية فهنا لا يخفى دور الفساد ، وتشريعياً "اغلب التشريعات تأتي من النسق العالمي وليس الضرورات الداخلية للعراق"^٨ ، فحركة تشرين والتي كانت سابقتها حالة الاعتراض والرفض لبعض القوى والاحزاب السياسية لتعمل على تشكيل حركة سياسية مشكلة من حركة امتداد وتجمع فوزك وكذلك حركة نازل اخذ حقي هذه الحركات والتجمعات السياسية امتلكت مرشحين برلمانيين كانت توضع الآمال عليهم لإحداث التغيير بشكل تدريجي واعادة رسم المشهد السياسي العراقي خاصة وان قرابة ٦٥% من الناخبين في العراق لم يستقوا ولم يحددوا لمن تذهب اصواتهم ومجموع هذه الحركات السياسية الجديدة والرافضة للوضع القائم عرفت بحركة و مرشحي تشرين وكان هناك قرار من المصوتين في الانتخابات تصل نسبتهم الى ٧ من ١٠ ناخبين لتأييد هذه الحركة التي تمتعت بتأييد قوي وواسع من الشباب العراقي^٩ ، وفي باب ما تم اتخاذه من محاولات اصلاح وبناء في ظل حكومة السيد مصطفى الكاظمي فكل محاولات الاصلاح تقف امامها العوائق الاجتماعية والاقتصادية المتراكمة أمام اي نمو في العراق ، واعتباراً من أوائل عام ٢٠٢١ ، تزداد سوءاً . إن لوائح وإجراءات الاستثمار مشوشة وفسادة وغير فعالة .نتيجة لذلك ، لا يثق المستثمرون الأجانب في النظام العراقي .لا يملك المستثمرون حافزاً يذكر للاستثمار في تطوير البنية التحتية أو الأعمال التجارية أو الأسواق الناشئة في العراق .في الواقع ، يترك العراق الأموال على الطولة بسبب إخفاقاته الإدارية والعوائق البيروقراطية أمام الاستثمار^{١٠}.

^٦ م . د . اياد عبد الكريم مجيد ، انعكاس التطورات السياسية الاخيرة في الوطن العربي على العراق ، اوراق دولية ، العدد ١٩٨ ، مركز الدراسات الدولية ، جامعة بغداد ، شباط ٢٠١١ ، ص ٣١-٣٢ .

^٧ عبد الجبار درويش رضا ، بصراحة... الديمقراطية بين الحقيقة والتضليل ، جريدة نوركمن إيلي ، العدد ١٣٧١ ، الثلاثاء ٢٥/٧/٢٠١٧ .

^٨ الموسوي ميسم شاكر ثجيل ، (٢٠١٧) ، الاصلاح الاداري ونوره في مكافحة الفساد ، العدد ٢ ، كانون الاول ٢٠١٧ ، ص ١٢٥ .

^٩ Epic The Long Game: Iraq's Tishreen Movement and the Struggle for Reform . October 2021.

www.reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/Tishreen_Report_October_2021.pdf

^{١٠} Dr. C. Anthony Pfaff, IRAQ; AROAD MAP FOR RECOVERY . www.atlanticcouncil.org/wp-

content/uploads/2021/02/BD-IRAQ-ROADMAP-7.pdf

المبحث الثاني: الشباب العراقي و الثورة الالكترونية

الشباب في أي مجتمع ودولة هم اكثر فئات المجتمع في فهم وادخال الاساليب والوسائل الجديدة للاتصال والمعرفة والتقدم في سبل الحياة وجعلها اكثر تطوراً واسرع في تحقيق الغايات المخصصة لتحقيقها ومع التعرف الاكثر دقة على وسائل وتكنولوجيا الاتصالات والتي تحددت بمجموعة النظم واساليب العمل المطبقة للبحوث والدراسات المبتكرة في الانتاج والخدمات ، وهنا يكون مدلول التكنولوجيا الابداع والخلق والاختراعات والابداعات اللازمة لعملية التطور^{١١}، ومع انتشار ثورة المعلوماتية اسهم الشباب باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والهواتف النقالة ان يلعبوا دوراً " مهماً" في تنشيط عمل مؤسسات المجتمع المدني عبر عمليات الاتصال بين اعضاء التنظيمات من دون التعرض لمخاطر التنقل من خلال استخدام الانترنت والبريد الالكتروني * وتوزيع النشرات وعقد الاجتماعات المحدودة فالتقنيات الحديثة للاتصالات اتاحت امكانية انشاء جمعيات جديدة وارسال وثائقها وبرامجها عبر الانترنت وحتى طلبات الانتماء والعضوية تتجز من خلال الانترنت وهذا ما يعطي فرصة لأكثر عدد من الشباب المتعلم للانتماء الى تنظيمات المجتمع المدني التي تتناسب مع طموحاتهم وساعد الانترنت على دفع الشباب للانفتاح على العالم الخارجي من دون رقابة او تقييد^{١٢}، فهنا تطل تقنية جديدة عبر الحوارات الالكترونية التفاعلية فميزة هذه الحوارات التفاعلية الجديدة كونها بنك للمعلومات وبذلك فقدت وسائل الاتصالات العالمية التقليدية مكانتها فمسألة احتكار المعلومات والاخبار لم تعد قرينة بهذه الوسائل التقليدية فالنشر عبر شبكات الانترنت اصبحت حدوده الى ما اللانهاية^{١٣}، لإدراك من هم الفاعلين الحقيقيين في التحول السياسي في العراق بعد الاول من تشرين الاول ٢٠١٩، فالعراقي الذي ينظر الى السياسة في بلاده عبر الرقابة الشعبية المباشرة من قبل مؤسسات المجتمع المدني* والذي هو في اساسه يمثل شكل للديمقراطية فالمواطن ليسوا فقط مشارك في السياسة العامة في بلاده وانما مقيم ومتتبع لتنفيذ

^{١١} حمدي محمد فاتح، (٢٠١٢)، استخدام الشباب الجزائري لوسائل الاتصال والاعلام الحديثة وانعكاسها على قيمهم الثقافية والاجتماعية ، العدد ٣٩٨، نيسان ٢٠١٢، ص ٦٢.

* على سبيل المثال تشير الاحصاءات لعام ٢٠٠٩، ان هناك ارتفاع متزايد ومتواصل لمواقع الويب فعدد مستخدمي الانترنت في العالم العربي ارتفع من ٤٥٠ مليون سنة ٢٠٠٢، الى مليار في ٢٠٠٩ ، فالازدياد ليس في عدد المستخدمين بقدر ما هو بعدد الناشرين فالنشر الالكتروني تزايد اكثر من نسبة القراء فقد تزايد من اربعين مليون موقع نشر في ٢٠٠٣، الى ١٥٠ مليون موقع في ٢٠٠٨، - فعلى سبيل المثال لا الحصر - يوجد حالياً " موقع لكل ستة مستخدمين . ينظر الاحصاء حسب موقع (comscore .com) نقلاً عن مراد غسان ، ص ٥١.

^{١٢} العاني حسين علاوي خليفة ، (٢٠٠٥) ، مستقبل المجتمع المدني في عراق ما بعد التغيير ، العدد ٢٧، نيسان - ٢٠٠٥ ، ص ١٦٠.

^{١٣} عارف محمد ، (١٩٩٧) ، تأثير تكنولوجيا الفضاء والكمبيوتر على اجهزة الاعلام العربية ، سلسلة محاضرات الامارات ١٤، ١٩٩٧، ص ٢١.

السياسة – وفق الاطار الغربي للديمقراطية – فمع واقع هذا النمط من الرقابة لم يطبق او يألفه العراقيون^{١٤}

من هم الفاعلين والذين يسعون الى التأثير في تطور الاحداث والنتائج في العراق ؟

البيئة الفكرية التي يعيش في كنفها اغلب العراقيين هي وجود نمطين من التفكير والعقليات في حالة من الانقسام بين هذين النمطين من التفكير اولهما نمط التفكير المعتمد على افكار المتطرفين والمتعصبين والتي تكون افكار لا تقبل التبدل والتغير ، اما نمط التفكير الثاني هو ما يعتمد عليه الناس الذين يفكرون فيما هو موجود وما يحتاجون اليه ويتعرضون له من مشاكل^{١٥} ، بين افراد مجتمع يمتلكون لمزايا شخصية لكل فرد عراقي على اختلافاتهم الدينية والعرقية فالبنى الاجتماعية التقليدية والمتمثلة بالقبيلة فعلى مر تاريخ العراق كانت المؤسسة الاجتماعية والمتمثلة بالقبيلة دور واضح من صعود لدورها وتراجع مع كل الظروف التي احاطت بأي حكومة ونظام سياسي عراقي ، فعند تراجع قوة الدولة وسلطانها يتصاعد دور القبيلة والعكس بالعكس^{١٦} ، فالعراق مع تعداده السكاني ٤١ مليون تكون الزيادة فيه وفق مليون نسمة سنويا" لكن الغلبة في المجتمع العراقي هي للشباب مع تفوق ملحوظ للذكور على الاناث بنسبة ٥١% ، فهذه الغلبة للشباب ومع الانفتاح على الثورة المعلوماتية نجدهم الفئة الأكثر استخداما" للشبكات الدولية^{١٧}

المبحث الثالث: افاق التحول السياسي بين التفاؤل و التشاؤم

التغيير والذي اعتمد المشاكل والازمات في العراق نجح في الظهور بسبب عدد من الاسباب ومنها التطورات التكنولوجية والتقنية التي عرفت والاتصالات في العالم والعراق وشعبة جزء من هذا العالم وهذه الثورة المعلوماتية ، ولأجل معرفة مدى ما يمكن ان يتحقق من هذه التحولات الاخيرة في سلوكيات الشباب الاحتجاجية وطرقهم الجديدة والمعتمدة على التقنيات الحديثة من الضروري

* المجتمع المدني عرفت له اشكال متعددة من حيث التصرف الاجرائي فمؤسساته تتشعب ما بين مؤسسات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتعمل وفق ميادين متعددة الا ان جوهر تشكل المجتمع المدني يعتمد فكرة الطوعية فهذا التطوع ما يميز المجتمع المدني عن باقي التكوينات الاجتماعية ، وفكرة المؤسسة التي تشمل الحياة الحضارية للإنسان سواء كانت حياة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، كما يعتمد تشكل المجتمع المدني على فكرة الغاية والدور أي ما تقوم به هذه المنظمات وما تهدف اليه ، ينظر د فياض عامر حسن ، المجتمع المدني وديمقراطية التنمية ((نموذج المنطقة العربية)) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ص ٤٠-٤٢ .

^{١٤} د. سعيد رشيد عبد النبي ، الادراك السياسي للإصلاح الإداري في العراق، مجلة العلوم السياسية ، العدد ٣٢ ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، شباط ٢٠٠٦ ، ص ١٦٦ .

^{١٥} خضر عباس عطوان ، مستقبل ظاهرة العنف السياسي في العراق ، المستقبل العربي، العدد ٣٣٠ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، اغسطس ٢٠٠٦ ، ص ٤٣-٤٤ .

^{١٦} م. م رغيص نصيف جاسم ، الديمقراطية وطبيعة المجتمع العراقي ، مجلة العلوم السياسية ، العدد ٣٤ ، جامعة بغداد ، كانون الثاني - حزيران ٢٠٠٧ ، ص ١٦٩ .

^{١٧} وكالة الاناضول ، ٥١% ذكور مقابل ٤٩% اناث .. عدد سكان العراق يتجاوز ٤١ مليون نسمة ، www.aljazeera.net/news/politics/2022/1/4/51 تاريخ الدخول ٢٢ / ٤ / ٢٠٢٢ .

الوقوف على تحولات محددة عند العراقيين بشكل عام وفئة الشباب بشكل محدد فتبرز عدة حقائق
وتحولات منها:

اولاً: تغير طبيعة التفكير:

الفضاء الالكتروني يعطي قوة للأفراد فهو يقوي الفاعلين في مواجهة الدولة اذ قد وصلت هذه
الفاعلية التي تقوم على اساس اتاحة امكانية وصول الافراد الى المعلومات والمعرفة لا يمكن للدولة
تجاهلها فالتكنولوجيا وضعت امام الافراد العاديين من المستخدمين يستطيعون به خلق شبكات
متجاوزة للدولة وهو ما راكم عناصر القوة بيد الافراد^{١٨} ، يجب عدم انكار ان المعلوماتية وثورة
المعلومات غير من عملية التفكير بشكل عام وذلك خلال العشرين سنة الاخيرة حيث ان هذه الثورة
وهذه المعلومات أثرة في بنية الانسان بحد ذاته من خلال تصرفاته اليومية والمرتبطة بالمعلومات
والتكنولوجيا وهذا قد يدفع الى القول ان السلعة لم تعد المعلومة بحد ذاتها بل هي الثقافة السلعة
المتداولة - عمليات التواصل بين المجموعات والمدونين تحولت لثقافة وطبيعة حياة - وهنا يجب
ادراك حقيقة لا تغيب عن المدونين الالكترونيين ان المنتج والمعلومة والتي يتم نشرها الكترونياً لم
تصمم ليكون استخدامها مرة واحدة بل يتم تداولها عدة مرات ولأكبر عدد من المستخدمين^{١٩} ،
يستودع التغير والتحول بالعراق من خلال تغير الافكار والنظر لدور الشباب في العراق وذلك عبر
تحولات سياسية وتبدلات اقتصادية يطمح لها الشباب العراقي الى جانب احداث تبدلات اجتماعية
لطبيعة بعض الافكار في المجتمع العراقي : فالدور والطريقة التي عملت بها الاحزاب السياسية في
العراق وما رافقها من فساد دفع الحشود من المتظاهرين الى المطالبات بالإصلاح والتغيير^{٢٠} ، فعبّر
مواقع التواصل الاجتماعي ارتسمت ملامح جيل سياسي جديد من الشباب يؤكد ولادته المراقبون
للساحة العراقية حيث تم فرز طبقة سياسية من الشباب الكفاء والقادرين على القيادة وحسن الادارة
، فالشباب العراقي من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي بالإجماع يرون ان النظام السياسي
العراقي لا يوفر فرصاً للشباب في التمثيل والمشاركة وهو ما دفع الى تعدد اسباب خروج وبروز
وتعدد التيارات السياسية الشبابية فهناك من يجدها حالة صحية مرضية للنظام الديمقراطي كما انهم
يجدون في عدم قدرة النخبة السياسية على تمكين الشباب اسوة بالتجارب الغربية^{٢١} ، فالشباب
العراقي كانت اولى مطالبهم محاربة الفساد وتوفير الخدمات ومنها الضغط على المواطن العراقي

^{١٨} نازلي شكري ، (٢٠١٢) ، السياسات الافتراضية (السيبرية) في العلاقات الدولية ، مؤلفات اجنبية ، Nazli Choucri ,Cyber
Politics in International Relations (Cambridge , NIT Press , 2012) ، السياسة الدولية ، ١٩٤ ، اكتوبر ٢٠١٣ ،
ص ١٢٩ .

^{١٩} مراد غسان ، (٢٠١٠) ، هل من الممكن ايجاد طرق لتقييم حضور ثقافة ما ؟ إحصاء الثقافة العربية الى المتلقي الاجنبي عبر الوسائط
الحديثة : السبيل والتقييم ، العدد ٨١ ، ١٥ يوليو ٢٠١٠ ، ص ٤٨ .

^{٢٠} حارث حسن باحث مركز كارنيغي ، نقلاً عن ، العراق : رئيس الوزراء يدعو لعودة الحياة لطبيعتها وسط استمرار الاحتجاجات ،
٢٠١٩/١١/٤ ، www.france24.com/ar/20191104 تاريخ الدخول ٢٠٢٢/٤/٢٢ .

^{٢١} سؤال وجواب .. لمن الغلبة ؟ صراع الشباب والكهول في الانتخابات العراقية ، مصدر سبق ذكره .

في سبل عيشة فواقع التحولات الاقتصادية الاخيرة في العراق كونه واقع وتحول اقتصادي متعب وغير قادر على التقدم بمجتمع ازدادت فيه معدلات الفقر والفاقة وهذا الاقتصاد ارتبط بمؤسسات اقتصادية دولية حددت مساراته بشروط فكان التزام العراق بشروط حددتها كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي بما يهدفان اليه من اضعاف دور ومكانة الدولة في الميدانين الاجتماعي والاقتصادي الى جانب اضعاف دور القطاع العام^{٢٢} ، هذا الضغط الاقتصادي المضاف الى متاعب الانسان والشباب العراقي حفز اعادة التفكير في واقع المجتمع والحياة في البلاد فالمطالبات بالتغيير اتسعت ولكنها لن تؤتي ثمارها الا بعد حين من الزمن فأى تحول سياسي يمكن ان يكون في داخل أي مجتمع ودول لا يمكن ان يكتمل او يتم بطريقة واضحة او سريعة وحتى ناجزة بشكل كامل خلال فترات قصيرة وانما يستغرق سنين واجيال فتعزز الديمقراطية في بلد استمرت فيه الدكتاتورية عقود اذ حتى فحال اكتمال أي تحول ديمقراطي لأي مجتمع ودولة(تظل هناك الكثير من المهام التي تتطلب الانجاز و الكثير من الشروط التي ينبغي ترسيخها و المواقف والعادات التي ينبغي تهذيبها قبل ترسخ الديمقراطية)^{٢٣} ، وحال العراق وشعبة لاتزال بعيدة عن هذه التحولات اذ وفق التصورات التي وضعها كل من لينز و ستيبان في كون ان الديمقراطية تترسخ حين تتحول الديمقراطية كلعبة وحيدة في المدينة شريطة ان تتوافر في هذه الديمقراطية ثلاثة تطبيقات سلوكية و مواقف ودستور فمن ناحية السلوك لابد ان لا توجد قوى ذات وزن تحاول اغتصاب النظام الديمقراطي او الانشقاق عن الدولة -وهذا الشرط غير واضح في العراق مع وجود هذا الكم الهائل من الجماعات والقوى المسلحة التي تتدخل في صلب القرار السياسي للدولة - ومن ناحية المواقف لابد ان يعتقد اغلبية السكان بان الاجراءات الديمقراطية هي الانسب طريقا" لتسيير الحياة الجمعية في المجتمع ، ومن ناحية الدستور لابد ان تعتاد كل القوى داخل الدولة على فض النزاع بالقوانين التي تفرضها العملية الديمقراطية - وهذا الشرط لم يكتمل في العراق - فحالة العراق لا تتوافر فيها أي من هذه العوامل الثلاث فالمواقف متصلبة عندما تصدر عن الجماعات السياسية الرئيسية كما يصعب تخيل قيام نظام واجراءات ديمقراطية تتمتع بدعم غالبية السكان ولهذا السبب هناك مشكلات سلوكية ينبغي تخطيها ما دام ليس من الغلو التوقع بان أيا" من الجماعات الكبرى الثلاث قد تحاول اغتصاب النظام اذا ما اعتقدت بان جماعة اخرى قد هيمنت عليه^{٢٤} ، ومع اتساع مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي هناك اتجاه يدعو الى التفاؤل عبر رفض بشكل عام الكثير من المصطلحات

^{٢٢} د. نجم عبد الحسن ، ملاحظات أولية حول تنفيذ برنامج الخصخصة (نموذج روسيا الاتحادية)، مجلة العلوم السياسية ، العدد ٣٤ ، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، كانون الثاني- حزيران، ٢٠٠٧، ص٦٩.

^{٢٣} جاريت ستانسفيلد، الانتقال الى الديمقراطية : الارث التاريخي والهويات الصاعدة والميول الرجعية ، المجتمع العراقي حفريات سوسولوجية في الاثنيات و الطوائف والطبقات، معهد الدراسات الاستراتيجية الفرات للنشر والتوزيع ط١، بيروت بغداد، ٢٠٠٦، ص٣٧٢. نقلا عن: Juan j. Linz and Alfred stepan ,Problems of Democratic Transition and consolidation ;southern Europe ,south America, and post-communist Europe. Baltimore MD :the Johns Hopkins University press, 1996,p.6.

^{٢٤} جاريت ستانسفيلد ، نفس المصدر اعلاه ، ص ٣٧٢.

والالفاظ التي تنتقد الآخر مثل صفوي ، مجوسي ، باطني فكان الرفض لهذه المصطلحات الى جانب رفض التحركات التي قامت بها الافراد المنتمين للدولة الاسلامية في العراق وبلاد الشام من رفض عام لهذه الهجمات وهذا الشكل من الخطاب^{٢٥}، فما كان مطلوب من التحول في العراق حدده الشباب في مطالباتهم من خلال الاقرار بان شريحة الشباب في العراق هي المتضرر الأول من فشل الطبقة السياسية في العراق خلال السنوات الاخيرة بسبب تفشي الفساد المالي والإداري^{٢٦}، إذ لم تكن مشاكل الشباب كالبطالة والهجرة وترك التعليم والانجراف مع الإرهاب بمعزل عن الاداء الاقتصادي الفاشل في العراق . أنَّ الشباب هم العصب والقوة الفاعلة في تطوير المجتمعات، ولهذا نجد ان الدول الديمقراطية نجحت في تسخير هذه الشريحة وإعطائها دوراً فاعلاً في بناء حاضرها ومستقبلها^{٢٧}، فإن الفرق بين تجمعات المجتمع التي تطالب بالإصلاح والتي تسمى بقوى المجتمع المدني انها حالياً تختلف عن سابقتها بعد التغير في العراق ٢٠٠٣، ولعل اهم ميزة وفارق بين المجتمع المدني ”القديم“ و ”الجديد“ يكمن في علاقة الدولة بمؤسساتها: فالمجتمع المدني القديم يتسم بتلقيه للدعم من الدولة ومؤسساتها، ويبني إمكاناته من خلالها، ويعتبرها نقطة مرجعية رئيسية، بينما يؤكد مفهوم المجتمع المدني الجديد على الاستقلال عن الدولة. ويشير ”المجتمع المدني الجديد“ إلى أشكال من الفعل والاحتجاج، وفي الحالة العراقية يتجلى ذلك عبر رفض الطائفية والسياسات المبنية على أساس مفهوم الهوية، الاحتجاجات المشهد الأبرز ضمن مجموعة واسعة من المبادرات الاجتماعية والسياسية التي تنتشر في البلاد وتفتح مجالات وممارسات اجتماعية وسياسية خارج نطاق المنظمات غير الحكومية وتشكل ”مجتمعاً مدنياً جديداً“^{٢٨}.

التساؤم:

ثانياً : تراجع دور التنشئة الاجتماعية : بعد ان كانت الاسرة هي الفاعل المركزي الموجه للتنشئة الاجتماعية للأطفال لكن الملاحظ ان الاعلام قد همش دور الاسرة في قيامها بهذا الواجب فحالياً الاعلام بوسائله هو من يقوم بعملية التنشئة الاجتماعية للطفل اذ تمت القطيعة مع التنشئة الاسرية شكلاً و مضموناً فالأسرة تنشئ ابناءها استناداً الى ثقافة الكلمة التي تمتلك قدراً كبيراً من العمق وتدعو الى اعمال العقل وتربطه بالتراث فهي تنشئة مرتبطة بالمرجعية القومية والوطنية اذ الاسرة تغرس في ذوات الابناء منظومات قيمية ذات طبيعة دينية واخلاقية تساعد في بناء ضميره الداخلي بحيث يصبح انساناً قادراً على التفاعل الاجتماعي السوي مع الآخرين على اساس من

^{٢٥} وايتسايد كريغ ، (٢٠١٦) ، حالة الارهاب كإبادة جماعية في عصر الدولة الضعيفة ، العدد ٥، مكر البيان للدراسات والتخطيط ، كانون الثاني - شباط ٢٠١٦ ، بغداد ، ص ٢٣-٢٤ .

^{٢٦} محمد ايمن احمد ، ورقة سياسات الفساد والمسائلة في العراق، مؤسسة فريديش : www.library.fes.de/pdf-files/bueros/amman/10255.pdf ، تاريخ الزيارة ٢١/٦ / ٢٠٢١ .

^{٢٧} اياد مهدي عباس، مطالب الشباب العراقي ، الثلاثاء ١٩/١١/٢٠١٩ ، www.alsabaah.iq/16756 ، تاريخ الزيارة ٢١/٦/٢٠٢١ .

^{٢٨} الحركات الاحتجاجية في العراق في عصر مجتمع مدني جديد ، www.fanack.com/ar/opinion-ar/protest-movements/ ، تاريخ الزيارة ٢٠/١/٢٠٢٢ .

الالتزام بمعايير المجتمع ، وهنا نجد الاعلام هو الذي اصبح يقوم بهذه التنشئة الاجتماعية ولكن بصورة مختلفة من حيث الشكل او المضمون فالشكل يقوم على الاعلام وتكنولوجيا المعلومات تعتمد الصورة كوسيلة محورية في عملية التنشئة الاجتماعية وهنا يجب الاقرار ان الصورة اكثر اغراء لان الطفل يستوعب مضامينها التي تغلف عادة بجملة من العواطف والمشاعر حتى تتمكن من اختراقه والاستقرار بداخله غير ان هذه الصورة مسطحة بطبيعتها وبلا عمق وبالتالي فيبقى تأثيرها محدودا" في بناء الشخصية ، فالأعلام في مجتمعاتنا العربية يعمل وفق مضامين غريبة للأسرة كانت تعمل على ربط ابناءها بجذورهم ومرجعيتهم الدينية والثقافية والحضارية فيما الاعلام وتكنولوجيا المعلومات تعمل على التنشئة وفق مرجعيات خارجية وغيبية بالأساس وهذا ما يضعف ارتباط الابناء بجذورهم وانتماءهم المجتمعي^{٢٩}.

الخاتمة

تشكل نظام الدولة السياسي الجديد في العراق منذ قرابة العقدين من الزمن الا ان مشاكل البلاد تفاقمت ولم تحل بشكل نهائي فالشباب العراقي العاطل عن العمل او الذي لا يمتلك هدف محدد في حياته وما يعانيه من ضعف اداء الدارس والجامعات والمستشفيات والارتفاع في اسعار كل الخدمات الاخرى ومع كل هذه التراكمات فالدستور العراقي يضمن للمواطن العراقي حرية التعبير وايصال صوته، ومع عدم تمكن حكومات عراقية متلاحقة جاءت عن طريق صناديق الانتخاب من حل هذه الازمات والتراكمات تحرك الشباب من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي تمكنوا من وضع ملامح لعملية بناء شبكات كقوة دافعة للتغيير من خلال التجمعات التي ضمت شباب ومستخدمي شبكات التواصل فهذه الشبكات في حقيقتها لا تستهدف من المستخدمين الغاءهم كجهات فاعلة منضوية في هذه الشركات بل التوازن بين استقلالية المستخدمين والمدونين وتعاونهم لتحقيق اهدافهم المشتركة عبر توازن الادوار بما قد يوفر لهم معلومات وموارد اكبر بتكلفة اقل فتتضاعف بذلك فرص الفاعلين والمستخدمين في التأثير، فالمدونات الالكترونية للعراقيين بدأت تشكل رأي عام رافض للفساد والطائفية ويدعو الى توفير الخدمات ويظهر مواقع الخل وهو مبعثه تغيير تفكير لجيل من الشباب العراقي رافض للفساد الا ان من جانب اخر فمع هذه الحقائق هناك حقيقة اخرى وهي ان طبيعة شدة الاعتماد على الحواسيب والانترنت اصبحت تظهر خلل في طبيعة التعامل بين الافراد وخلل في تربية الابناء لشدة الاعتمادية على هذه الوسائل التقنية وبالتالي افقاد دور الاب والام والعائلة في التربية وبالتالي تغيير المرجعية الفكرية الى مرجعية تفرزها وسائل التواصل الاجتماعي والتي هي بالأصل وسيلة للتأثير الفكري والسلوكي الافكار العالم الغربي المتقدم تكنولوجيا .

^{٢٩} د ليلة علي، (٢٠١٢) ، الامن القومي العربي في عصر العولمة تفكيك المجتمع واضعاف الدولة ، الكتاب الثاني ، الهيئة المصرية

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

المصادر:

أولاً: الكتب العربية

د فياض عامر حسن ، المجتمع المدني وديمقراطية التنمية ((نموذج المنطقة العربية)) ، دار الشؤون الثقافية العامة .
د ليلة علي ، (٢٠١٢) ، الامن القومي العربي في عصر العولمة تفكيك المجتمع واضعاف الدولة ، الكتاب الثاني ،
الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة.

ثانياً: الكتب المترجمة

جاريث ستانسفيلد، الانتقال الى الديمقراطية : الارث التاريخي والهويات الصاعدة والميول الرجعية ، المجتمع
العراقي حفريات سوسيولوجية في الاثنيات و الطوائف والطبقات، معهد الدراسات الاستراتيجية الفرات للنشر
والتوزيع ط١، بيروت بغداد، ٢٠٠٦،

ثالثاً : الدوريات

العاني حسين علاوي خليفة ، (٢٠٠٥) ، مستقبل المجتمع المدني في عراق ما بعد التغيير ، العدد ٢٧، نيسان –
٢٠٠٥.

م . د. اياد عبد الكريم مجيد ، انعكاس التطورات السياسية الاخيرة في الوطن العربي على العراق ، اوراق دولية ،
العدد ١٩٨، مركز الدراسات الدولية ،جامعة بغداد ، شباط ٢٠١١.

حمدي محمد فاتح، (٢٠١٢)، استخدام الشباب الجزائري لوسائل الاتصال والاعلام الحديثة وانعكاسها على قيمهم
الثقافية والاجتماعية ، العدد ٣٩٨، نيسان ٢٠١٢.

خضر عباس عطوان، مستقبل ظاهرة العنف السياسي في العراق ،المستقبل العربي، العدد ٣٣٠، مركز دراسات
الوحدة العربية ، بيروت لبنان ،اغسطس ٢٠٠٦

م. م رغيد نصيف جاسم، الديمقراطية وطبيعة المجتمع العراقي ،مجلة العلوم السياسية ، العدد ٣٤ ، جامعة بغداد،
كانون الثاني – حزيران ٢٠٠٧

عارف محمد ، (١٩٩٧) ، تأثير تكنولوجيا الفضاء والكمبيوتر على اجهزة الاعلام العربية ، سلسلة محاضرات
الامارات ١٤ ، ١٩٩٧

د. سعيد رشيد عبد النبي ، الادراك السياسي للإصلاح الاداري في العراق، مجلة العلوم السياسية ، العدد ٣٢، كلية
العلوم السياسية ، جامعة بغداد، شباط ٢٠٠٦

د علي خالد حنفي ، (أكتوبر ٢٠١٥) ، أي دور للشبكات في تغيير عالمننا ؟ ، العدد ٢٠٢ ، أكتوبر ٢٠١٥.

د. عبد ربه أحمد (أكتوبر) ، الشبكات وحركات الاحتجاج .. الثورات العربية نموذجاً" ، العدد ١٠٢، أكتوبر
٢٠١٥.

د صالح غانم محمد ، (٢٠١٩) ، تطورات العراق السياسية وفاق المستقبل ، العدد ٣، تموز – اب ٢٠١٩،

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

الموسوي ميسم شاكر ثجيل ، (٢٠١٧) ، *الاصلاح الاداري ودوره في مكافحة الفساد* ، العدد ٢ ، كانون الاول ٢٠١٧ ،

مراد غسان ، (٢٠١٠) ، *هل من الممكن ايجاد طرق لتقييم حضور ثقافة ما ؟ إحضار الثقافة العربية الى المتلقي الاجنبي عبر الوسائط الحديثة : السبيل والتقييم* ، العدد ٨١ ، ١٥ يوليو ٢٠١٠ .

د. نجم عبد الحسن ، ملاحظات أولية حول تنفيذ برنامج الخصخصة (نموذج روسيا الاتحادية) ، مجلة العلوم السياسية ، العدد ٣٤ ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، كانون الثاني- حزيران ، ٢٠٠٧ .

وايتسايد كريغ ، (٢٠١٦) ، *حالة الارهاب كإبادة جماعية في عصر الدولة الضعيفة* ، العدد ٥ ، مكز البيان للدراسات والتخطيط ، كانون الثاني – شباط ٢٠١٦ ، بغداد .

رابعا : الصحف

عبد الجبار درويش رضا ، *بصرحة... الديمقراطية بين الحقيقة والتضليل* ، جريدة توركنم إيلي ، العدد ١٣٧١ ، الثلاثاء ٢٠١٧/٧/٢٥

نازلي شكري ، (٢٠١٢) ، *السياسات الافتراضية (السيبرية) في العلاقات الدولية* ، مؤلفات اجنبية ، Nazli ، (2012) , Cyber Politics in International Relations (Cambridge , NIT Press , Choucri ، السياسة الدولية ، ١٩٤ ، اكتوبر ٢٠١٣ .

خامسا : الشبكة الدولية

إياد مهدي عباس ، مطالب الشباب العراقي ، الثلاثاء ٢٠١٩/١١/١٩ ، www.alsabaah.iq/16756 ،
أيمن أحمد محمد ، ورقة سياسات الفساد والمسائلة في العراق ، مؤسسة فريديش مكتب الاردن والعراق ، ايلول ٢٠١٣ ،
www.library.fes.de/pdf-files/bueros/amman/10255.pdf :
حارث حسن باحث مركز كارنيغي ، نقلا " عن ، العراق : رئيس الوزراء يدعو لعودة الحياة لطبيعتها وسط استمرار الاحتجاجات ، ٢٠١٩/١١/٤ ، www.france24.com/ar/20191104 ،

الانترنت كسلح في مواجهة الاحتجاجات – العراق ومصر نموذجا ، - www.dw.com/ar ،
صفاء خلف ، زهره علي ، *العراق :الاحتجاجات تطالب بالتغيير والحكومة تستجيب بالعنف* ،
www.opendemocracy.net/ar ،

الشمري عماد ، (٢٠١٩/٣/٢٠) ، *المحاصرة عنوان النظام السياسي بالعراق بعد الغزو الامريكي* ،
www.aljazeera.net/news/politics/2019/3/20 ،
ملهم الملاذقة ، (٢٠١٣/١٠/٢٥) ، *العراق اليوم. ماذا بقي من منظمات المجتمع المدني في العراق ؟* a-
www.dw.com/ar-17183462

وكالة الاناضول ، ٥١% ذكور مقابل ٤٩% اناث ..عدد سكان العراق يتجاوز ٤١ مليون نسمة ،
www.aljazeera.net/news/politics/2022/1/4/51 ،
رأفت مهذ عبد الرزاق ، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي السياسي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم يوجد على الرابط: www.uop.edu.jo ،
سؤال وجواب .. لمن الغلبة ؟ صراع الشباب والكهول في الانتخابات العراقية ، شبكة الجزيرة :
www.aljazeera.net/news/politics/2021/6/22

Resources

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية
والدولية للعام ٢٠٢٢

Epic The Long Game: Iraq's Tishreen Movement and the Struggle for Reform . October 2021.
www.reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/Tishreen_Report_October_2021.pdf

Dr. C. Anthony Pfaff, IRAQ; AROAD MAP FOR RECOVERY
. www.atlanticcouncil.org/wp-content/uploads/2021/02/BD-IRAQ-ROADMAP-7.pdf

المخاطر السيبرانية: التهديد الجديد لاستقرار الدولة

أ.م. د. منى جلال عواد
كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد

أ.م. عماد وكاع عجيل
كلية التربية الأساسية/ الشرجاط/ جامعة تكريت

المقدمة:

لقد أدت نهاية الصراع السياسي والتوتر العسكري، التي شكلتها مرحلة الحرب الباردة إلى بروز العديد من التحديات والتهديدات التي لم يشهدها المجتمع الدولي العابرة للحدود التي لا تعترف لا بالحدود أو السيادة الوطنية أو فكرة الدولة القومية، الأمر الذي أدى إلى حدوث تحولات في حقل الدراسات الأمنية والاستراتيجية وكذلك على مستوى استقرار الدولة، وإن التحول إلى عصر ثورة المعلومات، ودخول العصر الرقمي خاصة في القرن الحادي والعشرون وما نتج عنه من تداعيات عديدة بسبب ظهور تهديدات وجرائم سيبرانية أصبحت تشكل تحدياً كبيراً للأمن القومي وكذلك الدولي، لدرجة أن العديد من الباحثين اعتبر الفضاء السيبراني بمثابة المجال الخامس في الحروب بعد البر، والبحر، والجو، والفضاء، وهو ما استدعى ضرورة وجود ضمانات أمنية ضمن هذه البيئة الرقمية، تبلورت بشكل أساسي في ظهور الأمن السيبراني cyber security كبعد جديد ضمن حقل الدراسات الأمنية، وقد اكتسب اهتمامات العديد من الباحثين في هذا المجال.

لذلك تتخذ الدول تدابير دائمة ومتطورة من أجل أن تكون مستعدة لمواجهة مخاطر التهديدات السيبرانية على بنيتها التحتية ضمن فضاء معلوماتها الرقمية وما يرتبط بنشاطاتها على مواقع الشبكة العنكبوتية العالمية، والتي تستدعي تعزيز وتعزيد مقومات ترسانتها الالكترونية بالاعتماد على عناصر قوتها الوطنية وبالمشاركة مع القطاع الخاص لتفادي عواقب الإضرار بمصالحها الاستراتيجية ومرتكزات أمنها القومي.

ومن الأمور المتعارفة في العلاقات الدولية أن مصادر قوة الدولة وأشكالها تتغير، فإلى جانب القوة الصلبة ممثلة في القدرات العسكرية والاقتصادية، تزايد الاهتمام بالأبعاد غير المادية للقوة، ومن ثم بروز القوة الناعمة التي تعتمد على جاذبية النموذج والإقناع، ومع ثورة المعلومات ظهر شكل جديد من أشكال القوة هو القوة السيبرانية (Cyber power) التي لها تأثير كبير على المستوى الدولي والمحلي، فمن ناحية أدت إلى توزيع وانتشار القوة بين عدد أكبر من الفاعلين ما جعل قدرة الدولة على السيطرة موضع شك، ومن ناحية أخرى منحت الفاعلين الأصغر قدرة أكبر على ممارسة كل من القوة الصلبة والقوة الناعمة عبر الفضاء السيبراني.

من هذا المنطلق أصبح الباحثون في الدراسات الأمنية والدراسات الاستراتيجية يركزون بشكل متزايد حول أثر التكنولوجيا على امن واستقرار الدولة.

أهمية البحث:

تتبع أهمية الدراسة من أهمية الأمن وضرورته لإستمرار الدول وبقائها، كونه ركن أساسي ومهم من اركان بقاء الدول، لا سيما ونحن ونعيش في ظل الفضاء السيبراني، والذي يعد تحدياً كبيراً يواجه الدول وتهديداً لامنّها واستقرارها، لذلك أصبح من الضروري مواجهة هذا التحدي الخطير، فالامن العالمي أصبح في خطر اكثر من اي وقت مضى، خاصة بعد اتساع احتمالية اختراقه تزامناً مع تشابك مصالح العالم في ظل التطور التكنولوجي والمعلوماتي مما يجعل موضوع الامن السيبراني من أهم المواضيع التي تتطلع الدول الى تحقيقها.

إشكالية البحث:

بعد التطور الكبير الذي حصل في عالمنا نتيجة ثورة المعلومات والاتصالات وما نتج عنها من تشابك المصالح في ظل العولمة، أصبح العالم امام تحدي كبير وصراع خطير لا يقل أهمية الصراعات العسكرية والاقتصادية، لا بل يمكن القول انها تفوق عليها احياناً، خاصة وانها تستخدم ادوات تختلف عن تلك الادوات المستخدمة في الحروب والنزاعات المسلحة، فتحتدي الامن السيبراني أصبح اليوم من أخطر التحديات التي تشهدها الدول، بالمقابل فان اغلب الدول لاتعطي لهذا التحدي الاهتمام الكافي بما يمنع اختراق امنها القومي في ظل العالم الرقمي والفضاء السيبراني وتشابك المصالح، ومن هنا تبرز الحاجة إلى ضرورة فهم ماهية الأمن السيبراني كمتغير جديد في المجتمع ، اذ تسمح طبيعة الإنترنت المفتوحة عبر شبكات التواصل الاجتماعي لكل مواطن بان يعبر عن أفكاره والاطلاع على مختلف المعلومات والانفتاح عبر جميع الثقافات المختلفة، وهنا يكمن أهمية الأمن السيبراني في حماية وصيانة القيم الجوهرية في المجتمع كالانتماء، المعتقدات الدينية، والعادات والتقاليد.

فرضية البحث:

تندرج فرض

ية هذه الدراسة في اطار معرفة التهديدات و المخاطر السيبرانية من خلال وجود احتمال تهديد وهشاشة داخل الفضاء الالكتروني وبالتالي تعطل عمليات البنية التحتية الحيوية للمعلومات، والعمليات الحكومية، ...الخ. وبشكل يؤثر على امن واستقرار الدولة، اذ ان الامن السيبراني أصبح ركن اساسي ومهم من اركان امنها الدول واستقرارها، وان تحدي الامن السيبراني أصبح من التحديات الخطيرة والكبيرة للدول، وان تأثيره يمكن ان يشكل خطر على حياة المواطنين بشكل مباشر وليس فقط على امن الدول، لذلك افضى هذا التحدي الى ايلاء موضوع الامن السيبراني أهمية كبيرة في الدول المتقدمة لما يمثله من خطر على امنها القومي، ومن اجل اثبات الفرضية فقد تبنت الدراسة عدد من التساؤلات والتي نحاول الاجابة عنها في هذه الدراسة ومن هذه الاسئلة:

- ماهو مفهوم الامن السيبراني.
- ماهي خصائص الامن السيبراني وابعاده.
- ماهي انواع الهجمات السيبرانية التي تؤثر على أمن الدول.

- كيف تأثر الهجمات السيبرانية على استقرار الدول وكيف يمكن التصدي لها.

منهجية البحث:

من أجل الإجابة على التساؤلات التي تتبناها الدراسة تم الاعتماد على عدة مناهج علمية، فقد تم الاعتماد على المنهج التحليل النظمي بشكل اساسي، للوقوف على أهمية الامن السيبراني في حياة الدول، إضافة الى المنهج التاريخي والمنهج الوصفي.

هيكلية البحث:

بناءً على أهمية وإشكالية وفرضية البحث ومن أجل الالمام بالموضوع بشكل متكامل فقد تم تقسيم البحث لمبحثين رئيسيين فضلاً عن مقدمة وخاتمة:

المبحث الاول: الامن السيبراني : المفهوم _ الخصائص _ الابعاد

المطلب الاول: مفهوم الامن السيبراني

المطلب الثاني: خصائص وابعاد الامن السيبراني

المبحث الثاني: المخاطر السيبرانية: دراسة في الانواع _ التأثير _ سبل المواجهة

المطلب الاول : أنواع للهجمات السيبرانية

المطلب الثاني: تأثير المخاطر السيبرانية على استقرار الدولة وسبل المواجهة.

المبحث الاول: الامن السيبراني : المفهوم _ الخصائص _ الابعاد

تُعد مهمة ضبط المفاهيم والمصطلحات تحدياً يواجه مختلف الباحثين والدارسين في مختلف التخصصات، وذلك لما يطرحه من إشكاليات تجعل من الصعوبة بمكان الاتفاق على تعريفات واضحة وشاملة وموحدة بين أعضاء المجتمع العلمي، ويعد الأمن السيبراني واحداً من المفاهيم المعقدة التي قدمت لها العديد من التعريف المختلفة.

وعلى الرغم من الإيجابيات الهائلة التي تحققت بفضل تقنية المعلومات، فإن تلك الثورة المعلوماتية المتصاعدة قد صاحبته في المقابل جملة من الانعكاسات السلبية الخطيرة نتيجة سوء الاستخدام، ومن بين تلك الانعكاسات المستحدثة، ظاهرة الجريمة الرقمية والتهديدات السيبرانية والامن السيبراني، والتي تصاعدت أخطارها بدورها مما افرز نوعاً جديداً من الجرائم العابرة للقارات، التي لم تعد أخطارها وأثارها محصورة في نطاق دولة بعينها مما أثار بعض التحديات القانونية أمام الأجهزة المعنية.

ظهر مفهوم الامن السيبراني بعد الحرب الباردة استجابة للمزيد من الابتكارات التكنولوجية- والظروف الجيوسياسية المتغيرة ، تم استخدامه لأول مرة من قبل علماء الكمبيوتر في اوائل التسعينات للتأكيد على سلسلة من حالات عدم الامان المرتبطة بأجهزة الكمبيوتر لكنه تجاوز مفهومه التقني لأمن الكمبيوتر عندما حث المؤيدين على ان التهديدات الناشئة عن التقنيات الرقمية يمكن ان يكون لها اثار اجتماعية مدمرة، لذا تعد قضية العالم الافتراضي والامن السيبراني من اهم القضايا التي باتت تشغل العالم اليوم، فقد اضحى العالم الافتراضي موازي

للعالم الحقيقي، وقد انتقلت كثير من الحروب والصراعات بين الدول من ميادين القتال الكلاسيكية الى العالم الرقمي والافتراضي.

المطلب الاول: الامن السيبراني: الأمن السيبراني مكوّن من لفظتين: (الأمن)، و(السيبراني)، وسنبحث معنى اللفظتين بشيء من التفصيل.
اولاً:الأمن: يمكن تعريف الأمن لغةً بأنه نقيض الخوف، أي بمعنى السلامة. والأمن مصدر الفعل أَمِنَ أَمْنًا وَأَمَانًا وَأَمَنَةً: أي اطمئنان النفس وسكون القلب وزوال الخوف، ويقال: أَمِنَ من الشر، أي سَلِمَ منه. وقد عرّفه قاموس بنغوين للعلاقات الدولية بأنه مصطلح يشير إلى غياب ما يُهدد القيم النادرة، فالامن تعني الأمان وهي ضد الخوف، وتعني ايضاً تحقيق الطمأنينة والعهد والحماية والصدق والذمة وكلها ضد الخوف، اما اصطلاحاً فهي تعني القدرة على مواجهة الأخطار والتحديات وتأمين الحاجات الاساسية للانسان^(١).

ويعرف الأمن كذلك بأنه قدرة الدول على الحفاظ على كيائها المستقل وتماسكها الاجتماعي ضد قوى التغيير التي تعدها معادية، وأساس الأمن هو البقاء لكنه في نفس الوقت يحتوي على العديد من الاهتمامات الجوهرية حول شروط الوجود والبقاء، ففي ظل الفوضوية والتغيير يمكن القول بأن الأمن يمكن ان يكون نسبياً ولا يمكن ان يكون مطلقاً، فالامن يعني قدرة الأمة على حماية قيمها الذاتية من الأخطار الخارجية بغض النظر عن الشكل الذي يمكن ان تتخذه التهديدات الخارجية، بالمقابل فإن الأمن لا يعني فقط رغبة الدولة والامة في البقاء بل رغبتها أيضاً في العيش بدون خطر او تهديد خارجي، اذ عرف هنري كيسنجر الأمن بأنه: أي تصرف يسعى المجتمع عن طريقها الى تحقيق البقاء^(٢).

ثانياً: السيبراني: مصطلح السيبرانية الآن هو واحد من أكثر المصطلحات تردداً في معجم الأمن الدولي، وتشير المقاربة الإيتيمولوجية لكلمة (cyber) إلى أنها لفظة يونانية الأصل مشتقة من كلمة (kybernetes) بمعنى الشخص الذي يدير دفة السفينة، حيث تستخدم مجازاً للمتحكم (governor)، وتجدر الإشارة إلى أن العديد من المؤرخين يرجعون أصلها إلى عالم الرياضيات الأمريكي norbert wieners 1894-1964 وذلك للتعبير عن التحكم الآلي^(٣).

(١) ابن منظور، معجم لسان العرب، ج٢، دار احياء التراث العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٢٣.

(٢) رفعت سيد احمد، الأمن القومي العربي بعد حرب لبنان، مجلة الشؤون العربية، العدد ٣٥، ١٩٨٤ ص٨.

(٣) فارس قرّة، الامن السيبراني، الموسوعة السياسية، ٢٠١٥ على الموقع التالي:

اصطلاحاً يعرف السبيرانى بأنه: عبارة عن مجموعة من التقنيات والانظمة الحديثة والتي تهدف الى حماية الشبكات والانظمة الالكترونية والادوات التكنولوجية الحديثة للمؤسسات ومختلف القطاعات للحد من الهجمات الالكترونية بغير وجه حق^(٤).

بعد ان عرفنا مصطلح (الأمن) و (السبيرانية) يمكننا الان تعريف الأمن السبيرانى، اذ يُعرّف بأنه: مجموعة من الإجراءات المتخذة في مجال الدفاع ضد الهجمات السبيرانية ونتائجها التي تشمل تنفيذ التدابير المضادة المطلوبة، وهذا ما ذهب إليه الكاتبان (نيتانيمكي بيكا وليتو مارتى) في كتابهما الموسوم Cyber Security: Analytics, Technology and Automation، حيث اعتبر أن الأمن السبيرانى: عبارة عن مجموعة من الإجراءات التي اتخذت في الدفاع ضد هجمات قرصنة الكمبيوتر وعواقبها، ويتضمن تنفيذ التدابير المضادة المطلوبة، بينما عرّفه إدوارد أمورسو Amoroso Edward بأنه: وسائل من شأنها الحد من خطر الهجوم على البرمجيات أو أجهزة الحاسوب أو الشبكات، وتشمل تلك الوسائل الأدوات المستخدمة في مواجهة القرصنة وكشف الفيروسات ووقفها، وتوفير الاتصالات المشفرة^(٥).

بينما عرّفه إدوارد أمورسو (Amoroso Edward) بأنه: وسائل من شأنها الحد من خطر الهجوم على البرمجيات أو أجهزة الحاسوب أو الشبكات، وتشمل تلك الوسائل الأدوات المستخدمة في مواجهة القرصنة وكشف الفيروسات ووقفها، وتوفير الاتصالات المشفرة^(٦). فريتشارد كمرر (Richard A.Kemmerer) يعرف الأمن السبيرانى بأنه: " عبارة عن وسائل دفاعية من شأنها كشف وإحباط المحاولات التي يقوم بها القرصنة^(٧).

فالباحث حسن طاهر عرف الأمن السبيرانى بأنه: العمليات التي تؤمن حماية كافة الموارد والآليات المستخدمة والمتبعة في معالجة المعلومات أمنياً، اذ يتم تأمين كافة الموارد البشرية وغير البشرية المختصة بجهة معينة وبوسائل وجراءات وعمليات أمنية وتقنية توفر لها سلامة محتواها المعلوماتي من مخاطر، فالمعلومات هي الكنز الثمين الذي يتوجب على اية دولة في العالم حمايته من أية مخاطر داخلية أو خارجية^(٨)، كما عرفه الباحث السياسي باري بوزان بأنه: العمل على التحرر من التهديد، وفي سياق النظام الدولي فهو قدرة الدول والمجتمعات على

(٤) انواع التهديدات السبيرانية ومجالاتها، مجلة رواد الاعمال، مؤسسة سواحل الجزية للاعلام، المملكة العربية السعودية، ٢٠٢٠، على الموقع التالي: <https://www.rowadalaamal.com>

(٥) فارس قره، مصدر سبق ذكره.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) اسماعيل زروقة، الفضاء السبيرانى والتحول في مفاهيم القوة والصراع، مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد

(١) المجلد (١٠)، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠١٩، ص ١٠٢١.

(٨) حسن طاهر، الحاسب وأمن المعلومات، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠،

ص ٢٣.

الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعدها معادية في سعيها للأمن، فأساس الأمن هو البقاء لكنه يحوي على جملة من الاهتمامات الجوهرية حول شروط الوجود، ولا يعني العمل على التحرر من التهديدات تحييده كلياً لأن الأمن يكون نسبياً ولا يمكن ان يكون مطلقاً.^٩

ويعرف أيضاً بأنه: هي العملية التي يتم بموجبها حماية أنظمة الاتصالات والمعلومات الواردة إليها والدفاع عنها ضد الضرر أو الاستخدام غير المصرح به أو التعديل أو الاستغلال، ويعرف أيضاً بأنه: أمن الشبكات والأنظمة المعلوماتية والبيانات والمعلومات والأجهزة المتصلة بالانترنت، وعليه فهو المجال الذي يتعلق بإجراءات مقاييس ومعايير الحماية المفروض إتخاذها والالتزام بها لمواجهة التهديدات ومنع التعديات أو للحد من أثارها في أسوأ الاحوال^(١٠). كذلك يعرف الأمن السيبراني انطلاقاً من أهداف بأنه: النشاط الذي يؤمن حماية الموارد البشرية والمالية المرتبطة بتقنيات الاتصالات والمعلومات ويضمن امكانات الحد من الخسائر والاضرار التي تترتب في حال تحقق المخاطر والتهديدات، كما يتيح اعادة الوضع الى ما كان عليه بأسرع وقت ممكن، بحيث لا تتوقف عجلة الانتاج، ولا تتحول الاضرار الى خسائر دائمة^(١١).

هناك العديد من المفاهيم المرتبطة بالأمن السيبراني، ومن أهمها ما يلي:
أولاً: الفضاء السيبراني: يعد الفضاء السيبراني السمة التي تتميز بها الحياة العصرية والمكون الاساسي للبنية التحتية لمؤسسات الدولة المختلفة، اذ أصبح منبراً للتعبير عن حرية الرأي والتجمع والخصوصية الفردية والتدفق الحر للمعلومات والاتصالات الالكترونية، وعرف جوزيف ناي الفضاء السيبراني بأنه: نطاق تشغيلي محكم باستخدام الالكترونيات لإستكشاف المعلومات عبر أنظمة مترابطة ببعضها البعض وبنية تحتية لها، كذلك عرفته جامعة الدفاع الوطني الامريكية بأنه: مجال تشغيلي تجري فيه مجموعة من العمليات ذات الطابع الالكتروني الفريد والمحكم بمجموعة من الاستخدامات التي تعتمد على الالكترونيات والأطيف الكهرومغناطيسية لإنشاء

(٩) تباري وهيبية، الأمن المتوسطي في استراتيجيات الحلف الاطلسي: دراسة حالة ظاهرة الارهاب، كلية الحقوق والعلاقات الدولية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٤، ص ٢٠.

(١٠) نسرین الشحات الصباحي علي، الأبعاد العسكرية للقوة السيبرانية على الأمن القومي للدول دراسة حالة (اسرائيل) منذ عام ٢٠١١، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، ٢٠١٦، على الموقع التالي: <https://democraticac.de>

(١١) منى الاشقر جبور، الأمن السيبراني: التحديات ومستلزمات المواجهة، المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية، جامعة الدول العربية، اللقاء السنوي الاول للمختصين في أمن وسلامة الفضاء السيبراني، بيروت، ٢٧-٢٨ اب ٢٠١٢، ص ٣.

وتخزين وإبدال وتبادل المعلومات من خلال مجموعة من نظم المعلومات المترابطة مع بعضها البعض والمتصلة عبر شبكة الانترنت^(١٢).

نلاحظ ان التعريفات السابقة ركزت على الجاني التقني وأهملت الجانب البشري الذي يعد جزءاً أساسياً في الفضاء السيبراني، لذا جاء تعريف الاتحاد الدولي للاتصالات اشمل، لذا عرف الفضاء السيبراني بأنه: المجال المادي وغير المادي الذي يتكون وينتج عن عناصر عدة وهي: اجهزة الكمبيوتر، الشبكات، البرمجيات، حوسبة المعلومات، المحتوى، معطيات النقل، التحكم، ومستخدموا كل هذه العناصر، وبالتالي يعد الفضاء السيبراني عبارة عن فيض رقمي من المعلومات لا يعتمد بشكل كامل على البيئة المحوسبة التي توفرها شبكات المعلومات، بل تتعامل أيضاً مع مفرداته مثل سرعة تناقل البيانات وصلاحيه الدخول الى الشبكة بالاضافة الى المعالجات التي تناول البيانات المتدفقة ضمن البيئة السيبرانية^(١٣).

ثانياً: الهجوم السيبراني: عرف فيورترس الاستاذ في قسم الكيمياء في جامعة تكساس للتكنولوجيا الهجوم السيبراني بأنه: هجوم عبر الانترنت يقوم على التسلل الى مواقع الالكترونية غير مرخص بالدخول اليها، بهدف تعطيل البيانات المتوفرة أو اتلافها أو الاستحواذ عليها، فهي عبارة عن سلسلة هجمات الالكترونية تقوم بها دولة ضد دولة اخرى، في حين عرف شميث المتخصص بالقانون الدولي الانساني والعضو البارز في مركز الدفاع السيبراني التعاوني التابع لحلف الشمال الاطلسي بأنه: اي تصرف للالكتروني دفاعياً كان أم هجومياً يتوقع منه وعلى نحو معقول في التسبب بجروح أو قتل شخص أو الحاق أضرار مادية أو دمار بالهدف المهاجم، إضافة الى ذلك فقد عرفت القيادة العسكرية الامريكية الهجمات السيبرانية بأنها: تطويع عمليات نظام الكمبيوتر بهدف منع الخصوم من الاستخدام الفعال لها، فضلاً عن التسلل الى أنظمة المعلومات وشبكات الإتصال بهدف جمع البيانات التي تحتويها وحيازتها وتحليلها^(١٤).

ثالثاً: الجريمة السيبرانية: مجموعة الأفعال والأعمال غير القانونية التي تتم عبر معدات أو أجهزة إلكترونية أو شبكة الإنترنت أو تبث عبرها محتوياتها، وهي ذلك النوع من الجرائم التي تتطلب الإلمام الخاص بتقنيات الحاسب الآلي ونظم المعلومات لارتكابها أو التحقيق فيها ومقاضاة فاعليها، فهي الجريمة المتصلة باستخدام الكمبيوتر، أي تصرف غير قانوني، يرتكب باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات^(١٥).

(١٢) إيهاب خلفه، القوة الالكترونية: كيف يمكن ان تدير الدولة شؤونها في عصر الانترنت، دار العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٧، ص ٢٧.

(١٣) عادل عبد الصادق، اسلحة الفضاء الالكتروني في ضوء القانون الدولي الانساني، مكتبة الاسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، الاسكندرية، ٢٠١٦، ص ١١

(١٤) احمد عبيس نعمة، تكييف الهجمات السيبرانية في ضوء القانون الدولي، مجلة الكوفة للعلوم القانونية

والسياسية، العدد (٤٤)، كلية القانون، جامعة الكوفة، ٢٠٢٠، ص ٥١

(١٥) فارس قرة، مصدر سبق ذكره.

المطلب الثاني: خصائص وابعاد الأمن السيبراني

أولاً: خصائص الأمن السيبراني:

يعتمد الأمن السيبراني كمجال افتراضي على نظم الكمبيوتر وشبكات الانترنت ومخزون هائل من البيانات والمعلومات، بحيث يتم الاتصال بالشبكات غير الحواسيب أو الهواتف أو غيرها من دون تقيد بالحدود الجغرافية، ويوصف العصر الحالي بأنه العصر الرقمي، فهو يتضمن تطورات تكنولوجية هائلة تخدم جميع مناحي الحياة العامة والخاصة، وتنعكس على خدمة المجتمع الدولي بأكمله، حيث بات العصر يتحرك من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي واكبتها حركة إجرامية كبيرة، فانتشرت الجرائم المعلوماتية بشكل خطير في جميع دول العالم التي أصبحت عرضة للوقوع تحت تهديد هذه الجرائم باستخدام الفيروسات وبرامج التجسس وغيرها وهي أدوات يمكن وصفها مجازاً بالجرائم المستحدثة أو المختلفة^(١٦). إضافة الى ذلك القدرة على التشبيك وبناء روابط افتراضية، اذ تتيح الادوات السيبرانية للأفراد والجماعات قدرة أكبر على التواصل والتشبيك وبناء مجتمعات افتراضية بأشكال مختلفة للتأثير في القضايا عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنديات الالكترونية وغيرها، خاصة تلك المنديات والمواقع التي تنشر وتدعو الى التطرف والارهاب، وهذا الامر لا يتوفر في المجال التقليدي، خاصة مع القيود التي تفرضها الانظمة السلطوية في الواقع، اما في المجال الافتراضي فيتسم بضعف السيطرة الحكومية، فطبيعة المجال السيبراني والذي تحفل بملائين النقاشات اليومية تصعب من سيطرة الحكومات عليه، لذلك يستطيع الأفراد والجماعات التعبير عن مواقفهم وأرائهم في وقت وفي أي مكان، فالفضاء الالكتروني لا حدود له، اذ يشارك كل الفاعلين بما فيهم الدول من الاستخدام الشخصي الى البرامج الإقتصادية الى التطبيقات العسكرية، كلها تعتمد على تعتمد على الفضاء السيبراني، على العكس من التهديدات التقليدية الملموسة والتي يمكن التنبؤ بها، فان تهديدات الامن السيبراني يمكن ان تأخذ شكل أو مصدر افتراضي وتقرض أخطاراً لا يمكن التنبؤ بها^(١٧).

اذن يمكن القول ان الامن السيبراني، أحدث بدوره تغييراً في مفاهيم العلاقات الدولية، كمفهوم القوة والصراع والحرب، اذ انتشرت القوة بين الفاعلين، وتحول الصراع من المادي الى الافتراضي، واصبحت الحروب تخاض بالأصفار والآحاد، وبدأ واضحاً أن الدول تتجه نحو عسكرة الفضاء السيبراني، مما نتج عنه ظهور تهديدات جديدة تتزايد في الحجم والشدة، وتشكل تهديداً خطيراً للأمن القومي، فكلما زاد التشابك، زادت التهديدات السيبرانية، وأثر ذلك على الأمن القومي، مما زاد من أهمية الامن السيبراني، بأبعاده المختلفة، والذي تحاول الدول من

(١٦) نورة شلوش، القرصنة الالكترونية في الفضاء السيبراني (التهديد المتصاعد لأمن الدول) مجلة بابل للدراسات الانساني، العدد (٢) المجلد (٨) مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، ٢٠١٨، ص ١٩٠
(١٧) ابتسام علي حسين، فرص وقيود الاطراف المتنازعة في المجال العام السيبراني، ملحق مجلة السياسة الدولية، العدد (٢٠٨) مركز الاهرامات للدراسات، القاهرة، ٢٠١٧، ص ١٢.

خلاله الحد من المخاطر والتهديدات في الفضاء السيبراني، فالأمن السيبراني أصبح على رأس أوليات قضايا الأمن القومي، حيث قامت معظم الدول بإعادة صياغة عقيدتها الأمنية لتتلاءم مع المتغير الجديد، وهذا في محاولة لمواجهة التهديدات السيبرانية التي تزداد وتتطور بسرعة، فالجريمة والارهاب والحرب في الفضاء السيبراني تعد من بين التحديات الأمنية الجديدة أمام الدول^(١٨).

فالأمن السيبراني يتميز بأنه ذو طابع متعدد التخصصات الاجتماعية والتقنية، فهو شبكة خالية من الحجم وقدرات الفاعلين يمكن أن تكون مماثلة على نطاق واسع، ويمتاز درجة عالية من التغيير والترابط وسرعة التفاعل.

ثانياً: ابعاد الأمن السيبراني

يطال الأمن السيبراني جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والانسانية وغيرها من المجالات، انطلاقاً من الأمن السيبراني ودوره في حماية جميع مجالات الحياة، لذا لابد من التوقف عند ابعاد الأمن السيبراني وعلى النحو الآتي:

أولاً: البعد العسكري: تتراكم الامثلة التي يمكن ان نوردتها في هذا المجال، والتي توضح الأبعاد العسكرية للأمن السيبراني وخطورة الهجمات السيبرانية، فعلى سبيل المثال ما حصل في جورجيا واستونيا وكوريا الجنوبية وايران، من هجمات واختراقات ادت فيما بعد الى اندلاع صراع مسلح كما حصل بين جورجيا وروسيا، او بانقطاع الاتصال بالانترنت في استونيا، بين الدولة والمواطنين والتشويش على الادارات الحكومية، كذلك اختراقات أنظمة المنشآت النووية الايرانية، وتحقيق امكانات التلاعب بها، فهذا يعني تهديد للأمن القومي للدولة المعنية، إضافة الى الاختراق الذي حصل في البرلزل والمملكة المتحدة للبنية التحتية للطاقة، اذ انقطع التيار الكهربائي، مما طالت أثاره السلبية ملائيين الاشخاص والمؤسسات والمصالح، وفي هذا السياق حذر خبراء أميركيون الرئيس الامريكي جورج بوش في ايلول عام ٢٠٠٧ من خطر الهجمات السيبرانية على البنية التحتية الأمريكية، والتي تضم الى جانب الدفاع، امدادات الطاقة الكهربائية والمياه والاتصالات السلكية واللاسلكية والخدمات الصحية والنقل والانترنت^(١٩).

ثانياً: البعد الاقتصادي: أصبح الانترنت أساساً للمعاملات التجارية والاقتصادية، كما تستعمل الحواسيب في تسيير وتطوير الصناعات وتحريك عجلة الاقتصاد، فاصبح الكل مترابط عبر شبكات الكمبيوتر والانترنت، فأصبح الأمن السيبراني مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالاقتصاد، فالتلازم اصبح واضحاً جداً بين اقتصاد المعرفة وتوسيع استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات، إضافة الى القيمة التي تمثلها البيانات والمعلومات المتداولة والمخزونة والمستخدمه، كذلك تتيح تقنيات

(١٨) اسماعيل زروقة، الفضاء السيبراني والتحول في مفاهيم القوة والصراع، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢٩.

(١٩) منى الاشقر جبور، السيبرانية: هاجس العصر، المركز العربي للبحوث القانونية والسياسية، جامعة الدول

العربية، ٢٠١٢، ص ٢٨.

الاتصالات الى تعزيز التنمية الاقتصادية لبلدان عديدة عن طريق افادتها من فرص الاستخدام التي تقدمها الشركات الدولية والشركات الكبرى، إضافة الى ذلك دخول العالم الى عصر المال الإلكتروني، ضمن بيئة تقنية متحركة، بعد إطلاق خدمات المحفظة الإلكترونية، اذ تتزايد استثمارات المصارف والمؤسسات المالية في مجال المال الرقمي، اذ تتنافس الشركات على إصدار تطبيقات تسمح بآليات دفع آمنة، وبحفظ المال في المحفظة الإلكترونية وبالإيفاء من خلالها، وباستخدامها كرسيد افتراضي، لذلك وضعت بعض الدول تشريعات خاصة بهذا المال، مما يمكن ان يثير هذا الامر من صعوبات وما يتطلبه من تشريعات للحد من بعض الجرائم الاقتصادية والمالية الخطرة والعابرة للحدود، كتهريب الأموال والتهرب من الضريبة، فالأمن السيبراني يضمن ركود الجمهور الى الخدمات التي تقدم بواسطة تقنيات المعلومات والاتصالات، كما يضمن الاقبال عليها بشكل واسع^(٢٠).

ومن الامثلة التي يمكن ان نوردتها في هذا المجال^(٢١):

١- في سنة ٢٠١٢ قام فريق من القراصنة السيبرانيين الايرانيين أطلق على نفسه أسم (سيف العدالة القاطع) بإقحام فايرس خبيث أطلق عليه أسم (شمعون 01) في شبكة المعلومات الداخلية لشركة أرامكو السعودية النفطية، فقام بإلغاء بيانات مهمة في أكثر من ٣٠,٠٠٠ حاسب من حواسيب الشركة.

٢- في سنة ٢٠١٤ نفذت أخطر الهجمات الإلكترونية في منطقة الشرق الاوسط والخليج العربي والتي سميت بعملية (كليفر) على قطاع النفط والغاز، بالإضافة الى المطارات ومواقع حكومية حساسة وشركات الاتصالات، وتعد من أشد الهجمات السيبرانية تأثيراً على المنطقة.

٣- في سنة ٢٠١٧ هاجم فيروس (الصخرة الدوار) المملكة العربية السعودية، اذ استهدف قطاع الطيران والبتروكيماويات، وقد أحدث هذا البرنامج الخبيث تأثيرات كبيرة على شركات الطيران وشركات البتروكيماويات في المملكة العربية السعودية.

٤- في سنة ٢٠١٩ تم تنفيذ تهديدات سيبرانية متقدمة مستمرة APT، وهي هجمات سيبرانية بالغة التأثير، مارسها قراصنة إيرانيون سيبرانيون، لاستهداف شبكات المعلومات وبنيتها التحتية في كل من قطر والكويت والسعودية والامارات والبحرين، من خلال مدة زمنية متطاولة لضمان بلوغ أهدافها وتعميق مستويات تأثيرها.

ثالثاً: الابعاد السياسية: تتمثل الابعاد السياسية للامن السيبراني بشكل أساسي في حق الدولة في حماية نظامها السياسي وكيانها ومصالحها الاقتصادية والتي تعني حقها في السعي الى تحقيق

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٢١) حسن مظفر الرزوي، النزاعات والمواجهات السيبرانية في فضاء منطقة الخليج العربي، مركز الجزيرة

للدراسات، ٢٠١٩، متاح على الرابط التالي:

<https://studies.aljazeera.net/reports/2019/>

رفاه شعبها، في وقت أصبح للتقنيات الالكترونية تأثير واضح في موازين القوى داخل المجتمع نفسه، اذ أصبح بإمكان المواطن ان يتحول الى لاعب أساسي في اللعبة السياسية، كما أصبح بالامكان الاطلاع على خلفيات ومبررات القرارات السياسية التي اتخذتها حكومته من خلال الكم الهائل من المعلومات التي يمكنه الوصول اليها، أو التي يمكن ان توزع وتنتشر عبر الانترنت، اما على الصعيد الدولي يعد التدخل الروسي السيبراني في الانتخابات الأمريكية أبرز دليل على ضرورة وأهمية الأمن السيبراني في بعده السياسي، إضافة إلى التسريبات للوثائق الحساسة والاختراقات التي غالباً ما تؤدي إلى أزمات دبلوماسية بين الدول، كما ان الفضاء السيبراني أصبح بيئة خصبة للحملات الانتخابية لمختلف الفاعلين الدوليين^(٢٢).

رابعاً: الأبعاد القانونية: ان التطورات التكنولوجية المتسارعة، تفرض مواكبة التشريعات القانونية لها، من خلال وضع أطر وتشريعات للأعمال القانونية وغير القانونية في الفضاء السيبراني، فالملاحظ أن الجريمة السيبرانية تفتقد في معظم البلدان إلى الأطر القانونية الصارمة للتعامل معها، إضافة إلى ضرورة تفعيل التعاون الدولي المشترك لمكافحتها، ولعل من أبرز الممارسات القانونية في مجال الأمن السيبراني هو ضمان بعض الحقوق في هذا المجال كحق النفاذ إلى الشبكة العالمية للمعلومات، وأيضاً توسعت بعض المفاهيم لتشمل أساليب الممارسة الجديدة باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات، كالحق في إنشاء المدونات الإلكترونية، والحق في إنشاء التجمعات على الإنترنت، وأيضاً الحق في حماية ملكية البرامج المعلوماتية^(٢٣).

خامساً: الأبعاد الاجتماعية: يفوق مستخدمي الانترنت ٤ مليارات شخص في العالم، منهم أكثر من ٢,٦ مليار يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي، مما يجعلها أكبر تجمع للتفاعل البشري، ويفتح الباب واسعا لتبادل الأفكار الخبرات الجيدة، لكن في المقابل يعرض أخلاقيات المجتمع للخطر، نظراً لصعوبة مراقبة محتوى الانترنت، كما يعرض الهويات لعمليات اختراق خارجي قد تتسبب في تهديد السلم الاجتماعي للدولة، وعليه فلا بد من العمل على توعية المواطن بهذه المخاطر لتحقيق الأمن السيبراني في بعده الاجتماعي^(٢٤).

المبحث الثاني: المخاطر السيبرانية: دراسة في الأنواع _ التأثير _ سبل المواجهة

اختصر الفضاء السيبراني حاجز الزمان والمكان، وخلق مساحات للتفاعلات الداخلية والدولية في الواقع الافتراضي، ومن ثم برزت فضاءات جديدة للصراع بأدوات مختلفة، وأنماط جديدة تختلف عن الصراعات التقليدية، بعد أحداث ١١ ايلول ٢٠٠١ التي تعد مفصلية في تاريخ العلاقات الدولية، لبداية استعمال الجماعات الارهابية للانترنت بشكل بارز في الترويج للفكر

(٢٢) إسماعيل زروقة، الفضاء السيبراني والتحول في مفاهيم القوة والصراع، مجلة العلوم القانونية والسياسية،

العدد (١) المجلد (١٠) جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠١٩، ص ١٠٢٣.

(٢٣) فارس قرة، مصدر سبق ذكره.

(٢٤) عادل عبد الصادق، القوة الالكترونية: اسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الالكتروني، مجلة السياسة

الدولية، العدد 188، مؤسسة الأهرام، مصر، ٢٠١٢، ص ٣٢.

المتطرف كان الفضاء السيبراني ساحة للصراع والقتال وتصفية الحسابات بين الدول والجماعات المتطرفة، وبالتالي أصبح الفضاء السيبراني ساحة جديدة للصراع بشكله التقليدي ولكنه ذو طابع سيبراني يعكس النزاعات التي تخوضها الدول أو الفاعلين من غير الدول على خلفيات دينية أو عرقية وإيديولوجية أو اقتصادية أو سياسية، ويتمدد الصراع السيبراني بداخل شبكات الاتصال والمعلومات متجاوزاً الحدود التقليدية وسيادة الدول، وكشف استخدام الفضاء السيبراني عن حالة التعارض الحقيقي للاحتياجات والقيم والمصالح بين العديد من الفاعلين، وساعد ذلك على ظهور أساليب جديدة للصراع الدولي، تباينت بين الطابع التقني والتجاري والاقتصادي والعسكري، إلى جانب ظهور طرق بديلة عن الحرب المباشرة بين الدول عبر شبكات الاتصال والمعلومات، فهناك صراع سيبراني تحركه دوافع سياسية، ويأخذ شكلاً عسكرياً، ويتم فيه استخدام قدرات هجومية ودفاعية عبر الفضاء السيبراني، ويوجد صراع سيبراني ذو طبيعة ناعمة، حول الحصول على المعلومات والتأثير في المشاعر والأفكار وشن حرب نفسية وإعلامية، كما يأخذ الصراع السيبراني طابعاً تنافسياً حول الاستحواذ على سبق التقدم التكنولوجي وسرقة الأسرار الاقتصادية والعلمية، والتحكم بالمعلومات، والعمل على اختراق الأمن القومي للدول، كهجمات قرصنة الكمبيوتر والتجسس بما يكون له من تأثير على تدمير الاقتصاد والبنية التحتية بنفس القوة التي قد يسببها تفجير تقليدي مدمر، ويمكن أن يستخدم الفضاء السيبراني كوسيلة من وسائل الصراع داخل الدولة، بين مكوناتها، على أساس طائفي أو اقتصادي أو ديني^(٢٥).

المطلب الاول : أنواع الهجمات السيبرانية

أصبح الفضاء السيبراني (Cyberspace) عنصراً مؤثراً في النظام الدولي المعاصر نظراً لما يحمله من أدوات تكنولوجية متطورة، إذ كشف عن محاور جديدة، وبات أكثر تأثيراً في الحسابات الاستراتيجية للدول، والدولة التي لا تمتلك التكنولوجيا السيبرانية المحصنة أمنياً سيتعرض فضاؤها السيبراني المتضمن للاتصال والموارد والمعلومات والخدمات والبنية التحتية الحيوية، بما في ذلك الامنية والعسكرية والمصرفية والتجارية والتعليمية والصحية والاقتصادية الى الهجمات السيبرانية التي تسبب دماراً هائلاً فيها^(٢٦).

أي بعبارة أخرى المخاطر السيبرانية هي احتمال وجود تهديد وهشاشة داخل الفضاء الإلكتروني للبلد يضر بأمن وسلامة نظم المعلومات وهياكل البنى التحتية المعلوماتية الأساسية. وعلاوة على ذلك، فأن التهديدات يمكن أن تستغل الثغرات الموجودة وبشكل يؤثر على سلامة وأمن نظام المعلومات أو شبكات المعلومات أو البنى التحتية للشبكات^(٢٧).

(٢٥) إسماعيل زروقة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢١.

(٢٦) نور أمير الموصلي: الهجمات السيبرانية في ضوء القانون الدولي الانساني، رسالة ماجستير، الجامعة الافتراضية السورية، ٢٠٢١، ص ٧.

(٢٧) استراتيجية الامن السيبراني العراقي : مستشارية الامن الوطني امانة سر اللجنة الفنية العليا لامن الاتصالات والمعلومات، ص ٤، ينظر الى شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

وللخطر السيبراني الوطني مكونان رئيسيان.^(٢٨)

١- التهديدات السيبرانية.

٢- مدى كوننا معرضين للهجمات السيبرانية (الثغرات الموجودة)

واصبحت الهجمات السيبرانية معقدة وخطيرة ولها انواع متعددة وهي على نحو متزايد، وعندما وصلت اهدافها لمحاولة تدمير البنية التحتية لدول باكملها، اصبح تطويرها في مقدمة اهداف الدول، فهي تعد قدرة ثانية لا تقل اهمية عن القدرة العسكرية وحتى النووية، اذ ان القدرة السيبرانية يمكنها اختراق المنشآت والقاذفات النووية والقواعد العسكرية وتعطيلها او التحكم بها.^(٢٩)

وتتنوع الجهات التي تقف وراء ظاهرة تنامي الهجمات السيبرانية على الصعيد العالمي في الآونة الأخيرة، وتشمل ما يلي:^(٣٠)

١- الدول التي تمتلك قدرات تقنية وتكنولوجية متطورة تتيح لها توظيفها في القيام بهجمات سيبرانية في مواجهة خصومها سواء لأغراض عسكرية (تدمير منشآت – وقف مشروعات) أو تجسسية كالحصول على معلومات أو إحداث تدمير في البنية التحتية الأساسية، كشبكات الكهرباء والمياه والمواصلات والاتصالات.

٢- عصابات الجريمة المنظمة، والتي غالباً ما تلجأ إلى الهجمات السيبرانية للحصول على فدية مالية، وتلجأ في ذلك إلى اختراق أنظمة المعلومات التي تدير الخدمات الأساسية في بعض الدول، لمساومتها للحصول على مبالغ مالية.

٣- القراصنة من الأشخاص العاديين والذين يمتلكون مهارات تقنية فائقة، يتم توظيفها في الحصول على مبالغ مالية أو في اختراق الأمن المعلوماتي للدول، والحصول على معلومات حساسة عن قضايا السياسة الخارجية للدول، على النحو الذي جسده (ظاهرة ويكيليكس)، حينما حيث استطاع الصحفي الاسترالي جولييان أسانج (Julian Paul Assange) أن يكشف العديد من أسرار السياسة الخارجية الأمريكية وعلاقات الولايات المتحدة مع العديد من القوى الكبرى.

وهناك عدة أنواع من الهجمات السيبرانية لعل ابرزها ما يلي:

<https://www.itu.int/en/ITU->

[D/Cybersecurity/Documents/National_Strategies_Repository/00056_06_iraqi-cybersecurity-strategy](https://www.itu.int/en/ITU-D/Cybersecurity/Documents/National_Strategies_Repository/00056_06_iraqi-cybersecurity-strategy)

^(٢٨) المصدر نفسه.

^(٢٩) نور امير الموصل: الهجمات السيبرانية في ضوء القانون الدولي الانساني ، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

^(٣٠) د.داليا السيد: الهجمات السيبرانية .. تهديد متعاظم للأمن والاستقرار والاقتصاد العالمي، ينظر الى شبكة

المعلومات الدولية: <http://www.nationshield.ae>

أولاً: الهجمات السرية: وتعد أحد أنواع التجسس التقليدي باستخدام وسائل التكنولوجيا الفائقة؛ ولعل معظم الهجمات السيبرانية المتطورة التي أطلقت من قبل الدول القومية أو الجماعات الإجرامية تقع ضمن هذه الفئة. ولكن، لا يمكن تصور الرد بهجوم ساحق أو مدمر على التجسس السيبراني، مهما بلغت تداعياته على الأمن القومي. ودون التهديد برد واسع النطاق، ستهوى الركيزة الأساسية للردع، وسيفشل في منع الهجمات السيبرانية.^(٣١)

ثانياً : الهجمات الإلكترونية الفعالة (Active).^(٣٢) يركز المخترقون الى ايجاد الثغرات الامنية ((Security Vulnerabilities))، او الابواب الخلفية (Back doors) , لهذه الانظمة فعندها يمكن ان تنصب او تزرع البرامج الخبيثة, ويتم التحكم عن بعد عن طريق ارسال الاوامر, لغرض سرقة البيانات او تعطيل الحاسبات. ومن هذه الهجمات:

١. هجمات الحرمان من الخدمة (Denial of Service Attacks)

٢. فايروسات الحاسوب (Computer Virus) : وهي برامج صنعت بطريقة متعمدة لتغيير خصائص الملفات, والحاق الضرر بالحاسوب, واعطاء اوامر اما بالتخريب او الازالة, وهذه الفيروسات تؤدي الى تعطيل شبكات الخدمات والبنية التحتية للطرف المستهدف او احداث فشل في الاتصالات لدولة ما

٣. دودة الحاسوب (computer worm), هي برامج خبيثة تتكاثر بنسخ نفسها, وتنقل من نظام الى اخر باستغلال الثغرات الامنية (, صنعت للأعمال التخريبية كأن تعمل على قطع الاتصال بالشبكة او سرقة البيانات, اثناء تصفح المستخدمين بالانترنت, وتمتاز بسرعة الانتشار والقدرة الفائقة على التلون والتكاثر ويصعب التخلص منها, وتستهدف عادة الشبكات المالية, وشبكات البنوك

٤. احصنة طروادة (Trojan Horse): وهو شفرة او برنامج صغير مختبئ في برنامج كبير من البرامج ذات الشعبية المالية وهو مبرمج بمهارة عالية, حيث يقوم بالمهام الخفية مثل نشر دودة او فايروس, ومن الصعوبة اكتشافه, حيث يعمل دائماً على مسح آثاره التي لا تحمل صنعة تخريبية, ويقوم بأضعاف قوة الدفاع للمستهدف وسهولة اختراق جهازه وسرقة بياناته)

(٣١) د. رغبة البهي: الردع السيبراني: المفهوم والإشكاليات والمتطلبات، من مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد الأول لسنة ٢٠١٧، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ص ٥٣.

(٣٢) سري غضبان غيدان، محمد منذر جلال الربيعي: الامن السيبراني وسياسات المواجهة الدولية، مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية، المركز الديمقراطي العربي – برلين، المجلد الثاني -العدد التاسع، ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٢٠ م، ص ص ١٩٠ _ ١٩١

ثالثاً: أهم أنواع الهجمات الإلكترونية غير الفعالة: (٣٣)

- ١- برامج التجسس (Spy ware)، وهي برامج تثبت خلسة على أجهزة الحاسوب للتجسس والسيطرة عليها من دون علم المستخدم.
 - ٢- التصيد (phishing)، ويعرف أيضاً بالخداع الإلكتروني التي يتم بها خداع المستخدمين ليشاركوا بياناتهم الشخصية مثل تفاصيل بطاقات الائتمان وكلمات المرور.
 - ٣- راصد لوحة المفاتيح (Key logger)، وهو أحد أشهر برامج التجسس، ومن أقدم أشكال التهديد السيبراني، يقوم بسرقة المعلومات الشخصية أو المالية مثل التفاصيل المصرفية، حيث يقوم (key logger) بجمع المعلومات وإرسالها إلى طرف ثالث.
 - ٤- أنظمة الدعم الإعلامي (Ad wa)، هو عبارة عن حزمة من البرامج الدعائية، حيث إن أي تطبيق برمجي يتم فيه عرض لافتات إعلانية أثناء تشغيل البرنامج، ف (Ad ware) ، هو برنامج إعلاني، ليس فايروس، لكن في بعض الأحيان يكون فايروس، ويلجأ العديد من المستخدمين إلى تنزيل التطبيقات المجانية التي تحمل بطياتها (Ad ware) ، لكن في بعض الأحيان تكون هذه الإعلانات مشبوهة.
 - ٥- جهاز راصد لوحة المفاتيح التجسسي: هو مكون مادي (Hard ware) ، يستخدم للاختراق أو التجسس، عن طريق قطعة يتم توصيلها بين لوحة المفاتيح واللوحة الأم.
- المطلب الثاني: تأثير المخاطر السيبرانية على استقرار الدولة وسبل المواجهة.**
- أولاً: تأثير المخاطر السيبرانية على استقرار الدولة.**

ليس لآثار الهجمات السيبرانية حدود، فبماكنها التسبب بانفجارات في مخازن الوقود والمحطات النووية وكافة المراكز الحيوية أو تعطيل وسائل النقل براً ، بحراً، جواً أو تغيير مسار الرحلات. (٣٤)

ويمكن أن يستخدم الفضاء الإلكتروني كوسيلة من وسائل الصراع داخل الدولة، بين مكوناتها على أساس طائفي أو اقتصادي أو ديني، وهو ما يساعد على كشف ديناميكيات التفاعل الداخلي إلى الخارج بما يسهل من عملية الاختراق الخارجي عبر شبكات الاتصال بدعم أحد أطراف الصراع بأدوات غير قتالية. (٣٥)

وسوف نبين أهم الآثار الناشئة عن الهجمات السيبرانية: (٣٦)

(٣٣) سرى غضبان غيدان، محمد منذر جلال الربيعي: الأمن السيبراني وسياسات المواجهة الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩١.

(٣٤) نور أمير الموصلية: الهجمات السيبرانية في ضوء القانون الدولي الإنساني، مصدر سبق ذكره ، مصدر سبق ذكره، ص ١٨.

(٣٥) نورة شلوش، القرصنة الإلكترونية في الفضاء السيبراني التهديد المتصاعد لأمن الدول، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٦.

(٣٦) نور أمير الموصلية: الهجمات السيبرانية في ضوء القانون الدولي الإنساني، مصدر سبق ذكره ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩_٢٠.

أولاً: الآثار الناشئة عن الهجمات السيبرانية في المجال العسكري

لقد لعبت التكنولوجيا دوراً مهماً في المجال العسكري، حيث تعتمد عليها معظم الأنظمة العسكرية اليوم، وتتمثل الميزة النسبية للتكنولوجيا في قدرتها على ربط الوحدات العسكرية معاً، لتسمح بتبادل المعلومات وتدفقها بسهولة، والسرعة في إعطاء الأوامر العسكرية، والقدرة على تدمير الأهداف عن بعد.

ثانياً_ الآثار الناشئة عن الهجمات السيبرانية في المجال الاقتصادي

أصبحت صناعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مورداً اقتصادياً مهماً للكثير من الدول، حيث أسهمت ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في جعل أصحاب القرار يتخذون قرارات استثمارية رشيدة وبالتالي ساهمت في زيادة معدلات التنمية الاقتصادية، ومن الأمثلة على استخدام التكنولوجيا في المجال الاقتصادي : اعلانات المنتجات الجديدة، والأخبار الصحفية عنها، ومعلومات ترويجية حول مبيعات محددة وخاصة ، وجمع المعلومات الخاصة بخدمة العملاء، التسويق الإلكتروني فأى هجوم سيبراني على هذا المجال سوف يؤثر ويخلف العديد من الآثار السلبية وسيكون المدنيين عاطلين عن العمل وغير محميين وستتعطل العمليات من منطقة إلى أخرى مسببة تدهوراً اقتصادياً على مستوى الدولة، ومثال على ذلك الاحتيال في تحويل الأموال بالوسائل السيبرانية وسرقة الارصدة وتحويلها الى أنشطة إجرامية .

ثالثاً: الآثار الناشئة عن الهجمات السيبرانية في المجال الصحي

أصبح استخدام أجهزة وبرامج الكمبيوتر في الوقت الحالي دوراً مهماً في تحسين جودة وكفاءة الرعاية الصحية وتقليل تكلفتها، ومن أهم ما تم تطويره فكرة السجلات الطبية الإلكترونية التي تشمل المعلومات الخاصة بالمريض والعلاجات السابقة، والأدوية المستخدمة سابقاً... الخ . ويعد الهجوم السيبراني على هذه السجلات الطبية بمثابة خرقاً خطيراً للأمن السيبراني للرعاية الصحية، وبالتالي إحداث كبير في المجال الصحي للدولة.

رابعاً_ الآثار الناشئة عن الهجمات السيبرانية في المجال البيئي

لقد تم استخدام أنظمة الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في مجال الحفاظ على البيئة، حيث تسهل دراسة تلوث المياه والهواء وسطح الأرض من خلال صور من خلال صور الأقمار الصناعية بعد معالجتها بجهاز الكمبيوتر، في تحديد مصادر التلوث ومراقبة الامتداد الموضعي للتلوث، خاصة أثناء حدوث تلوث جاري معين، بالإضافة إلى دراسة تركيز هذا التلوث، وسرعة جريانه وتدفقه، ومقدار تشتته أيضاً. وفيما يتعلق بالكوارث الطبيعية، يمكن لصور الاستشعار عن بعد أن توفر معلومات دقيقة وسريعة عن مثل هذه الكوارث قبل أو أثناء حدوثها أو بعد حدوثها توقفت قصير، كالفيضانات والأعاصير، وحرائق الغابات ، والكوارث والاندفاعات البركانية، يظهر جلياً أهمية التكنولوجيا في مجال حماية البيئة من التلوث والحد منه بأسرع وقت ، او اي هجوم سيبراني على هذا المجال سوف يتسبب في الكثير من الدمار والاذى للنظام البيئي ومن خلال ما تقدم يتبين لنا ان تصنيف التهديدات حسب الاهداف أدى بصورة

تلقائية الى فهم الآثار التي تترتب على هذه التهديدات تستطيع ان تشكل عائق كبير امام العصب
الاساسي للبنى التحتية للدول.^(٣٧)

ثانياً: سبل مواجهة المخاطر السيبرانية

تعد الهجمات السيبرانية هجمات خلية ، بمعنى استخدام خليط بين اكثر من تقنية واكثر
من طريقة للهجوم على النظام .ولذلك فان التحدي لدى مهنيو الامن السيبراني يكون اقوى فاعن
لم تستطيع إيقاف الهجمة فعليك على الاقل بتقليل الضرر الناجم عنها.^(٣٨)

لان المجتمع يشهد تطوراً متسارعاً لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كما يشهد تزايداً
وتنوعاً في التطبيقات والخدمات الإلكترونية التي تعتمد الفضاء السيبراني أساساً لها. ولأن
تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أصبحت الركيزة الأولى لبناء مجتمع المعرفة ولبنة أساسية في
نموه وازدهاره، يتطلع العديد من الدول ، المتقدمة منها أو النامية، إلى بناء مجتمع معرفي جديد
يعتمد على التنوع الاقتصادي، وعلى الابتكار والإبداع، وكذلك على التبادل المعرفي والفكري
في المجالات الحيوية المختلفة.^(٣٩)

لذلك، لا بد ان تنطلق الحلول في هذا المجال، من فهم الطبيعة الخاصة لتقنيات المعلومات
والاتصالات، لاسيما الجزء الخاص بتجاوزها للحدود، وللمجتمعات، والانظمة، كما لطبيعة البنى
التي تحتية نفسها، بما يعني الطبيعة غير الملموسة للبيانات، وامكانات تنقلها، واختراق الانظمة التي
تحويلها. ويعني هذا، بالدرجة الاولى، فهما مشتركاً، للإمكانات التي تقدمها تقنيات المعلومات
والاتصالات، بوجهيها السلبي والايجابي، ووعياً لضرورة ايجاد ارضية مشتركة، لمواجهة
تحديات بناء الثقة في مجتمع المعلومات، انطلاقاً من تحقيق بيئة آمنة.^(٤٠)

عن طريق تبادل الحكومات بتوعية أفراد المجتمع بالتهديدات القادمة من
الفضاء الإلكتروني، والتطبيقات التكنولوجية المختلفة، حتى يدركون كيفية الاستفادة من
مميزات هذه التقنيات وتلافي تهديداتها، ويتحقق ذلك عبر شراكة بين الحكومة والقطاع
الخاص والمجتمع المدني.^(٤١)

(٣٧) كرار فرحان هاني الطائي: أثر "الانترنت العميق" في أمن الدول، مجلة الدراسات الإستراتيجية والعسكرية،

المركز الديمقراطي العربي ، ألمانيا - برلين، المجلد الثاني - العدد الثامن - سبتمبر ٢٠٢٠، ص ٧٤.

(٣٨) مقدمة في الامن السيبراني : ترجمة اسامة حسام الدين ، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية ، اكااديمية
سيسكو ٢٠١٧، ص ٢٠.

(٣٩) إرشادات الإسكوا للتشريعات السيبرانية: مشروع تنسيق التشريعات السيبرانية لتحفيز مجتمع المعرفة في
المنطقة العربية، بيروت، ٢٠١٢، ص أ .

(٤٠) منى الأشقر جبور، الأمن السيبراني: التحديات ومستلزمات المواجهة، ص ١٨.

(٤١) إيهاب خليفة: اليوم الأسود: أساليب الاستعداد لتطور الهجمات السيبرانية ، دورية اجاهات الاحداث ، مركز
المستقبل للابحاث والدراساتالمتقدمة ، أبوظبي، العدد ٢١، مايو - يونيو ٢٠١٧، ص ٤٥.

إن الردع السيبراني صعب التنفيذ، كما أن هناك العديد من العوامل التي يجب أن تحدث لضمان تحقيق النتائج المرجوة منها. ويتطلب الردع السيبراني طرق واساليب جديدة ، واعادة تكيف مفاهيم الردع التقليدية لتناسب مع هذا المجال الجديد، فلا يمكن معرفة الهدف من الهجمات دون معرفة من شنّها ودون معرفة الخصم وهدفه، ، لا يمكن للردع أن ينجح وسرقة المعلومات قد تتكرر مستقبلا، من هذه المتطلبات : الردع السلبي، الاحتجاجات الدبلوماسية، التدابير القانونية، العقوبات الاقتصادية، الانتقام في الفضاء الافتراضي، الانتقام العسكري.(٤٢)

تتعدد الأساليب و الطرق الإستباقية والتي بدورها تساهم في التصدي للهجمات السيبرانية، وتتمثل في صنفين اساسيين هما.(٤٣)

أولاً: الاستراتيجيات الهجومية: وهي تلك الطرق التي يتم استخدامها ضد اطراف معينة قد تشكل خطر مستقبلي على بيانيتها، وتعتمد بالاساس على عملية اطلاق نوع من الهجمات السيبرانية ، ولعل أشهرها مايسمى بحصان طروادة التي تعتمد على حزمة الفيروسات الخفية التي تهاجم الخصم بشكل فجائي وطريقة الابواب الخلفية المعتمدة على استغلال ثغرات نظام العدو واستراتيجية حجب الخدمة ، وتهدف كلها شل طرف معين او زعزعة قدراته الهجومية .

ثانياً: الإستراتيجية الدفاعية: وتتمثل في مجموعة الاجراءات الدفاعية التي تتمثل في تطوير الذات وتقوية القدرات لمواجهة الاخطار الممكنة ، وتتركز أغلبها في تجهيز مجموعة من الانظمة ذات ابعاد مختلفة تتمثل في:

- ١- البعد العسكري: وهي عملية الحماية الامنية للمعلومات من خلال بلورة انظمة الدفاع السيبراني ، وغالبا ما تكون هذه الانظمة والاستراتيجيات ذات مستوى عالي من السرية.
- ٢- البعد الاجتماعي : وهي عملية تامين البيانات للأفراد وتختلف مابين اساليب الردع القانوني مثل اجراءات ردعية لمعاقبة المخترقين للحسابات الشخصية وسرقة الملكية المعلوماتية وغيرها والردع المعلوماتي المتمثل في انشاء انظمة الحماية ونشر التوعية الاجتماعية حول الاستخدام الامن.
- ٣- البعد السياسي: وهو امتلاك الدولة الحق في حماية نظامها السياسي ومصالحها ومصالح مواطنيها ، وذلك من خلال اعتماد استراتيجيات داخلية متمثلة في اجراءات محلية او خارجية من خلال العمل على التوافق الدولي لحماية الامن السيبراني.

(٤٢) نورة شلوش، القرصنة الالكترونية في الفضاء السيبراني التهديد المتصاعد لامن الدول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢ .

(٤٣) سامي محمد بو نيف: دور الاستراتيجيات الاستباقية في مواجهة الهجمات السيبرانية _الردع السيبراني انموذجا، المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية ، معهد العلوم القانونية والادارية ، المركز الجامعي احمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت ، الجزائر ، العدد(٧)، ٢٠١٩، ص ١٢٧_١٢٨.

ان الحديث عن الردع السيبراني بات أكثر مرونة، وباقتراباتٍ مختلفة، وتلك المرونة يمكن تداولها بطريقتين مختلفتين.^(٤٤)

الأولى: الأنظمة البديلة: إن اعتماد دولة ما على نظام واحد، وتم اختراقه، سيسفر عن عواقب وخيمة؛ وبخاصة إذا تعلق هذا النظام بالبنية التحتية الرئيسية للدولة. لذلك، يمكن للدول خلق أنظمة بديلة لتكون في حوزة الدولة نفسها أو الدول الصديقة. وفي حالة حدوث هجوم سيبراني، يمكن الاستعانة بتلك الأنظمة البديلة أو الاحتياطية.

الثانية: إعادة التأسيس: فإذا أمكن للدولة التغلب على الهجوم الذي تعرضت له بسرعة، وإعادة تشغيل النظام، ستكون الآثار هامشية. ولكن الطريقة الوحيدة لتجنب الهجوم هي الاحتجاب عن الجميع، ورغم كونه السبيل الأفضل للردع، إلا أنه يكتنفه مسائل قانونية عدة.

من هنا تأتي أهمية تعاون كافة الفاعلين لترسيخ ثقافة عالمية امن الفضاء الالكتروني ، وأهمية الموازنة بين اعتبارات الامن وحرية استخدام الفضاء الالكتروني، والاحتكار العالمي للتكنولوجيا والعمل على انتقالها في دول العالم، ومن ثم فإن التعامل مع النمط الجديد من التهديدات يتطلب تعاوناً دولياً.^(٤٥)

فضلا عن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة ٢٣٩/٥٧ في ديسمبر ٢٠٠٢ بشأن ارساء ثقافة عالمية لأمن الفضاء الالكتروني ، و٧٢/٥٥ في ديسمبر ٢٠٠٠ و١٢١/٥٦ في ١٩ ديسمبر ٢٠٠٢ ، والدورة ١٩٩٩/٥٨ في ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٣^(٤٦)، كما كان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإرساء ثقافة عالمية للأمن الإلكتروني من القرارات الهامة التي استهدفت العمل على حماية البنية التحتية الحيوية للمعلومات وحث وتفعيل دور المنظمات الدولية ذات الصلة، ودعوة الدول إلى وضع استراتيجيات لتقليل حجم التعرض للآخطار التي تشكل تهديدا للبنية التحتية الحيوية للمعلومات، واتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في الدورة ٢٥٨/٥٦ في ٣١/يناير ٢٠٠٢ قرارا يدعو الى استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات من اجل التنمية.^(٤٧)

فالهجمات السيبرانية او الإلكترونية أصبحت خطراً يؤثر على أمن الدول، ولذلك بدأت تلقى اهتماماً متصاعداً على صعيد الأمن الدولي، في محاولة لمواجهة تصاعد التهديدات الإلكترونية ودورها في التأثير على الطابع السلمي للفضاء الإلكتروني.

^(٤٤) رعدة البهي: الردع السيبراني: المفهوم والإشكاليات والمتطلبات، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٦٠ _ ٦١

^(٤٥) دنيا جواد مطلق، احمد عبد الجبار عبد الله : انعكاسات تطور القوة المعلوماتية الامريكية في البيئة الداخلية، مجلة حموراب للدراسات ، مركز حمورابي ، بغداد ، العدد ٣٥ السنة الثامنة ، ٢٠٢٠، ص ١٦١.

^(٤٦) رائد العدوان: المعالجة الدولية لقضايا الإرهاب الإلكتروني، (دورة تدريبية تحت عنوان (توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في مكافحة الإرهاب، ٢٣_٢٧/٢٠١٣، الرياض ، ٢٠١٣) ، ص ٩.

^(٤٧) المصدر نفسه، ص ص ٩-١٠.

الخاتمة

من خلال ما تقدم يمكن القول ان الامن السيبراني بات من المفاهيم الرئيسية التي تتطلب البحث والدراسة فيها كثيراً من قبل المختصين والاكاديمين، فتهديدات الامن البشري لم تعد تنشأ من الادوات التقليدية كالصراع المسلح والقتال والحروب، ولكن ايضاً من خلال التهديدات والمخاطر السيبرانية والاختراقات الالكترونية في ظل العالم الرقمي.

إن الأمن السيبراني هو بُعد جديد ضمن أبعاد الأمن القومي، أحدث تغييرات جوهرية في مفاهيم العلاقات الدولية كالصراع والقوة والتهديد، حيث حتم على فواعل المجتمع الدولي الانتقال من عالم مادي إلى عالم افتراضي في غاية التعقيد والتشابك، وبالتالي أصبح مفهوم الأمن السيبراني ضرورة حتمية في عالم اليوم، خاصة في ظل ارتباط كافة التفاعلات الدولية بالجانب الرقمي والتكنولوجي، الأمر الذي يستدعي على الدول ضرورة إيجاد وسائل فعالة لمواجهة المخاطر والتهديدات السيبرانية التي تتميز بالسرعة والغموض والدقة، ومن ثمة تحقيق الأمن السيبراني والحفاظ على مكاسب الدولة وأمنها القومي.

ان استنتاجات وتوصيات البحث هي الغاية التي من أجلها قمنا بدراسة الموضوع وإجراء البحث وهذه مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات:

اولاً: الاستنتاجات:

- ١- يعد الامن الركيزة الاساسية لاستقرار الدولة، اذ يعد الأهم على الاطلاق بين مجمل المتغيرات التي تتصل بكيان الدول، ومدى قدرتها على الاستمرار والبقاء.
- ٢- الهجمات السيبرانية: يمكن تعريفها بكونها "فعلاً يقوّض من قدرات ووظائف شبكة الكمبيوتر لغرض قومي أو سياسي، من خلال استغلال نقطة ضعف معينة تُمكن المهاجم من التلاعب بالنظام.
- ٣- الفضاء السيبراني يطرح العديد من التحديات على مستويات مختلفة داخل الدولة وبالتالي لا بد ان تكون هناك استراتيجيات المواجهة.
- ٤- وتعمل هذه الاستراتيجيات على تغطية المجالات التالية: وجود الحكومة الفعالة، الاطار التشريعي، ثقافة الامن السيبراني وبناء القدرات، الاستعداد لحوادث الهجمات السيبرانية، التعاون الدولي.

ثانياً: التوصيات:

- ١- إعادة النظر بمفهوم الأمن السيبراني، اذ ينبغي أن يأخذ بنظر الاعتبار التطورات السريعة التي يشهدها العالم، خاصة في مجال الاتصالات والمعلومات.
- ٢- زيادة التعاون بين الدول للقضاء على المخاطر والجرائم والتهديدات السيبرانية، وذلك لما تختص به تلك الجريمة من خاصية اللاحدودية حيث لا تستطيع دولة بمفردها مهما بلغ تقدمها ان تحمي نفسها من تلك الهجمات السيبرانية دون التعاون مع دول العالم الأخرى.
- ٣- التطوير المستمر لبرامج الحماية داخل أجهزة الحاسبات الآلية للمؤسسات الحكومية والاقتصادية داخل الدول بشكل يصعب معه اختراقه من أي مجرم سيبراني.

- ٤- وضع قانون دولي موحد لمكافحة الجرائم السيبرانية، وتشريع قوانين حاکمة للفضاء السيبراني، وإيجاد طريقة مناسبة لتطبيقها، عن طريق الاستعانة بخبراء في هذا التخصص.
- ٥- تدريب أفراد الأمن القائمون على مكافحة الجريمة السيبرانية بشكل مستمر يتواءم ويتزامن مع التطور التكنولوجي الذي قد تكون عليه الهجمات السيبرانية.

الجرائم السيبرانية

أ.م.د. بدرية صالح عبد الله/ مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية

المقدمة

يعد الأمن ركيزة أساسية للدول وأساس أي تقدم على المستوى الداخلي والخارجي للدولة لانه يعد قدرة الدولة على حماية أراضيها ومواردها ومصالحها من التهديدات الخارجية والداخلية فضلا عن ذلك هو تعبير عن مجموعة سياسات تتخذ لضمان سلامة الدولة والدفاع عن مكتسباتها في مواجهة الأعداء في الداخل والخارج , وفي العقود الأخيرة اتسع مفهوم الأمن ليشمل مجموعة من الإجراءات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

ومع بروز ثورة المعلومات (الأمن السيبراني) او (امن المعلومات) والذي يمكن تعريفه بأنه : (حزمة من عمليات وإجراءات تتوخى تأمين وحماية الشبكات وأجهزة الكمبيوتر والبرامج والبيانات من الهجوم أو التلف أو السرقة أو التعطيل والعرقلة) كمتغير جديد على الدولة الوطنية وأمنها حيث بدأت منذ عام ٢٠٠٦ انتشار الجرائم السيبرانية في العراق والتي تمثلت ب(الغش عبر الانترنت , غسيل الأموال , تزايد مواقع القرصنة والتجارة السيبرانية الغير المشروعة و التطفل على الشبكات , و الاختطاف و التهديد و الاختراق المعلومات الشخصية و المخدرات و الاحتيال , ومن ابرز هذه التقنيات الحديثة هي الجاسوسية الحاسوبية والاحتيال المصرفي والصيد الاحتيالي للمعلومات و الذكاء الاصطناعي) مما ادى الى ان يصبح الأمن السيبراني ركيزة من ركائز التنمية المستدامة وهو بذلك يشكل قيمة مضافة إلى الأمن الوطني لكل دولة ومنها دولة العراق .

أصبحت العديد من الدول تتصارع في سبيل الحصول على مستويات أعلى من تعزيز القدرات في مجال الدفاع والهجوم وذلك من خلال تبني استراتيجيات وطنية للأمن السيبراني ولم يرتبط ذلك بالعمل على تحقيق الأهداف الأمنية والسياسية فقط بل العمل على حفظ فرص النمو الاقتصادي في ضل ترابط العلاقات بين الأمن والاقتصاد في العصر الرقمي وانعكس ذلك على الثقة في الإجراءات السياسية المتبعة .

وفي هذا البحث سنتناول موضوع تداعيات الأمن السيبراني على الأمن الوطني العراقي. **أهمية البحث :** تكمن أهمية البحث في تركيزه على الأمن السيبراني الذي ظهر مع قيام الثورة المعلوماتية وتطورها وهو يستهدف أنظمة المعلومات وعلاقتها بالأمن الوطني العراقي التي تتطلب الحل على المستوى الوطني وضرورة التنسيق والتعاون الدولي .

إشكالية البحث : تتركز إشكالية البحث حول ما هو الأمن السيبراني وما الخطر الذي يشكله على الأمن الوطني العراقي وما هو الإرهاب الالكتروني والجرائم الالكترونية والتوطين الإرهابي للفضاء السيبراني ويحاول البحث تناول المفردات التالية : (ما هو الفضاء السيبراني , ما هو

الإرهاب السيبراني , ما هي طبيعة الهجمات السيبرانية وما هي خطورتها , ما هي الجهود الوطنية والدولية لمكافحة الإرهاب السيبراني (.

فرضية البحث : للأمن السيبراني تأثير واضح وكبير على الواقع الأمني في العراق وذلك لعجز الحكومة ومؤسسات الدولة في العراق عن مواكبة التلّطورات التكنولوجية والإعلامية والجريمة الالكترونية أصبح العراق من الدول المخترقة وتأثر الأمن الدولي العراقي بشكل كبير بالأمن السيبراني .

منهجية البحث : لدراسة ظاهرة الأمن السيبراني و تأثيره على الأمن الوطني العراقي اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي , وجاء تقسيم البحث كالآتي :

المبحث الأول : الأمن السيبراني وإطار مفاهيمي .

المبحث الثاني : علاقة الأمن السيبراني بالأمن الوطني .

المبحث الثالث : وسائل تعزيز الأمن السيبراني العراقي .

المبحث الاول : الامن السيبراني اطار مفاهيمي

مفهوم السيبرانية وهي كلمة تطلق (سيبر cyber) على اي شيء مرتبط بثقافة الحواسيب او تقنية الواقع الافتراضي فالسيبرانية تعني (فضاء الانترنت) ويعد الفضاء الالكتروني هو السمة التي تتميز بها الحياة العصرية والمكون الاساس للبنية التحتية لمؤسسات الدولة المختلفة او القطاعين العام والخاص .

واصبح وسيلة للتعبير عن الحرية والتجمع والخصوصية الفردية والتدفق الحر للمعلومات والاتصالات الالكترونية ومعالجة البيانات ذات الطابع الشخصي والجرائم والمعاملات والتوافيق والاثبات والتجارة الالكترونية وحماية المستهلك وحقوق الملكية الفردية في المجال المعلوماتي السيبراني ^١ , وكما اختصر الفضاء الالكتروني حاجز المكان والزمان وخلق مساحات للتفاعلات الداخلية والخارجية في الواقع الافتراضي بين الفاعلين الدوليين سواء كانوا دول او غير دول نتيجة امتلاكه صفات عدة منها ساحة صراع افتراضية بين الدول , زيادة الاعتماد الالكتروني واصبحت الدول الحديثة ترتبط بنياتها التحتية بشبكة المعلومات الدولية , وجود تأثير شبكي متزايد داخل الدول وحارجها , صعوبة الردع الالكتروني , غياب الشفافية الدولية من حيث عدم القدرة على معرفة هوية المهاجمين على الامن القومي ^٢ , فما هو تعريف الفضاء السيبراني ؟ .

^١ ايمان الحباري , ما هو الامن السيبراني وماهي معايير وما اهميته , مقال منشور عبر الانترنت :

(<https://www.mah6at.net9-3-2019>)

^٢ عادل عبد الصادق , انماط الحرب السيبرانية وتداعياتها على الامن العالمي , مجلة السياسية الدولية , العدد (٢٠٨) , ابريل ,

٢٠١٧ , ص ٣١ - ٣٢ .

وصف الاتحاد الدولي للاتصالات الفضاء السبيرياني بالمجال المادي والغير المادي والذي يتكون وينتج عن عناصر هي (اجهزة الكمبيوتر , الشبكات , البرمجيات , حوسبة المعلومات , المحتوى معطيات النقل والتحكم) اذا الفضاء بيئة تفاعلية حديثة تشمل عناصر مادية وغير مادية كما عرف الفضاء السبيرياني بانه (المدى المفتوح المشترك لجميع الافراد في المجتمعات الذين لهم القدرة على الدخول لشبكة الانترنت والتي تتيح لهم الحصول على المعلومات واجراء مناقشات مع الآخرين وحرية التعبير عن الرأي دون التقييد باللقاء المباشر او الزمان او المكان) ويشكل الفضاء السبيرياني من ثلاث طبقات هي ^٣ :

١ - الطبقة المادية : وهي الجهاز الحاسوب , ٢ - الطبقة المنطقية : وهي مجموعة البرمجيات , ٣ - الطبقة الدلالية والاعلامية والبعد الاجتماعي للمستخدمين .

كما يضم الفضاء السبيرياني الفواعل الدولية والفواعل الغير دولانية , وتضم الافراد والمنظمات الغير الحكومية ^٤ , او المجموعات الافتراضية , اسهم الفضاء الالكتروني في وجود اشكال جديدة من العدوان غير التقليدي على مواطنين الدولة ومؤسساتها اصاب الدولة بالعجز عن توفير الامن على المستوى الداخلي المتمثل بحفظ وسلامة الافراد وممتلكاتهم واموالهم ومهمة الدفاع وقدرتها على تحديد مصدر الهجمات او الاخطاء وعدم القدرة على اتخاذ رد فعل سريع بسبب عجز الاطر القانونية التي تتبناها المتمثلة في الاجراءات القانونية يتضمنها القانون الدولي او القانون الجنائي ويوضح الفضاء الالكتروني ايضا في حروب الجيل الرابع ويهدف الى زعزعة استقرار الشعوب وانهاك ارادة الدول المستهدفة بنشر الفوضى فيها وذلك من خلال عدة طرق منها العمل على ضرب اجهزة القوى لدى الدولة واجهزة الشرطة والجيش , ضرب المؤسسات الداخلية فلا يتم الفصل في هذه الطريقة بين السلطة والنظام السياسي وبين الدولة , و العمل على تأجيج الصراع واستخدام العنف ضد المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته وطوائفه وتأجيج مشاعر التمرد والعصيان ورفض الواقع وتتم مواجهة حروب المعلومات من خلال استراتيجية تتضمن شقين الاول دفاعي يحمي انظمة الدولة والاخر هجومي يوجه ضد انظمة الدولة المعادية ويعتمد على العمليات النفسية والاستخبارات ومهاجمة الوسائط والهكرز واعمال لتجسس وزرع العملاء وهو ما ينتهي الى خلق مناخ عدائي بين الاطراف المتصارعة يؤثر في المؤسسات الداخلية وتماسك النسيج الوطني للشعوب ^٥ .

كما يحدد جوزيف ناي ثلاث انواع من الفاعلين الذين يمتلكون القوة السبيريانية هي :

^٣ سماح عبد الصبور , الصراع السبيرياني , طبيعة المفهوم وملامح الفاعلين , مجلة السياسة الدولية , العدد (٢٠٨) , ابريل , ٢٠١٧ , ص ٦ .

^٤ اسماعيل رزوقة , الفضاء السبيرياني والتحول في مفاهيم القوة والصراع , مجلة العلوم القانونية والسياسية المجلد (١٠) , العدد (١) , ٢٠١٩ , ص ١٩ - ١ .

١ - الدول والتي لديها القدرة الكبيرة على تنفيذ هجمات سيبرانية وتطوير البنية التحتية وممارسة السلطات داخل حدودها .

٢ - الفاعلون من غير الدول يستخدم هؤلاء الفاعلون القوة السيبرانية لاغراض هجومية بالاساس الا ان قدرتهم على تنفيذ اي هجوم سيبراني مؤثر تتطلب مشاركة ومساعدة اجهزة استخباراتية متطورة ولكن يمكنكم اختراق المةقاع الالكترونية واستهداف الانظمة الدفاعية.

٣ - الافراد الذين يمتلكون معرفة تكنولوجية عالية القدرة على توظيفها وعادة ما تكون هناك صعوبة بالكشف على هوياتهم ومن الصعب ملاحقتهم.

اما الفاعلين من غير الدول هي :

١ - الشركات متعددة الجنسيات.

٢ - المنظمات الاجرامية التي تقوم بها لعمليات القرصنة السيبرانية.

٣ - الجماعات الارهابية.

٤ - الافراد ^٦ .

وفيما يتعلق بمفهوم الامن يذكر الباحث السياسي (باري لوزان) العمل على التحرر من تهديد وفي سياق النظام الدولي فهو قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعدها معادية في سعيها للامن ^٧ , واساس الامن هو البقاء لكنه يحتوي على جملة من الاهتمامات الجوهرية حول شروط الوجود ولايهني العمل عل التحرر من التهديدات وان الامن يكون شيا ولا يتمكن ان يكون مطلق كما يعرف الامن السيبراني : (هو مجموعة من الاجراءات التقنية والادارية تشمل العمليات والاليات التي يتم اتخاذها لمنع اي تدخل غير مقصود او غير مصرح به بالتجسس او الاختراق للاستخدام او سوء الاستغلال للمعلومات والبيانات الالكترونية الموجودة على نظم الاتصالات والمعلومات كما تضمن تامين وحماية وسرية وخصوصية البيانات الشخصية للمواطنين كما تشمل استمرارية

^٥ عادل صادق , استخدامات الفضاء الالكتروني في منضور التداخل الخارجي , مجلة السياسة الدولية , القاهرة , العدد (٢١٠) , اكتوبر , ٢٠١٧ , ص ٢٦ - ٢٨ .

^٦ اسراء شريف جيجان , الامن السيبراني الصيني : دراسة في الدوافع والتحديات , مجلة قضايا سياسية , لكلية العلوم السياسية , جامعة النهريين , العدد (٦٥) , نيسان , ٢٠٠١ , ص ٣٨ . وللمزيد انظر : احمد زكي عثمان , تأكيدات القدرات السيبرانية في الصراعات الاقليمية , مجلة السياسات الدولية , العدد (٢٠٨) , ابريل , ٢٠١٧ , ص ١٩ .

^٧ عبد النور بن عنتر , تطور مفهوم الامن في العلاقات الدولية , مجلة السياسة الدولية , المجلد (٤٠) , العدد (٦٠) , القاهرة , مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام , ابريل , ٢٠٠٥ , ص ٥٩ .

عمل حماية معدات الحاسب الالى ونظم المعلومات والاتصالات والخدمات من اي تغيير
او تلف) .

ويمكن اهمال العناصر التي يتأسس عليها مفهوم الامن الوطني في مجموعة المتغيرات
متراصة ومتشابكة ومتزامنة ابرزها القوة التي لم تعد ترتبط بالعوامل العسكرية بل تعداه الى
السياسة والتكنولوجيا والتعليم والنمو الاقتصادي و الاعلام الهادف البناء ^٨ , كما يعرف الامن
القومي او الوطني : (هو تامين سلامة الدولة ضد اخطار داخلية او خارجية قد تؤدي بها الى
الوقوع تحت سيطرة اجنبية نتيجة ضغوط خارجية او انهيار داخلي) ^٩ .

وتأتي اهمية الامن السيبراني في انه يقوم بتامين المعلومات الحساسة البالغة الاهمية للدول
والافراد على حد سواء والمعرضة للخطر والاختراق والاستيلاء كي تحافظ على الامن الوطني
وحفظ وحماية السرية والخصوصية للبيانات الشخصية للمواطنين , ومن اهداف الامن
السيبراني :

١ - تعزيز حماية انظمة التقنيات التشغيلية على كافة الاصعدة ومكوناتها من اجهزة
وبرمجيات.

٢ - التصدي لهجمات امن المعلومات التي تستهدف الاجهزة الحكومية.

٣ - توفير بيئة امنة موثوقة للتعاملات في مجتمع المعلومات .

٤ - صمود البنى التحتية الحساسة للهجمات الالكترونية .

٥ - التخلص من نقاط الضعف في انظمة الحاسب الالى والاجهزة المحولة باختلاف انواعها .

٦ - سد الثغرات في انظمة امن المعلومات .

٧ - مقاومة البرمجيات الخبيثة وما تستهدفه من احداث اضرار بالغة للمستخدمين .

٨ - الحد من التجسس والتخريب الالكتروني على مستوى الحكومة والافراد .

وللامن السيبراني ابعاد عديدة منها ^{١٠} :

^٨ عبد المنعم المشاط , الامن القومي المصري عقب ثورة ٣٠ يونيو , مجلة السياسة الدولية , العدد (١٩٦) , ايار , ٢٩١٤ ,

^٩ عبد الوهاب الكيالي , موسوعة السياسة , جزء (١) , بيروت , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , ١٩٩٩ , ص ٣٣١ .

^{١٠} اللجنة الاقتصادية لغربي اسيا الاسكوا , الامان في الفضاء السيبراني ومكافحة الجرائم السيبرانية في المنطقة الغربية , توصيات
سياسية , الامم المتحدة , ٩ / شباط / ٢٠١٥ , ص ٧٢ .

١- **البعد العسكري** : تنشأ أهمية الامن السيبراني في هذا البعد من خطورة الهجمات السيبرانية وبالاختراقات والتي تؤدي الى تنشآت الحروب والصراع المسلح واختراقات انظمة المنشأة النووية وما قد يحدث عنها من تهديدات لامن الدول والحكومات ويؤدي الى كوارث .

٢- **البعد السياسي** : يقوم البعد السياسي للامن السيبراني على اساس حماية نظام الدولة السياسية وكيانها حيث يمكن ان تستخدم التقنيات في بث المعلومات والبيانات قد يحدث من خلالها زعزعه الاستقرار امن الدول والحكومات حيث تصل بسرعة فائقة الى اكبر شرائح من المواطنين بغض النظر عن صحة معلومات وبيانات التي يتم نشرها .

٣ - **البعد الاقتصادي** : يرتبط الامن السيبراني ارتباط وثيق بالحفاظ على المصالح الاقتصادية لكل الدول والترابط الوثيق بين الاقتصاد والمعرفة فاعلم الدول تعتمد في تعزيز اقتصادها وازدهاره على انتاج وتداول المعرفة والمعلومات على المستويات ومايرر الدور الخطير للامن السيبراني في حماية الاقتصاد من السرقة والملكية الفكرية .

٤ - **البعد القانوني** : ترتبط الانشطة المختلفة التي تقوم بها الافراد والمؤسسات والقوانين ومن ظهور المجتمع لمعلومات ظهرت القوانين الجديدة التي تعد البيئة التنظيمية التشريعية المنظمة لحماية هذا المجتمع .

٥ - **البعد الاجتماعي** : ان اهمية الامن السيبراني لحماية وصيانة القيم الجوهرية في المجتمع كالانتماء والمعتقدات الديانة والتقاليد بضرورة تعاون افراد المجتمع لتحقيقه للحد من المخاطر الهجمات والجرائم السيبرانية التي مما لا شك فيه تطول المجتمع ككل وتهدد امنه واستقراره على هدم القيم وضياح الهوية الثقافية .

وللامن مستويات منها الامن القومي ويعرف بانه مفهوم شامل يتعلق بالدولة كافة بالابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويذهب الى ان مجموعة التهديدات الموجهة ضد الدولة لا تنشئ من مصادر خارجية فحسب وانما من مصادر داخلية عابرة عالاغلب لحدود الدولة وبقع مجموعة بدائل غير العسكرية ذات التأثير الشامل مثل (الشرعية السياسية , التعايش الديني والقومي , القدرات الاقتصادية , توفر الموارد الاولى)

الارهاب السيبراني :

هو الهجوم ذي الدوافع السياسية او التهديد بالهجوم على اجهزة الكمبيوتر او الشبكات او انظمة المعلومات من اجل تدمير البنية التحتية وترهيب الحكومة او المواطنين واجبارهم على تحقيق اهداف سياسية واجتماعية بعيدة المدى بمعنى اوسع بان الارهاب السيبراني يعني استخدام الانترنت للتواصل والدعاية والتضليل من قبل المنظمات الارهابية , والارهاب السيبراني هو جزء من جهد منظم لاهابيين سيبرانيين او وكالات ومخابرات اجنبية او اي جماعات تسعى لاستغلال ثغرات أمنية محتملة في الانظمة المعلوماتية الحيوية والارهابي السيبراني هو

الشخص الذي يدفع حكومة او منظمة او جهة لتلبية أهداف سياسية من خلال إطلاق هجوم إلكتروني على أنظمة الحواسيب ونضم تشغيلها مما يؤدي الى انهيار النظام^{١١}.

الصراع السيبراني :

انه مصطلح أكثر ملائمة لانه يؤكد على وجود تكنولوجيا إلكترونية في كل مجال من مجالات النشاط بما في ذلك النزاع ويعد الصراع الإلكتروني احد اوجه الصراع الدولي اذ يستطيع احد اطراف الصراع ان يوقع خسائر فادحة للطرف الاخر وان يتسبب في فشل البنية التحتية المعلوماتية والاتصالية الخاصة به وهو ما يسبب خسائر عسكرية واقتصادية فادحة من خلال قطع انظمة الاتصال بين الوحدات العسكرية بعضها ببعض او تظليل معلوماتها او سرقة معلومات سرية عنها^{١٢} , اما الجريمة السيبرانية وهي نشاط غير مشروع موجه الى نسخ او تغيير او حذف او الوصول الى المعلومات المخزنة داخل الحاسوب او التي تنقل عن طريقه كما تعرف بانها سلوك غير مشروع بما يتعلق بالمعالجة الآلية للبيانات او نقل هذه البيانات .

ومن انواع الجرائم السيبرانية :

- ١- جرائم التعدي على البيانات المعلوماتية وتشمل جرائم الولوج التي يكون موضوعها البيانات المعلوماتية هي كل ما يمكن تخزينه ومعالجته ونقله بواسطة الحاسب الآلي كالارقام والحروف والرموز وما اليها .
- ٢- جرائم التعدي على الانظمة المعلوماتية وتشمل جرائم الولوج غير المشروع الى النظام المعلوماتي في مجموعة البرامج وادوات متعددة لمعالجة وادارة البيانات والمعلومات^{١٣}.
- ٣- اساءة استعمال الاجهزة او البرامج المعلوماتية وتتضمن هذه الجرائم لكل من قدم او انتج او وزع او حاز لغرض استخدام الجهاز او برنامج المعلوماتية او اي بيانات معلوماتية معدة او كلمات سرا او كودات دخول وذلك بغرض اختراق من الجرائم المنصوص عليها مسبقا ويتضمن البرنامج المعلوماتي مجموعة من الاوامر والتعليمات والاوامر القابلة للتنفيذ باستخدام الحاسب الآلي ومعدل انجاز مهمة ما^{١٤}.
- ٤- الجرائم الواقعة على الاموال :منها جرائم الاحتيال والغش بوسيلة معلوماتية .
- ٥- جرائم الاستغلال الجنسي للقاصرات :وتشمل الرسومات والصور والافلام والكتابات .

^{١١} احمد الرشيد , إشكاليات التطور الجدل الدولي على مفهوم الإرهاب , مجلة السياسة الدولية , العدد (٢٤٠) , ابريل , ٢٠١٦ , ص ١١٠ .

^{١٢} عبير سلمان , التكنولوجيا في عالم الارهاب : سلاح ذات اوجه متعددة , مجلة السياسة الدولية , العدد (٢٢٧) , يناير , ٢٠٢٢ , ص ٢٣٩ .

^{١٣} رشا عادل لطفي , جرائم الاتصال عبر الانترنت وضبط اخلاقياته في ضوء الاتجاهات البحثية الحديثة , رؤية تحليلية ومقدية , مجلة البحوث الاعلامية , جامعة الازهر , كلية الاعلام , العدد الثامن والخمسون , الجزء ٢ , يوليو , ٢٠٢١ , ص ٥٦٥ .

^{١٤} فاطمة الزهراء عبد الفتاح , تطور توظيف جماعات العنف ل(الارهاب السيبراني) , مجلة السياسة الدولية , العدد (٢٠٨) , ص ٢٦ .

- ٦- جرائم التعدي على الملكية الفردية للأعمال الرقمية وتشمل جرائم وضع اسم مختلس على عمل وجرم تقليد وامضاء المؤلف او ختمه وجرم تقليد عمل رقم او قرصنه البرمجيات وجرم بيع او عرض عمل مقلد او وضعه في التداول .
 - ٧- جرائم البطاقات المصرفية و النقود الالكترونية وتشمل اعمال تقليد بطاقات مصرفية بصورة غير مشروعة عن قصد لما لذلك من اخلال بالاقتصاد الوطني وتأثيره السلبي على العمليات المصرفية .
 - ٨- الجرائم التي تمس المعلومات الشخصية تتضمن الافعال الجرمية التي تتعلق بمعالجة البيانات ذات الطابع الشخصي دون حيازه تصريح او ترخيص مسبق يتيح القيام بالمعالجة .
 - ٩- جرائم العنصرية وجرائم ضد الانسانية : بوسائل معلوماتية جرم تنشر وتوزيع المعلومات العنصرية بوسائل معلوماتية وتهديد اشخاص وتعدي عليهم بسبب انتمائهم العرقي او المذهبي والتحريض على ارتكاب جرائم ضد الانسانية.
 - ١٠- جرائم المغامرة وترويج المواد المحذرة بوسائل معلوماتية عبر الانترنت : وجرم تسهيل وتشجيع شروع مغامرة وجرم ترويج الكحول للقاصرين وجرم ترويج المواد المخدرة .
 - ١١- الجرائم المعلوماتية ضد الدولة والسلامة العامة : تتضمن الافعال الجرمية الناشئة عن المعلوماتية التي تطل الدولة وسلامتها وامنها واستقرارها ونظامها القانوني وهي جرائم تعطل الاعمال الحكومية او اعمال السلطة العامة باستعمال وسيلة معلوماتية والعبث بالادلة القضائية المعلوماتية او اتلافها او اخفائها او الاعمال الارهابية التي ترتكب باستخدام شبكة الانترنت .
 - ١٢- جرائم تشفير معلومات : وتشمل افعاله تسويق او توزيع او تصدير او استيراد وسائل تشفير بالاضافة الى افعال تقديم وسائل تشفير تؤمن بالسرية دون حيازه تصريح او ترخيص من قبل المراجع الرسمية المختصة في الدولة^{١٥} , ومن مخاطر الجرائم السيبرانية التي فيها المساس بالاقتصاد والامن الوطني وتهديدة والمساس بالعلاقات الاسرية وتشكيل الخلافات بين افراد الاسرة مما يؤدي للتفكك الاسري .
- اما اسباب الجرائم السيبرانية هي :
- ١- الرغبة في جمع المعلومات وتعلمها.
 - ٢- الاستيلاء على المعلومات والاتجار فيها .
 - ٣- قهر النظام واثبات التفوق على تطوير وسائل التقنية.
 - ٤- الحاق الاذى بالاشخاص او جهات.
 - ٥- تحقيق ارباح ومكاسب مادية.
 - ٦- تهديد الامن القومي العسكري.

^{١٥} ثورة شلوش، القرضة الالكترونية في الفضاء السيبراني التهديد المتصاعد لامن الدول ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية ،

٢٠١٨، المجلد (٨) العدد (٢) ص ١٩١-١٩٢

ولمكافحة الجرائم ينبغي توعية الافراد باهمية الامن السيبراني وتزويدهم بالارشادات والنصائح
للازمة لاتباعها :

- ١- تدريب افرادها على التعامل مع المخاطر الالكترونية قدر الامكان .
- ٢- تدري على تفادي الاخطاء ومساعدة افرادها في الحد من المخاطر الناتجة من اختراق
اجهزة وشبكات الحاسب وترجع لعدم وعيهم بطرق واساليب الوقاية والحماية .
- ٣- اعطاء النصائح التي تساهم في تنمية الوعي بالامن السيبراني لتحقيق درجة عالية من الامان
والحماية.
- ٤- العمل على تحقيق الامن السيبراني وحفظ الحقوق المترتبة في الاستخدام المشروع للحاسبات
الالية.
- ٥- حماية المصلحة العامة والاداب والاخلاق العامة والاقتصاد الوطني .
- ٦- تقتضي الضرورة سن تشريعات يغطي كافة الثغرات القانونية في مجال وجود فضاء
سيبراني امن بالاستعانة بالارشادات الخاصة بمنظمة (الاوسكو) اي تطوير البنية التشريعية
الجناية الوطنية بدكاء تشريعي مماثل تعكس فيه الدقة الواجبة على المستوى القانوني .
- ٧- ينبغي تعديل قواعد الاجراءات الجزائية لتتلاءم مع تلك الجرائم السيبرانية وضرورة تنسيق
والتعاون الدولي امنيا واجرائيا وقضائيا في مجال مكافحتها ببيان الاحكام اللازم اتباعها حال
التفتيش على الحاسبات وعند ضبط المعلومات التي تحتويها وضبط البريد الالكتروني حتى
يستمد الدليل مشروعته.
- ٨- ضرورة تخصيص شرطه متمكنه علميا وعمليا وفنيا لمواجهة تحديات مكافحتها وذلك من
رجال الشرطه المدربين على كيفية التعامل مع اجهزة الحاسوب والانترنت وكذلك النيابة
العامة والقضاة بتعيين تدريبهم وتحديثهم في المجال السيبراني .
- ٩- اعطاء الوقت الكافي للتحقيق والملاحقة القضائية من قبل شرطة متخصصه مزودة باليات
تقنية تنظيمية .
- ١٠- ينبغي ان تتيح للسلطات القائمة بالضبط والتحقيق بضبط البريد الالكتروني وتقنيته اخرى
تفيد في اثبات الجريمة والحصول على الدليل والكشف عن الحقيقة .

الهجمات السيبرانية:

تعرف الهجمات السيبرانية على انها فعل يقوض من قدرات وظائف شبكة الكمبيوتر لغرض
قومي او سياسي من خلال استغلال نقطة ضعف ما تمكن المهاجم من التلاعب بالنظام ومن بين
الهجمات السيبرانية:

- ١- سرقة كلمات المرور للمستخدمين للتسلل في النظام مثل التخمين والخداع والبرمجيات
الخبثية والنفاد الى ملف تخزين كلمات المرور والسطو على كلمات المرور السرية والتجسس
على المستخدمين .
- ٢- هجمات رفض اداء الخدمة انكار الخدمة هجمات (ddos) تستخدم لزيادة التحميل على
الانترنت والبنية التحتية لشبكات والخدمات وهو يزج الشركات والمنظمات وهو على العكس

من التقنيات التي يستخدمها مجرموا الانترنت فهي تمنع المستخدمين الشرعيين من الوصول الى المنتجات والخدمات ويمكن ان يرتكبها فرد او جماعة^{١٦}.

ويأخذ الصراع الالكتروني طابعا تنافسيا حول الاستحواذ على سبق التقدم التكنولوجي وسرقة الاسرار الاقتصادية والعلمية الى ان يمتد ذلك الى محاولة السيطرة على الانترنت من خلال السعي للسيطرة على اسماء البطاقات وعناوين المواقع والتحكم بالمعلومات والعمل على ذاخراق الامن القومي للدول دون استخدام طائرات او متفجرات او حتى انتهاك للحدود السيادية كهجمات قرصنة الكمبيوتر وتدمير المواقع والتجسس بما يكون له تاثير على تدمير الاقتصاد والبنية التحتية بنفس القوة التي قد يسببها تفجير تقليدي مدمر بمعنى اخر ان الحرب السيبرانية تأخذ ثلاث صور رئيسية هي: ١- هجمات شبكات الحاسوب ٢- الدفاع عن شبكات الحاسوب الالي من اي اختراق خارجي عبر تأمينها من خلال اجراءات يقوم بها حراس الشبكات ٣- استطلاع لشبكات الحاسب الالي وتعني القدرة على الدخول غير المشروع والتجسس على شبكات الخصم بهدف الحصول على البيانات دون تدميرها .

واذا كان الامن القومي يعني بحماية وغياب التهديد تقيم المجتمع الاساسية وغياب الخوف من خطر تعرض هذه القيم للهجوم فان الفضاء الالكتروني قد فرض اعادة التفكير في مفهوم الامن والذي يتعلق بتلك الدرجة التي تمكن ان تصبح في مامن من خطر التعرض للهجوم العسكري والارهابي واصبح امن الفضاء الالكتروني يدخل في استراتيجيات الامن القومي للعديد من الدول من اجل الاستحواذ على مصادر القوة داخل الفضاء الالكتروني^{١٧}

كما ان عناصر القوة الالكترونية تركز على وجود نظام متماسك يعظم من قوه المتحصلة من التناغم بين القدرات التكنولوجية والسكان والاقتصاد والصناعة والقوة العسكرية واراده الدولة وغيرها من العوامل التي تسهم في دعم امكانيات الدولة على ممارسه الاكراه او الاقتناع او ممارسه التأثير السياسي على اعمال الدول الاخرى او على الحكام في العالم بغرض الوصول للاهداف الوطنية من خلال قدرات التحكم والسيطره على الفضاء الالكتروني ومن مقومات الردع السيبراني تتمثل فيه مصداقيه الدفاع القدره على الانتقام الرغبه في الانتقام وان الردع السيبراني صعب والتنفيذ كما ان هناك العديد من العوامل التي يجب ان تحدث لضمان تحقيق النتائج المرجوه منها يتطلب الردع السيبراني تطبيق طرق واساليب جديده واعاده تكييف مفاهيم الردع التقليديه لتتناسب مع هذا المجال فلا يمكن معرفه الهدف من الهجمات دون معرفه من شنّها دون معرفه الخصم وهدفه ولا يمكن للردع ان ينجح وسرقه المعلومات قد تتكرر مستقبلا ومن هذه المتطلبات الردع السلبي الاحتجاجات

^{١٦} محمد زهير عبد الكريم، الارهاب السيبراني ازمة عالمية جديدة ، مجلة قضايا سياسية ، العدد (٦٤)، لكتلية العلوم السياسية، جامعة

النهريين، ٢٠٢١

^{١٧} تغريد معين حسن المشهدي، الاثر العسكري للامن السيبراني في الجغرافيا السياسية للدولة ، مجلة البحوث الجغرافية ، العدد (٣٠) ،

جامعة الكوفة، ص ٢٤٤ - ٢٤٧

الدبلوماسية التدابير القانونية العقوبات الاقتصادية الانتقام في الفضاء الافتراضي الانتقام العسكري استراتيجيات الردع السبراني و الانظمه البديله واعاده التأسيس^{١٨}، ويشمل الامن السبراني جميع المسائل العسكريه الاقتصاديه الاجتماعيه السياسيه الانسانيه بهدف تحقيق منظومه امن متكامله تعمل على الحفاظ على الامن القومي للدوله من كل التهديدات السبرانيه وتنقسم التهديدات السبرانيه التي تواجهها الدول والافراد الى اربعه انماط رئيسيه هي هجمات الحرمان من الخدمه وهي تستخدم ضده مواقع الانترنت او البنوك او المؤسسات من اجل التأثير عليها او الدفع فديه ماليه اتلاف المعلومات او تعديلها التجسس على الشبكات تدمير المعلومات الجرائم العاديه التي تستخدم الانترنت للسرقة والغش وسرقه الهويه والاعتداء على الملكيه الفكرية وغيرها الجرائم التي تندرج في اطار الجريمة المنظمه وهي اداه اجراميه انتشرت عبر الانترنت.^{١٩}

واصبحت البرامج الخبيثه رانسوم احدى التهديدات السبرانيه المنتشره بشكل متزايد خلال السنوات الاخيره ويستهدف مرتكبوا الجرائم سبرانيه المؤسسات الكبيره التي تمتلك ملفات وانظمه كمبيوتر ذات اهميه بالغه لعملياتهم يومية مما يمكنهم من طلب مبالغ فيه اكبر ان العلاقه بين الامن السبراني والامن القومي تزداد كل ما زاد ثقل المحتوى المعلوماتي والعسكري والامني والفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والخدمي والعلمي والبحثي الى الفضاء السبراني خاصه مع التسارع في تبني الحكومات الالكترونيه المدن الذكيه في العديد من الدول ولم يقتصر اهتمام الدول بالامن السبراني على البعد التقني وحسب الابعاد اخرى ثقافيه اجتماعيه واقتصاديه وعسكريه وهو ما عمل على دعم حقيقه ان الاستخدام غير السلمي للفضاء الالكتروني يؤثر على الرخاء الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي لجميع الدول التي اصبحت تعتمد على البنيه التحتيه الكونيه للمعلومات اضافته الى ذلك تصاعد دور الفاعلين من غير الدول في العلاقات الدوليه قد اثر بدوره على سياده الدول وخاصه مع بروز دور الشركات التكنولوجيه عابره للحدود الدوليه وبروز اخطار القرصنه والجريمه السبرانيه والجماعات الارهابيه بمعنى اخر قد يتسبب توافر الامكانيات والموارد والتقنيات التكنولوجيه اللازمه لغزو الفضاء الخارجي في جعل مثل تلك السبل متاحه للفواعل الارهابيه هي الاخرى وهو امر يحمل التهديدات الامنيه خاصه مع تزايد والارتباط مصالح الفواعل في الدول من الدول وغير الدول بالفضاء الخارجي فقد ادى الافراط في التركيز على التهديدات الامنيه الناجمه عن تنافس القوى الكبرى في الفضاء الخارجي والسباق تسليح الفضاء فيما بينهم الى اقبال التركيز على التهديدات الارهابيه التي تمثلها الفواعل من غير

١٨ نوره شلوش ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠١

١٩ سيف نصره الهرمزي ، وصف المقاربات المنظورات الفاعل الرقمي والانكشاف الاستراتيجي في ظل الفضاء السبراني ، مجله

اداب الفراهيدي ، العدد ٣٧ ، اذار ٢٠١٩ ، ٤٢٧

الدول خاصة القراصنة والعصابات وطالبي الفدية والجماعات الارهابية وهو امر يستلزم
العديد من الجهود الجماعية على العديد من الاصعد لردعه ومجابهته.^{٢٠}

المبحث الثاني : علاقه الامن السيبراني بالامن الوطني العراقي

اصبحت قضيه الامن السيبراني والفضاء الالكتروني تدخل ضمن استراتيجيات الامن القومي
للعديد من الدول للحيلولة دون تعرض بنيتها التحتية الحيوية للخطر الذي ينجم جراء قطع شبكه
المعلومات الدوليه او توقف وسائل البث الاذاعي او تزوير الانتخابات او التجسس الالكتروني او
سرقه الملكية الفكرية للاختراعات او اختراع انظمه صواريخ العسكريه ادوات مهدده للامن
القومي للدول .

واعطت القوه السبرانيه دفعا رئيسياً في اتجاهين :

الاول : تدعيم القوه الناعمة للدول لان الفضاء الالكتروني السيبراني اصبح مسرحاً لشن هجمات
تخريبية ونشر المعلومات المضلله والحرب النفسيه والتاثير في الراي العام والنشاط السري
والاستخباراتي .

الثاني : تبني الدول زياده الانفاق في سياسات الدفاع الالكتروني وحمايه شبكاتها الوطنيه من
خطر التهديدات.

وتم توظيف الفضاء السيبراني من قبل الجماعات الارهابيه حيث اصبح هناك ارتباط كبير بين
مواقع شبكه الانترنت وبين انتشار المخاطر الامنيه التي تعرض لتهديد الاستقرار والامن مثل
التطرف والارهاب اذ يوفر الانترنت منبراً مهماً يظهر الارهاب بواسطته في ترويع المجتمع ,
ويتم استخدام الانترنت من قبل المجمع الارهابيه وانصارها لتحقيق عدة اهداف منها :
(الاتصال , التدريب , الجانب العملياتي , الدعايه , التجنيد , نشر الافكار) .

اضافه الى ذلك ازدادت اهميته الفاعل الرقمي بعد استخدامه من قبل التنظيمات الارهابيه
او الجماعات السياسيه التي تدعو الى العنف حتى اصبحت هذه الجماعات تتمتع بقوه كبيره
وقادره على التأثير في العلاقات الدوليه بين الدول ومن سمات الفاعل الرقمي في ظل العصر
الرقمي الجديد تطور عمليات التنصت , انتشار الطائرات بدون طيار المزوده بالكاميرات ,
انتشار ظاهره الارهاب الالكتروني.^{٢١}

ولقد كان للانترنت دور كبير في تنفيذ الارهابيين لعملياتهم الارهابيه والوصول للشباب والنشئ
والسيطره عليهم وتجنيدهم ,^{٢٢} خاصه وان الارهاب الرقمي من خصائصه لا يترك دليل مادي

٢٠ ايه بدر , ادوار الفاعلين دون الدول في الفضاء الخارجي , مجله السياسه الدوليه , العدد ٢٢٦ , اكتوبر ٢٠٢١ , المجلد ٥٦ , ص

^{٢١} عبد القادر الغازي , دور الامم المتحده في مكافحة الارهاب الدولي , السياسه الدوليه , العدد (٢١٠) اكتوبر ٢٠١٧ , ص ٥٧

^{٢٢} عبد الغفار عفيفي , لدويك , معظلة تعريف الارهاب في الفكر و الممارسة الدولتين , السياسه الدوليه , العدد (٢١٠) ,

بعد ارتكاب جرائمه وبالتالي صعوبه عمليه التعقب واكتشاف الجريمه , الى جانب ذلك سهوله اتلاف الادله .

كما يمتازون بخبرات في استخدام هذه التقنيات , يحدث في بيئه لا تحتاج الى القوه والعنف وانما جهاز حاسب الي وبرامج شبكه الانترنت^{٢٣} , وبعد العام ٢٠٠٣ شهد العراق انفتاح وتطور للمجال التقني والمعلوماتي ومنذ عام ٢٠٠٦ بدأت الجرائم السبرانيه في العراق بشكل كبير والتي تمثلت بالغش عبر الإنترنت , غسيل الاموال , تزايد مواقع القرصنه , التجاره السبرانيه غير المشروعه , التطفل على الشبكات , الاختطاف , التجسس , التهديد , الاختراق المعلومات الشخصية , تجارة المخدرات , الارهاب الالكتروني^{٢٤}.

ولقد اثر الفضاء السيبراني بشكل كبير على الامن الوطني العراقي من خلال ما تملكه الجماعات الارهابيه من وسائل تكنولوجيايه متطوره يصعب تتبع اثرها وسيطر عليها حيث استخدمت المواقع الالكترونيه والمننديات التحاوريه وما يسمى بالكيانات الالكترونيه المفتوحه وهي مواقع الكترونيه تقوم الجماعات الارهابيه من خلالها بممارسه نشاطاتها المختلفه في العراق وتشمل دعايه تجنيد نشر افكار متطرفه بواسطه الشبكه العنكبوتيه^{٢٥}.

واستهداف فئه الشباب ومختلف الاعمار وبمختلف مستوياتهم العلميه والدراسيه من خلال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي واستدراجهم من ثم تجنيدهم في التنظيم خاصه مع دخول تنظيم داعش الارهابي بعد عام ٢٠١٤ وابرز هذه التقنيات الحديثه الحاسوبنيه والاحتيال المصرفي والصيد الاحتيالي للمعلومات والذكاء الاصطناعي وفق احصائيات الجنائيه العراقيه الخاصه بالجرائم السبرانيه خلال الاعوام ٢٠٠٦ , ٢٠١١ نلاحظ حالات جرائم الانترنت في الوزارات زادت بزياده مستخدميه الانترنت في تلك الفتره ثم ارتكاب معظم جرائم السيبرانيه من قبل حاملي شهاده الثانويه بنسبه ٤,٦٣ % ثم حاملي شهاده البكالوريوس بنسبه ٨,٢٧ % والباقيين ٨,٨ % وكانت السرقة اعلى نسبه حالات جريمه السبرانيه مقارنة بالحالات الاخرى وقد شكله الشباب اعلى نسبه هذه الجرائم فمن اجمالي هذه الجرائم ارتكبها اشخاص تقل اعمارهم عن ٢٤ عام بنسبه ٨.٤٤ % ومن الذكور وفي عام ٢٠١٣ كان الجزء الرئيسي من الجرائم السبرانيه المرتكبه عبر مواقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك وتشمل الاختطاف والتهديد

^{٢٣} مجيد كامل حمزة , الاعلام الرقمي الالكتروني وسبل المواجهه اعلاميا , المجلة السياسية والدولية , كلية العلوم السياسية , جامعة المستنصرية , العدد ٣٥_٣٦ , ٢٠١٧ , ص ٧٧.

^{٢٤} احمد عدنان كاظم , العنف والتطرف في العراق مقاربات في الدوافع وسبل المواجهه , مجله العلوم السياسيه جامعه , بغداد , العدد ٦١ , ٢٠٢١ , ص ١٧٩ - ١٨٠.

^{٢٥} مروه حامد البديري ورده هاشم علي ايه احمد محمد محمود , نشات وتطور الجماعات الجهاديه في افغانستان حركه طالبان وتنظيم القاعدة وتنظيم الدوله الاسلاميه في العراق والشام نموذجا , المجله العلميه للبحوث والدراسات التجاريه , المجلد ٣٤ , العدد الاول ٢٠٢٠ , ص ٥٨.

واختراق المعلومات الشخصية وتجارة المخدرات والاحتيايل وفي الحرب والسبرانية في العراق استخدم تنظيم داعش الارهابي في العراق وسائل الاتصال الاجتماعي الحشد المؤيدين ونشر الدعاية ولجمع المعلومات الامنية عن طريق مجموعه من قراصنة الانترنت الذين يخدعون الناس بارسال رسائل تحوي شفرات وبرامج ضاره عبر وسائل التواصل الاجتماعي.^{٢٦}

وما ان يتم فتحها حتى يبدأ المهاجمون على الفور بالتحكم الكامل بالجهاز وسرقه الملفات واستخدام كاميرا الكمبيوتر والميكروفون لمراقبه ما يجري للشخص المستهدف وذكرت شركه انتل كراولر الامريكيه المختصر في مكافحه التهديدات السبرانية في عام ٢٠١٤ ان هناك جهات فاعله تتخذ من العراق مقرا لها وتشارك في انشطه غير مشروعه مختلفه في الفضاء السيبراني ويستخدم الارهاب الالكتروني الانترنت الشبكات الاجتماعيه تطبيقات الهواتف الذكية الالعب الالكتروني كوسيط تجنيد تنظيمي معلوماتي من ناحيه وكواسيط لوجستي ومالي ودعائي من ناحيه اخرى كما يشمل ايضا استخدام التقنيات الذكيه مثل الطائرات بدون طيار والطابعات الثلاثيه الابعاد والتقنيات المواقع الافتراضي في التخطيط والتنفيذ للعمليات الارهابيه.^{٢٧}

وتعمل كمرتزقه وقد زادت بشكل كبير ولديها علاقات لجامعات اخرى في كل من مصر لبنان وليبيا ايران سوريا ودور الجماعات الاسلاميه المنتشره في العديد من الدول وتأثرت منظومه الامن الوطني العراقي بالتهديدات السبرانية خاصه وان العراقي يعاني من ضعف في البنيه التحتيه والخاصه بالحمايه الالكترونيه من الهجمات السبرانية واصبح العراق مخترق ومكشوف لكثير من الدول العالم بسبب التجسس عليه للمؤسسات الامنيه ومن دون قيود رقابيه خاصه وانه لا يوجد قانون خاص في العراق لمكافحه الجرائم الالكترونيه فقد تضمنت دستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥ وفق ماده سبعة تجريم الارهاب كما نصت ماده (٢١) الفقرة الثالثه على لا يمنح حق اللجوء السياسي الى المتهم بارتكاب جرائم دوليه وارهابيه او كلا من الحق ضرارا بالعراق ()^{٢٨}.

^{٢٦} علي زياد العلي , تحديات غير المرئيه للامن الوطني العراقي ,مركز البيانات للدراسات والتخطيط مقال منشور على الموقع

الالكتروني : <https://www.bayancenter.org/2018/06/y565>

^{٢٧} ايهاب خليفه الارهاب الذكي كيف توظف الحركات المتطرفه التطورات التكنولوجيه مجله السياسه الدوليه العدد ٢١٠ اكتوبر

٢٠١٧ صفحه ٧٨

^{٢٨} مصطفى ابراهيم سلمان مصدر سبق ذكره صفحه ١٧٢.

وفي المادة (٧٣) من الدستور العراقي التي تنص على ان يتولى رئيس الجمهوريه
صلاحيات اصدار العفو بتوجيه من رئيس مجلس الوزراء باستثناء ما يتعلق بالعقود الخاص
والمحكومين بارتكاب جرائم الدوليه والارهاب والفساد المالي والاداري.^{٢٩}
كمان نص قانون مكافحه الارهاب رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥ وتضمن هذا القانون تعريف
للارهاب في مادته الاولى لكل فعل اجرامي يقوم به فرد او جماعه منظمه تستهدف فرد او
مجموعه افراد او جماعه او مؤسسات رسميه او غير رسميه اوقع الاضرار للممتلكات العامه او
الخاصه بغيه الاخلال بالوضع الامني او الاستقرار والوحده الوطنيه او ادخال الرعب والخوف
والفرع بين الناس واثاره الفوضى تحقيقا لغايات ارهابيه.^{٣٠}
واصبح الفضاء السيبراني الى حد كبير عبر الانترنت ارضيه مشتركه للاتصال السريع للافكار
والقيم وهو مساحه محايدة الا ان استخدام هذه المساحه هو الذي سيحدد قيمه الفضاء السيبراني
وفائدته للبشرية ام العكس.^{٣١}
وكما ان الفضائل الالكترونية يوظف في حروب الجيل الرابع بهدف زعزعه استقرار
الشعوب وانهايات اراده الدول المستهدفه بنشر الفوضى في ذلك من خلال عده طرق :
١- العمل على ضرب اجهزه القوه لدى الدوله واجهزه الشرطه والجيش.
٢- ضرب المؤسسات الداخليه فلا يتم الفصل في هذه الطريقه بين السلطه والنظام السياسي وبين
الدوله.
٣- العمل على تاجيج الصراع واستخدام العنف ضد المجتمع بمختلف فئاته وطوائفه وتاجيج
مشاعر التمرد والعصيان ورفض الواقع وتتم مواجهه حروب المعلومات من خلال استراتيجيه
تتضمن شقين الاول دفاع يحمي انظمه الدوله والاخر هجومي يوجه ضد انظمه الدوله المعاديه
ويعتمد على العمليات التقنيه والاستخباراتيه ومهاجمه الوسائط والهكرز وزرع العملاء وهو ما
ينتهي الى خلق مناخ عدائي بين الاطراف المتسارعه يؤثر في المؤسسات الداخليه وتماسك
النسيج الوطني للشعوب.^{٣٢}

٢٩ الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥ ماده سبعة والماده (٢١) والماده (٧٣)

٣٠ اسعد طارش عبدالرضا وعلي ابراهيم مشجل المعموري الامني السيبراني ودوره في انتشار ظاهره الارهاب في العراق بعد العام
٢٠٠٣ مجله دراسات دوليه جامعه بغداد العدد ٨٠ كانون الثاني ٢٠٢٠ صفحه ١٧٧

٣١ باسم علي خريسان الفضاء السيبراني حتميه الاتصال وتحدي التواصل مع الاخر مجله تكريت للعلوم السياسي ٢٠٢٠ العدد ٢٢

٣٢ عادل عبد الصادق استخدامات الفضائل الالكترونية في منظور التدخل الخارجي مجله السياسه الدوليه العدد ٢١٠ اكتوبر ٢٠١٧
صفحه ٢٨

بمعنى انه الفضاء السيبراني سمح بدخول شبكات الاتصال والمعلومات الى بنيته ومجال الاستخدامات الحربية ومع تمدد الاعمال الادائيه الاليكترونيه الى البنيه التحتيه والمعلوماتيه للدول لتحقيق اغراض متداخله سياسيه اقتصاديه اجراميه وغيرها.^{٣٣} وهناك مسميات عديده تطلق على تلك الانشطه العدائيه الاليكترونيه منها مثلا هجمات الاليكترونيه الارهاب الاليكتروني وغيرها.^{٣٤}

ويجب التفريق بين الجريمة والارهاب في الفضاء السوراني في الجريمة الاليكترونيه تتعلق بالاستيلاء على ممتلكات الغير او تخريب الانظمه لكن الارهاب الاليكتروني هو استخدام شبكات المعلومات والانترنت من اجل التخويف والارغام وتطور اسلحه الفضاء السيبراني التي هي عباره عن فيروسات والبرمجيات الخبيثه وبرامج التجسس التي تستخدمها بعض الشركات والفيروسات هي برامج خبيثه تقوم بنسخ نفسها على اجهزه المستخدمين من غير معرفتهم وتسهه لاحداث خلل او تدمير في ملفات او جهاز المستخدم مثل فايروس ستاكس نت عام ٢٠١٠ و فيلم شمعون اثنين حشره الحب الفديه برامج التجسس هي برامج خبيثه تمثل بشكل سري على اجهزه المستخدمين وتهدف الى جمع المعلومات الشخصيه عن المستخدم.^{٣٥}

وفيما يتعلق بالامن السيبراني الذي اصبح رافد اساسي من روافد الامن القومي ومن ثم اصبحت العديد من الدول تتصارع في سبيل الحصول على مستويات اعلى من تعزيزات القدرات في مجال الدفاع او الهجوم وذلك من خلال تبني استراتيجيات وطنيه للامن السيبراني ولم يرتبط ذلك من خلال تبني استراتيجيات وطنيه للامن السيبراني ولم يرتبط ذلك بالعمل على تحقيق اهداف امنيه او سياسيه فقط واثر الفضائل الاليكترونيه في تعزيز طبيعه وخصائص الامن والقوه والصراع في المشهد الدولي سواء على المستوى النظري او التطبيقي اصبحت له تاثيرات وشواهد واضحه في العلاقات الدوليه وتم ذلك عبره متغيرات الثلاثه يرتبط المتغير الاول الامن الاليكتروني لم يقتصر فقط على بعده التقني بل تعداه الى ابعاد اخرى في ظل تراجع سياده الدوله وتزايد علاقته بين الامن والتكنولوجيا بصفه عامه خاصه مع امكانيه التعرض المصالح

٣٣ رحمن عبد الحسين الظاهر العولمه واستيراليه العالميه واثرها على سياده الدول مجله العلوم السياسيه العدد خمس سته ٢٠١٩ صفحه ٨٣٩

٣٤ عادل عبد الصادق حروب المستقبل الهجوم الاليكتروني على برنامج ايران النووي مجله السياسه الدوليه ٢٠١١ صفحه ٣٢

٣٥ رحمن عبد الحسين الظاهر مصدر سابق ذكرى صفحه ٨٤٨

الاستراتيجية للدولة الى اخطار التهديدات وفرضت تلك التطورات اعاده التفكير في مفهوم الامن القومي للدولة الذي يعني لحمايه القيم المجتمع الاساسيه وابعاد مصادر التهديد عنها.^{٣٦} وانه اي استراتيجيه ناجحه لمكافحة الارهاب والتطرف يجب ان تركز على العمل على الموازنه بين الحريه والامن وبين استخدام القوه الخشنه والقوه الناعمه وان تركز كذلك على التعاون بين الداخل والخارج كما يجب ان تنتقل من بعدها الوطني الى البعد التحالف في الدولي لانها عابره للحدود وحرب يسيطر عليها الاستحواذ على العقول والقلوب قبل السيطرة على الارض ويأتي هذا بعده ان اصبح الامن السيبراني جزء من الامن القومي والتغيرات التي احدثها في ما يتعلق باختلاف حدود الامن ووسائل الحمايه وطبيعته الدفاع والهجوم والردع في الفضاء السيبراني بغرض اهميه تبني استراتيجيه شامله للحمايه من التهديدات سواء من جانب الجماعات الارهابيه كفاعل من غير الدول او تلك المخاطر التي تأتي من جانب الدول او من غير الدول التي تستخدم الفضاء السيبراني واداره نشاطاتها السريه ضد الدول الاخرى و يأتي هذا الجانب لاهميه ان يتحول الفضاء السيبراني الى فرصه للدفاع عن المصالح او من قبل كافه الفاعلين في المجتمع المدني والقطاع الخاص للاعلام ويأتي الى جانب ذلك وعي المواطن باعتباره ركيزه للحمايه والدفاع ضد المخاطر السبرانيه.^{٣٧} واتجهت الدول نحو تأسيس مؤسسات بحثيه وامنيه تهتم بدراسه الفضاء السيبراني وكيفيه توظيفه بالشكل الذي يساهم في تحقيق مصالحه السياسيه والامنيه والاقتصادي لكون التحدي المستقبلي الذي يفرزه الفضاء السيبراني ممثلا في قدره الدول على التكيف مع التغيير السريع والتحديات التي يفرزها الفضاء السيبراني في المجالات العامه عموما والمجال الامني خصوصا الى جانب امتلاك قدرات والتبني الماديه البشريه التي تملكها من ان تكون مؤثره وفاعله فيه.^{٣٨} مقامت الحكومه العراقيه بالتعاون مع شركائها الدوليين في مجال تطوير الامن السيبراني للافاده من خبراتهم بالتنسيق مع حلف شمال الاطلس الناتو على تدريب ١٦ موظف من فريق الاستجابه للاحداث السبرانيه للمده من ٢١ تشرين الثاني ولغايه اثنين كانون الاول ٢٠١٦ وتضمنت البرنامج التدريبي جلسات نظريه ومختبريه عمليه عن اساسيات الدفاع السيبراني من التسريب والتحليل.

٣٦ عادل عبد الصادق الارهاب السيبراني والامن القومي في بيئه متغيره مجله السياسه الدوليه القايره مركز الاهرام للنشر والدراسات العدد ٢٢٧ يناير ٢٠٢٢ صفحه ٢٤٤

٣٧ محمد احمد مرسي المؤسسه الدوليه والتعاون في مجال القضاء على التطرف والارهاب مجله السياسه الدوليه اكتوبر ٢٠٢١ صفحه ٢٢٦

٣٨ باسم علي خريسان ال ام سي ابراهيم في العراق قراءه في مؤشر الامن السيبراني العالمي مركز البيان للدراسات والتخطيط ٢٠٢٠ بغداد صفحه ثلاثه

للسفريات والادله الالكترونيه ورفع مستوى الخبره التقنيه لحمايه الشبكه الوطنيه وزياده الوعي بالامن السيبراني وستعمل هذه الدورات على تعزيز قدرات الدفاع السيبراني الوطنيه العراقيه ولقد احتل العراق المرتبه ١٥٨ على الصعيد العالمي استنادا الى مؤشر الامن السيبراني العالمي لعام ٢٠١٧ (Global Cybersecurity Index – GCI) الصادر من الاتحاد الدولي للاتصالات التابعه للامم المتحده وهو الوكالة المختصه في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وفي العمل ٢٠١٨ احتل العراق وفق مؤشر الامن السيبراني العالمي لعام ٢٠١٨ المرتبه ١٠٧ على الصعيد العالمي من اصل ١٧٥ دوله شمل لها التقرير والمرتبه ١٣ على صعيد الدول العربيه وهذا يعني ان الامن السيبراني في تطور ايجابي وهذه دلالة على نجاح القائمين عليه وان عقد في بغداد ٥ اذار ٢٠١٩ مؤتمر لتطوير استراتيجيات العراق للامن سيبراني وهو مؤتمر العراق الالكتروني وللامنسيبراني بالتعاون مع المجلس الدولي للاستشاره الالكتروني (EG - council) التابع لمفوضيه الاتحاد الاوروبي وله دور عالمي في هذا المجال وكان الهدف منه تحديث وابتكار عمليات الامن السيبراني وله دوره العالمي في هذا المجال والهدف منه تحديث وابتكار عمليات الامن السيبراني الاستراتيجيه والتكتيكه للحومه العراقيه ومستقبل الحكومه الالكتروني والتهديدات السيبرانيه التي يتعرض لها العراق وسبل الدفاع السيبراني عنها وزياده الوعي لمنع الجريمه السيبرانيه في العراق فضلا عن حمايه البيانات والتعامل مع الحوادث السيبرانيه واستعادته القدره على العمل بعد الحوادث ودور (EG - council) في تقديم الدعم للعراق ويأتي هذا المؤتمر في سياق خطط الحكومه العراقيه للاستثمار في الحكومه الالكتروني وتعزيز الامن السيبراني العراقي وتعرضت العراق في ٢٦ و ٢٧ ايلول ٢٠١٩ الى هجوم سيبراني من قبل قراصنه قالت ٣٠ موقع حكومي ابرزها مواقع وزاره الدفاع والداخليه والخارجيه والامن الوطني والصحه.^{٣٩}

وقد استغل المهاجمون بعض الثغرات فعملوا على تطبيق التغييرات على بيانات موقع البحث التي من شأنها توجيه المستخدمين الى صفحه بحث مختلفه وعلى الرغم من ان الجهاز الحكوميه نجحت في استعادته سريعه لبعض المواقع الا ان بعضها استغرق وقت اطول علما ان المهاجمين تمكنوا في الدخول الى اجهزه الحواسيب الحكوميه واختراق قاعده البيانات التي من المفروض ان تكون محميه بشكل جيد مما سمح لهم باخذ معلومات كثيره حذرت لجنه الامن البرلماني من خطوره هذه الاختراق مستقبلا كونه يؤدي الى تسريب معلومات امنيّه مهمه وحساسه.^{٤٠}

٣٩ مصطفى ابراهيم سلمان الامن السيبراني واثره في الامن الوطني العراقي مجله كليه القانون والعلوم السياسيه جامعه ديالى العدد الاول المجلد العاشر ٢٠٢١ صفحه ١٧٤

٤٠ علي حسين حميد وعلي زياد عبد الله تحليل البيئه الاستراتيجيه العراقيه من منظور امني مجله حمورابي العدد ٣٣ و ٣٤ السنه الثامن شتاء ٢٠٢٠ صفحه ٢٢٣

ويمثل الارهاب الرقمي السيبراني تحديات غير مرئية تؤثر في البيئة الامنية العراقية في عصر التكنولوجيا والتطور التكنولوجي الذي شهده العراق بعد العام ٢٠١٣ وتزامن مع ضعف الامن الالكتروني لدى البنية التحتية الوطنية ادى ان يكون العراق من كشف استراتيجيا للكثير من دول العالم واستخدم العراق ساحه لشن هجمات الكترونية لاي دولة كانت واستخدام اي معلومه لاغراض مساومه وتنفيذ عمليات ارهابيه خاصه وان اكثر المؤسسات العراقيه تتعاقد لتجهيز معلوماتها من اقمار صناعيه ذات مورد خدمه واقع خارج الحدود العراقيه وهذا يعني مرور المعلومات من خوادم تلك الدول ورجوعها للعراق هذا اخرق لامن المعلومات العراقي وقد تراجع العراق في مؤشر العام ٢٠٢٠ ليكون ١٢٩ عالميا من اصل ١٨٤ دولة و١٧ عربيا بدرجة ٢٠ ٧١ فضلا عن التقاعس المؤسسات المعنيه بالرد على اجابات الاسئله التي وجهت لها من فريق مؤشر الامن السيبراني ومن اسباب تراجع جهود الحكوميه التي اتخذها العراق في مجال الامن السيبراني هو تراجع دور وفريق الاستجابه للاحداث السيبرانيه وهو فريق وطني مشترك مختص في مجال الامن السيبراني وحمايه الخصوصية والحمايه الذاتيه للافراد. والمؤسسات على الانترنت ويعمل تحت اشراف مستشاري الامن القومي العراقي و يحمل الفريق على عاتقه مسؤوليه تامين وحمايه الشبكات ومراكز البيانات الوطنيه والمواقع الرسميه التي تعمل في مجال الفضاء السيبراني العراقي ويقوم بتنسيق الجهود الوطنيه ودعم مؤسسات القطاعين العام والخاص اضافته الى ذلك عدم قدره المؤسسات العراقيه على مواجهه الجنين الالكتروني اذا انتشرت مؤخرا نوعيه خطيره من الهجمات التي تعتمد على تقنيات متقدمه جاسوسيه الحساباتيه والذكاء الاصطناعي واختراق المواقع الرسميه والاحتيايل المصرفي والصيد الاعتياري للمعلومات ومن البرامج التي تهدد الامن السيبراني العراقي الفديه الخبيثه^{٥٥} بعد الهجوم الضخم الذي تعرضت له عشرات الاف اجهزه الكمبيوتر في ١٠٠ دولة حول العالم في ١٢ مايو ٢٠١٧ تحولاً جوهرياً في نوعيه تهديدات الامن السيبراني اذ تسببت برمجيه الفديه الخبيثه (ransomware) التي يطلق عليها متعددده واعطاب شبكاتها واجهزتها الالكترونييه مما تسببه في خسائر ماليه ضخمة وبيئت ثغرات الامن القومي العالمي وان جماعه القرصنه المسؤوله عن الهجمات والتي يطلق عليهم وسطاء الظل (wamnacry) ويعد من برمجيات الفديه الخبيثه التي تمنع الاجهزه من تعمل او استرجاع العمل حتى تدفع فديه معينه تظهر للمستخدم واجهه الكترونيه تعمل عبارته ملفاتك تم تشفيرها ورساله تطالب بتسديد فديه بمقدار ٣٠٠ دولار باستخدام العمله الالكترونييه وذلك خلال ثلاث ايام وفي حال عدم الدفع يتم الدفع مضاعفه المبلغ مع التهديد بحذف الملفات كلياً حال عدم الدفع خلال سبع ايام وتعمل هجمات وسط الظل مجموعه من الدلالات عن ثغرات الامن الرقمي العالمي منها معضله الدفاع

السيبراني تهديدات احتكار المعلومات مخاطر العملات الالكترونية استهداف المؤسسات الصحية
دوافع ماله هيمنه الشركات الكبرى.^{٤١}

والتي حذرت منها هيئه الاعلام والاتصالات العراقيه فهو يعمل على حجب جميع
المعلومات من اجهزه الحواسيب الحكوميه والشخصيه واستخدامها كاوراق ضغط وابتزاز مقابل
مبالغ ماله كبيره وكذلك برنامج الهكر الاخلاقي وغيرها من البرامج فضلا عن ذلك هناك العديد
من المواقع الحكوميه العراقيه التي تتعرض الى الاختراق ومن المشاكل التي يعاني منها الامن
الوطني العراقي في ظل الاختراق هو العجز عن حمايه الفكر والمعتقدات والحفاظ على العادات
والتقاليد يقابله اقبال الشباب على وسائل الاتصال وعجز المؤسسات العراقيه من الرقابه على
التواصل بين اطراف الاتصال مما سهل عمليات التشقيق والتجديد.^{٤٢}

بالاضافه الى ذلك لا توجد بنيه تحتيه ماديه وبشريه متكامله في مجال الامن السيبراني ولا
توجد هيئه وطنيه مسؤوله عن الامن السيبراني ولا تزال الاموال المخصصه للامن السيبراني
قليله كذلك قله المؤتمرات وورش العمل حول موضوع الامن السيبراني مما يؤثر في ضعف
القرارات المهنيه والمحليه وثلتها في مجال الامن المعلومات المتقدمه النقطه المهمه هو ارتباط
منظومات الانترنت في العراق بالخارج مما يعني ان الامن السيبراني العراقي مرتبط بدول
وشركات خارجيه

المبحث الثالث : وسائل تعزيز الامن السيبراني العراقي

ومن اجل تعزيز الامن السيبراني في العراق يجب اتخاذ جميع الاجراءات الضروريه لحمايه
المواطنين في مخاطر الفضاء السيبراني وضمان توافر انظمه المعلومات وتوفر الخصوصيه
وسريه المعلومات الشخصيه الى جانب ذلك قيام المؤسسات العراقيه بتشكيل مجموعه الاطر
القانونيه والتنظيميه والوسائل التقنيه التكنولوجيه والتي تمثل الجهود المشتركه القطاعين الخاص
والعام.

عند الحديث عن الاستراتيجيه الوطنيه للامل سيبرانيه استراتيجيه الاستعداد الوطني لتوفير تدابير
متماسكه واجراءات استراتيجيه لضمان امن وحمايه الوجود العراقي في الفضاء السيبراني
وحمايه البنيه التحتيه الحيويه للمعلومات وبناء ورعايه مجتمع انترنت موثوق به وتتالف
استراتيجيه الامن السيبراني الوطنيه من عده استراتيجيات قصيره ومتوسطه وطويله الامد تغطي
جميع الاولويات الوطنيه وتعالج التعرض الوطني للمخاطر السيبرانيه والهدف من هذه

٤١ للمزيد انظر فاطمه الزهراء عبد الفتاح كيف كشفت هجمات الفديه الخبيثه ثغرات الامن السيبراني الاحد ١٤ مايو ٢٠١٧ مركز

المستقبل للابحاث والدراسات المستقبليه على الموقع الالكتروني : <https://futareuac.com.ar>.

٤٢ نور علي سقط الامن الوطني العراقي في ظل الاختراق السيبراني امن المعلومات مجله كليه القانون والعلوم السياسيه الجامعه
العراقيه العدد ١١ تموز ٢٠٢١ صفحه ٣٩٠

الاستراتيجيه هو توفير خارطه طريق متماسكه ومبادرات واليات تنفيذ ولتحقيق الرؤيه الوطنيه بشأن الامن السيبراني وان توفير الامن للبنية التحتيه والحيويه للمعلومات وغيرها من العناصر الحرجه من نظام المعلومات في ظل الوضع الراهن وهو تحدي وطني ضخم ويحتاج الامن الوطني الى اطار متماسك للامن السيبراني لتوفير نهج شامل عزاء المشهد الامني الحالي والمستقبل لان امن الدوله والتضاريس الاقتصاد يسير بخطا سريعه ويتجهان نحو وتضاريس متحركه ومستقله رقميا. كما ان الجهات الفاعله الحكوميه وغير الحكوميه المتورطه في الجرائم السيبرانيه مجهزه تجهيزا كافيا بادوات الكترونيه متطوره تتسبب في اضرار ذات بعد لم يسبق له مثيل ان ادراج الامن السيبراني في مجال الفضاء الالكتروني ان يساعد البلد على الاستعداد والاستجابه لهذه التهديدات الامنيه والمساعد على معالجه ضعف البلد في المجال الرقمي وتعزيز قدره البلد على توفير تدابير مضاده بالاشتراك مع جهات فاعله شرعيه او غير حكوميه اخرى وهذا هو الاساس المنطقي الاستراتيجي لوضع السياسه الوطنيه للامن السيبراني السياق الذي يتم فيه تعريف استراتيجيه الامن السيبراني العراقي من اجل الاستعداد للامن القومي.^{٤٣}

كما تتطلب الاستراتيجيه الوطنيه للامن السيبراني اجراء تقييم على مستوى الدوله كاملا من اجل تحديد نقاط ضعف في نظم المعلومات الحكوميه والمواقع الشبكيه وشبكات وعمليات معالجه البيانات كذلك مواطن الضعف الموجوده في البنيه الاساسيه للمعلومات الحيويه للبلد وتحديد الاستراتيجيه الوطنيه للامن السيبراني استعداد البلد لحمايه اعداد باسرها مقدما من اجل حمايه البناء التحتيه الرقمية والقدره التنافسيه الاقتصاديه العالميه في الفضاء السيبراني وتتوقف عامل النجاح الذي تقوم به الاستراتيجيه على التعبئه الشامله والمشاركه والتنسيق للمكونات الحاسمه لضمان وجودنا في الفضاء السيبراني وحمايه البناء التحتيه للمعلومات الحيويه وان تتفق اتجاه السياسيه الحكومه بشأن الامن السيبراني مع الاتجاه الاقليمي والعالمي بشأن تامين الفضاء السيبراني والتركيز الالهم الاستراتيجي للمعلومات الاساسيه الوطنيه والعمل على تحسين قدره وتطوير فريق الاستجابه لحالات الطوارئ في الحاسوب العراقي (CERT) فضلا عن الحد من مواطن الضعف والثغرات الوطنيه لردع وحمايه الحكومه من جميع اشكال الهجمات السيبرانيه ويغطي نطاق الاستراتيجيه الوطنيه للامن السيبراني مجالات الاولويات الوطنيه فضلا عن الاطار العام للشراكه والتعاون الدولي بشأن الامن السيبراني وتشمل المجالات التاليه:

الحكومه الفعاله الاطار التشريعي والتنظيمي اطار تكنولوجيا الامن السيبراني ثقافه الامن السيبراني وبناء القدرات البحث والتطوير نحو الاعتماد على الذات الامثال والتنفيذ الجاهزيه لحوادث الامن السيبراني التعاون الدولي وقد باشر فريق الاستجابه الالكتروني العراقي

^{٤٣} مستشاريه الامن الوطني استراتيجيه الام سي ابراهيم العراقي امانه سر اللجنه الفنيه العليا الامن الاتصالات والمعلومات صفحه

(CERT) مهامه وعمل على ايجاد تدابير الاجراءات لسد الفجوة الامنيه السليمانية ومعالجه اوجه الضعف الاساسيه فيها كذلك قام فريق الاستجابه الالكترونيه العراقي (CERT) بتشكيل عده فرق تعمل وبشكل منسق حيث تم تقسيم وتصنيف المجالات التي يجب العمل عليها بالشكل الذي يضمن انتاجيه استراتيجيه امنيه سيبرانيه عراقيه وفي اطار زمني محدد الى ثمان اقسام وحسب المعيار العالمي لاتحاد منظمه الاتصالات العالميه (ITU) وكذلك بما يضمن الارتقاء بمستوى العراقي السيبراني وذلك من خلال ٤٤ :

الحكومه الفعاله العمل على تعزيز التعاون الفعال بين القطاع العام والقطاع الخاص وانشاء التبادل والمشاركه الرسميه للمعلومات وتشجيع عن المشاركه الغير رسميه للمعلومات وتفعيل الحكومه الالكترونيه بما يضمن راحه المواطن

الاطار التشريعي والتنظيمي وتتضمن طرح وانشاء قوانين سبرانيه جديده لغرض تعزيز الوضع القانوني السيبراني العراقي قانون امن الاتصالات والمعلومات وقانون الخصوصية وانشاء برامج القدرات التدريجي للجهات القانونيه التنفيذيه الوطنيه والتأكد من ان جميع التشريعات المحليه المعمول بها تكمل وتنسجم مع القوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدوليه

اطار تكنولوجيا الامن السيبراني بناء وتطوير اطار تكنولوجي وطني للامن السيبراني الذي يحدد متطلبات السيطرة على الامن السيبراني العراقي والعمل على بناء وانشاء برنامج وطني لتقييم واصدار شهادات للمنتجات ونظم الامن السيبراني

ثقافه الامن السيبراني وبناء القدرات العمل على بناء وتطوير وتعزيز ثقافه الامن السيبراني الوطني وانشاء وتوحيد وتنسيق برامج التوعيه والتثقيف في مجال الامن السيبراني اثناء وتطوير اليه فعاله لنشر المعلومات عن الامن السيبراني على المستوى الوطني وتحديد الحد الأدنى من المتطلبات والمؤهلات للعاملين في مجال امن المعلومات

البحث و التطوير نحو الاعتماد على الذات العمل على توسيعه وتعزيز مجتمع الابحاث في مجال الامن السيبراني والعمل على تطوير وتسويق المملكه الفلكيه والتكنولوجيه والابتكارات من خلال البحوث المركزه والمتخصصه والتطويريه وتغذيته ودعم سوق المحلي والصناعات في مجال الامن السيبراني واستحداث اختصاص جامعي ويختص بالامن السيبراني (bachelor degree in cyber security) ويكون وفق معايير خاصه اضافته تخصيص يعني بالجنايات الرقمية (Digital forensic) وطرق التحقيق والاثبات في القضايا المتعلقة بالجرائم المعلوماتيه اضافته المناهج والتخصصات التي تعني بالجرائم المعلوماتيه الكليات الحقوق والقضاء

الامثال والتنفيذ اي توحيد انظمه الامن السيبراني عبره جميع مفاصل الدوله العراقيه والعمل على تقويه وتعزيز الرصد والتنفيذ للمعايير في مجال الامن السيبراني ووضع عطار معياري لتقييم مخاطر الامن السيبراني

الجاهزية بحدوث الامن السيبراني : العمل على تعزيز وتقوية فريق للاستجابة للحوادث السيبرانية العراقي (CERT) ووضع اليات فعالة للابلاغ عن الحوادث السيبرانية وحث وتشجيع جميع الجهات والعاملين في مجال الامن السيبراني لمتابعه ورصد الفعاليات المتعلقة بالامن.^{٤٥}

وضع معيار اطاري موحد لاداره استمراريه الاعمال ونشر تنبيهات انيه حول الثغرات و التحذيرات في ما يتعلق بالامن السيبراني وتنفيذ برامج دوريه لفحص وتقييم مدى احتماليه التعرض للهجمات السيبرانية التعاون الدولي تشجيع المشاركة الفعالة في جميع هيئات الامن السيبراني الدولي ذات الصله والوكالات المتعدده الجنسيات كذلك تعزيز المشاركة الفعالة في جميع الفعاليات والمؤتمرات والمنتديات الدولي المتعلقه بالامن السيبراني وتعزيز الموقع الاستراتيجي للعراق في مجال الامن السيبراني من خلال استضافه مؤتمرات دوليه دوليه في مجال الامن السيبراني التواصل مع منظمه الاتصالات العالميه والعمل على تحديثات الملف المتعلق بالوعي الامني سيبراني العراقي والعمل على تكوين الشراكه واتفاقيات بين فريق الاستجابة الالكتروني العراقي وفرق الاستجابة الالكتروني دوليه الاخرى لاجل تطوير الفريق وتوسعه افقه ومن حيث الثقه في الزمني التنفيذي لتطبيق الاستراتيجيه الوطنيه يتم من خلال:

المرحلة الاولى : لمدته سنه واحده يتم فيها العمل على ايجاد التدابير والاجراءات التي تقوم معالجته اوجه الضعف الاساسيه فيها وانشاء مركزيه لاليه عمل الامن السيبراني وزياده الوعي بالامن السيبراني واثاره على الامن القومي العراقي هو مواصلة التعاون الدولي في هذا المجال **المرحلة الثانيه :** لمدته ثلاث سنوات بناء البنيه التحتيه اعداد ما يلزم في العمليات والمعايير وبناء القدرات بين الباحثين والمهنيين امن المعلومات العمل على استحداث اختصاص جامعي يختص بالامن السيبراني (incyber security bachelordegree) اضافته الى تخصص يعني بالجنايات الرقمية (digital forensic) وطرق التحقيق والاثبات في القضايا المتعلقة بالجرائم المعلوماتيه واضافه المناهج المتخصصه التي تعني بالجرائم المعلوماتيه لطلاب كليات الحقوق والقضاء.

المرحلة الثالثه : لمدته خمس سنوات وما بعدها تطوير الاعتماد على الذات وذلك من حيث التكنولوجيا وكذلك المهنيين ورفض المؤسسات الحكوميه بجزئين اختصاص الامن السيبراني مراقبه اليات الامتثال للخطط والمعايير القياسيه والموضوعه وتقييم الاليات وتحسينها وخلق ثقافه الامن السيبراني,^{٤٦} واللي غرض حمايه المنظومات والمعلومات من الاكتشاف على الاجهزه الامنيه في العراق تعمل على:

٤٥ مستشاريه الامن الوطني صفحه ٨

٤٦ مستشاريه الامن الوطني صفحه تسعه

مقاومه التقنيه تقوم بتشفير البيانات المهمه المنقوله عبر الانترنت وايجاد نظام امني متكامل يقوم بحمايه المعلومات والبيانات والعمل على توفير برامج لكشف عن الفيروسات والمقاومه لحمايه الحاسب وعدم استخدام شبكات الحاسب الالي المفتوح لتداول المعلومات الامنيه.

توقيع الالكتروني وفق قانون الجرائم المعلوماتيه العراقي لعام ٢٠١٨ اشار الى ان التوقيع الالكتروني وفق قانون الجرائم تتخذ شكل حروف وارقام او رموز او اشارات او اصوات وغيرها وله طابع منفرد يدل على نسبه الى الموقع ويكون معتمدا من جهه التصديق.

انترنت على الدوله والقيام بحجب المواقع الضاره والجماعات والتنظيمات الارهابيه التي تدعو للفساد والشر وكذلك الى الارهاب وتحرض عليه وتساهم فيه تعلمه وتحت على العدوان جدران النار وهو تطبيق يقوم بتامين منافذ (ports) التي تحصل عمرها التطبيقات على خدمات شبكه المعلومات وهذه المنافذ تحد برمجيا ضمن نظم التشغيل او التطبيقات المستخدمه وعندما يسهل المستخدم عن استعمالها او تامين حمايتها يشكل فرصه القرصنه على نظامه تامين حسابات المستخدم ونظم التحقيق من الهويه بالاعتماد على الصفات الشخصيه والسمات الجسديه للاشخاص وتبقى كلمه السر واسماء المستخدمين هو الوسيله الشائعه للتحقق من الهويه التشفير الالكتروني انها الوسيله الاكثر اهميه لتحقيق وظائف الامن الثلاثه السريه والتكاملية وتوفير المعلومات والتشفير عمليه تحويل المعلومات اي شفرات غير مفهومه او غير ذات معنى لمنع الاشخاص غير المرخص لهم من فهمها ينبغي الامن السيبراني العراقي ان يشكل مجموعه العطر القانونيه والتنظيميه فضلا عن الوسائل تقنيه والتكنولوجيه وضروره انشاء هيئه وطنيه تعني بالامن السيبراني وترويج للثقافه وطنيه وتنميه الوعي للامن السيبراني وحجم المواقع الالكترونيه المشبوهه وسن القوانين والتشريعات الخاصه لمواجهه الجرائم السيبرانيه وتفعيل الدور الرقابي الذي يسبق وقوع الجرائم السيبرانيه من خلال تفعيل دور المؤسسات التوعويه المسجد الاسره دور التعليم اجهزه الاعلام.^{٤٧}

ومن اجل وضع استراتيجيه تواجه تحديات الدوله وفي الاخص مكافحه الارهاب والجريمه المنظمه المعايير للدوله ومن اجل تعزيز اي استراتيجيه يجب توافر متطلبات ومقومات امنيه تضع تلك الاستراتيجيه على الطريق الصحيح منها الاستناد على الاسس العلميه مركزيه التخطيط وذاتيه التنفيذ التخطيط ضمن اطار قيادي واحد وتحقيق اعلى درجات التنسيق عند التنفيذ مرونة التخطيط والالتزام في التنفيذ اي وجود خطه بديله بجرد الخطه من اي فشل محتمله والخطه الامنيه يجب ان تتسم بالمرونة وقابليتها على التغيير والتطور التدريجي وفقا لمعايير وقيم جديده منظمه تؤدي الى التنبؤ بالظواهر قبل وقوعها الواقعيه من الفهم والادراك الامني ايجب ان تكون عقليه التفكير الامني والاستخباري مبني على فرضيه تحليليه قائمه على اسس مثبته في الاستراتيجيه الفكرية الحديثه ومن مقومات الاستراتيجيه الامنيه في العراق

٤٧ اسعد طارش عبد الرضا وعلي ابراهيم مجدل المعموري هل امن السيبراني ودوره في انتشار ظاهره الارهاب في العراق بعد العام

٢٠٠٣ مجله دراسات دوليه العدد ٨٠ كانون الثاني ٢٠٢٠ صفحه ١٨١ ١٨٢

صياغة تشريعات وانظمه تناسب الاجهزه الامنيه وحده قياده المركزيه في الاجهزه الامنيه تكنولوجيا الاتصال ومنها المؤتمرات والفيديوهات والبريد الالكتروني وبرامج المحاكاه والمحدثه التكنولوجيه بناء المعلومات اي رسم الخرائط للمعلومات الامنيه تكنولوجيا التعبير من خلال برامج وصور متحركه ومؤثرات تطويريه تدريب وتاهيل العناصر البشريه ولا يتوقف التدريب على التعليم البدني والاداري فقط بل التمر على الاساليب والمناهج الحديثه وما يتلائم والمراحل المتقدمه للتشكيلات الامنيه والاستخباريه ويلعب دور في عمليه اختبار العناصر الجديده وايجاد برامج مختلفه تؤهل عمل العناصر الامنيه.^{٤٨}

وهي تبرز اهميه الاعلام والجهود الحكوميه وغير الحكوميه في مواجهه الارهاب والتطرف والتركيز على فئة الشباب وانتاج برامج ثقافيه وفكريه ودينيه تخاطب عقولهم وتعتمد على المنطق والتحليل العلمي المنهجي والحجه والاقناع والابتعاد عن التهويل وخطاب الكراهيه والتركيز على مواقع التواصل الاجتماعي وتنميه روح الانتماء للوطن والارض وتماسك الجبهه الداخليه والوحده الوطنيه بالاضافه الى قيام الاعلام بتشجيع روح الاعتدال والوسطيه والحوار الهادئ والمناقشه والموضوعيه للاراء المخالفه مع اتاحه الفرص الكافي للتعبير عن مختلف الاراء وتشجيع الحوار ومناقشه القضايا الهامه مع المسؤولين وللاعلام دور من خلال اسمائه في تحقيق الامن ومواجهه الفكر الارهابي.^{٤٩}

اما على المستوى الاقليمي وهو التعاون اقليميا مع الدول ذات التجارب والناجحه وتحقيق الامن السيبراني اصبح من الصعب على اي دولة تحقيق امنها الوطني دون تعاون اقليمي لذا على الحكومه العراقيه التعاون الاقليميا مع عدد من الدول ذات التجارب والناجحه في تحقيق الامن السيبراني تعد الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات التي صدرت في ديسمبر ٢٠١٠ الاتفاقية الاقليمية الوحيدة التي تناولت مكافحة الارهاب الالكتروني بشكل صريح حيث تتضمنت المادة الخامسة عشر الجرائم الارهابيه المرتكبه بواسطه التكنولوجيا المعلومات وقد وقعت ١٨ دولة على الاتفاقية بهدف تعزيز التعاون وتدعيمهم بين الدول العربية في مجال مكافحة جرائم تعزيز التعاون وتدعيمه بين الدول العربية في مجال مكافحة جرائم تقنية المعلومات ودرع مخاطر هذه الجرائم على امن الدول العربية ومصالحها وسلامه مجتمعاتها وافرادها , كذلك اتفقت الدول العربية على تفعيل دور الرقابه على وسائل الاعلام وعلى شبكه الانترنت من قبل المكتب العربي للاعلام الامني وبدل الجهود مكثفه لمنع الاستغلال المواقع التواصل الاجتماعي من قبل الارهابيين وسن التشريعات الخاصه بجرائم تقنية المعلومات عند

٤٨ علي عبد الخضر محمد المعموري سبل تعزيز الاستراتيجية الشاملة للمؤسسات الامنيه العسكريه في العراق بعد ٢٠٠٣ جامعه بابل مركز بابل للدراسات الحضاريه والتاريخيه العدد اثنين المجلد ١١٢١ صفحه ٧٤٢ ٧٤٠

٤٩ مجيد كامل حمزه الاعلام الرقمي الالكتروني للارهاب وسبل المواجهه الاعلاميا المجلس سياسيه والدوليه المستنصرية العدد ٣٥ ٢٠٠٧ ٣٦ صفحه ٨٨

الدول التي لا تمتلك مثل هذا التشريع ولا يقتصر الجهود العربية على اتفاقيه مكافحه جرائم تقنيه المعلومات وانما امتدت الى انشاء المركز الاقليمي للامن الالكتروني للمنظمه العربيه الذي انشا بموجب الاتفاق مع الاتحاد الدولي للاتصالات في ديسمبر ٢٠١٢.^{٥٠}

كما انتشار الدستور المصري عام ٢٠١٤ في ماده ٣١ التي تنص على امن القضاء المعلوماتي جزءا اساسيا في منظومه الاقتصاد الامن القومي وتلتزم الدوله باتخاذ التدابير للزامه للحفاظ عليه على النحو الذي يضعه القانون والاتجاه الاخر بوضع استراتيجيه للامن السيبراني في السعوديه ٢٠١٧ ٢٠٢١ وايضا السعوديه تعمل على الحمايه الامن السيبراني.^{٥١}

وقد وضع العراق على الاتفاقية العربية والحمايه القضاء السيبرانيه التي يعدها المركز العربي للبحوث القانونيه والقضايا في مجلس وزاره العدل العربي ضمن تشكيلات جامعه الدول العربيه لعام ٢٠١٨ اصدر مجلس جامعه الدول العربيه العديد من القرارات قبل القرار ٧٨١٦ لعام ٢٠١٤ الذي نص على اهميه وضع استراتيجيه وطنيه عراقيه ضد الارهاب وتعزيز تبادل الخبرات وتبادل الدعم الفني في ظل تزايد واستخدام الارهابيين التكنولوجيا في ارتكاب اعمال ارهابيه وتجديد مرتكبها وتمويلها والتخطيط لها وايضا القرار ٨٢١٩ لعام ٢٠١٧ المتضمن حث الدول الاعضاء على تعزيز تعاونها في اطار الاتفاقية العربيه لمكافحه الارهاب الالكتروني للعمل على نحو جماعي بحرمان التنظيمات الارهابيه في استخدام وسائل التكنولوجيا في بس دعاياتها.^{٥٢}

على الصعيد الدولي لا شك ان الارهاب الدولي اصبح يمثل تهديدا مستمرا للسلام والامن الدوليين والاستقرار في جميع البلدان ويجب التصدي له بصوره شامله من خلال اعتماد استراتيجيه شامله وفاعله وموحده وذلك من خلال جهد الدولي منظم يركز على الحاجه الى الدور لزياده الريادي للامم المتحده لحفظ السلم والامن الدوليين بين الدول المتحده يفكر جديا في انشاء مركز دولي لمكافحه الارهاب وعدته جزءا من الجهود الدوليه الرافقه لتعزيز مكافحه الارهاب. الارهاب الالكتروني احدى الجرائم الدوليه المهمه التي يتطلب الاهتمام والتعاون من قبل المنظمات الدوليه مكافحته لذلك تعمل الدول على استخدام الاستراتيجيات تغطي التدابير الامن الالكتروني بما في ذلك الدفاع والرد على الالكتروني ومنها :

^{٥٠} محمود سلامه المنظمات الاقليميه والدوليه في مكافحه الارهاب الالكتروني مجله السياسات الدوليه لعدد ٢٢٧ يناير ٢٠٢٢ صفحه

٢٥٩ ٢٥٨

^{٥١} محمود سلامه مصدر سبق ذكره صفحه ٢٦٠ ٢٦١

^{٥٢} عبد الله المغازي دور الامم المتحده في مكافحه الارهاب الدولي مجله السياسه الدوليه العدد ٢١٠ اكتوبر ٢٠١٧ المجلد ٥٢ صفحه ٥٤ وللمزيد انظر احمد سيد احمد مجلس الامن الدولي والارهاب قرارات بلا فاعليه مجله السياسه الدوليه لعدد ٢٠٤ ابريل

٢٠١٦ صفحه ١١٦

١- الامم المتحدة حيث ساهم المنظمه للتنسيق بين الدول الاعضاء المواجهه خطر الارهاب الالكتروني من خلال القرارات ٥٥ ٦٢ ١٢١ ٢٠١ بخصوص مكافحه اساءه استخدام التكنولوجيا لاغراض اجراميه واتخذ مجلس الامن الدولي القرار ٢٢٥٣ في ١٧ ديسمبر ٢٠١٥ بالاجماع الذي يلزم الدول في مكافحه التمويل الارهاب ومنع تقديم اي مساعده اخرى لتنظيمي داعش والقاعده واي شخص او اي مجموعه او شركه او منظمه مرتبطه بهما^{٥٣} سعت الى وضع الاطر القانونيه والفنيه التي يمكن الاسترشاد بها لمكافحته والحد من المخاطر الناجمه عنه وانشاءات الشبكة الدوليه الاعلاميه للعداله الجنائيه (uncin) وهي متخصصه في المجال الالكتروني واصدر مجلس الامن الدولي القرار رقم ٢٣٩٥ لسنة ٢٠١٧ والمتضمن دعوه الدول للعمل في اطار التعاون لمنع الارهابيين من استغلال التطبيقات التكنولوجيه من اجل تطوير وتطبيق وسائل اكثر فعاليه لاغراض ارهابيه وايجاد حلول تكنولوجيه مناسبه للحد من قدراتهم^{٥٤}. الاتحاد الدولي للاتصالات و كاله الامم المتحدة المتخصصه في مجال التكنولوجيا المعلومات والاتصالات وكانت مهمته الرئيسيه تتعلق بالاتصالات السلكيه واللاسلكيه ويطلع بدور اساسي يتمثل في بناء الثقه والامن فيما يتعلق باستعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وقد عنى الاتحاد بالتعاون مع مكتب الامم المتحدة لمكافحه الارهاب بوضع سياسات الامن السيبراني وتحفيز الدول على التعاون من اجل بناء الثقه ورفع درجه الحمايه من الارهاب الالكتروني ولعب الاتحاد دور في بناء قدرات الدول والمنظمات الاقليميه في مجال مكافحه الارهاب الالكتروني واطلق برنامج الامن السيبراني العالمي كإطار للتعامل الدولي لتعزيز الثقه والامن في مجتمع المعلومات منذ ٢٠٠٧ بالتعاون مع هيئه الشركه الدوليه ومتعدده الاطراف لمكافحه الارهاب السيبراني^{٥٥} (impact) .

الشراكة الدوليه متعدده الاطراف لمكافحه الارهاب السيبراني (impact) وهي شراكة بين الاتحاد الدولي للاتصالات السلكيه واللاسلكيه (itu) والانتربول هي اول شركه عالميه بين القطاعين العام والخاص ضد التهديدات السيبرانيه^{٥٦}.

ان الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصه المختلفه بالاضافه الى بعض المنظمات الاقليميه ترعى جهود المجتمع الدولي في وضع عطر قانوني وتشريعي ذات صبغه عالميه لمنع الاعمال الارهابيه ولكن الان لا توجد اتفاقيه شامله للامم المتحدة بشأن الارهاب تضم قائمه شامله لكل اشكال الارهاب بما فيها الارهاب الالكتروني ولا تخضع الاتفاقيه القائمه للجرائم الارهابيه

٥٣ احمد سيد احمد مجلس الامن الدولي والارهاب قرارات بلا فاعليه مجله السياسه الدوليه لعدد ٢٠٤ ابريل ٢٠١٦ المجلد ٥١ صفحه

١١٨

٥٤ هذا محمد عامر جهود الدول في مكافحه الارهاب التكنولوجي مجله السياسه الدوليه لعدد ٢٢٧ يناير ٢٠٢٢ صفحه ٢٥٦

٥٥ محمود سلامه مصدر سبق ذكره ٢٠٦٠ ٢٠٦١

٥٦ غاده محمد عامر نزل سبق ذكره الصفحه ٢٥٦

للقانون الدولي وانما تلزم الدول الاطراف في الاتفاقيات بتجريم الفعل المخالف في اطار قانونها الداخلي وتفتح المجال امام التعاون الدولي بشكل يمكن الدول الاطراف في محاكمة المتهمين او تسليمهم^{٥٧}.

وفي الختام ولضمان نجاح وفاعليه الاستراتيجية الوطنية للامن السيبراني لابد من توفير مجموعه من العناصر الاساسيه لها اهميه ضمان اعلى مستوى في التاييد والدعم الرسمي لها ماديا ومعنويا من قبل الحكومه وتشكيل هيئات مختصه بالامن السيبراني واشراك الهيئات الحكوميه المعنيه وضمان التعاون والتنسيق فيما بينها واشراك اصحاب المصلحه الاخرين لاسيا والقطاع الخاص الموثوق بهم لضمان عمل البنى التحتية الاساسيه للامن السيبراني وتخصيص موارد لها في ميزانيه الدوله الوطنيه و ضروره ان تتضمن الاستراتيجية خططا قابله للتنفيذ واهداف قصيره ومتوسطه بعيدة المدى تسعى لتحقيقها .

الخاتمة

الامن السيبراني له صله وثيقه بالامن الوطني لاي دوله وتزداد خطوره كلما زاد الاعتماد من قبل الدوله على تقنيه المعلومات وارتباطها بالقضاء السيبراني وتنطلق استراتيجيه الامنيه العراقي من مبدا اساسه وضمان امن العراق وحمايته من الجرائم السودانيه وحمايه بنيته معلوماته الحيويه وبناء مجتمع انترنت ناجح ومواجهه التحديات السيبرانيه التي تهدد امن العراق الوطني وسلامته وذلك بتدريب كوادر مختصره وتنمية مهاراتهم وتشجيع البحث والتطوير والابتكار اضافته الى ذلك تعاون العراق مع المحيط الاقليمي والدول لتحقيق الامن السيبراني والسيطره على جرائم السيبرانيه .

ومن اهم التوصيات التي يجب العمل بها لتحقيق الامن السيبراني هي :

- ١- تفعيل نظام الحكومه الالكترونيه.
- ٢- تبني النظام الالكتروني لتاسيس قاعده بيانات في جميع مؤسسات الدوله يضمن سرعه ودقه انجاز المعاملات وبناء منظومه متكامله لامن المعلومات.
- ٣- انشاء المدن الذكيه التي تحفز المواطن على التعامل والتطوير مع التطور التقني العالمي
- ٤- تبني انظمه التعليم الالكتروني والتدريب على الامن السيبراني لتوظيف الفاعل الرقمي لبناء استراتيجيات معلوماتيه تخدم المواطن وتزيد من كفاءه المؤسسات كافه.

٥٧ هو التعاون الدولي في مجال مكافحه الجرائم المعلوماتيه قد ياخذ عده اوجه منها ما يتعلق بضروره التعاون في انقاذ القانون الملاحقه ومتابعه المعاق ومعاقبه المجرمين بعد ارتكاب الجرائم التي تعبر اختصاصات قضائيه متعدده ذات نظم قانونيه مختلفه وتمثل ذلك في التعاون القضائي وتسليم المجرمين ومنها ما يتعلق بالسعي لاتخاذ اجراءات واليات ذات الطبعه التنفيذيه والفنيه والتقنيه التي تكفل منع ارتكاب الجريمة في مرحله التنفيذ للمزيد انظر صوريه في مكافحه الجرائم المعلوماتيه مجله القانون الدولي للدراسات البحثيه على عدد الاول ٢٠١٩ صفحه ٩٥ الجزائر

- ٥- تحويل مؤسسات الدولة لمؤسسات الكترونية لبناء منظومه امنيّه شامله تضمن حمايه المعلومات وترسيم الخصوصيه وحمايه سريه المعلومات الشخصيه.
- ٦- تبني انضم قانونيه تنظم اليات التعامل الالكتروني وتجريم الم نتهكين الهكرز ومجرمين المعلوماتيه.

تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية وتحولات أنماط الصراع الدولي وتأثيرها على المنطقة العربية

د. ماجد عبد العزيز الخواجا

باحث من الاردن

ملخص

سعت الدراسة إلى تناول موضوع تداعيات وآثار الحرب الروسية الأوكرانية على تحولات أنماط الصراع الدولي ونظرية القطبية في العالم، وتناولت الدراسة عدداً من المحاور تمثلت بما يأتي: واقع الحرب الروسية الأوكرانية، تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية، التداعيات المحتملة للحرب على الدول العربية، مآلات الحرب الروسية الأوكرانية في تحولات أنماط الصراع الدولي، ونهج الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الناقد الذي يناسب طبيعة الدراسة، أظهرت نتائج الدراسة أن هذه الحرب سيكون العالم كله فيها خاسر، وأن هناك تحولات جذرية حاسمة ستعمل على إعادة رسم النظام العالمي، وخرجت الدراسة بجملة توصيات مستندة إلى نتائجها.

كلمات مفتاحية : روسيا- أوكرانيا - حرب روسيا أوكرانيا- أنماط صراع دولي- نظام عالمي جديد - تحولات سياسية- تبادل أدوار- عالم عربي.

Study summary

The study sought to address the subject of the repercussions and effects of the Russian-Ukrainian war on the transformations of international conflict patterns and the theory of polarity in the world. In the transformations of patterns of international conflict, and the study approached the descriptive analytical and critical approach that suits the nature of the study, the results of the study showed that this war in which the whole world will be a loser, and that there are radical and decisive transformations that will work to redraw the world order, and the study came out with a set of recommendations based on its results.

Keywords: Russia - Ukraine - Russia-Ukraine war - international conflict patterns - new world order - political transformations - role exchange - Arab world.

مقدمة

لم يخرج العالم بعد من جائحة كوفيد - ١٩، التي غيرت وجه العالم وأشاعت أساليب وطرق جديدة لمواصلة الحياة وديمومتها، وما زال العالم يحصي يوميا عديد المصابين الجدد والوفيات والمتعافين من الوباء، حتى يصدم باجتياح روسيا لدولة أوكرانيا المجاورة، والتهديد المباشر والمرعب من طرف الرئيس الروسي بأن روسيا سوف تستخدم السلاح النووي في حال اضطرت لذلك.

لقد توقف عداد الجائحة ليبدأ تعداد الضحايا والجرحى والمهجرين والهاربين، وما صاحب الحرب من احتمالات مروعة وصلت إلى درجة إمكانية نشوب حرب عالمية ثالثة لا تبقى ولا تذر أحداً من البشر.

إن العالم يخوض مواجهات مستمرة في البحث عن طرق للحياة تضمن للأجيال القادمة شيئاً من الأمل والعيش المشترك بسلام وطمأنينة، وتعمل على إيجاد حلول متوافق عليها ضمن نظام عالمي متعدد الأقطاب بما يسهم في التوازن والالتزان لمنظومة القوى العالمية التي أرهقتها الحروب والتوترات والأزمات المتعاقبة بحيث أصبح الجميع يسعى باحثاً عن آفاق مستقبلية تضمن المساحة والحرية والكرامة لكافة أفراد البشرية، وأن يكون الصراع من خلال الأسلحة السلمية المستندة إلى الحوار والتفاوض، لا الحوار بالصاروخ والقنابل والمدافع. فثمة صراعات تاريخية تأخذ شكلاً من الاحتدام إلى درجة عدم إمكانية بل استحالة توفر أية حلول سلمية لها.

لقد عانت الدول العربية عبر تاريخها المعاصر في سلسلة من الحروب والأزمات الداخلية والخارجية، ولم تستطع استكمال متطلبات الاستقلال الحقيقي لها طوال عقود نتيجة التبعية السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية.

لقد تباينت مواقف الدول العربية من حيث التأييد أو التحفظ أو الاعتراض على حرب روسيا ضد أوكرانيا، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة العلاقات الروسية العربية، والتشابكات في المصالح البينية.

إن انعكاسات وتأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية متعددة ولا مجال للتنبؤ بحدودها ونتائجها، فهي انعكاسات سياسية ستغير مشهد العلاقات الدولية والنظام العالمي وأنماط الصراعات الدولية والتحالفات القائمة. وهي أيضاً لها ارتدادات اقتصادية كبرى ستفاقم الأوضاع الاقتصادية تدهوراً أكبر مما حدث خلال سنتي التعامل مع جائحة كوفيد - ١٩.

لن يعود شكل العالم السياسي والاقتصادي كما كان عليه قبل الحرب الروسية الأوكرانية، ولن يستمر العالم ضمن مفهوم القطب الواحد، وسيزداد الطلب ويقل العرض وستختلف طبيعة الأسواق عما كانت عليه.

هذه كلها وغيرها من التداعيات المحتملة والقريبة التي ستنج عن الحرب، مع بقاء احتمال وهو ضعيف أن يتم هزيمة روسيا في الحرب وخروجها بخسارات كبيرة تجعلها تنعزل عن العالم لتدأوي جروح الحرب.

من هنا تجيء أهمية هذه الدراسة في تناول تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على الدول العربية وعلى أنماط الصراعات الدولية وعلى إعادة بناء نظام عالمي جديد.

➤ **مشكلة الدراسة :** ما دور الحرب الروسية الأوكرانية في تحول أنماط الصراع الدولي وإعادة رسم العالم من جديد ؟

➤ **أهمية الدراسة :** تبدو أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله والذي يعتبر مدار اهتمام العالم كله وهي الحرب الروسية ، وما هي التداعيات المحتملة لهذه الحرب وأثرها الاقتصادي والأمني والاجتماعي على دول العالم ، كما تظهر أهمية الدراسة من خلال تبيان الاحتمالات والمآلات لنواتج هذه الحرب من معادلات سياسية قد تعيد رسم خرائط الدول وتحالفاتها وربما تعيد بناء نظام عالمي جديد مختلف تماما عما هو عليه منذ عقود مضت.

➤ **أهداف الدراسة :** هدفت الدراسة إلى عديد مما يأتي:

- ١- تعرف وتحليل الحرب الروسية الأوكرانية.
 - ٢- تعرّف وتحليل التداعيات الناشئة عن الحرب الروسية الأوكرانية.
 - ٣- تعرف التداعيات المتوقعة على الدول العربية جراء الحرب الروسية الأوكرانية.
 - ٤- تعرف وتحليل التحولات المتوقعة للنظام العالمي الناتجة عن الحرب الروسية الأوكرانية
- **أسئلة الدراسة :** تحاول الدراسة الإجابة عن عديد من الأسئلة البحثية الواردة أدناه :

- ١- ما واقع الحرب الروسية الأوكرانية ؟
 - ٢- ما تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية ؟
 - ٣- ما التداعيات المحتملة للحرب على الدول العربية؟
 - ٤- ما مآلات الحرب الروسية الأوكرانية في تحولات أنماط الصراع الدولي ؟
- **منهجية الدراسة :** تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي الناقد والذي يناسب طبيعة الدراسة ، وتمت مطالعة الأدبيات والأبحاث والمقالات المرتبطة بموضوع البحث، والعمل على تحليل المحتوى ومحاكمته ونقده وتقييمه للخروج بنتائج الدراسة والبناء عليها كتوصيات لها.
- **مفاهيم ومصطلحات الدراسة :**

- **الحرب :** نزاع مسلح تبادلي بين **دولتين** أو أكثر من الكيانات غير المنسجمة، حيث الهدف منها هو إعادة تنظيم الجغرافية السياسية للحصول على نتائج مرجوة ومصممة بشكل ذاتي. وهي "عمليات مستمرة من العلاقات **السياسية**، ولكنها تقوم على وسائل مختلفة.

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B1%D8%A8>

- **أنماط الصراع الدولي :** الصّراع هو عبارة عن ظاهرة تنافس بين طرفين أو أكثر تتضمن اتباع كل طرف أهداف متعارضة في الوقت نفسه؛ بحيث يُريد كلّ طرف الحصول على ما يريد الحصول عليه الطرف الآخر وهنا ينشأ الصراع، كون حصول أحد الأطراف على ما يُريد يعني عدم تحقّق ما يريد الطرف الآخر؛ فالصراع قائم على الشيء نفسه. تؤكّد نظرية الصراع الدولي أنّ العلاقات الدولية لا تخلو من المنازعات والصراعات؛ حيث إنّ هذه الظاهرة تنتج عن الاختلاف بأهداف الدول القوميّة والتي تنعكس على سياساتها الخارجية؛ فلو بقيت أدوات الصراع كالتفاوض، والتهديد، والضغط، والمساومة، والاحتواء، والتحالف قائمة مع تغييرها حسب الموقف الدولي فهي لا تكون بعيدة عن نشوب صدام مسلّح أو حرب.

<https://mawdoo3.com>

- **النظام العالمي الجديد (New World Order (NWO)** : هو **حكومة عالمية دكتاتورية سرية** ناشئة من خلال **نظريات المؤامرة** المختلفة. <https://ar.wikipedia.org/wiki> وهو نوع من العلاقات الدولية التي تختلف عن العلاقات السابقة بعد نهاية الحرب الباردة وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي والشيوعية، أما باقي العالم، فلم يشمل في ذلك الوقت مصطلح النظام العالمي الجديد، بل كان خاصاً بالدول الغربية. <https://hyatoky.com>
- **التحولات السياسية** : مجمل التحولات التي تتعرض لها البنى السياسية في مجتمع ما بحيث يعاد توزيع السلطة والنفوذ داخل الدولة نفسها أو عدة دول. <https://www.aljamaa.net/ar/133397>
- **التحولات الاجتماعية** : كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو وظائفه خلال فترة زمنية.. وهو كل تغيير في التركيبة السكانية للمجتمع، أو البناء الطبقي، أو النظم الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في مختلف المؤسسات الاجتماعية. (كداي عبد اللطيف ٢٠١٥).
- **التحالفات الدولية** : تحالفات وتكتلات تجمع بين دول إقليم واحد أو مجموعة دول متباعدة جغرافياً و لكن تجمعها المصلحة المشتركة. وقد تكون تحالفات عسكرية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو أيّاً من المصالح المشتركة المتبادلة بين طرفين أو أكثر. <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- **العولمة** : إكساب الأشياء طابعاً عالمياً، وهي نظام عالمي يعتمد العقل الإلكتروني والمعلوماتية والإبداع التقني اللامتناهي، أي دون أخذ الأنظمة والثقافات والحضارات والقيم والحدود السياسية والجغرافية بعين الاعتبار. <https://hyatoky.com>
- **السلام غير الثابت (Unstable Peace)** ، ويسمى " الحرب الباردة " وتنشأ فيه توترات ملموسة واتهامات بين الأطراف. ومن المحتمل أن تتحول إلى عنف علني متقطع. وبالرغم من قلة العنف فيه إلا أن التعايش معدوم فيه. والأطراف لا تعني كثيراً بعلاقاتها المتبادلة بشكل كاف، ولا تسعى لوضع ضمانات تبعد احتمال استخدام الإكراهات والعنف المادي لتحقيق أهداف محددة. ويبدو السلام هنا ضعيفاً، ومستويات التوتر بين ارتفاع وانخفاض، وتسعى الأطراف لامتلاك السلاح بقصد الردع، والاتفاقات غير واضحة ومن السهل الإخلال بها. <https://www.aljazeera.net/2004/10/03>

المبحث الأول : واقع الحرب الروسية الأوكرانية

إنها حرب لا منتصر فيها، حرب يكون المنتصر فيها خاسراً. "عند انتهاء الحرب تذكروا ستنتهي الحرب ، ويتصافح القادة، وتبقى تلك العجوز تنتظر ولدها، وتلك الفتاة تنتظر محبوبها، وتلك الزوجة تنتظر زوجها، وأولئك الأطفال ينتظرون والدهم البطل، الأبطال لا يعودون، لا أعلم من باع الوطن، لكن رأيت من دفع الثمن".

في الساعات الأولى من فجر يوم الخميس ٢٤ شباط لعام ٢٠٢٢، بدأت روسيا حربها على الأراضي الأوكرانية، وأغلقت مجالها الجوي، وبدأت الجمهورية المنفصلة عن أوكرانيا "

لوجانسك" احتلال أو تحرير القرى المجاورة لها. لقد أطلقت روسيا هجوما مدمرا على أوكرانيا، البلد الأوروبي الذي يبلغ عدد سكانه ٤٤ مليون نسمة.

يعتبر الاتحاد السوفياتي أول دولة شيوعية استمرت ما بين عام ١٩١٧ ولغاية عام ١٩٩١ ، وتأسست بثورة اشتراكية في روسيا القيصرية، وتوسعت بضم ١٥ جمهورية فصارت أكبر دولة في القرن العشرين. قادت المعسكر الشيوعي العالمي سبعة عقود، وما سمي بحلف وارسو أو الكتلة الشرقية أو الجدار الحديدي الذي رسمه جدار برلين بتقسيمها إلى برلين الغربية وبرلين الشرقية. (قبيلات، سليمان، ٢٠١٦)

في ٢٥ كانون الأول من عام ١٩٩١ أعلن انتهاء الاتحاد السوفيتي بالكامل ودخوله في ذمة التاريخ، لتنتهي بذلك حقبة الحرب الباردة في السياسة الدولية، وتزول الثنائية القطبية في الهيمنة العالمية.

لقد تقلصت مساحة روسيا وهي الدولة الوريثة للاتحاد السوفيتي بنسبة ٢٤%، من ٢٢,٤ إلى ١٧ مليون كيلومتر مربع، وانخفض عدد السكان بنسبة ٤٩%، من ٢٩٠ إلى ١٤٨ مليون نسمة. وبدأ تاريخ روسيا الحديث من يوم ١٢ حزيران من عام ١٩٩١، حيث أعلنت روسيا في هذا اليوم استقلالها كما هو حال الجمهوريات السوفيتية الأخرى. وينسب إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قوله تعليقا على حادثة تفكك الاتحاد السوفياتي: " من لا يراوده الأسى لغياب الدولة السوفياتية. إنسان بلا قلب، ومن يعاوده التفكير في إمكانية إعادة مثل هذه الدولة. إنسان بلا عقل."

أوكرانيا أو روسيا الصغرى كما كانت تسمى تاريخيا هي مهد القيصرية الروسية ونحو ١٧% من السكان هم من الروس وثالث السكان يتحدثون اللغة الروسية وهي مهد الكنيسة الروسية الأرثوذكسية والتي نشأت على أكتافها إمبراطورية القيصرية الروس، شعبها من ذات نسل السلاف الروس والبيلاروسيين، وهي إحدى أربع جمهوريات التي تأسس بموجب اتفاق بينها الاتحاد السوفيتي. وهي أيضا إحدى الدول الثلاث " روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا" التي بادرت بتوقيع وثيقة الخروج من الاتحاد السوفياتي. (حامد حذيفة ٢٠٢١)

عانت أوكرانيا من الفقر والفساد وزعماء تابعين لروسيا أولهم ليونيد كرافتشوك وليونيد كوتشما، حتى اندلعت الثورة البرتقالية عام ٢٠٠٤ والتي أخرجت البلد من التبعية للمدار الروسي، وجاء إثر الانتخابات زعيم موالي لروسيا والذي تم اتهامه بتزوير الانتخابات، وهي العادة المتبعة في عديد من الدول التي استقلت نظريا عن الاتحاد السوفيتي. حيث كانت النتائج فيها تظهر فوزا ساحقا للموالين لروسيا. ومن حينها بدأ التهديد من أنصار الزعيم الموالي لروسيا بالانفصال عن أوكرانيا أو الانضمام إلى روسيا وهي التي اعترفت بهما روسيا جمهوريتي لوجانسك ودونيتسك إضافة إلى شريط حدودي بين أوكرانيا ومولدوفا تسمى بجمهورية ترانسنيستريا، إضافة إلى جمهوريات أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية في جورجيا، وهي جميعها محمية ومعترف بها من قبل روسيا، إضافة إلى ناغورنو كاراباخ داخل أذربيجان والتي كانت محمية من قبل أرمينيا قبل أن تستعيدها أذربيجان في المعركة الأخيرة.

ما يجري على الأراضي الأوكرانية هو اعتداء واحتلال واستقواء دولة متضخمة بأنواع وترسانات الأسلحة المدمرة للكوكب بأسره، إنها سياسة فرض الأمر الواقع وإعادة رسم الخرائط وتغيير المعادلات القائمة.

هذه أراء بوتين حيال أوكرانيا: "أوكرانيا جزء لا يتجزأ من تاريخنا. "لينين" هو الذي خلق دولة أوكرانيا التي نراها حالياً. "ستالين" هو الذي حرر أوكرانيا ومنحها بعض الأراضي لتشكيل دولتها. بهذه العبارات يتحدث الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن أوكرانيا التي عرفها ضابطاً في جهاز استخبارات (KGB) إبان العصر السوفييتي، وليس من منطلق رئيس لدولة جارة كانت في يوم ما ضمن ما يسمى بالاتحاد السوفييتي.

منذ أن استقلت دول الرابطة السوفييتية عن القوة العظمى والقطب الثنائي المتمثل بالاتحاد السوفييتي سابقاً، فقد ورثت تلك الدول العديد من مخلفات وتركبة الدولة العظمى، عبر إبقاء فتيل النزاعات وإيقاظ الفتن الداخلية والمحافظه على درجة من التوتر الدائم الذي يشغل الدول عن إمكانية أن تصبح ذات استقلال وطني وسيادي حقيقي، وجاءت رابطة الصداقة بين الدول المستقلة عن الاتحاد السوفييتي بزعامه روسيا، كبديل مؤقت يتيح لروسيا إمكانيات التدخل الفوري في شؤون وتفصيل تلك الدول دون اعتبار ذلك تدخلاً، بل يغلف على أنه دعم وإسناد لاستقرار الدول الصديقة المستقلة شكلاً، فجاء التدخل الروسي في كازاخستان مؤخراً إثر قيام مظاهرات وشبه عصيان مدني كاد أن يؤدي بالنظام السياسي القائم، حيث أن الدول المستقلة تم فيها زرع أنظمة سياسية موالية لروسيا إما بالخضوع التام أو بالرغبة والنزعة الشخصية كما هو الحال في طاجكستان وتركمانستان وقيرغيزستان وكازاخستان، وأوزبكستان، بل شاهدنا أنظمة سياسية ذات صبغة سلطوية وزعامه فردية في تلك الدول وصولاً إلى توريث الرئاسة للأبناء.

<https://www.alhadath.ps/article/152137>

لم يتعد المشهد السياسي لتفكيك تركبة الاتحاد السوفييتي عن أشكال أربع للأنظمة السياسية:

المشهد الأول: دول البلطيق الثلاث وهي أستونيا ولاتفيا وليتوانيا، حيث الهوى غربي أوروبي، لكنها دول مسالمة يمكن استباحتها في أية لحظة. وإن أصبحت ضمن الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو.

المشهد الثاني : ظهرت فيه دول مستقلة استطاعت أن تعيد بناء منظومتها السياسية بشكل شبه مستقل لكنها تحمل ذات الجينات الشيوعية في تفاصيلها، وهذه تشمل بيلاروسيا وأرمينيا وطاجكستان وتركمانستان وأوزبكستان وقيرغيزستان وكازاخستان، فهي دول بأنظمة شمولية وارتعانات كتوابع لروسيا عند الطلب.

أما المشهد الثالث: فقد تضمن دولاً حملت بداخلها توترات جاهزة للانفجار في كل وقت، مثل أذربيجان وجورجيا وأوكرانيا ومولدوفا، حيث بقيت فتائل وصواعق التوتر جاهزة للاستعمال الخارجي الروسي.

والمشهد الرابع: تظهر فيه دول أو جمهوريات حاولت التمرد والانفصال عن الفدرالية الروسية، لكنها جوبهت بقمع شرس وأد الفكرة من جذورها كما حدث في الشيشان وداغستان وتارستان وشركسيا.

إن العديد من دول ما بعد الاتحاد السوفيتي استلم قيادتها زعماء أحاطوا أنفسهم بهالات القداسة والكاريزما، مثل نور سلطان نزارباييف في كازاخستان إلى أن استقال بشكل مفاجئ في عام ٢٠١٩، وإسلام كريموف في أوزبكستان، حتى وفاته في سبتمبر ٢٠١٦. ومن خلال مراسيم أو استفتاءات شكلية أطالت فترة بقائهم في مناصبهم (وهي ممارسة اتبعتها أيضاً الرئيس ألكسندر لوكاشينكو رئيس بيلاروسيا وإمام علي رحمان رئيس طاجيكستان) أما عسكر أكاييف رئيس قيرغيزستان فكان رئيساً منذ استقلال الدولة حتى أجبر على الاستقالة نتيجة الثورة القريغيزية من عام ٢٠٠٥، وحكم صابر مراد نيازوف في تركمانستان منذ الاستقلال حتى وفاته في عام ٢٠٠٦، وخلق هالة أوصلته إلى درجة العبادة الشخصية حوله. وقام حيدر علييف بتسليم رئاسة أذربيجان لابنه إلهام علييف بعد بناء هالة واسعة وقداصة لشخصيته، وعززت مشاركة ابن عسكر أكاييف وابنته في الانتخابات البرلمانية القريغيزية لعام ٢٠٠٥ المخاوف من استخدام التوريث الأسري في قيرغيزستان، وربما ساهمت في المناخ المناهض لأكاييف الذي أدى إلى الإطاحة به.

في دول آسيا الوسطى وتشمل: " كازاخستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، تركمانستان، وأوزبكستان" بالإضافة إلى أذربيجان وجنوب القوقاز فهي جمهوريات ذات غالبية إسلامية، أما دول البلطيق فهي تاريخياً تدين بالمسيحية الغربية " البروتستانتية والكاثوليكية"، بالرغم من أن الغالبية العظمى من السكان على النهج الإلحادي. فيما الديانة السائدة في أرمينيا، بيلاروسيا، جورجيا، مولدوفا، روسيا، وأوكرانيا هي المسيحية الأرثوذكسية. ويلاحظ أن التدين قد ازداد في دول ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بما فيها روسيا.

وعلى الرغم من كل القيود التي تضمنها الدستور والقوانين السوفياتية على مر تاريخ الاتحاد، فقد نصت كلها خلال فترة وجوده، على حق كل الجمهوريات الفيدرالية في الخروج منه، اعترافاً بحق تقرير المصير، والتي كان آخرها قبل الانهيار عبر دستور العام ١٩٧٧، حيث نصّ على " حق الجمهوريات الاتحادية في إقامة علاقات مباشرة مع البلدان الأجنبية وإبرام المعاهدات والاتفاقيات وتبادل الممثلات الدبلوماسية والقنصلية والمشاركة المباشرة في أنشطة المنظمات الدولية"، وهي الحقوق التي لم تقدم أي من هذه الجمهوريات على الاستفادة منها، عدا جمهوريات روسيا الاتحادية وبيلاروسيا وأوكرانيا التي كانت انضمت إلى منظمة الأمم المتحدة منذ قيامها كأعضاء مستقلة كاملة الحقوق بما فيها حق التصويت، وعضوية الجمعية العامة للمنظمة الدولية تقديراً منها لدورها البطولي المتميز في الحرب العالمية الثانية.

يقول ستيفن والت (Stephen Walt)، وهو أحد أهم مؤسسي تيار الواقعية الكلاسيكية الجديدة، أن ما يحدث في أوكرانيا يدعم ويؤكد القدرة التفسيرية للمنظور الواقعي في العلاقات الدولية. (Stephen M. Walt, march, 4, 2022)

إن ما يجري الآن ليس منفصلاً عن كل ما تم سرده، فالتاريخ لا ينقطع وهو سلسلة متصلة من الأحداث والشواهد التي تجعلنا في أمواج عاتية من الظلم والقهر البشري المتعاقب. ما يجري الآن هو سلوك منفلت وغير منضبط ولا يمكن فهمه ضمن العلاقات الدولية وحق الدول في السيادة وتقرير المصير، والأهم أنه يدخل ضمن أطر الاعتداء والعدوان الذي سيكون ضحيته الأولى المدنيين. التاريخ حقا حملاً أوجّه، والتاريخ لا يعيد نفسه، لكنه يتحول ويستعيد مجرياته عندما تحين الظروف المواتية.

روسيا هي من قامت بإعلان الاتحاد السوفييتي، وألحقت ١٥ جمهورية وشعب ضمنه، وهي من فرضت الإبادة البشرية الجماعية والإبادة الثقافية على تلك الشعوب، وهي من فككت الاتحاد وأطلقت سبيل الجمهوريات، وهي من فرضت رابطة الدول المستقلة بشروطها، وهي من تحولت إلى النظام الاقتصادي المفتوح، وهي من تريد استعادة أمجاد القيصرية الروسية. قبل لحظات من بدء الغزو، ظهر الرئيس بوتين على شاشة التلفزيون معلناً أن روسيا لا تستطيع أن تشعر "بالأمان والتطور" بسبب ما وصفه بالتهديد المستمر من أوكرانيا. قدم الرئيس بوتين العديد من المبررات لغزو أوكرانيا، حيث ادعى أن هدفه من العملية العسكرية هو حماية الأشخاص الذين "يتعرضون للتنمر والإبادة الجماعية"، وأنه يسعى إلى "نزع السلاح والأفكار النازية" من أوكرانيا. (بول كيربي، بي بي سي نيوز، ٢٠٢١)

لم تكن هناك إبادة جماعية في أوكرانيا وهي ديمقراطية نابضة بالحياة يقودها رئيس يهودي. " كيف يمكن أن أكون نازياً؟" قال فولوديمير زيلينسكي، الذي شبه هجوم روسيا بغزو ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية. كثيراً ما ردد الرئيس بوتين اتهامه بأن المتطرفين سيطروا على أوكرانيا، منذ الإطاحة برئيسها الموالي لروسيا، فيكتور يانوكوفيتش، عام ٢٠١٤ بعد أشهر من الاحتجاجات ضد حكمه. وردت روسيا على ذلك بالسيطرة على منطقة القرم الجنوبية ودعم تمرد في الشرق من قبل الانفصاليين المواليين لموسكو الذين قاتلوا القوات الأوكرانية في حرب أودت حتى الآن بحياة ١٤ ألف شخص.

في أواخر عام ٢٠٢١، بدأت روسيا بنشر أعداد كبيرة من القوات الروسية بالقرب من حدود أوكرانيا. ثم ألغت اتفاق سلام أبرم عام ٢٠١٥ في الشرق واعترفت بالمناطق الخاضعة لسيطرة المتمردين على أنها مناطق مستقلة.

لطالما قاومت روسيا تحرك أوكرانيا نحو الاتحاد الأوروبي وتحالف الناتو. ولدى إعلانه للعملية العسكرية في أوكرانيا، اتهم بوتين الناتو بتهديد "مستقبلنا التاريخي كأمة". إن السيناريو المثالي يستوجب "تحرير أوكرانيا وتطهيرها من النازيين".

محددات الأزمة الروسية الأوكرانية:

١. المحدد الجيوسياسي: يُعتبر المحدد الجيوسياسي (الجيوبوليتيكي) أحد الأبعاد المحورية في أزمة العلاقات الروسية- الأوكرانية، وأهم المنطلقات التي تُحدد وترسم استراتيجية موسكو إزاء أوكرانيا، كون الأخيرة تعد منطقة فاصلة بين الغرب (حلف الناتو والاتحاد الأوروبي) وبين روسيا من بوابتها الغربية.

٢. **المحدد السياسي:** يلاحظ من خلال تتبع مسار الأحداث التي أثّرت على علاقة روسيا بأوكرانيا (٢٠٠٤ و ٢٠١٤)، بأن القراءة الروسية للمجريات ارتكزت على سعيها لتثبيت أو إبعاد من لا يواليها عن مراكز الحكم في كييف، ودعم فيكتور يانكوفيتش في العامين المذكورين، وامتناعها الشديد من التدخل الغربي والأميركي في الشأن الأوكراني، وتحفظها الشديد على وصول قيادة أوكرانية قومية تسعى لإبعاد الدولة عن النفوذ والفلك الروسي، والاتجاه إلى الغرب أولاً. فإن التدخلات الروسية في الشؤون الأوكرانية جاءت لمنع محاولات غربية من تهديدها، أي أن تحركات موسكو اتخذت من البُعد الدولي والاستقطاب الغربي استراتيجية ترى من خلالها أن أوكرانيا ستكون مركزاً جديداً للأزمة الدولية بين روسيا والغرب. كما أنها رأت في تدخلات الغرب؛ محاولة لتتصيب حكومات قومية موالية له بجوار الدولة الروسية.

٣. **المحدد التاريخي/الاجتماعي:** ترتبط روسيا وأوكرانيا بعلاقة تاريخية منذ قرون مضت؛ ففي العام ١٦٥٤، وقّعت معاهدة "بيرياسلاف" الهادفة لإدماج أوكرانيا بالإمبراطورية الروسية. وفي القرون اللاحقة جرت محاولات لضم أجزاء من أوكرانيا إلى إحدى القوى في حينه؛ كروسيا وبولندا والنمسا والدولة العثمانية. وفي العام ١٩٣٩ ضُمّ غرب أوكرانيا (ذو التوجهات الغربية) إلى روسيا السوفيتية، مع الإشارة إلى أن سكان الجزء الغربي الأوكراني، قد ساند جيوش ألمانيا النازية ضد جيوش ستالين في الحرب العالمية الثانية؛ في محاولة للانسلاخ عن الاتحاد السوفيتي. وبعد انتصار الجيش الأحمر، ظلت أوكرانيا جمهوريةً سوفيتيةً مهمةً بعد روسيا في اتحاد الجمهوريات السوفيتية حتى قرارها بالاستقلال عنه في خضم انهياره العام ١٩٩١. إضافةً للبعد التاريخي للأزمة، فإن للعامل الاجتماعي دوراً رئيساً في محدداتها. إذ إن الأوكرانيين في المناطق الشرقية والشرقية الجنوبية والموجودين في شبه جزيرة القرم؛ هم ناطقون باللغة الروسية، وينتمون للطائفة الأرثوذكسية الشرقية، ويعتبرون أنفسهم شعباً روسي، كونه جرى اختلاط تاريخي في وجود شعبين روسي وأوكراني، في الدولة الأوكرانية. (حامد، حذيفة، ٢٠٢١).

يبين لنا الشكل أدناه ميزان القوى العسكرية للدولتين حيث يتضح أنه يميل بقوة لصالح روسيا:

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

الميزان العسكري الروسي الأوكراني		
	أوكرانيا	روسيا
عدد العسكريين	1,100,000	2,900,000
في الخدمة الفعلية	200,000	900,000
الاحتياط*	900,000	2,000,000
طائرات هجومية	98	1,511
مروحيات هجومية	34	544
دبابات	2,596	12,240
عربات مدرعة	12,303	30,122
قطع مدفعية	2,040	7,571

*ملاحظة: تشمل قوات الاحتياط الأشخاص الذين أدوا الخدمة العسكرية في السنوات الخمس الماضية

B B C

المصدر: ISSS و Global Firepower

شكل رقم (١) الميزان العسكري الروسي والأوكراني

تمتلك أوكرانيا قدرات زراعية تمكّنها وحدها من ضمان الأمن الغذائي لدول أوروبا كاملة وتتخطاها أيضاً، إذ تعرف بأنها «سلة الخبز في أوروبا»، فيما كانت تعد سابقاً " سلة غذاء الاتحاد السوفييتي"، وأن صادرات القطاع الزراعي في أوكرانيا تمثل ٤٥% من إجمالي صادرات البلاد، وتصل مساحة الأراضي الصالحة للزراعة ٧١% من إجمالي مساحتها.

الصناعات التعدينية والتكنولوجية التي تحتل أوكرانيا بها مراكز متقدمة عالمياً وأبرزها توربينات المحطات النووية، إذ تحتل أوكرانيا المركز الرابع عالمياً في تصدير التوربينات، والمركز الـ ١٢ في مجال صادرات السلاح بقيمة إجمالية تصل إلى مليار دولار، إذ ورثت عن الاتحاد السوفيتي ٣٠% من مصانعه إلى جانب الصناعات التعدينية التي تعدها أوروبا تحديداً مستقبل الصناعات، وتأتي أوكرانيا في المركز الأول أوروبياً في احتياطات خام اليورانيوم، ولديها ١٢% من احتياطات العالم من المنجنيز، هذا إلى جانب احتياطات التيتانيوم والكبريت والحديد، لكن الأخطر من كل ذلك إنتاج أوكرانيا من غاز النيون -غاز خامل ومكون رئيسي للليزر المستخدم في صناعة الرقائق- الذي تعد الولايات المتحدة الأمريكية أكبر مستورد لخدمات تكنولوجيا المعلومات من أوكرانيا خلال العام الماضي، إذ إن ٩٠% من أشباه الموصلات المعتمدة على النيون داخلها تأتي من أوكرانيا

أصبح الاتحاد الأوروبي الشريك التجاري الأول لأوكرانيا واستحوذ على نحو ٤٠% من إجمالي شحنات البلاد إلى الخارج، الأمر الذي وضع أوكرانيا على خريطة التجارة العالمية عامة، والأوروبية تحديداً، بما تلعبه السلع المنتجة داخلها من أدوار مهمة في العديد من الأسواق العالمية. وفتحت اتفاقية الشراكة والتجارة الحرة التي عقدتها أوكرانيا مع الاتحاد الأوروبي الطريق أمام الاندماج التجاري بين الطرفين

قدّر البنك المركزي الأوكراني أن الناتج الإجمالي انخفض بمقدار النصف، في وقت أعلنت الحكومة الأوكرانية عن تدمير أكثر من ٥٠٠ مليار دولار من الأصول الاقتصادية، هذا إلى جانب الأضرار الجسيمة التي لحقت بالمطارات والموانئ البحرية والجسور التي أدت إلى شل البنية التحتية للبلاد والقدرة على التجارة مع البلدان الأخرى. مع استمرار الأزمة الروسية- الأوكرانية في التصاعد يبقى حدوث مزيد من عدم اليقين والتقلب في الأسواق الاقتصادية عنواناً

للمرحلة المقبلة، ويبقى مستقبل أوكرانيا ووجهتها القادمة رهن الحسم العسكري فيها، فإما أن ينجح بوتين في حربه وتستقطب أوكرانيا، أو على الأقل شرقها كورقة اقتصادية جديدة تسهم في تعزيز القوة الشاملة الروسية، وإما أن يخسر الحرب وتستمر أوكرانيا في شراكتها واندماجها مع الاتحاد الأوروبي. (الشنهاب وسام ، ٢٠٢٢/٤/٦)
المبحث الثاني : تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية

الحرب في أوكرانيا وأصداؤها عبر مختلف مناطق العالم، تظهر الصورة طبيعة التداعيات على دول العالم والتي تبين أن أوروبا هي المتأثر الرئيس والمباشر من الحرب الروسية الأوكرانية، تليها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وغرب آسيا، وتأتي وسط و جنوب إفريقيا في المرتبة الثالثة، وفي المرتبة الرابعة الأمريكيتين، أما في المرتبة الأقل تأثراً فتبدو الصين وشرق آسيا إضافة إلى استراليا والدول المجاورة لها.



مصدر الصورة: صندوق النقد الدولي

تدور أسئلة عن حقيقة الدور الأوكراني في الحرب الدائرة: هل هي ضحية موازين قوى وإعادة ترتيب وتموضع لها، هل هي حقل تجارب للسلاح الحديث والحرب السيبرانية، هل هي أرض عازلة وحاجز يمكن اللعب فيه بين روسيا والتحالف الغربي، أم أنها دولة تلعب دوراً محورياً وأساسياً وتمتلك أدوات اللعبة الدولية، إن المشهد الذي يقدمه الإعلام الغربي يتمثل بأن روسيا دولة معتدية بهمجية ووحشية على دولة مسالمة ذات إرادة حرة واعتراف دولي بمكانتها، فيما يقدمها الإعلام الروسي والمؤيد للرواية الروسية على أنها دولة مارقة يحكمها مافيويات وميليشيات نازية استولت على السلطة وتسعى لإضعاف الخاصرة الروسية. تبقى رواية أو وجهة نظر ثالثة غير معلنة، ربما يكون فيها الحقيقة المختلفة عن الروايتين.

إذا أرادت روسيا حجة للتدخل في أوكرانيا أو غيرها من دول الاتحاد السوفيتي السابق، فهناك دائماً الأقليات الروسية أو السكان الذين يتحدثون الروسية كلغة أم في الدول السوفيتية السابقة.

يقول دان دريزنر في مجلة فورين بوليسي: " روسيا بدون أوكرانيا دولة، لكنها بأوكرانيا إمبراطورية"

أما مؤلف كتاب " أسس الجيوبوليتيكا" المفكر ألكسندر دوغن، فهو يدعو إلى إيجاد " الإمبراطورية الروسية"، وهو يعتبر أن الفيدرالية نظام مرفوض، كذلك فإن مفهوم " الدولة الأمة" غريب على الشعب الروسي والثقافة الروسية. دوغن وهو يستعرض التجربة الروسية لنظام الدولة في العهدين القيصري والسوفييتي، ينتقد كلاً من هذين النظامين ويصل مع

الأوراسيين الروس إلى نتيجة مفادها أن قدر روسيا الجغرافي والثقافي أن تكون إمبراطورية أوراسية. ومفهوم أوراسيا الذي يتردد كثيراً عند المؤلف وعند كثير من الكتاب الروس بحسب المتابعين مرتبط بتقدير واقع روسيا الثقافي في كونها ليست غرباً ولا تنتمي إلى أوروبا وليست شرقاً ولا تنتمي إلى آسيا، إنها واقع جغرافي وإثني وثقافي متميز يربط بين الشرق والغرب. فمعركة الروس من أجل السيادة على العالم لم تنته بعد. بحسب دوغن أما الخطوات العملية لتحقيق ذلك فيرى أنها تتمثل في النقاط الأربع الآتية: تجميع الإمبراطورية، العودة إلى الدين والقومية، فتح الآفاق السياسية للقدرة العسكرية الروسية، وفتح الآفاق الاقتصادية للإمبراطورية الروسية. (قبيلات سليمان، ٢٧/١٠/٢٠١٦)

يمكن الحديث عن بعض التداعيات المباشرة للحرب الروسية الأوكرانية والمتمثلة بما يأتي :

- ١- خسائر مالية واقتصادية مباشرة تقدر بأكثر من تريليون دولار.
- ٢- ارتفاع أسعار الفائدة عالمياً حيث وصلت لأعلى معدلاتها في الولايات المتحدة منذ ثلاثين عاماً، مما يعني ركود في التبادلات المصرفية والسعي للإدخار أكثر منه للاستثمار وإقامة المشاريع.
- ٣- تأثر سلاسل التوريد في مختلف دوال العالم.
- ٤- انخفاض القدرة الشرائية للعائلات.
- ٥- ارتفاع الأسعار لمعظم السلع في العالم.
- ٦- ارتفاع معدلات التضخم وانخفاض قيمة العملات.
- ٧- زيادة الطلب وقلة العرض.

المبحث الثالث : التداعيات المحتملة للحرب على الدول العربية

رغم بعدها الجغرافي تفيد قراءة في خارطة المصالح التي تربط الدول العربية بأطراف الصراع في الأزمة الأوكرانية، بأن تأثيرات الأزمة وتداعياتها في منطقتي شمال أفريقيا والشرق الأوسط يمكن أن تكون أكبر بكثير مما يتوقع، بسبب ارتباط تلك المصالح بمجالات حيوية في حياة الناس وفي علاقات دول المنطقة من الناحية الاستراتيجية.

لكن أوجه تأثير الأزمة على دول المنطقة ستكون مرتبطة إلى حد كبير بطبيعة السيناريوهات التي يمكن أن تتطور وفقها الأزمة الحالية. إذ يرسم الخبراء سيناريوهات متباينة لمآلات صراع القوة المفتوح بين الغرب وروسيا، وهي تتراوح بين سيناريو حرب واسعة أو محدودة، وسيناريو استمرار التوتر الحاد، وسيناريو اتجاه الأزمة نحو الانفراج بناء على تسوية مؤقتة أو بعيدة المدى.

بحسب أحدث تقارير الأمم المتحدة، فإن هناك خمس دول عربية مهددة بالمجاعة وتشمل " اليمن وسوريا ولبنان والصومال وموريتانيا " فقد كشفت منظمة الأغذية والزراعة "الفاو" أن عدد الذين يعانون من نقص في التغذية قد يرتفع بين ٨ و ١٣ مليون شخص خلال العامين الحالي والمقبل، في حال استمرار الحرب. ويأتي هذا التقرير بناءً على أن روسيا وأوكرانيا توفران نحو **30% من صادرات القمح عالمياً**، وبعد الهجوم ارتفعت بالفعل العقود الآجلة للحبوب مثل القمح والذرة وفول الصويا. كما أن منظمة الأمم المتحدة ذكرت أن هناك ٤٥ من دول إفريقيا والأقل نموًا تستورد ما لا يقل عن **ثلث قمحها** من أوكرانيا أو روسيا. و ١٨ من هذه البلدان، تستورد ٥٠% من القمح من هذين البلدين على الأقل، وتشمل بوركينا فاسو ومصر، وجمهورية الكونغو الديمقراطية ولبنان وليبيا والصومال والسودان واليمن، مصر، معرضة للخطر بشكل

خاص كون نصف واردتها من القمح يأتي من روسيا، بينما ٣٠% منه يأتي من أوكرانيا (قناة العربي، ٢٠٢٢).

تشكل أوكرانيا سلة غذاء لعدد كبير من الدول العربية، وتعد مصر من أكبر مستوردي القمح في العالم اشترت حوالي ٥٠ في المائة من مشترياتها من القمح العام الماضي من روسيا وحوالي ٣٠ في المائة من أوكرانيا. أي أن واردات مصر من القمح من البلدين تشكل ٨٠ في المائة من احتياجاتها من هذه المادة الأساسية التي يعتمد عليها حوالي ثلثي سكان البلاد. وتشكل أوكرانيا المصدر الرئيسي للقمح إلى لبنان بنسبة حوالي ٥٠ في المائة من احتياجاته، و٤٣ و ٢٢ في المائة من احتياجات كل من ليبيا واليمن. وتبلغ نسبة واردات المغرب من القمح ٢٦ في المائة، وهي نسبة تضع أوكرانيا كمصدر رئيسي. أما الجزائر فإن روسيا هي المزود الرئيسي من القمح وتليها أوكرانيا، بينما تراجعت مكانة فرنسا مؤخرًا كمزود بالقمح للسوق الجزائرية، بسبب التوتر في العلاقات. <https://m.al-sharq.com/article/07/03/2022>

يرجع الحجم المحدود للتجارة بين روسيا والدول العربية إلى كون روسيا وكذلك الدول العربية تنتج سلعا متنافسة وليست متكاملة. فروسيا أحد كبار مصدري النفط والغاز في العالم، وكذلك نحو ٩ أو ١٠ دول عربية، تعتمد على صادرات النفط والغاز، كما أن أغلب الدول العربية تميل إلى استيراد المعدات والآلات من أميركا والغرب ومن الصين، نظرا للتقدم التكنولوجي في هذه الدول مقارنة بروسيا. وفي عام ٢٠١٩ صرح وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف أن شركات عربية وروسية نفذت نحو ٤٠٠ مشروع بتكلفة تبلغ ٤٠ مليار دولار، كان نصيب البنوك الروسية منها ٢٥ مليار دولار، كما تحظى الشركات الروسية بتنفيذ بعض المشروعات في العراق في مجال الطاقة، والتنقيب واستخراج النفط.

يُعدّ القمح وحديد التسليح أهم سلعتين تستوردتهما الدول العربية من روسيا وأوكرانيا، بنسب متفاوتة بين دولة وأخرى، وتقوم بعض الدول العربية، ومنها مصر، بتصدير بعض الفواكه والمواالح والخضراوات إلى روسيا وأوكرانيا. وربما تعد مصر الخاسر الأكبر في حال عزوف أو انقطاع السياحة الروسية إليها حيث أن مصر أحد الوجهات الرئيسية للسائح الروسي. إضافة إلى أن روسيا وأوكرانيا هما المصدرين الرئيسيين لاستيراد القمح.

أ. التداعيات على منطقة الشرق الأوسط :

التداعيات الجيوسياسية: لا يتوقف تأثير الأزمة الأوكرانية على منطقة شرق أوروبا، بل إن له تداعياته على الشرق الأوسط، باعتبار أن أطراف الصراع ترتبط بمصالح حيوية بدول المنطقة، وتتخربط في صراعاتها بصورة أو أخرى وبدرجة لا تقل على الصراع القائم في أوكرانيا، فحول الخليج حليف مهم للولايات المتحدة وأوروبا، وإيران لديها تحالف مهم مع روسيا والصين، وكلما احتدم الصراع في أوكرانيا، فإن صدها سيتزداد في المنطقة باعتبارها أحد ساحات المنافسة الإستراتيجية بين القوى الكبرى، وقد أعلنت روسيا التزامها إجراء تدريبات بحرية في البحر المتوسط، وأنها نقلت قاذفات وطائرات مجهزة بصواريخ أسرع من الصوت إلى قاعدتها الجوية في سوريا، ويعد هذا مؤشرا على أن المنطقة ليست بعيدة عن الصراع والتجاذبات التي تتجلى حاليا في أزمة أوكرانيا، وقد تتجلى غدا في أي من بؤر التوتر والصراع في الشرق الأوسط.

ب. التداعيات على الصراعات الإقليمية: تمثل سوريا ساحة مرتقبة أكثر تأثرا بالأزمة، إذ قد يمثل الضغط على النفوذ الروسي في سوريا ورقة يمكن أن تستخدمها الولايات المتحدة وأوروبا،

ويشير البعض إلى أن التوصل لتسوية بين أطراف النزاع في أوكرانيا، لن يستثني الوصول إلى مقايضة ما بشأن سوريا، وهو أمر سيكون له عواقب على دول الخليج وإيران وتركيا التي تبدو أمام خيارات صعبة في ظل علاقاتها المتأرجحة مع كل من روسيا والولايات المتحدة والغرب، والتي تتقاطع مصالحهما في سوريا بصورة واضحة. وجدير بالذكر، الإشارة إلى أن روسيا عندما حاولت أن تُخفف من الضغوط الأمريكية والأوروبية بعد ضمها شبه جزيرة القرم في عام ٢٠١٤، قرّرت التدخل في النزاع السوري في ٢٠١٥ إلى جانب النظام السوري، إذ كان ضمن دوافعها خلق توازن وبؤرة صراع بعيدا عن فضائها الجيوسياسي الحيوي، إضافة إلى التحكم في مشاريع نقل الطاقة المنافسة لها، ناهيك عن محاصرة الناتو من خاضعته الجنوبية في البحر الأبيض المتوسط إضافة إلى محاصرته في البحر الأسود وإيجاد نقاط تموضع جيواستراتيجية جديدة، تربط بين مناطق النفوذ الحيوي الروسي، لهذا فإن الدخول في حالة حرب أو استمرار التوتر سيدخل المنطقة في اصطفات دولية وحرب باردة حتمية.

ج. **التداعيات الاقتصادية:** يُعاني الاقتصاد العالمي في الوقت الراهن من ضعف النمو الاقتصادي وارتفاع حاد في التضخم، وساهمت الأزمة بالفعل في ارتفاع أسعار النفط والغاز عالمياً والمعادن الأساسية والموصلات الإلكترونية والأسمدة، ولا شك فإن خروج الأزمة عن السيطرة سيكون له عواقب وخيمة على الاقتصاد الأوروبي -خاصةً ألمانيا- والعالمي؛ ستواجه أوروبا التي تعتمد على روسيا في توفير قرابة ثلث احتياجاتها من النفط والغاز نقصاً حاداً في تلك الإمدادات قبل أن تجد البديل المناسب وسد العجز، وحتى ذلك الوقت، سترتفع أسعار النفط والغاز بدرجة أكبر مما عليه الآن، لتفرض تحديات جدية للنمو الاقتصادي العالمي ومزيد من الارتفاع في تكاليف الإنتاج وتكاليف الشحن والتأمين، وربما عرقلة سلاسل الإمداد مجدداً. وبجانب النفط والغاز، فروسيا مُنتج ومصدر أساسي لمنتجات تُشكل نسبة مهمة من السوق العالمي كالأسمدة، والمعادن كالنيكل والألومنيوم والبلاديوم والبلاتين، ما سينعكس في أسعار تلك المنتجات الهامة للصناعة العالمية في حال خروج الأزمة عن السيطرة.

ومن ناحية أخرى سيفرض حصار أوكرانيا تحديات متعلقة بالأمن الغذائي العالمي، نظراً للمزايا النسبية التي تتمتع بها أوكرانيا في القطاع الزراعي وتصدير الحبوب كالقمح والذرة واللحوم والدواجن وغيرها من منتجات الغذاء الأساسية، ما سيعرض أسعار تلك المنتجات للارتفاع، في وقت تحاول دول العالم جاهدة وضع حدٍ لارتفاع أسعار الغذاء الأساسية بعد جائحة كورونا، نظراً لتأثيرها المباشر على زيادة الفقر، والقوة الشرائية لعامة المواطنين، وبينما تعتبر أوكرانيا شريكاً تجارياً مهماً لعدد من الدول العربية، كما تعتبر مورداً مهماً للمنتجات والسلع الإستراتيجية وفي مقدمتها القمح، فإن تفاقم الصراع أو سيناريو الحرب قد يُعرقل حركة التجارة ويضر باقتصادات بعض الدول، وقد يُصاحب ذلك اضطرابات اجتماعية وسياسية، ناهيك عن اندفاع الحكومات للبحث عن مصادر بديلة للحصول على السلع، ومن بينها الولايات المتحدة التي لا شك سيكون لها شروطها ومطالبها وإملاءاتها.

ولا شك أن حزمة العقوبات الأمريكية والأوروبية التي ستستهدف روسيا لن تستثني شركاءها التجاريين وقد تطال العقوبات والأفراد والشركات والكيانات الرسمية، وهذا قد يضر ببعض دول المنطقة التي لديها علاقات اقتصادية مهمة مع روسيا، ويعرقل التعاون معها ناهيك عن تعطيل صفقات السلاح المبرمة أو المتوقعة في المستقبل. (المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ٢٠٢٢)

← تنظر روسيا إلى هذه المعركة المركبة سياسياً واقتصادياً، وربما عسكرياً، باعتبارها إحدى محطات إعادة التوازن في العلاقات الدولية. إن أوكرانيا تؤدي دور حصان طروادة،

وتستخدم كأداة للمناوشة والمشاجبة بين الغرب وروسيا. وإن إطالة أمد الحرب لن يكون في صالح أي طرف فيها وسيؤثر سلباً وبقوة على العالم بأسره.

← إن روسيا تواجه حالياً أكثر من ٥٠٠٠ عقوبة مستهدفة، أكثر من أي دولة أخرى في العالم. وأعلن البنك المركزي الروسي أن التضخم السنوي بلغ ١٧,٨ % خلال شهر نيسان من عام ٢٠٢٢. كما أن أوكرانيا تعرضت لضربة اقتصادية مروعة قضت على ٣٥ % من الناتج المحلي. إن الخسائر المباشرة لأوكرانيا بلغت أكثر من ٦٠٠ مليار دولار بعد ١٠٠ يوم من الحرب.

← هناك زيادة تكاليف السلع الأساسية على رأس التضخم الذي كان بالفعل على قدم وساق في العديد من الأماكن قبل الغزو. تتعرض البلدان النامية لضغوط شديدة بسبب ارتفاع تكاليف الغذاء والوقود والتمويل.

← ارتفعت أسعار النفط الخام في لندن ونيويورك بنسبة ٢٠ إلى ٢٥ في المائة، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار في المضخة ومجموعة من المنتجات القائمة على البترول.

← تعطلت إمدادات القمح في الدول الإفريقية، التي استوردت ٤٤ % من قمحها من روسيا وأوكرانيا في السنوات التي سبقت الغزو مباشرة. هناك زيادة بنسبة ٤٥ % في الأسعار القارية للحبوب. وإن ١,٤ مليار شخص في جميع أنحاء العالم قد يتأثرون بنقص الحبوب والأسمدة من البلاد.

إن حصيلة هذه الحرب على المدنيين غير مقبولة، هذه الحرب ليس لها منتصر. (شرف، حسن (٢٠٢٢/٦/٤)

. الخسائر الاقتصادية الأوروبية

واجهت الدول الأوروبية العديد من الأضرار والتحديات بسبب تداعيات الحرب، ومن صور ذلك، خلال الفترة محلّ الدراسة (٢٤ فبراير/شباط ٢٠٢٢ - ١٥ أبريل/نيسان ٢٠٢٢): ١- تباطؤ النمو الاقتصادي: فقد خفّض “بنك باركليز” من توقعاته لمعدل نمو الناتج المحلي للقارة الأوروبية إلى ٣,٥ % بعد الأزمة، مقارنة بـ ٤,١ % قبلها، وتوقع بنك “جي بي مورجان” معدل نمو ٣,٢ %، فقط. ٢- حجم التبادل التجاري: حيث يُعد الاتحاد الأوروبي أكبر شريك تجاري لروسيا، وتشكّل موسكو خامس أكبر شريك تجاري للاتحاد الأوروبي، وستؤثر العقوبات الغربية المفروضة على روسيا بشدة في العلاقات التجارية بين موسكو والاتحاد الأوروبي، خاصة مع قرار الدول الصناعية السبع الكبرى بإلغاء وضع “الدولة الأولى بالرعاية” الممنوح لروسيا بموجب قواعد منظمة التجارة العالمية. ٣- تهديد الاستثمارات والأصول الأوروبية في روسيا وتعرضها لخطر المصادرة أو التأميم بسبب الحرب والعقوبات الغربية، حيث يصل رصيد استثمارات بلدان الاتحاد الأوروبي في السوق الروسي نحو ٣١١,٤ مليار يورو (ما يعادل ٣٤٠ مليار دولار) حتى عام ٢٠٢٠. وبلغت الاستثمارات الروسية في دول الاتحاد الأوروبي نحو ١٣٦ مليار يورو خلال ٢٠٢٠. كما أن هناك حوالي ٦٠ مليار دولار مستحقة لبنوك الاتحاد الأوروبي على كيانات روسية يمكن تجميدها، وقد يتعرض أيضاً حاملو السندات السيادية الأوكرانية من أوروبا (نحو ٢٣ مليار دولار) لمخاطر عدم القدرة على السداد. ٤- تهديد أمن الطاقة الأوروبي: حيث تُعد روسيا أكبر مورّد للطاقة للاتحاد الأوروبي، فحوالي ٤٠ % من واردات الاتحاد من الغاز الطبيعي، ونحو ٣٣ % من وارداتها من النفط، مصدرهما روسيا. ٥-

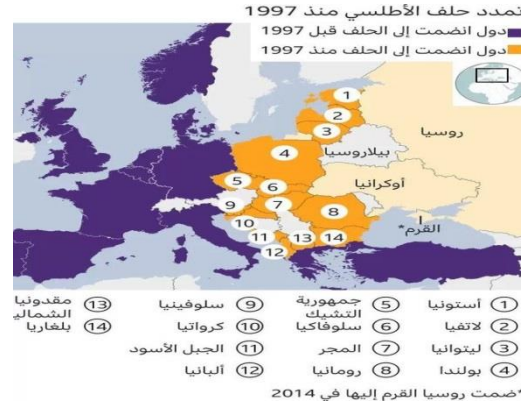
تهديد الأمن الغذائي: حيث تُعد روسيا أكبر مصدّر للقمح في العالم، وتوفر كل من روسيا وأوكرانيا معًا أكثر من ثلث صادرات الحبوب العالمية. وفي ضوء تطورات الأزمة، ارتفعت أسعار المواد الأساسية بما في ذلك السلع الزراعية، خاصة القمح والذرة بنسب متفاوتت بين ٤٠% إلى ٦٠%. وتشير التوقعات إلى أن الإمدادات العالمية من المنتجات الزراعية الرئيسية (القمح، الشعير، الذرة، زيت عباد الشمس) ستخضع بنسبة تتراوح بين ١٠% و ٥٠%. ٦- أزمة اللاجئين الأوكرانيين: حيث غادر نحو ٤ ملايين شخص أوكرانيا منذ بدء الحرب في أوكرانيا، وفقًا لتقديرات الأمم المتحدة. وهي أرقام مرشحة للزيادة كلما طال أمد الحرب، وتشير التقديرات إلى أن جهود إغاثة اللاجئين الأوكرانيين تتطلب نحو ٣٠ مليار يورو (٣٢,٧ مليار دولار) خلال العام الأول فقط. ٧- تضرر قطاع الطيران والسياحة مع حظر الرحلات الجوية بين روسيا والدول الأوروبية، كما تُعد روسيا ثالث أكبر مصدر للسياحة في أوروبا بجانب تضرر العديد من قطاعات التصنيع، والبنوك والخدمات المالية. (مركز المستقبل للدراسات، ٢٠٢٢).

المبحث الرابع : مآلات الحرب الروسية الأوكرانية في تحولات أنماط الصراع الدولي

يتفق المحللون عبر العالم على أن الدخول في الحرب أمر سهل، فيما الخروج منها غير مؤكد، لقد جاء التدخل الروسي في سوريا في سبتمبر أيلول ٢٠١٥، حدث بعد عام من الهجوم على شرق أوكرانيا واحتلال شبه جزيرة القرم. ولم تكن الخطوة الروسية في سوريا مجرد تعزيز لنفوذها التقليدي هناك، بل كشفت عن ديناميكية جديدة في الدور الروسي عسكريا في مواجهة النفوذ الغربي. بعد بسط نفوذها شبه الكامل في سوريا، سواء عبر قواتها العسكرية أو عبر مرتزقة الفاغرن، اتجهت موسكو بعد ذلك نحو شمال أفريقيا ومنطقة جنوب الصحراء، من خلال نشر الآلاف من عناصر فاغنر، لتصبح لاعبا رئيسيا في الأزمة الليبية وفي أوضاع عدد من دول غرب أفريقيا ووسطها. ستدفع حملات روسيا العسكرية واختراقاتها لمناطق نفوذ تقليدية لأوروبا والولايات المتحدة، القوى الغربية إلى إعادة النظر في حساباتها وهل يقود ذلك إلى إستعادة منطقة الشرق الأوسط لمكانتها في الاستراتيجية الأمريكية؟ إذا حدث ذلك، فربما يبدأ من منظور غربي، بسد بعض "الفجوات الاستراتيجية" التي ظهرت في السنوات القليلة الأخيرة في علاقات حلفاء تقليديين للولايات المتحدة مثل مصر والسعودية.

طالبت روسيا الناتو بإعادة عقارب الساعة إلى عام ١٩٩٧ والتراجع عن توسعه شرقا، وإزالة قواته وبنيته التحتية العسكرية من الدول الأعضاء التي انضمت إلى الحلف منذ عام ١٩٩٧ وعدم نشر "أسلحة هجومية بالقرب من حدود روسيا"، وهذا يعني أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية ودول البلطيق. ويبين الشكل أدناه عدد وحجم حلف الناتو وتمدده منذ عام ١٩٩٧ وحتى تاريخه: (بول كيربي بي بي سي نيوز، ٢٠٢٢)

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢



الشكل رقم () حلف الناتو وتمدده منذ عام ١٩٩٧

ثمة سيناريوهات لمآلات الحرب الروسية الأوكرانية تتمثل فيما يأتي :

١- **حرب الاستنزاف:** قد تستمر الحرب لشهور إن لم يكن سنوات وتخوض خلالها القوات الروسية والأوكرانية حرب استنزاف طويلة الأمد. وسيتبدل الزخم صعوداً وهبوطاً بين الطرفين وبحق كلاً الجانبين مكاسب أحياناً وبخسائر أحياناً أخرى. لا يرغب أي طرف بالاستسلام. ويرى الرئيس الروسي بوتين أنه يمكن أن يكسب الحرب من خلال إظهار الصبر الاستراتيجي والمراهنة على أن الدول الغربية ستشعر بـ " إرهاق أوكرانيا " وستركز أكثر على أزماتها الاقتصادية والتهديد الصيني

٢- **إعلان روسيا وقف إطلاق النار:** ماذا لو فاجأ الرئيس بوتين العالم بوقف لإطلاق النار من طرف واحد، وأن يكتفي بما حققه من مكاسب على الأرض ويعلن "النصر". ويمكن أن يدعي أن "عملياته العسكرية" قد اكتملت، فالانفصاليون المدعومون من روسيا في دونباس باتوا يتمتعون بالحماية، وأقام ممراً برياً إلى شبه جزيرة القرم، ويمكنه بعد ذلك السعي لكسب موقف أخلاقي والضغط على أوكرانيا لوقف القتال. "هذه حيلة يمكن أن تستخدمها روسيا في أي وقت، إذا أرادت الاستفادة من الضغط الأوروبي على أوكرانيا للتنازل والتخلي عن بعض أراضيها مقابل سلام افتراضي" وراجت مثل هذه الحجج في باريس وبرلين وروما ومفادها: لا حاجة لإطالة أمد الحرب، حان الوقت لوضع حد للآلام الاقتصادية العالمية، دعونا نضغط من أجل التوصل إلى وقف إطلاق النار. قد يراهن الروس على نفاذ صبر الغرب وشعوره بالإعياء بسبب نفقات الحرب في أوكرانيا، ومع ذلك، ستعارض الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وجزء كبير من دول أوروبا الشرقية هذا التوجه للغزو الروسي الذي يجب أن يفشل من أجل أوكرانيا والنظام الدولي. لذا فإن أي وقف أحادي لإطلاق النار من جانب روسيا قد يغير تبريرات الحرب، ولكنه لن ينهي القتال.

٣- **جمود خطوط القتال:** ماذا لو خلصت كل من أوكرانيا وروسيا إلى أنهما لا تستطيعان تحقيق المزيد من الناحية العسكرية ودخلا في محادثات من أجل الوصول إلى تسوية سياسية؟ واستنفد جيشا البلدين قدراتهما وباتا يعانيان من نقص في القوة البشرية والذخيرة. الخسائر البشرية والمادية لم تعد تبرر خوض المزيد من القتال. الخسائر العسكرية والاقتصادية لروسيا غير قابلة للتعويض والشعب الأوكراني سئم الحرب وبات غير مستعد للمخاطرة بمزيد من الأرواح من أجل نصر بعيد المنال وصعب التحقيق. ماذا لو قررت القيادة في كييف وبعد أن باتت غير واثقة من

استمرار الدعم الغربي أن الوقت قد حان للتحدث مع الروس؟ واعترف الرئيس الأمريكي جو بايدن صراحة بأن هدف أمريكا هو أن تكون أوكرانيا " في أقوى موقف ممكن على طاولة المفاوضات". لكن قد لا يكون هناك جمود في ساحة المعركة لعدة أشهر وأي تسوية سياسية ستكون صعبة لأسباب ليس أقلها عدم ثقة أوكرانيا في روسيا. وقد لا يصمد أي اتفاق سلام ويمكن أن يعقبه المزيد من القتال.

٤- **انتصار أوكرانيا:** هل يمكن لأوكرانيا أن تخالف كل التوقعات وتحقق شيئاً أقرب إلى النصر؟ هل تستطيع أوكرانيا إجبار القوات الروسية على الانسحاب إلى المواقع التي كانت تنتشر فيها قبل الغزو؟ وقال رئيس البلاد فولوديمير زيلينسكي للتلفزيون الهولندي هذا الأسبوع " إن أوكرانيا ستنتصر بالتأكيد في هذه الحرب". ماذا لو فشلت روسيا في الاستيلاء على كل دونباس وتكدت المزيد من الخسائر؟ العقوبات الغربية توجه ضربة لآلة الحرب الروسية. تشن أوكرانيا هجمات مضادة باستخدام راجمات الصواريخ الجديدة التي حصلت عليها وتستولي على الأراضي الواقعة في خطوط تمرکز القوات الروسية وتمر عبرها خطوط إمدادها. وتتجح أوكرانيا في تحويل جيشها من قوة دفاعية إلى قوة هجومية. هذا السيناريو محتمل لدرجة تكفي لجعل صانعي السياسة يشعرون بالقلق بالفعل بشأن عواقبه. إذا كان بوتين يواجه الهزيمة، فهل يمكنه التصعيد باستخدام أسلحة كيميائية أو نووية؟ ويبدو من غير المرجح أن يقبل بوتين بهزيمة عسكرية تقليدية إذا كان لديه خيار نووي.

٥- **انتصار روسيا:** ماذا لو حققت روسيا "انتصاراً" محتملاً؟ يؤكد المسؤولون الغربيون أن روسيا على الرغم من النكسات المبكرة التي منيت بها، لا تزال تخطط للاستيلاء على العاصمة كييف وفرض سيطرتها على الكثير من أراضي أوكرانيا. وقال أحد المسؤولين: " تحقيق هذه الأهداف القصوى لا يزال مطروحاً". يمكن لروسيا الاستفادة من مكاسبها في دونباس وتحرير القوات لاستخدامها في أماكن أخرى وربما حتى استهداف كييف مرة أخرى. لا يمكن تجاهل العدد الكبير من قتلى القوات الروسية والقوات الأوكرانية تمنى بخسائر مستمرة في ساحة القتال. وقد ينقسم الشعب الأوكراني إلى معسكرين، واحد يرغب في استمرار القتال والآخر يبحث عن مخرج للتوصل إلى السلام. قد تبلغ بعض الدول الغربية مرحلة الشعور بالتعب من دعم أوكرانيا. لكن بالمقابل إذا شعرت أن روسيا في طريقها لتحقيق الانتصار فقد يرغب بعضها في التصعيد العسكري ضد روسيا. إن مستقبل هذه الحرب لم يكتب بعد والأيام القادمة كفيلة بتبيان ما نجهله الآن. (لاندا جيمس، ٢٠٢٢)

فيما هناك سيناريوهات أخرى للمشهد الروسي الأوكراني يتمثل بما يأتي: إن احتمالات انتهاء الحرب الروسية لأوكرانيا يتوقع أن تمتد كصراع طويل الأمد، وحتى في السيناريو الأكثر إيجابية، وهو أن تسحب روسيا قواتها وتظل أوكرانيا دولة ذات سيادة، من غير المرجح أن تعود أوروبا إلى الوضع الراهن قبل الحرب، وقد يكون الآتي بالنسبة لأوكرانيا قائماً.

١- **سيطرة غير مكتملة:** إن الطبيعة المتغيرة للصراع تجعل من الصعب قياس ما سيحدث بعد ذلك في أوكرانيا، إذ لا يمكن التنبؤ بخطوات موسكو والغرب التالية. ومن المتوقع أن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، الكاره للحكومة الأوكرانية الحالية الموالية للغرب وتطلعاتها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي "وحلف شمال الأطلسي" (الناتو)، يريد تثبيت نظام موال لروسيا في كييف. هو أن تحصل روسيا على "سيطرة غير مكتملة" على شرق أوكرانيا، حتى نهر دنيبرو، "والاستيلاء على العاصمة كييف بعد حصار طويل الأمد، وإنشاء حكومة عميلة مدعومة من روسيا. وظهور قيادة "دولة أوكرانيا" من ليفيف في غرب أوكرانيا.

- ٢- **التطهير والتقسيم:** أي سيطرة غير مكتملة على أوكرانيا من قبل روسيا قد تؤدي إلى نوع من تقسيم البلاد، لا سيما مع ترسيخ روسيا بقوة في إقليم دونباسك شرقي أوكرانيا، حيث اعترفت باستقلال جمهوريتين مواليتين لروسيا قبل غزوها الأوسع للدولة، وباقتراض فوز روسيا بالحرب العسكرية، فإن سؤال التريلليون دولار هو: كيف تربح السلام في أوكرانيا.
- ٣- **تمرد:** من المرجح أن تواجه روسيا احتلالاً طويلاً الأمد، ومكلفاً ومؤلماً لأوكرانيا. إن انتصار روسيا في أوكرانيا سيكون "باهظ الثمن"، وإن أي انتصار لا يستحق الفوز لأنه سيفقد الكثير لتحقيق ذلك. ويمكن أن يفرض التمرد الأوكراني "خسائر بشرية ومالية كبيرة ومستمرة على روسيا"، إذ سيكون مطلوباً تخصيص قدر أكبر بكثير من مواردها على مدى فترة زمنية أطول بكثير مما توقعته، ومن المرجح في غضون ذلك، أن تقدم دول الناتو "مساعدات دفاعية سرية ولكن قوية للغاية للمقاومة الأوكرانية." في هذا السيناريو، "يستنزف الصراع خزائن موسكو ويحلها، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى الانسحاب بعد الكثير من العنف والموت". روسيا ستترك أنها "خاضت مرة أخرى حرباً لا يمكن الانتصار فيها"، في حين أن هذا السيناريو قد يبدو إيجابياً بالنسبة لأوكرانيا، مع تحول روسيا إلى دولة منبوذة على المستوى العالمي وانسحابها بعد غزو مكلف، فإن أوكرانيا ستكون "مدمرة" في هذه العملية.
- ٤- **الناتو في مواجهة روسيا:** رفض "حلف شمال الأطلسي" (الناتو) التدخل المباشر في الحرب الروسية الأوكرانية، لأن القيام بذلك سيؤدي على الأرجح إلى صراع مباشر مع موسكو، التي حذرت من تدخل أي دولة فيما تسميه "عملية خاصة" في أوكرانيا من مواجهة عواقب "لاتوصف". في حال انتصرت روسيا على أوكرانيا، مما يخلق كتلتين جيوسياسيتين متعارضتين، يحتمل أن تكون عسكريتين أيضاً، الاتحاد الأوروبي ودول "الناتو" على جانب واحد من الحدود، وأوكرانيا ودول أخرى في المدار السياسي لروسيا، مثل بيلاروسيا ومولدوفا، من الجانب الآخر. وقد يؤدي إلى مواجهة مباشرة بين الناتو والقوات الروسية، وبالتالي نشوب الحرب العالمية الثالثة.
- ٥- **معجزة:** الانسحاب الصريح للقوات المسلحة الروسية من أوكرانيا سيكون أفضل نتيجة ممكنة للبلاد في وضعها العصيب. إنه السيناريو الأكثر ودية لكيفية إنهاء الصراع في أوكرانيا، يمكن لأوكرانيا أن ترى قدراتها الدفاعية الخاصة مدعومة من قبل الناتو، مما يسمح لمقاومتها العسكرية والمدنية بالتغلب على الصعاب ومقاومة تقدم موسكو. في هذا السيناريو المحتمل، سيمنع روسيا من الإطاحة بحكومة كييف وإقامة نظام "دمية"، روسيا "ستدفع ثمناً باهظاً" لغزوها أوكرانيا، وفي احتمالية مواجهة ضغوط طويلة ومكلفة في أوكرانيا، إلى جانب الانهيار الاقتصادي، والعزلة الدبلوماسية لروسيا، فسيتم انسحاب قوات روسيا. وحيث تظل أوكرانيا دولة ديمقراطية ذات سيادة، إلا أنها يمكن أن تكون "محفوفة بالمخاطر." (عنب بلدي، ٢٠٢٢/٣/١٠).

➤ **نتائج الدراسة وتوصياتها:** خرجت الدراسة بجملته من النتائج والتوصيات فيما يأتي أهمها:

- سواء انتصرت روسيا أو أوكرانيا، فالعالم بأسره هو الخاسر.
- الضحية الأولى والحقيقة الوحيدة للحرب الروسية الأوكرانية تتمثل في إخفاء الحقيقة.
- عواقب خسارة روسيا في أوكرانيا ستضع أوروبا والولايات المتحدة أمام تحديات هائلة، إذ لو افترضنا أن موسكو ستضطر إلى الانسحاب، فإن إعادة إعمار أوكرانيا إلى جانب الهدف

السياسي المتمثل باستقبالها كعضو في الاتحاد الأوروبي وفي حلف الناتو، سيمثلان مهمة وازنة وأبعاداً ضخمة، وعلى الغرب أن لا يخذل أوكرانيا مرة أخرى.

■ البديل الثاني يكون شكلاً من أشكال السيطرة الروسية الواهية على أوكرانيا، فهو قد يعني منطقة متشظية وغير مستقرة عند حدود الناتو الشرقية، يسودها نزاع مستمر، وهياكلها الإدارية محدودة أو لا تملك أيّاً منها. كما أن الكارثة الإنسانية في هذا الإطار ستكون بحجم لم تشهده أوروبا منذ عقود.

■ عبثية الكلف التي أنفقت على حرب خاسرة، إضافة إلى الخسائر البشرية والتراجع الجيوسياسي، سوف يحددان مسار روسيا وسياساتها الخارجية لسنوات عديدة آتية، وسوف يكون من الصعب جداً بعد أهوال هذه الحرب تخيل روسيا بلداً ليبرالياً يطل برأسه على العالم.

■ احتمال أن ينزل الوهن والإذلال بروسيا، ما يؤدي إلى تبنيها مشاعر انتقامية تشبه تلك التي انتابت ألمانيا إثر الحرب العالمية الأولى. لو تمكن بوتين من إحكام قبضته والاحتفاظ بالسلطة، فإن روسيا ستتحول إلى دولة منبوذة وقوة عظمى معززة بقوة عسكرية تقليدية، وأيضاً بترسانة نووية جاهزة.

■ لو خسر بوتين سيطرته على روسيا، من غير المرجح أن نكون أمام روسيا ديمقراطية مؤيدة للغرب، بل يمكن لهذا البلد الكبير أن ينقسم وينفطر عقده، خصوصاً منطقة شمال القوقاز، أو ربما يغدو ديكتاتورية عسكرية تملك سلاحاً نووياً.

■ عودة سياسة الاحتواء: إبقاء روسيا تحت الضغط والانفتاح على الولايات المتحدة قد يغدوان أولوية لأوروبا في ظل سيناريو كهذا، إذ سيكون على كاهل القارة الأوروبية تحمل العبء الأكبر الناجم عن التعامل مع روسيا المعزولة بعد حربها الخاسرة في أوكرانيا. أما واشنطن من جهتها فستريد أخيراً التركيز على الصين. الصين بدورها قد تحاول تعزيز نفوذها في روسيا المصابة بالوهن – ما سيقود بالتحديد إلى بناء ما يشبه الكتلة، وإلى سيطرة صينية سعى الغرب إلى تلافيها في مطلع العقد الثاني من الألفية الثانية.

■ تسديد ثمن التدخل العسكري: التلاعب بالقواعد والأعراف الدولية، مثل سيادة الدول، له عواقب وأكلاف حقيقية. والمغامرات العسكرية تضعف الدول التي تنغمس بها. إن استطاعت الولايات المتحدة وأوروبا في يوم من الأيام استعادة السيادة الأوكرانية، وإن استطاعوا بالتزامن دفع روسيا والصين نحو تفاهم مشترك حول نظام عالمي.

■ النهاية الأفضل للأزمة الأوكرانية، من وجهة نظر روسيا، أن يؤدي نشر القوة العسكرية إلى إقناع واشنطن وحلفائها الأوروبيين بأن روسيا جادة وقادرة على غزو أوكرانيا، وأن تتحرك بالتالي نحو الاستجابة للمطالب الروسية، ولو في حدها الأدنى على الأقل. بمعنى، أن موسكو التي تطالب بالحفاظ على حياد أوكرانيا وعدم ضمها لحلف الناتو، وسحب وجود الحلف العسكري في بلغاريا ورومانيا، يمكن أن تقبل في هذه المرحلة باتفاق على وضع أوكرانيا، وحسب. (مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠٢٢)

■ استخدام المرتزقة والهجمات الإلكترونية والتضليل الموجه تلك هي السمات الأبرز للحرب الروسية الأوكرانية. في مبدأ الحرب الهجينة، تعتبر الوسائل غير العسكرية ذات أهمية خاصة. (هوفمان فرانك، 2022، DW)

المراجع

- ١- قناة العربي (٢٠٢٢): أزمة القمح فاقت معاناتها، دول عربية مهددة بالجوع، تاريخ النشر ٦ إبريل ٢٠٢٢، تمت المشاهدة ٢٠٢٢/٦/١٠، <https://www.alaraby.com/news>

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- ٢- كداي، عبد اللطيف (٢٠١٥) : التحولات الاجتماعية القيمية للشباب المغربي: محاولة للرصد والفهم، مجلة كلية علوم التربية، العدد (٧)، ص ٧٩.
- ٣- عنب بلدي أونلاين (٢٠٢٢): خمسة احتمالات لانتهاء الحرب في أوكرانيا، منشور على موقع عنب بلدي أونلاين بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٠، الرابط :
<https://www.enabbaladi.net/archives/555100>
- ٤- لاندال، جيمس (٢٠٢٢): خمسة سيناريوهات محتملة لانتهاء الحرب في أوكرانيا، منشور على موقع بي بي سي بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٤، الرابط : <https://www.bbc.com/arabic/world-61685431>
- ٥- قبيلات، سليمان (٢٠١٦) : أوكرانيا البلاد القلقة، جريدة الوطن، تاريخ النشر ٢٠١٦/٢٠/٢٧،
الرابط: <https://www.alwatan.com/article/34984/NEWS>
- ٧- الشنهاب، وسام (٢٠٢٢): سلة يورانيوم العالم: لماذا تعتبر أوكرانيا بالغة الأهمية للاتحاد الأوروبي؟ مقالة منشورة على موقع الرؤية بتاريخ ٦ إبريل ٢٠٢٢، الرابط :
<https://www.alroeya.com/60-64/2279284>
- ٨- الحرب بين أوكرانيا وروسيا " ملخص تاريخي يوضح كيف تفاقمت الأزمة، منشور بتاريخ ٢٠٢٢/٣/٥،
الرابط: <https://www.alhadath.ps/article/152137>
- ٩- تعرف على الخسائر العربية من الحرب الروسية الأوكرانية، مقال منشور على موقع الشرق بتاريخ ٢٠٢٢/٣/٧، الدوحة، الرابط : <https://m.al-sharq.com/article/07/03/2022>
- ١٠- شرف، حسن (٢٠٢٢): بالأرقام: هذا ما فعلته روسيا بأوكرانيا بعد ١٠٠ يوم، منشور على موقع أسيوشيتدبرس، جنيف بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٤، الرابط: <https://www.akhbaralaan.net/news/world/2022/06/04>
- ١١- "تداعيات الأزمة الأوكرانية على الاقتصادات الأوروبية في الأمد القصير"، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ١٧ آذار ٢٠٢٢، (تاريخ الدخول ٢٠٢٢/٦/١٧)، <https://bit.ly/3tW0H2D>
- ١٢- حامد، حذيفة، (٢٠٢١): الأزمة الروسية الأوكرانية: خلفياتها ومحدداتها، مركز القدس، نشر بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٢٣، <https://www.politicsdz.com>
- ١٣- مركز الجزيرة للدراسات (٢٠٢٢): استراتيجية حافة الهاوية، مغامرة بوتين الخطيرة في أوكرانيا، تاريخ ٢٠٢٢/٢/١٠، الرابط: <https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2022/2/10>
- ١٤- هوفمان، فرانك (٢٠٢٢) : مرتزقة واختراق وتضليل.. ما سر حرب روسيا الهجينة ضد أوكرانيا، منشور على موقع DW 'الرابط: <https://www.dw.com/ar7/a60871714>
- ١٥- كيربي، بول (٢٠٢٢): روسيا وأوكرانيا: ماذا يريد بوتين وهل ستنهي روسيا حربها، منشور بتاريخ ٢٠٢٢/٣/٢١، الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/world-59450489>
- ١٦- المعهد الدولي للدراسات الإيرانية (٢٠٢٢): الهجوم الروسي على أوكرانيا وتداعياته على الخليج وإيران، ورقة تقدير موقف، نشر بتاريخ ٢٠٢٢/٢/٢٤، الرابط: <https://rasanah-iiis.org>
- ١٧- مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة (٢٠٢٢): تداعيات الأزمة الأوكرانية على الاقتصادات الأوروبية في الأمد القصير، منشور بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٧، الرابط: <https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7165>

مراجع اجنبية ومواقع إلكترونية

- 18- Stephen M. Walt, "An International Relations Theory Guide to the War in Ukraine-A consideration of which theories have been vindicated—and which have

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

fallen flat,” Foreign Policy, March 8, 2022, “accessed June, 17, 2022”. <https://bit.ly/3qZhBve>

- 19- <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B1%D8%A8>
- 20- <https://mawdoo3.com>
- 21- <https://hyatoky.com>
- 22- <https://www.aljamaa.net/ar/133397>
- 23- <https://www.aljazeera.net/2004/10/03>

أثر التدخل التركي في الامن العربي

The impact of Turkish interference in Arab security

م.م. كرار فرحان هاني

كلية العلوم السياسية، جامعة الكوفة

م.م. ايمان هادي معارج

كلية العلوم السياسية، جامعة الكوفة

ملخص:

يمتاز الوضع الامني العربية بكثرة ازماته وتقلباته على مختلف الاصعدة ويعود ذلك الى التهميش والاهمال الحكومي للكثير من مطالب واحتجاجات المواطنين فادى ذلك الى اطماع الدول للتدخل بالامن العربي بمختلف الجج والمحاولات وكان ذلك يعتمد على اساليب مختلفة منها ما يكون على شكل دبلوماسي عن طريق معاهدات واتفاقيات التسليح والاجهزة الامنية المتطورة او ما يكون بشكل ميداني مثل التدخلات المباشرة عن طريق انزال قوات برية او مقاتلات جوية وهذا ما حصل في الونة الاخيرة .

اعتمدت القوى التركية على معايير مختلفة كادت ان تكون تقليدية في المحافظة او بسط نفوذ اي دولة على مساحاتها وحدودها ومحيطها الاقليمية او الدولي فقد كانت المعايير العسكرية متفوقة من خلال تطوير الصناعات العسكرية وامتلاك تركيا للكثير من الاسلحة الحديثة سواء المصنوعة محلياً او التي تم شرائها من الدول المصدرة للأسلحة على النطاق الدولي، فضلاً عن المقومات الاقتصادية والجغرافية ودبلوماسية.

واستخدمت الدولة التركية اليات مختلفة للتأثير في الازمات العربية من خلال نفوذها الذي فرضته وفقاً لمقومات القوة التي تتمتع بها حيث استخدمت الاليات العسكرية والاليات السياسية والاليات الناعمة المتمثلة في الاعلام وغيرها .

وبالنتيجة يعرض التدخل التركي أمن الدول العربية للخطر المادي والمعنوي فبعض التدخلات تؤثر بشكل نفسي واجتماعي و أصبحت العلاقة بين هذه التدخلات علاقة مضطربة تتناسب طردياً حيث كلما زاد التدخل زادت التهديدات والاضطرابات الامنية فضلاً عن ذلك فأن التدخلات الخارجية وخاصة التركية من الممكن ان تنمي حركة متطرفة او مرتزقة معينة تعمل على زعزعة الامن الاستقرار في المناطق العربية وهذا ما حصل في الازمتين الليبية السورية فقد حصلت تركيا على نتائج مهمة جداً بالنسبة لها لكنها زادت من مشهد الازمة تعقيداً

الكلمات المفتاحية :

الامن العربي، الشرق الاوسط، التدخلات التركية، الأزمة الليبية، الازمة السورية، الأمن الدولي.

Abstract:

The Arab security situation is characterized by its many crises and fluctuations at various levels, due to the marginalization and government neglect of many of the demands and protests of citizens. Developed or in the field, such as direct interventions by landing ground forces or air fighters, and this is what happened recently.

The Turkish forces relied on various criteria that were almost traditional in the province or the influence of any country on its areas, borders and regional or international surroundings. The military standards were superior through the development of military industries and Turkey's possession of many modern weapons, whether manufactured locally or purchased from exporting countries arms on an international scale, as well as economic, geographic and diplomatic components.

The Turkish state used various mechanisms to influence the Arab crises through its influence, which it imposed according to the elements of power it enjoys, as it used military mechanisms, political mechanisms, and soft mechanisms represented in the media and others.

As a result, the Turkish intervention exposes the security of the Arab countries to material and moral danger, as some of the interventions affect psychologically and socially, and the relationship between these interventions has become a turbulent relationship that is directly proportional, as the greater the intervention, the greater the threats and security disturbances. In addition, external interventions, especially Turkish, can develop an extremist movement or mercenaries. Certain groups are working to destabilize security in the Arab regions, and this is what happened in the Libyan and Syrian crises. Turkey has obtained very important results for it, but it has further complicated the scene of the crisis.

Key Words:

Arab security, the Middle East, Turkish interventions, the Libyan crisis, the Syrian crisis, international security.

المقدمة:

تتنافس الدول على النفوذ والسيطرة بشكل مستمر وهذا ماجعل الواقع الدولي يعيش سمة التغيير بشكل واضح وعلى مختلف الفترات ، وهذا لا يجعلها تتنافس فقط وانما تتصارع وتحارب من اجل بقاء نفوذها وهذا ماحدث في كثير من الاوقات .

مما يدفعها الى ضرورة بناء قوتها الداخلية والخارجية بمستويات تضاهي جيرانها او من يهدد امنها وسلامة حدودها وهذا يدفعها الى تطوير او تحديث قوتها الا ان معايير القوة تختلف من دولة الى اخرى وكذلك تختلف اهمية المعيار من موقف الى اخر.

عليه اخذت القوة التركية معايير مختلفة من اجل بسط نفوذها في بعض الازمات العربية وترسيخ دورها كمحور فاعل في هذه الازمات واهمها الازمتين الليبية والسورية حيث اعتمدت بشكل مباشر على مجموعة معايير منها ماهو عسكري وتمثل في تدخلها المباشر بالسلاح من خلال شنّها لحملات جوية كان بعضها بعلم او بغير علم الامم المتحدة او الدول الكبرى في النظام الدولي .

تدخلت تركيا في الازمتين الليبية والسورية من اجل اخذ حصتها في المنطقة الشرق اوسطية وحث الدول الكبرى على معاملتها معاملة الفاعل المحوري من خلال ارض الواقع فكانت لها اثر واضح في ذلك على الامن القومي العربي واتبعت سبل مختلفة من اجل التدخل واهما السبل العسكرية والاقتصادية واساليب اخلى تكون تحت مسمى القوة الناعمة.

الأهمية:

تتبلور أهمية هذا البحث في مجموعة نقاط منها:

- ١- ان العمليات العسكرية التركية انتشرت بشكل واسع واخذت دورها الفاعل في تغيير مسار النتائج التي تحقّقها هذه العمليات وهذا مايجعل من هذه العمليات ذات اولوية بحثية .
- ٢- ترتبط اغلب العمليات التركية في الحكومات العربية وخصوصاً حديثة التأسيس هذا يجعلها عرضة للضغوطات والتنازلات المستمرة .
- ٣- ضرورة تقديم مستوى حقيقي عن حجم التأثير التركي على الامن العربي سواء كان ذلك التأثير بواسطة القوة العسكرية او القوة الناعمة.

٤- يعد الأمن العربي أهمية أساسية وعلى مختلف المستويات وبالنسبة لجميع الفواعل الدولية التي تهتم بالمنطقة بالنتيجة ضرورة معالجة الأمن العربي وبيان مخاطر التدخل التركي خصوصاً أن اغلب الدول العربية تعاني من ضعف الامكانيات الامنية.

الأشكالية :

والأشكالية التي تدور حول هذا التدخل او الاثر هي (ان الامن العربي يعاني من الضعف والهشاشة جراء تدخل القوات التركية في الازمات العربية بشكل مباشر مما جعل من الامن رهن السياسة التركية فضلاً عن مامدى امكانية بقاء التدخل التركي في الامن العربية مع تطور الازمات والى اي مدى تتحمل الحكومة التركية النفقات العسكرية في المنطقة العربية) ؟

الفرضية :

تنبع الفرضية من أن وجود فرصة للتهديد يعني وجود جريمة يفصل بيننا وبينها الوقت غير المعلوم من قبل المهدد والذي يحدده القائم بالتهديد فقط واشتق من ذلك الافتراضات الاتية :

- ١- اذا كانت القوات التركية مستعدة لخوض الحرب من اجل نفوذها هذا يعني استمرار عدم الاستقرار في المنطقة .
- ٢- تعاني المنطقة العربية من كثرة الازمات بفعل المؤثرات الخارجية واخرى داخلية والتدخل التركي احد هذا المؤثرات وهناك ضرورة لابعادها عن الامن العربي.
- ٣- تتربط جميع مكونات الدولة مع بعضها فتهديد الفرد (مالياً او اجتماعياً او أمنياً) يؤثر بشكل رئيسي على أمن الدولة بالاضافة الى تهديدات السياسية ضد الحكومة او التهديدات الأمنية الأخرى وهذا ما يؤكد التدخل التركي في الازمات العربية فأنهم يهدد بذلك امن المواطن على مختلف المستويات .

المنهجية:

تتبلور في هذه البحث اكثر من مفهوم وأوسع من تأثير فكان المنهج الاستنباطي وسيلتنا لدراسة ذلك التأثير من خلال توضيح مقومات القوة التركية والانتقال من الكل الى الجزء والمتمثل بدراسة تأثير هذه المقومات على أمن الدول العربية فضلاً عن الية استخدام هذه المقومات بالاضافة الى المنهج التاريخي لوضع الشواهد التاريخية على التهديدات التي حصلت في سنوات ماضية .

المبحث الأول مقومات القوة التركية

لل قوة معايير مختلفة ولا يمكن جمع القوة في معيار محدد اذا ما اراد لها ان تظهر مكانة الدولة في النظام الدولي ككل فنقل او قوة دولة في معيار معين يقابله ضعف في معيار اخر وهكذا فأن قوة الدولة لا تقاس وفق نسب معينة وانما وفق معايير تحاكي قوتها من نمط شبة تقليدي وعلى هذا

الاساس فأن معايير الدولة التركية التي تكتسب بواسطتها قوتها في المنطقة العربية والشرق اوسطية بشكل خاص والعالم بشكل عام فأنها تتراوح بين المقومات الجغرافية والمقومات الاقتصادية والعسكرية فضلا عن بعض المقومات الاخرى وهي:-

أولاً: المقومات الجغرافية

تتمتع تركيا بموقع جغرافي مهم شكل منذ القدم مرتكزاً أساسياً من مرتكزات تحركاتها السياسية ومنحها قدرة كبيرة على التفاعل الحيوي مع محيطها الإقليمي، حيث تبلغ مساحتها الإجمالية حوالي (٧٧٩٥٠٠) كم مربع وهي دولة أوراسيوية يقع قسم صغير منها والذي تبلغ مساحته حوالي (٢٣٨٠٠) كم أي ما يعادل (٣%) من اجمالي مساحة تركيا في قارة أوروبا في حين يقع القسم الأكبر منها في قارة آسيا ويعرف باسم آسيا الصغرى أو هضبة الأناضول، ويفصل بين القسمين الأوروبي والآسيوي من الأراضي التركية مضيق البوسفور وبحر مرمرة ومضيق الدردنيل وجميعها تشكل ممراً مائياً يفصل بين البحر الأسود والدول المطلة عليه والبحر المتوسط وخطوط المواصلات البحرية العالمية من جهة أخرى، هذا ويربط بين قسمي تركيا الأوروبي والآسيوي جسر معلق يمتد فوق مضيق البوسفور ويعتبر من حيث طوله الجسر الرابع في العالم من حيث الجسور المعلقة، وتمتد الأراضي التركية بين دائرتي عرض (٣٦-٤٢) درجة شمالاً وخطى طول (٢٦-٤٤) درجة شرقاً وهي بذلك تبدو في هيئة مستطيل عرضه من الشمال الى الجنوب (٤٨٣) كم وطوله من الشرق الى الغرب (١٤٥٠) كم مربع (باكير، ٢٠١٠، ص٢٠)، وتشترك بحدود برية وبحرية مع كل من بلغاريا واليونان وبحر ايجة غرباً وجورجيا وأرمينيا والبحر الأسود شمالاً وإيران شرقاً والعراق وسوريا والبحر المتوسط جنوباً (عتريس، ٢٠٠٢، ص٢١٣).

وتركيا هي دولة قارية وبحرية في الوقت نفسه وهو موقع من النادر ان تتمتع به دولة بالمكانة الجغرافية التي تتمتع بها تركيا، وللمقارنة فأن مساحتها أكبر من مساحة ولاية تكساس بقليل وتساوي تقريبا مساحة المانيا واسبانيا مجتمعتين، كما أن اشتراكها بحدود مختلفة مع أكثر من دولة منحها حرية اكبر في اختيار السياسات او التحالفات انطلاقاً من كونها دولة محورية في مجالها الجغرافي، ومن ناحية التضاريس فسطح تركيا عبارة عن هضبه تعرف بهضبة الاناضول وترتكز في وسط البلاد بحيث تحجز شريطاً ساحلياً يمتد بامتداد السواحل البحرية التركية، وفي الجنوب منها جبال طوروس التي يتراوح ارتفاعها ما بين (١٨٠٠-٣٠٠٠) متر، وفي الشرق هضبة أرمينيا الجبلية الوعرة المسالك وتشغل ربع مساحة تركيا وتتصل بهضبة الاناضول (علي، ٢٠١٩، ص٣٣٤-٣٣٥)، كما تمتاز تركيا بوفرة الموارد المائية نتيجة للأحوال المناخية والتضاريس التي منحتها شبكة واسعة من المجاري المائية بعضها يصب في البحر المتوسط وأخرى في البحر الأسود وقسم يتجه نحو بحر ايجة ومرمرة ومنها ما هو ذو تصريف داخلي أو انهار حدودية أو مشتركة مع دول أخرى كنهر دجلة والفرات كما تحظى تركيا بغزارة التساقط السنوي أذ يصل معدله الى (٦٧٠) ملم أي (١٨) مليار متر مكعب سنوياً

غير أن (٦٤%) منه يتم فقدانها بالتبخر، وتبلغ حصة الفرد من المياه الصالحة للشرب والاحتياجات المنزلية حوالي (١٥٧٠) متر مكعب سنوياً (تركمان، ٢٠١٠)، وبذلك فتركيا تمتلك من المياه حوالي خمس ما هو موجود عند البلدان الغنية بالموارد المائية، إلا أن السياسة الخارجية التركية استخدمت هذه الوفرة كورقة ضغط على الدول العربية المجاورة لها والتي لديها معها انهار مشتركة لتحقيق مصالحها وهذا ما جعل العلاقات التركية مع سوريا والعراق تتميز بالتوتر منذ أواخر الثمانينيات وحتى الآن وما زاد حدة هذا التوتر هو لجوء تركيا خلافاً للاتفاق المعقود بينهما عام ١٩٤٦* الى تنفيذ مشروع جنوب شرق الاناضول (GAP)، فعملية التحكم هذه التي تمارسها تركيا على الموارد المائية لنهري دجلة والفرات تعد من أهم محددات سياستها الخارجية تجاه كل من سوريا والعراق، حيث لا تزال تصرخ بين الحين والآخر بأن هذين النهرين هما نهران تركيان، فريئس الحكومة الأسبق للجمهورية التركية السيد "سليمان ديميريل" صرح في أيار/ مايو ١٩٩٠ " إن لتركيا السيادة التامة على مواردها المائية ولا يجب أن تخلق السود التي تشيدها على نهري دجلة والفرات أي مشكلة دولية، ويجب أن يدرك الجميع أن نهري دجلة والفرات هما نهران تركيان حتى النقطة التي يغادران فيها الإقليم التركي"، فقد أكد هذا التصريح أهمية الموارد المائية في السياسة الخارجية التركية وذلك من خلال استغلالها للضغط على سوريا والعراق ومساومتها خاصة فيما تعلق باتهامها لسوريا ولبنان بدعمها لقيادات حزب العمال الكردستاني المتمرد، وبالتالي عملت تركيا على استغلال هذه الثورة الطبيعية فيما يخدم مصالحها لتحقيق أهدافها المستقبلية (الشمرى، ٢٠٢٠، ص ٣٧).

ثانياً: المقومات الاقتصادية

يعد الاقتصاد عصب السيادة لأي دولة والضمانة الحقيقية للاستقلال في القرار السياسي والثقافي والاجتماعي، والعنصر الأهم في رسم السياسات الخارجية للدول وبات اليوم العامل الاقتصادي المتغير الأساس في تحديد هياكل القوة في النظام الدولي المعاصر (صلاح، ٢٠١٧، ص ٧)، لذلك فإن من أهم متطلبات تقوية الدور الإقليمي التركي حدوث نهضة اقتصادية تسمح بتوفير الموارد اللازمة لتنفيذ السياسة الخارجية بكفاءة، فلا بد من تحسين البنية التحتية للسياسة الخارجية التركية بالتطور الاقتصادي كضمانة أولى لعمل خارجي فعال، وقد شهدت تركيا بالفعل طفرة اقتصادية في السنوات الأخيرة، إذ تمكنت في عهد حزب العدالة والتنمية من الوصول إلى المرتبة الـ (١٧) على قائمة أقوى الاقتصادات في العالم، وأكبر سادس اقتصاد مقارنة بدول الاتحاد الأوروبي (الطون ايشيق، ٢٠١١، ص ٧)، وتعد الحكومة التركية من أنجح الحكومات في إدارة تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية والتي حدت النجاح الاقتصادي بالمقارنة بما سبق، لكن ظل الاقتصاد التركي محتفظاً بكثير من عناصر قوته وقدراته (الشرقاوي، ٢٠٠٩، ص ٣٨).

تمتلك تركيا إمكانات اقتصادية كبيرة في كافة القطاعات ولاسيما القطاع الصناعي والزراعي، حيث يسهم قطاع الصناعة بنحو (٢٨%) من الناتج المحلي الإجمالي ويعمل فيه نحو (٢٦,٢%) من العاملين في تركيا، وتعتمد الصناعة التركية على الثروات الباطنية والمواد الأولية المحلية

اعتماداً كبيراً، إذ تمتلك احتياطاً جيداً من الفحم الحجري وفيها مكامن للكروم والنحاس والكبريت والزنك والمنغنيز والحديد وتنتج الطاقة من محطات كهرومائية وأخرى حرارية، إما أهم الصناعات فهي الصناعة الغذائية المتعددة الفروع والنسيجية وصناعة المشروبات والتبغ والألبسة والخیوط الطبيعية والصناعية والجلود والورق والمطاط، والصناعة الكيماوية والبتروكيماوية والخشبية والكهربائية والمعدنية والالكترونية وصناعة المخصبات (الأسمدة) والاسمنت والزجاج والخزف وتجميع السيارات وتجهيز القطارات والسكك الحديدية وإصلاح السفن وصناعتها وتجميع الطائرات واصلاحها وصيانتها وصناعة طائرات التدريب الحربية، وتنتشر المصانع في شتي انحاء تركيا تزدهم في أجزائها الغربية والشمالية الغربية وفي منطقتي (أضنة واسكندرون) وحول المدن المهمة والموانئ، كما تعد الصناعات التحويلية أحد المحركات الرئيسية للاقتصاد التركي فهي تمثل (٢٤,٢%) من الناتج المحلي الإجمالي، حيث تزايد معدل نمو الصناعات التحويلية خلال العقد الماضي وبمعدل سنوي مركب نسبته (١٢%) منذ عام ٢٠٠٣ وفي عام ٢٠١٣ تجاوزت مستويات نمو الناتج المحلي الإجمالي حيث وصلت الى (١٠٣) مليار دولار أمريكي (النداوي، ٢٠١٦، ص ٣٥٨)، إما القطاع الزراعي فقد لعب دوراً مهماً في تطوير الاقتصاد التركي ولا سيما أن معدل نسبة العاملين في الزراعة بلغت (٢٥,٢%) خلال السنوات الأخيرة من اجمالي القوة العاملة طبقاً لإحصاءات البنك الدولي، حيث تمتلك اقتصاداً زراعياً ناجحاً نتيجة استخدام طرق ووسائل الزراعة الحديثة والتي تستخدم على نطاق واسع، وغالبية السكان يعملون بالزراعة التي تقوم عليها صناعة المنتجات الزراعية والحيوانية، وتعتمد تركيا في صادراتها على هذه المنتجات التي تشكل ما قيمته حوالي (٦٠%) من حجم الصادرات التركية، كما تعتبر السهول الغربية والجنوبية في تركيا من أحصص البقاع إذ يزرع فيها القمح والشعير والذرة والقطن والأرز والبنجر والخضر والفاكهة، كما تحتل المرتبة الأولى في زراعة الكروم بين المحاصيل التجارية التركية في المساحة وتصدر للعالم في بعض السنين الزبيب، كما تشتهر بمراعيها العظيمة التي تشغل معظم مناطقها الجبلية حيث تشكل المراعي عماد الثروة الحيوانية التي تربي عليها الملايين من الأغنام والماشية، لذلك فإن تركيا غنية بصناعة منتجات الالبان والجلود والصوف واللحوم (ملاكوي، ٢٠١٣، ص ١٢).

وانطلاقاً من المؤشرات الاقتصادية لسنة ٢٠١٥ يمكن ملاحظة أن الناتج المحلي وصل إلى (٧٢٠) مليار دولار أي أنه أضعاف ما كان عليه قبل عام ٢٠٠٣ والذي وصل الى (٣٠٢) مليار، وفي عام ٢٠١١ أصبحت تركيا الثانية في النمو الاقتصادي عالمياً بعد الصين حيث بلغ نموها الاقتصادي (٨,٨%) في حين كانت الأزمة الاقتصادية تهز أوروبا في ذلك العام، كما ارتفع الدخل القومي على مدى ١٤ عاماً في حين كان يبلغ (٢٣٢) مليار دولار في عام ٢٠٠٢، ارتفع ليصبح (٧٨٣) مليار دولار في عام ٢٠١٥، بمعنى ازدادت حصة الفرد من الدخل القومي لتصل إلى (٩ آلاف و ٩٥٠) دولار بعد أن كانت لا تتعدى (٣ آلاف و ٥٠٠) دولار في عام ٢٠٠٣، كما نشطت تجارتها الخارجية حيث وصل حجم الصادرات إلى (١٤٤) مليار دولار أمريكي مع نهاية عام ٢٠١٥، بعد أن كان (٤٧) مليار دولار أمريكي في عام ٢٠٠٣ وبالمثل

ارتفعت إيرادات السياحة من (١٤) مليار دولار أمريكي تقريبا في ٢٠٠٣ لتصل إلى (٣١,٥) مليار دولار أمريكي في عام ٢٠١٥ (المرشد، ٢٠١٨، ص ٣٤).

حرصت قيادة حزب العدالة والتنمية منذ وصولها إلى السلطة في عام ٢٠٠٢ على تقوية علاقاتها الثنائية مع دول الجوار بحيث لا تبدأ بالقضايا السياسية الكبرى بل بالعلاقات الاقتصادية، التي كان من أهم تداعياتها تصفير مشكلاتها مع دول الجوار، واتجهت لتعزيز علاقاتها مع محيطها الجغرافي في الشرق مع كل من إيران والعرب وتؤكد على أربعة مبادئ تمثل الرؤية التركية لسياستها الإقليمية وتتلخص فيما يأتي (عبد الفتاح، ٢٠١٤، ص ٢٧٦):

١. تعزيز الاعتماد المتبادل بين اقتصادات المنطقة .
 ٢. ضرورة تحقيق الأمن المشترك للجميع .
 ٣. تغليب الحوار والآليات الدبلوماسية والسلمية في معالجة أزمات المنطقة .
 ٤. الحفاظ على وحدة الكيانات القائمة وطابعها المتعدد في إطار تأكيد التعايش الثقافي والتعددية .
- وبذلك بدأت تركيا تقيم علاقاتها مع الدول الأخرى على أساس الارتباط المعزز بين الاقتصاد والسياسة أي وضع السياسة في خدمة الاقتصاد، بمعنى أن التسويات السياسية التي تتم يكون من تداعياتها زيادة التفاعلات الاقتصادية وإقامة علاقات تحالفية (محفوظ، ٢٠١٢، ص ٩٨)، كما أن التطور الاقتصادي عزز من صورة تركيا في ما عرف باسم الدولة النموذج أمام دول الشرق الأوسط، وساهم في توجيه الحكومة لصنع سياسة خارجية نشطة في المجال الاقتصادي كمدخل للعودة إلى الشرق الأوسط، وهذا ما دعا له أحمد داود أوغلو وزير الخارجية السابق من خلال نظريته التي تسترشد بها حكومة حزب العدالة والتنمية لتعزيز مكانتها الإقليمية والدولية، والتي من خلالها طرح مبدأ الترابط الاقتصادي المتبادل الذي من شأنه أن يحقق التكامل الاقتصادي بين دول المنطقة حيث تؤمن تركيا بأن التكامل الاقتصادي يعد ركيزة أساسية وشرطا لإحلال السلام في المنطقة (اوغلو، ٢٠١١، ص ٦٢١) .

فهذه التحولات في السياسة الخارجية التركية إنما هي انعكاس للاستقرار السياسي والاقتصادي الداخلي الذي شهدته تركيا، فصناع السياسة التركية يرون أن المزوجة بين التنمية السياسية والقدرات الاقتصادية في الداخل تعطي تركيا مزايا كثيرة مكنتها من تطوير وتنفيذ سياسات نشطة ومؤثرة في محيطها الإقليمي، وبات الاقتصاد هو المحرك الأساس للسياسة وليس العكس وهو ما يجعل السمة البارزة للدور التركي والسياسة الخارجية التركية خصوصية التصور الاقتصادي، لذلك قامت تركيا بعقد سلسلة من الاتفاقيات بين دول المنطقة، وعند تتبع معظم الزيارات التي قامت بها يلاحظ أنه لا تكاد تخلو أي زيارة من تواجد وفد من رجال الأعمال إلى جانب رجال السياسة وذلك من أجل إبرام الاتفاقيات وتعزيز سبل التعاون الاقتصادي بين الدول (عبد القادر، ٢٠١٢، ص ٥٩٠) .

ثالثاً: المقومات العسكرية

تتمتع تركيا بموقع جغرافي استراتيجي مهم وبسبب هذا الموقع والظروف السياسية غير المستقرة في المنطقة كان لبناء القوة العسكرية أولوية لدى صناع القرار الأتراك مما غير في توجهاتهم حتى أصبحت القوة العسكرية جزءاً لا يتجزأ من ثقافة الشعب التركي، ونتيجة لوجود تركيا في منطقة غير مستقرة وكذلك القلاقل التي يسببها حزب العمال الكردستاني ولطموحات تركيا للعب الدور الإقليمي، كان لبناء قوة عسكرية محترفة أهمية قصوى عند الساسة الأتراك خاصة مع تطور القاعدة التقنية والصناعية والتعليمية في تركيا (الكفارنة، ٢٠١٨، ص ٢٢٦)، بالإضافة الى التزاماتها في إطار حلف الشمال الأطلسي كل هذا دفع بالقيادة السياسية التركية الى تكوين مؤسسة عسكرية قوية في عصر يتسم بكثرة النزاعات والمواجهات العسكرية إقليمياً ودولياً (السدي، ٢٠٠٦، ص ١٠٠).

تعد تركيا الأقوى بين جيرانها عسكرياً ويميل ميزان القوى الإقليمي في صالحها، حيث تعد القوات المسلحة التركية ثاني أكبر قوة مسلحة دائمة في حلف الناتو بعد الولايات المتحدة الأمريكية وتحتل المرتبة الثامنة عالمياً، وفق تقديرات مركز (Fire Power) العالمي المتخصص في ترتيب الجيوش وقوة الدول العسكرية لعام ٢٠١٤، ويعتبر الجيش التركي الـ (١٥) على مستوى العالم في الإنفاق العسكري، ويأتي في المرتبة الثانية فقط بعد إسرائيل في الشرق الأوسط، وتقدر ميزانيته بـ (١٨) مليار دولار وتصل وارداته سنوياً لقيمة (١,٢٦٩) مليار دولار بحسب إحصاءات عام ٢٠١٥ ومن الأسس التي تقوم عليها تركيا الجديدة إضافة إلى الاقتصاد القوي هي جيش وطني قوي وصناعات دفاعية قوية، حيث فرضت العودة إلى الشرق الأوسط على تركيا تغيير سياستها الدفاعية وأدخلتها في سباق التسلح الجاري بين اللاعبين الإقليميين كالسعودية وإسرائيل وإيران، ومن أبرز الأسباب التي دفعت تركيا الى تطوير صناعاتها الدفاعية هي رغبة تركيا في أن يكون لها دورا فاعلا، وأن تكون ذات نفوذ واسع في الشرق الأوسط، حيث تعد فكرة الصناعة العسكرية القومية أولوية لا بد منها لكل قوة عالمية وكأداة سياسية مهمة لذلك بدأت تركيا بتصنع جزءا كبيرا من سلاحها وبالأذات الطائرات المقاتلة والسفن الحربية (المرشد، ٢٠١٨، ص ٣٧، دني، ٢٠١٤).

وقد عبر أردوغان خلال كلمة ألقاها عند مشاركته بمراسم إنزال سفينة حربية محلية الصنع في مياه بحر مرمرة في ١٨ حزيران/يونيو ٢٠١٦ بمدينة إسطنبول شدد فيها على ضرورة تطوير قدرات تركيا في الدفاع، والردع باستخدام الموارد المحلية والوطنية وأضاف "لا يمكننا التوقف والتباطئ، خاصة فيما يتعلق بمسيرة تطوير الصناعات الدفاعية والعسكرية، وقبل كل شيء فإن موقعنا الاستراتيجي لا يسمح لنا بذلك"، ومن الجدير بالذكر أن التغيرات التي شهدتها دول الشرق الأوسط لا سيما بعد انطلاق ثورات الربيع العربي عام ٢٠١٠، دفعت تركيا إلى إعادة صياغة سياستها الخارجية والأدوات التي تستخدمها لتعزيز دورها في المنطقة العربية وعلى رأسها الأدوات العسكرية، وهو ما ظهر بشكل واضح من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي

عقدتها مع دول المنطقة في مجالات التدريب العسكري، واتفاقات التعاون التقني والعلمي التي تم توقيعها مع أكثر من (٦٧) دولة حول العالم، ومن أهم هذه الاتفاقيات تلك التي عقدت مع قطر في ١٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١٤ والتي تعمل على تعزيز التعاون العسكري بين البلدين، وإنشاء قاعدة عسكرية تركية في قطر وهي أول منشأة عسكرية تركية في الشرق الأوسط، إضافة إجراء مناورات عسكرية باسم " النصر " في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٥، ومن الجدير بالذكر أيضاً أن القلق الخليجي من تنامي الدور الإيراني في المنطقة يشكل ركناً أساسياً في تعزيز التعاون العسكري مع الجانب التركي، ومن ناحية أخرى عملت تركيا على استغلال هذه النقطة لتعزيز نفوذها في الشرق الأوسط كموازن للدور الإيراني (مبدأ اردوغان، ٢٠٢٠، ص٤، محمود، ٢٠١١).

أن أهم العلاقات العسكرية التركية في الشرق الأوسط هي تلك التي تربطها مع إسرائيل والتي بدأت في وقت مبكر جداً وتحديداً بعد اعتراف تركيا بإسرائيل بسنوات معدودة، حيث تطورت هذه العلاقات ووصلت الى عقد العديد من الاتفاقيات الأمنية والعسكرية سواء على المستوى الثنائي بين البلدين أو على مستوى ثلاثي مع بلدان أخرى، وفي تطور ملحوظ عام ١٩٧٤ قامت تركيا بشراء أسلحة إسرائيلية وهي عبارة عن دفعة من صواريخ (كافير) المطورة، ورشاشات خفيفة ومدافع لقواتها البرية، كما قامت تركيا بتعيين مستشار عسكري لها في إسرائيل بهدف تبادل المعلومات وتقوية العلاقات العسكرية (خماش، ٢٠١٠، ص٧٢)، وفي عام ١٩٩٥ قام الطرفان بعقد صفقة بقيمة (١٢٠) مليون دولار لتحديث الطائرات التركية من طراز (سوبر كوبار)، وفي تشرين الأول/أكتوبر من العام نفسه اجتمع المدير العام لوزارة الدفاع الإسرائيلية آنذاك (دافيد عفري) مع قادة الجيش التركي اذ تم الاتفاق على ثلاث اتفاقيات للتعاون العسكري تم تسميتها بمجموعة (العمل والتقييم الاستراتيجي) وكانت هذه المجموعة تهدف بالأساس الى تنسيق التعاون الاستراتيجي في مجال الاستخبارات والمساعدات الإسرائيلية لتدريب الجيش التركي، كما شهد عام ١٩٩٦ عقد اتفاقية عسكرية ذات أهمية استراتيجية بالغة لكل من الطرفين وذلك ابان زيارة نائب رئيس الأركان التركي آنذاك (جوبق بر) لإسرائيل، وبالرغم ان مثل هذه الاتفاقيات كان لا بد من عرضها على البرلمان التركي للمصادقة عليها، ألا أنه تم توقيعها دون عرضها على البرلمان استناداً على الاحتماء بإجراءات أمنية لحماية أمن البلاد واستقرارها وقد حظيت بموافقة رئاستي الجمهورية والحكومة (عبد العزيز، ٢٠٠١، ص٢٧)، وعند وصول حزب العدالة والتنمية الى سدة الحكم عمل على توثيق العلاقات العسكرية الإسرائيلية حيث تم توقيع صفقة بقيمة (٦٦٨) مليون دولار في شهر اذار/ مارس ٢٠٠٢ لتحسين الدبابات التابعة للجيش التركي وتزويدها بمنظومة معلومات تكنولوجية في مجال الدبابات، وفي نيسان/ ابريل ٢٠٠٥ قامت تركيا بشراء ثلاث طائرات متطورة ذات نظام (UAV) من إسرائيل للصناعات الجوية (IAI) والشركة الإسرائيلية (Eibit System) بتكلفة تقدر قيمتها (١٨٣) مليون دولار (محمود، ٢٠٠٩، ص١٠٣)، نلاحظ من ذلك أن المؤسسة العسكرية في تركيا هي مؤسسة عريقة بنظامها وتقاليدها وهي الآن مؤسسة أكثر تنظيماً وأكثر استمراراً في المجتمع، وتعد الجيش

الأكبر بين جيوش حلف الناتو بعد جيش الولايات المتحدة الأمريكية، فأصبح لهذه المؤسسة تأثيرها في السياسة التركية الداخلية والخارجية .

ويتضح مما سبق أن تركيا بموقعها المهم والمؤثر كونها دولة مترامية الأطراف وسط أرض واسعة بين قارتي أوروبا وآسيا مما يجعلها بلد مركزي ذو هويات إقليمية متعددة، فضلاً عن قدراتها الاقتصادية وقوتها العسكرية تشكل عناصر رئيسة تدفع بتركيا الى البروز كقوة إقليمية فاعلة في قضايا المنطقة العربية .

المبحث الثاني: آليات التدخل التركي في الأمن العربي

عملت الدولة التركية على تبني مختلف الاساليب من اجل التدخل وبسط النفوذ التركي في الوطن العربي او المنطقة العربية وخصوصاً في مناطق الازمات سوريا وليبيا وهي كالتالي:-

أولاً: الآليات السياسية

جسدت تركيا بعد وصول حزب العدالة والتنمية الى الحكم فيها عام ٢٠٠٢ تحركاتها السياسية تجاه المنطقة العربية وفقاً للتكتيكات الآتية:—

١- **قوة المبادرة الدبلوماسية (القوة الناعمة):**— قدمت تركيا رؤية مغايرة تماماً لدورها التقليدي تجاه الشرق الأوسط ترتب عليه أن اصبح للدبلوماسية والخيار السياسي الغلبة بالمقارنة مع الخيار العسكري الذي بقي حاكماً فقط فيما يخص حماية وحدة الأراضي، وإذا كان لابد لهذا الدور أن يتحقق فقد كانت الخطوة الأولى لذلك هي فيما سمي بـ (سياسة الجيرة الحميدة) (Amb,2013, p28)، التي عكستها وثيقة الامن القومي التركي التي صدرت عام ٢٠٠٢، وهي السياسة التي سعت تركيا فيها ونجحت في تحقيقها إلى حد كبير تمهيدا لأداء الدور المطلوب (الشوريحي، ٢٠١٢، ص ٢٥٦) .

جعل مفهوم تركيا في نفسها مركزاً للقوة الناعمة في الشرق الأوسط عن طريق الوساطة وتفسير المشاكل انما هو لبناء السلام والاستقرار في المنطقة، فضلاً عن أن تشجيع المشاركة والحوار والمبادرات الدبلوماسية يتجه بالأساس إلى مستويين: الأول هو مستوى اطراف الصراع انفسهم، والثاني فيختص بطبيعة أدوار الأطراف الثالثة وضرورة تجنبها سياسات العزل والتزامها بتشجيع اطراف الصراع على التواصل والحوار مع بعضها لحل الخلافات بأساليب سلمية (معوض، ٢٠٠٩، ص ١٢٥)، لقد عملت تركيا على تجسيد نهج القوة الناعمة أي الدبلوماسية منذ اللحظة الأولى لتسلم حزب العدالة والتنمية للسلطة في ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢، فانتقلت إلى موقع الطرف المبادر لا المنتظر لما يجري او سيجري، وأولى هذه التجسيديات جاءت عبر مبادرة غير مسبوقة وهي فكرة اجتماع دول الجوار الجغرافي للعراق في شباط/ فبراير ٢٠٠٣ ولم يكن قد احتل بعد، ومن ثم استمرت الاجتماعات الدورية لدول الجوار الجغرافي بعد الاحتلال، من هنا فقد أعطت أولى رسائل الدخول التركي إلى منطقة الشرق

الأوسط وجهاً جديداً لها لم يعهد من قبل وهو دور الوسيط والساعي لحل المشكلات عبر الحوار والتعاون بين الأطراف المتناقضة، بعدما كانت الصورة المكونة عنها هي تركيا الملتزمة بمطاردة الكرد المسلحين في العراق او المهددة لجيرانها بالتعاون مع إسرائيل، وقد توالى بعد ذلك تجسيدات سياسة القوة الناعمة والدبلوماسية الوسيطة في عدد كبير من القضايا منها (كامل، ٢٠١٨، ص ٢٤٥) :

- التوسط بين السلطة الفلسطينية برئاسة محمود عباس واسرائيل في تشرين الثاني ٢٠٠٧.
- التوسط في الأزمة اللبنانية بين فريقين ٨ و ١٤ آذار بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري.
- التوسط بين السلطة الفلسطينية برئاسة محمود عباس واسرائيل عبر الاجتماع الشهير بين الرئيس عباس والرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز بدعوة من الرئيس التركي آنذاك عبد الله غول في ٢٠٠٧، والسماح للرئيسين الفلسطيني والإسرائيلي بالتحدث امام البرلمان التركي.
- مساعي تركيا المتكررة للتوسط بين الرئيس عباس وحركة حماس بعد انفجار الخلاف بينهما.
- الوساطة بين سوريا واسرائيل عام ٢٠٠٨ بانعقاد اربع جولات مفاوضات غير مباشرة في إسطنبول.
- مبادرة خفض التوتر في القوقاز بعد انفجار الصراع العسكري بين جورجيا وروسيا في ٢٠٠٨، وطرح منتدى "التنمية والاستقرار في القوقاز".
- مساعي الوساطة بين باكستان وأفغانستان في نهاية عام ٢٠٠٨.
- الانفتاح الواسع على أرمينيا رغم حساسية وعمق الخلاف معها.
- محاولات التوفيق بين العرب المنقسمين تجاه التدخل الاسرائيلي في غزة نهاية عام ٢٠٠٨ وبداية عام ٢٠٠٩ وكذلك السعي لوقف فوري لأطلاق النار.

٢- المشاركة التركية في المؤسسات الإقليمية والدولية بفعالية أكبر:— تحظى المنظمات والمؤسسات الإقليمية والدولية بأهمية خاصة في توجهات واهتمامات صناع القرار ومنظري السياسة الخارجية في تركيا، وفي هذا الشأن تحدث رئيس الوزراء التركي السابق (أحمد داود أوغلو) عن تحول تركيا من دولة مركزية إلى قوة عالمية من خلال التدخل المتواصل في القضايا العالمية عبر المنظمات والمؤتمرات الدولية (نجم، ٢٠١٧، ص ٢٣٧)، حيث ادركت تركيا أهمية دور المنظمات الإقليمية والدولية في تعزيز الاستقرار والتعاون في محيطها الإقليمي والدولي وهنا فقد اضحت تركيا عضواً مراقباً في جامعة الدول العربية ووسعت إلى الاستفادة من صلاتها الوثيقة بالغرب من اجل تنشيط دورها الإقليمي وبالشكل الذي يحقق مصالح جميع الأطراف وذلك ضمن استراتيجية مستقبلية شاملة حيال المنطقة (عبد الفتاح، ٢٠٠٩، ص ٩٥)، فضلا عن انضمامها إلى منظمة شنغهاي كعضو مراقب منذ نيسان/ ابريل ٢٠١٣ مع ابرز شركاؤها روسيا الاتحادية والصين الشعبية (Zvi Magen,2013, p.63)، وقد حاول واضعو الاستراتيجية

التركية تركيز جهودهم على تهيئة الأرضية المناسبة لتفعيل حوار سياسي مستدام ومشاورات بين زعماء الدول في المنطقة العربية واصحاب القرار فيها من خلال مؤسسة سبل التعاون بآليات منتظمة، وهنا فقد اطلق الأتراك عشية التدخل العسكري الأمريكي في العراق ٢٠٠٣ مؤتمر دول الجوار العراقي من اجل دعم المصالحة الوطنية والاستقرار في العراق وللحوول دون المزيد من التدخل الخارجي في قضايا المنطقة، وبذلك باتت آلية دول جوار العراق التي تضم كل من تركيا، المملكة العربية السعودية، ايران، الأردن، البحرين، العراق، سوريا، والكويت بالإضافة الى مصر مؤسسة إقليمية تعمل بصورة منتظمة على مستويات عدة امنية وسياسية، من جهة أخرى عملت تركيا أيضاً بالتعاون مع جامعة الدول العربية لتأسيس المنتدى التركي — العربي الذي يهدف بشكل رئيس إلى التعامل مع الحواجز النفسية والاحكام المسبقة التي وقفت في طريق حوار بناء بين الفريقين، ونشطت تركيا تصميم هذا المنتدى بما يعزز حضورها السياسي والاقتصادي في المنطقة العربية (ميشال، ٢٠١٠، ص ٩٨).

٣- المشاركة في قوات حفظ السلام:— لم تتردد تركيا في أن يكون لها حضور فاعل في بعض مناطق التوتر فشاركت في قوات "اليونيفيل" في جنوب لبنان بعد عدوان تموز/ يوليو ٢٠٠٦، وكانت عودة عسكرية للمرة الأولى لجنود أترك الى المنطقة العربية بعد انسحابهم النهائي منها عام ١٩١٨، كما أرسلت تركيا قوات سلام أيضاً الى الصومال وقد وافق البرلمان التركي على ذلك في شباط/ فبراير ٢٠٠٩، ولتركيا أيضاً مشاركة في قوات حلف شمال الأطلسي في اطار عملية مكافحة الإرهاب في أفغانستان (الحمد، ٢٠٢٠، ص ٩)، كما أعلنت تركيا استعدادها للمشاركة بل ربما قيادة أية قوة مراقبين يتفق عليها في غزة من أجل وقف دائم لإطلاق النار عام ٢٠٠٩، كل ذلك من اجل تعزيز دورها الإقليمي وفقاً للرؤية التركية الجديدة التي ترى في تركيا قوة تتمتع بقدرات كبيرة على الصعيد الجغرافي والبشري والاقتصادي والتي تؤهلها لتأدية دور إقليمي كبير ومؤثر (كامل، ٢٠١٨، ص ٢٤٦).

ثانياً: الآليات الاقتصادية والثقافية

يحثل التعاون الاقتصادي نصيباً كبيراً في السياسة الخارجية التركية على صعيد الوسائل والأهداف، أذ تصنف تركيا اليوم في المرتبة (١٧) بين أقوى اقتصادات العالم، فضلاً عن امتلاكها لقاعدة صناعية قوية (Amb, 2013, p. 30)، ومن ثم فإن ثمة رابط مباشر بين الخطاب السياسي التركي الداعي إلى حل الصراعات وبناء السلام في المنطقة العربية من ناحية وبين تحقيق التكامل الاقتصادي الإقليمي أي ربط اقتصاديات المنطقة ببعضها البعض وبالاقتصاد العالمي من ناحية ثانية، حيث تشكل مسألة تنمية الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين دول الشرق الأوسط مكونة أساسية في رؤية الحكومة التركية ازاء المنطقة العربية، وأن التوجه نحو المنطقة يمثل ضرورة استراتيجية لتركيا للبحث عن اسواق جديدة داعمة لاقتصادها (Cengiz DINC, 2011, p.63)، ومن هنا فتركيا تحاول بقدر المستطاع أن تقوي حجم التجارة مع الدول العربية وخاصة الدول الخليجية ودول الجوار، فعلاقاتها التجارية مع أوروبا رغم أهميتها الا انها تضعها

في عجز تجاري بعض الشيء، ومن خلال زيارة رئيس الوزراء السابق رجب طيب أردوغان إلى دول الخليج أوضح بأن أهمية دول الخليج في مستوى أهمية انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، وبذلك فقد شهدت العلاقات التركية العربية والخليجية خاصة زخماً ملموساً على الصعيد الثنائي أو الجماعي ولاسيما العلاقات التركية القطرية (العطية وآخرون، ٢٠١٢، ص ٢٩٣)، حيث شهدت هذه العلاقات في السنوات الأخيرة ازدهاراً كبيراً شمل مختلف المجالات والنشاطات الاقتصادية، كما توجت هذه العلاقات باتفاقيات في مجال الطاقة والبنية التحتية، والتصنيع والمعدات العسكرية والسياحة، وقد أسهمت الشركات التركية بشكل ملحوظ في نهضة البنية التحتية التي تعرفها قطر خلال هذه السنوات، وقدمت هذه الشركات مساعدات لوجستية وصناعية في مجال الإنشاءات والطرق والمترو إضافة إلى أنابيب النفط والغاز ومصانع البتروكيماويات، وفي سنة ٢٠١٦ بلغت قيمة التبادل التجاري بين قطر وتركيا (٧١٠) مليون دولار دون المنتجات النفطية ومتعلقاتها، وفاقت قيمة المشاريع المنفذة في قطر من قبل الشركات التركية (١٥) مليار دولار، وتسعى تركيا إلى تطوير علاقتها مع قطر في مجال الطاقة حيث تحتل قطر المرتبة الثالثة عالمياً في تصدير الغاز ويوجد بها (١٤%) من احتياطي العالم من الغاز الطبيعي، ونتيجة للظروف الإقليمية والصراعات الدولية فقد سعت تركيا إلى اعتماد قطر حليفاً استراتيجياً في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري (Bilateral Political Relations between Turkey and Qatar, 2018)، وفي إطار سياسة البلدين لتعزيز التعاون الاقتصادي واكتشاف فرص الاستثمار وتطويرها انطلق بالعاصمة القطرية في ١٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٨ المعرض التركي-القطري للاستثمار (إكسبو تركيا في قطر) حيث يعتبر هذا المعرض الأول من نوعه في قطر وشارك فيه حوالي (١٤٥) شركة تركية تعرض منتجاتها في السوق القطرية وتشمل هذه المنتجات: الإلكترونيات، والمواد الغذائية، والأدوات المنزلية، إضافة إلى منتجات أخرى تستهدف مختلف المجالات والقطاعات، وهذا المعرض هو نتويع للتعاون الثنائي المثمر وتأكيد لأهمية التعاون الاستراتيجي بين البلدين ومن نجاحاته وجود (٢٤٢) شركة تعمل في قطر برأس مال مشترك قطري - تركي، و(٢٦) شركة تعمل برأس مال تركي (١٠٠%)، وينظر المستثمر القطري إلى السوق التركية كإحدى الأسواق المفضلة لديه (Qatar, 2017)، وبذلك استطاعت تركيا جذب (٢٠) مليار دولار من الاستثمارات القطرية حيث تقع قطر في المرتبة الثالثة بين الدول المستثمرة في تركيا، وتستهدف الاستثمارات القطرية مجالات مختلفة في مقدمتها القطاع المصرفي التركي وقطاع الطاقة والتصنيع والسياحة والعقارات إضافة إلى قطاع الزراعة، كما تمكنت قطر في نهاية عام ٢٠١٥ من شراء حصة بنك اليونان الوطني المعروف بـ"فينانس بنك" في تركيا والذي يعتبر خامس أكبر بنك في القطاع الخاص في تركيا من حيث حجم الودائع والقروض، وقد قدم بنك قطر الوطني (٢,٩٤) مليار دولار ليملك بذلك (٩٩,٨١%) من حصة فينانس بنك، وقد شهد هذا المصرف ازدهاراً كبيراً خلال سنوات معدودة وحقق نجاحات باهرة فوصل عدد فروعها إلى (٦٢٠) فرعاً وعدد عملائه إلى أكثر من (٥,٣) ملايين عميل (Qatar's investments in Turkey reaches over \$20bn", peninsulaqatar.com, 2017).

تعيش العلاقات الاقتصادية التركية-القطرية عصرها الذهبي وتتوسع هذه العلاقات لتشمل قطاعات جديدة واتفاقيات جديدة في مجالات الطاقة والتصنيع العسكري والزراعة والسياحة وغيرها من النشاطات الاقتصادية ذات الأهمية المشتركة بين البلدين، وخلال السنوات الثلاث الماضية زاد حجم الاستثمارات القطرية في تركيا بشكل كبير تزامن مع انتشار كبير للشركات التركية في السوق القطرية وحظيت هذه الشركات بعقود كبيرة في مجال البنية التحتية، حتى في ظل الحصار الذي فرضته كل من السعودية والامارات والبحرين ومصر على قطر قام البلدان بتوقيع اتفاقيات جديدة عاجلة لتغطية أي عجز في السوق القطرية نتيجة الحصار، وخلال أيام قليلة من عمر الأزمة كانت طائرات الشحن الجوي التركية والسفن التجارية المحملة بأنواع البضائع تشق طريقها نحو الدوحة، وتم تعزيز هذه الاتفاقيات بزيارة وفود من رجال الأعمال القطريين لتركيا واجتماع اللجنة العليا المشتركة القطرية-التركية (محمود، ٢٠٢٠، ص ٢٤)، وحسب المعطيات التي قدمها وزير الاقتصاد التركي (نهاد زيبكجي) فإن الصادرات التركية لقطر قد ارتفعت من (٣٦,٢) مليون دولار في أيار/ مايو ٢٠١٧ إلى (٥٢,٤) مليون دولار خلال شهر حزيران/ يونيو ٢٠١٧، في المقابل وصلت قيمة صادرات قطر إلى تركيا (٢٣,٧) مليون دولار في شهر حزيران/ يونيو ٢٠١٧ بعد أن كانت (١٩,٦) مليون دولار خلال شهر أيار/ مايو ٢٠١٧، في حين تراجع التبادل التجاري مع دول الحصار حيث بلغت الصادرات التركية تجاه السعودية في شهر مايو/أيار ٢٠١٨ نحو (٢٧٧) مليون دولار، وبذلك فقد انخفضت هذه القيمة بنسبة (٣٦,٤) خلال حزيران/ يونيو من نفس العام أما الصادرات التركية للإمارات العربية المتحدة فقد تقلصت بنسبة (٢٠,٥%) من (٣١٦) مليون دولار إلى (٢٣٤) مليون دولار خلال نفس الفترة، أما البحرين فقد انخفضت الصادرات التركية إليها بـ (٢٤%) من (٢٠,٧) مليون دولار إلى (١٥,٦) مليون دولار، تأتي هذه النتائج فيما بدا وكأنه تحد للقرار التركي المساند لدولة قطر وعقاب اقتصادي لها ألا أن تركيا فعلت اتفاقيات تجارية مع إيران وارتفعت نسبة التبادل التجاري بين أنقرة وطهران بـ (٨,٥%) أي من (٢٣٣) مليون دولار إلى (٢٥٠) مليون دولار ثم فعلت اتفاقيات مماثلة مع الكويت في المجال الاقتصادي والعسكري (محمود، ٢٠١٨، ص ٦).

وفي إطار العلاقات الاقتصادية التركية الكويتية فقد تم توقيع ما يزيد عن (٣٦) اتفاقية في مختلف المجالات منها اتفاقية التعاون الاقتصادي واتفاقية التعاون العلمي والفني واتفاقية تشكيل لجنة عليا مشتركة للتعاون بينهما على مستوى وزراء الخارجية، بالإضافة الى اتفاقية التعاون في المجال الصحي وأخرى في مجال تبادل الايدي العاملة، في حين تميزت علاقاتها الاقتصادية مع سوريا بتشكيل مجلس تعاون بينهما في عام ٢٠٠٩ على مستوى الوزراء ورؤساء الوزراء، ومن خلال الاجتماعات المتعاقبة لهذا المجلس تم التوقيع على نحو (٦٣) اتفاقية وبروتوكول ومذكرة تفاهم لتنظيم العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين، وفي يناير ٢٠٠٧ دخل اتفاق منطقة التجارة الحرة بين البلدين حيز التنفيذ، مما ساعد على حركة نشطة للتجارة وكذلك السياحة والاستثمار، إلا أن الثورة السورية التي انطلقت في آذار/ مارس ٢٠١١ كانت حدا فاصلا في العلاقة بين

الدولتين، وأدت إلى تحجيم العلاقات السياسية والاقتصادية بينهما بسبب انحياز تركية للثورة السورية، وقد تحملت تركيا نظير ذلك استضافة نحو (٣) مليون مهاجر سوري، وفتحت تركيا أسواق العمل والجامعات والمدارس والمستشفيات أمام المهاجرين السوريين، الذي يحظون بمعاملة المواطنين الأتراك في الكثير من الخدمات، إما علاقاتها الاقتصادية مع العراق فقد تم تشكيل مجلس التعاون الاستراتيجي بين البلدين في عام ٢٠٠٨، وفي عام ٢٠٠٩ تم توقيع (٤٨) اتفاقية في مجال الأمن والطاقة ومختلف الجوانب الاقتصادية، ويساهم العراق بمد تركيا باحتياجاتها من النفط بنحو (١٥%) من إجمالي احتياجات تركيا النفطية، وكانت آخر اجتماعات هذا المجلس عام ٢٠١٧ بحضور رئيس الوزراء التركي في العراق (العطية وآخرون، ٢٠١٢، ص ٢٩٢).

أما على الصعيد الثقافي فقد تمكنت تركيا من توظيف مقومات تأثيرها في هذا المجال لتحقيق أهداف استراتيجيتها تجاه الشرق الأوسط والمتمثلة بالطبع في إرثها الإسلامي وعمقها الحضاري في المنطقة من خلال تعدد الثقافات فيها، وهو ما اعتبر حافزا نحو المزيد من الحوار وتعزيز التسامح، وفي هذا الاتجاه فقد أطلقت تركيا مشروع (تحالف الحضارات) في عام ٢٠٠٥ بهدف تشكيل برنامج الإرادة الجامعة تعمل ضد الاحكام المسبقة وسوء الفهم (كامل، ٢٠١٨، ص ٢٤٨)، وقد بدأ العمل في هذه المؤسسة التي سميت بـ (مشروع تحالفات الحضارات) بدعم من اسبانيا والأمم المتحدة برئاسة امينها العام آنذاك (كوفي عنان) حتى باتت عملية امنية تجتذب الانتباه اليها اكثر فأكثر، كما أن هدفها الأساس هو تعزيز ضمان حقوق الانسان والحريات التي هي قواسم مشتركة بين الحضارات سعيا إلى عالم افضل (ميشال، ٢٠١٠، ص ١٠٠)، والواقع فقد أدرك صناع القرار في تركيا أن بلادهم بما تملكه من موقع جغرافي فريد وقيم ثقافية جامعة وغيرها سوف يكفل بجعل تركيا حلقة وصل بين القارات والثقافات في شمال الشرق الأوسط وشرق المتوسط وجنوب شرق أوروبا والقوقاز وآسيا الوسطى، وأنه بتوظيف هذه السمة مع القليل من الأنفاق يمكن تأمين المصالح القومية والنهوض بمكانة الدولة وتحقيق قوة لا يستهان بها في مواجهة أطراف إقليمية ودولية، انطلاقا من رؤيتهم للحوار الحضاري على أنه يمثل خطوة ضرورية باتجاه السلام العالمي (نجم، ٢٠١٧، ص ٢٤٧)، من هنا فإن تركيا وان واصلت السعي للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي فان ذلك لا يتعارض مع اهتمامها بجذورها الشرقية بل وفي تحويل ارثها التاريخي الشرقي إلى قوة ناعمة تدعم نفوذها ووزنها الإقليمي والدولي، وباختصار تسعى تركيا إلى توظيف المتغير الثقافي كجزء من منظومة القوة الذكية الشاملة التي تقوم على (التحالفات والشراكات والمؤسسات، التنمية العالمية، الدبلوماسية العامة، دور التراث الثقافي المشترك، التكامل الاقتصادي، التكنولوجيا) التي أشار إليها كل من (جوزيف ناي) و(ريتشارد أرميتاج) في تقرير خاص بشأن الجمع بين القوة الصلبة والقوة الناعمة نشر في المركز الدولي للدراسات السياسية والاستراتيجية عام ٢٠٠٧ (الشوري، ٢٠١٢، ص ٢٥٧).

ثالثاً: الأليات العسكرية

يمكن القول أن تركيا تسعى منذ مدة لإعادة بناء وضعها الإقليمي في المنطقة العربية مستغلة الظروف والبيئة الإقليمية والدولية، كما تسعى لخلق نفوذ لها في منطقة الشرق المتوسط ومن ذلك دورها الإقليمي المشارك في أحداث الحروب في المنطقة بحكم فتح قواعدها لقوات التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية ودورها في مصير أكراد العراق وأطماعها لتصبح القوة الإقليمية الكبرى في المنطقة واصرارها على تنفيذ مشروع جنوب شرق الأناضول (GAP) رغم التحديات والعقبات التي تعترضه، كما شكلت تركيا بموقعها الجيوستراتيجي قاعدة انطلاق لمختلف الجهات خاصة أنها تشكل القاعدة الأمامية لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في منطقة الشرق الأوسط، لذلك ففوتها العسكرية كانت وستبقى محل اهتمام حلف شمال الأطلسي (العلاف، ٢٠٠٨، ص ٤٩)، حيث يتيح الاتساع والعمق الجغرافي لتركيا إمكانية إنشاء القواعد العسكرية الوطنية أو التابعة لحلف شمال الأطلسي ونشر القوات مع تدريبها على أعمال القتال في كافة الأراضي وبخاصة الجبلية والزراعية منها وبمحاذاة السواحل البحرية وعلى امتداد الشواطئ النهرية، هذه الطبيعة ساعدت وتساعد تركيا على (ملاكوي، ٢٠١٣، ص ١٩) :

١ — التحكم بمضيق البسفور والدردينيل ذوي الأهمية الاستراتيجية المتحكمين في حركة القوات الى المناطق الجغرافية المتاخمة عبر البحرين الأوسط والمتوسط .

٢ — تعد منطقة شرق وجنوب شرق الأناضول أقصر الطرق البرية والجوية والدولية بين الشرق والغرب، أي أن تركيا تمثل اتجاه الاقتراب الرئيس الى عمق القارة الأوروبية من جهة الشرق.

٣ — توفر شبكة ضخمة من خطوط المواصلات البرية والبحرية والجوية حرية الحركة والمناورة للقوات المسلحة التركية داخل مسارح العمليات الاستراتيجية المهمة للجمهورية التركية.

٤ — توفر عناصر الإنتاج وتقديم التكنولوجيا العسكرية إمكانية قيام الصناعات الحربية المحلية والمشاركة التي من أبرزها صناعات تجميع الطائرات وعربات القتال والصناعات الإلكترونية ونظم التسليح البحرية.

منذ وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة عام ٢٠٠٢ عزم الرئيس التركي رجب طيب اردوغان احداث تغييرات على الصعيد الداخلي والخارجي من ابرزها رؤية تركيا لدورها الإقليمي على ضوء ما تشهده المنطقة من اصطفاقات جديدة وتوترات وصراعات ومواجهات في أكثر من منطقة ترى تركيا أنها تمثل مصدر خطر عليها وتمثل تهديداً لمصالحها في الوقت الراهن وعلى المدى البعيد، حيث قامت على أساس ذلك بأنشاء العديد من القواعد العسكرية في كل من الشرق الأوسط وأفريقيا خلال السنوات الأخيرة بحيث يمكن لتركيا نشر أسلحة جوية وبرية وبحرية كبيرة في مناطق تعتبرها مهمة لحماية مصالحها الاستراتيجية خارج حدودها

وكذلك لمواجهة منافسيها الإقليميين وفي المقام الأول المملكة العربية السعودية والإمارات العربية، فتركيا لم تكن تملك قواعد عسكرية خارج أراضيها ما عدا الوجود العسكري في شمالي قبرص الذي يعود لعام ١٩٧٤ عندما أرسلت تركيا آلاف الجنود إلى الجزيرة بحجة حماية الأقلية التركية هناك وهي الخطوة التي أُلقت بظلالها لسنوات عديدة على علاقاتها مع الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية التي لم تعترف بجمهورية شمال قبرص التي أعلنتها تركيا من جانب واحد (قدورة، ٢٠١٤، ص ص ٨٣-٨٥).

تمتلك تركيا الآن قواعد عسكرية في كل من الصومال وقطر والعراق وسوريا وكانت بصدد إقامة قاعدة بحرية في جزيرة سواكن السودانية إلى جانب وجود عسكري غير معلن في ليبيا فهي تقوم بتقديم المساعدة العسكرية لحكومة الوفاق الوطني المعترف بها دولياً والتي تخوض صراعاً عسكرياً ضد قوات الجنرال خليفة حفتر الذي تدعمه الإمارات ومصر والسعودية، وقد أرسلت عدداً من حاملات الجنود التي تنتجها إلى قوات حكومة طرابلس، ورغم أن هذه الإمدادات لن تغير موازين القوة لصالح حكومة طرابلس على الأرض لكنها رسالة إلى مصر والإمارات والسعودية مفادها أنها لن تترك هذه الدول تنفرد بصياغة مستقبل ليبيا والقضاء على أي دور أو نفوذ تركي في ليبيا كما جرى الأمر في مصر عندما جرت الاطاحة بحكم الإخوان عام ٢٠١٣، وفي قطر تمتلك تركيا قاعدة عسكرية منذ عدة سنوات حيث بات لها موطئ قدم في الخليج، لكن الوجود العسكري التركي تعزز ونما عدداً وعدة في أعقاب فرض السعودية والإمارات حصاراً على قطر في صيف عام ٢٠١٧، كما وأعلنت تركيا مؤخراً أنها بصدد افتتاح قاعدة جديدة لها في قطر إضافة إلى قاعدة طارق بن زياد الحالية، وفي الصومال تمتلك أيضاً قاعدة عسكرية كبيرة في العاصمة مقديشو لتدريب الجنود الصوماليين، وبلغت نفقات إقامة القاعدة حوالي (٥٠) مليون دولار حسب بعض المصادر ويمكنها أن تأوي حوالي (١٥٠٠) جندي وتقديم التدريب لهم في وقت واحد لمساعدة الحكومة الصومالية في التصدي لجماعة الشباب الإسلامية المتطرفة، حيث تبلغ مساحتها أربعة كيلومترات مربعة وهي قادرة على استقبال قطع بحرية وطائرات عسكرية إلى جانب قوات كوماندوس (القواعد العسكرية التركية في الخارج ومهامها، ٢٠١٩)، أما في سوريا والعراق ومع تصاعد النشاط العسكري لحزب العمال الكردستاني في منتصف ثمانينيات القرن الماضي حتى خروج قيادة الحزب من سوريا انشغلت تركيا بهذا الصراع الدامي داخل حدودها غالباً، رغم فترات الهدوء القليلة التي شهدتها هذا الصراع بين الحين والآخر، وكانت القوات التركية تتوغل داخل إقليم كردستان العراق في حملات مطاردة لعناصر الحزب حتى خلال عهد الرئيس السابق صدام حسين بموجب اتفاق بين البلدين دون أن تقيم قواعد ثابتة في الإقليم، لكن منذ سقوط النظام السابق اختلف الوضع وعمل حزب العمال الكردستاني على إقامة قواعد ومقرات ثابتة في جبال قنديل الواقعة في مثلث الحدود بين العراق وإيران وتركيا، حيث أقر رئيس الوزراء التركي عام ٢٠١٨ خلال مؤتمر صحفي مع رئيس الحكومة العراقية حيدر العبادي وجود (١١) قاعدة عسكرية تركية داخل الأراضي العراقية، وأضاف أن تركيا تنوي زيادة عدد قواتها المتمركزة في هذه القواعد رغم احتجاج الحكومة العراقية على ذلك، لكن العدد

الحقيقي لهذه القواعد يصل إلى أكثر من (١٥) قاعدة عسكرية وبعضها يقع على عمق (٣٠) كيلومتر داخل إقليم كردستان العراق، ومن بين هذه القواعد قاعدة بعشيق الواقعة على أطراف مدينة الموصل وهي تبعد أكثر من (١٤٠) كيلومتر عن الحدود التركية العراقية، وتضم نحو ألفي جندي وعشرات الدبابات ومدافع بعيدة المدى رغم أن المنطقة لا تعتبر منطقة نشاط لحزب العمال الكردستاني (القواعد العسكرية التركية في إقليم كردستان العراق وأهدافها، ٢٠١٩)، أما في سوريا فقد أقامت تركيا (١٢) نقطة مراقبة داخل محافظات إدلب وحماة وحلب بالاتفاق مع الجانب الروسي بهدف إقامة ما يعرف بمنطقة خفض التصعيد، لكن ذلك ظل حبراً على ورق فالمعارك لم تتوقف فيها بين قوات المعارضة والقوات السورية المدعومة بالطيران الروسي، وقامت تركيا بتعزيز هذه النقاط التي تحولت إلى قواعد عسكرية حقيقية في عمق سوريا مثل تلك الواقعة قرب بلدة مورك وسط سوريا وعلى بعد (٨٨) كيلومتر عن الحدود التركية خاصة بعد تعرضها أكثر من مرة للقصف من جانب القوات التركية، كما تحتفظ تركيا بعدد من القواعد العسكرية في مناطق الباب وجرابلس واعزاز وعفرين، وهي مناطق واقعة على الحدود التركية السورية وتسيطر عليها تركيا وتديرها مع قوى المعارضة (القواعد العسكرية التركية في سوريا، ٢٠١٩، ص ٢٩).

المبحث الثالث : الدور التركي في الامن العربي

ينعكس الدور التركي في الامن العربي من خلال اشتراكها ومنذ فترة زمنية بعيدة في الكثير من الازمات والمواقف التي تحتم عليها الوقوف مع الجانب العربي سواء كان ذلك بطلب من الجانب العربي او بدون طلب ، وانعكس ذلك الدور على الامن العربي بشكل واضح وصريح وخصوصاً بعد ازمات الربيع العربي واهمها:-

اولاً: الازمة الليبية

ان الهاجس الامني في المنطقة العربية كان رهن كثير من الازمات وخصوصاً في فترة الاحتجاجات او ما يطلق عليه بالربيع العربي وما تبعها من متغيرات على الساحة العربية وكان التدخل العسكري التركي في الملف الليبي، والوجود التركي على الأرض الليبية من اهمها حيث لم يكن هذا التدخل جزءاً من خطة استراتيجية مُعدّة مسبقاً، وإنما جاء كردة فعل على تطور الأحداث في ليبيا، وانه بقى متعلقاً بتطورات والظروف العسكرية والسياسية على الأرض وفي المنطقة، وهناك مجموعة عوامل تحدد التحركات التركية في ليبيا:-

١- **الفراغ الجيوستراتيجي:** فسقوط نظام القذافي وفشل الليبيين في إنشاء نظام سياسي بديل مستقر، وتعرّض المصالح الأمريكية في ليبيا للهجوم الذي دفع واشنطن إلى التراجع وإهمال متابعة هذا الملف في شمال أفريقيا، وكذلك انكفاء الاتحاد الأوروبي على نفسه في الفترة الأخيرة بسبب مشاكله الداخلية وأزمة خروج بريطانيا (البريكست) وتراجع قوة تأثيره في الملف الليبي بسبب التنافس الفرنسي-الإيطالي، كل هذه العوامل أدت إلى خلق فراغ جيوستراتيجي في

ليبيا، حاولت كل من مصر وروسيا أن تملأه من خلال لعب دور فاعل هناك على الأرض وبأقل التكاليف (دون التدخل المباشر وإنما من خلال حلفاء محليين)، وهذا ما دفع تركيا إلى دخول ميدان السباق هناك وبأسلوب مُشابه، أي من خلال وكلاء على الأرض دون الوجود بشكل مباشر ومعلن (ضيف الله، ٢٠٢١، ص ١٣).

٢- **غياب أي قوة ردع:** تبعاً للسبب الأول ومن خلال حساباتها الجيوستراتيجية، أدركت أنقرة أنه لن تكون هناك قوة بإمكانها أن تتصدى لها في ليبيا وتردع تقدمها هناك، بسبب انشغال اللاعبين أنفسهم بملفات أخرى، وانشغال مصر بمشاكلها الداخلية والاقتصادية؛ ما سيجعل من الصعب على هذه الدول التصدي لتركيا في ليبيا لكن المهم كان إدراك أنقرة مدى العجز الأوروبي عن الوجود في ليبيا والتدخل هناك، على الرغم من أهمية الملف الليبي للاتحاد الأوروبي أمنياً (ضيف الله، ٢٠٢١، ص ١٤).

وقبل التدخل العسكري التركي في ليبيا سبقه عمليات جس نبض تركية لقوة ردع الاتحاد الأوروبي من خلال عمليات التنقيب عن النفط والغاز في شرق المتوسط، وبدا الاتحاد الأوروبي عاجزاً تماماً عن توجيه أي ضربة رادعة لتركيا حينها؛ ما شجّع صانع القرار التركي على توسيع هذا الدور ليصل إلى ليبيا، ولعل القرار التركي الذي بدا مغامرة في بداية الأمر، قد حقق نتائجه وأكد التحليلات التركية حول عجز أو عدم وجود قوة أوروبية أو عربية رادعة يمكنها إيقاف المخطط التركي، وأهم مثال على ذلك استمرار أنقرة في نقل المسلحين والسلاح إلى حكومة طرابلس حتى بعد مؤتمر برلين (في يناير ٢٠١٩) دون وجود أي رد فعل دولي حقيقي قوي على الأرض.

٣- **حماية المصالح التركية في ليبيا وشرق المتوسط:** هناك العديد من المصالح التركية المهمة جداً في ليبيا بدايةً من أموال شركات الإنشاءات التي لم يتم تحصيلها بسبب سقوط نظام القذافي، بالإضافة إلى مشاريع إعادة الإعمار، ومشاريع استخراج النفط، وبناء محطات الطاقة الكهربائية وغيرها من مصالح اقتصادية كبيرة لكن أهم هذه المصالح هو ارتباط ليبيا الآن عضوياً وسياسياً بملف الصراع على تحديد مناطق النفوذ الاقتصادية في شرق المتوسط. فمع رفض الرئيس رجب طيب أردوغان تطبيع العلاقات مع مصر وإسرائيل من أجل إعادة رسم الحدود البحرية، ومواجهة المشروع اليوناني القبرصي في شرق المتوسط، لجأت تركيا إلى حل ابتدعته من خلال توقيع مذكرة التفاهم مع حكومة طرابلس حول تحديد الحقوق البحرية مع ليبيا، وبذلك أصبحت ليبيا جزءاً ضامناً للأمن القومي التركي ومصالحها في شرق المتوسط، وبات استمرار حكومة الوفاق في الحكم أمراً استراتيجياً لتركيا من أجل المحافظة على اتفاقية تحديد الحقوق البحرية لمواجهة مخططات دول شرق المتوسط، وعليه فإن التدخل العسكري التركي كان إلزامياً بعد محاولة الجيش الوطني الليبي وبقيادة المشير خليفة حفتر إسقاط حكومة الوفاق ودخول طرابلس (التدخل التركي في ليبيا المحددات والتحديات ، ٢٠٢٠، ص ٢١).

٤- **تطورات السياسة الداخلية التركية:** خصوصاً التحول إلى النظام الرئاسي وجمع الرئيس أردوغان جميع الصلاحيات في يده، وفرض وجهة نظره الخاصة على السياسة الخارجية دون أي عوائق. هذا جعل تركيا تحذو حذو سياسة روسيا - النموذج الذي يبدو الرئيس

أردوغان معجباً به من خلال القيام خطوات جريئة وقوية بل عسكرية من أجل اغتنام الفرص في المناطق الرخوة ومناطق الفراغ السياسي القريبة في المنطقة، واستخدامها من أجل المصالح التركية، كما أن التدخل العسكري التركي في ليبيا يخدم مصالح الدعاية الأردنية بشأن "العثمانية"، وتحول تركيا إلى دولة "عظمى" في المنطقة، و"وحدة المصير مع أبناء المنطقة" كما أن هذه السياسة تزيد من دعم التيار القومي حليف أردوغان حالياً له، وإن كان هناك خلاف بين أردوغان والقوميين في الشأن الليبي، حيث يفضل القوميون التوجه - بعد تثبيت الأقدام عسكرياً في ليبيا - إلى استخدام هذا الوضع من أجل التفاوض مع مصر وإسرائيل، وهو ما من شأنه فصل ملف شرق المتوسط عن ملف ليبيا مستقبلاً، في حال التوصل إلى اتفاقات مرضية مع مصر وإسرائيل، بحيث تصبح اتفاقية ترسيم الحدود التركية-الليبية غير ذات أهمية. لكن الموقف الأيديولوجي للرئيس أردوغان تجاه جماعة الإخوان المسلمين يحول دون الحوار مع القاهرة. وهنا يرى القوميون الأتراك أن الأولوية الآن هي دعم أردوغان في ليبيا إلى حين التوصل إلى نقطة الانتقال من المواجهة العسكرية إلى المفاوضات السياسية هناك، وبعدها يمكن رفع الصوت بشأن ضرورة التفاوض مع مصر وإسرائيل (تصاعد الدور التركي في ليبيا الأسباب وردات الفعل، ٢٠٢٠، ص ٣).

ويتبين لنا من خلال ذلك الدور الأمني في المنطقة العربية كان اسير الاستراتيجية التركية التي كانت تريد البقاء عسكرياً في ليبيا والتي لم تتبلور إلا بسبب "أخطاء" ارتكبها الطرف الآخر، والتي وفرت فرص التدخل التركي والحماية الأمريكية له، لتتحول من عملية اقتناص فرصة إلى استراتيجية تتوسع يوماً بعد آخر وفق الظروف والتطورات السياسية، التي ما زالت حتى الآن تسير في صالح الاستراتيجية التركية للتدخل والبقاء، وتتركز الأولوية الاستراتيجية لتركيا في ليبيا في "توفير الحماية والتمويل اللازمين لحكومة الوفاق في طرابلس كي تبقى طرفاً أصيلاً في أي حل سياسي قادم"، مع البحث عن سبل توفير هذه الحماية وهذا التمويل محلياً، من أجل تخفيف العبء عن تركيا وعدم الدخول في صراع مباشر في ليبيا.

ثانياً: الازمة السورية

كان الموقف التركي من الأزمة السورية ثابت في تبنيها لحقوق ومطالب الشعب، وحاولت الحكومة التركية في بداية الأزمة دفع القيادة السورية إلى الانفتاح وأجراء الإصلاحات اللازمة لتجاوز المحنة الداخلية، فعمدت تركيا إلى توجيه الكثير من النصائح إلى نظام الأسد، وأبدت الحكومة التركية دعمها الكامل واستعدادها لتوفير كل السبل والإمكانات اللازمة لتحقيق الإصلاح المطلوب في أسرع وقت، إلا أن تطور الأحداث في سوريا وأصبح عدم الاستجابة من قبل النظام يظهر بشكل واضح، فطالبت الحكومة التركية بإجراء تغييرات جذرية من نظام الأسد داخل سوريا ومنها، إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية حرة، والتوقف عن قتل المواطنين، وسحب الدبابات من المدن السورية، وإعادة الجيش إلى ثكناته، إلا أن عدم استجابة الأسد مرة أخرى دفعت بالحكومة التركية إلى تخليها عن سياستها السابقة التي كانت تمتنع بموجبها عن

الانضمام إلى العقوبات أو الأعمال التي يقرها المجتمع الدولي بشأن الأزمة السورية.
(سلمي، ٢٠١٣، ص ١٦) .

بعد ذلك دعمت تركيا الثورة السورية من خلال إتباعها لسياسة الباب المفتوح تجاه اللاجئين السوريين ومن ضمنهم السياسيين والمسلحين، وسمحت للمعارضة بتأسيس مكتبها السياسي في اسطنبول كمكتب المجلس الوطني السوري، والائتلاف الوطني لقوى المعارضة السورية، وعملت أيضاً على المهاجمة الإعلامية للأسد بشكل شخصي وهاجمت نظامه أيضاً وذلك من خلال خطابات رئيس الوزراء أردوغان، كما كثفت جهودها حول تجميع القوى الدولية لإسقاط نظام الأسد (سلمي، ٢٠١٣، ص ١٧) .

واخذ الدور التركي أبعاداً في سوريا حيث تأثرت العلاقات التركية السورية بعد الأزمة السورية التي حصلت ضمن ثورات الربيع العربي، فلم تعد العلاقات كما كانت عليه قبل الأزمة السورية، مما ترتب عليه تغير أبعاد الدور التركي في سوريا، فقد اختلفت التطلعات التركية وألوياتها تجاه سوريا، لذلك فإن أبعاد الدور التركي في سوريا هي أبعاد سياسية وإستراتيجية، وتتحصر في ما يلي:

١- البعد السياسي

اخذ البعد السياسي أولوية كبيرة في التحركات التركية في الأزمة السورية من خلال المؤشرات والمعطيات الآتية (اوزكيزلجيك، ٢٠١٩، ص ص ١٠-١١) :-

أ- تهتم تركيا بإعادة إقامة أو تحسين العلاقة مع النظام السوري، لأنه من الصعب الوقوف مع نظام سياسي لا يحظى بالدعم والتأييد الشعبي.

ب- تمتلك تركيا مجال واسع مع سوريا فهي تمتلك أطول حدود سياسية برية مشتركة معها على جهة الشمال والغرب، فيمكنها قيام علاقة مع سوريا في مجال الزراعة والتجارة والنقل، بالإضافة إلى المناطق المائية المشتركة.

ج- تدرك تركيا مدى أهمية سوريا لليونان والسياسات اليونانية تجاه سوريا لذلك فإن دخولها في تحالف مع اليونان يشكل تهديد مشترك لسوريا.

د- تسعى تركيا إلى لعب دور بناء يهدف إلى إنهاء العنف من جهة، وإلى تحقيق آمال الشعب السوري بالحرية والعدالة والكرامة من جهة أخرى، ولكن فعليا ما تريده تركيا هو استمرار مصالحها وألا تتأثر بفعل النزاعات التي حصلت وما زالت في المنطقة.

هـ- احتضنت تركيا على أراضيها آلاف اللاجئين السوريين منذ بداية الأزمة وهم من الهاربين من العنف والقصف الذي مارسه النظام السوري عليهم، وفعليا تريد تركيا لعب دور وإبصال رسالة من وراء ذلك التصرف مع اللاجئين السوريين.

ولقد صرح الرئيس أردوغان بخصوص الأزمة السورية ووجود نظام الأسد في المرحلة الانتقالية؛ حيث قال " سياستنا تجاه سوريا ثابتة منذ أن كنت رئيساً للوزراء وحتى الآن، ولا علاقة لنا فيما يحصل داخل سوريا لكن على الأسد والعالم أن لا ينسوا أن هناك حدوداً لتركيا مع

سوريا تمتد مسافة ٩١١ كيلو متر، وبالتالي فإن تركيا من الممكن أن تكون في أي لحظة تحت تهديد المنظمات الإرهابية الموجودة داخل سوريا. ويتضح من هذا التصريح أن مخاوف تركيا والرئيس التركي نابعة بسبب تواجد التنظيمات الإرهابية في سوريا، والتي من الممكن وصولها إلى الحدود التركية نظراً لقرب الدولتين من بعضهم البعض. وهناك بعض المصالح والأهداف الأخرى التي دفعت تركيا لتغيير موقفها تجاه سوريا والتدخل المباشر في الصراع السوري، وتتراوح هذه العوامل بين ما هو مرتبط بالوضع الداخلي التركي السياسي والأمني، وبين ما يرتبط بالوضع الإقليمي والدولي وتغير طبيعة العلاقة بين تركيا والقوى المؤثرة في الوضع السوري كروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وإيران. واتجهت تركيا نحو تحقيق مصالحها في سوريا من خلال التفاعل مع القوى الفاعلة المؤثرة في سوريا، وذلك من خلال تحرك تركيا في إطار توافقي يجمع مصالحها المشتركة مع روسيا وإيران وأمريكا، وذلك للتخلص من تنظيم داعش الإرهابي، إلا أن تركيا تحركت بعكس الاتفاق مما جعل المصالح المشتركة مصالح متنازعة، وبالتالي أصبحت تركيا مجبرة على مواجهة التحدي الروسي الأمريكي الإيراني والذي هدف إلى التقليل من إنجازات تركيا المدنية والدبلوماسية في سوريا.

وفي هذا الصدد صرح الرئيس رجب طيب أردوغان أن "بلادنا تسعى وتريد إقامة منطقة آمنة في سوريا ولكن القوى العالمية الأخرى لم توافق وتعارضه في ذلك (اوغلو، ٢٠١٩، ص ٧٤) **البعد الاستراتيجي**

أخذ البعد الاستراتيجي في السياسة التركية تجاه الأمن العربي أو الالتزامات في المنطقة العربية من خلال الاتي (اوغلو، ٢٠١٩، ص ٧٥) :-

- أ- أهمية موقع سوريا الإستراتيجي وأنها أحد المنافذ البحرية ومنطقة هامة في الشرق الأوسط.
- ب- توفر الموارد الاقتصادية بكثرة، وعوامل الإنتاج والقدرات البشرية والإبداعية فيها.
- ج- سعي تركيا الدائم من أجل تنشيط الدور التركي في المنطقة بما يتجاوز حدودها المباشرة.

بالنتيجة فإن الدور التركي وخصوصاً في الأزمات التي حصلت في المنطقة العربية وتعد الأزمة السورية أحد هذه الأزمات والتي ما زالت مستمرة حتى الوقت الحالي، فقد انتهجت تركيا سياسة معينة ومحددة تجاه الأزمات، وجاءت سياستها على النحو الآتي (لتيم، ٢٠١٨، ص ٥٢) :-

- أ- احترام إرادة الشعوب ورغبتهم في التغيير والديمقراطية والحرية.
- ب- الحفاظ على استقرار الدول وأمنها، وضرورة أن يحصل التغيير سلمياً.
- ج- رفض التدخل العسكري الأجنبي في الدول العربية تجنباً لتكرار حالة العراق وأفغانستان، وتعرض البلدان العربية لخطر الاحتلال والتقسيم.
- د- تقديم العون والدعم للتحويلات الداخلية حسب الظروف الداخلية الخاصة بكل دولة.
- هـ- رعاية المصالح التركية العليا، التي تشمل الاستثمارات والمصالح الاقتصادية والحفاظ على أرواح الرعايا الأتراك وممتلكاتهم.

- و- الاستناد إلى الشرعية الدولية والتحريك في إطار القوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة.
ز- عدم استخدام القوات المسلحة التركية ضد الشعوب العربية واقتصار الدور التركي على المهام الإنسانية غير القتالية وأعمال الإغاثة.
ح- مراعاة خصوصية كل دولة وظروفها ووضعها الداخلي وعلاقتها الخارجية ومصالح تركيا معها.

الخاتمة والاستنتاجات :

عملت الدولة التركية على التدخل في الازمات العربية وكان الدافع وراء ذلك هو استراتيجيتها الخاصة التي تعمل من خلالها لتعيد ايجاد الدولة العثمانية ، دفعها ذلك الى استخدام اساليب او اليات مختلفة للتأثير ع الامن العربي.

بالنتيجة تم اثبات فرضية البحث التي تشير الى ان للتدخلات التركية دور كبير في زعزعة الاستقرار في المنطقة العربية وخصوصاً في مناطق النزاع ومنها ليبيا وسوريا كما اثبتت الفقرة الاولى من الفرضية والتي تعطي احتمالية وقوع حرب او نزاع يستمر لسنوات كماحصل في النزاع السوري او الليبي وبذلك توصلنا الى مجموعة من النتائج والمقترحات يمكن ايجازها في الاتي :-

- ١- ان للدولة التركية مطامع كثيرة في المنطقة العربية لا يمكن التغاضي او تركها خصوصاً وان المنطقة العربية متاخمة للدولة التركية
- ٢- هناك اسواق اقتصادية كثيرة والتدخل في الازمات العربية وحلولها يتيح لها خلف فرص للتحالفات مع هذه الدول وهذه الاسواق الاقتصادية التي تنعش الاقتصاد التركي
- ٣- اصبح لدى تركيا رغبة بعد جس نبض الاتحاد الاوروبي وسماحه لم بالتدخل بشكل مباشر وعلمي سواء كان في الغارات الجوية او عن طريق تهريب المرتزقة الى مناطق النزاع.
- ٤- تمتلك الدولة التركية مقومات كثيرة ساعدتها على التدخل بالامن العربي بكل سهولة لانها تملك قواعد عسكرية متاخمة للحدود فضلاً نوعية الاسلحة وعلاقاتها المتينة مع الجانب الامريكي في اوقات النزاع وتوترها مع الطرف الروسي الرامي التدخل كذلك في مناطق النزاع ليخلق نفوذ جديد له .
- ٥- اعتمدت على اليات كثيرة كان اهمها الاليات العسكرية والاليات الاقتصادية فضلاً عن الاليات الناعمة او الثقافية .

بعد ذلك فان من الممكن تقديم مقترحين لصيانة الامن العربي من التدخلات الخارجية بشكل عام والتدخلات التركية:

الاول: ضرورة تفعيل قرارات من الجامعة العربية تعمل مع الامم المتحدة لقطع طريق التدخلات الاجنبية وتفعيل ادوات السياسية الاقتصادية تجاة هذه التدخلات والتجاوزات .

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

ثانياً: العمل على صيانة الامن العربي عن طريق مبادرات عربية سريعة وذات ابعاد طويلة المدى.

قائمة المراجع :

اولاً: المراجع العربية

١- الكتب العربية

- ١ - باكير، علي. (٢٠١٠) تركيا الدولة والمجتمع ... المقومات الجيوسياسية والجيواستراتيجية. في (كتاب تحديات الداخل ورهانات الخارج). الطبعة الأولى. الدوحة . مركز الجزيرة للدراسات.
 - ٢- معين محمود، معين. (٢٠٠٩). إسرائيل واختراق جبهة اسيا. بيروت. مركز باحث للدراسات، بيروت.
 - ٣- ألتون ايشيق، مليحة بنلي. (٢٠١١). سياسة تركيا الخارجية وانعكاساتها الإقليمية. الطبعة الأولى. أبو ظبي. مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
 - ٤ - المرشد، مي سامي. (٢٠١٨). الدور الإقليمي لتركيا تجاه الشرق الأوسط ٢٠٠٢-٢٠١٦. الطبعة الأولى. برلين. المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية .
 - ٥ - احمد داود اوغلو، احمد داود. (٢٠١١). العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية. ترجمة: محمد جابر وطارق عبد الجليل. الطبعة الثانية. بيروت. الدار العربية للعلوم ناشرون .
 - ٦ - عبد القادر، محمد. (٢٠١٢). تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية. الدوحة. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات .
 - ٧ - السعدي، عيبر. (٢٠٠٦). سياسات الاحلاف العسكرية تركيا والناتو وإسرائيل. دمشق. المجلد للنشر والتوزيع.
 - ٨ - دني، ايمان. (٢٠١٤). الدور الإقليمي لتركيا في منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة. الطبعة الأولى. الإسكندرية. مكتبة الوفاء القانونية .
 - ٩ - خماش، رنا. (٢٠١٠). العلاقات التركية- الإسرائيلية وتأثيرها على المنطقة العربية ١٩٩٦-٢٠٠٩. الطبعة الأولى. عمان. مركز دراسات الشرق الأوسط .
 - ١٠- عتريس، محمد. (٢٠٠٢). معجم بلدان العالم. القاهرة. الدار الثقافية للنشر.
 - ١١- أوغلو، احمد. (٢٠١٩). العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية. بيروت. الدار العربية للعلوم ناشرون.
 - ١٢- العطية واخرون، سمير. (٢٠١٢). العرب وتركيا تحديات الحاضر ورهانات المستقبل. بيروت. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات .
 - ١٣- ميشال، نوفل. (٢٠١٠). عودة تركيا الى الشرق: الاتجاهات الجديدة للسياسة التركية. بيروت. الدار العربية للعلوم ناشرون.
 - ١٤- نجم، احمد مشعان. (٢٠١٧). مكانة تركيا الدولية: دراسة في التوازنات الإقليمية والدولية. عمان. دار امجد للنشر والتوزيع.
 - ١٥- الشوربجي، منار. (٢٠١٢). التوجهات الإقليمية الجديدة لتركيا. في كتاب (تركيا جسر بين حضارتين: على ضوء مساعي انضمام تركيا الى الاتحاد الأوروبي). القاهرة. مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات .
 - ١٦- عبد الله تركماني، عبد الله. (٢٠١٠). تعاظم الدور الإقليمي لتركيا. الطبعة الأولى. تونس. دار النقوش العربية .
 - ١٧- محمود، احمد عبد العزيز. (٢٠١١). تركيا في القرن العشرين. الطبعة الأولى. الإسكندرية. المكتب الجامعي الحديث .
- #### ٢- البحوث والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات
- ١- محمود، لقمان عمر. (٢٠٢٠). العلاقات القطرية التركية ٢٠٠٣-٢٠١٧. مجلة دراسات إقليمية. العدد ٤٤ .
 - ٢ - أوزكيزلجيك، عمر. (٢٠١٩). السياسات التركية في سوريا وافاقها من منظور تركي. مركز الجزيرة للدراسات.
 - ٣ - التندل التركي في ليبيا المحددات والتحديات. (٢٠٢٠). مركز الامارات للسياسات .
 - ٤ - تصاعد الدور التركي في ليبيا الاسباب وردات الفعل. (٢٠٢٠). المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات .
 - ٥ - جلال سلمي، جلال. (٢٠١٧). السياسة التركية حيال الازمة السورية. المركز الديمقراطي العربي .
 - ٦ - الحمد، خالد. (٢٠٢٠). الانفتاح التركي الجديد على الشرق الأوسط بين الطموح والمعوقات. المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية .
 - ٧ - الشرفاوي، باكينام. (٢٠٠٩). الانطلاقة الإقليمية التركية لماذا؟ وكيف. مجلة شؤون الأوسط . العدد ٩٩ .

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- ٨ - الشمري، احمد جاسم إبراهيم. (٢٠٢٠). سياسة تركيا المائنة على دول الجوار الإقليمي العربي (سوريا- العراق). مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية. العدد ٢.
- ٩ - صلاح، مصطفى محمد. (٢٠١٧). الدور التركي الجديد في الشرق الأوسط: في ظل مفهوم العثمانية الجديدة "الخليج- العراق- وفلسطين". المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
- ١٠ - ضيف الله، احمد. (٢٠٢١). النفوذ التركي في الازمة الليبية التداعيات السياسية والأمنية. المعهد الدولي للدراسات الإيرانية.
- ١١ - عبد العزيز، هشام. (٢٠٠١). التقارب التركي من إسرائيل في التسعينات: دراسة تحليلية للأسباب والعوامل التي ساعدت تركيا على التقارب من إسرائيل. مجلة البصائر. العدد ٢.
- ١٢ - عبد الفتاح، بشير. (٢٠٠٩). المحددات الداخلية لسياسة تركيا الخارجية، مجلة أوراق الشرق الأوسط. العدد ٤٣.
- ١٣ - عبد الفتاح، بشير. (٢٠١٤). السياسة التركية في محيط إقليمي متغير. مجلة شؤون عربية. عدد ١٥٧.
- ١٤ - العلاف، إبراهيم خليل. (٢٠٠٨). تنامي القدرات العسكرية التركية وتأثيرها على الأمن الوطني العراقي. مركز الدراسات الإقليمية.
- ١٥ - علي، سليم كاطع. (٢٠١٩). العلاقات التركية- الإيرانية وانعكاسها على العراق بعد عام ٢٠٠٣. مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية.
- ١٦ - قدورة، عماد يوسف. (٢٠١٤). تركيا ومسألة تدخلها العسكري في الجوار. مجلة سياسات عربية. العدد ١١.
- ١٧ - القواعد العسكرية التركية في سوريا. (٢٠١٩). مركز حرمون للدراسات المعاصرة.
- ١٨ - كامل، مروان عوني. (٢٠١٨). الاستراتيجية التركية تجاه الشرق الأوسط دراسة في ضوء عوامل التغيير الإقليمي. مجلة تكريت للعلوم السياسية. العدد ١١.
- ١٩ - الكفارنة، احمد عارف ارحيل. (٢٠١٨). الخيارات الاستراتيجية لتركيا إقليمياً ودولياً. مجلة دراسات. العدد ٤.
- ٢٠ - ليمت، فتحية. (٢٠١٨). تركيا والدور الاقليمي الجديد في منطقة الشرق الاوسط. مجلة المفكر. العدد ٥.
- ٢١ - مبدأ أردوغان. (٢٠٢٠). الاستراتيجية التركية في المحيط الإقليمي. مركز الجزيرة للدراسات.
- ٢٢ - محفوظ، عقيل سعيد. (٢٠١٢). السياسة الخارجية التركية الاستراتيجية- التغيير. المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
- ٢٣ - محمود، الامام محمد. (٢٠١٨). العلاقات الاقتصادية التركية - القطرية: نمو متسارع وتعزيز للشراكة. مركز الجزيرة للدراسات.
- ٢٤ - معوض، علي جلال. (٢٠٠٩). الرؤية التركية للأمن الإقليمي في الشرق الأوسط. مجلة أوراق الشرق الأوسط. العدد ٤٣.
- ٢٥ - ملكاوي، عصام فاعور. (٢٠١٣). تركيا والخيارات الاستراتيجية المتاحة. بحث مقدم في الملتقى العلمي (الرؤى المستقبلية العربية والشركات الدولية). الخرطوم.
- ٢٦ - النداوي، خضير عباس احمد. (٢٠١٦). التحولات السياسية والتطورات الاقتصادية التركية المعاصرة. مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية. العدد ٨٨.

٣- الانترنت

- ١ - القواعد العسكرية التركية في الخارج ومهامها، BBC NEWS، تاريخ النشر ٢٠١٩/٨/١٨، تاريخ الزيارة ٢٠٢١/١/٢٠، متاح على الرابط التالي:
<https://www.google.com/amp/s/www.bbc.com/Arabic/middleeast-49376606.amp>
- ٢ - القواعد العسكرية التركية في إقليم كردستان العراق وأهدافها، تاريخ النشر ٢٠١٩/١/٢٩، تاريخ الزيارة ٢٠٢١/١/٢٢، متاح على الرابط التالي:
<https://www.google.com/amp/s/www.bbc.com/Arabic/middleeast-47028202amp>

ثانياً: المراجع الأجنبية

- 1 - Amb. Eric S.Edelman and others, The Roots of Turkish Conduct: Understanding the Evolution of Turkish Policy in the Middle East, Bipartisan Policy Center, Washington, DC, 2013, p.28.
- 2 - Zvi Magen and Gallia Lindenstrauss, Russian-Turkish Relations: Contemporary DILEMMAS OF Past Empires, Strategic Assessment, vol.16, No.2, Elinir, the Institute for National Security Studies (Inss), Israel, 2013, p.63.

- 3 - Cengiz DINC, Turkey as a New Security Actor in the Middle East: Beyond the Slogans, Perceptions Journal of International Affairs, vol.16, No.2, the center for Strategic Research (SAM), Ankara, 2011, p.63.
- 4 - Bilateral Political Relations between Turkey and Qatar”, mfa.gov, 2018, at: <http://www.mfa.gov>.
- 5 - Qatar, Turkey bilateral ties based on shared vision”, gulf-times.com, 2017, at: <http://www.gulf-times.com>
- 6 - Qatar’s investments in Turkey reaches over \$20bn”, peninsulaqatar.com, 2017, at: <https://thepeninsulaqatar.com>

اثر هجمات الحادي عشر من سبتمبر على عمليات الهجرة والاندماج للمهاجرين المسلمين في الولايات المتحدة واوروبا

**the Effect of events of 11 September on The Migration and
integration processes of Muslim immigrants in America and Europe.**

م. د علي محمد عيدان الجبوري

م. د راجي يوسف محمود البياتي

وزارة التربية: مديرية تربية كركوك

جامعة كركوك: كلية القانون والعلوم السياسية

ملخص:

ساهمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ في أمريكا وما تبعها من تفجيرات في مدريد ٢٠٠٤، ولندن ٢٠٠٥ في إحداث هزة عنيفة داخل المجتمعات الأمريكية، والأوروبية وازدادت معدلات التشوية التي تتعرض لها صورة الإسلام والمسلمين في الاعلام الأمريكي والاوروبي بشكل غير مسبوق، فقد تدهورت صورة الإسلام في نظر الأمريكيين والغرب مقارنة بالأديان الاخرى، لاعتقادهم بأن الإسلام يشجع على العنف أكثر، وانتشر خطاب العداة للإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة وخارج حدودها، لاسيما من قبل بعض القيادات اليمينية الأمريكية والاوروبية المتشددة، حيث أفرزت هذه الاحداث تداعيات خطيرة على المسلمين، فقد استفحلت ظاهرة الإسلاموفوبيا، وأصبح الحديث الرائج عبر وسائل الإعلام هو الارهاب وعلاقته بالاسلام. وذلك لانها المرة الأولى التي تتعرض فيها لمثل هذه الممارسات. وقد أدى ذلك إلى زيادة الممارسات العنصرية والمشاعر العدوانية تجاه الجاليات المسلمة في مختلف الدول الأوروبية. خصوصا وان هذه الجرائم الارهابية كان مرتكبوها من خريجي الجامعات الميسورين، وهم ينتمون إلى الجيل الثاني والثالث من المهاجرين، وهذا اثبت للحكومات الأمريكية والاوربية بأن هناك خللاً وأخطاءً وقصوراً فاضحاً في سياسة الاندماج التي تتبعها البلدان الأوروبية حيال المهاجرين. لذلك ارتفعت الأصوات في نقاشات واسعة في اوروبا من خلال وسائل الإعلام والمفكرين والكتاب والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني، مع طرح ضرورة البدء بالتفكير بطرق جديدة لتفادي تفاقم الأزمة نتيجة لعدم الالتفات سابقاً إلى مشاكل الاندماج الحقيقية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة والشتات، عمليات الهجرة والاندماج، المهاجرين المسلمين في أمريكا واوروبا، الإسلام فوبيا.

المقدمة:

يعود تاريخ الوجود الاسلامي في القارة الامريكية بشكل موثق في القرن السابع عشر وكانت تجارة العبيد من اهم المداخل التي تدفق منها المسلمون الى القارة الامريكية حيث ان اغلب المستعبدين كانوا يعتنقون الاسلام. كما ان هجرة بعض المسلمين الهاربين من محاكم التفتيش في اسبانيا الاندلس الذين توجهوا الى القارة الامريكية واوروبا ايضا اهم مصادر تدفق المهاجرين المسلمين. وخلال منتصف القرن التاسع عشر وبداية العقد الثاني من القرن العشرين وصلت إلى الولايات المتحدة أعداد من المهاجرين العرب المسلمين، معظمهم من لبنان وسوريا الكبرى^(١). فكان ظهور الإسلام في أمريكا ظاهرة ثابتة خلال القرن العشرين ويمثل المسلمين ثالث اكبر ديانة في الولايات المتحدة الامريكية بعد النصرانية واليهودية^(٢).

أما بالنسبة الى اوربا فإن التواجد الاسلامي في اوربا يعود الى ازمنة قديمة تعود الى تأسيس الدولة الاسلامية في الاندلس وقد تعزز هذا الوجود بعد نشوء الخلافة العثمانية وسيطرتها على اجزاء واسعة من اوربا فانتشر الإسلام في دول البلقان ودول جنوب شرق أوروبا فأخذ الإسلام في هذه المناطق طابع أوروبي ذات صبغة تركية خصوصاً بين المسلمين الألبان وبعض مناطق مقدونيا وفي البوسنة والهرسك وجوارها وإقليم السنق وكذلك في بعض مناطق اوربا الغربية. وبعد الحرب العالمية الثانية شهدت اوربا نهضة جديدة واشتدت الحاجة الى الايدي العاملة بسبب نشوء الثورة الصناعية في هذه القارة فتدفق الالاف من المهاجرين المسلمين بحثاً عن فرص عمل وبحثاً عن فرص للدراسة^(٣).

وكان من أهم نتائج احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ والهجمات الارهابية التي رافقتها بعض المدن الاوربية صعود بعض الأحزاب اليمينية التي تحمل الافكار العنصرية والشعبوية المتطرفة والتي مارست تأثيراً كبيراً على سياسات الهجرة في الحكومات الأوروبية عقب تلك الفترة. فقد ساهمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ في أمريكا وما تبعها من تفجيرات في مدريد ٢٠٠٤، ولندن ٢٠٠٥ في إحداث هزة عنيفة داخل المجتمعات الامريكية، والأوروبية وازدادت معدلات التشويه التي تتعرض لها صورة الإسلام والمسلمين في الاعلام الأمريكي والاوربي بشكل غير مسبوق، فقد تدهورت صورة الإسلام في نظر الأمريكيين والغرب مقارنة بالأديان الاخرى، لاعتقادهم بأن الإسلام يشجع على العنف

^١ محمد وقيع الله، 2013، من تاريخ الاسلام في الولايات المتحدة، مجلة البيان، العدد ٣١٥.

^٢ تاريخ الاسلام في الولايات المتحدة، ٨/١٠/٢٠١٣، متاح على الرابط:

<https://ar.islamway.net/article/17905>

أكثر، وانتشر خطاب العداء للإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة وخارج حدودها، لاسيما من قبل بعض القيادات اليمينية الأمريكية والاوروبية المتشددة، كما ان هذه الاحداث عرقلت عمليات الاندماج لدى المهاجرين المسلمين في دول الاتحاد الأوروبي وامريكا، وزادت من الهاجس الأمني، خاصة تجاه المهاجرين المسلمين فيها، وظهرت تشريعات تؤكد نظرة الخوف من الإسلام مثل حظر البرلمان الفرنسي للحجاب في المدارس العامة في مارس/آذار ٢٠٠٤.

وتختلف الدول الأوروبية في نظم تعاملها مع المهاجرين، فبينما تسعى فرنسا لفك ارتباط المهاجرين بثقافتهم الأصلية والسعي لاستيعابهم وتذويهم في بوتقة الانصهار الوطنية الفرنسية، يتيح النموذج البريطاني مجالا للتنوع الثقافي والتنوع العرقي. اما الولايات المتحدة الأمريكية فهي الاسهل والتي تمكن المسلمون من الاندماج مع شعبها نسبة عالية بسبب ثقافة الشعب الأمريكي التي تقبل التنوع والاختلاط مع الاجانب.

وسنتناول في بحثنا هذا ثلاث محاور المحور الاول منها بعنوان (السياسات الأمريكية والأوروبية تجاه المهاجرين المسلمين قبل ١١ ايلول سبتمبر ٢٠٠١) وسيغطي هذا المحور سياسات الهجرة الأمريكية والأوروبية تجاه المسلمين قبل الاحداث وانماط التعايش والاندماج لدى المسلمين في هذه المجتمعات، كما سيتناول المحور الثاني بعنوان (احداث ١١ ايلول سبتمبر وتداعياتها على المهاجرين المسلمين في الولايات المتحدة واوروبا) و سيغطي هذا المحور شرح وتوضيح تداعيات هذه الاحداث على المهاجرين المسلمين في الولايات المتحدة واوروبا وكيفية استغلال وسائل الاعلام الاوربية والأمريكية لتلك الاحداث لربط العنف مع الثقافة الاسلامية، ومدى تأثير التغيرات التشريعية على قوانين مكافحة الارهاب وقوانين الهجرة على تدفق المهاجرين واندماجهم في تلك المجتمعات، اما المحور الثالث سيكون بعنوان (ظاهرة الاسلام فوبيا وانعكاساتها على سياسات الهجرة والاندماج في امريكا واوروبا) بحيث سيتناول هذا المبحث انتشار ظاهرة الاسلام فوبيا في المجتمعات الاوربية واثرها على اندماج المهاجرين المسلمين في النسيج الاجتماعي لتلك المجتمعات وكذلك تأثيرها على نظام القيم والمعتقدات وثقافة تلك المجتمعات ومقدار تقبلها للثقافات والاديان الاخرى ونطاق الحرية الذي تسمح به التشريعات والقوانين التي تتبناها الحكومات في تلك البلدان .

اولا: السياسات الأمريكية والأوروبية تجاه المهاجرين المسلمين قبل ١١ ايلول سبتمبر ٢٠٠١

تعد فترة الستينيات هي الفترة التي برز فيها الوجود الاسلامي بشكل اكثر وضوحا في امريكا وكان ذلك نتيجة الغاء نظام الحصص الوطنية للأصول عام ١٩٦٥ (أو قانون هارت سيلر) الذي كان يعطي افضلية للمهاجرين من اصول اوروبية الدخول الى الولايات المتحدة ويقلص

^٣ رندا مصطفى، ٢٠١٥، الاسلام في اوروبا، متاح على الرابط :

https://mawdoo3.com/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85_%D9%81%

عدد المهاجرين من اسيا وافريقيا والمناطق الاخرى وقد اتاح الغاء هذا النظام الفرصة امام المهاجرين من اسيا والشرق الاوسط بالدخول الى الولايات المتحدة حيث بدأت الهجرات من المناطق الإسلامية تتزايد، وتميز المهاجرين المسلمون في تلك الفترة بالمستوى العالي من التعليم مقارنة بالمستوى الأمريكي العام وكذلك تميزوا بتمتعهم بمستوى اقتصادي ممتاز الامر الذي جعلهم ينالون مراكز علمية ومهنية مرموقة في البلاد^(٤).

وخلال السبعينيات والثمانينيات وحتى نهاية القرن العشرين استمرت الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية واوروبا باعداد معقولة لكنها تزايدت نتيجة تزايد الازمات والحروب في مناطق الشرق الاوسط في تلك الفترة كما برز العامل الاقتصادي بشكل اكبر بسبب التطور المتسارع والمتزايد الذي شهدته امريكا واربا خلال هذه الفترة. واصدرت الولايات المتحدة قانون اللاجئين لعام ١٩٨٠ ضمن البرنامج الفيدرالي لإعادة توطين اللاجئين وفق سقف سنوية محددة لغرض تهيئة اجواء تمكنهم من تكييف اوضاعهم الاقتصادية والمعيشية في أسرع وقت ممكن بعد وصولهم إلى الولايات المتحدة^(٥)، وقد استمر العمل بهذا النظام حتى دخول الالفية الثالثة وحصول احداث ١١ ايلول سبتمبر التي قلبت الموازين وحدثت تغييرات كبيرة في انظمة الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الوقت الحالي يقدر عدد المسلمين في الولايات المتحدة بـ ٣,٣ مليون نسمة، وهذا يعني أنهم يشكلون حوالي ١% من إجمالي سكان البلاد، وهم يتركزون في بعض الولايات مثل نيو جيرسي التي يمثل عدد المسلمين البالغين فيها ضعفين أو ثلاثة أضعاف المتوسط الوطني، ومن المتوقع أن يصبح المسلمون ثاني أكبر جماعة دينية في الولايات المتحدة بعد المسيحيين، نتيجة لزيادة نسبة الخصوبة بينهم وتشير الدراسات المستقبلية الى أن عددهم سيصل إلى ٨,١ مليون نسمة أو حوالي ٢,١% من إجمالي عدد السكان^(٦).

ويعتبر المسلمون في الولايات المتحدة من الجماعات جيدة الاندماج مع المجتمع الأمريكي، وهم ثاني أكثر المجموعات تعليماً بعد السكان اليهود، حيث يشكل المسلمون في الولايات المتحدة ١٠٪ من الأطباء الأمريكيين، كما انه يبلغ دخل الغالبية منهم ١٠٠٠٠٠ دولار أو أكثر وهذا يعادل دخول الاسر الأمريكية الاصليين كما ينتمي اكثر من ٦٠٠٠ مسلم ضمن قطاعات الجيش

(15,06,2019)D9%8A_%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%A7

٤ Peter Skerry: ٩ ديسمبر ٢٠١١، التشويش الاسلامي الأمريكي، تمت الزيارة بتاريخ ٢٠١٩/٣/١٣ متاح

على الرابط: <https://www.brookings.edu/ar/articles>

٥ برنامج قبول اللاجئين في الولايات المتحدة، تمت الزيارة بتاريخ، ٢٠١٨/٦/١٦، متاح على الرابط:

<https://corenav.org/ar/programs/the-united-states-refugee-admissions-program/introduction>

الامريكي وتشير بعض التقارير أن ٨٠% من مسلمي الولايات المتحدة كانوا سعداء بالحياة في أمريكا وإن نصفهم يعرضون العلم الأمريكي في المكتب أو المنزل أو على سياراتهم، وقال ٦٣ في المائة إنهم لا يشعرون بأي صراع "بين كونهم مسلمين متدينين ويعيشون في مجتمع حديث".^(٧)

وقام المسلمون في الولايات المتحدة بتأسيس منظمات قوية لغرض تنظيم أعمالهم والمطالبة ببعض الحقوق الخاصة بهم مثل اتحاد الطلاب المسلمين، والحلقة الإسلامية لشمال أمريكا، واتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين، واتحاد الأطباء المسلمين، كما تم انشاء العديد من المدارس الإسلامية حتى وصل عددها الى مايقارب ثلاثمائة مدرسة إسلامية للتعليم العام، وعدة مؤسسات للدراسات الجامعية، منها: الجامعة الأمريكية المفتوحة، والجامعة الإسلامية العالمية، وجامعة الإنترنت، والجامعة الإسلامية بشيكاغو، ومدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية والإسلامية، كما أنشئت بعض المراكز البحثية المتقدمة المتخصصة في الفكر الإسلامي، أهمها: المعهد العالمي للفكر الإسلامي بفرجينيا. وتضاعف عدد المساجد والمراكز الإسلامية، حيث بلغ نحواً من ألفي مسجد ومركز إسلامي.^(٨)

أما في أوروبا فقد تحولت الهجرة الى هجرة انتقائية حيث انها تطورت تزامنا مع التطور الاقتصادي والتكنولوجي الذي شهدته أوروبا وانتقلت الى هجرة الكفاءات نتيجة زيادة الطلب على الأيدي العاملة ذات المستوى الثقافي والعلمي المرتفع فأخذت الدول الأوروبية تستقطب الأساتذة الباحثين، والمهندسين والأطباء والمحامين وأصحاب الخبرات والمهارات في مختلف الميادين.^(٩) وكانت الازمة المالية في السبعينيات وأثارها الاقتصادية على دول القارة الأوروبية التي دعته الى اتخاذ عدة تدابير من أجل التوقف عن استيراد العمال الأجانب، والعمل على أن يحل العاطلين الأوروبيين محل العمال المهاجرين.

⁶ – MOHAMED, Besheer.(3018) new estimates show US Muslim population continues to grow. Pew Research Center, 2018.

⁷ Pew Research Center. (2007). Muslim Americans: Middle class and mostly mainstream. Pew Research Center, <https://www.pewforum.org/2007/05/22/muslim-americans-middle-class-and-mostly-mainstream2/#.UGWL2Am9wn8.twitter> Date of view (25,05,2019).

^٨ لجنة مكاي، ٣٠ يوليو ٢٠١٣، عشر حقائق لم تكن تعرفها عن الاسلام في أمريكا، متاح على الرابط: <https://www.radiosawa.com/a/islam-in-america-things-you-didnt-know/228235.html>

^٩ حسين البطرواي، هجرة العقول النابغة... وأثارها الاقتصادية، ٣٠/٥/٢٠١٩، المجلة على الموقع الالكتروني: <https://arb.majalla.com/node/70426>

ومنذ اتفاقية الاتحاد الأوروبي التي وقعت في ماستريخت في عام ١٩٩٣^(١٠) التي تضمنت حرية انتقال البضائع والأشخاص بين دول الاتحاد وكان ذلك سببا في انتقال الأيدي العاملة من الدول الفقيرة مثل بلغاريا ورومانيا إلى ألمانيا وفرنسا إضافة إلى الهجرات الخارجية الأمر الذي دفع دول إلى الاتحاد إلى اتخاذ سياسات لتحديد هذه الهجرة من خلال وضع العديد من القيود التي تمكنها من مراقبة وتدبير تدفقات المهاجرين حسب حاجيات الدول المستقبلية وتعاني أوروبا من مسألة شيخوخة السكان وانخفاض نسبة الخصوبة حيث أنها وصلت إلى ١,٦ فقط، وفي بعض دول جنوب أوروبا مثل إسبانيا انخفضت إلى ١,٠٧ بعدما كان سنة ١٩٧٥ في مستوى ٢,٨. ولتعويض هذا العجز الديموغرافي ومن أجل الحيلولة دون انهيار نظام التقاعد فإن تقديرات المصالح الديموغرافية للأمم المتحدة تقدر بأنه على أوروبا أن تستقبل ١٥٩ مليون مهاجر في أفق ٢٠٢٥. ومن خلال كل ما تقدم نرى أنه يمكن تقسيم المهاجرين إلى ثلاثة أجيال:

الجيل الأول: وهم الأشخاص الذين ولدوا في بلد معين ثم هاجروا وتركوا بلدانهم التي ولدوا فيها وانتقلوا إلى البلدان المستقبلية نتيجة ظروف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وهؤلاء هم الذين يواجهون صعوبات كبرى في الاندماج والتعايش ويرواد القسم الغالب منهم أمل العودة إلى الوطن الأم بعد تحقيق أهدافهم كما أنهم في الغالب يجلبون معهم خصائص من وطنهم الأم.

الجيل الثاني: هو جيل أبناء المهاجرين من الجيل الأول الذين ولدوا في بلدان المهجر وهم أكثر ارتباطا بالبلدان المستقبلية. وهم أكثر قدرة على استيعاب الثقافة الجديدة لأن نشأتهم الاجتماعية ستكون في البلد الجديد بالتالي، فإن هويتهم تكون مزيجاً من الثقافة والتقاليد الجديدة مع موروث الآباء وثقافتهم والقديمة.

الجيل الثالث: وهم جيل الأحفاد الذين ولدوا مع آبائهم ضمن المجتمعات المستقبلية وتعلموا من تقاليدها وهم مواطنون

اندماج المهاجرين:

الاندماج: الاندماج الاجتماعي هو عملية ضم وتنسيق بين مختلف الجماعات الموجودة في مجتمع واحد للحصول على مجتمع ذو وحدة متكاملة. و بمعنى آخر هو إزالة الحواجز بين المجموعات المختلفة للعيش والتكيف الاجتماعي بشكل متناغم ومتضامن. فالاندماج الاجتماعي هو مجموعة الإجراءات والتدابير في مجتمع ما غايتها تسهيل انخراط فرد جديد في هذا المجتمع^(١١).

١٠ اتفاقية ماستريخت للوحدة الأوروبية، على الرابط:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Ektesad8/EtiHadEuro/sec07.doc_cvt.htm

١١ رضا أبو شفرة، ١٧ أكتوبر ٢٠١٥، عرب في أمريكا،، لهذا الأسباب نجاح البعض وفشل آخرون، متاح على

الرابط: <https://www.alhurra.com/a/successful-and-unsuccesful-arabs-in-america/282997.html>

ان اهم مشكلة يعاني منها المهاجرون وبالاخص المسلمون هي مشكلة الاندماج والتعايش مع المجتمع الامريكي او الاوربي الذي هاجروا اليه حيث ان الكثير من الجاليات المسلمة في اوروبا او الولايات المتحدة الامريكية تفرض على نفسها نوع من العزلة الذاتية عن محيطها الاجتماعي ويعود ذلك الى اسباب مختلفة ومتعددة بعضها يتعلق بالمهاجرين انفسهم وبعضها يتعلق بالبلد المستقبل للمهاجرين وانظمتهم القانونية وثقافته المجتمعية ويمكن ان نطلق على هذه المشاكل عوائق الاندماج واهمها :

١- عوائق الاندماج التي تتعلق بالمهاجرين انفسهم:

- **الحفاظ على الهوية:** يعتقد الكثير من المهاجرين ان الاختلاط والتفاعل الحقيقي مع أهل البلد المضيف يشكل تهديداً لثقافتهم يعجزون عن التصدي له وقد يتشدد البعض في هذه المسألة خصوصاً فيما يخص الجوانب الدينية فيرى بعضهم بانه يجب على المهاجر أن يحافظ على عاداته وتقاليده دون اكرثات بنظرة المجتمع الجديد، ولو كانت هذه التقاليد استقرازية بالنسبة لهم^(١٢). وغالباً ما تكون هذه الحالات المتشددة بين المهاجرين من الجيل الاول الذين لايزال تأثير البلد الام كبيراً عليهم اما الاجيال اللاحقة. فأن دمج المهاجرين المسلمين في أوروبا الغربية يحرز تقدماً واضحاً. بحلول الجيل الثاني على الأكثر، دخلت الأغلبية المجتمع السائد. وهذا واضح في نتائج تقرير Religion Monitor 2017، الذي درس الكفاءة اللغوية والتعليم والحياة العملية والاتصالات بين المسلمين في فرنسا والمملكة المتحدة والنمسا وألمانيا وسويسرا^(١٣).

- يرغب الكثير من المسلمون بالاستمرار في ممارسة مناسكهم الدينية مثل الصلاة يومياً في المساجد او يوم الجمعة وصوم شهر رمضان وقد يكون ذلك غير مقبول بسهولة من قبل المجتمع السائد، إلا أن ذلك لا يعيق التكامل لكنه يبرز الهوية الاسلامية لهم على الرغم من ان الإسلام لا يمثل عقبة أمام الاندماج للمسلمين، لأنه حتى المسلمون المتدينون للغاية، يتعلمون اللغة الجديدة ويكافحون من أجل مستويات التعليم العالي مثل المهاجرين الآخرين".

- صعوبة تعلم اللغة بالنسبة للاجيال الاولى من اللاجئين ويعتبر ذلك من اهم اسباب الانعزال وقد يعود ذلك الى صفات شخصية في المهاجر تتعلق بضعف قدرته على التعلم نتيجة عدم الرغبة او التقدم في العمر او عدم توفر دورات خاصة لتعليم اللغة في بلد المهجر.

^{١٢} - المصدر السابق.

¹³ El-Menouar, Yasemin. 2017. "Muslims in Europe Integrated but Not Accepted? Gütersloh, Germany, the Bertelsmann Foundation ,p p 1-12.

- الصعوبات المتعلقة بالامور المالية والاقتصادية مثل صعوبة تأمين العمل كما ان بعض المهاجرين يكتفي بالمساعدات المالية التي يقدمها الضمان الاجتماعي للدول المستقبلية ويمتنع عن العمل نتيجة الكسل وبالتالي يتحول الى عالة على هذا البلد.
- الصعوبات المتعلقة بالتأقلم والتعايش مع الانظمة والقوانين في البلد المستقبل للمهاجرين وهي قوانين في الغالب ماتكون مختلفة بشكل كبير عن القوانين في البلدان الاسلامية المصدرة للهجرة خصوصا فيما يتعلق في حرية المرأة وارتداء الحجاب وغير ذلك من الامور التي تتعلق في السلوك العام في داخل البلد المستقبل.
- ٢- عوائق الاندماج التي تتعلق بالبيئة المحيطة بالمهاجرين: ويقصد بذلك الدولة وقوانينها وانضمتها واستراتيجيتها في استقبال ودمج المهاجرين وكذلك البيئة الاجتماعية التي تشمل المجتمع وعاداته وتقاليده ويتضمن ذلك مجموعة مهمة النقاط التي يجب التركيز عليها ويمكن تقسيمها الى قسمين:
- عوائق الاندماج التي تتعلق بالدولة المستقبلية للمهاجرين:
 - وضع صعوبات تعيق دخول المهاجرين الى سوق العمل وذلك لمنع حصول بطالة بين مواطنيها الاصليين او منح ميزة تفضيلية لمواطني دول معينة ويتم ذلك من خلال فرض شروط معينة تتعلق بالعمر او العرق او الدين او الجنس وايضا هناك متطلبات تتعلق بالخبرة والمهارة والتعليم فبعض المهن تتطلب الحصول على شهادات مكافئات معينة خصوصا المهن الطبية وهذه الانتقائية تعرقل حصول المهاجرين على فرصة عمل كما ان بعض الدول تمنع عمل المهاجرين بدون الحصول على اقامة او اذن خاص بالعمل وهذا يؤدي الى ضياع حقوقهم ويجبرهم على العمل باجور زهيدة اقل من الحد الادنى لكونهم عمال غير شرعيين ويتيح ذلك استغلالهم من جانب ارباب العمل^(١٤).
 - صعوبة القوانين المتعلقة بتجنيس المهاجرين فالكثير من الدول تضع شروط صعبة لمنح جنسيتها للمهاجرين مثل شرط تعلم اللغة او امتلاك عقار او الاقامة لفترة طويلة قد تصل الى اكثر من ١٠ سنوات وهذا يعيق حصول المهاجر على جنسية البلد المستقبل للمهاجرين.
 - تضيق فرص التعليم للمهاجرين وابنائهم ويعود ذلك الى اسباب تتعلق باللغة وعدم توفير الدعم للتعليم المجاني للمهاجرين.

١٤ اشكالية الاندماج للمهاجرين، المكتبة القانونية الالكترونية، ١٦/٤/٢٠٢٠، على الموقع الالكتروني:

https://www.bibliojuriste.club/2020/04/blog-post_16.html

• هناك قوانين يرى فيها المسلمون انها تتعارض مع الشريعة الاسلامية ويصرون على مخالفتها الامر الذي يسبب لهم مشاكل مع جهات انفاذ القانون والمؤسسات الامنية مثل قانون حظر الحجاب في المؤسسات الرسمية في المانيا وكذلك فبحسب القوانين المعتمدة في ألمانيا، يجب أن تُذبح الخراف بعد تلقيها صدمة كهربائية. وأي لحام ألماني يخالف ذلك، يُعاقب وهذا يتعارض مع الشريعة الاسلامية لانه يعني موتها قبل ذبحها. كذلك، فإن السباحة تستلزم لباساً معيناً، وإدخال تعديلات عليه، لا يتناسب مع الفكر الألماني. وهو ما يعني أن السماح لفئة ما بممارسة حياتها وتقاليدها بما يخالف النظام في ألمانيا، أمر يثير حفيظة كثيري . وقانون منع تغطية الوجه في النمسا حيث اقر مجلس النواب النمساوي، قانونا عاما يحظر تغطية الوجه بالبرقع والنقاب، وينص على أن كل من يخفي ملامح وجهه في الأماكن العامة ملزم بدفع غرامة مالية.. وكانت فرنسا أول بلد أوروبي يمنع النقاب في الأماكن العامة، إضافة إلى بقية الرموز الدينية، وتبعتها كل من بلجيكا وإسبانيا وسويسرا والنمسا، هذه القرارات الاوروبية تسلط الضوء على مسألة اندماج المهاجرين المسلمين الى مجتمعات اوروبية علمانية او مسيحية. وتؤدي الى تزايد انسحاب المسلمين المهاجرين من الحياة العامة، والانغلاق واختيار العزلة وبالتالي مزيد من التمييز والعداء ضدهم.

- المعوقات التي تتعلق بالمجتمع المستقبل للمهاجرين:

- العديد من ارباب العمل واصحاب المصانع يرغب في أن يكون المهاجر مجرد وسيلة وأداة لإنتاج السلع والخدمات وليس ككائن بشري له خصوصياته اللغوية والدينية والثقافية والتي يجب الاعتراف بها والتعايش معها".
- تجمع المهاجرين في اماكن معينة وتقاربهم يمكنهم من تكوين مجتمعاتهم الخاصة التي أغنتهم عن التواصل مع المجتمع المحلي الأوسع، وهذا يؤدي الى عدم احتياجها للتفاعل معه، إلى جانب أنها خلقت تنافسا مع المواطنين الاصليين على اماكن السكن و فرص العمل في تلك المناطق.
- المنظومة المجتمعية في الولايات المتحدة والدول الغربية مختلفة كلياً عن المجتمعات المسلمة خصوصاً في الشرق الاوسط والمجتمعات الاسيوية والافريقية ويتضح ذلك من خلال اوقات العمل وكيفية استغلال الاجازات وتنظيم الوقت وكيفية التعامل مع الغرباء حتى من ناحية الطعام وادوات الترفيه كالموسيقى والاغاني فهي مختلفة كلياً عن المجتمعات التي جاء منها المهاجرين المسلمين وهي تقود الى صعوبات في الاندماج والتكيف مع تلك المجتمعات التي تقوم اغلبها على الفردية والاستقلالية حتى عن الالباء وكبار السن حيث تنتشر في تلك البلدان دور العجزة بسبب عدم توفر الوقت الكافي لدى الابناء لرعايتهم وهذا يختلف كلياً عن المجتمعات الاسلامية. وهناك صورة النمطية المبطنة عن مجتمع اللاجئين والمرأة المسلمة

والأكل الحلال المنتشرة في بعض المجتمعات الغربية والفكرة التي مفادها أنك إذا مددت
للاجئ إصبعك سوف يسحب كل يدك؛ وهذا يمنع ويعوق الاندماج مع هذه المجتمعات^(١٥).
ثانياً: أحداث ١١ أيلول سبتمبر وتداعياتها على المهاجرين المسلمين في الدول الغربية:

منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وما عقبها من هجمات إرهابية في أوروبا وغيرها أصبحت
سياسات الهجرة من أهم المواضيع التي تشغل بال الساسة في أمريكا وأوروبا حيث ارتبطت هذه
السياسات بمواضيع أخرى مثل الأمن القومي والحرب على الإرهاب. حيث أدت هذه الأحداث
إلى تغيير كبير في سياسات الهجرة خصوصاً تجاه المهاجرين المسلمين الذين ترى الولايات
المتحدة أنهم قادمون من بلدان يتواجد فيها تنظيم القاعدة وأنه من الممكن أن تكون لهم علاقة
مع هذا التنظيم خصوصاً وأن جميع الإرهابيين التسعة عشر الذين هاجموا الولايات المتحدة كانوا
مواطنين أجانب دخلوا البلاد عبر قنوات السفر القانونية وكانوا جميعهم مسلمين، فأصبح اكتشاف
ومنع النشاط الإرهابي الهدف الأساسي لسياسات وبرامج الهجرة الأمريكية بعد ١١ سبتمبر. وقد
اتخذت السلطات القانونية في الولايات المتحدة سياسات جديدة تمثلت في ضرورة عمل قاعدة
بيانات خاصة بالمهاجرين الجدد القادمين من مناطق محددة حيث تم وضع نظام جديد للدخول
والخروج من الولايات المتحدة ضمن نطاق الحرب على الإرهاب وهو نظام (أو برنامج التسجيل
الخاص بنظام الأمن القومي لتسجيل الدخول والمغادرة).

(The National Security Entry-Exit Registration System (NSEERS))

وبموجب برنامج NSEERS^(١٦)، تطلب سلطات إنفاذ قانون الهجرة من جميع الذكور البالغين
الذين ينتمون إلى ٢٥ دولة ذات أغلبية مسلمة أن يسجلوا بياناتهم في معابر الدخول والمطارات ثم
يتم أخذ بصماتهم وتصويرهم أو أن يبادروا هم بتقديم أنفسهم في مكاتب الهجرة داخل البلاد ومن
ثم إعطاء بياناتهم وتسجيل بصمات الأصابع والصور الفوتوغرافية. كما تم شمول العديد من
المهاجرين بإجراءات الترحيل قسراً ويتجاوز عددهم ١٣٠٠٠ شخص كما حددت الحكومة آلاف
الرجال من دول ذات تواجد معروف للقاعدة ووضعوا أسماءهم في قاعدة بيانات مكتب التحقيقات
الفيدرالي علماً أن جميع المتضررين من هذه البرامج الخاصة كانوا من البلدان المسلمة.

¹⁵– Klausen, J., 2005. *The Islamic challenge: politics and religion in Western Europe*. Oxford University Press .p p 247–258

¹⁶ –The National Security Entry-Exit Registration System (NSEERS), in the link:
<https://www.aaiusa.org/nseers>

١ - : تأثيرات الازمة على النظام السياسي و الامني وانعكاساتها على اندماج المهاجرين المسلمين:

شكلت هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، على مبنى التجارة العالمي في نيويورك في الولايات المتحدة أحد أهم المتغيرات الدولية ونقطة تحول جوهريّة في السياسة الأمريكية تجاه العالم؛ حيث شكلت تداعيات ذلك الهجوم تغييرات مهمة على الملامح العامة للسياسة الأمريكية سواء في الداخل أو الخارج، ففي المجال الداخلي حشدت الولايات المتحدة كل جهودها الداخلية ضمن اطار الحرب على الارهاب وكان من ابرز نتائج وتداعيات هذه الاحداث على السياسات الداخلية للولايات المتحدة التي تتعلق بالهجرة والمهاجرين مايلي:

- أحداث ١١ سبتمبر/أيلول وما عقبها من تفجيرات في لندن ومدريد، ادت الى زيادة الهواجس الامنية تجاه المهاجرين المسلمين خصوصا القادمين من البلدان العربية كما انها وضعت العديد من الصعوبات امام اندماجهم في بلدان اوروبا والولايات المتحدة الامريكية .

- صعود احزاب اليمين المتطرف التي استغلت موضوع الهجرة من خلال الربط بين موضوع الهجرة والامن والارهاب^(١٧)، فاصبحت مواضيع الهجرة وتدفقات المهاجرين تنصدر البرامج الانتخابية لهذه الاحزاب خصوصا في انتخابات ٢٠٠٨ في الولايات المتحدة وكذلك كان النجاح الذي حققه حزب الحرية النمساوي FPA اليميني الذي حصل على أكثر من ٤٢ في المئة من أصوات الناخبين بعد الانتخابات المحلية هناك. وقد تميز هذا الحزب بافكاره النازية وطروحاته المعادية للمهاجرين والاجئين التي مكنته من تحقيق هذا النجاح كما ان سياسات الهجرة واللجوء اصبحت من ضمن اولويات مهام المؤسسات المختصة بالامن وذلك لان العديد من الدول اصبحت ترى ان الهجرة من عوامل زعزعة الاستقرار، والتي يمكن أن تدمر التماسك الداخلي للمجتمع. فكان ان وجد تيار اليمين الديني المتطرف، الذي يتزعمه المحافظين الجدد في الولايات المتحدة وبعض الدول الاوربية فرصته في اجواء الخوف الذي سببته تلك الاحداث فعمل على تحشيد الراي العام ضد الجاليات الاسلامية مدعوما بعدد من المنظمات المتطرفة المعادية للاسلام وقد استهدف ذلك التيار كل والمنظمات الوطنية التي انشأتها الجالية الاسلامية حتى وصل الامر الى التشكيك بولاء المسلمين الامريكيين وانتمائهم الى بلدهم كما اعتبر المتطرفون الاسلام ديننا يدعوا الى الارهاب يجب منع انتشاره ومحاربته في الولايات المتحدة الامريكية، وهذا ادى الى ان تكون هناك حواجز نفسية وثقافية بين المسلمين والطوائف الاخرى فكان المهاجرون الجدد من اكثر المتضررين من هذه الاجراءات وكانت الحملة التي قادها اليمين المتطرف في الولايات المتحدة الامريكية ضد بناء مركز إسلامي في منهاتن قريب من الأبراج التي دمرها هجوم ١١ سبتمبر(أيلول)، خير مثال على ربط الاسلام بالارهاب فشدد اليمينيون المتطرفون على أن بناء

¹⁷ Natalia Umansky, What is the effect of terrorist attacks on the securitization of migration? Case studies from the UK and Spain, student paper31,i

المركز يمثل عمل يدعم الارهابيين ويرمز الى انتصارهم على الغرب، وبالتالي فهو لا يفرق بين الإسلام عموماً والهجمات التي تقودها جماعات إسلامية تحمل افكاراً متطرفة.

- انشأت العديد من الدول مؤسسات جديدة بهدف السيطرة على تدفقات الهجرة ومن اهم المهام الرئيسية التي تقوم بها هذه المؤسسات مكافحة الارهاب الى جانب إجراء فحوصات إضافية ومقابلات مع أشخاص من جنسيات معينة، ومشاركة المعلومات مع البلدان الأخرى. فكان انشاء وزارة الامن الداخلي في الولايات المتحدة التي لم تكن موجودة قبل ١١ ايلول سبتمبر التي تختص مسؤولياتها الأساسية في حماية أراضي الولايات المتحدة من هجمات إرهابية، كذلك الاستجابة السريعة للكوارث الطبيعية ومتابعة المعلومات البيانات الخاصة بالأشخاص المقيمين على أراضي الولايات المتحدة ولها حق توجيه اعمال مصلحة الهجرة والتجنيس^(١٨).

ثانياً: تأثيرات الأزمة على حقوق الإنسان بشكل عام وحقوق المهاجرين المسلمين بشكل خاص.

كان من اهم تداعيات احداث ١١ ايلول سبتمبر على المجتمع الأمريكي ان بدأت سلطات انفاذ القانون في الولايات المتحدة والمتمثلة بمكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) بحملة اعتقالات جماعية طالت الالاف من الأمريكيين العرب والمسلمين دون أي مبرر قانوني، وقد تم ايقاف الكثير منهم بدون اي ادلة او اثباتات تستوجب اعتقالهم سوى انهم ينتمون الى الدين الاسلامي وهذا يمثل انتهاك واضح للمبادئ الحرية والديمقراطية واحترام القانون واحترام حقوق الانسان التي دافعت عنها الولايات المتحدة الامريكية ونادت بها عبر فترات طويلة من الزمن والتي بني دستورها على عدم التمييز على أساس العنصر أو الدين والمعتقدات او العرق أو الأصل القومي. وفي أكتوبر ٢٠٠١ أصدرت وزارة العدل الامريكية واحدا من اهم القرارات الخطيرة التي غيرت الاستراتيجية الامريكية حيث اصدرت قراراً جديداً يسمح باعتقال الأجانب لمدد قد تتجاوز العام، وبدون اي مبررات قانونية واضحة وقد تقتصر اسباب الاعتقال على ان الشخص المعتقل من الممكن ان يمتلك معلومات تفيد الجهات الامنية في مجال معين. وفي تلك الفترة شهدت الولايات المتحدة تقويضاً مستمراً ومتعمداً، لا مسوغ له، للحقوق الأساسية التي تحمي الناس من سوء استغلال السلطة الحكومية التي يكفلها الدستور الأمريكي وقانون حقوق الإنسان الدولي. وكان معظم المعتقلين من المهاجرين المقيمين بشكل قانوني او غير قانوني على اراضي الولايات المتحدة تبع ذلك قيام حكومة الولايات المتحدة باتخاذ سياسات تستهدف الالتفاف على قانون الهجرة الأمريكي من خلال وضع سياسات جديدة تستهدف اضعاف الضمانات القانونية الموجودة من اجل حماية المواطنين واموالهم الخاصة وهنا لابد ان نشير الى ان إدارة الهجرة والجنسية ليس لها سلطة قانونية تمكنها من حبس الاجانب غير المواطنين إلى أن تستكمل إجراءات ترحيلهم إلا في حالة واحدة فقط وهي وجود دليل مادي ملموس يؤكد خطورة الفرد أو احتمال فراره اذا كان مطلوباً للجهات الامنية واتضحت في تلك الفترة قرارات وقواعد جديدة وصدرت سياسات جديدة تسمح باحتجاز المعتقلين بدون اتهام في حالات

^{١٨} - عماد القعقور، ٢٠١٦/١/١، سياسة أمريكا في مكافحة الارهاب، دار المناهل، الاردن، ص ٦٥.

"الطوارئ". وخلال تلك الفترة ظهر تراجع ملحوظ في دور القضاء واحترام الحريات المنصوص عليها في وثيقة الحقوق التي تضمنها الدستور الأمريكي. خصوصاً في الأمور التي تتعلق في قضايا الأجانب و المقيمين إقامة دائمة داخل الولايات المتحدة بل والمواطنين الأمريكيين أنفسهم، رغم أن القانون استهدف بالأساس الأجانب الذين ينتهكون القوانين الأمريكية.

ثالثاً: تأثيرات الازمة على سياسات وقوانين الهجرة واللجوء.

منذ فترة الثمانينيات بدأت في أوروبا سياسات جديدة في مجال الهجرة حيث انتقلت من السياسات الوطنية الى المجال العام فقد تم التنسيق والتعاون بين مؤسسات الاتحاد الاوربي العامة وبين المؤسسات الوطنية في دول الاتحاد لغرض تنظيم عمليات الهجرة في هذه البلدان من خلال وضع سياسات شاملة يجري الاتفاق عليها، وتستند الى رؤية وديناميكية جديدة للهجرة والأمن قائمة على سياسات تقييدية تتناسب مع حجم سوق العمل وأنماط الهجرة في أوروبا والمجتمع الحالي هناك في البلدان الأوروبية.

حاولت دول الاتحاد الاوربي الاتفاق على تطبيق سياسات موحدة في مجال الهجرة بعد احداث ١١ ايلول سبتمبر الا انها تعرضت الى معوقات عديدة ولم تتمكن من تجاوز السياسات الوطنية التي اصرت على تطبيقها حكومات الدول المكونة للاتحاد وذلك بسبب تأثيرات السياسات الحزبية التي ادخلت سياسات الهجرة ضمن برامجها الانتخابية فاصبحت تتجه نحو التشديد على الجانب الامني او مايسمى (الامننة) التي تستند على تقييد الهجرة الى دول الاتحاد وتدقيق وفحص ملفات المهاجرين من الناحية الامنية بشكل يضمن عدم دخول الارهابيين على شكل مهاجرين وقد طبقت هذه الاجراءات بشكل خاص على المسلمين^(١٩).

أن وضع سياسة الهجرة الخاصة بالاتحاد الأوروبي من الأسفل إلى الأعلى أي انها سياسات احادية تجاه المهاجرين اقتضت على الاتفاق حول كيفية تحصين حدود الاتحاد الخارجية في وجه الهجرة واللجوء". مع اهمال متعمد الى اتخاذ أي اجراءات من شأنها مساعدة المهاجرين داخل هذه البلدان على الارتباط والاندماج في مجتمعاتهم الجديدة من خلال إفساح المجال أمامهم للمساهمة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بشكل فعال. كما ترفض البلدان الاوربية اعتبار نفسها بلدان هجرة كما هو الحال في كندا والولايات المتحدة الأمريكية، كما أن مؤسسات سياسة الهجرة ناشئة نتيجة للسياسات المحلية الوطنية الخاصة في كل بلد. نظراً لأن مصلحة معظم الدول الأعضاء والأحزاب السياسية في أوروبا تعارض سياسة الهجرة المرنة، لذلك فإن الاتحاد الأوروبي يتبنى سياسات قائمة على تقليل اعداد المهاجرين مثل تنسيق اللجوء، والهجرة القانونية وغير القانونية، ووضع انظمة لمراقبة الحدود ومنح التأشيرات ومناهضة التمييز وهذه السياسات تتطابق مع الاهداف والمصالح الاستراتيجية المحلية لكل دولة

¹⁹ Shahin Jamil,2013,Securitization of EU Immigration policy since 9/11,University of Dhaka :

من الدول الاعضاء. وهو ما حدث فعلا بعد ما يسمى بثورات الربيع العربي وما اتخذته دول الاتحاد الاوروبي بوجه المهاجرين (اللاجئين) الفارين من بلدانهم بسبب الحروب والفوضى التي رافقت تلك الثورات متمثلة في كل من سوريا واليمن وليبيا وتونس ومن الدول الافريقية بسبب مما تعانيه تلك الشعوب^(٢٠).

وكما قلنا سابقا فان استمرار شيخوخة السكان وزيادة تدفقات الهجرة، وكلاهما لهما صلة بدراسة العلاقة بين الديموغرافيا والأمن فقد شجع إلغاء الحدود الداخلية داخل الاتحاد الأوروبي على نشر الروايات التي تشير إلى وجود عجز أمني وتحديات جديدة للنظام العام مستمدة من فتح الحدود الداخلية، مما أدى إلى زيادة تسييس وتأمين قضايا الهجرة واللجوء^(٢١). وإن إلغاء تأميم سيادة الدولة يتطلب التعاون، لكن الى الان لا يوجد "موقف أوروبي" مشترك بشأن كيفية التعامل وكيفية تجاوز أزمة اللاجئين المدعوة، والتي يمكن أن تعتمد على ثقافات استراتيجية وطنية متباينة تؤدي في نهاية المطاف إلى تطبيق سياسات أمنية ودفاعية مختلفة داخل الاتحاد الأوروبي^(٢٢). وفي الحقيقة لم تكن هناك أي محاولة لتحقيق التوازن بين أهداف الأمن ومراقبة الهجرة مع مثل حقوق الإنسان والتزامات الحماية الدولية والقانونية وفق الشروط والمعايير الدولية المتفق عليها عالميا.

اما في الولايات المتحدة فان أحد أسوأ ردود الفعل التي أدت إليها أحداث ١١ سبتمبر هو التحول في اتجاهات الرأي العام إزاء التصنيف العرقي والإثني كأحد أدوات تنفيذ القانون. فقبل أحداث ١١ سبتمبر اعتبر حوالي ٨٠% من الشعب الأمريكي أن التصنيف العرقي خاطئ، كما ان استطلاعات الراي عقب أحداث ١١ سبتمبر أظهرت أن ٦٠% من الشعب الأمريكي يفضلون التصنيف الإثني، على الأقل طالما أنه موجه ضد العرب والمسلمين.

وكذلك فانه مع أحداث ١١ سبتمبر، تعرض برنامج قبول اللاجئين الى اعادة مراجعة تدخلت بها وزارة الامن الداخلي المستحدثة بعد هذا التاريخ وذلك لغرض منع الارهابيين من الدخول الى الولايات المتحدة الامريكية بطرق غير تقليدية وبعد ٩/١١ ، بدأ قرار تجميد برنامج قبول اللاجئين حيز التنفيذ وتم أثناء ذلك إجراء مراجعة شاملة لجميع الإجراءات. كما تم تبني عدد من التدابير الأمنية الجديدة مثل إجراء

https://www.academia.edu/9149103/Securitization_of_EU_Immigration_policy_since_9_11

٢. شادي ابراهيم، أزمة الهجرة وانعكاساتها على الاتحاد الاوروبي و سياساته (١-٣)، مندى العاصمة للدراسات

[/ https://capitalforum.net](https://capitalforum.net)

السياسية والاجتماعية، على الرابط:

21 – Huysmans ، 2006 ؛ Guild ، 2009 ؛ Bureaus ، 2011 ؛ Vietti & Scribner ، 2013.

22 – Estevens, J. (2018). Migration crisis in the EU: developing a framework for analysis of national security and defence strategies. *Comparative migration studies*, 6(1), 28.

فحوصات أمنية إضافية للمتقدمين على قواعد البيانات الحالية، والتحقق بطرق جديدة من هوية جميع اللاجئين قبل أن يستقلوا رحلاتهم إلى الولايات المتحدة، وبصمات جميع المتقدمين المعتمدين إما قبل المغادرة من بلدهم الأصلي أو عند وصولهم إلى الولايات المتحدة، كذلك فلا بد ان نشير الى ان الولايات المتحدة ليست طرفاً في اتفاقية عام ١٩٥١ المتعلقة بوضع اللاجئين ولكنها طرف في بروتوكول عام ١٩٦٧ المتعلق بمركز اللاجئين، والذي يتضمن المواد ٢ إلى ٣٤ من اتفاقية ١٩٥١. تنص المادة ٣٣ من اتفاقية عام ١٩٥١ على ما يلي^(٢٣): "[لا] تقوم الدولة المتعاقدة بطرد أو إعادة (" طرد ") لاجئ بأي شكل من الأشكال على حدود المناطق التي تكون فيها حياته أو حريته مهددة على حساب عرقه أو دينه أو جنسيته أو عضويته في جماعة اجتماعية معينة أو رأي سياسي ". وكان من الطبيعي توجيه انتباه رجال الامن في الولايات المتحدة الى الرجال ذوي الملامح العربية الذين يركبون الطائرات وغيرها من وسائل النقل وكذلك الاهتمام بالتصنيفات الإثنية بسبب كون جميع المنفذين للعملية الارهابية في ايلول سبتمبر هم من العرب المسلمين المهاجرين الى الولايات المتحدة ولا بد ان نشير الى ان هذا التصنيف الإثني لا يتفق مع مبادئ الدستور الأمريكي ولا يفيد في تحقيق الأهداف الأمنية المطلوبة، وذلك لعدة أسباب، من بينها أن أكثر من ٩٠،٩٩٪ من الأشخاص الذين يبدون عرباً ومسلمين لا صلة لهم بالإرهاب. وقد ادت هذه السياسات الى تقليل استقبال المهاجرين في السنوات التي تلت هذه الاحداث بشكل كبير عن السقف الافتراضي الموضوع ضمن الخطط التي وضعتها دوائر الهجرة والتجنيس في الولايات المتحدة قبل الهجمات. وكانت احداث ١١ ايلول سبتمبر السبب الرئيس في التوقيع على أول اتفاقية ولاية/ فيدرالية بموجب البرنامج ٢٨٧ (ز) الذي اجازه الكونغرس في عام ١٩٩٦ الذي بموجبه، يتم تفويض ضباط الولاية المحليين لفرض بعض قوانين الهجرة وقد وضع هذا البرنامج أكثر من ٣٩٧٧٢ من الأفراد والمهاجرين المحتجزين، مما يمهّد الطريق لترحيلهم من الولايات المتحدة. وقد قفز عدد هذا النوع من الاتفاقات بين عامي ٢٠٠٦ و ٢٠١٠ من ٨ إلى ٦٩. في السنة المالية ٢٠١٠، كما تم إطلاق Secure Communities في عام ٢٠٠٨^(٢٤) للتعرف على المهاجرين القابلين للإزالة والترحيل والاعادة الى بلدانهم عند حجزهم في السجون المحلية لمخالفات جنائية إن التجميد والترحيل والازالة والإجراءات الأمنية المعززة التي أعقبتها ادت الى تقليص عدد اللاجئين الداخلين الى الولايات المتحدة بشكل كبير خصوصاً القادمين منهم من دول اسلامية وتقلص عدد اللاجئين الذين تم قبولهم في السنة المالية ٢٠٠٢. الى ٢٧٠٠٠ لاجئ فقط بعد ان كان من المقرر استقبال ٧٠٠٠٠ لاجئ

^{٢٣} اتفاقية الأمم المتحدة للاجئين لعام ١٩٥١. منشورات القسم الاعلامي بالمكتب الاقليمي للشرق الاوسط وشمال افريقيا بالمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين سنة ٢٠١٢، ص ٣.

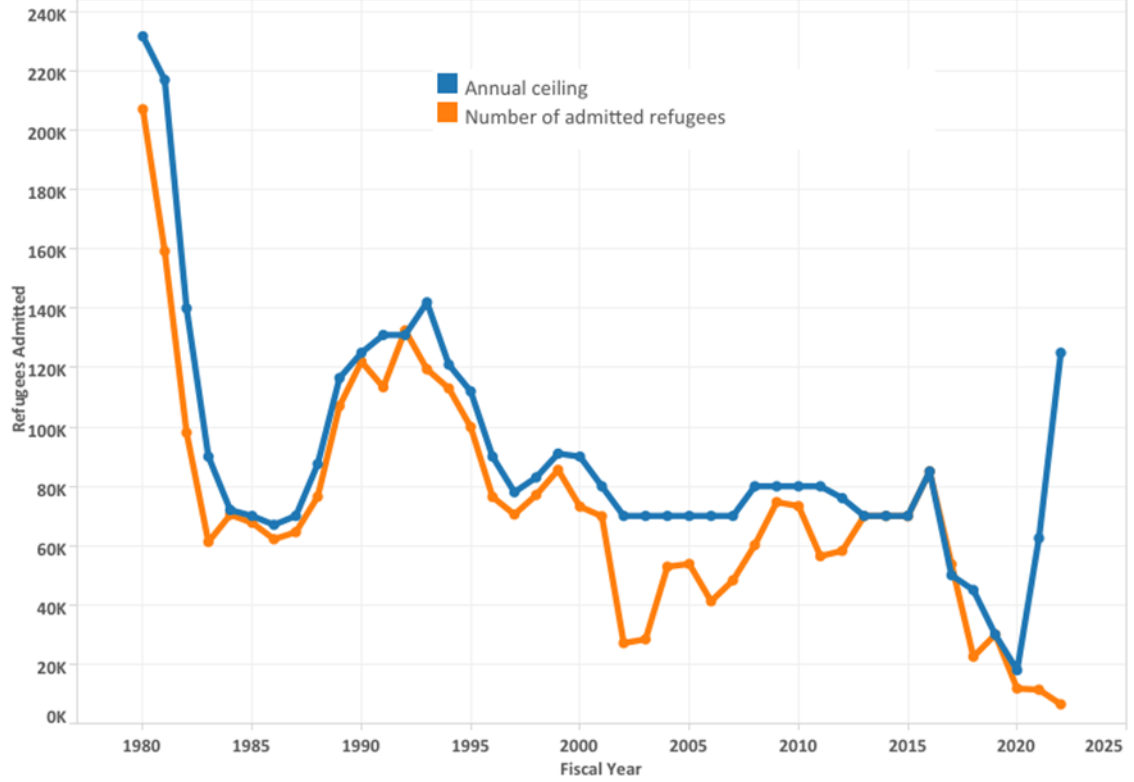
^{٢٤} برنامج المجتمعات الامنة اطلقتها الولايات المتحدة لمراقبة المهاجرين اليها، وللاطلاع اكثر يمكن ذلك على

<https://www.ice.gov/secure-communities>

الرابط:

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

U.S. Refugee Admissions & Refugee Resettlement Ceilings, FY 1980-2022* (thru Feb 2022)



Migration Policy Institute (MPI) Data Hub
<http://migrationpolicy.org/programs/data-hub>

(الشكل رقم ١) يتضمن السقف السنوي المقرر لاستقبال اللاجئين (بالخط الأزرق) والعدد الحقيقي للاجئين الذين تم استقبالهم ويلاحظ بوضوح مقدار الانخفاض في العدد الحقيقي بعد عام ٢٠٠١.

المصدر: معهد سياسات الهجرة (MPI) متاح على الرابط الإلكتروني:
<https://www.migrationpolicy.org/programs/data-hub/charts/us-annual-refugee-resettlement-ceilings-and-number-refugees-admitted-united>: (٢٠٢٢/٣/٢٠).

طبقاً للإحصائيات فإن التأشيرات الممنوحة للمهاجرين في عام ٢٠٠٠ كانت ٤١٣,٥٣٤ تأشيرة، وفي ٢٠٠٢ انخفضت حتى ٣٨٩ ألف، وفي ٢٠٠٣، كان ٣٦٤ ألف، ثم بدأ العدد في الزيادة مرة أخرى، فوصل في ٢٠٠٤، إلى ٣٧٩ ألف و ٤٠٠ تأشيرة هجرة لأميركا، بالنسبة لتأشيرات الزيارة لدخول أميركا كانت في عام ٢٠٠٠، ٧ ملايين و ١٤١ ألف، وانخفضت إلى ٧ ملايين و ٥٠٠ في ٢٠٠١ إلى ٥ ملايين و ٧٠٠ إلى ٤ ملايين و ٨٠٠ ألف في ٢٠٠٣ ثم بدأ هناك تحسن

في ٢٠٠٤ إلى ٥ ملايين و٤٩ ألف وهو تحسن عن عام ٢٠٠٣ لكن الرقم لم يعد بعد حتى الآن إلى مستويات ما قبل الحادي عشر من سبتمبر.

ثالثا : ظاهرة الاسلام فوبيا وانعكاساتها على سياسات الهجرة والاندماج في امريكا واوروبا.

بعد انتهاء الحرب الباردة وانتصار الايديولوجيا الرأسمالية الغربية على الفكر الشيوعي، أصبح الاسلام يمثل التحدي الايديولوجي المرتقب امام الحضارة الغربية وقد تجسد ذلك واضحا في كتابات فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ^(٢٥)، و صموئيل هنتنغتون في كتابه صراع الحضارات الذي تنبأ فيه بانه بان الحرب الايديولوجية القادمة ستكون عبارة عن صراع بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية وهذا ما دفع إلى الاهتمام بالدراسات الإسلامية، وجاءت ١١ سبتمبر لتعطى دفعه قوية نحو اهتمام الدراسات الغربية بالإسلام، ولتكون سببا في تزايد مشاعر الخوف الكراهية تجاه المسلمين والاسلام وتفشي ظاهرة الإسلاموفوبيا او (رهاب الاسلام) الي يمكن تعريفها بأنها: (إسلاموفوبيا Islamophobia)، مصطلح ترجمته الحرفية (رهاب الإسلام)، وتعريفه الدقيق هو أي ممارسات عنصرية تحتوي على خوف لا أساس له أو كراهية غير مبررة أو مفهومة للإسلام، مع خوف ونفور دائم من المسلمين، ورؤية الإسلام على أنه ليس له أية عوامل مشتركة مع الثقافات الأخرى وأنه أقل شأنًا من الحضارة الغربية، وأنه ليس دين وإنما أيديولوجية عنيفة بلا ضابط^(٢٦).

^{٢٥} فرانسيس فوكوياما كاتب ومفكر أميركي الجنسية أصله ياباني؛ يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد في أميركا. اشتهر بكتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" الذي أُلّفه بُعيد انهيار الاتحاد السوفياتي، لكنه تراجع لاحقا عن كثير من أفكاره وآرائه ومواقفه السياسية. وشغل فوكوياما عضوية عدة هيئات مثل: جمعية العلوم السياسية الأميركية، ومجلس العلاقات الخارجية، والمجلس الباسيفيكي للسياسة الدولية، وشبكة غلوبال بزنس. كما يشغل أيضا عضوية مجلس الرئيس الأميركي للأخلاقيات الحيوية (Bioethics)، وعضوية المجالس الاستشارية للمنح الوطنية من أجل الديمقراطية، و"المصلحة الديمقراطية"، و"مجلة الديمقراطية"، و"مؤسسة أميركا الجديدة". انتمى فوكوياما إلى معسكر المحافظين الجدد في أوج قوتهم فكان أحد موقعي رسالة موجهة للرئيس الأميركي السابق جورج دبليو بوش عقب أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، تطالبه بإسقاط نظام الرئيس العراقي الاسبق صدام حسين واحتلال العراق. فرانسيس فوكوياما.. نهاية التاريخ بداية الشهرة، الجزيرة نت، ٢٠١٦/٣/١٦، على الرابط:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/3/16>

^{٢٦} الإسلاموفوبيا.. معاناة المسلمين في ديمقراطيات الغرب، مقال نشر بتاريخ ٢٠١٦/٤/١٩، على موقع الجزيرة نت، على الرابط:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/conceptsandterminology/2016/4/19>

بداية ظهور المصطلح كان على يد المركز البحثي الأمريكي "Runnymede Trust" والذي شكل لجنة سميت بـ(المسلمون البريطانيون والإسلام وفوبيا) وترأسها جوردون كونواي "Gordon Conway" نائب رئيس (جامعة ساسكس "Sussex")، ثم أصدرت اللجنة تقريرها البحثي في العام ١٩٩٧ بعنوان (الإسلام وفوبيا .. تحدي للولايات المتحدة كلها) ونشره وزير الداخلية البريطاني حينها جاك سترو^(٢٧).

كما عرف بعض الباحثون الإسلام وفوبيا بأنها شكل من أشكال العنصرية آخرون اعتبروها ظاهرة مصاحبة لتزايد عدد المهاجرين المسلمين في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، لذلك سعت بعض الجماعات المتشددة والمتطرفة الى تخويف الأمريكيين من الهجرة المسلمة ومن ثم إقناعهم بالحد منها ووقفها، من خلال اقناعهم بان هذه الهجرة تشكل خطرا يهدد نفوذ صانع القرار الأمريكي، لذلك دعت لمواجهة والحد من قوى المهاجرين المسلمين والعرب المتزايدة من خلال شتى السبل بما في ذلك الحد من أعدادهم وقدرتهم على الاستقرار في الولايات المتحدة. كذلك لا ننسى تشويه صورة المسلمين والعرب في دوائر الإعلام والرأي العام الأمريكيين والحيلولة دون نجاحهم في تحسين صورتهم، فقد تبين أن جهود بعض الدول العربية والإسلامية مثل المملكة العربية السعودية لتحسين صورتها وصورة المسلمين والعرب لاقت صعوبات وعدم تعاون شركات الدعاية والإعلام الأمريكية^(٢٨)، يتجلى الخوف من الإسلام في أوروبا من خلال المواقف والسلوكيات الفردية، وسياسات وممارسات المنظمات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية. وهذه السياسات والممارسات يمكن تقسيمها الى نوعين :

النوع الاول: السياسات والممارسات التي تتعلق بالدولة ومؤسساتها وكذلك المؤسسات غير الحكومية ويكون ذلك من خلال تشريعات وقوانين وسياسات موجهة نحو المسلمين بشكل مباشر او غير مباشر وتؤدي الى التأثير عليهم بشكل غير متناسب وتؤدي الى تقييد حرياتهم الدينية والشخصية ومن ابرز الامثلة على ذلك القوانين الخاصة بحظر ارتداء الرموز الدينية والثقافية مثل قانون حظر ارتداء الحجاب في المؤسسات الرسمية والجامعات والقوانين المتعلقة بحظر بناء المساجد مع المآذن كذلك بعض السياسات التي يتعرض لها المسلمون من خلال التمييز في التعليم والتوظيف والاسكان واساءات الشرطة والتمييز في مختلف الخدمات الاخرى، وكذلك الاساءة الى الاسلام من جانب مسؤولين في الدولة من خلال تصريحات علنية عبر وسائل الاعلام مثل الربط بين الاسلام والارهاب او انتقادات تتعلق بحرية المرأة وغير ذلك.

٢٧ ماذا نعرف عن الاسلاموفوبيا، نشر في البلاد اولاين بتاريخ ١٥/١١/٢٠١٥، على الموقع الالكتروني:

<https://www.djazairiss.com/elbilad/247163>

٢٨ علاء بيومي، المسلمون في امريكا يواجهون واقعا مليئا بالأزمات، مقال نشر بتاريخ تشرين

الاول/اكتوبر ٢٠٠٢ على موقع ديوان العرب، وعلى الرابط الإلكتروني:

<https://www.diwanalarab.com>

النوع الثاني: التصرفات التي يتعرض لها المسلمون من طرف الافراد من خلال الاعتداء الجسدي واللفظي عليهم ويشمل ذلك بوجه خاص الاشخاص الذين يظهرون هويتهم الدينية بشكل واضح مثل النساء الواتي يرتدين الحجاب والنقاب كذلك التصريحات العلنية الصادرة عن بعض الصحفيين والسياسيين، والتي غالبا ما تُوصم المسلمين كمجموعة وتتجاهل مساهماتهم الايجابية كل هذه التصرفات قادت الى التأثير على سياسات الهجرة واندماج المسلمين في اوربا وقد برز ذلك واضحا بعد احداث ١١ ايلول سبتمبر حيث تم تصوير الاقليات المسلمة على انها اقلية لديها ولاءات خارجية كما انها مجموعات منعزلة وترغب في فصل نفسها عن بقية المجتمع، ويظهر ذلك من خلال المشاركة السياسية والمدنية المحدودة لهذه المجموعات. كما ان التخوف من اسلمة اوربا ادى انتشار صورة مخيفة عن المسلمين لدى الاوروبيين بان الاسلام سيجتاح اوربا وان ذلك سيقود الى تغيير نمط حياتهم، وان أسطورة "أسلمة" أوروبا هذه يتم تغذيتها من قبل الأحزاب الشعبية المعادية للأجانب التي تنتشر في جميع أنحاء أوروبا، والتي تتبالغ في تقدير نسبة السكان المسلمين خصوصا في الدول التي تمنع جمع أي بيانات متعلقة بالدين.

كما ان الصورة النمطية عن الاسلام قد تغيرت بعد احداث ١١ ايلول سبتمبر فقد استخدمت وسائل الاعلام المعادية للمسلمين هذه الاحداث وماتبعها من احداث ارهابية اخرى في لندن ومدريد لغرض تغيير الصورة النمطية عن المسلمين من خلال الربط بين الاسلام والارهاب واطهار المسلم على انه شخص عنيف، ويعتبر العديد من المفكرين الغربيين ان ظاهرة الاسلام فوبيا "أحد أعراض تفكك القيم الإنسانية في الدول الأوروبية"، التي من المفترض ان تكون قيم متصلة في مجتمعات هذه الدول مثل التسامح وحرية الفكر والعدالة وعدم التمييز والتضامن والمساواة لان هذه القيم قد بني عليها الاتحاد الاوربي ومجلس اوروبا^(٢٩).

ومن خلال الاستطلاع الاستقصائي الذي قامت به الوكالة الاوربية للحقوق الاساسية والذي استند الى مشاركة اكثر من ١٠٥٢٧ شخص مسلم وقيمون في ١٥ بلدا أوروبيا، ويحمل أكثر من نصف الأشخاص الذين شملهم التحقيق، جنسية البلد الذي يقيمون فيه. كشف الاستطلاع بان ٧٦٪ من المسلمين الذين شاركوا في الاستطلاع يشعرون بأنهم مرتبطون بقوة بالبلد الذي يعيشون فيه، بينما تم التمييز ضد ٣١٪ من المسلمين الباحثين عن العمل في السنوات الاخيرة. في الوقت نفسه، يقول ١٢٪ فقط من المسلمين أنهم أبلغوا عن حالات تمييز. وبالتالي يمكننا أن نقول على وجه اليقين أن مدى التمييز الذي يواجهه المسلمون في أوروبا أكبر بكثير من الأرقام التي تم الكشف عنها في أي تقرير عن كراهية الإسلام وجريمة الكراهية ضد المسلمين في أوروبا. كما

٢٩ ملف الإسلاموفوبيا في أوروبا الواقع والمخاطر، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات .
المانيا و هولندا، ٢٥ديسمبر ٢٠٢١، على الرابط:
<https://www.europarabct.com>

وجد مسح الأقليات والتمييز في الاتحاد الأوروبي لعام ٢٠١٧ أن واحداً من بين كل ثلاثة من
المجيبين المسلمين يواجهون تمييزاً وتحاملاً، وتعرض ٢٧٪ منهم لجريمة عنصرية^(٣٠).

لذا فإن كانت كراهية الإسلام موجودة كما بينت في المقدمة، قبل الهجمات الإرهابية التي وقعت
في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، لكنها ازدادت تواتراً واصبحت أكثر انتشاراً خلال العقد الماضي. على
سبيل المثال، حددت منظمة Runnymede Trust في المملكة المتحدة ثمانية مكونات لرهاب
الإسلام في تقرير صدر عام ١٩٩٧^(٣١)، ثم أصدرت تقرير آخر في عام ٢٠٠٤ بعد أحداث ١١
سبتمبر والسنوات الأولى من حرب العراق وأفغانستان. ووجد التقرير الثاني أن أعقاب الهجمات
الإرهابية جعل الحياة أكثر صعوبة بالنسبة للمسلمين البريطانيين. حيث أن بعض المؤسسات
المعادية للمسلمين قد استغلت هذه الأحداث في تغيير الصورة النمطية المعروفة عن قيم التسامح
الاسلامية التي يتبناها المسلمون في المهجر خصوصاً في أوروبا والولايات المتحدة.

وفي حال اجراء مقارنة بين اعمال العنف التي يقوم بها المسلمون في الولايات المتحدة وبين نسبة
اعمال العنف التي يقوم بها مواطنون امريكيين غير مسلمون بالنسبة الى عدد السكان نجد بانه
أظهرت الأبحاث أن الولايات المتحدة حددت أكثر من ١٦٠ شخص مسلم فقط من المشتبه في
ارتكابهم أعمال إرهابية من المسلمين الأميركيين والجناة خلال العقد الذي مضى منذ أحداث ١١
سبتمبر، وهي نسبة مئوية ضئيلة جداً من بين آلاف أعمال العنف التي تحدث في الولايات المتحدة
كل عام. إلا أن التضخيم الاعلامي الذي صاحبه وجود نظام فعال للدعاء الحكومي سلط الضوء
على الاعمال التي يقوم بها اشخاص مسلمون وشدد التركيز عليها الامر الذي يخلق انطباعاً بأن
الإرهاب الأمريكي المسلم أكثر انتشاراً مما هو عليه في الواقع الفعلي. كما ان الاعلام غيب
الجوانب الايجابية التي يقوم بها المسلمون فمنذ الحادي عشر من سبتمبر، ساعدت الجالية
المسلمة الأمريكية مسؤولي الأمن وتطبيق القانون على منع ما يقرب من اثنتين من كل خمس
مؤامرات إرهابية لتنظيم القاعدة تهدد الولايات المتحدة أي ما يقارب نصف الهجمات وهذا يدل
على حجم التعاون الذي تقدمه الجالية المسلمة مع المؤسسات الامنية كما يدل على حجم الولاء
للوطن والرغبة في الاندماج والتعايش فيه^(٣٢).

30 ENES BAYRAKLI, FARID HAFEZ, THE STATE OF

ISLAMOPHOBIA IN EUROPE 2017, at:

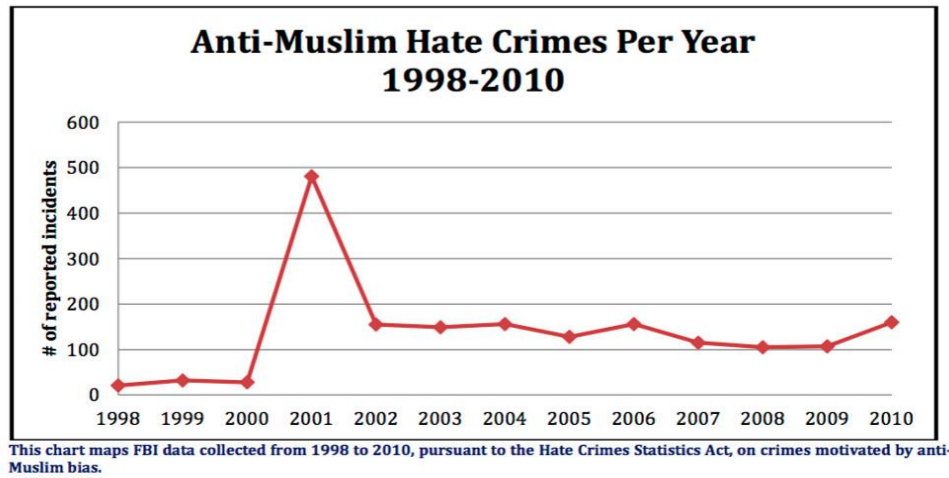
<http://www.islamophobiaeurope.com/executive-summary/2017-2>

٣١ حسني أوزير بوذر: الاسلاموفوبيا كلمة مصطنعة لمعاداة الاسلام في الغرب (المنظور الاجتماعي الصدامي -
منظور الصراع الاجتماعي)، (مجلة الالهيات الأكاديمية، جامعة غازي عنتاب، العدد ٦، السنة ٢٠١٧م)،

ص ٧٣. على الرابط: <https://dergipark.org.tr/tr/download/issue-file/29081>

٣٢ بيتر سكيري، التشوش الاسلامي الأمريكي، ٩ ديسمبر ٢٠١١ على الرابط:

وعلى الرغم من ان نسبة كبيرة من الامريكيين ليس لديهم أي علاقات مع اشخاص مسلمين وتقدر هذه النسبة حسب بعض الاحصاءات ب (٦٢%) الا انهم نتيجة احداث ١١ ايلول وتداعياتها اصبحوا يتقبلون الصورة العنيفة للإسلام، وان الكثير من الأميركيين بدأوا يخشون ويكرهون جيرانهم المسلمين. أفاد مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI بزيادة قدرها ١٦٠٠ في المائة في حوادث جرائم الكراهية ضد المسلمين في عام ٢٠٠١، الا انها بدأت بالتناقص بعد عام ٢٠٠٣ نتيجة الجهود التي بذلتها العديد من الدول الاسلامية بالتعاون مع بعض الدول والمنظمات الدولية في تحسين الصورة عن الاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة واوروبا^(٣٣).



واما علاقة الارهاب مع الاسلام فوبيا فكلهما يشترك صفة تمثل السبب الرئيس في نشوءهما وهذه الصفة هي (الجهل) ويشمل ذلك الجهل بالاسلام فان اغلب مرتكبي الجرائم الارهابية هم اشخاص يفتقدون الى القدرة على فهم وتفسير النصوص القرآنية واستنباط قيم التسامح والتأخي من السنة والسيرة النبوية الشريفة وكذلك فان ظاهرة الاسلام فوبيا تستند ايضا الى الجهل في معرفة الاسلام وقيمه النبيلة لدى المواطنين وبذلك فان تلك الظاهرتان تغذي احدهما الاخرى كما ان العلاقة بين الارهاب وظاهرة الاسلام فوبيا هي علاقة سببية تقوم على اساس الفعل ورد الفعل وهي علاقة طردية فكلما ازدادت العمليات الاجرامية الارهابية ازدادت معها ظاهرة الاسلام فوبيا في المجتمعات الغربية فهي تمثل نتائج وانعكاسات لتلك الاعمال على الواقع الاجتماعي لذلك فان الحل يكمن في معالجة تلك الظواهر من خلال تغيير الصورة السلبية التي انتشرت عن المسلمين بعد الهجمات الارهابية ويكون ذلك عن طريق استخدام وسائل الاعلام ووسائل

<https://www.brookings.edu/ar/articles>

³³ A Report on the Civil Rights Division's Post-9/11 Civil Rights Summit Hosted by George Washington University Law School October 19, 2011،(p.4):

https://www.justice.gov/sites/default/files/crt/legacy/2012/04/16/post911summit_report_2012-04.pdf

التواصل الاجتماعي للتواصل مع الآخرين وفتح الحوار معهم وتوعية الشباب بان الاسلام بعيد
عن العنف وان الارهاب غالبا مايستخدم الغطاء الديني لتحقيق اهداف سياسية.

الخاتمة:

بعد دراسة الموضوع من كل جوانبه تبين أن تاريخ الوجود الاسلامي في القارة الامريكية بشكل
موثق يعود الى القرن السابع عشر. وكذلك هجرة بعض المسلمين الهاربين من محاكم التفتيش في
اسبانيا الاندلس الذين توجهوا الى اوروبا ايضا. وخلال منتصف القرن التاسع عشر وبداية العقد
الثاني من القرن العشرين وصلت إلى الولايات المتحدة أعداد من المهاجرين العرب المسلمين
والباحثين عن حياة افضل بعد ما وصلت الامور في بلدانهم الى ما وصلت اليه ووجود استعمار
جديد ليحل محل الدولة العثمانية التي سيطرت على تلك المنطقة لقرون عديدة. وعاش العرب
المسلمون وغير المسلمون حياتهم الطبيعية وقد توجت بأن يكون من احفادهم من هم في سدة
الحكم في او مشاركا فيها بعدة دول وخاصة اللاتينية منها.

كما استمرت خلال السبعينيات والثمانينيات وحتى نهاية القرن العشرين الهجرة الى الولايات
المتحدة الامريكية واوروبا بأعداد معقولة لكنها تزايدت نتيجة تزايد الازمات والحروب في
مناطق الشرق الاوسط في تلك الفترة كما برز العامل الاقتصادي بشكل اكبر بسبب التطور
المتسارع والمتزايد الذي شهدته امريكا واربا خلال هذه الفترة.

ديناميكيات التحرك الروسي تجاه أوكرانيا وانعكاس تأثيره على النظام الدولي (مقاربة جيوبوليتيكية)

الدكتور فراس عباس هاشم
باحث في الشؤون الاستراتيجية والدولية

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في مدى تأثير المقاربات الجيوبوليتيكية في تحديد نمط وسلوك التحركات الروسية وتصوراتها تجاه جوارها الإقليمي المباشر وإعادة تأهيل حدودها الحيوية بما ينسجم مع التوجهات الاستراتيجية الروسية لدرء مخاطر الضغوطات الخارجية وحماية أمنها القومي من التهديدات المحيطة بها. كما تستجلي الدراسة التخوفات الجيوبوليتيكية الروسية وهاجس تطويقها في النطاقات الأرضية القريبة بما فيها الفضاء الأوكراني، ثم تقف الدراسة في بيان مدى تأثير مساعي روسيا في التوسع المكاني بهدف إعادة تعريف مجالاتها الحيوية مدفوعة إلى حد كبير بالمخاوف الأمنية وانعكاس تلك التطورات من دون أدنى شك في رسم معالم الانتقال في النظام الدولي.

كلمات مفتاحية: روسيا، أوكرانيا، حلف شمال الأطلسي، الجيوبوليتيك، النظام الدولي .

Abstract:

This study examines the extent of the impact of geopolitical approaches in determining the pattern and behavior of Russian movements and their perceptions towards its immediate regional neighbourhood, and the rehabilitation of its vital borders in line with Russian strategic directions to ward off the dangers of external pressures and protect its national security from the threats surrounding it. The study also clarifies the Russian geopolitical fears and the obsession of encircling them in the near terrestrial ranges, including the Ukrainian space. Transition in the international system.

Keywords: Russia, Ukraine, NATO, Geopolitics, the international system.

المقدمة

مما لا شك فيه كشفت تطورات الأحداث التي اتسمت بها التحركات الروسية تجاه أوكرانيا وما نتج عنها من تغييرات في المشهد الجيوبوليتيكي الإقليمي في مدى تأثير المقاربات الجيوبوليتيكية في تحديد نمط وسلوك التحركات الروسية وتصوراتها تجاه جوارها الإقليمي المباشر والتي تهدف إلى إعادة تأهيل حدودها الحيوية بما ينسجم مع التوجهات الاستراتيجية الروسية لدرء مخاطر الضغوطات الخارجية وحماية أمنها القومي من التهديدات المحيطة بها، ويتجلى ذلك بهوية تعكس مصالحها من خلال الاستثمار بشواهد الاستثناءات التاريخية وتغليظها بالمقدس الديني والاجتماعي والثقافي .

ومن هذا المنطلق بدأ الاهتمام الروسي حيال الفضاءات الجغرافية القريبة كونها ذات مزايا جيوبوليتيكية تشتمل على سرديات قيمية وثقافية تربط الحاضر والماضي ويجعل منها شيء يجد طريقة العمل على نحو مترابط بالمظهر الجغرافي تجاه النطاقات الجيوبوليتيكية ذات الصلة بمساحات النفوذ الروسية، وهو الأمر الذي يمكن ترجمته بالتطورات والأحداث التي رافقت تلك التفاعلات الروسية مع فضاءاتها الإقليمية والعمل على إيضاح أهدافها الاستراتيجية لضمان مصالحها بل صارت مقترنه بتسويق تدخلها الخارجي.

وفي هذا الصدد كانت التخوفات الجيوبوليتيكية الروسية تنطلق من هاجس تطويقها في النطاقات الأرضية القريبة بما فيها الفضاء الأوكراني، تحايلها حسابات سياسية وعسكرية واقتصادية وحضارية في آن واحد، وبالتالي ساعد ذلك على بلورة مقاربات كانت بمثابة دافع لبيان مدى تأثير مساعي روسيا في التوسع المكاني وأوكرانيا جزء منها، بهدف إعادة تعريف مجالاتها الحيوية مدفوعة إلى حد كبير بالمخاوف الأمنية، ولذلك تعطي هذه التطورات آثار خطيرة وما تثيره من مخاوف مأزومة من جراء تطورها، والتي تؤدي إلى إيجاد حقائق جديدة بانعكاس أثر التحولات وحدود التغيير في القوة إلى رسم معالم الانتقال في النظام الدولي.

وبناء على ذلك جاءت أهمية هذه الدراسة محاولة في فهم وتركز على التحولات التي طرأت على التحركات الروسية وتشكيل تفضيلاتهم الاستراتيجية وفق ما تمليه المقاربات الجيوبوليتيكية بصفتها أداة موضوعية توسم الرواية لهوية روسيا المتجذرة في التاريخ الحضاري لناحية الاتجاه نحو جوارها الجغرافي بما فيها أوكرانيا والذي أخذ أدركا واع لفعولها الإقليمي عموماً بسبب ما تمتلكه من مقومات القوة وكيفية توظيفها لتحقيق أهدافها .

وتنطلق إشكالية الدراسة على صيغة تساؤلات حول: " ما طبيعة الرؤي بعقدها ومركباتها التي أطرت التوجهات الروسية المضمرة تجاه أوكرانيا، وما أبعاد حساباتها الجيوبوليتيكية على المستويين الإقليمي والدولي، وانعكاسات كل ذلك في رسم معالم البيئة الدولية " . وبالتالي ممكن طرح فرضية للدراسة مفادها: " تشكل المقاربات الجيوبوليتيكية دافعا في تحديد توجهات وروسيا ورسم سلوكياتها تجاه جوارها المحيط، مقترنه باستدامة لنتاج حضارة حاكمة شكلها ميراثها التاريخي، ومثلت أوكرانيا مساحة تأثير جيوبوليتيكية تتمتع بديناميكية مركزية في تحقيق مصالح روسيا وأهدافها القومية، انعكست حدة ذلك على هيكلية النظام الدولي " .

إما منهجية الدراسة يفرض علينا تناول هذا الموضوع إتباع أكثر من منهج بحسب اقتضاء الضرورة، فقد استخدم المنهج الوصفي خلال دراسة طبيعة التحولات التي تشهدها التوجهات الجيوبوليتيكية الروسية على صعيد الفاعلية الاستراتيجية في سلوكها بالتعاطي مع دول الجوار الجغرافي المحيطة بها ومنها أوكرانيا كمجال جيوبوليتيكي وما يطبعها من تحركات تعزز أدواتها المختلفة في الردع الاستراتيجي. كما جرى توظيف المنهج الاستقرائي لفهم رهانات التحرك الروسي للتأثير في مساحات التنافس الجيوبوليتيكية في ظل تنامي مدركات التهديد للمخاطر التي سببها توسع حلف شمال الأطلسي بمجالاتها الجغرافية الحيوية، وما يصاحب تلك التفاعلات من انعكاسات في النظام الدولي .

واتساقاً مع ما تقدم سيتم توزيع هيكلية الدراسة إلى ثلاث محاور يشمل المقدمة والخاتمة. يركز المحور الأول : روسيا وإحياء المقاربات الجيوبوليتيكية كمظهر لحركة المجال الجغرافي. أما المحور الثاني يتناول : خرائط التصورات الروسية لبناء الجغرافية التاريخية وفضاءاتها. فيما تناول المحور الثالث : اتجاهات تأثير محاور النمو الروسي وسياقاتها على النظام الدولي.

المحور الأول روسيا وإحياء المقاربات الجيوبوليتيكية كمظهر لحركية المجال الجغرافي

من نافلة القول يتفق المختصون على أن علم الجيوبوليتيكا (Geopolitical) بعمومه يذهب إلى دراسة الدول في محيطها الحيوي أو السياسي عبر مداخل عدة منها: التاريخية، والإقليمية، والوظيفية، وعلوم الاجتماع والإنسان الاجتماعي (Anthropology) وبعد ذلك يترجمون تلك المداخل إلى مجموعة كبيرة من المفاهيم تتضمن تحديد شكل وجود الدولة السياسي وحدود علاقتها في محيطها الحيوي، وآليات تشكيل تحالفاتها والبحث عن توفير مواردها وأسواقها وكيفية تأمينها، وهكذا تتجاوز صورها حدودها الطبيعية التي تحدده مفاهيم الجغرافية السياسية ضمنها إلى حدودها السياسية المتوسعة أيضاً، وتفسيرها لا يتحقق إلا في سياق تشكيل خططها الاستراتيجية والدفاعية التي انتجت في أنماط عمل فكرية مؤثرة تظهر في تفاعلاتها الخارجية^(١).

وبناء عليه نعي بالجيوبوليتيك: "السياسة المتعلقة بزحزة الحدود الرسمية للدولة وبسط النفوذ في أي مكان تستطيع الوصول إليه بدافع الارتباط الديني أو المذهبي أو العرقي أو القومي"^(٢). وفي المقابل هناك من يعرفها: "أنها دراسة آثار جغرافية الأرض على السياسة والعلاقات الدولية من خلال السعي للسيطرة على المناطق الجغرافية ذات الأهمية الدولية والعالمية، واستخدام هذه المناطق لتحقيق مكاسب ومزايا سياسية، فتطور الدولة ونموها وارتقائها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعوامل الجغرافية"^(٣)، ومن هذا المنطلق تؤدي الجغرافيا (Geography) منذ القدم دوراً ريادياً لفهم مسار الظواهر التاريخية في بعدها الزمني ومجالها الجغرافي بوصفها سياقاً في تحديد نمط سلوك الوحدات السياسية من خلال نظرة تأخذ بمفهوم الجيوبوليتيك لتكوين رؤية تمكنها لاستشراف أفضل لآفاق تطوير التصورات والأفكار للقادة ولتشكيل المفاهيم الجديدة للدور الذي ينبغي أن تضطلع به دولتهم والمكانة التي ينبغي أن يأخذها مجتمعهم في علاقته ببقية الوحدات السياسية المجتمعات، سواء في زمن الحرب أو في أوقات السلام. إذ لاحظ (أرسطو طاليس) قديماً أهمية الجغرافيا في علاقتها بالسياسة فقام بدراسة البيئة أو المحيط الطبيعي من حيث تأثيره في الطبيعة البشرية والضرورات الاقتصادية والعسكرية للدولة النموذجية، فقد كان الفضاء الفيزيائي أساساً لتفكيره ذلك، وهو ما فعله (هيرودوت - Herodotus) أيضاً أكبر مؤرخي اليونان القديمة^(٤).

(١) فراس عباس هاشم، استعصاءات الجغرافيا : روسيا واختراق المخيال الجيوبوليتيكي لمساحة الفضاءات العالمية، (الأردن : شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٢)، ص ٢٩.

(٢) احمد بن ضيف الله القرني ، "الأزمة الروسية- الأوكرانية.. زلزال جيوسياسي يضرب أوروبا"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية ، ٢٠٢٢/٣/١٤، شوه في ٢٠٢٢/٤/٧، في: <https://rasanah-iiis.org>

(٣) زياد زكريا ، " الأزمة الروسية - الأوكرانية وعودة الاعتبار لـ "الجيوبوليتيك"، موقع مجلة السياسة الدولية ، ٢٠٢٢/٣/١، شوه في ٢٠٢٢/٤/٦، في: <http://www.siyassa.org.eg/Index.aspx>

(٤) جلال خشيب ،"الجيوبوليتيك في القرن الحادي والعشرين : انتصار الجغرافيا وعودة عالم ثيوسيديس"، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد (٤)، (٢٠٢١)، ص ٨٨.

ومن زاوية أخرى يلاحظ أن ثمة فهم خاص لعامل الجغرافيا يمكن أن يتولد عند مرحلة تاريخية، حيث لم يستبعد الواقعيون الجدد أيضاً عامل الجغرافيا في تحديد مصائر الدول والشعوب عبر التاريخ في حركتها وتوجهاتها، فقد أشار (روبرت غلين-Robert Glenn) إلى أن عملية السيطرة على الأراضي وتوزيعها كانت – ولا تزال – الآلية الأساسية التي حكمت توزيع الموارد النادرة بين الدول في النظام الدولي، لذلك كان التغيير السياسي الدولي في شكله وفي تحولاته التي تتسم بالتكرار والاستمرارية مسألة إعادة توزيع للأراضي بالدرجة الأولى بين المجموعات أو الدول في أعقاب الحروب التاريخية الكبرى، ذلك ما جعله يرى أن الجغرافيا كانت ولا تزال آلية التنظيم المركزية للحياة الدولية. أخذاً في ذلك بأهمية الحدود الجغرافية في صوغ السياسات الخارجية للدول والكيانات السياسية عبر التاريخ، إذ تسهل طبوغرافية الأرض^(*) (topographic)، وجود الماء، المناخ التفاعلات بين هذه الكيانات أو تعيقها، في لحظة انتاج نفسها وصوغ تصوراتها عن ذاتها وعن الآخر^(٥).

ولقد دفعت هذه التمثلات والطروحات الفكرية في إعادة بناء صورة معرفية جديدة في منهجها القائم على استنطاق حقل الجغرافيا، أنتجها (روبرت كابلان-Robert S. Kaplan) برؤية فكرية تكمن في أن يجعل من الجغرافيا متحكماً رئيسياً في السلوك الخارجي للدول، فهي التي تفرض توجهها بعينه على دولة ما وتمنعه عن أخرى، إذ يقول: "من الممكن أن تكون الجغرافيا كاشفة عن النيات بعيدة المدى لحكومة ما بنفس القدر الذي تكشفه مجالسها السرية، إن موقع دولة ما على الخريطة هو أول ما يحددها بصورة أكثر حتى من الفلسفة الحاكمة لها"^(٦).

وهكذا أصبحت روسيا في مخاض عملية البحث عن الذات التي لا تخلو من نزاعات بين فئات سياسية بمختلف توجهاتهم، تقدم للروس هوية روسيا ما بعد (الاتحاد السوفييتي) السابق وخاصة في مجال السياسة الخارجية^(*) وفي ظل بيئة إقليمية ودولية تعصف بها تطورات جذرية يتعذر على روسيا درء عواقبها ما لم يكن لروسيا هوية ما بعد (الاتحاد السوفييتي) السابق^(٧). وقد وجدت روسيا في مقاربات النظرية الأوراسية وما يصاحبها من أبعاد جيوبوليتيكية في بنائها الفكري وخصائصها

(*) الطبوغرافيا هي: "علم يختص في تمثيل تفاصيل الظواهر الطبيعية أو الاصطناعية لمنطقة ما موجودة على سطح الأرض و هذا بأشكال ورسومات مميزة ، يتم ذلك من واقع نتائج محصل عليها ميدانيا و هو ما يطلق عليه بعملية الرفع ، أو إسقاط و تمثيل المشاريع على الميدان من خلال مخططات مرسومة سابقا أو ترسم لهذا الغرض كما تسمى هذه العملية بالتوقيع الخرائطي". نقلا عن: طبوغرافية، موقع المعرفة ، شوهد في ١٧/٤/٢٠٢٢، في: <https://www.marefa.org>

(٥) جلال خشيب ، مصدر سابق ، ص ص ٨٨ - ٨٩.

(٦) نقلا عن : المصدر نفسه ، ص ١٠٥.

(*) يعرف (حامد ربيع) السياسة الخارجية بأنها: "جميع صور النشاط الخارجي، حتى ولو لم تصدر عن الدولة كحقيقة نظامية، إن نشاط الجماعة كوجود حضاري أو التعبيرات الذاتية كصور فردية للحركة الخارجية تتطوي وتندرج تحت هذا الباب الواسع الذي نطلق عليه أسم السياسة الخارجية". أما (أحمد نوري النعيمي) فإنه يعرفها: "إن السياسة الخارجية لأي دولة تعكس وجود عملية ديناميكية تأخذ في الاعتبار المصلحة القومية والظروف البيئية الدولية، والتي تترجم إلى واقع ملموس ومن خلال الأداة الدبلوماسية". مثنى علي المهدي ، السياسة الخارجية : دراسة نظرية عامة ، (بغداد : مركز النهريين للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠٢٠)، ص ص ١٤-١٥.

(٧) فراس عباس هاشم ، مصدر سابق ، ص ٢٩.

المتنقلة في مرجعيات حضارية وثقافية وسياسية محمولات دلالية في شق طريقها نحو التموضع المكاني في جوارها الجغرافي محمولة بدلائل ذات صيغة لبناء التواصل الاستراتيجي مع قوى الجوار الأرضي في مناطق الاتحاد السوفيتي السابقة التي جعلها ضمن حدود مطامحها الحيوية إلى جانب تأثير موقعها في زخم ساحات التنافس الجيوبوليتيكية وتشابكها في خضم تسارع وتيرة التحولات على الساحة الدولية. وبناء عليه في إطار التوجهات الجديدة للاستراتيجية الروسية باتجاهاتها الجيوبوليتيكية وديناميكياتها التوسعية التي تستوعب مجالاً واسعاً تتجاوز المجال الجغرافي بوصفها مظهراً للتحول والتغير، أضحت منطقة أوراسيا (Eurasia) هدفاً لتوجهات روسيا الخارجية في ظل قوة خطابها الجيوبوليتيكي في مجال تعزيز وجودها في المنطقة والتي أصبحت تعني الكثير بالنسبة لها في توسيع حركتها الاقتصادية، وكان المنطلق الأساسي لتلك التحركات للنتائج المتمخضة عن التمثلات التي وضعها (هالفورد ماكندر- Halford Mackinder) في محاضرته بعنوان "نقطة الارتكاز الجغرافي للتاريخ" في العام (١٩٠٤) نظرية "قلب الأرض" (Heartland) والتي ترى أن قلب العالم يتمثل في منطقة أوراسيا، وأنها تمنح الدولة التي تسيطر عليها القوة الاقتصادية والجغرافية اللازمة للسيطرة على العالم كله، في ظل ما تمتلكه من موارد اقتصادية كبيرة^(٨). ويؤكد (ماكندر) على أن الوضع الجيوبوليتيكي الأفضل لكل دولة هو الوضع المتوسط المركزي، والقارة الأوراسية تقع في مركز العالم ويقع في مركزها قلب العالم، وهو تجمع الكتل القارية لأوراسيا، وهذا الجسر الجغرافي الأكثر ملاءمة للسيادة على العالم بأسره^(٩). وعلى المنوال نفسه نسج (فريدريك راتزل- Friedrich Ratzel) مسوغات أطروحة مؤسسة ومفعلة لسلوك الدولة الخارجي، تفضي إلى ضرورة أن تتجاوز الدولة حدودها وتخرقها كلما اقتضت مصلحتها التوسع، وهو ما جعل روسيا في إطار منافستها الإقليمية والعالمية لإعادة بناء نظام دولي متعدد الاقطاب تعتمد على هذه النظرية بشكل كبير في سياستها مع دول أوروبا الشرقية، فهي تعتبر جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة امتداد حيوي لها وتدخل في إطار مجالها الطبيعي، ويبرز هذا بشكل واضح في تحركاتها السياسية^(١٠). ويبدو لنا حسب هذا المنظور أن المحاور الجيوبوليتيكية تتمثل في أن أهميتها لا تنبع من قوتها أو من الحوافز التي تثيرها بل من موقعها الحساس الذي يعطيها دوراً مميزاً -وهو ما يتكرر

(٨) المصدر نفسه ، ص ٦٧.

(٩) شروق مستور ، " البعد الجيوبوليتيكي والديني للصراع الأمريكي الروسي"، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات ، ٢٠٢٢/٢/٢٨ ، شوه في ٢٠٢٢/٤/٩ ، في: <https://fikercenter.com/2022/02/28> . لقد آمن (ألكسندر دوغين- Aleksandr Dugin) بالأوراسية الجديدة كعقيدة تحمل خلاصاً لكل المشاكل التي تُعانيها روسيا، بل خلاصاً لكل مشاكل الإنسانية، بذات الشكل الذي آمن به أتباع الماركسية أو الماوية... إلخ، بقدرة هذه العقائد على فعل ذلك، بل وادّعى أنّ الأوراسية الجديدة ستكون العقيدة القائدة في المستقبل والتي ستجعل من روسيا قوةً عظمى، ومع هذه النبوءة آمن (دوغين) بأن الأوراسية ينبغي أن تكون بمثابة الأنوار الشمالية للرئيس (فلاديمير بوتين- Vladimir Putin) ومساعديه، التي ستساعده جنباً إلى جنب مع القادة العالميين، على صوغ وتشكيل إمبراطورية أوراسية، كما أنه آمن بقدرة النظام الحالي على أن يكون خارطة طريق لتجديد الشباب الروسي. جلال خشيب مصدر سابق ، ص ١٠٢. وللمزيد حول هذا الموضوع وحيثياته انظر : ألكسندر دوغين ، الخلاص من الغرب : الأوراسية الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية، ترجمة : علي بدر ، (بغداد : مكتبة دار ألكا، ٢٠٢١).

(١٠) شروق مستور، مصدر سابق .

اليوم مع الجيوبوليتيك الأوكراني- إما في السماح بالوصول إلى مناطق ذات أهمية أو في إعاقة الوصول إلى الموارد بالنسبة للاعب دولي مهم^(١١).

وتماشيا مع ما تم ذكره صممت الاستراتيجية الروسية في إطار يعكس التحول في رؤية الروس لأنهم بالدلالة الجيوبوليتيكية والذي يعكس أهم محاور الدولة الروسية من خلال التركيز على عملية التوضيح والتحشيد الذي تشارك فيه الدولة والفئات ومراكز القوى والإعلام، فالثقافة الجيوبوليتيكية للإمبراطورية الروسية ومن بعدها (الاتحاد السوفييتي) السابق أفرزت مواقف عند صناع القرار الروس والجسد السياسي الاعتيادي الروسي من قضايا: ما هو وضع أو منزلة الدولة أو الأمة في العالم؟ وما هو الإطار الثقافي الجامع للدولة؟ أي هل أن روسيا تمثل جزء من الغرب أم إنها تنتمي إلى الشرق أو آسيا، وما هي قوة الدولة بالمقارنة مع القوى الأخرى، أي هل تحتفظ روسيا بترسانتها النووية وتحسنها أم تأخذ بسياسات نزع سلاح تتواءم مع مصالحها؟ إن الثقافة الجيوبوليتيكية الروسية الجديدة تبقى مغروسة في الإمبراطورية الروسية وإرث (الاتحاد السوفييتي) السابق^(١٢).

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول تسعى روسيا إلى بناء واقع إقليمي جديد مع محيطها الجغرافي وإثبات ذاتها وفق صورة رسمتها لنفسها، وأحاطت بها مشروعاتها الحضاري في مجال استراتيجيتها في الغايات والأهداف وأولوياتها الجيوبوليتيكية وتقرنها بمرجعيات ثقافية وامتداد تاريخي، ولذلك تسعى إلى تبني استراتيجية وقائية لتدعيم أمنها وردع التهديدات الاستراتيجية القادمة في إطار توسع حلف شمال الأطلسي وهذا ما اثبتته العديد من الأحداث التي شهدتها دوائر دول الجوار المتاخمة.

(١١) نيهان زمبرور السعدي، "الأهمية الجيوسياسية للجمهورية الأوكرانية من منظور التنافس الروسي والأمريكي -الأوروبي"، مجلة آداب الفراهيدي، العدد (٢٧)، (٢٠١٦)، ص ٢٣١.

(١٢) كاظم هاشم نعمة، روسيا في السياسية الآسيوية ما بعد الحرب الباردة، (عمان: دار آمنة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣)، ص ١٢.

المحور الثاني خرائط التصورات الروسية لبناء الجغرافية التاريخية وفضاءاتها

مما لا شك فيه منذ زمن ثيوسيدايدس وابن خلدون مر العالم بتحولات عديدة، وعرف تعاقب كيانات سياسية مختلفة الطبيعة والتكوين، بفعل عدة عوامل تهمنا الجغرافيا منها أساساً، لكن وبالرغم من كل هذه التحولات تظل الجغرافيا بمثابة القانون الأكثر ثباتاً والعامل الأكثر حسماً في تحديد التفاعلات القائمة فيه، لقد انتقلت مراكز الحضارة من العالم القديم إلى العالم الجديد بعد حملة واسعة من كشوف جغرافية غيرت وجه التاريخ، وبرزت منذ مراكز قوى جديدة، كما بإمكانها أن تنتقل مستقبلاً إلى نطاقات جغرافية أخرى، وبخاصة تلك التي تتمتع بسهولة الاتصال بموارد الطاقة والاقتصاد المهمة أكثر من غيرها، أو تلك التي تتمتع بكفاءة أعلى من غيرها في استخدام تلك الموارد، فمثل هذه المناطق احتمالات البقاء وبسط النفوذ أو السعي إليه مقارنة بالمناطق الأخرى^(١٣).

ومن هنا يمكننا القول حظى عامل البناء المكاني باهتمام الفكر السياسي للفلاسفة الروس وقدم هؤلاء أطروحات ومقاربات استراتيجية واضحة عن روسيا باعتبارها حضارة مستقلة من حيث المعايير والقيم الثقافية والدينية والروحية والاجتماعية^(١٤). وهي عبارة عن مضمرات في الرؤية تكشف علاقة روسيا بالفضاء المكاني وتحديداً الفضاءات الحيوية، فهي تحاول تحصين ذاتها بتكوين تصوراً لهذا الفضاء على أنه فضاء كبير مما يحمل في طياتها امتدادها الثقافي في الجمهوريات السوفيتية السابقة، إذ تحاول أن تؤسس من خلال الترويج والتسويق لتاريخها بإعادة التوضع الجغرافي وصياغة سياسة تعود بالفائدة والمنفعة بحيث تتحول لخطاب ثقافي وتجسيدا للغة ترويجية تاريخية وفكرية تتجلى في عبارة: "بأن روس هي قوة كبرى أو عظمى هو أساس كل العمليات الاجتماعية التي تحدد المضمون والمحتوى الرئيسي للمجتمع الروسي الجيوبوليتيكي والاجتماعي"^(١٥). ولهذا يلاحظ أن الفضاء الذي تقصده روسيا ويشكل أساس تاريخياً للجيوبوليتيك الروسي هو الفضاء المتشعب بالمعنى بل بالعديد من المعاني وعندما يصل الوضع إلى العلاقات بين الشعوب والأمم والثقافات بل ويصل في بعض الأحيان إلى الصدمات العسكرية فهنا يكون للمعنى المكاني كلمة قوية وذات دلالات جغرافية^(١٦).

ولهذا يتبين لنا في ظل التطورات التي شهدتها البيئة الإقليمية والدولية تبلورت الاستراتيجية الجديدة التي يقوم عليها حلف شمال الأطلسي (NATO) على أساس الاضطلاع بمهمة العمل على تعديل مجال نفوذه التقليدي وإعادة التمرکز نحو فضاءات حيوية جديدة خارج نطاق الجغرافي تؤهلها بان تتفوق من الناحية الاستراتيجية بشكل يمنحها القدرة من أجل تفويض دور وفاعلية روسيا الإقليمية من خلال إيجاد تحالفات استراتيجية تعزز مصالحها.

(١٣) جلال خشيب ، مصدر سابق ، ص ٩٥.

(١٤) الكسندر دوغين ، جغرافية السياسة في روسيا ، ترجمة : عاطف معتمد ، سعد خلف ، وائل فهم ، (القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠٢١)، ص ١٥٩.

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٢.

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٢١.

وعلى هذا الأساس تركز الاستراتيجية الروسية بإعادة ترسيم مجالات نفوذها الجيوبوليتيكية التقليدية وتوسيعها في سياق دالة استحضار خبرات التاريخ في استخلاص دروس مستفادة لتوجيه السياسة الحالية بغض النظر عن الاختلاف في السياقات أو تفاوت حسابات التكلفة والعائد للسياسات بين الماضي والحاضر، وهو ما يعني وجود نزعة لتقديس التاريخ واعتباره المحرك الأساسي للسياسة^(١٧)، وتقرنه روسيا في التعبير عن كينونتها التسويغية في حركة توسعها ضمن آفاق إنتاج طروحات جيوبوليتيكية جديدة، مستشهده بمقولة رسمتها سرديّة قائلة: "إن الإنسان يصنع التاريخ ليس كما يرغب أو وفق لسياقات يحددها بنفسه، وإنما في ظل ظروف موجودة مسبقاً ومعطيات الماضي بحيث يكبل إرث الأجيال الراحلة نظرائهم الأحياء"، بتعبير (كارل ماركس-Karl Marx)، وبناء على ذلك يقوم صانعو القرار باستدعاء الأحداث والخبرات التاريخية المشابهة للمواقف والظواهر التي يتعرضون لها في الوقت الحاضر ستفتح آفاقاً وامكانات جديدة، تستنطق منظومتها الفكرية في تشكيل الذهنية الاستراتيجية وإرساء رؤية ومقاربات جديدة تحتوي على بعد تاريخي كاشفة عن تصورات سياسات الذاكرة الوطنية (Memory Politics) من خلال توظيف خبرات الماضي الثابتة في الذاكرة الجمعية للمواطنين في الترويج لرؤى محددة وخيارات بعينها في السياسة الداخلية والخارجية، إذ إن تقدير الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين-Vladimir Putin) لإرث الاتحاد السوفييتي ورغبته في إحياء مكانة روسيا كقوة عظمى، يعد المسوغ الأساسي للترويج للسياسات القومية داخلياً واتجاهات التمدد الخارجي ومحاولة بناء نظام متعدد الأقطاب على المستوى الدولي^(١٨).

وفي ضوء ما تقدم نجد أن الطروحات الفكرية التي صاغها (فيدال لابلاش-Vidal Blach) (١٨٤٥ - ١٩١٨) في نظريته الجيوبوليتيكية "البوسيبيليزم"(Possible) وتعني "الممكن" كان لها أثراً في التصورات الاستراتيجية لـ (بوتين) ونظرته إلى علمية التوسع المكاني لروسيا، ورأى فيها (لابلاش) إن التاريخ السياسي أفقان مكاني(جغرافي) وزماني (تاريخي)، إذ ينعكس العامل الجغرافي في الوسط المحيط، أما التاريخي فينعكس في الإنسان نفسه صاحب المبادرة، وهنا اقترح النظر إلى الوضع المكاني على أنه احتمال أو إمكانية يمكن أن تفعل لتغدوا عاملاً سياسياً حقيقياً، ويمكن أن لا تفعل وهذا ما يرتبط بشكل كبير بالعامل الذاتي أي الإنسان ساكن هذا المكان، فلا يمكن للعامل الجغرافي للدولة وحده أن يكون بمفرده لتفسير سلوكها الخارجي، وإنما يجب أن يضاف إليه دور الإنسان صانع القرار الذي له القدرة على جعل العامل الجغرافي فاعلاً أو غير فاعل لتكون بذلك "البوسيبيليزم"^(١٩).

إلى جانب ما سبق ذكره، ارتكز جوهر الخطاب الروسي عن دوافع هذا التحرك تجاه أوكرانيا على منطق الجغرافيا السياسية، لإضاءة طموحات تغذيها توجهات إمبراطورية نحو تحقيق توسع جيوبوليتيكي تحت قناع القوة الحضارية لإعادة تنظيم نقاط الارتكاز المكانية لاسترجاع مجالاتها الحيوية وتعظيم مصالحه، فجاءت تصريحات (بوتين) التي عبر عنها في خطابه أمام مؤتمر ميونخ للأمن في العام ٢٠٠٧، لتأكيد على ما رأى أنه تجاهل وانكاراً لمكانة روسيا وقوتها، بل يمكن القول إن التدخل الروسي في أوكرانيا يأتي متسقاً مع سياسة روسية تاريخية اعتمدتها في عصور الإمبراطورية وعهد (الاتحاد السوفييتي) السابق، تعتمد على وجود مناطق جغرافية "عازلة" على تخومها، تمثل حاجزاً أمام

(١٧) بسمة الاتريبي، عقد التاريخ: مداخل تشكيل الماضي لتوجهات السياسة الخارجية، مفاهيم المستقبل، مجلة اتجاهات

الأحداث، العدد (٢٥)، (٢٠١٨)، ص ١٠.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١١.

(١٩) نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك، (بغداد: دار ومكتبة عدنان، ٢٠١٤)، ص ٦٩.

الخطر القادم من الغرب؛ وهي تتمتع اليوم بحق الرعاية عليها^(٢٠). وهذا ما أشار إليه (بوتين) بعد توليه الحكم في روسيا ليكشف عن رؤيته بسردية استرجاعية تاريخية توحى بوجود مسعى للتأثير في الجغرافية قائلا: "نحن قوة عالمية، ليس بسبب أننا نمتلك قوة عسكرية عظيمة وقوة اقتصادية محتملة، ولكن نحن كذلك لأسباب جغرافية، سوف نظل موجودين مادياً في أوروبا، وآسيا، في الشمال والجنوب، كما لنا في كل مكان بعض من الاهتمامات والمخاوف". إذ أشار بخطابة الجيوبوليتيكي عن تاريخ أصيل للمكانة التي أولاها الروس وعلمائهم الجيوبوليتيكيون لعامل الجغرافيا. فقد توارث الروس حباً قديماً للأراضي تكون عبر التطور التاريخي في سياق ضمان "توسعة الأمة الروسية". لهذا السبب، لم يكن من المستغرب أن يولي الفكر السياسي والجيوبوليتيكي الروسي أهمية خاصة لمسألة المجال (The Space)، كما ذهب إلى ذلك (ليفاندوفسكي Lewandowski) برؤية وفق مؤشرات إعادة قراءة التاريخ لإنتاج الممارسة الملموسة للسلطة في روسيا قائلا: "أن جغرافيا السمات الوطنية الروسية - على غرار المجال، الأرضي أو الروح الروسية - لا تعرف معنى للحدود"^(٢١).

علاوة على ذلك فإن الخطاب الروسي في تعامله مع أوكرانيا، لم يعتمد على مبررات الواقعية السياسية (Political Realism) فحسب، التي ترى أن دفاع الدولة عن أمنها القومي ومصلحتها مبرر كاف لتفاعلاتها الدولية وقراراتها الخارجية بما في ذلك قراراتها العسكرية، بل أنه كان أقرب لمقومات الخطاب البنائي (Constructivism) الذي يهتم بالأبعاد غير المادية لفهم التفاعلات الدولية، فقد تعمد تضمين الأبعاد الثقافية والتاريخية في خطابه، وأولى لها اهتماماً خاصاً، وبالتوازي مع العمليات العسكرية والحروب الاقتصادية، ظهرت أبعاد أخرى من النزاع ذات صبغة ثقافية وتاريخية وهي الأدوات التي توظفها روسيا في هذا النطاق الجغرافي الحيوي^(٢٢). وفي نطاق هذا السياق يعتبر الموقع الجغرافي من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في تحديد قوة وسياسة الدولة الجيوبوليتيكية. وعلى الرغم من أن الموقع الجغرافي لأي منطقة على سطح الأرض ثابت لا يتغير إلا أن أهميته السياسية والاستراتيجية في تغير مستمر^(٢٣). لا سيما أن الواقع الإقليمي اثبت عن وجود سياسات وسلوكيات تنتهجها أوكرانيا لأحداث تحولاً في طبيعة علاقات التفاعلات الإقليمية وما يصاحبها من خيارات أو بدائل لتحقيق الأهداف الاستراتيجية للقوة المتنافسة تتولى وظيفة إعادة تأهيل مجالات التأثير السياسي في نطاقات النفوذ الروسي، وتمثلت بصياغة نمطية ترويجيه في التركيز على الانفتاح والتعاون مع دول الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو وتفعيل نشاطها الأرضي داخل دوائر الفضاءات الحيوية لروسيا.

وتأسيساً على المعطيات السابقة تعد أوكرانيا مفتاحاً رئيسياً لروسيا في ممارسة النفوذ والسيطرة على دول الجوار الجغرافي المباشرة وإحياء حضارتها، خاصة مناطق نفوذها التقليدية التي يمكن من خلالها أحداث تحول جوهري في واقع المنطقة، من هذا المنظور تكمن أهمية أوكرانيا حيث باعتبارها أداة

(٢٠) كارن أبو الخير، توازنات جديدة: هل تمثل الحرب في أوكرانيا نقطة تحول في النظام الدولي، انترريجنال للتحليلات الاستراتيجية، ٢٠٢٢/٣/١١، شوهدي في ٢٠٢٢/٤/١٢، في: <https://www.interregional.com>

(٢١) نقلاً عن: جلال خشيب، مصدر سابق، ص ١٠٠.

(٢٢) هالة الحفناوي، "رواية "كييف روس": صراعات الهوية في الحرب الروسية الأوكرانية"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ٢٠٢٢/٣/٩، شوهدي في ٢٠٢٢/٤/١١، في: <https://futureuae.com/ar->

AE/Mainpage/Item/7148

(٢٣) نيهان زمبرور السعدي، مصدر سابق، ص ٢٣١.

رئيسية لتحقيق فكرة "الأمة الروسية الكبيرة"، عبر تموقعها في السيرورة الحضارية كجزء من الجغرافية الروسية^(٢٤).

ومن خلال ما سبق يتضح أن لأوكرانيا ميزات ذات أهمية جيوبوليتيكية واستراتيجية مهمة لروسيا، وعلى هذا النحو فهي تعتبر بمنزلة منطقة نفوذ تقليدية، تتوافق مع أدبياتها وأيديولوجيتها بناءً على التراكمات التاريخية، لذلك تحاول روسيا بذل أقصى ما في وسعها لتعزيز مجال نفوذها في الأراضي المجاورة لمحيطها وترسيم حدود مجالاتها الأرضية كتعريف على مركزيتها الحضارية، تجاه المناطق المناخمة لحدودها التي يتحدث سكانها بلغتها ويعتقدون ديانتها، وبالتالي يسمح لها بالحفاظ والتحكم في المنطقة المركزية لأوراسيا^(*)، إضافة إلى ذلك تنظر روسيا دوماً إلى اتحاد الجمهوريات المستقلة بوصفه نطاق نفوذ روسي خالص لا يجب التنازع فيه مع روسيا من قبل أي طرف دولي آخر^(٢٥).

المحور الثالث

اتجاهات تأثير محاور النمو الروسي وسياقاتها على النظام الدولي

من نافذة القول طرأت بوادر تغيير على النظام الدولي الذي تأسس منذ الحرب العالمية الأولى، والذي ترسخ بشكله السياسي والأمني والاقتصادي الحالي بعد الحرب الباردة، في الوقت الذي تعددت فيه القوى الدولية والمؤثرة في التوازنات الاستراتيجية وحازت على مقاعد رئيسة على طاولة صنع القرار العالمي. واليوم تسعى القوى الطموحة إلى ضبط قواعد اللعبة الاستراتيجية في النظام الدولي بالطريقة التي تخدم مصالحها، مستغلة حالة الفوضى المنتشرة في مختلف أنحاء العالم بطرق مختلفة على (شكل صراعات مسلحة أو احتجاجات شعبية أو يمين متطرف أو شعبية صاعدة)^(٢٦).

مقابل هذا التصور تشير الدلائل المتاحة إن الانتقال في التفكير الجيوبوليتيكي، جعل منظري العلاقات الدولية ينطلقون في تحليلهم تجاه التطورات الأخيرة في النظام الدولي من منطق أن نظرية العلاقات الدولية منذ القدم هي صنعة الأزمات والتحوليات الكبرى في العالم لكونها تستند إلى معطيات مادية، وهكذا فإن التنظير لا ينشأ في الفراغ بأي حال، ومع ذلك فإن هذا التطور يرتبط بسياقات ضاغطة تدفع الباحثين والخبراء لإعادة إنتاج أطر نظرية ومفاهيم قادرة على استيعاب الواقع الجديد (New Realities)

(٢٤) "مواجهة العجز: اتجاهات تقرير ميونخ للأمن العالمي في عام ٢٠٢٢"، انتر ريجونال للتحليلات الاستراتيجية ،

٢٠٢٢/٢/٢١، شوه في ٢٠٢٢/٤/١٢، في: <https://www.interregional.com>

(*) تتجاوز أوراسيا، نطاق هيمنة الاتحاد السوفيتي السابق، لتشمل المساحة الجغرافية الممتدة عر قارتي آسيا وأوروبا، والتي تعبر عن "الإقليمية الآسيوية - الأوروبية" (Asian – European Regionalism)، والروابط الاقتصادية بين دول القارتين التي تجعل من أوراسيا قارة كبرى لا تخضع لمعايير الحدود السياسية التقليدية بين القارات . للمزيد ينظر : منى مصطفى، "عودة أوراسيا: تجدد الاهتمام الأكاديمي بالترابط الجغرافي بين أوروبا وآسيا"، أوراق أكاديمية ، العدد (٦) (٢٠١٩)، ص ٣.

(٢٥) نبهان زمبور السعدي ، مصدر سابق ، ص ٢٣٨.

(٢٦) فراس عباس هاشم ، " أثر متغير الطاقة في توجهات السياسة الروسية تجاه منطقة شرق المتوسط (دراسة في الدوافع والتحديات)"، مجلة النهرين، العدد (٧)، (٢٠١٩)، ص ٨٤ .

(من خلال نظريات جديدة (New Theories) تقوم بوظائف الوصف والتفسير والتنبؤ في إعادة تشكيل النظام العالمي^(٢٧)).

من هذا المنطلق، يكمن جوهر الإدراك الجيوبوليتيكي الروسي في تغيير الآليات الدولية التي تحكم حركة التفاعلات الدولية وإعادة تشكيلها بالشكل الذي يحظى بالقبول والتأييد والتركيز على المشاركة والتحالف والثقة المتبادلة، من خلال إعادة تقييم الترابطات مع محيطها الخارجي خاصة القوى الآسيوية من دول الجوار القريب لروسيا والتحالفات الاستراتيجية مع القوى الآسيوية الكبرى ولعل أهمها الصين^(٢٨)، ولذلك هذا الفهم يمكن أن يعزى بصورة مباشرة إلى الرؤى الجيوبوليتيكية الروسية كمعطى أن قوة روسيا وتصوراتها الاستراتيجية الكبرى كانت قد ارتبطت من قبل دوماً بالسيطرة على مساحة جغرافية واسعة، سمحت بالوصول إلى إدراك مفهوم تاريخي في توجهاتها ونظرتها إلى المجال الجغرافي إذ يتحدث بعض المؤلفين عن حب الروس القديم للأراضي الذي تشكل عبر التطور التاريخي في سياق ضمان توسعة الأمة الروسية في بعدها الزمني ومجالها الجغرافي^(٢٩). فأى تحولات أو تغييرات أو تحديات أو تفاعلات في ساحات المواجهة الجيوبوليتيكية التي تعتبرها روسيا مجالاً حيويًا مهماً لها ومنها الفضاء الأوكراني، ستؤدي إلى توسع نطاق الفضاءات المفتوحة للمواجهة وبالنتيجة من شأن هذا الأمر دفع روسيا إلى إعادة هيكلة علاقاتها مع الدول الأخرى، وبناء استراتيجيات جديدة تؤهلها للتغيير والتكيف مع التطورات الإقليمية، من خلال إرساء رؤية ومقاربة جديدة في تعريف مصالحها والحفاظ عليها.

ضمن نفس السياق تسعى روسيا لإثبات نفسها بوصفها لاعباً فعالاً على رقعة الجغرافيا السياسية والجيواستراتيجية عالمياً وإقليمياً في منطقة كثيراً ما عدت ضمن المجالات الحيوية للأمن القومي الروسي، وبالتالي في ظل حق السيادة وحماية الأمن القومي، يتطلب بناء استراتيجيات جديدة تؤهلها للتغيير والتطور لإثبات ذاتها، فإذا تم تهديد هذه المصالح بشكل فعلي، ابتداء من التشكيك في قيمتها وأهدافها، فإن روسيا وجدت نفسها مضطرة للتدخل في أوكرانيا بهدف إجهاد محاولات كهذه بارتكازها على الشعور التاريخي لإثارة الوجدان الوطني، في خطوة عدها الخطاب الروسي ضربة استباقية، في إطار استراتيجية هجومية لتوجيه الرؤية والخطاب الروسي نحو ثقافة جديدة تعتمد القيادة الروسية وتنبأها لحماية المصلحة الوطنية، ضمن سياسة قديمة تسلكها بأثارة المشاعر العاطفية لبعث الحركة داخل المجتمع نحو استعادة نفوذها

على مجالاتها الحيوي(*) سواء من خلال السيطرة المباشرة على مساحات الأرض كما برز في حروب أوسيتيا الجنوبية عام (٢٠٠٨) أو ضم ضبه جزيرة القرم عام (٢٠١٤) أو إعادة فرض الهيمنة كما برز في تأسيس منظمة معاهدة الأمن الجماعي عام (٢٠٠٢) والاتحاد الاقتصادي الأوراسي عام (٢٠١٤) في آسيا الوسطى أو خلق حكومات موالية لروسيا كما حدث في كازاخستان في (٢٠٢٢) أو بيلاروسيا عام

(٢٧) فراس عباس هاشم ، مصدر سابق ، ص ١٣.

(٢٨) طارق محمد ذنون الطائي ، الفكر الاستراتيجي الروسي في القرن الواحد والعشرين (دراسة تحليلية في ضوء الوثائق الرسمية الروسية)، (عمان : شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦)، ص ١٠.

(٢٩) جلال خشيب ، " الجيوبوليتيكا الروسية الحديثة والمعاصرة بين النظرية والتطبيق " ،مجلة رؤية تركية ، العدد (٢) ، (٢٠١٨)، ص ٩٩.

(٢٠٢٠) (٣٠). وعلى وفق ذلك، ربما يمكن القول إن (بوتين) لم يخف رغبته في استعادة المكانة الروسية في النظام الدولي، واستحضر أدوات عديدة لتحقيق ذلك الأمر، البعض منها عسكري عبر ضمان السيطرة على مناطق النفوذ الحيوي لروسيا، والبعض الآخر وثيق الصلة بما يعرف بـ "النموذج الروسي"، والذي ينطوي على قيم الوطنية والمسيحية الأرثوذكسية ليعطي بذلك أهمية للمواقع المقدسة الأرثوذكسية الروسية، وعدها من أدوات تأكيد الدور الروسي، وبموازاة ذلك، صاغ (بوتين) شكلاً مختلفاً للديمقراطية، حيث باتت الديمقراطية الروسية تعني "قوة الشعب الروسي بتقاليده الخاصة للحكم الذاتي، وليس الوفاء بالمعايير المفروضة على روسيا من الخارج" (٣١).

ومن الواضح هنا تدلل البنية الجيوبوليتيكية الجديدة التي تحددها حركية الحدث الأوكراني على الطبيعة المعقدة للنظام الدولي الذي تتقاطع فيه قضايا لم تحسم منذ حقبة زمنية مضت في إطار التراكم التاريخي، أي أن لها مسوغاتها ومظانها المتعلقة بالبيئة الاستراتيجية، مع تطلعات الأطراف الفاعلة إلى موقع ومكانة في نظام جديد لا يزال قيد التشكيل، ومع أن التعقيد صفة للنظام الدولي في كل العصور، فقد وصل إلى درجة تكاد تكون غير مسبوقة في المرحلة الحالية من العلاقات الدولية؛ فبالإضافة إلى ما تشهده من تحولات في موازين القوة بين أطرافه الرئيسية، هناك كثافة وتنوع في أنماط التفاعل، ودرجة كبيرة من الاعتماد المتبادل فيما بينها؛ ما يجعل كل الخيارات صعبة؛ فاستمرار الاعتمادية المتبادلة يمثل نقطة ضعف، في حين أن فك هذا الارتباط يترتب عليه تكاليف باهظة (٣٢).

وفي هذا السياق يمكن القول إن تطورات الأحداث التي رافقت التحرك الروسي في أوكرانيا، قد كشفت عن تحولات انتقالية في هيكلية النظام الدولي، تفرضه رؤية صانع القرار الروسي بإضفاء مسحة تحديثية على المنطقة في ظل مساعيها لفرض ذاتها على نحو منفرد، إذ لم تعد الولايات المتحدة هي القطب الأوحيد في العالم، التي تفرض قواعده، بل باتت هناك قوى أخرى لها مجال حيوي تسعى للدفاع عنه من خلال أداء يجعلها تحمل مهمة الحفاظ على تأمين مصالحها ضمن نطاق هذا الجال المكاني (٣٣). ومن هنا يتبين لنا في ظل حالة عدم اليقين في المشهد العالمي، أصبحت الدول تسعى لإعادة ترتيب مواقفها في كيفية مواجهة التحديات الأمنية العالمية، وإعادة النظر في سياستها والإقليمية في

(*) يعرف (سيار كوكب الجميل) مفهوم المجال الحيوي بأنه: "النطاق الاستراتيجي أو الحيز الجغرافي الخصب الجاذب للقوى الدولية دوماً ليس في التحرك والتفاعل فحسب، بل في ترسيخ جملة من الأساليب والنظم والمنظومات والارتكازات". فيما يعرف قاموس (ويستر) المجال الحيوي بأنه: "الانتساع الذاتي الاقتصادي لأرض الدولة أو المجال المطلوب للمجتمع أو مؤسسة أو منظمة لغرض الحياة أو الإقليم الضروري للوجود". نقلاً عن: عمر كامل حسن، **المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية**، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٥)، ص ٢٥.

(٣٠) احمد ناجي قمحة، "الأزمة الأوكرانية: صدام الأرادات .. مخاض نظام عالمي جديد"، **مجلة السياسية الدولية**، العدد (٢٢٨)، (٢٠٢٢)، ص ٨.

(٣١) فراس عباس هاشم، "أثر متغير الطاقة في توجهات السياسة الروسية ...، **مصدر سابق**، ص ٨٨.

(٣٢) كارن أبو الخير، **مصدر سابق**.

(٣٣) شادي عبد الوهاب، خطوط حمراء: انعكاسات العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا على النظام الدولي، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ٢٥ / ٢ / ٢٠٢٢، شوهد في ١٣ / ٤ / ٢٠٢٢، في: [https://futureuae.com/ar-](https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7105)

AE/Mainpage/Item/7105

مسارح المواجهة الجيوبوليتيكية، ولهذا كانت التحركات الروسية لمواجهة منافسيها الاستراتيجيين في المجالات المكانية الحيوية، سيكون له انعكاساته على مستقبل القوى النظام الدولي وتكريس نموذج متعدد للفاعلات الدولية، على نحو يجعلها تفرض قواعد جديدة تخدم أهدافها القومية.

الخاتمة

وفي ضوء ما تقدم تكشف طبيعة التحركات الروسية في ظل وجود سياق صراعي- تنافسي في جوارها الجغرافي عن ملامح نقطة تحول في التوجهات الاستراتيجية تجاه مجالاتها الحيوية من خلال التفكير في أبعادها الجيوبوليتيكية، بل تنحو إلى أبعد من ذلك وبخاصة تلك الموضوعات المرتبطة بالحضارة والثقافة الروسية وعلاقاتها بدول الجوار الجغرافي، ومسوغ ذلك أدراكها إنها لا تزال تحتل أهمية متزايدة في أدراكات القوة الدولية والإقليمية، تختزلة في التغييرات التي أخذت حيزاً متزايداً من الاهتمام الروسي مع اتساع مساحة نفوذ حلف الناتو والتي أفرزت واقعاً جديداً في جوارها المكاني والمرتبط بسياق إظهار النفوذ الجيوبوليتيكي على حسابها، مما يشكل عامل ضغط عليها، والذي أصبح المعطي الذي على أساسه تحركت من خلاله روسيا تجاه أوكرانيا، سعياً منها لتوسيع دائرة سيطرتها في نطاق فضاءها الجغرافي، بحيث تندمج في تصور مستند بنية دفاعية على وجه التحديد ضمن الأطر الأساسية للاستراتيجية الروسية في استعادة دورها العالمي. وبناء عليه ستؤدي هذه التطورات إلى تحولا أساسيا في طبيعة المتغيرات التي تتسم بها هذه المعطيات في مختلف أبعادها وبخاصة في الفضاء الأوكراني، وما تؤدي إليه في بعض منطلقاتها لخلق مناخاً ملائماً لملاحم الانتقال في النظام الدولي بمعادلة جديدة، وما تطرحه من بزوغ دول عظمى جديدة على الساحة الدولية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمترجمة

- ألكسندر دوغين، الخلاص من الغرب : الأوراسية الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية، ترجمة : علي بدر، (بغداد : مكتبة دار الكا، ٢٠٢١).
- ، جغرافية السياسة في روسيا ، ترجمة : عاطف معتمد ، سعد خلف ، وائل فهم ، (القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠٢١).
- طارق محمد دنون الطائي، الفكر الاستراتيجي الروسي في القرن الواحد والعشرين (دراسة تحليلية في ضوء الوثائق الرسمية الروسية)، (عمان : شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦).
- عمر كامل حسن ، المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية ، (بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠١٥).
- فراس عباس هاشم، استعصاءات الجغرافيا : روسيا واختراق المخيال الجيوبوليتيكي لمساحة الفضاءات العالمية، (الأردن : شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٢).
- كاظم هاشم نعمة، روسيا في السياسة الآسيوية ما بعد الحرب الباردة، (عمان: دار أمانة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٣).
- مثنى علي المهداوي ، السياسة الخارجية : دراسة نظرية عامة ، (بغداد : مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠٢٠).
- نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك ، (بغداد : دار ومكتبة عدنان ، ٢٠١٤).

ثانياً: المجلات والدوريات

- احمد ناجي قمحة، "الأزمة الأوكرانية : صدام الارادات .. مخاض نظام عالمي جديد"، مجلة السياسية الدولية ، العدد (٢٢٨)، (٢٠٢٢).

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية
والدولية للعام ٢٠٢٢

- بسملة الاتربي، عقد التاريخ : مداخل تشكيل الماضي لتوجهات السياسة الخارجية ، مفاهيم المستقبل،
مجلة اتجاهات الأحداث ، العدد (٢٥) ، (٢٠١٨).
- جلال خشيب، " الجيوبوليتيكا الروسية الحديثة والمعاصرة بين النظرية والتطبيق "،مجلة رؤى تركية ،
العدد (٢) ، (٢٠١٨).
- ،"الجيوبوليتيك في القرن الحادي والعشرين : انتصار الجغرافيا وعودة عالم ثيوسيديس"،المجلة العربية
للعلوم السياسية ، العدد (٤)،(٢٠٢١).
- فراس عباس هاشم، " أثر متغير الطاقة في توجهات السياسة الروسية تجاه منطقة شرق المتوسط (دراسة
في الدوافع والتحديات)"،مجلة النهرين، العدد(٧)،(٢٠١٩).
- نبهان زمبر السعدي ، " الأهمية الجيوسياسية للجمهورية الأوكرانية من منظور التنافس الروسي
والأمريكي -الأوروبي"، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد (٢٧)،(٢٠١٦).

ثالثا: المواقع الإلكترونية

- احمد بن ضيف الله القرني، "الأزمة الروسية- الأوكرانية.. زلزال جيوسياسي يضرب أوروبا"، المعهد
الدولي للدراسات الإيرانية ، ٢٠٢٢/٣/١٤ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٧ ، في: <https://rasanah-iiis.org>
- زياد زكريا، " الأزمة الروسية - الأوكرانية وعودة الاعتبار لـ "الجيوبوليتيك"، موقع مجلة السياسة
الدولية ، ٢٠٢٢/٣/١ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٦ ، في : <http://www.siyassa.org.eg/Index.aspx>
- شروق مستور، " البعد الجيوبوليتيكي والديني للصراع الأمريكي الروسي"، مركز الفكر الاستراتيجي
للدراسات ، ٢٠٢٢/٢/٢٨ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٩ ، في: <https://fikercenter.com/2022/02/28>
- كارن أبو الخير، توازنات جديدة: هل تمثل الحرب في أوكرانيا نقطة تحول في النظام الدولي،
انترريجنال للتحليلات الاستراتيجية ، ٢٠٢٢/٣/١١ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٢ ، في :
<https://www.interregional.com>
- هالة الحفناوي، "رواية "كيف روس": صراعات الهوية في الحرب الروسية الأوكرانية"، المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة ، ٢٠٢٢/٣/٩ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١١ ، في :
<https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7148>
- "مواجهة العجز: اتجاهات تقرير ميونخ للأمن العالمي في عام ٢٠٢٢"، انتر ريجونال للتحليلات
الاستراتيجية ، ٢٠٢٢/٢/٢١ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٢ ، في: <https://www.interregional.com>
- شادي عبد الوهاب، خطوط حمراء: انعكاسات العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا على النظام
الدولي، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، ٢٥ /٢/ ٢٠٢٢ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٣ ، في:
<https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7105>
- طبوغرافية ، موقع المعرفة ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٧ ، في: <https://www.marefa.org>

آفاق سوق الطاقة العالمي وتحدي الدولة النفطية دراسة حالة الجزائر.

د. زكرياء وهبي

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الجزائر ٣

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة مستقبل سوق الطاقة العالمي الذي يشهد تحولات كبرى في بنيته وهيكلته سواء في اكتشافات الجديدة أو في تحول نحو استغلال طاقات غير تقليدية والتوجه نحو توظيف الطاقات المتجددة لدواعي بيئية ولتحقيق التنمية المستدامة، بالإضافة إلى زيادة الفواعل المؤثرة في السوق منها تقنية و تكنولوجية التي أثرت في توجه العالمي الجديد، كما أن الخريطة الجيو طاقوية العالمية تشهد عدم الاستقرار الدائم سواء في المحافظة على مستويات الإنتاج أو تحقيق الأمن الطاقوي العالمي بالإضافة إلى اضطراب السوق لدواعي جيوبوليتيكية أو اقتصادية، هذا ما يجعل الدول المنتجة للنفط والمعتمدة عليه بشكل كلي في الموازنة العامة للدولة (حالة الجزائر) أمام تحدي استراتيجي يتطلب إعادة ترتيب أولوياتها الاستراتيجية وفق مصالحها الاقتصادية بشكل يضمن الاستمرارية والتكيف مع متطلبات السوق مع محاولة توظيف الطاقات غير المستغلة وفق منطق المحافظة على الثروات.

تكمن أهمية هذا البحث في استشراف ما ستؤوله هذه التغيرات الطاقوية على مستقبل الدولة المعتمدة على النفط ضمن سياقات عالمية غير واضحة المعالم مع افرازات وانعكاسات التي ستسفره الأزمة الوبائية العالمية -كورونا- على الاقتصاد العالمي خاصة مع الانكماش الاقتصادي في سنتين الماضيتين وظهور مؤشرات الاستقرار النسبي من الوباء الذي أدى إلى عودة الحركية الاقتصادية العالمية وارتفاع الأسعار نسبيا.

ولمعالجة هذا الموضوع سوف يتم الاعتماد على المنهج الوصفي وهذا راجع لطبيعة الدراسة، كما سوف يتم توظيف المنهج الاحصائي ومقاربات دراسات المستقبلية (نموذج سيناريوهات) لإدخال النماذج والجوانب الكمية في دراسة لنسنتج في نهاية المطاف أن هناك غموض في معرفة مستقبل سوق الطاقة في العالم (توقعات) ما يجعل الدولة النفطية دائما تكون مرهونة بأسعار لذا يتوجب تحرر من هذه التبعية المفرطة للنفط وتفكير في بدائل اقتصادية لضمان بقاء الدولة.

الكلمات المفتاحية: مستقبل الطاقة، الدولة النفطية، السوق الطاقوي.

مقدمة:

تعتبر الطاقة أحد المجالات الحيوية في الدراسة والبحث نظرا لكونها سلعة استراتيجية وذات الطلب العالمي في السوق وباعتبارها أيضا أحد المقومات الأساسية للدول من حيث البقاء واستمرارية في تفاعلات الدولية بمختلف أبعادها اقتصادية، واجتماعية وسياسية وحتى الحضارية منها لذا فجل الدول هي في حاجة لهذا المورد الهام الذي به تنبض الحياة ونجد الطاقة النفطية مادة أولوية في ضمان الإمدادات الكافية أوفي تصديرها للدول المالكة لها.

إن الدولة النفطية تسعى دائما زيادة انتاجها والمحافظة على كميات الازمة في السوق من أجل دوام مصادرها المالية وتسيير شؤونها في شتى المجالات وبالتالي فتعتبر الثروة النفطية أحد المداخل الرئيسية لموازنتها العامة وأي خلل في عمليات الإنتاج أو التوزيع يؤدي ذلك إلى اضطرابات في كيان وهياكل الدولة إلا أن تحقيق الاستقرار والثبات في المجال النفطي يتجاوز الدولة المنتجة بحذ ذاتها ويرتبط بفواعل أخرى لها تأثير كبير على سوق الطاقة في العالم ومتحركة في دواليب المؤسسات المختصة في هذا الشأن ما يجعل الدولة - حالة الجزائر- أمام إشكالات المحافظة الديمومة والتكيف مع الوضع الطاقوي العالمي بتحولاته وعدم الثبات في سوقه كما أن معرفة التصور المستقبلي للطاقة يكتنفها الكثير من الغموض وعدم الوضوح لنظرا لطبيعة المشكلة للطاقة و تأثيرات المختلفة لفواعل متعددة، بالإضافة إلى الديناميكية الحركية للطاقة في انتاج و استهلاك و الطلب والعرض ما يجعل كل بناء مستقبلي صعب القياس عليه بالرغم من توظيف المناهج الاستشرافية والمستقبلية في الدراسة.

الإشكالية الرئيسية التالية:

- ماهي الأفق المستقبلية لسوق الطاقة العالمي، وكيف يمكن للدولة النفطية -حالة الجزائر- تجاوز التحديات والتكيف مع متغيرات الجديدة؟ ولمعالجة هذه الإشكالية تم وضع:

الفرضية الرئيسية التالية:

كلما اعتمدت الدولة بشكل رئيسي على المورد النفطي في اقتصادها تعرضت لهزات في شتى المجالات لكون هذه السلعة عرضة لتقلبات في أسعارها وفي مصدرها بالإضافة الى كثرة فواعل خارجة عن نطاق الدولة المملوكة للنفط المؤثرة في حركيته، لذا فكلما تحررت الدولة من النمط الريعي استطاعت تنويع مصادرها وتحررت من تقلبات الاقتصادية.

ولتناول هذا تم التركيز على النقاط التالية:

- مستقبل سوق الطاقة في العالم بحدود ٢٠٥٠.

- تحديات الدولة النفطية في ظل رهانات الجيوطاقوية العالمية
- الرؤية الاقتصادية الجزائرية الجديدة (الطموحات - الواقع)

٠١ - مستقبل سوق الطاقة في العالم بحدود 2040.

قدم لداننييل لالكال و ديغوباريلا في كتاب مشترك بعنوان " أي قوى دافعة بمستقبل
الطاقة **WHAT FORCES ARE DRIVING THE FUTURE OF ENERGY** أن هناك عشر قوى تدفع بمستقبل الطاقة و هي^١:

- ٠١ الجغرافيا السياسية وهما وجهان لعملة الطاقة – الامن ٠٧ تدمير الطلب
- ٠٢ احتياطات الطاقة وفراغ الموارد
- ٠٣ الحفر الأفقي والتكسير
- ٠٤ النطاق العريض للطاقة
- ٠٥ القدرات المفرطة
- ٠٦ العولمة والتصنيع والتمرين
- ٠٧ إزاحة الطلب (النقل، الكهرباء)
- ٠٨ التنظيم والتدخل الحكومي
- ٠٩ النطاق العريض للطاقة
- ١٠ العوامل المالية والنقدية الاقتصادية الكلية.

وكل من هذه القوى تأثر بشكل أو آخر بمستقبل الطاقة في العالم لأن ديناميكية المورد الطاقوي وأهميته كمادة أساسية في المجال الاقتصادي بصفة عامة يجعل منه كسلعة ذات الحساسية المفرطة في التعامل معها، كما ان بناء سيناريوهات مستقبلية لمعرفة ما ستؤول إليه بعض مؤشرات الطاقة يعد أمرا صعبا ومعقدا نظرا لعوامل السالفة الذكر وفي هذا الصدد يقول جون كينث غالبريت في تعليقه الشهير حول توقعات الاقتصادية أنه «يمكن اعتبار الهدف الوحيد من التوقعات الاقتصادية هي تحسين علم التنجيم...» وهذا ما يطرح تساؤلات علمية ومنهجية حول بناء سيناريوهات مستقبلية حول معرفة ضبط اليات التحكم في السوق الطاقة في العالم، إلا أن هناك محاولات صادرة من منظمات متخصصة او شركات طاقوية عالمية أو بعض الدول النفطية تحاول استشراف ذلك مثل ما طورته شركة

^١ - مراجعة كتاب : طاقة العالم منبسطة فرص نهاية ذروة النفط أي قوى دافعة بمستقبل الطاقة، الإستشراف ، المركز العربي للدراسات و الأبحاث ، قطر ، ٢٠١٨، ص ٣٤٩.

اياه تي كيري At Kearney الامريكية من خلال ثلاثة سيناريوهات لطاقة بحلول ٢٠٤٠
مصنفة وفق أربعة الابعاد الأساسية وهي:^٢

١. استقرار النظام الجيو سياسي:

٢. التدفقات الاقتصادية الكلية المعاصرة

٣. الابتكار التكنولوجي

٤. البيئة التنظيمية العالمية

إضافة إلى ذلك فتشير معظم التقارير المنضوية في هذا المجال أن العامل التكنولوجي سوف يكون له دورا كبيرا في مواجهة التحديات الجديدة المتمثلة في نضوب الطاقة التقليدية وبالتالي فإن تطوير وسائل الإنتاج يؤدي إلى تنوع في مصادر الطاقة والذهاب إلى المصادر غير التقليدية – بديلة- من خلال تطوير تقنيات جديدة في مجال المعدات والأدوات التطبيقية في عمليات الحفر مثل استخراج من مصادر المياه العميقة (أكثر من ٤٠٠م) وبفضل التطور التكنولوجي في المعدات تم في عام ٢٠١٠ الوصول إلى أعماق تزيد عن ٢٥٠٠ م في كل من خليج المكسيك، حوض كامبوس، وسانتوس قبالة البرازيل وفي افريقيا (انغولا، نيجيريا)^٣.

يعد اكتساب التكنولوجيا الحديثة في مجال التنقيب والبحث عن مصادر جديدة أحد التحديات الجديدة في مواكبة التطور الحاصل في المجال الطاقوي وخاصة وان النقاشات الجديدة تؤكد على استغلال الطاقات المتجددة كحتمية ضرورية في تحقيق الامن الطاقوي العالمي في ظل وجود مؤشرات حول تجاوز الطاقة الاحفورية لدواعي نضوبها و لاسباب مرتبطة بالبيئة والاستدامة الموارد الطبيعية الأخرى، لذا فقد أشارت التوقعات المستقبلية أن هناك زيادة في الطلب العالمي على الطاقات المتجددة حيث أن انتاج العالمي من الطاقة الشمسية الكهروضوئية قد بلغ ١٥ جيجاواط عام ٢٠٠٨ ليصل إلى ٤٠ جيجاواط عام ٢٠١٠ وسنة ٢٠١٧ حقق حوالي ٤٠٢ جيجاواط، بالإضافة إلى طاقة الرياح التي طورت بشكل ملحوظ خلال فترة ٢٠٠٨/٢٠١٧

^٢ القمة العالمية للحكومات، التحول الكبير في مجال الطاقة، عبر الرابط الالكتروني:

www.worldgovernmentsummit.org

^٣ اديب قاسم شندي، رائد ضياء علي، سوق الطاقة العالمية في ظل التطور التكنولوجي الواقع وآفاق المستقبل: ص ١١٨.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

اذ بلغت سنة ٢٠٠٨ حوالي ١٢١ جيجاواط لتصل سنة ٢٠١٧ على ٥٣٩ جيجاواط وخاصة التطور الحاصل في انتاج طاقة الرياح في الصين، أما طاقة الكهرومائية بلغت نحو ٨٧٤ جيجاواط سنة ٢٠٠٨ لتصل على ١١١٤ جيجاواط عام ٢٠١٧^٤ ما يدل على أن المشهد الطاقوي المستقبلي سوف يكون للطاقات المتجددة دورا كبيرا في الإنتاج والاستغلال لتكون كمصادر مكملة لطاقات الاحفورية .

وحسب توقعات شركة EXON MOBIL في تقرير لها صادر سنة ٢٠١٩ بعنوان التحدي المزدوج The Dual Challenge أشارت إلى دور المستقبلي للطاقات المتجددة والطاقة النووية في النمو بحيث تساهمان بأكثر من ٤٠% من الطاقة الإضافية وتكون الصين ودول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية منتقلة نحو مصادر منخفضة الكربون كما سوف ينمو الغاز الطبيعي والطاقة النووية والطاقات الأخرى المتجددة إلى ربع إجمالي الطلب^٥.

كما توقع التقرير نمو الطلب العالمي على الطاقة المرتبطة بالنقل أكثر من ٢٥ % وبالأخص النقل التجاري (الثقيل، الجوي، البحري، سكك الحديدية) نتيجة النمو في النشاط الاقتصادي، مع توقعات استخدام الكهرباء في المنازل بنحو ثلثين بحلول ٢٠٤٠ وسوف تشكل طاقة الرياح وطاقة الشمسية دورا أساسيا بفضل الدعم التكنولوجي وكذلك السياسات التي تستهدف خفض انبعاثات ثاني أكسيد كربون^٦.

أما عن الطلب العالمي للنفط في حدود ٢٠٤٥ أشار تقرير منظمة الدول المصدرة للنفط opec أن السوق سوف يتعافى تدريجيا في جميع قطاعات الاستهلاك باستثناء حركة الطيران والنقل البري في بعض المناطق مثل أوروبا وأمريكا اللاتينية في عامي ٢٠٢٣، ٢٠٢٢ أما عن مستوى الطلب المتوقع لعام ٢٠٤٥ فقد قدر بحوالي ١١٢,٤ مليون برميل يوميا^٧ ومن المتوقع أن يزداد الطلب العالمي على الطاقة من ٢٨٦ مليون برميل من مكافئ النفط يوميا في عام ٢٠١٨ إلى أكثر من ٣٥٧ مليون برميل من مكافئ النفط اليومي في عام ٢٠٤٠ بمعدل نمو سنويا بحوالي ١% ويكون الطلب على الطاقة من بلدان غير الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي

^٤ - المرجع نفسه، ص ١٢٣.

^٥ - Out Look For Energy : aperspective to 2040, Exxon mobil.2019 p 12.

^٦ - Ibid,p13.

^٧ , 2020WorldOilOutlook2045,Organization of the Petroleum Exporting

Countries, OPEC Secretariat, October 2020,p 282.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

والتنمية بحوالي ٧٥ مليون برميل يوميا في حين يقدر الطلب في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بحوالي ٣ مليون برميل في اليوم^٨ والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول (4) إجمالي الطلب على الطاقة الأولية حسب المنطقة، 2018 - 2040:

المنطقة	مستويات ألف برميل نפט مكافئ النمو / د-				نمو ألف برميل نפט د مكافئ النمو	نمو النسبة السنية %	حصة من الطلب العالمي على الطاقة %			
المنطقة	2018	2020	2030	2040	- 2018 2040	- 2018 2040	2018	2020	2030	2040
أمريكا OECD	56.0	56.7	56.6	55.3	0.7-	0.1-	19.6	19.3	17.2	15.5
أوروبا OECD	36.4	36.4	35.7	34.3	2.1-	0.3-	12.7	12.4	10.9	9.6
آسيا أوقيانوسيا OECD	18.2	18.1	18.1	17.9	0.4-	0.1-	6.4	6.2	5.5	5.0
OECD	110.6	111.2	110.5	107.5	30.1-	0.1-	8.7.	37.9	33.6	30.1
الصين	63.6	66.1	75.5	81.8	18.1	1.1	22.3	22.5	22.9	22.9
الهند	18.8	20.2	28.7	37.5	18.8	3.2	6.6	6.9	8.7	10.5
OECD	20.0	20.4	25.5	29.8	9.9	1.8	7.0	6.9	7.8	8.3
بلدان أخرى non - OECD	49.9	52.0	63.8	74.8	24.9	1.9	17.5	17.7	19.4	20.9
روسيا	14.8	15.0	15.5	15.8	1.0	0.3	5.2	5.1	4.7	4.4
أخرى أوروبا آسيوية	8.2	8.5	9.5	10.3	2.1	1.1	2.9	2.9	2.9	2.9
Non- OECD	175.3	182.2	218.4	250.1	74.8	1.6	61.3	62.1	66.4	69.9
العالم	285.9	293.4	328.9	357.5	71.7	1.0	100.0	100.0	100.0	100.0

لمصدر: منظمة الدول المصدرة للنفط..

^٨ عبد الرحمن بن حمد الحمضي، نظرة مستقبلية على اقتصاديات النفط العالمية حتى عام

٢٠٤٠، الجزيرة، العدد ١٧٢٥٢، ٢٢/١٢/٢٠١٩. انظر الرابط الالكتروني:

<https://www.al-jazirah.com/2019/20191222/ec3.htm>

٠٢. تحديات الدولة النفطية - الجزائر - في ظل الرهانات الجيوطاقوية العالمية:

يقصد بالدولة النفطية هي الدولة المعتمدة بشكل أساسي في مصادرها ومواردها على النفط باعتباره المادة الأساسية في صادرات الخارجية ويشكل أيضا حيزا كبيرا في مداخلها وفي الناتج المحلي لذا فجل السياسات التي تديرها الدولة - موازنة العامة - تكون مبنية على سعره وعلى كميات الإنتاج فأى خلل في الإطار العام المشكل لهذه الثروة (تقني، فني، سياسي، اقتصادي ...) يكون له انعكاس بشكل مباشر على استمرارية الدولة.

وفي بعض الدراسات والأبحاث يقصد بها الدولة الريعية المنتجة للنفط ومعتمدة عليها في اقتصادها وتدير مختلف العمليات سواء في طبيعة تسيير نظام الحكم أو في إدارة المجتمع وتغلب على الدولة الريعية علاقات التوزيع وتغيب عنه علاقات الإنتاج^٩ وبالتالي فالمورد النفطي هو المتحكم في بقاء الدولة.

فنجد مثل هذه الدول تواجه تحديات ومعوقات تعرقل مسارها التنموي واستمراريتها بشكل فعال ومستقر نظرا لكون اعتمادها بشكل كلي على مداخل النفط يجعلها رهينة تقلبات الأسعار وتذبذباتها العالمية الآن هذه السلعة تخضع لضوابط خارج لما هو متعارف عليه في السوق (العرض - الطلب) بل هناك عوامل أخرى خارجة عن نطاق الدولة المنتجة بحد ذاتها بل الى عوامل سابقة الذكر.

ومن تحديات الدولة النفطية في ظل الوضع الجيو طاقوي العالمي يمكن ان نذكر بعض من ذلك أهمها^{١٠}:

- من خلال التقارير الصادرة من الوكالات المتخصصة نجد الوكالة الدولية للطاقة المتجددة IRENA التي أكدت على أن هناك تحول في نظام الطاقة العالمي ضمن خريطة طريق ٢٠٥٠ بحيث العالم ينشر في تقنيات الطاقة المتجددة على نحو سريع حتى يتمكن من البدء في تحقيق الأهداف المنصوص عليها في اتفاق باريس ٢٠١٥ والمتضمن في بنوده الحفاظ على مقدار الارتفاع العالمي تقي درجة الحرارة بما يقل عن ٢° من الناحية التقنية ويكون له فوائد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لذا فمن الضروري من الدولة المعتمدة على النفط بشكل أساسي التحول نحو نظام عالمي للطاقة.

- اعتماد على قطاع الكهرباء الخالي من الكربون عن طريق توليد الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وبذلك تصبح الطاقة الكهربائية مستخدمة بشكل نهائي وخاصة وأن المؤشرات تدل على

٩ الزاوية ستيتي، الدولة الريعية في البلدان العربية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مجلد ٨ العدد ١، ٢٠١٥، غرداية، الجزائر.

^{١٠} التحول في نظام الطاقة العالمي خارطة الطريق لعام ٢٠٥٠، الوكالة الدولية للطاقة المتجددة، ٢٠١٨، ص

٠٢. الرابط الالكتروني : www.irena.org

أنه بحلول ٢٠٥٠ يستهلك منها حوالي ٤٠%، كما سوف تصبح المركبات الكهربائية والمضخات الحرارية أكثر بروزا في العالم لذا كما يوصي التقرير أنه لابد على قطاعات الصناعة والنقل والبناء التكيف مع نظام الطاقة الجديد باستخدام مزيدا من الطاقات المتجددة^{١١}.

- ضرورة فتح التكوين في هذا المجال -الطاقات الجديدة - من خلال التعليم والتدريب مختصين حتى يتم مواكبة التحول وخاصة أن مؤشرات التقرير -سالف الذكر- أشار إلى ان نظام طاقة

- الجديد سوف يؤدي الى فقدان حوالي ٧,٤ مليون وظيفة في قطاع الوقود الاحفوري بحلول ٢٠٥٠ وفي المقابل سوف يخلق مجال الطاقات المتجددة حوالي ١٩ مليون وظيفة جديدة^{١٢}.

- إن الاعتماد الكلي على الطاقة النفطية في مجال يتسم بعدم اليقين مع صعوبة التنبؤ بالسوق المستقبلية والإحصائيات المقدمة في تقارير الوكالات هي جزء صغير من فهم الكلي للنظام الطاقة في العالم لذا يتوجب على الدولة النفطية أخذ بعين الاعتبار كل جزئيات المرتبطة بسوق العالمي مع محاولة التكيف بإيجاد بدائل اقتصادية وطاقوية للخروج من تبعية المطقة من الريع النفطي.

- شكلت الازمة الوبائية الأخيرة كوفيد ١٩ احد التحديات الاستراتيجية فيما يتعلق بالدولة المعتمدة على النفط حيث ان الازمة الصحية وعلى إثر غلق العالم بأسره في حركة النقل وتعطل مسار التجارة الدولية مع توقف لبعض النشاطات الاقتصادية انخفض الطلب بنحو ٢٩ مليون برميل يوميا في ٢٠٢٠ ليعود ويستقر في حدود ٥٠ دولار بعد قرار الأوبك + بخفض الإنتاج بنحو ٦,٦ مليون برميل يوميا ما يمثل ٧% مقارنة ب٢٠١٩ مع ا تراجع الطلب في الصين بنسبة ٧% والولايات المتحدة الامريكية بنسبة ٦% في الربع الأول من عام ٢٠٢٠^{١٣} ومن هنا نتوصل أن التمسك بأسعار النفط بشكل كلي في تسيير شؤون الدولة تكون في حالة اللاستقرار الدائم لذا يتوجب الاستفادة من تاريخ وقائع الاقتصادية في شقه المرتبط بالأزمات سعر سوق النفط التي مرت بالعالم وفي تاريخ المعاصر نجد الكثير منها نذكر على سبيل تراجع الطلب على النفط على إثر انتشار مرض الإيدز انخفض الطلب العالمي عام ١٩٨١ بمعدل ٨% ومع انتشار وباء انفلونزا الطيور عام ٢٠٠٩ انخفض الطلب على النفط في حدود ٨% بالإضافة إلى

^{١١} نفس المرجع ، ص ٣٠٠.

^{١٢} نفسه ٤٠٠.

^{١٣} تركي حسن حمش، تأثير تراجع أسعار النفط بسبب جائحة كوفيد ١٩ على مجال الاستكشاف والإنتاج في الصناعة البترولية، منظمة أقطار العربية المصدرة للبترول أوابك، الكويت، ٢٠٢١، ص ١١.

وباء ابيولا عام ٢٠١٤ / ٢٠١٥ في دول غرب افريقيا انخفض طلب بمعدل ١٤٣% اما الازمة الأخيرة كوفيد ١٩ أثرت كثيرا على نشاط الاستكشاف والحفر ففي الجزائر مثلا تراجع الى نسبة ٣٢% أي بمقدار ١٤ حفارة خلال عامي ٢٠١٩/٢٠٢٠ كل هذه الأزمات تؤثر على عمليات الاستكشاف والتنقيب وتنعكس بشكل مباشر على استقرار النشاط النفطي لذا فأسعار النفط مرتبطة بعدة عوامل تتحكم فيها.

- تشير المؤشرات المستقبلية أن عالم ما بعد كوفيد فيه كثير من متغيرات الجيوبوليتيكية العالمية سواء على مستوى البنية النظام الدولي او هرمية القوة على مستوى العالم حيث تكون لقوى جديدة تأثير ودور خاصة الصين وروسيا وبعض اقطاب الاسيوية لذا فالرهان قائم على قدرة الدولة النفطية مواكبة تحولات الجديدة وتغيير نمط تفكيرها فيما يتعلق بالثروة النفطية وهذا بالعمل على رشادة النفقات مع تنويع العملية الاقتصادية وخروج بشكل تدريجي من النمط الريعي.

٣٠. الرؤية الاقتصادية الجزائرية الجديدة ٢٠٣٠ (الطموحات -الواقع)

شكل الإعتماد شبه كلي على مداخل النفط في إدارة شؤون الدولة بمختلف قطاعاتها إحد تحديات الكبرى بالنسبة للجزائر، ولتجاوز هذا المعطى ومحاولة بناء اقتصاد جديد قائم على رؤية شاملة انطلاقا من محاولة إعطاء تصورات نظرية لجسيد ذلك ومن أهم الأفكار المجسدة لرؤية ٢٠٣٠ في شقها الاقتصادي ما يلي:

- أن عملية التحول الاقتصادي قسمت على ثلاث مراحل ففي المرحلة الأولى (٢٠١٦-٢٠١٩) مرحلة الإقلاع أما المرحلة الثانية (٢٠٢٥-٢٠٢٠) مرحلة الاستقرار، مرحلة الثالثة (٢٠٣٠-٢٠٢٦) وهي مرحلة الخروج المطلق من تبعية الكلية للمحروقات والوصول الى اقتصاد متنوع قدر على المنافسة.

ولتنفيذ هذه الرؤية قامت السلطات العمومية بالإصلاح الهيكلي والمالي من خلال ١٦:

قطاع المالي: - تعبئة الادخار المحلي عن طريق سندات الخزينة العمومية.

-ترشيد وتسقيف النفقات

^{١٤} نفس المرجع ص ٣٠.

^{١٥} نفسه ص ٣٧.

^{١٦} عطية خمخام، محمد علي الجودي، خطة الإنعاش الاقتصادي والاجتماعي في ظل النموذج الاقتصادي (رؤية الجزائر ٢٠٣٠) وتداعيات جائحة كوفيد ١٩، مجلة الريادة لاقتصاديات الأعمال /المجلد 70 العدد 02 /جانفي ٢٠٢١ ص ٣٥٧.

-تقديم تسهيلات للمؤسسات التي تعاني عجزا ماليا من خلال إعادة جدولة ديونها الجبائية في مدة لا تتجاوز ٣٦ شهرا.

قطاع الاستثمار: - تشجيع الاستثمار في مجالات التي تقدم قيمة مضافة للاقتصاد الوطني مثل الطاقات المتجددة، صناعة المواد الغذائية، الاقتصاد الرقمي والمعرفة، الصناعات المكملة لقطاع المحروقات والمناجم

-تسهيلات الاستثمارات الأجنبية المباشرة، ترقية النشاطات المناولات .
- المحافظة على نسبة الدين الخارجي حيث بلغت نهاية ٢٠١٨ بحوالي ٤,٠٤٢ مليار دولار ما يعادل ٢,٣٧% من ناتج المحلي الخام.

قطاع التجارة الخارجية: يهدف هذا القطاع إلى تنويع صادرات غير النفطية الخارجية مع مراقبة كل عمليات الإستيراد من خلال منح رخص لذلك، فالتجارة الخارجية ضمن رؤية ٢٠٣٠ تهدف إلى تحقيق نقطتين أساسيتين هما * تقليص الواردات: والتي بلغت أكثر من ٦٠ مليار دولار مع المحافظة على العملة الصعبة * تنويع الصادرات: من أجل دعم تمويل نمو اقتصادي متسارع.

قطاع المحروقات: وهو صلب الاقتصاد الجزائري فهدف هذا القطاع ضمن اجندة ٢٠٣٠ هو عملية التحول التدريجي نحو استغلال الطاقات غير التقليدية مع ضرورة ترشيد استهلاك المحلي للطاقة.

ولتحقيق ذلك عمليا تم منح استثمارات لشركة الوطنية الكبرى في الجزائر سوناطراك في مجال التكرير والبتروكيماويات من خلال اطلاق برنامج انجاز مصانع للتكرير بطاقة مقدرة بحوالي ٥ ملايين طن مع اطلاق مشروعين هما مركب تكسير زيت الوقود بقيمة ٤,٥ مليون طن من أجل رفع انتاج الوقود وكذا مركب لتحويل النافثا بقيمة ٣,٤ مليون طن^{١٧}.

أما في مجال البتروكيماويات هناك خمسة مشاريع مشروع تكسير الإيثان وغاز نפט مميّع بطاقة واحد مليون طن من الاثليين، بالإضافة إلى مشروع إزالة الهيدروجين، و مشروع الميثانول ومشتقاته بسعة واحد مليون طن، ومركب المطاط التركيبي، ومشروع مركب العجلات بطاقة تقدر ب ٥ ملايين طن وحدة^{١٨}.

وبالتالي فهذا القطاع يهدف الى استغلال المواد المشتقة من النفط وتحويلها الى صناعات قائمة بحذ ذاتها لتقليص فاتورة استيرادها الخارجي خاصة البنزين المكرر مع محاولة تصديرها إلى دول الجوار في فضاء الافريقي أو المتوسطي.

^{١٧} نفس المرجع ص، ٢٥٨.

^{١٨} مرجع نفسه، ص، ٢٥٩.

مجال الطاقات المتجددة: من بين الخطوات المتخذة في هذا الجانب تم وضع وزارة خاصة تحت اسم:

وزارة الانتقال الطاقوي والطاقات المتجددة : المتضمنة في سياساتها على اعتماد النموذج الطاقوي وقانون الانتقال الطاقوي واهتمام بالتغيرات المناخية وتوجيهات العالمية بالإضافة الى التكوين والبحث التطويري وتعد هذه الوزارة مكسبا حقيقيا لتحول نحو توظيف الطاقات المتجددة.

ففي هذا المجال ضمن اهداف استراتيجية لرؤية ٢٠٣٠ ولتحقيق الانتقال الطاقوي أقرت برنامجا لمواكبة التحول العالمي باتجاه الطاقات المتجددة لتجنب العجز الطاقوي خاصة مع زيادة الطلب المحلي ويهدف هذا التحول إلى تحقيق مزيج من الطاقة في انتاج الكهرباء تكون فيه مساهمة الطاقات المتجددة في حدود ٢٧% ما يعني أنه بحلول عام ٢٠٣٠ يكون نحو ٤٠% من اجمالي انتاج الكهرباء متأتية من الطاقات المتجددة^{١٩} كما تسعى الجزائر من خلال برنامج ٢٠١٥ الى تحقيق قدرة إنتاجية ٢٢٠٠٠ ميغاواط من أصول متجددة مطلع ٢٠٣٠ عبر مرحلتين^{٢٠}:

المرحلة الأولى: (٢٠٢٠, ٢٠١٥) حيث يقدر القدرة الإنتاجية من أصول متجددة بحوالي ٣٣٦٠ ميغاواط وتمثل الطاقة الكهروضوئية حوالي ٣٠٠٠ ميغاواط اما طاقة الرياح فمقدرة ب ١٠١٠ ميغاواط .

المرحلة الثانية: (٢٠٢١, ٢٠٣٠) يتوقع ارتفاع استغلال الطاقات المتجددة في مشاريع جديدة في عدة ولايات وبيتوقع ان تصل الطاقة الكهربائية الى ١٠٥٧٥ ميغاواط وطاقة الرياح ب ٤٠٠٠ ميغاواط..

تشكل هذه الرؤية الجديدة آمالا واسعا لتحقيق قفزة اقتصادية والخروج من تبعية المباشرة وارتباط العضوي بأسعار النفط الذي يجعل من دولة رهينة وغير مستقلة في قراراتها وفي برامجها التنموية الهادفة لذا فتحقيق ذلك يتطلب توفير عدة قواعد أساسية لتخطي هذه معوقات

^{١٩} نقلا من الموقع الالكتروني :

<https://www.shamesdjazair.com/shamesdjazairacademy/>

^{٢٠} سارة جدي، طارق جدي، واقع وآفاق الطاقات المتجددة في الجزائر، مجلة الإصلاحات الاقتصادية والاندماج في الاقتصاد العالمي، المدرسة العليا للتجارة مخبر الإصلاحات الاقتصادية والتنمية واستراتيجيات الاندماج في الاقتصاد العالمي، الجزائر، ص ١١..

التي تحول دون تحقيق التطور الاقتصادي الذي ينعكس بصورة عامة على أنساق الأخرى للدولة
ومن أبرز هذه القواعد:

- وجود إرادة حقيقية من طرف السلطات العمومية ومنفذي هذه الرؤية من (المؤسسات، رجال الأعمال) وتتجسد من خلال المراقبة والمتابعة القانونية لتسيير هذه الأهداف المرجوة.
- اصلاح النظام المالي والجبايي بشكل يسمح بحركية مالية أكثر حرية في تبادل التجاري.
- تكوين المورد البشري ضمن برامج مؤهلة تواكب اقتصاد المعرفة ويمكن ان نشير إلى خطوة الإيجابية بتخصيص وزارة منتدبة خاصة ب startup ضمن المشاريع الناشئة بالإضافة على وزارة منتدبة أخرى ومختصة في المشاريع الصغيرة والمتوسطة كلها إجراءات إيجابية تدخل ضمن التحول التدريجي نحو انفتاح الاقتصادي خارج قطاع المحروقات.
- إزالة كل العراقيل البيروقراطية الإدارية بشكل قاطع وإدخال التقنيات الحديثة (الرقمنة) في العمليات الاقتصادية حتى يتم التقليل من الفساد والنهب المال العام.
- تجنيد المجتمع المدني بمختلف اشكاله في العملية الاقتصادية من خلال اعتباره كشريك فعال وقوي في المراقبة والابلاغ عن الفساد.
- تشجيع قيمة العمل الحر من خلال فتح أبواب الاستثمار ضمن مشاريع صغيرة ومتوسطة حتى يتم الخروج من التفكير الريعي ودخول الى مجال الاعمال ما يخلق اقتصاد متنوع ويقدم قيمة مضافة في الناتج المحلي الإجمالي.
- تقديم تسهيلات للولوج على مجالات أخرى مثل الزراعة (الهضاب العليا، الصحراء الكبرى) والسياحة باعتبار الجزائر تزرخ بإمكانيات هائلة في هذا المجال الذي يوفر يد عاملة مهمة ويقلل من البطالة.
- الولوج الى الأسواق الافريقية ضمن التجارة الخارجية لترقية الصادرات وخاصة وأن الفضاء الافريقي (مالي، النيجر، موريتانيا) هو فضاء قريب جغرافيا يسهل عملية انتقال السلع وبالتالي مثل هذه الأسواق تنوع في مداخل العملة الصعبة وتخرج من رهان مداخل النفط الغير مستقرة في أسعاره وفي أوضاعه.
- تحرير بعض مجالات التجارة وبذلك يكمن دور الدولة في المراقبة والتحصيل الجبايي .

خاتمة :

يعتبر توفر النفط في أي دولة هو عامل إيجابي من حيث كونه كمورد طبيعي هام لكن الاعتماد عليه بشكل كلي دون تحقيق الرشادة ومنطق التنمية المستدامة يحوله نقمة تعود بالسلب على مالكيه كما أن حتى امتلاكه اليوم في عالم متحرك ومتغير بقصوة شديدة، وضمن عوالم مختلفة سميتها عدم استقرار الدائم وفوضى في نظام دولي البقاء فيه للأقوى اقتصاديا ومعرفيا لذا فالدول المالكة للنفط اذا لم تستطع مواكبة تحول العلمي والمعرفي في مجالات الطاقات البديلة بتوظيف

التكنولوجيا الجديدة سوف تبقى أسيرة الأسعار ومتقلبات الجيو سياسية العالمية، للإشارة كذلك أن معظم الدراسات والتقارير الدورية تشير إلى أن سوق الطاقة المستقبلي سوف يشهد تغير ولو تدريجي في تحول نحو الطاقات المتجددة باعتبارها كطاقة مكافئة ومحافظة على تغيرات المناخية العالمية .

الدولة النفطية اليوم في تحديات جسيمة وهو انتقال الطاقوي من الاحفوري إلى الطاقات المتجددة بشكل يضمن سيرورتها وبقائها كفواعل طاقوية مستقبلية في السوق العالمي وهذا لن يتأت إلا بالإرادة الحقيقية لحكومات الدول –الجزائر –بإيجاد استراتيجية وبدائل وحلول حقيقية متماشية مع التحول الحقيقي في نظام الطاقة، وبالتالي كل تأخر عن تغيير سوف تكون نتيجته قاسية خاصة على الأجيال المستقبلية.

تأثير تذبذب اسعار النفط على اقتصاديات دول منطقة الخليج العربي المصدرة ...
اشارة خاصة للعراق .. وانعكاسه على امن الطاقة .

ام د سعد عبيد السعيد

كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد

الملخص :

ان تأثر الدول المنتجة بانخفاض اسعار النفط أخذ يمارس آثاره السلبية على اقتصاداتها وكذلك على تنفيذ برامجها التنموية ، كون العوائد المتأتية من تصدير النفط تمثل المصدر الاساس لتمويل تلك البرامج. فضلاً عن كون غالبية دول عالم الجنوب المنتجة للنفط وفي مقدمتها دول منطقة الخليج العربي هي دول ريعية يشكل النفط المتغير الاساس في تكوين ميزانياتها العامة. ويعد العراق أحد هذه الدول التي تعتمد على النفط اعتماداً كلياً، في تكوين الناتج المحلي الاجمالي، وتمويل الانفاق الحكومي وديمومة عمل المؤسسات العامة والخاصة , ويؤدي الانخفاض في اسعاره الى تراجع النمو الاقتصادي وارتفاع معدلات الفقر , وتردي نوعية الخدمات العامة والبنى التحتية الاساسية , بل وحتى ارتفاع الاسعار تفضي احيانا الى نتائج ضارة على المستوى البعيد حينما يتم الاعتماد عليها لبناء خطط التنمية واعتمادها كمصدر وحيد لتوليد الدخل .

لذلك فإن مشكلة التقلبات السعريّة للمصدر الاساس المكون للناتج المحلي في البلدان المصدرة للنفط لا تنعكس فقط على طبيعة الاقتصاد الوطني للدول او على قدرات حكوماتها في ما يتعلق بالوفاء بالتزاماتها المختلفة امام شعبها وامام محيطها الخارجي , انما تنعكس على قطاع الطاقة نفسه عبر تعريض أمن الطاقة للبلدان المصدرة للنفط لتحديات ومخاطر مختلفة .

The impact of the oil-producing countries on the decline in oil prices is taking its negative effects on their economies as well as on the implementation of their development programs, as the revenues derived from oil exports represent the main source of financing those programs. In addition to the fact that most of the oil-producing countries of the

south, led by the countries of the Arab Gulf region, are rentier countries, changing oil constitutes the basis for the formation of their public budgets. Iraq is one of these countries that depend entirely on oil, in the formation of the gross domestic product, the financing of government spending and the sustainability of the work of public and private institutions. Prices sometimes lead to harmful results at the long level when they are relied upon to build development plans and are adopted as the only source of income generation.

Therefore, the problem of price fluctuations in the main source of GDP in oil-exporting countries is not only reflected in the nature of the national economy of countries or on the capabilities of their governments in fulfilling their various obligations to their people and their external environment, but is reflected in the energy sector itself by exposing the energy security of the exporting countries. Oil has different challenges and risks.

المقدمة :

تشكل الطاقة التقليدية وفي مقدمتها النفط اهم مصادر الثروات الطبيعية التي تمتلكها بعض دول العالم، حتى عُد اكتشاف النفط للمرة الاولى منعطفاً كبيراً في اقتصاديات الدول المنتجة، وتغيرت الانماط الاستهلاكية والانتاجية وفقاً لذلك وأخذت الحياة تتطور بكل مظاهرها نتيجة لعائدات النفط الي اسهمت في زيادة الدخل القومي للبدان النفطية.

ان تأثر الدول المنتجة بانخفاض اسعار النفط أخذ يمارس آثاره السلبية على اقتصاداتها وكذلك على تنفيذ برامجها التنموية ، كون العوائد المتأتية من تصدير النفط تمثل المصدر الاساس لتمويل تلك البرامج. فضلاً عن كون غالبية دول عالم الجنوب المنتجة للنفط وفي مقدمتها دول منطقة الخليج العربي هي دول ريعية يشكل النفط المتغير الاساس في تكوين ميزانياتها العامة. ويعد العراق أحد هذه الدول التي تعتمد على النفط اعتماداً كلياً، في تكوين

الناتج المحلي الاجمالي، وتمويل الانفاق الحكومي وديمومة عمل المؤسسات العامة والخاصة ، ويؤدي الانخفاض في اسعاره الى تراجع النمو الاقتصادي وارتفاع معدلات الفقر ، وتردي نوعية الخدمات العامة والبنى التحتية الاساسية ، بل وحتى ارتفاع الاسعار تفضي احيانا الى نتائج ضارة على المستوى البعيد حينما يتم الاعتماد عليها لبناء خطط التنمية واعتمادها كمصدر وحيد لتوليد الدخل .

لذلك فإن مشكلة التقلبات السعرية للمصدر الاساس المكون للناتج المحلي في البلدان المصدرة للنفط لا تنعكس فقط على طبيعة الاقتصاد الوطني للدول او على قدرات حكوماتها في ما يتعلق بالوفاء بالتزاماتها المختلفة امام شعبها وامام محيطها الخارجي ، انما تنعكس على قطاع الطاقة نفسه عبر تعريض أمن الطاقة للبلدان المصدرة للنفط لتحديات ومخاطر مختلفة .

وهذا هو جوهر ما سنذهب الى دراسته ومحاولة الوصول الى نتائج و استنتاجات معينة فضلا عن تقديم ما نعتقد كباحثين ضروري من توصيات لمواجهة هذه الاشكالية .

وتتلخص مشكلة البحث في السؤال المركزي الاتي : هل يؤثر فعلا تذبذب اسعار النفط على اقتصاديات دول منطقة الخليج العربي المصدرة للطاقة ؟ وما هو طبيعة ومستوى هذا التأثير ؟ وما طبيعة الاثر على الاقتصاد العراقي وأمن الطاقة الوطني ؟؟

اما فرضية البحث فهي اجابة اولية عن المشكلة وتتلخص بالاتي : لتذبذب اسعار النفط اثرا سلبيا كبيرا على اقتصاديات دول منطقة الخليج العربي المصدرة للطاقة ومنها العراق ، حيث ينعكس التذبذب السعري سلبا على خطط التنمية الوطنية وعلى انماط الاستهلاك وعلى قدرات الحكومات على الايفاء بالتزاماتها المختلفة ازاء شعبها او امام التزاماتها الخارجية فضلا عن انعكاسه سلبا على امن الطاقة نفسه في البلدان المصدرة .

وللوصول الى اهم النتائج في هذا البحث فإن **المنهج البحثي المناسب هو المنهج الاستنباطي** الذي ينطلق من العام الى الخاص حيث توظف النتائج المتعلقة بدول منطقة الخليج العربي المصدرة للنفط بشكل عام في تطبيقات خاصة بالعراق كونه دولة مصدرة تمتاز بسمات متشابهة الى حد كبير مع الدول الريعانية ذات الاقتصاديات احادية الجانب المصدرة للنفط .

وتم تقسيم البحث الى اربعة مباحث اساسية :

المبحث الاول : مفهوم الطاقة وقدرات الدول المصدرة .

المطلب الاول : مفهوم الطاقة concept of energy .

على الرغم من ان طبيعة الطاقة تجمع بين العناصر الكيميائية والفيزيائية والاحيائية الا ان لها دلالات اجتماعية , اقتصادية , سياسية وحضارية بشكل واضح جدا .

فقد عرف الانسان الطاقة منذ بداية وجوده على الارض وصارت مكون اصيل من مكونات حياته اليومية ووسيلة اساسية من بين وسائل تطوره الحضاري ونموه العمراني والسياسي والاقتصادي بعد ان اصبحت الاداة الرئيسة التي تمد الكون بالحركة والديمومة.

وتبعاً لذلك لم يسع الانسان بأي حال الاستغناء عنها على مدى حقب التاريخ بعد ان دخلت في كل مفاصل الحياة بطريقة مباشرة وغير مباشرة,

ومن اجل هذا الهدف نظر الانسان عبر مراحل حياته الى الطاقة ومصادرها وطرق البحث عنها بشكل وبمقارنة مختلفة ومتدرجة في الوقت نفسه ولكن بطريقة مترابطة , ففي بداية الامر ارتبط مفهوم الطاقة بشكل اكثر بمعنى الطاقة الروحية وامتزج بها كما الحال مع جدلية مفهوم النفس والروح.

وقد اسهم الكثير من الفلاسفة في العصور القديمة ومنهم ارسطو في تطوير مفهوم الطاقة عندما تطرق الى دور النار في حياة الانسان وطوره باعتباره احد اهم العناصر الاساسية الاربعة في الطبيعة (الارض , النار , المياه , الهواء) التي تمثل عناصر الطاقة المحركة للكون^١ . وهذا ما اثبتته وقائع التاريخ اذ ان الذين اكتشفوا النار في البداية كان باستطاعتهم التغلب على اعدائهم عن طريق تسخير النار في حرق مناطق اعدائهم او في صهر المعادن وتشكيلها لاستخدامها كأدوات للسيطرة على الشعوب الاخرى وعلى مقدراتهم^٢ , ثم في القرون الوسطى بدأ النظر الى الطاقة على انها عبارة عن قدرة المواد الجامدة على انشاء حركة دون تكوين للحياة , غير ان هذه الفكرة سرعان ما تعرضت لإعادة تفسير وتنظيم وتعريف حينما ذهب مجموعة من العلماء ومنهم انشأتين الى القول ان الطاقة ليست مادة خاصة بقدر ماهي صفة ملازمة لكل مادة

^١ - Demirel . Y Chapter Energy and Energy Tapes – springier . Springer , 2012 , p2 -4

^٢ - سعود يوسف عياش , تكنولوجيا الطاقة البديلة , ط١ , سلسلة عالم المعرفة , الكويت ١٩٨١ , ص ١٢

جامدة تجعلها قادرة على ان تتحول وتتغير وتولد حالات فيزيائية وكيميائية جديدة وتؤثر على غيرها من المواد.^٢

اما بعد جهود انشأتين ورفاقه فقد شهد مفهوم الطاقة تطورا جديدا حينما تم تعريف الطاقة على انها قدرة نظام ما على انتاج فاعلية او نشاط خارجي او هي كمية فيزيائية تظهر على شكل حركة ميكانيكية وطاقة ربط في انوية الذرة بين البروتينات والنيوترونات.^٤

وهكذا تطور مفهوم الطاقة الى ان وصل الى مفهومه الحالي الشائع الذي يمكننا القول ان كل قدرة على القيام بعمل سواء كان فكريا ام ماديا عبر جهد معين تحتاج الى طاقة وعليه فأن الانسان هو الاصلح والاقدر على استخدام طاقاته المختلفة. ومن هنا ارتبط مفهوم الطاقة والقدرة على استخدامها بمفهوم الكفاءة والاداء وارتبطت الحضارات نسبيا بمدى قدرتها على الوصول لمصادر الطاقة انطلاقا من ان الطاقة هي المدخلات الاساسية لأي نظام انتاجي عالمي.^٥

ومن هنا فأن الطاقة يمكن ان تعرف على انها القدرة على انجاز عمل ما , او هي قدرة المادة على اعطاء قوى قادرة على انجاز عمل معين.^٦ وهي كذلك قدرة نظام ما على انتاج فاعلية او نشاط خارجي وهي كمية فيزيائية تظهر على شكل حركة ميكانيكية او طاقة ربط بين انوية الذرة .

وقد تطورت مصادر الطاقة مع تطور وسائل العمل التي ابتكرها الانسان لسد احتياجاته المادية والمعنوية مع تطور الزمن وعوامل الحضارة اذا بدأت بالقوة البدنية ثم طاقة الحيوانات واستغلال طاقة النار وحركة الرياح لتحريك السفن والطواحين وسقوط المياه للري الى ان شهد العالم في العصور الحديثة استخدام الوقود الاحفوري مثل الفحم الحجري والنفط والغاز والطاقة النووية الخ وتطورت وتنوعت مصادر الطاقة الحديثة بشكل غير مسبوق في النصف الثاني

^٢ - مديحة حسن , اقتصاديات الطاقة في العالم وموقف دول البترول العربي منها , الطبعة الاولى , دار الجميل, بيروت , ١٩٩٢ , ص ٣

^٤ - لودوفيك مون , الطاقة النفطية والطاقة النووية الحاضر والمستقبل , ترجمة مارك عبود , الطبعة الاولى , المجلة العربية , الرياض , ٢٠١٤ , ص ٥

^٥ - - نجلاء عبد الوهاب احمد , مستقبل النفط العربي في ظل المتغيرات العالمية , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية , بغداد ٢٠٠٥ , ص ٥٦

^٦ - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا , بناء القدرات في تنظيم الطاقة المستدامة نهج التخفيف من الفقر وادماج قضايا النوع الاجتماعي ضمن الاهتمامات الرئيسية . الجزء الاول , الطاقة لأغراض التنمية المستدامة في دول الاسكوا , ص ٣٣

من القرن العشرين لنشهد كم هائل من مصادر الطاقة لكن كل هذه الانواع يمكن حصرها
بنوعين اساسيين هما الطاقة الناضبة والطاقة المتجددة .

المطلب الثاني : مصادر الطاقة the resources of energy

وتنقسم الى نوعين اساسيين هما:

اولا : مصادر الطاقة الناضبة. Depleted resources

ويقصد بها المصادر ذات الطبيعة المؤقتة التي تتسم بمحدودية امكانية التعويض للكميات
المستهلكة منها وهي الطاقة الاحفورية بشكل خاص التي تشكل النسبة الاكبر من الاستهلاك
العالمي من الطاقة مثل النفط والغاز الطبيعي والفحم الحجري وغيرها ^٧.

١ - النفط الخام . ويعد من اكثر مصادر الطاقة الاحفورية الناضبة انتشارا لحد الان واهمها
على الاطلاق وهو عبارة عن سائل ذو لون اسود كثيف وقابل للاشتعال يتكون من خليط من
المركبات العضوية يشكل فيها الكربون والهيدروجين النسبة الساقطة لكنها تختلف من نوع الى
آخر من انواع النفط المختلفة ^٨ . وقد سادت الكثير من النظريات التي تعلل سبب تكونه عبر
التاريخ من اهمها النظرية اللاعضوية التي تؤكد على انه مادة كاربونية تتعلق بالتفاعل بين
مكونات قشرة الارض والثانية عضوية اكثر حداثة تؤكد على انه مادة هيدروكاربونية نتجت
عن تحلل الكائنات الحية من حيوان ونبات ^٩ وتخزنت بالأرض عبر الزمن وبين هذه وتلك
توجد الكثير من التفسيرات لتكوين هذه المادة الاستراتيجية .

ويشكل النفط ما يقارب ٣٦% من الاستهلاك العالمي للطاقة الا ان هذه النسبة معرضة للتغيير
بشكل تنازلي في ضل تنامي استخدام المصادر الاخرى من مصادر الطاقة غير ان النفط لا
يزال يمثل المصدر الاهم من مصادر الطاقة نظرا لتعدد مجالات استخدامه ووفرته وسهولة
استخدامه ونقله وتقدر احتياطات العالم المؤكدة من النفط حوالي ١٥٠٠ مليار برميل معرضة
للزيادة والنقصان بسبب عمليات الاكتشاف من جهة وعمليات الاستهلاك من جهة اخرى .

والجدول رقم (١) يوضح الاحتياطات المؤكدة من النفط الخام لأكبر الدول من حيث
الاحتياطي مقدرة بمليار برميل للعام ٢٠٢٠ :

^٧ - Types of Energy Resources for Descriptions and Background information ,2012 , www . Springer. Com pp 23 – 35

^٨ - عبد المطلب النقرش , الطاقة مفاهيمها انواعها مصادرهما , بحث مقدم الى مديرية التخطيط ,
وزارة التخطيط والثروة المعدنية , عمان الاردن , ٢٠٠٥ ص ٧

^٩ - نجلاء عبد الوهاب احمد , مصدر سبق ذكره ص ٦٣

وَقَائِعُ الْمُؤْتَمَرِ الْعِلْمِيِّ الثَّامِنِ لِقِسْمِ الدِّرَاسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ فِي مَرْكَزِ الْمُسْتَنْصَرِيَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

ت	الدولة	مليار برميل	النسبة من الاحتياطي العالمي
١	فنزويلا	٣٠١	٢٠%
٢	السعودية	٢٧٠	١٧%
٣	كندا	١٦٥	١١%
٤	ايران	١٥٨	١٠%
٥	العراق	151	٩%
٦	الكويت	١٠١	٦,٨%
٧	الامارات	١٠٠	٦,٦%
٨	روسيا الاتحادية	٩٠	٥%
٩	ليبيا	٤٨	٣%
١٠	نيجيريا	٣٧	٢,٥%
١١	الولايات المتحدة	٣٦	٢,٤%
١٢	كازاخستان	٣٠	٢%
١٣	قطر	٢٥	١,٧%
١٤	الصين	٢٥	١,٦%

OPEC : Organization the Petroleum Exporting Countries , Annual Statistical Bulletin,
2020 , p 22

٢ - **الغاز الطبيعي** . وهو ثاني اهم مصدر من مصادر الطاقة على مستوى العالم من حيث الاستخدام والاكثر شيوعا . وعلى الرغم من حداثة مقارنة بالنفط والفحم الا ان هناك عوامل كثيرة جعلت منه محط اهتمام غير مسبوق من قبل المستهلكين تأتي في مقدمة هذه العوامل قلة مساهمته في تلوث البيئة نظرا لمحدودية وجود العناصر الكربونية والكبريت والرصاص التي تعمل على تلوث البيئة , وسهولة نقله , واعتدال اسعاره , وتزايد مجالات استخدامه لا سيما في الصناعات البتروكيمياوية والطاقة الكهربائية .. الخ الامر الذي دفع العالم الى الاهتمام بتطوير انتاجه وزيادة نسب الاستخراج والاستخدام في كافة المجالات حيث وصلت نسبة استخدامه الى ٢٤ % من بين مصادر الطاقة على مستوى العالم مع وجود فرص حقيقية وكبيرة لزيادة نسبة مساهمته في سوق الطاقة العالمي مستقبلا ^{١٠} . وتتوقع ادارة معلومات الطاقة الامريكية ان يتجاوز استهلاك الغاز الطبيعي للفحم الحجري بحدود عام ٢٠٣٠ حيث ستصبح نسبته ٣٠ % من مجمل الاستهلاك العالمي من الطاقة ^{١١} . وما يساعد على التوسع في نسب استهلاك الغاز الطبيعي هو وفرته وتزايد الاحتياطات باستمرار نتيجة تكتيف عمليات الاستكشاف عالميا

^{١٠} - OPEC : Organization the Petroleum Exporting Countries , Annual Statistical Bulletin, 2016 , p 22

^{١١} - OPEC: Organization the Petroleum Exporting Countries, Annual Statistical Bulletin, 2016 , p 22

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

وتطور الوسائل التقنية ذات الصلة بعمليات الاستكشاف والتنقيب حيث تجاوزت الاحتياطات العالمية من الغاز ٢٠٠ ترليون متر مكعب والتي تكفي لأكثر من ٦٠ سنة قادمة ^{١٢} .

جدول رقم (٢) يبين احتياطات العالم من الغاز الطبيعي لعام 2020 مقدرة بالترليون متر مكعب

ت	الدولة	ترليون متر مكعب	النسبة من الاحتياطي العالمي
١	روسيا	55,5	% 24,5
٢	ايران	33,5	% 16,6
٣	قطر	24,3	% 12,2
٤	الولايات المتحدة	11	% 5,4
٥	تركمانستان	9,9	% 4,9
٦	السعودية	٩	% 4,3
٧	الامارات	6	% 3
٨	فنزويلا	5,7	% 2,8
٩	نيجيريا	5,3	% 2,6
١٠	الجزائر	4,6	% 2,2
١١	استراليا	٤	% 1,8
١٢	العراق	3,	% 1,7
١٣	الصين	3,	% 1,6

OPEC: Organization the Petroleum Exporting Countries, Annual Statistical Bulletin, 2016 , p 22 . British Petroleum, statistical Review of World Energy, 2020 www.

Bp .com, P 6

٣- الفحم الحجري. يعد الفحم الحجري من بين مصادر الطاقة الاحفورية واكثرها توفرا والتي تمثل مصدرا بديلا للنفط والغاز في حالات ومراحل معينة , ويتألف اساسا من الكربون والهيدروجين والاكسجين ومن اهم انواع الفحم الحجري هي الخث والفحم البني والفحم القطراني , وقد برزت اهميته مع الثورة الصناعية وتقدر الاحتياطات المؤكدة للفحم الحجري (٩٨٤) مليار طن تقريبا اي ما يكفي العالم ١٩٠ سنة قادمة حيث يبلغ الانتاج العالمي حاليا ما يزيد عن ٤ مليارات طن سنويا وتأتي اغلب هذه النسبة من الصين والولايات المتحدة والهند واستراليا وجنوب افريقيا ^{١٣} . ومن هنا فإن القاعدة الاساس لموارد الفحم تفوق كثيرا من حيث الحجم قاعدتي الموارد النفطية والغازية فضلا عن ذلك رخص اسعاره وتوزع احتياطاته بشكل

^{١٢} - هشام الخطيب , امن الطاقة العالمي وانعكاساته على منطقة الخليج , التحديات والافاق . الطبعة الاولى , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , ابو ظبي , ٢٠١٨ ص ٤٤

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

أكثر تكافؤ وتوازن على بقاع العالم , غير ان استخدامه يؤدي الى الكثير من المشاكل البيئية حيث انه يشكل اكبر تهديد لنقاء الهواء وسلامة البيئة فعند احتراقه ينتج ثاني اوكسيد الكربون بكميات كبيرة جدا لذلك فأن هنالك ميلا عالميا كبيرا للتقليل من استهلاك الفحم الامر الذي سيؤدي بالنتيجة الى تراجع اهميته في مجال الطاقة عالميا مالم تتوصل التكنولوجيا الى وسيلة للتغلب على هذه المشكلة ^{١٤} .

ثانيا : مصادر الطاقة المتجددة . renewable energy sources . وهي تعبير اقتصادي اجتماعي يدل على مصادر الطاقة التي يمكن ان تتجدد الى ما لا نهاية والتي يمكن ان تمثل بديلا بشكل جزأي او كلي للطاقة التقليدية غير المتجددة وتمتاز بمحدودية تأثيرها السلبي على البيئة بشكل واضح جدا فضلا عن انها باتت تمثل معيارا للإشارة الى درجة تقدم المجتمعات والدول ومدى مسؤوليتها امام التزاماتها الدولية في مجال النمو والتنمية واصحاب البيئة على كافة المستويات.

لذلك فأن الكثير من الدراسات المستقبلية المهمة بمجال الطاقة ترى ان العالم سيقبل بشكل كبير على تطوير امكانياته في مجال الطاقة المتجددة انطلاقا من قدرتها على انجاز متطلبات النمو العالمي بشكل يمتاز بالديمومة والدينامية والجودة وتكاليف معقولة حيث تقدر هذه الدراسات ان الاستثمارات العالمية المتوقعة في مجال تطوير بدائل الطاقة المتجددة حتى عام ٢٠٤٠ ستكون حوالي ٧ ترليون دولار ^{١٥} .

ومن بين اهم انواع الطاقة المتجددة هي :

أ – الطاقة الشمسية . ب – الطاقة الكهرومائية .

ج – طاقة الرياح . د – طاقة الكتلة الحيوية (الناتجة من المواد النباتية)

ه – طاقة باطن الارض والرمال . و – طاقة المد والجزر.

والجدول رقم (٣) يبين انتاج الطاقة المتجددة في العالم عبر المقارنة بين عام ٢٠٠٤ وعام ٢٠٣٠ مقدرة بالتيرا واط بالساعة لبعض المصادر وبمليون طن مكافئ من المكافئ النفطي:

مصادر الطاقة	٢٠٠٤	٢٠٣٠	الزيادة	بعدد

^{١٣} - World coal Institute , the coal resource , A Comprehensive over view
, p – 3١ of coal, world coal Institute ,LONDON Cambridge House , 20

^{١٤} - هشام الخطيب , مصدر سبق ذكره , ص ٤٤

^{١٥} - World energy Outlook (2015) International Energy Agency secure
www.iea.org p 8 Sustainable Together (Arabic translation.

وَقَائِعُ الْمُؤْتَمَرِ الْعِلْمِيِّ الثَّامِنِ لِقِسْمِ الدِّرَاسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ فِي مَرْكَزِ الْمُسْتَنْصَرِيَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

المرات قريبا			
٢	٧٧٧٥	٣١٧٩	توليد الكهرباء
٢	٤٩٠٣	٢٨١٠	الطاقة المائية
٤	٩٨٣	٢٢٧	الكتلة الحيوية
٦٠	٢٣٨	٤	الطاقة الشمسية
٣	١٨٥	٥٦	طاقة حرارة الارض
١٨	١٤٤٠	٨٢	طاقة الرياح
٤٦ تقريبا	٢٥	اقل من ١	طاقة المد والجزر

Source ; Killmann , W , Forests and Energy , Key issues , FAO Forestry Paper (154) , (FAO) Food and Agriculture organization of United Nation , Rome , 2018 . p 11

المبحث الثاني : مدى اعتماد اقتصاديات دول منطقة الخليج العربي النفطية على

واردات النفط . - The dependence of the economies of the oil-

producing countries on oil

يمكن تعريف الواردات النفطية على انها ما تحصل عليه الدول المنتجة و المصدرة للنفط من عملات اجنبية لقاء تصديرها لمكونات الطاقة النفطية الاساسية , وبالعادة تشكل هذه الواردات النسبة الاكبر من تكوين الدخل القومي في الدول المنتجة مقارنة مع باقي مصادر الدخل المتولدة من القطاعات الاخرى .

لم تصبح اغلب الدول المصدرة للنفط بما فيها دول منطقة الخليج العربي و العراق معتمدة بشكل لافت في تمويل اقتصاداتها ودعم نفقاتها العامة على العوائد النفطية الا بعد النصف الثاني من عقد الخمسينيات من القرن العشرين وصاعدا حينما تمت توسعة الاكتشافات النفطية والغازية من جهة وزيادة ا لتوجه العالمي الى تفضيل استهلاك النفط والغاز على الفحم الحجري وتكيف نمط الانتاج العالمي وفقا لذلك النشاط من انتاج الطاقة^{١٦} .

ومنذ ذلك الوقت واقتصاديات البلدان المصدرة للنفط تعتمد بشكل كبير على ما تحصل عليه من صادرات النفط والغاز لتعزيز ميزانياتها العامة وبناء استراتيجياتها وخططها المتعلقة بالتحديث

البنوي والتنمية الاقتصادية وزيادة مستوى الرفاهية بدرجة أصبحت تقترب من مستويات ٩٥% عند بعض الدول الى الدرجة التي باتت اقتصادات هذه الدولة مرتبهة بشكل كبير بالفرص والتحديات التي تواجه القطاع النفطي الذي تحول الى دالة للتطور والتخلف الاقتصادي بنفس الوقت وكما سنوضح لاحقا .

وقد صممت اغلب الدول المنتجة للطاقة لا سيما المصدرة النفط والغاز منها سياساتها التنموية في الماضي والحاضر بل وحتى السياسات المستقبلية الى حد كبير على اساس اعتماد كبير على موارد النفط خصوصا في ضل فشل او محدودية نجاح خططها المتعلقة بتفعيل دور القطاعات الاساسية الاخرى كالقطاعين الزراعي والصناعي فعلى سبيل المثال فإن التوقعات المستقبلية تشير الى ان الدول المصدرة للنفط لا يمكنها الخروج من دائرة الاعتماد الكبير على الواردات النفطية في حال استمرت اسعار النفط الخام قريبة من سعر ٥٥ دولار للبرميل^{١٧} . حيث تستمر بهذه المصادر المالية المتولدة من الصادرات النفطية المصدر الرئيس للواردات الحكومية والمحرك الاكبر للقوة المالية للبلدان المصدرة للنفط .

وتعد دول منطقة الخليج العربي بما فيها العراق وايران من اكبر منتجي ومصدري النفط في العالم وتستحوذ على اكبر حجم احتياطي نفطي يقدر بحدود ٥٩ % من الاحتياطي العالمي حيث تحتل السعودية وايران والعراق ثاني ورابع وخامس احتياطي نفطي عالمي على التوالي وتمتاز مع دول الخليج الاخرى بقدرات انتاجية كبيرة جدا^{١٨} . وقد تم تفصيل هذا الجانب في الجدول رقم (١) في صفحة رقم ٤ من هذا البحث.

اللافت هنا أن غالبية الدول المنتجة للنفط هي دول نامية، وتعتمد على النفط مصدراً رئيساً في اقتصادها، وإعداد موازناتها العامة، حيث قدرت الاحصاءات السنوية الصادرة عن البنك الدولي نسبة اعتماد اقتصاديات هذه الدول من حيث تكوين الناتج المحلي الاجمالي وبشكل

^{١٦} - احمد جاسم محمد وصلاح مهدي عبد الله , الخسائر الاقتصادية والبيئية الناجمة عن حرق الغاز الطبيعي في جنوب العراق من عام ١٩٧٠ – ٢٠١٢ , مجلة النفط والتعاون العربي , العدد ١٤٩ , منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (اوابك) , الكويت , ٢٠١٣ , ص ١١

^{١٧} - Source ; Killmann , W , Forests and Energy , Key issues , FAO Forestry Paper (154) , (FAO) Food and Agriculture organization of United Nation , Rome , 2018 . p 11

^{١٨} World coal Institute , the coal resource , A Comprehensive over view of coal, world coal Institute ,LONDON Cambridge House , 2014 , p – 3

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

متباين بين ٤٠ - ٦٠ % على النفط ونسبة اعتماد الموازنات الحكومية العامة في تمويلها على الواردان النفطية ما بين ٧٠ - ٩٠ %^{١٩}.

والجدول رقم (4) يبين حجم اعتماد الميزانيات العامة لأهم الدول الخليجية على الموارد المتحصلة من بيع الطاقة.

ت	الدولة	النسبة
١-	السعودية	٩٠%
٢-	ايران	ما بين ٦٠ - ٨٠ %
٣-	العراق	٩٥%
٤-	الامارات العربية المتحدة	٤٠%
٥-	الكويت	٩٣%
٦-	قطر	٦٠%
٧-	عمان	٦٥%
٨-	البحرين	٧٠%

الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على جملة مصادر منها : ملامح وفاق الاداء الاقتصادي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية , اصدار المركز الاحصائي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية , ابو ظبي , ٢٠٢٠

وهنا مكنم الخطورة الشديد. حيث ستكون هذه الدول الأكثر تضرراً من هبوط أسعار النفط، والذي قد يشكل أزمة لدى كثير من الدول النفطية، التي تبني موازناتها على أساس أسعار متوقعة للنفط، مثل العراق، الذي يُعدّ من أبرز الدول المتأثرة بهذا الهبوط، نتيجة انخفاض صادراته النفطية جراء الوضع الاقتصادي والسياسي والأمني الذي تعيشه البلاد، مما دفع بعض خبراء الاقتصاد إلى التلويح بإيجاد حلول أمنية عاجلة لتفادي الأزمة، وكذلك هو الحال مع دول أخرى مثل ليبيا ما يعني أن هذه البلدان ستواجه أزمات مالية.

ولا غرابة في أنه على الرغم من ايمان الدول المصدرة للنفط ان عملية اعتمادها الكبير على تصدير النفط لتمويل نفقاتها المختلفة ستفضي بالنهاية الى تعمق التثوهات البنوية في اقتصاداتها وتكريس ما يعرف بالمرض الهولندي الذي يعني ان الاعتماد على النفط يلغي اي احتمال جدي لنمو القطاعات الاخرى وفي مقدمتها القطاعين الصناعي والزراعي ، أبقت هذه الدول المنتجة على الكميات الكبيرة نفسها المصدرة من النفط في اشارة الى استمرارها بالاعتماد التام على النفط حتى في ضل تراجع اسعاره ، كذلك أضافت الولايات المتحدة، أكثر

^{١٩} - (دراسة عن ملامح وفاق الاداء الاقتصادي في دول مجلس التعاون في الخليج العربي ,, المركز الاحصائي لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية , اصدار مؤسسة جيسات ,

من ثلاثة ملايين برميل يوميًا في السنوات الثلاث الماضية، ومنتجو "أوبك" يعملون بكامل طاقتهم، فالمملكة العربية السعودية التي يشكل النفط بحدود ٩٠٪ من اقتصادها، تنتج نحو ١٠ ملايين برميل نفط يوميًا وما قامت بتخفيضه من الانتاج لم يسهم في كبح موجه الانخفاض الا بعد فترة ليست قصيرة ، شكل افضى مثلا الى أنّ إيراداتها النفطية تراجعت في ظل الأسعار المنخفضة بواقع ٣٠٠ مليون دولار يوميًا،^{٢٠}

غير ان العديد من الدول المصدرة للنفط بذلت جهودا حقيقية في السنوات الاخيرة لتعزيز قدراتها الاقتصادية بعيدا عن الاعتماد الكلي على موارد الطاقة عبر العمل على زيادة قدراتها التنافسية وترقية كفاءة اسواقها المالية , وتعزيز عوامل الجاذبية في اسواقها المحلية , وتحسين كفاءة بيئة الاعمال .. الخ ومن بينها المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة وايران وغيرها من الدول .

فضلا عن بذل المزيد من المحاولات الجادة لتنويع مصادر الدخل في اقتصاداتها عبر توسيع مساهمة القطاعات غير النفطية في تكوين الناتج المحلي الاجمالي وعلى رأس هذه القطاعات القطاع الصناعي وقطاع الخدمات , والسياحة وغيرها وتستهدف هذه الخطط حماية اقتصاديات الدول المصدرة للنفط من التقلبات السعرية بالدرجة الاساس فضلا عن دور تنويع النشاطات الاقتصادية في دعم قوة الاقتصاد الوطني وتعزيز فرص العمل وتوطين التكنولوجيا .. الخ ويعد برنامج السعودية المتعلق بتنويع الاقتصاد وفق رؤية ٢٠٣٠ من بين الخطط والبرامج الرائدة في هذا المجال حيث يطمح الى تحول المملكة الى دولة مصنعة على المستويين المدني والعسكري وتدنية اعتماد الدولة على النفط الى اقل من ٥٠ % عند عام ٢٠٣٠^{٢١} .

كما قام العراق بتبني مشروع الورقة البيضاء كمحاولة اولية لتقليل الاعتماد على صادرات النفط كمورد وحيد لتكوين للحصول على العملة الاحتياطية عبر وضع خطط لتنويع مصادر الدخل .

في حين قطعت كل من الامارات العربية المتحدة وايران شوطا في مجال تنويع مصادر الدخل وتوسيع مشاركة القطاعات الاخرى في تكوين الناتج المحلي الاجمالي ,

غير ان السمة الاساسية لاقتصادات هذه الدول على الرغم من الجهود التي بذلت في السنوات الاخيرة لا زالت سمة ريعية تهيمن على مفاصلها العوائد التي تحصل عليها من تصدير النفط

٢٠٢٠ . ص ٣٨

٢٠- جاب الله مصطفى، "تقلبات أسعار النفط وعلاقتها برصيدي الموازنة العامة وميزان المدفوعات، حالة الجزائر"، مجلة الدراسات الاقتصادية والمالية، العدد التاسع، المجلد الأول، جامعة الوادي، ٢٠١٦ ، ص ٨

وقد تستغرق عملية التحول نحو اقتصادات متوازنة تستند الى مساهمة معقولة للقطاعات الاقتصادية الاساسية وقتنا اكثر من المتوقع وطوال هذه الفترة ستبقى هذه الدول تتأثر اكثر من غيرها بالتقلبات السعريّة للنفط .

المبحث الثالث : اسباب تذبذب اسعار النفط وانعكاسها على اقتصاديات دول منطقة الخليج العربي المصدرة للنفط .

المطلب الاول : اسباب تذبذب اسعار النفط .

تعد السوق النفطية المكان الجغرافي المعلوم بصورة فعلية أو وهمية لتبادل السلع النفطية في سعر أو زمن معين أو هو مكان جغرافي تلتقي فيه قوى العرض والطلب في زمن وسعر أو أسعار معلومة وهي سوق شبه احتكارية تحكمها الدول المنتجة والمصدرة والدول المستهلكة الكبرى حيث تستحوذ هذه الأسواق على قدر كبير من الاهتمام العالمي وتحظى تطوراتها بمتابعة مستمرة لما يقوم به النفط من دور في تحريك عجلة الاقتصاد العالمي ^{٢٢} .

تتحدد الأسعار في السوق النفطية، كبقية أسواق السلع والخدمات، نتيجة لتفاعل قوى العرض والطلب كون العرض والطلب هما المحددان الرئيسيان لسعر النفط وليس تغيرات سعر صرف الدولار فقط، ففي الوقت الذي تسهم نسب النمو الاقتصادي العالمي ومعدلات النمو السكاني و مستويات الدخل في التأثير على مستوى الطلب على النفط، فإن مستويات الطاقة الانتاجية الفائضة لدى الدول الاعضاء وحجم الاستثمارات في توسيع الطاقة الانتاجية العالمية والازمات الجيوسياسية تسهم ايضا في التأثير على مستوى العرض ^{٢٣}

وبشكل عام تتحكم ثلاث عناصر رئيسة بالأسواق هم البائعون والمشترون والسلعة موضع التداول، وان الاختلاف في احد هذه العناصر او اكثر يترتب عليه اختلاف في طبيعة الاسعار، وتنقسم الأسواق تبعاً لهذا الاختلاف الى عدة أنواع هي الاحتكار المطلق، والمنافسة الاحتكارية،

^{٢١} - وزارة التعليم السعودية , رؤية المملكة ٢٠٣٠ , المجلة العربية للعلوم والنشر والابحاث , العدد ٩ , الرياض , ٢٠١٨ , ص ٥٨

^{٢٢} - عبد العلي مرابطي، لطفي بهلول: مسار السياسة النقدية في ظل تقلبات اسعار النفط ،((دراسة حالة الجزائر (٢٠٠٠-٢٠١٧) ، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة ماي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، ٢٠١٩، ص ١٣-١٤ .

^{٢٣} - احسان بوبريمة: تقلبات الدولار ومستقبل اسعار النفط والبترو دولار، المستقبل العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٧) العدد ٤٦١، السنة ٤٠ ، ص ١٦.

واحتكار القلة، وبالطبع لا تخرج السوق النفطية عن هذا النطاق وتتأثر طبيعة الاسعار الى حد كبير بهذه المعادلة^{٢٤}.

باتت أسواق النفط بتقلباتها تشغل اهتمام العالم أجمع نتيجةً لتأثيرها المباشر على استمرارية الانتاج وتكلفته وعلى مستويات الطلب واثاره على الاسعار , وقد اصبح من المؤكد ان هذه التقلبات في مجال الانتاج والاسعار والطلب كامنة ومستقرة في طبيعة الاقتصاد الدولي على المدى القصير والمتوسط والبعيد بسبب عدم استقرار الاوضاع في مناطق الانتاج وتكرار الازمات الاقتصادية الدولية وطبيعة المخاطر الجيوسياسية والامنية ثم تمتد الآثار الى السوق النفطية العالمية المرتبطة تكاملياً، ينتج عن هذا كله تذبذب سعري وتقلب استثماري وانتاجي في الأسواق النفطية وتحكم عوامل الاستقرار والاضطراب بالأسعار^{٢٥}.

والواقع ان السوق النفطية اليوم أقرب ما تكون الى سوق احتكار القلة، عبر وجود عدد قليل من المنتجين أو البائعين ينتجون أو يبيعون سلعة متماثلة من حيث الجودة والسعر والخواص الاخرى , غير ان هذا الاحتكار لا يعني ان المنتجين هم المتحكمون دائماً بالأسعار فطبيعة التحولات الاقتصادية والسياسية الدولية اتاحت للمستهلكين ايضا امكانية التأثير بشكل مهم في اسعار الطاقة وفي مقدمتها النفط .

ومن اهم اسباب تذبذب اسعار النفط عالميا هي :

١ - الازمات الاقتصادية الدولية : حيث تفضي الازمات الاقتصادية بمختلف اشكالها الى تقليص عمليات الانتاج والاستهلاك في الدول التي تواجه ازمة اقتصادية بشكل يحتم عليها تقليص مشترياتها من الطاقة وعلى راسها النفط وبترجع الطلب المفاجئ قد تحدث عملية انهيار بالأسعار او على الاقل تراجع تدريجي، فبعد الازمة المالية في منطقة جنوب شرق اسيا عام ١٩٩٧ شهدت اسعار النفط انخفاضا واضحا لكنها اتخذت اتجاهاً تصاعدياً بدءاً من عام ٢٠٠٢ اتسم بالارتفاع التدريجي ، بعد ان بلغت سلة خامات اوبك ٢٤,٣٦ دولاراً، لتواصل ارتفاعها عام ٢٠٠٣ الى ٢٨,٢ دولاراً للبرميل، وكان مرد هذا الارتفاع عائداً بطبيعة الحال الى الخشية

^{٢٤}-() نبيل مهدي الجنابي، كريم سالم حسين: العلاقة بين أسعار النفط الخام وسعر صرف الدولار باستخدام التكامل المشترك وسببية (Granger)، مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والادارية والمالية، جامعة بابل، العراق ٢٠١١، العدد ١، المجلد ٣، ص ٤ .
^{٢٥}- ميثم خضير جواد، فعالية السياسة المالية في ظل الصدمات النفطية في المملكة العربية السعودية مع الاشارة للعراق للمدة الواقعة (١٩٩٠-٢٠١٢) ، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة كربلاء، كلية الادارة والاقتصاد، العراق، ٢٠١٦، ص ٥٣ .

من حدوث نقص في الامدادات جراء التوترات في منطقة الشرق الاوسط من جهة والى
الانتعاش الاقتصادي لا سيما في اسيا^{٢٦}،

وفي العامين ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨ عاودت اسعار النفط الى الارتفاع مرة اخرى لتصل الى ٩٠
دولاراً للبرميل بفعل عوامل الاستقرار الاقتصادي والسياسي العالمي ، ثم ما لبثت ان اخذت
بالانخفاض عام ٢٠٠٩ بعد ان تراجعت الى ٦٢ دولار للبرميل^{٢٧}، ومرد هذا الانخفاض عائد
بطبيعة الحال الى طبيعة الازمة المالية العالمية التي عرفت بأزمة الرهن العقاري ، التي
اجتاحت الولايات المتحدة وعمت آثارها معظم دول العالم.

٢ - الاستمرار بزيادة الانتاج بشكل غير منضبط بالتزامن مع تباطؤ النمو العالمي : فقد
وصل سعر برميل النفط عام ٢٠١٤ لأعلى مستوياته وهو ١١٢ دولار في مطلع العام ثم بدأ
هبوط تدريجي في اسعار النفط في نهاية العام ذاته بالتزامن مع الزيادة في المعروض من
النفط الخام نتيجة لزيادة الانتاج من جهة وظهور ملامح تباطؤ اقتصادي عمل على خفض
معدلات الاستهلاك اليومي للدول من جهة اخرى، ليخلق خام سعر النفط عند ٢٦ دولار في
عام ٢٠١٦^{٢٨}، وهو ادنى مستوى وصل له سعر النفط منذ سنوات سابقة قبل ان يتعافى
بشكل تدريجي منذ عام ٢٠١٧، حيث بلغ ٦١ دولاراً مع إعلان لجنة مراقبة الإنتاج المؤلفة
من أعضاء في "أوبك"، وآخرين مستقلين ومن بينهم روسيا ، تراجع معروض النفط في السوق
الدولية كمحاولة للسيطرة على تراجع الاسعار قبل ان تعاود الاسعار الهبوط بعد تفشي جائحة
كورونا .

٣ - التقديرات السلبية الصادرة من وكالات ومؤسسات عالمية رصينة ومن بينها الصندوق
والبنك الدوليان المتعلقة بالنمو الاقتصادي او التوقعات المتعلقة بنسب نمو او تراجع الطلب
على الطاقة التي تصدر من الوكالة الدولية للطاقة ، وقد لوحظ ان بعض التصريحات او
النشرات الصادرة من هذه المؤسسات تأخذ احيانا طابعاً سياسياً منحازاً هدفها التأثير على اسعار

^{٢٦} - تقرير الوكالة الدولية للطاقة (ايرنا) ابو ظبي , الامارات العربية المتحدة , ٢٠٢٠ , ص
٣٩

^{٢٧} - احمد الهيبي وبختيار صابر , اثر تقلبات الايرادات النفطية في مؤشرات الاقتصاد الكلي
واداء الاسواق المالية في دول مجلس التعاون الخليجي , مجلة جامعة الانبار للعلوم الادارية
والاقتصادية , العدد ٧ , العراق , ٢٠١١

النفط عبر اثاره العوامل المشبّطة في الاسواق ودفع الاسعار للهبوط نسبيا وهو الامر الذي دفع على سبيل المثال اعضاء منظمة اوبك الى التخلي عن تقديرات الوكالة الدولية للطاقة كمصدر اساس في خططها المستقبلية المتعلقة بالإنتاج والتصدير^{٢٩}.

٤ - انتشار الاوبئة والجائحات العالمية : اخذت اسعار النفط بالانهيار بشكل مفاجئ في اذار ٢٠٢٠، بصورة لم يسبق لها مثيل فقد تراجعت بنسبة ٣٠% نتيجةً لانتشار جائحة كورونا وتزايد المخاوف العالمية من تفشي الوباء، بشكل اثر على الطلب العالمي على النفط ومشتقاته^{٣٠}. فبعد ان انتقل فايروس كورونا من الصين بنهاية عام ٢٠١٩ الى باقي دول العالم قامت هذه الدول باتخاذ اجراءات وقائية صارمة من بينها الاغلاق الاقتصادي الامر الذي اثر بشكل كبير على حجم الطلب على النفط وبالتالي ادى الى انخفاضه بشكل كبير .

٥ - تتسم السوق النفطية بخصائص سوق احتكار القلة التي تميل الى اغتنام الفرص لزيادة الاسعار بغض النظر عن عوامل التوازن الطبيعية في السوق الدولي والتي من اهم سماتها عدم حرية تحديد الاسعار ويتم ذلك بشكل موجه، اذ ان الباعة في السوق النفطية لا يقومون بشكل منفرد بتغيير سعر النفط خوفاً من ردود الفعل غير المتوازنة من منافسين وكذلك يترددون برفعها خوفاً من قيام منافسيهم بذلك أيضاً، لذلك يكون الاتجاه العام في الاجل الطويل نحو الارتفاع للأسعار وبشكل موجه بغية تحقيق مردودات عالية من الارباح وهذا يعد ايضا من بين اسباب ارتفاع اسعار النفط بشكل مفاجئ^{٣١}.

٦ - الازمات السياسية والحروب : حيث تعد احدى محركات اثاره الفوضى في الاسعار وتدفع على الاغلب الاسعار الى الارتفاع بعد تزايد نسبة المخاطر الجيوسياسية سواء في منطقة دول

^{٢٨}- عبدالله بن حمد العطية , اسعار النفط ودور اوبك وسياستها تجاه الاسعار , في ندوة تداعيات هبوط اسعار النفط على الدول المصدرة , المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات , الدوحة , ٢٠١٦ , ص ١٨

^{٢٩}- روبن ميلر , مستقبل النفط العراقي , سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط , العراق , ٢٠١٨ , ص ٤٩

^{٣٠}- وحدة الدراسات السياسية , كيف عصفت جائحة كورونا بأسعار النفط , المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات , الدوحة , نيسان ٢٠٢٠ , ص ٣٢

^{٣١}- حسين عبد الكريم جعاز الشمري، توظيف عوائد النفط في بلدان ريعية مختارة مع الإشارة الى العراق للمدة الواقعة (١٩٩٠-٢٠١٢)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة كربلاء، كلية الادارة والاقتصاد، ٢٠١٦، ص ٣٢ .

الانتاج او دول العبور والممرات البحرية وما حدث بعد حرب تشرين بين العرب واسرائيل او مع بداية الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ , او خلال حربي الخليج الاولى والثانية والقرصنة البحرية من ارتفاع في الاسعار الا امثلة في هذا الاطار , فضلا عن اثر طبيعة الاستقرار او الاضطراب السياسي الداخلي للدول المنتجة او المستهلكة للنفط حيث ينعكس هو الآخر على مستويات الانتاج او الاستهلاك وبالنسبة لفضي الى تذبذب اسعار النفط .

٧ - وضع المخزون النفطي العالمي : حيث يعد ما تمتلكه الدول المستهلكة من مخزون نفطي في مستودعاتها الاستراتيجية مؤشر على وضع الطاقة العالمي حيث يبعث هذه الحجم بمؤشرات استقرار سعري في حال استقراره عند مستويات تقارب العرض مع الطلب العالمي على النفط ومؤشرات صعود سعري في حال انخفاضه عن مستويات تقارب العرض والطلب العالمي على النفط ومؤشرات انخفاض سعري نسبي للنفط في حال ارتفاعه عن مستوى تقارب العرض والطلب العالمي على النفط ,

المطلب الثاني : انعكاسات تذبذب الاسعار على اقتصاديات دول منطقة الخليج العربي المصدرة للنفط .

ينعكس تذبذب الاسعار لا سيما انخفاضها بشكل كبير على اقتصاديات الدول المصدرة للنفط لا سيما منها دول منطقة الخليج العربي , ويظهر ذلك الاثر على مستويات عدة من بين اهمها مستوى النمو الاقتصادي , اختلال موازين المدفوعات , تراجع وتشوه الانفاق العام , تراجع القدرات الاستثمارية بما فيها في القطاع النفطي , توقف عدد من خطط الحكومات المتعلقة بالتحديث والتنمية , زيادة نسب البطالة وارتفاع نسب الفقر , ارباك الخطط المستقبلية لحكومات الدول المصدرة ... الخ .

وبشكل عام تختلف نسب انعكاس تذبذب اسعار النفط على اقتصاديات الدول المصدرة من دولة الى اخرى تبعا الى درجة اعتماد الناتج المحلي الاجمالي والموازنات العامة لكل دولة على النفط وحجم الصادرات النفطية من مجمل التجارة الخارجية , حيث تختلف الدول المصدرة للنفط ومنها بطبيعة الحال دول منطقة الخليج العربي في نسبة اعتماد كل واحدة منها على ما تحصل عليه من واردات جراء تصدير النفط في ادارة الانشطة الاساسية للدولة .

ففي الوقت الذي تعتمد بعض الدول اعتماد شبه مطلق على ما تحصل عليه من اموال لقاء تصدير النفط ويأتي العراق على رأسها ثم السعودية والكويت تعتمد دول أخرى بنسبة اقل على الصادرات النفطية ومنها ايران التي اضطرت جراء العقوبات الامريكية والدولية المفروضة على قطاعها النفطي الى تطوير قطاعاتها الاقتصادية الاخرى ومنها القطاعين الزراعي والصناعي اللذان اسهما نسبيا في تنويع مصادر الدخل القومي الايراني ، في حين استطاعت دول أخرى ومنها الامارات تدنية اعتمادها على النفط بشكل كبير بعد نجاحها في تنويع مصادر الدخل حيث لم يعد يشكل النفط الا نسبة اقل من ٤٠ % من ناتجها المحلي الاجمالي^{٣٢} .

تختلف الآثار المترتبة على انخفاض أسعار النفط اختلافا كبيرا من بلد إلى آخر، ووفق الخبراء، فإنّ الهبوط الحاد لأسعار النفط، يبدو نعمة للبلدان الرئيسة المستهلكة للنفط، في وقت تجددت فيه المخاوف بشأن النمو الاقتصادي، لكنه قد يكون نقمة للبلدان المنتجة.

ويتوقف ذلك إلى حد كبير على ما تتبعه من سياسات الصرف الأجنبي، فالهبوط الحاد في قيمة العملة الروسية (الروبل) مثلاً ساعد روسيا على التخفيف من آثار انخفاض أسعار النفط، وأتاح للسلطات الاستمرار في الإنفاق المحلي المرتفع، إلا أنّ مراكز القرار في روسيا بالنهاية في حقيقة الأمر ستضطر إلى أن تقلص بشدّة وارداتها مرتفعة التكاليف على نحو متزايد .

والوضع مماثل في الصين، حيث يساعد هبوط سعر النفط على تفعيل الإنتاج الصناعي والتكنولوجي والسلعي وزيادة الصادرات، ويعزز القيمة الشرائية لليوان كعملة دولية صاعدة . والحال شبيه بالنسبة لإيران الخارجة من عقوبات طويلة مع تأثيرات جانبية أكيدة لانعكاس انخفاض سعر النفط على العائدات المالية التي يمكن ان تجنيها في مرحلة الانفتاح التي تلت إنهاء العقوبات، مع أن تقييم آثار أسعار الصرف الأجنبي أصعب، لأن العملة الرسمية لكلا البلدين لا تتسم بحريّة التداول على نطاق واسع.

وفي تقرير لافيت لوكالة الطاقة الدولية مطلع عام ٢٠١٦، جاء أنّه "في البلدان التي لا تكون عملتها مربوطة بالدولار الأميركي، تساعد التقلبات في أسعار الصرف الأجنبي على إبطال جانب من أثر التراجعات الأخيرة لأسعار النفط. وهكذا فإن الإيرادات الاسمية لصادرات روسيا بالروبل زادت في الآونة الأخيرة على الرغم من هبوط قيمتها بالدولار". وعلى النقيض من ذلك فالبلدان الأعضاء في "أوبك" من دول الخليج مثل السعودية والإمارات العربية المتحدة والى حد

^{٣٢} - صبحي احمد الدليمي , جغرافية الطاقة , دار امجد للطباعة والنشر , الاردن , ٢٠١٨ ,

ما العراق والكويت ، الذين ترتبط عملاتهم بالدولار، فإنهما شهدتا أكبر هبوط في الإيرادات بالعملة المحلية جراء هبوط أسعار النفط^{٣٣}.

ومن بين اهم الانعكاسات التي يتركها تذبذب اسعار النفط على البلدان المصدرة الاتي^{٣٤} :

١ - في حالة انخفاض الاسعار فإن التأثير سيكون سلبا على احتياطات الدول المصدرة للنفط من العملة الاحتياطية بعد اضطرار هذه الدول الى السحب من هذه الاحتياطات لتمويل النفقات الضرورية بشكل يترك طابعا من التهديد لقدرات الدول المستقبلية في مجال مواجهة استمرار انخفاض اسعار النفط .

٢ - تقلص الموازنات العامة سواء في مجال الانفاق العام المخصص للاستثمار او الاستهلاك ونتيجة لذلك تراجع قدرات الحكومة في مواجهة التزاماتها المتعلقة بالتوظيف وتأمين الحاجات الاساسية لمجتمعها من غذاء ودواء والخدمات الاساسية العامة ودعم المشاريع التنموية المختلفة

٣ - تراجع مستوى التوظيف وخلق فرص عمل جديدة واحتمال فقدان العديد من العاملين لوظائفهم بعد تقلص الاقتصاد وتراجع امكانيات الحكومة او القطاع الخاص بتأمين المبالغ الكافية .

4- ينعكس انخفاض اسعار النفط سلبا بشكل واضح على قدرة بعض الدول المصدرة على الايفاء بديونها الخارجية والداخلية بالوقت المقرر الامر الذي يدفعها الى التفاوض من اجل اعادة جدولتها وبفوائد اعلى .

٥ - اضطرت بعض الدول المصدرة للنفط بما فيها السعودية والامارات والكويت في ذروة انخفاض الاسعار الى اعتماد نوع من انواع الاقتراض الخارجي المتمثل بطرح سندات حكومية

ص ١٧٨

^{٣٣}- نبيل سرور ,الصراع على النفط والغاز واهمية منطقة الشرق الاوسط الاستراتيجية ,
<https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D9%80%D8%B7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%BA%D9%80%D8%A7%D8%B2-%D9%88%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D9%80%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%80%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B3%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9>

^{٣٤}- انظر كل من مجموعة خبراء البنك الدولي , الموجز الاقتصادي الفصلي لدول الشرق الاوسط وشمال افريقيا , العدد الثامن , البنك الدولي للإنشاء والتعمير , ٢٠١٧ , ص ٢٤ وكذلك صبحي احمد الدليمي , مصدر سبق ذكره , ص ٥٨

حيوية للبيع في حين ذهبت دول اخرى ومنها العراق الى الاقتراض الخارجي والداخل المباشر بشكل راكم من حجم الدين .

٦ - حتى في حال ارتفاع اسعار النفط وضمان وفرة مالية للدول المصدرة بشكل يمنحها قدرة على التوسع بالإنتاج والتوظيف وتحسين مستوى البنى التحتية غير ان هذه الوفرة عادة ما تكون مؤقتة تعقبها مراحل من العسر المالي نتيجة معاودة الاسعار الانخفاض مجددا ما لم تضع الدول المصدرة خطط معقولة لتجنب استمرار الاعتماد الكبير على واردات النفط .

٧ - ان غالبية الدول المصدرة للنفط لا سيما منها دول منطقة الخليج العربي التي تفتقر الى أنظمة ومؤسسات ديمقراطية تقوم العلاقة بين نظامها السياسي وشعبها على اساس ضمان مستوى مقبول من الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية القائمة اساسا على تحمل القطاع النفطي لتغطية هذه الاعباء وبالتالي فإن تراجع اسعار النفط سيضعف من قدرات الحكومات على الايفاء بالتزاماتها تجاه شعبها الامر الذي يضعها في موقف سياسي وامني صعب منفتح على احتمالات مستقبلية مختلفة .

٨ - تراجع القدرات والحوافز المتعلقة بالرغبات الدولية والاقليمية لضخ استثمارات كافية لإدامة البنى التحتية في القطاع النفطي او للتوسع في الانتاج مستقبلا بشكل قد ينعكس في المدى المتوسط عن تقادم البنى الانتاجية للقطاع النفطي وتضرر قدرات الانتاج وتراجع العوائد لا سيما في ضوء خضوع بعض الدول المنتجة داخل وخارج منطقة الخليج العربي لعقوبات اقتصادية اضررت كثيرا بقدراتها الانتاجية ومنها فنزويلا وروسيا وايران .

استنادا الى ما تم ذكره من نقاط وغيرها يمكن القول بوضوح ان الثبات في اسعار النفط يعد أمراً في طور المستحيل، نتيجة لتأثر هذه الاسعار بالعوامل السياسية والاقتصادية والامنية الدولية التي تمتاز بالتغيير والتحول المتسمرين فضلا عن دور عوامل التكنولوجيا والعوامل الطبيعية الاخرى .

المبحث الرابع : الاقتصاد العراقي وتذبذب اسعار النفط .

المطلب الاول: تطور دور النفط في السياسة الاقتصادية للعراق.

يعد العراق واحداً من أكبر دول العالم التي تمتلك الاحتياطات النفطية والتي تبلغ قرابة ١٥٠ مليار برميل، وبما ان القطاع النفطي يسهم بأكثر من ٦٠% من الناتج المحلي الاجمالي و ٩٥% من موارد العملة الاجنبية^{٣٥} , لذا فإن تحسين اداء القطاع النفطي المهيم على

^{٣٥}- حيدر حسين , نظرة تقويمية لجولات التراخيص النفطية , مجلة المثنى للعلوم الادارية والاقتصادية , المجلد ٧ العدد الاول , العراق , ٢٠١٧ , ص ١٧٠

الاقتصاد العراقي يعتبر المفتاح في الحصول على التمويل اللازم الذي تحتاجه القطاعات الاخرى لكي ينطلق من اجل تحقيق أعلى معدلات للنمو في الاقتصاد .

وبما ان الاقتصاد العراقي هو اقتصاد ريعي بشكل تام واحادي الجانب يعتمد على تصدير سلعة واحدة هي النفط الخام بنسبة (٩٥ %) من هيكل موازنته العامة، فان هذا الحال يؤكد على ان النفط هو النشاط الاقتصادي الاساسي الوحيد الذي يربط بين الاقتصاد العراقي والاقتصاد العالمي وان انخفاض اسعار النفط في العراق او تذبذبها صعودا ونزولا يؤدي الى مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية في البلد ويفضي الى ترتيب اثار اقتصادية كبيرة من اهمها تراجع نسبة النمو الاقتصادي ، وضعف قدرات الحكومة في ممارسة نشاطاتها القانونية وفي مقدمتها الانفاق العام ، وتوفير فرص العمل ، تدني امكانية مواجهة الفقر ، تراجع قدرات الحكمة في ارساء الاستقرار الاجتماعي ... الخ .

أولاً: السياسة النفطية العراقية قبل عام ٢٠٠٣ .

منذ عام ١٩٥٨ والعراق يتبنى نهج الدولة الاشتراكية التي يهيمن فيها القطاع العالم على النشاط الاقتصادي ويهيمن القطاع النفطي على نشاط القطاع العام ، حيث اعتمد الاقتصاد العراقي منذ ذلك الوقت وبشكل تدريجي على القطاع النفطي للحصول على تمويل اغلب نفقاته العامة واللافت بالأمر ان الدولة العراقية اعتمدت سياسة اقتصادية مخططة قوامها وضع السياسة النفطية في خدمة سياسات القطاعات الاقتصادية الاخرى عبر توزيع العوائد النفطية على القطاعات الوطنية كل حسب حاجته بغض النظر عن حجم مساهمة هذه القطاعات في خدمة الاقتصاد او نسبة مساهمتها في تكوين الدخل الامر الذي ساهم في تراجع حافز العمل والارباح عبر الاتكاء على دور الدولة كسلطة مشرفة على توزيع الدخول الريعية .

وهذه السياسة النفطية اعطت الدولة دوراً مهماً ورئيساً في توزيع الريع على السكان والتأثير في النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع بشكل اسهم في هيمنة دور الدولة على نشاط الاقتصاد العراقي طوال هذه المدة ، وقد تركت هذه السياسة النفطية آثار كبيرة على القطاعات الاقتصادية الوطنية بعد ان استأثرت بعض القطاعات على الجزء الاكبر من الاستثمار على حساب قطاعات اخرى، دون رؤية اقتصادية واقعية توازن بين حجم التخصيص مع واقع

القطاع المستهدف^{٣٦}. فضلاً عن غياب الاهداف البعيدة بجانب ضعف الخبرة التخطيطية وقاعدة البيانات التي يتطلبها التخطيط، اذ شهدت سنوات النصف الاول من عقد الثمانينيات تدهوراً في معدلات اداء الخطط والبرامج بسبب المبالغة في تقدير الايرادات النفطية، ويظهر أثر النفط على قطاع الصناعة عبر تأثيره على الصناعة التحويلية والتي تعتمد على النفط الخام والغاز الطبيعي و التي تتمثل في صناعة البتروكيماوية ومصافي النفط، وقد سجل هذا القطاع عجز مالي على مدار عقد الثمانينيات بسبب سياسة الدعم الحكومي التي تستهدف استمرار عمل القطاع بغض النظر عن خسائر الامر الذي اضعف بشكل كبير عوامل الادارة المالية والتنظيم المناسب والكفاءة والاداء اللازمة لتحقيق ارباح ، اذ بلغ مقدار العجز عام ١٩٨١ حوالي ٢٠٠ مليون دولار وتراكمت الى ان بلغت ٣ مليار دولار عام ١٩٩٠^{٣٧}، ان هذه البيانات توضح ببساطة عجز الماكينة الاقتصادية العراقية عن توفير الحد الأدنى من متطلبات الحياة الاقتصادية دون الاعتماد على القطاع النفطي، وظلت هذه الظاهرة ملازمة للاقتصاد العراقي لان عملية احداث تغييرات في بنية الاقتصاد العراقي وبسبب ما تعرض له من ازمات ونكبات على مدى السنوات التي مضت وانما يحتاج الى صياغة وبناء يستند الى تنويع الهيكل الانتاجي و وضع سياسات رشيدة تقلل من الاعتماد على النفط ولو بشكل تدريجي .

ثانياً: سياسة العراق النفطية بعد عام ٢٠٠٣ .

ادت عوامل كثيرة بعد انتهاء الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ الى تدهور القطاع النفطي ، جانب منها يتعلق بتقادم بنى القطاع النفطي نتيجة فترة الحصار الاقتصادي و اخر يتعلق بالأضرار التي اصابته بنى القطاع اثر العمليات الحربية في حين تمثلت العوامل الاخرى بإهمال الحكومات المتعاقبة لحقيقة دور هذا القطاع وكيفية تطويره فضلاً عن الدور السلبي لعمليات الفساد من جهة والعمليات التخريبية التي قامت بها الجماعات الارهابية بالدرجة الاساس .

ان الامر الاكثر فداحة فيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية العراقية بشكل عام والسياسة النفطية بشكل خاص بعد عام ٢٠٠٣ بالتزامن مع ارتفاع اسعار النفط وتراكم العوائد النفطية كانت إهمال الدولة للقطاعات الاقتصادية الاخرى لا سيما منها القطاعين الزراعي والصناعي باعتبارهما العمود الفقري لأي اقتصاد متوازن في العالم فضلاً عن اهمال قطاع الخدمات الذي بات يمثل نسبة عالية من حجم الناتج المحلي في اغلب الاقتصادات الناشئة والمتقدمة .

^{٣٦} - عصام محمد عبدالرضا، الاثار الاقتصادية لانخفاض اسعار النفط على الاقتصاد العراقي، مجلة جامعة بابل العلوم الصرفة والتطبيقية، العدد ٨ المجلد ٢٠١٦، ٢٤، ص ١٣٢.

^{٣٧} - اخلاص قاسم ناقل، دور النفط في الاقتصاد العراقي بعد عام ٢٠٠٣، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٤، العدد ٣٨، ص ١٧٣ - ١٧٤

ويشير الواقع الى ان العوائد النفطية تتسم بعدم الاستقرار فلا يجوز الاعتماد عليها بشكل كلي لتمويل ميزانية الحكومة السنوية، كونها تتأثر بمستوى الاسعار ارتفاعاً وانخفاضاً، الامر الذي اثار المخاوف بشأن المستقبل الاقتصادي للعراق لاسيما عقب جائحة كورونا وما افرزته من آثار القت بظلالها على اسعار النفط العالمية.

وانطلاقاً من حجم الاعتماد التام على عوائد النفط الذي بات يواجهه العراق ونتيجة لتراكم الابعاء والمهام المطلوب من الحكومات العراقية النهوض بها وسط غياب دور القطاعات الاقتصادية الاخرى فإن الاعتماد على القطاع النفطي وما يحققه من دخل للدولة بات اكثر من اي وقت اخر الامر الذي دفع الحكومات العراقية الى البحث عن طريقة لزيادة انتاجها النفطي بشكل مضاعف عبر الاستثمار الاجنبي تمثل بجولات التراخيص النفطية التي هي عبارة عن مناقصات دولية لتطوير قطاع الانتاج النفطي حصراً شابها الكثير من اللغط عن عمليات الفساد^{٣٨}.

لقد تباينت الرؤى حول السياسة النفطية الجديدة التي اعتمدتها وزارة النفط في استثمار الحقول النفطية، وان الواقع الحالي يشير الى بلورة سياسة نفطية واضحة من خلال مناقشة مستفيضة تشترك فيها قيادات القطاع في دوائر الوزارة والشركات الاستخراجية وخبراء الجهات الحكومية ذات العلاقة تهدف الى استثمار الوقت بشكل أكثر كفاءة من أجل رؤية استراتيجية تحكم مسار تطوير الثروة النفطية واستغلالها بالشكل الامثل، فالعراق عملاق قادم الى السوق العالمية ولكن غزارة الاحتياطات النفطية لوحدها لا تكفي ان تجعل منه عملاقاً اذ ينبغي ادارة تلك الاحتياطات واستغلالها بحكمة، وان واحداً من اوجه الادارة الحكيمة هو السيطرة على مستوى الانتاج وتوقيته بما ينسجم مع أهداف سياسة العراق النفطية، وإلا فان سوء الادارة بما فيها الخطأ بالتوقيت قد يقود الى نتائج معاكسة^{٣٩}.

المطلب الثاني : تأثير انخفاض أسعار النفط على الاقتصاد العراقي.

مع كل موجة انخفاض في اسعار النفط بين فترة واخرى يخسر العراق مليارات الدولارات ، ويترك الانخفاض في اسعار النفط اثاراً سلبية عدة على الاقتصاد العراقي ليس اقلها عجزاً في

^{٣٨} - عبد الرحمن نجم المشهداني , جولات التراخيص النفطية واثرها على الاقتصاد العراقي , مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية , العدد ٣٠ , الجامعة المستنصرية , العراق , ٢٩١١ , ص ٩٢

^{٣٩} - اخلاص قاسم , مصدر سبق ذكره , ص ١٧٧

الميزانية العامة وتراجع نسب النمو الاقتصادي وزيادة نسب الفقر وازدياد معدلات البطالة فضلاً عن اثارا اخرى مختلفة ، وسنفصل بعضاً من هذه الاثار وكالاتي : .

اولا : اثر انخفاض أسعار النفط على الموازنة العامة.

تمثل الموازنة العامة نهج الدولة وفلسفتها في رسم سياستها المالية اذ انها تمكن الحكومات من ادارة شؤونها المالية وفقاً لأولوياتها السياسية وأولويات السياسة الاقتصادية والاجتماعية، وتشكل الميزانية خريطة تقديرية التي تتبع اساسيات اتخاذ القرار فيما يتعلق بالموارد المتولدة من قبل المجتمع والتي يجب ان تعود الى المجتمع كإمدادات وخدمات وتعد بمثابة برنامج مالي للخطة عن سنة مالية مقبلة لتحقيق أهداف محددة في اطار الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول^{٤٠} .

و تحتوي الموازنة العامة العراقية كغيرها على كلف متغيرة يمكن التحكم بحجمها، وكلف ثابتة لا يمكن التحكم بها كالرواتب والاجور ، ،لذا تعد الموازنة أداة مهمة من ادوات السياسة المالية للدولة حيث ان اهمية الموازنة من كونها أداة لتحقيق الاهداف خصوصاً اعادة توزيع الدخل بين الفئات الاجتماعية المختلفة من خلال توجيه النفقات العامة وخصوصاً التحويلية منها وهي بالوقت نفسه وسيلة لتحقيق الاستخدام ومعالجة البطالة وتعبئة الموارد ورفع المستوى المعاشي للفرد^{٤١} .

ولكل موازنة جانبين اساسيين احدهما يتمثل بالإيرادات العامة والاخر بالنفقات العامة وكالاتي:

١- الإيرادات العامة

⁴⁰ -Cristina Blog , the Budgeting process and the Implications on social policies and poverty Reduction: Alternatives to Traditional models, National University of Rosario, Argentina, 2009, p9.

^{٤١} - () نجم عبد عليوي، دراسة وتحليل هيكل الموازنة العامة لدولة العراق من (٢٠٠٣-٢٠٠٧)، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة القادسية، العدد ١٣ ، المجلد ٢، ص ٢٠٣

تقسم الإيرادات العامة بصورة عامة الى قسمين: الإيرادات المحلية والتي على رأسها الإيرادات الضريبية، والإيرادات الخارجية كالمنح والمساعدات والقروض الخارجية والدين العام^{٤٢} ..

وتعد الإيرادات العامة أداة مالية مهمة في توجيه النشاط الاقتصادي في البلد وهي تعبر عن مجموع ما تحصل عليه الدولة من مصادرها المختلفة من أجل تغطية النفقات العامة وتحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي والقيام بوظائفها العامة، وقد أدت ظروف سياسية واقتصادية مختلفة على المستويات الداخلية والإقليمية والدولية منها الحروب التي خاضها العراق والعقوبات الدولية والنزاعات والتوترات الداخلية دوراً مهماً في تحديد نسبة مساهمة الإيرادات النفطية الى الإيرادات العامة قبل وبعد عام ٢٠٠٣ فقد تراجعت هذه النسبة بشكل كبير قبل عام ٢٠٠٣ حتى وصلت الى (٦٠%)^{٤٣}. في حين أنها شهدت ارتفاعاً كبيراً بعد عام ٢٠٠٣ بعد أن شهدت عمليات تصدير النفط زيادة كبيرة بالتزامن مع ارتفاع الأسعار إذ أخذت نسبة مساهمة الإيرادات النفطية الى الإيرادات العامة تزداد بشكل كبير تصل الى (٩٥%) يقابل ذلك انخفاض كبير في مساهمة القطاعين الزراعي والصناعي في الإيرادات العامة نتيجة الإهمال الكبير لهذه القطاعات والاعتماد المفرط على القطاع النفطي (المرض الهولندي

٢ - النفقات العامة

يعد الانفاق العام أحد أوجه الموازنة العامة والذي يعكس مدة تطور الدولة في النشاط الاقتصادي وفعاليتها في إدارة وتقويم الاقتصاد الوطني وأن هناك علاقة قوية بين حجم الانفاق العام ومعدلات نمو القطاعات الاقتصادية فكلما ازداد الانفاق العام كلما ازداد نسبة الدخل الحقيقي للفرد وبالتالي زيادة القوة الشرائية وزيادة معدلات نمو القطاعات الاقتصادية الأخرى.

لقد تطور الانفاق العام بشكل كبير للمدة (٢٠٠٣-٢٠١٨) وذلك بسبب رغبة الحكومة بعد عام ٢٠٠٣، اتباع سياسة مالية توسعية من أجل تطوير الاقتصاد العراقي ومحاولة تحقيق الانتعاش الاقتصادي وبلوغ معدلات نمو مرغوبة، بالإضافة الى تزايد الانفاق العسكري بالشكل الذي جعله من أولويات الانفاق العام نظراً للظروف الأمنية التي مر بها العراق.

^{٤٢} - هه وار عثمان كريم، اثر تقلبات اسعار النفط على الموازنة العامة في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٨)، مجلة جامعة كرميان، العدد ٢٠١٩، ٦، ص ١٩٧.

^{٤٣} - رشا خالد شهيب، قياس أثر العوائد النفطية في تحسين مسار الموازنة العامة للعراق للمدة (٢٠٠٣-٢٠١٨)، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية، ٢٠١٩، العدد ٣٤، المجلد ١، ص ٢٦٥

كذلك ادى ارتفاع نسبة النفقات الجارية الى النفقات العامة نتيجة تزايد نسب الهدر العام وعمليات الفساد الكبيرة فضلا عن زيادة حجم رواتب موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين دون ان يقابل ارتفاع نسبة الزيادة انتاج مماثل، وارتفاع نسبة التضخم وهيمنة القطاع العام ادى الى زيادة النفقات العامة لمواجهة الفجوة التضخمية، بالإضافة الى غياب التخطيط الاقتصادي في عملية تخصيص الموارد المالية اذ ذهبت اكثر تلك الموارد للإنفاق الجاري على حساب النفقات الاستثمارية، وغياب سياسة ترشيد الانفاق الجاري وسيادة طابع التبذير والاسراف على الانفاق العام والاهتمام بالجوانب الكمالية دون الجوانب الضرورية^{٤٤}.

وأدت قلة الموارد المالية المخصصة للاستثمار من الموازنة العامة للدولة الى انخفاض نسبة النفقات الاستثمارية الى النفقات العامة، بالإضافة الى عدم توفر المناخ الاستثماري للشركات الاجنبية وذلك بسبب العامل الامني والاوضاع غير المستقرة في العراق، وتقليص دور القطاع الخاص بالقيام بعمليات الاستثمار وجلب الشركات الاجنبية وحصر هذه المسألة بالقطاع العام.

من كل ما تقدم يتضح حجم التأثير لتقلبات اسعار النفط على اعداد الموازنة العامة في العراق، والتي بدورها مارست تأثيرها على مجمل السياسات الاقتصادية والمالية والنقدية للعراق، ليؤدي ذلك الى لجوء العراق لسياسة مالية توسعية عام ٢٠٠٨ عقب الارتفاع الكبير في العوائد النفطية اذ زاد الانفاق العام بنسبة ٨٦%، كما ازداد الانفاق الرأسمالي بنسبة ١٤٠% لتزداد تبعاً لذلك الاجور بشكل كبير، ومع تراجع الايرادات العامة تبعاً لانخفاض اسعار النفط عام ٢٠١٤ ولغاية الان اتبع العراق سياسة مالية انكماشية تجسدت في خفض الانفاق العام بنسبة ٤٤.٤%^{٤٥}.

ثانيا : اثر انخفاض اسعار النفط على النمو الاقتصادي في العراق.

قاد انعدام كفاءة النظام السياسي والاقتصادي في توجيه الموارد الاقتصادية في العراق الى مفارقة حدة الاختلالات الهيكلية التي كانت ولا زالت تشكل اهم التحديات التي يعاني منها الاقتصاد العراقي، وادى انخفاض اسعار النفط العالمية عقب الازمة المالية العالمية ٢٠٠٨ الى التأثير بشكل سلبي على النشاط الاقتصادي في العراق، فبالرغم من التحولات الكبيرة التي تبنتها وزارة المالية في موازنة عام ٢٠٠٨، بعد ان تم تصميمها على أساس أن برميل النفط يعادل "٥٧" دولاراً للبرميل الواحد، غير أن سعر النفط اخذ بالانخفاض إلى اقل من ذلك بكثير حتى وصل إلى مستوى "٤٠" دولار للبرميل الواحد في كانون الثاني ٢٠٠٩، الأمر الذي افرز

^{٤٤} - مأمون ادم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧

أثراً واضحاً على الموازنات العامة في فترة التقلبات السعريّة والتي تم إعادة تصحيحها لأكثر من مرة مع انخفاض أسعار النفط^{٤٦}، بشكل يثبت أن النمو الاقتصادي في العراق مرتين بالأوضاع العالمية ويتقلب كلما تقلب حال الاقتصاد العالمي انطلاقاً من اعتماده على النمو الاقتصادي العالمي وحجم الطلب على مادة واحدة هي النفط .

أن الجانب الأكبر من التطورات في معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي لا سيما في عام ٢٠٢١ لم تكن عائدة الى النمو في القدرات الحقيقية للاقتصاد العراقي بقدر تعلقها بالزيادة الكبيرة في اسعار النفط التي تهيم على محتوى نمو الناتج المحلي الإجمالي العراقي .

ومن هنا تبرز ضرورة احداث نمو في القطاعات غير النفطية لزيادة النمو و مواجهة الصدمات الخارجية وتقليل اعتماده على مصدر واحد للدخل والسعي نحو خلق بدائل لتمويل التنمية والتطور من خلال توفير مناخ استثمار محلي واجنبي وتوسيع القطاع الخاص ليأخذ دوره في خلق قاعدة تصديرية مع ضرورة توجيه الاستثمار في القطاع الزراعي القادر على زيادة نمو الاقتصاد وتشغيل القوى العاملة مما ينعكس في النهاية على خفض نسبة الفقر والبطالة في العراق وخفض استيراد السلع الغذائية علماً أن العراق يتمتع بميزة ممتازة في هذا القطاع من حيث توفر المياه والاراضي الخصبة وتنوع التضاريس من يعزز مكانة العراق في انتاج السلع الغذائية^{٤٧}.

المطلب الثالث: انعكاس تذبذب أسعار النفط على هيكل الاقتصاد العراقي وطرق مجابهتها.

ترتب على تذبذب أسعار النفط العالمية العديد من التداعيات، وعلى رأسها التداعيات الاقتصادية إذ اسهم تراكم عوائد النفط في زيادة الإنفاق على المشاريع العمرانية والتطويرية والبنية التحتية والخدمات في العراق والدول المصدرة للنفط بمعنى ان النشاط الاقتصادي في هذه البلدان يعتمد على العائدات النفطية بشكل يكاد يكون شبه تام في حين ان الانخفاض في اسعار الطاقة المصدرة وفي مقدمتها النفط الخام بات يمثل تهديدا غير مسبوق على اقتصاديات الدول المصدرة ومن بين اهمها العراق ويتمثل بالاتي .

اولاً : تداعيات تذبذب أسعار النفط على هيكل الاقتصاد العراقي.

^{٤٥} - رحيم حسوني زيارة، تقلبات اسعار النفط الخام العالمية واثرها على التضخم والنمو الاقتصادي في العراق، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، جامعة بغداد، العدد ١٠٥، السنة ٢٤، ٢٠١٨، ص ٤٣٩

^{٤٦} - وزارة التخطيط، المجموعة الإحصائية ٢٠١٤ - ٢٠١٧، تقرير الاقتصاد العراقي، العراق، ٢٠١٨، ص ٥٧

^{٤٧} - رشا خالد، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٠

ان السمة الاساسية التي تميز السوق العالمية للنفط هي عدم لاستقرار في السعر اعتمادا على متغيرات مختلفة ففي فترات معينة تشهد الاسعار ارتفاعا حادا استنادا الى انتعاش الطلب العالمي الذي يتأثر بعوامل مختلفة من بينها النمو الاقتصادي او ان هناك اسباب سياسية وامنية وجيوسياسية مختلفة تدفع الاسعار الى الارتفاع وتقضي الى ارتفاع عائدات الدول المصدرة للنفط ومنها العراق بطبيعة الحال وفي فترات اخرى يغلب عليها الانكماش في الطلب متأثرا بأسبابه الخاصة التي من بين اهمها تراجع نسب النمو الاقتصادي العالمي او زيادة المعروض مما يؤدي الى انخفاض الاسعار ومن ثم انخفاض العائدات المالية وتترك هذه التقلبات اثار اقتصادية على اقتصاديات الدول المصدرة للنفط ومنها العراق تنحصر في ثلاثة قنوات هي الهيكل الانتاجي للقطاعات الاقتصادية المختلفة، توزيع الدخل بين عوامل الانتاج، الحساب الجاري وخاصة في الميزان التجاري، وعادة ما تختلف حدة هذه الاثار من دولة الى اخرى حسب طول المدة الزمنية للتغير والخصائص الاقتصادية للدولة التي تمكنها من مواجهة الصدمة^{٤٨}.

ويلاحظ أثر تذبذب أسعار النفط على اقتصاد دولة معينة وذلك خلال ميزانيتها العامة اذ تؤثر الازمات في تقلبات أسعار النفط في العالم فقد أثرت الازمة المالية العالمية على اقتصاديات الدول المنتجة للنفط اذ انخفضت الاسعار من (١٤٧) دولار الى (٣٢) دولار للبرميل في غضون اشهر ولم تنفع محاولات منظمة اوبك في تخفيض حجم العرض من النفط كي تعاود الاسعار الى ما كانت عليه أو وقف تدهورها وكان تأثير قراراتها محدوداً لان السوق النفطية هي أساساً غير منضبطة تماماً لان هناك دولاً منتجة كثيرة خارج منظمة أوبك أو حتى بعض دول الوبك لا تلتزم بحصصها تماماً من الانتاج فبعد تدهور أسعار النفط العالمية وقد شكلت الصدمات النفطية التي تمثلت بانخفاض اسعار النفط لأسباب كثيرة من بينها الازمات الاقتصادية تحدي كبير للاقتصاد العراقي انعكست على هيكل الاقتصاد العراقي ومثلت تهديدا واضحا له للأسباب الاتية^{٤٩}:

١ - ان النفط هو المورد الاساسي للمال العام في العراق.

٢ - ليس للعراق محافظ أو صناديق سيادية أو استثمارية يمكن ان تمثل بديلا مؤقتا للتمويل العام .

^{٤٨} - حسين عبد الكريم جعاز الشمري، مصدر سابق، ص ٣٣
^{٤٩} - عبد الرسول عبد الرزاق، التذبذبات في أسعار النفط الخام العالمية أثرها على الميزانية العراقية، كلية الادارة والاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة الزرقاء، ٢٠٠٩، ص ٥_٦ .

٣ - النظام المصرفي في العراق غير متداخل مع النظام المصرفي العالمي.

وعلى الرغم من ارتفاع صادرات العراق من النفط بين الاعوام ٢٠١٤ - ٢٠١٧ من ٣ مليون برميل الى حدود ٥ مليون برميل في اليوم الواحد وهي الاعوام التي شهدت انخفاض في اسعار النفط قبل ان تتعافى في نهاية عام ٢٠١٧ الا ان العائدات النفطية كانت قليلة جدا مقارنة مع حاجة العراق ومتطلبات مواجهة الابعاء الاقتصادية العامة التي تواجه الحكومة وبشكل افضى الى عجز الحكومة الاتحادية عن مواجهة الكثير من الازمات التي واجهت المجتمع العراقي من بين اهمها تراجع حجم الناتج المحلي الاجمالي وتدني نسبة النمو الاقتصادي بشكل كبير وتقلص الاقتصاد الى اضيق حدوده وارتفاع نسب البطالة والفقر وعجز الميزانية العامة وهي مؤشرات سلبية تثير القلق بالنسبة لبلد في مرحلة النمو المدعومة بأنشطة اعادة الاعمار لا سيما في مجال البنى التحتية الامر الذي يعكس الاثر البالغ لانخفاض اسعار النفط على نسب نمو الناتج المحلي الاجمالي في ظل تدني مساهمة القطاعات الاقتصادية الاخرى ..^{٥٠}

ثانيا : آليات مواجهة التقلبات في أسعار النفط.

ان تواتر الازمات والنكبات بشكل مستمر، فضلاً عن حدوث تقلبات في اسعار النفط وعدم استقرارها في الحقيقة لا تمثل فقط تحديات امام الاقتصاد العراقي بل يمكنها ان تمثل فرص وحوافز بنفس الوقت تدفع باتجاه ادراك المخاطر ومحاولة ايجاد حلول بناءة وبدائل واقعية للنهوض بالاقتصاد العراقي ووضع حلول مستدامة وطويلة الامد عبر الاستفادة من هذه التجارب من أجل بناء اقتصاد عراقي متنوع يقوم على قاعدة واسعة من القطاعات وليس على قطاع النفط فقط، وعليه يجب ان يقوم العراق على تبني استراتيجية تنويع الفرص والقطاعات الاقتصادية ، فطالما بقي العراق معتمداً على موارد الربيع النفطي م في تكوين الناتج المحلي الاجمالي ، فانه لن ينفك من الوقوع في الازمة تلو الاخرى متأثراً بالصدمات الخارجية الناتجة عن تقلب الاسعار في الاسواق العالمية لهذا المورد لذا يجب البحث عن البدائل على المديين القصير والطويل على وفق استراتيجية معينة، وتتضمن سياسة التنويع الاقتصادي تنويع الهيكل الانتاجي وخلق قطاعات جديدة مولدة للدخل بحيث ينخفض الاعتماد على وارد القطاع النفطي، والتنويع الاقتصادي هو عملية توسيع نطاق الانشطة الاقتصادية سواء في الانتاج أو التوزيع للسلع والخدمات مما يعزز استقرار الاقتصادات بتنويع قاعدتها الاقتصادية^{٥١} .

^{٥٠} - المصدر نفسه . ص ١٢

^{٥١} - حسين علي الكرعائي، سلطان جاسم النصراوي، الاقتصاد العراقي بين أزميتين: النداءات والحلول الممكنة، مجلة كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، ٢٠٢٠، العدد ٣٥، المجلد ٩، ص ٣٠٦

كما يمكن توظيف قطاع السياحة في مجال تنويع الدخل وتشغيل الايدي العاملة فالسياحة أهمية كبيرة في التنويع الاقتصادي للبلد اذ ما تجاوزت مفهومها الضيق كونها مجرد سفر وفعاليات ترويجية الى نوع من الصناعة لها مقومات كباقي الصناعات من المادة الخام ورأس المال والسوق والعمل والنقل، اذ تمتاز السياحة في العراق بميزة تنافسية ديناميكية نظراً لما يمتلكه البلد من امكانات سياحية متنوعة لا سيما في مجال السياحة الدينية والاثرية التي تعتمد على اقدم الحضارات في العالم فضلا عن السياحة التي تعتمد على تنمية رغبات شعوب العالم للتعرف على العراق شعبا وحضارة ومعالم اساسية عبر استراتيجية وطنية لتنمية وتطوير السياحة العراقية، ان تنمية القطاع السياحي وزيادة مساهمته في الناتج المحلي الوطني يعني تنويع في الدخل وتشغيل للأيدي العاملة فضلا عن اهميته الاجتماعية والثقافية النابعة من الاختلاط بشعوب الدول الاخرى ومعرفة عاداتهم وثقافتهم وتقاليدهم^{٥٢}.

كما يمكن للضرائب والرسوم ان تكون احدى اهم وسائل تنويع مصادر الدخل للدولة العراقية بعد القيام بإصلاحات جذرية في النظام الضريبي وتنمية موارده ورفع كفاءة كوارده , ورفع الوعي الضريبي عند المجتمع , وتوخي العدالة الاجتماعية في النظام الضريبي عبر التركيز على عدم تهرب الاغنياء واصحاب المشاريع الكبرى من دفع الضرائب والقدرة على تكيفها وفقا للوعاء الضريبي , حتى تأخذ الضرائب والرسوم دورها كرافد حقيقي لموازنات الدولة العامة، كما يجب مراعاة مستويات الدخول في هذا النظام الضريبي فإذا كان دخل الفرد متواضعاً بالكاد يكفي لسد حاجاته الضرورية فالضريبة المباشرة عندئذ لا تشملته حتى لا تزيد من اضعاف قدراته الاستهلاكية لسد حاجاته الاساسية اللازمة لاستمراره في العمل والانتاج^{٥٣}.

كما يمكن تفعيل الكثير من المزايا والقدرات التي يمتلكها العراق وفق استراتيجية تنموية معاصرة تتلافى الاخطاء السابقة وتستوعب طرق الاصلاح الاقتصادي الحديثة عبر تفعيل دور القطاعات الانتاجية المختلفة وتطوير دور المشاريع الصغيرة والمتوسطة التي تعتمد على بعض الميزات

^{٥٢}- حيدر كاظم مهدي، انخفاض اسعار النفط والاجراءات اللازمة لتقليل تأثيرها على الموازنة العامة في العراق، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة القادسية، ٢٠١٥، العدد ١، المجلد ٥، ص ١١٧.

^{٥٣}- المصدر السابق , ص ٩٤

النسبية التي يمتلكها العراق سواء التي تعتمد على التنوع المناخي او التي تعتمد على تنوع
الاذواق والتفضيلات او الحاجات المتزايدة للسوق العراقية كالصناعات الغذائية والانشائية^{٥٤}.

كذلك يسهم تعزيز دور القطاع الخاص في مواجهة تقلبات اسعار النفط اذ ان الدعوة لتفعيل
اقتصاد السوق وتطوير مؤسساته لزيادة الانتفاع من موارد البلاد الاقتصادية الطبيعية منها
والبشرية تحتم العمل على اطلاق الحرية لنشاط القطاع الخاص الاستثماري والانتاجي مع
مراعاة تقليص دور الدولة الاقتصادي في حدود توفير المناخ الاستثماري الملائم لنشاط القطاع
الخاص وتنظيم المنافسة والتوازنات الاقتصادية الكلية واقامة مشاريع البنية الاساسية لتعزيز
القطاع الخاص^{٥٥}.

الاستنتاجات والتوصيات

اولا : الاستنتاجات .

١ - ان التذبذب صعودا ونزولا في اسعار النفط باعتباره احد انواع الطاقة الاحفورية ظاهرة
مستمرة اثبتتها وقائع السوق الدولية للطاقة ولا يمكن تجاوز هذه الحقيقة .

٢ - مثل النفط احد اهم مصادر الدخل لبعض البلدان المصدرة للنفط منذ فترة اكتشافه ولحد
الان في حين مثل مصدر الدخل الوحيد لدول اخرى بشكل افصى الى ارتهان اقتصادات الدول
المنتجة بشكل كبير بطبيعة تقلبات اسعار النفط على المستوى الدولي .

٣ - تعتمد اسعار النفط على جملة عوامل تتحكم في ارتفاعه او انخفاضه يرتبط جانب منها
بالنمو الاقتصادي العالمي وحجم الطلب وطبيعة الازمات الدولية في حين يرتبط الجانب الاخر
بمستويات الانتاج وطبيعة العوامل الامنية والسياسية في مناطق الانتاج .

٤- تعد دول منطقة الخليج العربي اكثر دول العالم اعتمادا على النفط في تكوين ناتجها المحلي
الاجمالي وتمويل الموازنة العامة للدولة واي تغيير في سعر النفط يؤثر بشكل كبير على
اقتصادات هذه الدول سواء كان ارتفاعا او انخفاضاً .

٥ - في الوقت الذي ساهمت فيه الايرادات النفطية في تحديث البنى التحتية ورشد عمليات
التنمية بوسائل قوة وزيادة مستوى الرفاهية الاقتصادية لدول الانتاج النفطي غير انه ساهم

^{٥٤}- سكتة جبهة فرج، نعيم صباح جراح، أثر تقلبات أسعار النفط العالمية في العوائد النفطية في
الاقتصاد العراقي للمدة (٢٠٠٣_٢٠١٦)، مجلة الاقتصاد الخليجي، جامعة البصرة، ٢٠١٨،
العدد ٣٥، المجلد ٣٤، ص ٧٨

^{٥٥}- حيدر كاظم مهدي، مصدر سابق، ص ١١٨

بنفس الوقت بتكريس الحالة الريعية لهذه الاقتصادات واجهض دوافع تنويع مصادر الدخل في حالات معينة واضعف مهمة التركيز على قطاعات الصناعة والزراعة والسياحة كقطاعات اساسية مكونة للدخل .

٦- يعد العراق من اكثر الدول المصدرة للنفط اعتمادا على الايرادات النفطية حيث تشكل نسبة ٩٥ % من ميزانيته العامة ويعتمد الاقتصاد العراقي على النفط بشكل مطلق في تمويل النفقات العامة .

٧ - ان الاعتماد شبه المطلق للاقتصاد العراقي على الايرادات النفطية مثل تهديد حقيقي للاقتصاد العراقي منذ عقود خلت ولا يزال , ففي الوقت الذي مثل فيه النفط فرصة للاقتصاد العراقي عبر التمويل الكبير للقيام بمشاريع كبرى فانه مثل تحدي كبير عبر تكريس نمط الربيع واقصاء القطاعات الاساسية كالصناعة والزراعة من مهمة النهوض بالتنمية الاقتصادية عبر تشبيط حوافز تنويع مصادر الدخل .

٨ - في الوقت الذي الحق فيه موجات انخفاض اسعار النفط اضرار كبيرة بالاقتصاد العراقي فأنها مثلت فرصة جيدة لو تم استثمارها للشروع الجدي بعملية تنويع وطني لمصادر الدخل في الاقتصاد وانهاء التبعية والارتهان للإيرادات النفطية .

ثانيا : التوصيات :

١ - يجب على صناع القرار في الدول المصدرة للنفط ان يدركوا ان الايرادات النفطية وان كانت ولا تزال تمثل فرصة كبيرة للتنمية والتحديث وتمويل النشاطات الاستثمارية الكبرى فأنها تمثل تهديد حقيقي لمستقبل هذه الاقتصادات ما دامت تواجه بين فترة واخرى خطر الصدمات والانهيئات السعريية واحتمال تغير نموذج الانتاج العالمي الذي يعني تغير نوع الطاقة المستخدم .

٢ - في الوقت الذي تتبع بعض الدول المعتمدة على الايرادات النفطية استراتيجيات حقيقية لتنويع مصادر الدخل والاستثمارات كما هو الحال في الامارات وايران والسعودية فأن العراق لا يزال يفتقد لأي استراتيجية حقيقية ولا اجراءات عملية لتقليل الاعتماد على النفط وتنويع مصادر الدخل الاخرى .

٣ - ان تذبذب اسعار النفط لا سيما في فترات انخفاض الاسعار في الوقت الذي يعتمد فيه العراق بشكل مفرط على الصادرات النفطية يمثل تهديد حقيقي ومزمن للاقتصاد العراقي يمكن ان يهدد حياة وكرامة ملايين العراقيين في المستقبل القريب في حال عدم وضع حلول استراتيجية حقيقية لكسر نمطية الاقتصاد احادي الجانب الذي يمتاز به الاقتصاد العراقي .

٤ - ان اي عملية تنمية حقيقية لا يمكن ان تنجح اذا ما استمرت معتمدة على قطاع اقتصادي واحد بالأخص اذا كان قطاع ريعي كالنفط ولا بد من تفعيل القطاع الصناعي باعتباره قطاع قائد وماكنة للنمو فضلا عن القطاع الزراعي وباقي القطاعات الاستراتيجية المهمة .

جيوبولتيك الطاقة والصراع على الغاز الطبيعي في العالم

ميران حسين – مدرس

جامعة السليمانية – كلية العلوم الانسانية

المخلص :

يعد الغاز الطبيعي من مصادر الطاقة الواعدة في العالم بسبب ازدياد الطلب العالمي على الغاز الطبيعي باعتباره من المصادر النظيفة للطاقة ، فان الغاز الطبيعي اصبح من المصادر الاساسية للطاقة في العالم بسبب زيادة اعتماد الدول الكبرى وخاصة المتقدمة على استهلاك الغاز الطبيعي مقارنة بالمصادر الاخرى مثل النفط والطاقة النووية بسبب الميزات التي تميز الغاز الطبيعي مقارنة بالمصادر الطاقة الاخرى.

ان ازدياد الطلب على الغاز الطبيعي على المستوى العالمي خلق صراع جديد على هذا المصدر، فقد اصبح التنافس للسيطرة على الغاز الطبيعي من حيث الانتاج والاستهلاك من الامور التي ادت الى اشعال توترات وصراعات وتحالفات على مستوى العالم بهدف السيطرة على هذا المصدر من مصادر الطاقة .

وان المتتبع للشان العالمي يلاحظ ازياذ وتيرة هذه التنافس المحموم على الغاز الطبيعي على المستوى العالمي وبروز قوى دولية واقليمية جديدة تدير هذه الصراعات وتشارك فيها بهدف السيطرة والهيمنة على مصادر واسواق الغاز الطبيعي في العالم.

فاكتشافات الغاز الطبيعي ابرزت تحالفات دولية جديدة في المنطقة على المستوى الاقليمي والدولي وتهدف كل منها تحقيق اهداف اقتصادية وسياسية واستراتيجية خاصة وتسعى من خلالها تحقيق مكتسبات لهذه القوى.

فبالاضافة الى كون الغاز الطبيعي مصدر من مصادر الطاقة في العالم اصبح محدد من محددات الصراع العالمي ،وابرز خريطة جديدة من التحالفات الدولية على مستوى العالم ،وان هذه الصراعات ربما ستؤدي الى مخرجات ستؤثر على الامن العالمي .

فالصراع على الغاز الطبيعي ربما سيؤدي الى انقسام عالمي جديد والى صراع بين الدول المنتجة والمستهلكة للغاز الطبيعي،ومن المحتمل ان يكون القرن الحالي هو قرن الصراع على الغاز بعد افول عصر النفط .

اقسام البحث

المبحث الاول : الغاز الطبيعي في العالم

المبحث الصراع على الغاز الطبيعي من مصدر للطاقة الى محدد للصراع العالمي

المبحث الثالث: رؤية استشرافية لمستقبل الغاز في العالم

الكلمات المفتاحية (الغاز الطبيعي – الطاقة – النفط – السوق العالمية – الصراع الدولي)

المبحث الاول :

اهمية الغاز الطبيعي كمصدر من مصادر الطاقة

لقد حصلت زيادة كبيرة في الطلب العالمي على الغاز الطبيعي وتوسعت استخداماته وخصوصاً في العقد الاخير في القرن الماضي نتيجة للتطور التكنولوجي الذي أفضى إلى انخفاض تكاليف إنتاجه وتصديره ، واستخدامه في توليد الطاقة ورفع كفاءتها وخفض تكاليف الانتاج وانسجاماً مع القوانين البيئية المشجعة على استخدامها كونها مصدر نظيف للطاقة.

إن من أسباب تشجيع تجارة الغاز الطبيعي وفرة الاحتياطات المؤكدة التي شجعت البلدان الصناعية المستهلكة الرئيسية شركاتها على الاستثمار في مشاريع صناعة الغاز الطبيعي بهدف تقليل الاعتماد على النفط الخام كمصدر أساسي للطاقة..

فقد أدت التطورات التكنولوجية في استخراج الغاز الطبيعي وتصديره وتعدد استخداماته ، إلى أن يصبح من مصادر الطاقة الرئيسية في العالم مما دفع بالعديد من البلدان إلى العمل على استكشاف حقول غاز جديدة واستثمار الغاز الطبيعي المصاحب بأفضل الطرائق التقنية لتعزيز الانتاج. إذ دفعت الاتجاهات العالمية للبحث عن طاقة غير ملوثة للبيئة وذات كفاءة عالية بديلة للطاقة التقليدية للحفاظ على البيئة مما سمح للغاز الطبيعي أن يؤدي دور أساسي في سياسة الطاقة نتيجة للخصائص التي يتمتع بها.

إن الاهتمام المتزايد بالغاز الطبيعي أدى إلى تطوير تكنولوجيا متطورة لعمليات الاستكشاف والانتاج إضافة احتياطات جديدة ومن ثم زيادة الانتاج وتقليل التكاليف إذ أدت هذه التطورات إلى رفع معدلات الاحتياطي العالمي.

وتتنوع تكنولوجيا استكشاف الغاز الطبيعي بين عدة تقنيات تمكن من الحصول على المعلومات الجيوفيزيائية للتركيبات الجيولوجية ومن خلال تحليل تلك المعلومات تم تحديد مواقع الابار الاستكشافية ثم تنقيبها^١

^١ امجد صباح عبد العالي ، صناعة الغاز الطبيعي في العراق: الاتجاهات الحالية والمستقبلية للمدة ٢٠٠٠-٢٠٢٠

٢٠٢٠، جامعة البصرة - كلية الادارة والاقتصاد، بدون سنة ، ص ٢٤-٢٥

والإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي بلغ في عام ٢٠٢٠ كمية ٣,٨ تريليونات متر مكعب، وأن نصيب الدول العربية من إنتاج الغاز في العام نفسه بلغ ٥٨٤ مليار متر مكعب، وأن إنتاج منظمة أوبك الإجمالي بلغ ٣٢٤,٥ مليار متر مكعب.

وان اكبر منتج للغاز الطبيعي هي أميركا تتربع على صدارة قائمة الدول المنتجة، بنحو ٩١٤ مليار متر مكعب، وروسيا ثانياً بحصة ٦٣٨ مليار متر مكعب والصين ثالثة بـ ١٩٤ مليار متر مكعب. قطر رابعة بـ ١٧١ مليار متر مكعب، ثم كندا بـ ١٦٥ مليار متر مكعب. السعودية بـ ١١٢ مليار متر مكعب. النرويج بـ ١١١ مليار متر مكعب.

أما بالنسبة للاحتياطيات، فيبلغ الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي ٢٠٥ تريليونات متر، نصيب الدول العربية من تلك الاحتياطيات ٥٤,٤ تريليون متر مكعب، أما أوبك فليها احتياطيات من الغاز تقدر بـ ٧٣,١ تريليون متر.

وتحل روسيا في المقدمة بحصة ٤٧,٢ تريليون متر مكعب، وإيران ولديها احتياطيات تبلغ ٣٤ تريليون متر مكعب، ثم قطر ٢٣,٨ تريليون متر مكعب، وأميركا بـ ١٢,٨ تريليون متر مكعب، ثم الصين بـ ٦,٥ تريليونات متر مكعب^٢.

بالمقابل نجد أن الدول المتقدمة والصناعية، مثل أمريكا ودول غرب أوروبا واليابان، تستخدم كميات كبيرة من الغاز الطبيعي، لكنها لا تملك إلا كميات متواضعة من إحتياطي هذه المادة ومن الناحية الأخرى، فإن روسيا وبعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وعددا كبيرة من البلدان النامية والمنتجة للغاز، مثل الجزائر والمملكة العربية السعودية وإيران ونيجيريا والعراق والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر وليبيا وفنزويلا تمتلك من الغاز الطبيعي ما يفوق حاجاتها الحالية وتوقعاتها المستقبلية للإستهلاك ولذا نجد أن معظم تركيز الدول المنتجة للغاز الطبيعي قد إحدث تغيير جذري في سياسات الإنتاج والتصدير حيث أعطت هذه الدول الأولوية لتلبية إحتياجات السوق المحلية من الغاز وتوطين بعض الصناعات سواء الغازية كإنتاج السوائل أو المعتمدة على الغاز كمادة أولية، بينما المتبقي يوجه للسوق الخارجي^٣

وبلغ متوسط معدل النمو السنوي ١٦% للمدة ٢٠٠٠-٢٠١٠ تليها كل من إيران التي ارتفع فيها حجم الإنتاج من ٦٠,٢ مليار متر مكعب سنة ٢٠٠٠ إلى ١٣٨,٥ مليار متر مكعب سنة ٢٠١٠ وبمتوسط نمو سنوي ٩% للمدة ٢٠٠٠-٢٠١٠، ثم روسيا التي ارتفع فيها حجم الإنتاج من ٥٢٨,٥ مليار متر مكعب سنة ٢٠٠٠ إلى ٥٨٨,٩ مليار متر مكعب سنة ٢٠١٠ وبمتوسط معدل نمو سنوي ٧% للمدة نفسها^٤.

^٢ الجزيرة ، تعرف على سوق الغاز في العالم.. من الإنتاج إلى الاستهلاك،

www.aljazeera.net/ebusiness/2022/2/21 تم مشاهدتها بتاريخ ٧-٥-٢٠٢٢

^٣يسرى محمد ابو العلا، نظرية البترول، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٨، ص ١٦٦.

^٤أمجد صباح عبد العالي، المصدر السابق، ص ٢٧

المبحث الثاني

الصراعات الجيوبولتيكية على الغاز الطبيعي

مع بروز أهمية الغاز الطبيعي كمصدر أساسي للطاقة برزت العديد من الصراعات السياسية بين الدول والقوى الإقليمية والدولية على الغاز الطبيعي وكان للغاز الطبيعي دورا كبيرا والاساسي لها .

حيث برز خلال العقد الاخير العديد من الصراعات والازمات بين الدول بسبب الغاز الطبيعي وادت احيانا الى اشعال فتيل الخلافات بين العديد من الدول وادت احيانا الى التقريب بين جهات نظر الدول ، وبناء ائتلاف اقتصادية وسياسية واستراتيجية بين الدول، فالصراع على الغاز الطبيعي وخطوط نقل الغاز الطبيعي والصراع على الاسواق ابرز حالة من التنافس الكبير بين الدول المنتجة وبين الدول المستهلكة وادت الى ظهور صراعات كبيرة بين الدول

١- الصراع حول غاز شرق المتوسط

واثارت الاستكشافات الغازية في حوض شرق المتوسط من قبل اسرائيل وقبرص مشاكل كبيرة ومعقدة بين كل من تركيا واليونان وقبرص واسرائيل ومصر، وساهمت كل من فرنسا وروسيا والاتحاد الاوربي والصين وامريكا بشكل غير مباشر في الصراع، ومن المحتمل ان يؤدي تنفيذ مشروع نقل الغاز المنتج في شرق المتوسط الى اوربا الى انفجار صراع اقليمي بين الاطراف المتصارعة بسبب تضارب المصالح الدولية والإقليمية^٥.

حيث ان هذه الاستكشافات الغازية خلقت حالة من الصراع بين كل من اسرائيل واليونان وقبرص ومصر من جهة وتركيا من جهة اخرى حول ملكية الحقول الغازية وترسيم الحدود البحرية في منطقة الشرق الاوسط، بدعم وتأييد من الدول الكبرى لكلا المعسكرين .

وان كل من مصر وقبرص واليونان واسرائيل قاموا على اثر هذه الاستكشافات بترسيم حدودهم البحرية والاتفاق على التعاون والتنسيق فيما بينهم فيما يخص التنسيق والتعاون في مجال تصدير واستكشاف الغاز الطبيعي وترسيم الحدود البحرية فيما بينهم .

ومن المقرر انشاء خط انابيب ميد ايست من الشرق المتوسط يربط حقول الغاز من شرق المتوسط باتجاه اوربا يقوم بتصدير الغاز المنتج في هذه الحقول الى اوربا طوله ١٩٠٠ كم تحت الماء، ويقوم بنقل الغاز الطبيعي من اسرائيل وقبرص الى جزيرة كريت اليونانية ومنها باتجاه

^٥ ميران حسين ، الدور الروسي في الصراع الدولي في شرق المتوسط ، بحث منشور في ملتقى الصراع على الطاقة والغاز في شرق المتوسط بين العسكرية والدبلوماسية ، الجزائر ، ٢٠٢١، ص ٤-٥-٦

إيطاليا، وبماكانها سنويا ان تقوم بنقل ١٠-١٢ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا^٦، وان ذلك يهدد المصالح التركية والروسية، مما دفع بتركيا الى عقد اتفاقية لترسيم الحدود البحرية مع ليبيا لمنع تنفيذ المشروع^٧.

٢- مشروع نابوكو

مشروع نابوكو هو من المشاريع الاقتصادية والتي كانت تهدف الى نقل الغاز الطبيعي من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة في آسيا الوسطى وايران وكوردستان العراق باتجاه تركيا من ثم تصديرها الى اوربا.

وان المشروع قد قطع خطوات كبيرة لتنفيذه الا انه المشروع تم افشاله من قبل روسيا كون ان هذا المشروع كان يهدد المصالح الروسية بسبب انه كان يعمل على تقليل اعتماد اوربا على الغاز الطبيعي الروسي .

حيث قامت روسيا بمنع تنفيذ المشروع عن طريق ممارسة ضغوط سياسية واقتصادية على دول آسيا الوسطى والشرق الاوسط لمنع تنفيذ المشروع وافشاله وتمكنت من ذلك^٨.

٣- صراع روسي امريكي حول امدادات الغاز الى اوربا

هنالك مساعي اوربية وامريكية لتقليص حجم الاعتماد الاوربي على الغاز الروسي بسبب ان اعتماد اوربا بنسبة ٤٠% على الغاز الروسي ادى الى ممارسة ضغوط سياسية من قبل روسيا على الاتحاد الاوربي وان امريكا والاتحاد الاوربي يسعيان الى تقليل هذه الاعتماد على الغاز الروسي.

وقد قامت روسيا بانشاء عدد من خطوط نقل الغاز الطبيعي باتجاه اوربا من بينها وعددها ١٣ خط لنقل الغاز الطبيعي الى اوربا وهي (خط نورد ستريم ١ ، نورد ستريم ٢ ، خط ساوث ستريم،

^٦ بهروز جعفر، الغاز الطبيعي في كردستان بعد اعلان مشروع شرق البحر المتوسط، مركز ميدتيране للدراسات الاقليمية، ٢٠٢٠، ص ٣

^٧ ميران حسين ، جيوبولتيك الطاقة والصراع الدولي في شرق المتوسط ، بحث مقدم في مؤتمر جيوتونس ٢٠٢١، ص ١١

^٨ ميران حسين، جيوبولتيك خطوط نقل الطاقة ودور اقليم كردستان، بحث منشور في مجلة مؤتمر جامعة تيشك، ٢٠١٩، ص ٦٣٣

نورد يوروباشي، اوبال، يامال اوربا، سويوز، برذرهود، بلوستريم، روسيان كازويست
بايبلاين، ئيسترينك بايبلاين، خط تركش ستريم، تاناب)^٩.

تهدف استراتيجية الطاقة التي تتبناها روسيا في الخارج دائماً إلى الحفاظ على اعتماد أوروبا على
إمدادات الطاقة الروسية وزيادة حجم هذا الاعتماد. وهذا من شأنه أن يساعد على زيادة نفوذها
الاقتصادي والجغرافي السياسي، وكذلك تخفيض حجم المخاطر التي تهدد أمنها القومي.

من جهة أخرى ان المشاكل بين روسيا واوكرانيا كان سببها ان اوكرانيا عرقلت تنفيذ مشروع
ساوث ستريم والذي كان يهدف الى تصدير جزء من الغاز الطبيعي الروسي الى جنوب اوربا
عبر اوكرانيا، وان الازمة الاوكرانية عرقلت هذا المشروع.

ومن جهة اخرى هدد الرئيس البيلاروسي اليكسندر لوكشينكو ان بلاده ستقوم بقطع خطوط الغاز
الروسية والتي تمر عبر بلاده في حال استمرار العقوبات الاوربية على بلاده وان ذلك في حال
تنفيذه فان اوربا ستواجه ازمة في امدادات الطاقة^{١٠}

المبحث الثالث

رؤية استشرافية حول مستقبل الغاز الطبيعي في العالم

اولاً : الجانب الطاقوي:

لقد تزايد مستوى الطلب على الغاز الطبيعي في السنوات القليلة القادمة وبشكل متصاعد وخاصة
في الدول المتقدمة بسبب ميزاته التي تجعله من مصادر الطاقة الممتازة والتي تؤهله لكي يكون
من مصادر الطاقة الرئيسية في سوق الطاقة العالمية.

فمن حيث الجانب البيئي يتميز الغاز بمميزات عديدة على سائر مصادر الطاقة الاحفورية
ما يجعله يحظى بميزة تنافسية ومن هذه المميزات :

١- يتميز الغاز بسرعة الاشتعال والنظافة وضآلة ما يساهم به في تلويث البيئة ويعتبر
وقوداً مثالياً من الناحية البيئية وبخاصة في الاستعمالات المنزلية.

^٩ موقع برلين اثينا، <http://berlin-athens.eu/a-network-of-power-gas-pipelines-of-the-european-continent-infographics>

تم مشاهدته بتاريخ ١٣-١١-٢٠٢١ بعنوان A Network of Power: Gas Pipelines of the (European Continent) (Infographics)

^{١٠} موقع بي بي سي العربية ، بيلاروسيا تهدد بقطع إمدادات الغاز عن الاتحاد الأوروبي على خلفية أزمة
المهاجرين، <https://www.bbc.com/arabic/world-59252446> تم مشاهدته بتاريخ ١٣-١١-٢٠٢١

٢- ما يطلقه الغاز الطبيعي من الكربون لا يتجاوز (٦٣,٠) طن كربون عند الاشتعال بالمقابل النفط يطلق ٨٢,٠ طن كربون بينما يطلق الفحم 133 طن كربون، وينتج عن كل طن كربون عند انطلاقة الى الغلاف الجوي نحو 667.3 طن من غاز ثاني اكسيد الكربون CO_2 بذلك لايتجاوز التلوث بالغاز الطبيعي ٦٠ % مما يناظره من التلوث بالفحم.

٣- يدخل الغاز في توليد الطاقة الكهربائية وكوقود للسيارات أذ تضافرت الجهود في صناعتي الغاز والسيارات لتوسيع نطاق أستعماله في قطاع النقل العام وفي نقل البضائع لمسافات قصيرة.

٤- لا يحتاج الغاز لعمليات تحويلية قبل أستخدامه مثل تحويل النفط الخام الى منتجات مكررة وفي ذلك حماية للبيئة من التلوث المرتبط بعمليات تكرير النفط.

٥- أن الغاز في أحتراقه يولد نسبة ضئيلة من ثاني أوكسيد الكبريت وأكاسيد النتروجين ويعود تفضيل الغاز الى محدودية نسبة الكربون فيه فمؤشر أنبعاث ثاني أوكسيد الكربون لكل وحدة من وحدات الطاقة يصل في الفحم الحجري الى (١٠٠%)، والنفط (٧١%) والغاز (٥٧%)^{١١}.

وان اهمية الغاز الطبيعي لا تقتصر على فقط على الاجانب البيئي وانما هنالك العديد من الاسباب المتعددة والتي تؤدي الى زيادة الاعتماد على الغاز الطبيعي منها

١- التطورات التكنولوجية في استخدام الغاز الطبيعي وبالأخص في مجال توليد الطاقة الكهربائية ، إذ زادت كفاءة التوليد بنسبة ٦٠% عن الوقود التقليدي ، فضلا عن تقنية تحويل الغاز إلى سوائل GTL التي قدمت العديد من المنتجات الهيدروكربونية ذات الكفاءة العالية في استخدامها كوقود ومادة أولية للعديد من الصناعات في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD للأغراض التدفئة وفي قطاع النقل ومحطات تحلية المياه.

٢- انخفاض كمية الملوثات الناجمة عن استخدامه قياسا بالوقود التقليدي ، مما يستجيب للاتجاهات العالمية في الحفاظ على البيئة نتيجة اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية للتغير المناخي وبروتوكول كيوتو.

٣- إن تطور تكنولوجيا صناعة الغاز الطبيعي ، أدى إلى الاهتمام بزيادة إنتاجه ابتداء من مشاريع تسييله ثم تصديره وتحويله لمشتقات هيدروكربونية مشابهة لمشتقات النفط الخام التقليدية. ثالثا: الاستهلاك العالمي من الغاز الطبيعي

٤- الزيادة في معدلات نمو الاقتصاد العالمي.

٥- الأسعار المرتفعة للنفط مقابل الأسعار المنخفضة نسبياً للغاز الطبيعي.

٦- الاتجاهات العالمية للحفاظ على مصادر الطاقة وتحسين كفاءتها^{١٢}.

^{١١} بان علي حسين المشهداني، الآفاق المستقبلية للغاز الطبيعي في سوق الطاقة العالمية مع إشارة خاصة إلى

دولة قطر، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، ٢٠١٤، ص ١٣٢-١٣٣

^{١٢} امجد صباح عبد العالي، المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨

وان هذه المميزات جعلت من الغاز الطبيعي وقود القرن الحالي والقرن القادم وخاصة في الدول الغربية والمتقدمة التي تمارس ضغوطا على حكوماتها من اجل استخدام الطاقة النظيفة وتقليل انبعاثات غاز ثاني اوكسيد الكربون مع تزايد مشاكل التغير المناخي في العالم وتزامن مع ان استخدام الطاقة المتجددة مثل الرياح والطاقة الشمسية وغيرها من المصادر لم تحقق الغاية المرجوة منها، وان مصادر الطاقة الهيدروكربونية لاتزال من المصادر الاساسية للطاقة، حيث يرى معهد النفط الأميركي أن الغاز الطبيعي والنفط هما مصدرا الطاقة الرائدة حول العالم في الحاضر والمستقبل.

وتتوقع إدارة معلومات الطاقة الأميركية في تقرير آفاق الطاقة عالمياً والصادرة في شهر اكتوبر ٢٠٢١ أن الغاز الطبيعي والنفط سيوفران ما يقرب من ٥٠% من الطلب على الطاقة بحلول منتصف القرن الحالي، مقارنة بـ ٥٤,٧% حالياً^{١٣}.

لقد اثبت الغاز الطبيعي قدرته العالية في احتلال مكانة متقدمة بين مصادر الطاقة وقدم منافسة قوية في تلبية متطلبات البلدان الصناعية في إيجاد مصدر نظيف للطاقة وذي كفاءة عالية فضلا عن خفض تكاليف الإنتاج ، إذ شكلت الأسعار عنصرا مهما في تحديد حجم الاستهلاك العالمي ، فالغاز الطبيعي يتوافر بأسعار تنافسية ومقبولة وبكميات إنتاج مرتفعة ، مما جعل من حصته تتوسع في السوق العالمية بين مصادر الطاقة ، إذ يعد توليد الطاقة الكهربائية مصدرا رئيسا للطلب على الغاز الطبيعي.

وفي بلدان الاتحاد الأوروبي في المملكة المتحدة وإيطاليا وإسبانيا ، أصبحت المحطات التي تستخدمه لتوليد الكهرباء تشكل نسبة ٢٠% من الكهرباء التي يتم انتاجها في الاتحاد الأوروبي ، فضلا عن استهلاكه في القطاع المنزلي والصناعي الذي يزداد سنوية بصورة تدريجية ومتواصلة متأثرة بالظروف المناخية الباردة التي تعيشها بلدان الاتحاد الأوروبي خلال فصل الشتاء^{١٤}.

واشارت تحليلات وتوقعات لشركة اكسون موبيل العالمية المتخصصة في مجال الطاقة أن يزداد الطلب على الطاقة عالميا بنسبة ٣٥%، وإن معظم نمو الطلب يتأتى من آسيا والمتوقع إستخدامها نحو ٤٥ % من الطاقة في العالم عام ٢٠٤٠، وفيما يتعلق بالغاز كمورد مهم من الطاقة ومورد رئيس في قطاع الكهرباء والصناعة، فإنه يتوقع أن ينمو الطلب عليه بشكل سريع من ٢/٩ مليار طن مكافئ نفطي عام ٢٠١٠ إلى

٤,٧ مليار طن مكافئ نفطي عام ٢٠٤٠، وبمتوسط نمو يصل الى نحو ١,٧ % نتيجة توقع استخدام الغاز لتوليد الطاقة الكهربائية والأنشطة الصناعية مستقبلا^{١٥}، أي أن الطلب على الغاز سيزداد الى نحو ٦٠% من مصادر الطاقة بحلول عام ٢٠٤٠، يساعده في ذلك زيادة حدة

^{١٣} موقع الطاقة ، الغاز الطبيعي والنفط يؤديان دوراً قيادياً في تلبية الاستهلاك المتزايد للطاقة في الحاضر والمستقبل <https://attaqa.net/2021/10/17> تم مشاهدته بتاريخ ٧-٥-٢٠٢٢

^{١٤} امجد صباح عبد العالي، المصدر السابق، ص ٢٩

^{١٥} د.فهد التركي، جدوى الاستثمار - مستقبل انتاج النفط والغاز من المصادر الغير التقليدية ، الرياض

٢٠١٣، ص ٦-٨

التشريعات البيئية وتشريع قوانين مقايضة الكربون وزيادة الضرائب على مصادر الطاقة الأخرى، بما فيها الفحم، فضلا عن إضمحلال دور الطاقة النووية كمصدر لتوليد الطاقة الكهربائية.^{١٦}

ان الطلب على الطاقة سوف يزداد بنسبة ٥١% عام ٢٠٣٠ بجانب توقع انخفاض نصيب النفط ان الطلب على الطاقة سوف يزداد بنسبة ٥١% عام ٢٠٣٠ بجانب توقع انخفاض نصيب النفط من الطاقة من ٣٤% عام ٢٠١٠ إلى ٢٨% عام ٢٠٣٠. وان استخدام الغاز الطبيعي سيرتفع إلى نسبة ٢٥%

من استخدامات الطاقة، وإن انتاج الغاز السائل سيصل إلى نحو ٣٥ الف طن في اليوم في حين يصل الاستهلاك المحلي الى ٨ الف طن في اليوم وتوفر ٢٧ الف طن باليوم للتصدير^{١٧}

واعتمادا على ما جاء في التوقعات المشار اليها ، فمن المتوقع أن ينمو الطلب العالمي على الغاز الطبيعي بشكل كبير لاسيما في أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا، وسيصبح الغاز الطبيعي المسال من الإمدادات اللازمة لتلبية نمو الطلب بحلول عام ٢٠٣٠ وما بعدها ، خصوصا وان العالم مقبل على نهضة حقيقة في صناعة الغاز ناهيك عن تنامي الطلب عليه كمصدر آمن ونظيف للطاقة، وفي إطار سيناريو السياسات الجديدة يتوقع أن يظل الطلب على الغاز الطبيعي في قطاع توليد الطاقة هو المحرك الرئيس لزيادة الطلب العالمي عليه، وان الطلب عليه سيرتفع من حوالي ١٣٥٠ مليار مكعب اي مايعادل ٤٠,٢ من إجمالي الطلب العالمي على الغاز الطبيعي في عام ٢٠١١ ليصل الى حوالي ١٩٢٤ مليار متر مكعب، أي ما يعادل ٣٨٠,٧ من إجمالي الطلب العالمي على الغاز الطبيعي في عام ٢٠٣٠ وبمعدل نمو سنوي مقداره ١,٥ % خلال المدة (٢٠١١-٢٠٣٥)، ويعزى ذلك إلى عدد من المزايا التي تجعله كوقود مفضل لدى المستثمرين وصانعي السياسات)، فضلا عن إن التحديات والعقبات التي تواجه مصادر الطاقة الأخرى كالانبعاثات الحرارية للفحم والنفط ، تعد فرصة في صالح الغاز الطبيعي^{١٨}

ثانيا الجانب السياسي والدولي

من خلال النظر لمشاريع الغاز الطبيعي على المستوى العالمي والصراعات العالمية حول الطاقة في الوقت الحاضر يتبين لنا وجود صراع دولي كبير حول الغاز الطبيعي على المستوى العالمي وخاصة بين محورين:-

- المحور الروسي: والذي يضم بالإضافة الى روسيا كل من الصين وايران وعدد من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة والمتحالفة مع روسيا.
- المحور الأمريكي- الاوربي: والذي يضم عدد من دول الخليج العربي واسرائيل وتركيا.

^{١٦} خالد قاسم بويش، استثمار الغاز الطبيعي في العراق الواقع والافاق المستقبلية ،رسالة ماجستير،جامعة

القادسية ،٢٠١٧،ص١٠٩

^{١٧} بان علي حسين المشهداني، مصدر سابق ، ص١٣٩.

^{١٨} خالد قاسم بويش ،مصدر سابق ،ص١٠٩-١١٠

على الرغم من ان الغاز الطبيعي ليس هو السبب الوحيد لانقسام العالم الى محورين وهنالك اسباب اخرى كثيرة ومتعددة ادت الى هذا الانقسام الا ان الغاز الطبيعي اصبح وبدون اي شكل سببا في ذلك ،حيث ان هذا الانقسام ادى الى اعادة تشكيل التحالفات الدولية الى مايشبه الاوضاع التي كانت موجودة قبل سقوط جدار برلين وانهار الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة والقطبية الثنائية في العالم.

حيث ان الصراع على الغاز الطبيعي ادى انقسام عالمي حول الغاز الطبيعي ومصادره واسواقه وطرق نقله بين محورين متعارضين وكل منهما يسعى الى السيطرة على اسواق الغاز الطبيعي لاهداف اقتصادية وسياسية واستراتيجية.

حيث ان المحور الامريكي والاوربي يسعى الى تأمين الغاز الطبيعي للدول الاوربية بدرجة اولى والتي تعتمد بنسبة ٤٠% على الغاز الروسي مما جعلت روسيا تمارس ضغط كبير على الدول الاوربية وهذا مابرز في مواقف الدول الاوربية خلال الازمة الاوكرانية^{١٩}.

فعلى الرغم من مواقف الدول الاوربية الراضية للحملة العسكرية الروسية على اوكرانيا الا انها لم تتمكن من ايقاف واردات الغاز الطبيعي الروسية والتي تشكل من اعمدة الاقتصاد الروسي، وان هذه الدول رضخت للشروط الروسية في دفع اقيام الغاز الطبيعي بالروبل الروسي مما حقق قوة للاقتصاد الروسي^{٢٠}.

من جانب آخر ان هنالك رغبة من قبل المحور الامريكي والاوربي السيطرة على اسواق الغاز الطبيعي والغمل على زيادة انتاج الغاز الطبيعي في الاسواق العالمية استجابة لزيادة الطلب على الغاز الطبيعي كمصدر من مصادر الطاقة.

من جهة اخرى فان المحور الروسي كان ولايزال يحارب بكل ما اوتي من قوة سياسيا واقتصاديا وعسكريا واستراتيجيا لمنع اي مشاريع غاز جديدة في العالم والمنطقة تقلص من سطوة روسيا على سوق الغاز الطبيعي في العالم، حيث تسعى روسيا الى احتكار سوق الغاز والسيطرة عليه وضمان استمرارية اعتماد الاسواق العالمية بشكل كبير على الغاز الروسي واكبر دليل على ذلك افشال روسيا لمشروع نابوكو ومساعيها لافشال مشروع غاز شرق المتوسط^{٢١}.

^{١٩} تي ار تي عربي، /ألمانيا-لا-يمكننا-الاستغناء-عن-الغاز-الروسي-في-الوقت-الراهن-٨٤٤٥٧١٥

www.trtarabi.com/now تم مشاهدتها بتاريخ ٧-٥-٢٠٢٢

^{٢٠} الاناضول ، ألمانيا والنمسا مستعدتان لدفع ثمن الغاز الروسي بالروبل، /٢٥٧٤٢٢٣

www.aa.com.tr/ar. تم مشاهدتها بتاريخ ٧-٥-٢٠٢٢

^{٢١} ميران حسين ، الدور الروسي في الصراع الدولي في شرق المتوسط ، مصدر سابق، ص ١٤

من جهة ثالثة بالإضافة الى الاصطفاف الدول بين محورين متضادين حول الغاز الطبيعي فان هذا الصراع اثر بشكل كبير على تطبيع العلاقات بين العديد من الدول فتحسن العلاقات التركية مع كل من دول الخليج العربي واسرائيل لا يخلو من تأثيرات الغاز الطبيعي^{٢٢}، كون ان عودة تركيا الى الحظيرة الغربية وابتعادها عن روسيا كان من اسبابها الصراع على الغاز الطبيعي في العالم، بالمقابل ادى الى فتور او عدااء بين كل من تركيا وروسيا في الوقت الذي كانت العلاقات بين الدولتين تشهد تحسن كبير في مختلف المجالات بما فيها مجال الغاز الطبيعي والطاقة .

من جانب آخر انه في ظل هذه الاوضاع في العالم فمن المرجح بروز لاعبين جدد في سوق الغاز الطبيعي من بينهم اسرائيل وقبرص واقليم كردستان العراق، وان ذلك سيفرض اشكاليات اخرى على المستوى الدولي بين كل من اسرائيل وقبرص من جهة مع تركيا من جهة اخرى^{٢٣} وبين الحكومة الاتحادية وحكومة اقليم كردستان من جهة اخرى^{٢٤}.

لذلك نستنتج حدوث مشاكل وصراعات عالمية او اقليمية سببها الغاز الطبيعي فمثلا ادى اكتشاف النفط في القرن الماضي الى حروب وصراعات كبيرة على مستوى العالمي من المتوقع حدوث مشاكل وقلاقل كبيرة بسبب الغاز الطبيعي وان اكبر دليل على ذلك ما يحدث في اوكرانيا، حيث ان هذه المشاكل ستزداد بزيادة الطلب على الغاز الطبيعي على المستوى العالمي ..

النتائج

- ١- هنالك طلب متزايد على الغاز الطبيعي في الاسواق العالمية
- ٢- هنالك زيادة في الاهتمام بالغاز الطبيعي على مستوى العالم
- ٣- هنالك صراع دولي بين الدول في العالم حول الغاز الطبيعي
- ٤- بروز محورين في العالم بسبب الغاز الطبيعي
- ٥- احتمالية حدوث مشاكل وصراعات عالمية بسبب الغاز الطبيعي.

^{٢٢} مؤسسة كارنيغي ، تقارب مفعم بالطاقة؟ <https://carnegie-mec.org/diwan/86595> تم مشاهدتها

بتاريخ ٧-٥-٢٠٢٢

^{٢٣} المصدر السابق، ص٧

^{٢٤} رووداو، مسرور بارزاني: سنصدر الغاز الطبيعي الى أوروبا قريباً،

تم مشاهدتها بتاريخ ٧-٥-٢٠٢٢ <https://www.rudawarabia.net/arabic/kurdistan/280320225>

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

المصادر :

- امجد صباح عبد العالي ، صناعة الغاز الطبيعي في العراق: الاتجاهات الحالية والمستقبلية للمدة ٢٠٠٠-٢٠٢٠، جامعة البصرة – كلية الادارة والاقتصاد، بدون سنة
- بان علي حسين المشهداني، الآفاق المستقبلية للغاز الطبيعي في سوق الطاقة العالمية مع إشارة خاصة إلى دولة قطر، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، ٢٠١٤،
- بهروز جعفر، الغاز الطبيعي في كردستان بعد اعلان مشروع شرق البحر المتوسط ، مركز ميدتيране للدراسات الاقليمية، ٢٠٢٠،
- خالد قاسم بويش، استثمار الغاز الطبيعي في العراق الواقع والافاق المستقبلية، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، ٢٠١٧،
- د.فهد التركي، جدوى الاستثمار – مستقبل انتاج النفط والغاز من المصادر الغير التقليدية ، الرياض، ٢٠١٣،
- ميران حسين ، الدور الروسي في الصراع الدولي في شرق المتوسط ، بحث منشور في ملتقى الصراع على الطاقة والغاز في شرق المتوسط بين العسكرة والدبلوماسية ، الجزائر، ٢٠٢١،
- ميران حسين ، جيوبولتيك الطاقة والصراع الدولي في شرق المتوسط ،بحث مقدم في مؤتمر جيوتونس، ٢٠٢١،
- ميران حسين، جيوبولتيك خطوط نقل الطاقة ودور اقليم كوردستان، بحث منشور في مجلة مؤتمر جامعة تيشك، ٢٠١٩
- يسرى محمد ابو العلا، نظرية البترول، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٨ ،

المواقع الالكترونية

- موقع الاناضول
- موقع الجزيرة
- موقع الطاقة
- موقع برلين اثينا
- موقع بي بي سي
- موقع تي ار تي عربي
- موقع رووداو
- موقع مؤسسة كارنيغي

تأثير السياسة الخارجية القطرية على الفواعل من غير الدول: حركة طالبان أنموذجاً

ا.م. د. عدنان خلف حميد البدراني

كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل

المستخلص

إنّ سياسة قطر الخارجية نجحت في التحول من مرحلة التأثر إلى مرحلة التأثير في القضايا الإقليمية والدولية وذلك بعد انطلاقة ما يسمى بالثورات الربيع العربي، الذي كان بمثابة مرحلة انعطاف في نهج سياستها الناجحة من استخدام أدوات قوتها الناعمة متعددة الأبعاد، اذ عملت على تفعيل دور الوسيط الدولي واستخدام أدوات القوة الناعمة مع الاحتفاظ بانخراطها في التحالفات الدولية لمكافحة أي تهديد يمكن أن يمس أمنها الوطني أو الإقليمي.

Abstract

Qatar's foreign policy succeeded in shifting from the stage of being affected to the stage of being influenced by regional and international issues, after the start of the so-called Arab Spring revolutions, which was a turning point in its successful policy approach from the use of its multidimensional soft power tools, as it worked to activate the role of the international mediator. And the use of soft power tools while retaining its involvement in international alliances to combat any threat that could affect its national or regional security.

مقدمة:

إن الدور الكبير الذي تؤديه قطر في الساحة الاقليمية والدولية، على الرغم من حجمها الصغير وعدد سكانها القليل، يدفعنا الى البحث في سياستها هذه وبيان العلاقة العكسية، ولبيان ذلك لابد من معرفة نبذة عن الدولة القطرية، والذي يمثل تمهيدا لمعرفة الدور المؤثر لها ولكي نتضح هذه السياسة أكثر، من خلال البحث في المحاور التي تنطلق منها سياستها الخارجية وذلك يأتي من خلال معرفة أدوات هذه السياسة، ولكي تكتمل وتتضح معالمها لابد من البحث والدراسة فيها من خلال تتبع علاقاتها الخارجية مع الفواعل الدوليين من الدول وغير الدول.

وأنها بما تملكه من مال ووسائل اعلام فاعلة، التي وظفها صناع القرار السياسي الخارجي القطري لبناء جسور من العلاقات بين قوى اقليمية ودولية، وأن هذه القوى العاملة على الساحة الدولية، شملت فضلاً عن الفواعل من الدول والفواعل من غير الدول لاسيما منها العنيفة مثل جماعة الاخوان المسلمين وحماس وحركة طالبان وغيرها من الجماعات الأخرى، وكل ذلك بهدف تعزيز الأمن القومي القطري، واطهارها على الرغم من صغر حجمها وقلة عدد سكانها دولة فأنها فاعلة ومؤثرة على البيئة الدولية. وسنركز في هذا البحث على حركة طالبان الأفغانية.

أولاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في بيان دور قطر في محيطها الإقليمي والدولي، وذلك لامتلاكها لأهم العوامل والمرتكزات التي مكنتها على الرغم من صغر حجمها من أداء أدوار كبيرة مما جعلها من أهم الفواعل في منطقة الشرق الاوسط وبروزها كمنافس لقوى تقليدية وتأثيرها في المحيطين الإقليمي والدولي.

ثانياً: مشكلة البحث:

هل تستطيع الدولة توظيف (أدوات) السياسة الخارجية للتأثير في الفواعل العنيفة من غير الدول؟ وينطلق من التساؤل الرئيس عدة أسئلة فرعية هي:

- ١- ما هو شكل الدولة القطرية؟
- ٢- كيف وظفت قطر امكانياتها في السياسة الخارجية؟
- ٣- هل دبلوماسية الوساطة القطرية كانت ناجحة؟
- ٤- ما هو التأثير الذي أحدثته في تحويل الفاعل العنيف من غير الدول الى فاعل دولي؟

ثالثاً: مناهج البحث:

نظراً لطبيعة البحث ولكونه يدرس الشأن السياسي المعقد فقد تم استخدام منهج التحليل النظمي كما تم استخدام منهج صنع القرار في السياسة الخارجية ومنهج دراسة الحالة.

رابعاً: هدف البحث:

إن هدف البحث يكمن في معرفة الدور الكبير الذي تؤديه قطر ذات الحجم الصغير وعدد السكان القليل. والامكانيات المالية والإعلامية الكبيرة والتأثير الذي تحدثه في كثير من القضايا الإقليمية والدولية لاسيما ذات الطبيعة المعقدة منها.

خامسا: فرضية البحث

إن السياسة الخارجية القطرية لها تأثير كبير من تحويل الفواعل من غير الدول "الفواعل العنيفة" الى فواعل غير عنيفة

سادسا: تقسيم البحث:

انطلاقا من الإشكالية وما ثأثرته من تساؤلات على نحو ما سوف يتم توضيحه، قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة محاور فضلا عن خاتمة، التي ذكر فيها أهم الاستنتاجات: تم تخصيص المحور الاول لنبذة عن الدولة القطرية ونظام الحكم اما المحور الثاني فدرس عنوان السياسة الخارجية القطرية وجاء المحور الثالث ليبين السياسة الخارجية القطرية تجاه الفواعل من الدول ومن غير الدول "الفواعل العنيفة".

المحور الاول: نبذة عن الدولة القطرية ونظام الحكم

إن الدولة القطرية وعلى الرغم من انها صغيرة في مساحتها وقليلة في عدد سكانها، ولكنها نفوذها وتأثيرها الدولي كبير، لا يتناسب مع حجمها من حيث المساحة والسكان، هذا يدفعنا الى أن نخصص بالبحث في هذا المحور الدولة القطرية وأهم محاور سياستها الخارجية، حتى نصل الى العلاقة العكسية بين قوة التأثير في الساحة الدولية، وصغر الحجم وقلة عدد السكان.

١- نبذة عن دولة قطر

قطر عبارة عن شبه جزيرة تقع في القسم الجنوبي الشرقي من جزيرة العرب يحدها من الشرق ومن الغرب والشمال الخليج العربي، اما جنوبا فتحدها السعودية وهي حدود برية مشتركة، ولها حدود بحرية مع الامارات والبحرين، وتشكل أراضيها من سهول منبسطة ولا يتعدى ارتفاع التلال فيها أكثر من ٢٠٠ متر عن سطح البحر، واراضيه معظمها صحراوية استصلحتها السلطات القطرية^(١) والخريطة ادناه توضح ذلك.

(١) د نادية فاضل عباس فضلي، المتغيرات الداخلية والخارجية المؤثرة في النظام السياسي لدولة قطر، مجلة الدراسات الدولية، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة بغداد، العددان الثاني والسبعون والثالث والسبعون، ٢٠١٨ ص ٦٩.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢



المصدر: خريطة قطر الجديدة بالمدن، <https://www.muhtwa.com/350837>

وهي من الناحية الجغرافية دولة ذات مساحة صغيرة تبلغ مساحتها ١١,٤٣٧ ألف كيلو مربع، وهي أمانة صغيرة في منظومة دول مجلس التعاون الخليجي. خضعت لحكم آل ثاني منذ القرن الثامن عشر، ووطدت علاقاتها مع بريطانيا منذ العام ١٩١٦ أثر توقيع معاهدة تحالف معها وأصبحت محمية بريطانية حتى حصولها على الاستقلال في ٣ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٧١ على أثر الانسحاب البريطاني من منطقة الخليج العربي^(٢).

اما من الناحية السكانية يبلغ عدد سكان دولة قطر ما يقارب ٢,٨٥٨,١٤٨ نسمة مواطنين ومقيمين، وذلك وفقا لإحصائيات نشرت في بدايات عام ٢٠٢٠، وهو ما يعادل ٠,٠٤% من سكان العالم، وذلك يضعها في المرتبة التاسعة والثلاثين بعد المئة في قائمة أكبر الدول بحسب عدد السكان، وتصل الكثافة السكانية فيها إلى ٢٤٨ شخصاً لكل كيلومتر مربع، يتركز معظمهم في المناطق الحضرية بنسبة تصل إلى ٩٦,٢% من إجمالي عدد السكان، أما متوسط أعمار السكان فيبلغ نحو ٣٢,٣ عاماً.^(٣)

والتوزيع العرقي: ٤٠% عرب، ١٨% هنود، ١٨% باكستانيون، ١٠% إيرانيون، ١٤% آخرون. الديانة: ٧٧,٥% مسلمون، ٨,٥% مسيحيون، ١٤% أخرى كالهندوسية وغيرها من الديانات الهندية.^(٤)

(٢) د مفيد كاصد الزبيدي، السياسة الامريكية تجاه الازمة القطرية، مجلة الدراسات الدولية، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة بغداد، العددان السابع والسبعون والثامن والسبعون، نيسان تموز ٢٠١٩، ص ٣١-٣٢.

(٣) ولاء الزيدان، بحث عن دولة قطر، موقع موضوع، نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، متاح على الرابط الاتي: <https://mawdoo3.com/>، ت. ز ٢٠٢٢/٢/٢٦.

(٤) قطر، موقع الجزيرة، نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، متاح على الرابط الاتي: <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/countries/2014/3/13>، ت. ز ٢٠٢٢/٢/٢٥.

أما على الصعيد الاقتصادي فتعد دولة ذات دخل مرتفع، لامتلاكها ثالث أكبر احتياطي من الغاز الطبيعي ومن احتياطي النفط في العالم والريال القطري العملة الرسمية للبلاد، ويشار إليه بالحرفين (QR)، أما سعر الصرف بالدولار الأمريكي فيصل إلى ٣,٦٤ ريالاً قطرياً، تنتج قطر مليون برميل يومياً، تقوم بتصدير ٧٧ مليون طن سنوياً من الغاز الطبيعي المسال، وهي أول بلد عربي يستضيف الاجتماع الوزاري لمنظمة التجارة العالمية عام ٢٠٠١، ونجحت في عام ٢٠١٢ أن تحصل على لقب أغنى بلد في العالم للمرة الثالثة، وفي بداية عام ٢٠١٦ أصبحت تحتل المركز الرابع من حيث الناتج المحلي الإجمالي للفرد، إذ بلغت نسبة البطالة حوالي ٠,٦% في عام ٢٠١٧، ويمتلك المواطن القطري نسبة ٥١% من أي مشروع مقام في الدولة، وتتمتع في أدنى معدلات ضرائب في العالم، وتعتمد على العمالة الأجنبية، إذ تبلغ نسبتهم حوالي ٨٦% من السكان (٥)

وقطر دولة يرتفع فيها معدل الأمان، إذ صنفت في المرتبة العشرين من بين أكثر الدول سلاماً في العالم، كما صنفتها الأمم المتحدة على أنها الدولة الأكثر تقدماً في مجال التنمية البشرية على مستوى الوطن العربي^(١)

٢- نظام الحكم.

نظام الحكم فيها وراثي وتعد امارة دستورية والامير هو من يمثل الدولة داخليا وخارجيا، ويهتم بجميع العلاقات الدولية، ويتولى العديد من المهام المختصة بمختلف شؤون الدولة، علما أن الأمير الحالي هو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، الذي تقلد سدة الحكم في اليوم ٢٥ من شهر حزيران عام ٢٠١٣. تتشكل الحكومة في قطر من الوزارات، والمجالس العليا، والهيئات الحكومية، وتقع جميعها تحت إشراف مجلس الوزراء برئاسة رئيس الوزراء، أما السلطات الدستورية فتعمل بشكل منفصل تعاوني، فالسلطة التنفيذية تقع تحت سلطة الأمير وولي العهد.^(٧)

كما حددته المادة ٨ من الدستور القطري: (حكم الدولة وراثي في عائلة آل ثاني، وفي ذرية حمد بن خليفة بن حمد بن عبد الله بن جاسم من الذكور. وتكون وراثة الحكم الى الابن الذي يسميه الأمير وليا للعهد. فان لم يوجد ابن ينتقل الحكم الى من يسميه الأمير من العائلة وليا للعهد. وفي هذه الحالة تكون وراثة الحكم في ذريته من الذكور. وينظم سائر الاحكام الخاصة

(٥) الاقتصاد القطري: من أعلى الاقتصادات نموا في المنطقة، نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، متاح على الرابط الاتي: <https://promediaz.com/%d8%a7%d9%84%d8%a7%d9%82%d8%a7>, ت. ز. ٢٠٢٢/٢/٢٦.

^٦ المصدر نفسه.

(٧) ولاء الزيدان، بحث عن دولة قطر، مصدر سبق ذكره

بحكم الدولة وورائته قانون خاص يصدر خلال سنة من تاريخ العمل بها الدستور. وتكون له صفة دستورية^(٨) ولم يصدر دستورها الرسمي إلا في عام ٢٠٠٣، عندما أجري استفتاء للموافقة على الدستور، انتهى بتأييد ما يقارب ٩٨%.

مما تقدم يمكن القول ان دولة قطر من الدول التي تعمل بجد واجتهاد، وذلك لكي تنوع مصادر دخلها وتقلل من الاعتماد على النفط والغاز الطبيعي، بالفعل نجحت في تأسيس أعمال وأفكار اقتصادية جديدة وضخمة، واستطاعت أن تنافس بها بين دول العالم المتقدم بفضل كل هذه الجهود، تمكنت ان تكون من اغنى دول العالم، واستطاعت أن تؤمن حياة كريمة لشعبها.

المحور الثاني: السياسة الخارجية القطرية

ان قطر التي تعد من الدول الصغرى، انتهجت أسلوب خاص استجابتها للمتغيرات الدولية الخارجية، وبأسلوب سياستها الخارجية تجاه المتغيرات الجديدة التي حدثت في المنطقة، ومحاولة فهمها وتفسيرها لأسباب التحول في الدور الذي انتهجته وهو دور "الوسيط" الذي حاولت من خلاله تسويق سياستها على أنها صانع السلام الإقليمي والدولي الذي يبحث عن استقرار المنطقة، مستندة في ذلك على محاور عدة نجحت في توظيفها في السياسة الخارجية. وان نهج السياسة الخارجية القطرية هو التوجه للدخول في القضايا ذات الطبيعة المعقدة وقد نجحت في كثير منها.

١- هدف الوساطة

إن السياسة الخارجية القطرية لها هدفان من الوساطة يعدان من الثوابت التي لم تتغير بتغير الظروف المحيطة بها، أو بتغير الأدوات أو النهج الذي اتبعته في سياستها الخارجية بل بالعكس من ذلك فقد وظفت لخدمة سياستها وتتمثل بالآتي:^(٩)

أ- التحرك من أجل ضمان بقائها.

ب- تعظيم المكاسب وهنا المقصود تعزيز مكانتها الدولية والبحث عن استثمارات. فان دافعها الأساسي لجهود الوساطة هو مزيج من استراتيجية بقاء الدولة الصغيرة، ورغبتها في المكانة الدولية وأيضاً انها تحاول كشف بعض من جوانب الوساطة هي الرغبة في استقطاب الاهتمام الدولي لجهودها

وقد اعتمدت قطر في سياستها الخارجية على مبدأ الوساطة وقد نجحت في ذلك ولاعتمادها على عوامل النجاح وللأسباب الآتية^(١٠)

(٨) المادة ٨، الدولة واسس الحكم، الباب الأول، دستور دولة قطر، ٢٠٠٣.
(٩) العابد شعيب، السياسة الخارجية القطرية والربيع العربي، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد (٠٨) جانفي، ٢٠١٦، ص، ٢٦٧.

- أ- توافق الأرادات الإقليمية والدولية، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية على القضية التي تقوم قطر بدور الوساطة بين الأطراف.
- ب- وقوف قطر على مسافة واحدة من جميع الأطراف المختلفين والفرقاء السياسيين والمتلفين دينيا ومذهبيا واحتفاظها بعلاقات حسنة مع كل الاعبين ان كانوا من الدول أو من غيرها.
- ت- أن فاعلية الدبلوماسية القطرية الناجحة والنشطة، وتمتعها بعلاقات بالدول الإقليمية
- ث- وظفت قطر امكانياتها المالية في تسوية النزاعات وإيجاد حلول اقتصادية ومالية عبر دعمها المالي لتنمية الاقتصاد للمتنازعين عادة ما يكون سبب النزاع والخلاف القائم بين أطراف النزاع
- ٢- محاور السياسة الخارجية القطرية

بعد أن تم في المحور الاول بيان موجز عن الدولة القطرية، تبين لنا ان هذه الدولة على الرغم من صغر حجمها وقلة عدد سكانها الا انها تمتلك اقتصادا قويا هيا لها الارضية المناسبة لسياسة خارجية مؤثرة اقليميا ودوليا، وسنتناول في هذه النقطة محاور السياسة الخارجية القطرية، والتي من خلالها نجحت في صياغة سياسية خارجية مؤثرة وفعالة. وأهم محاورها هي:

- أ- **المحور الدبلوماسي:** يتمثل هذا المحور بمجموعة التحركات التي اتخذتها الحكومة القطرية تجاه قضايا الساحة الإقليمية والدولية وقضايا الساعة في آن واحد، تمثل ذلك بما أطلق عليه بالمبادرات القطرية التي دأبت على انتهاجها من أجل تقديم الحلول والوساطات للمشاكل الإقليمية العالقة، وكذلك لإثبات وجودها ودورها في الساحة الإقليمية.^(١١)
- ب- **المحور العسكري:** إن وقوعها في منطقة الخليج العربي التي تشهد أزمات وحروب عدة وتكرار وان موقعها الاستراتيجي المهم في منطقة الخليج العربي جعلها أمام انظار القوى الكبرى خاصة وأنها من أهم المناطق التي تحتوي على مصادر الطاقة، لهذا نجد التنافس الحاد بين الدول الكبرى الإقليمية الصاعدة مثل ايران، ومحاولات فرض الهيمنة من هذه الدول أو تلك على بلدان الخليج العربي، ونتيجة للحضور الامريكي المتزايد في هذه المنطقة وبسبب هيمنته على معظم الاقاليم الاستراتيجية في العالم، بفضل ما تمتلكه من قوة عسكرية واقتصادية كبرى في العالم، كل ذلك دفع بدول الخليج العربي الست التي اصبحت في وضع أمني لا تحسد

(١٠) أدهم أكرم عبد الواحد، السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الخليج العربي (قطر نموذجا) ٢٠٠١-٢٠١٨ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية علوم سياسية، جامعة الازهر، غزة، ٢٠١٩، ص ٩٩.

(١١) ماجد حميد خضير، مقومات السياسة الخارجية القطرية: دراسة في السلوك السياسي، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٩، (بغداد: جامعة بغداد-مركز الدراسات الدولية، ٢٠١١)، ص ٢١٧.

عليه الى التفكير في مظلة أمنية أمريكية أن صح التعبير، فالترتيبات الامنية بمنطقة الخليج العربي هي ترتيبات أمنية أمريكية، في إيجاد قناعة راسخة لدى دول الخليج العربي، بان أفضل طريقة للتعامل مع التحديات الامنية هي بالتحالف معها سواءً كان ذلك التحالف جماعيا أم بصيغة منفردة.

ت - المحور الاقتصادي: أن قدرة قطر على أداء دور استقلالي في سياستها الخارجية على رغم من صغر حجمها يعتمد على مواردها الاقتصادية وعلاقاتها مع جارتها العربية السعودية والعراق وايران، وفيما يتعلق بدور السياسة الخارجية فان الحيوية المتمثلة في بيع مصادر الطاقة ومقاومة هيمنة الدول الاقليمية واستخدام القوى الخارجية لحماية نفسها وابقاء العلاقات هادئة ضمن منطقة الخليج العربي موازنتها معا.^(١٢)

يعد الاحتياطي النفطي الكبير الذي تمتلكه قطر أهم المرتكزات التي تستند إليها في صياغة دورها السياسي، وكذلك من الغاز الطبيعي، ففي عام ٢٠٠٦ تصدرت قطر قائمة الدول المصدرة للغاز عالمياً متجاوزة إندونيسيا، وفي ٢٠١٠ وصل الإنتاج الحكومي إلى ٧٧ مليون طن وهذا يمثل نحو ٣٠% من صادرات الغاز المسال عالمياً، فضلا عن هذه الثروات الهائلة، هناك عدداً قليلاً من السكان الأصليين، الأمر الذي يحرر السلطة في البلاد من الضغوط الاجتماعية الاقتصادية ويمنحها قدرة كبيرة على المناورة مستخدمة فائضها المالي، عمدت السلطات في البلاد إلى استغلال الفائض المالي الكبير في تعزيز نفوذها الاقتصادي في الخارج خاصة في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مستغلة الأزمة المالية عام ٢٠٠٨ من خلال هيئة الاستثمار القطرية إضافة إلى الاستثمارات الخاصة لأمرأى العائلة المالكة في شركات كبرى كفولكس فاجن “شركة سيارات” وسينسيري “سلسلة سوبر ماركت عالمية” وبنك باركليز، كما شملت الاستثمارات المجال الرياضي وشراء الأندية وأشهرها نادي باريس سان جيرمان الفرنسي فضلا عن قيام “قطر للغاز” برعاية عدد من أكبر أندية أوروبا.^(١٣)

ث - المحور الاعلامي: إن لوسائل الاعلام دورا وتوجيهيا كبيرا في إدارة الرأي العام الداخلي والدولي إزاء قضايا معينة تطرأ هنا وهناك، وكذلك تبين اهتمام هذه الدولة أو تلك بقضية معينة، كذلك يمكن أن نتبين طبيعة السياسة الخارجية لدولة ما من الدول، وكذلك سلوكها تجاه القضايا التي تتعلق بالسياسة الخارجية من خلال وسائل اعلامها وطبيعتها ونوعيتها وقراءتها للأخبار الخام وتوجيهها وتسييسها بما يتلاءم وتوجهاتها السياسية، والحقيقة

(١٢) المصدر نفسه، ص- ص ٢٢٣- ٢٢٤.

(١٣) قطر ولعبة النفوذ: مرتكزات رئيسية للسياسة الخارجية القطرية، موقع سياسة نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، متاح على الرابط الاتي: <https://sasapost.co/qatar-foreign-policy>، ت. ز ٢٠٢٢/٢/٢٥.

أن قطر لا تستطيع أداء دور عسكري ضخم في المنطقة لصغر حجمها وقلة عدد سكانها ولكنها استطاعت أن تعوض ذلك عبر وسائل أخرى أكثر براعة فما تهيأ لها من إمكانات مادية ضخمة، تمثلت بالنفط والغاز الطبيعي فضلا عن فوائضها المالية الضخمة في صناديقها السيادية، فاستطاعت أن توجه إمكاناتها المادية نحو التميز في الاعلام عبر إيجاد وصنع أكبر قناة اخبارية في الشرق الاوسط هي قناة الجزيرة الفضائية التي تكاد تكون أو تعد من كبريات القنوات الفضائية العالمية مثل B.B.C. و C.N.N، ويشير البعض إلى إن قناة الجزيرة الفضائية أصبحت الأداة للسياسة الخارجية القطرية، فضلا عن الاعلام المتمثل في قناة الجزيرة، تستخدم في سياستها الخارجية مراكز البحث العلمية مثل مركز الجزيرة للدراسات كأداة للسياسة الخارجية القطرية.^(١٤)

٣- توجهات السياسة الخارجية القطرية

إذ تقوم سياستها الخارجية ليس على بناء العلاقات مع الدول بل تعدى ذلك الى الفواعل الدوليين من غير الدول لاسيما العنيفة منها، فأنها تمتلك علاقات مع الحركات الاسلامية في كثير من الدول ومن أهمها جماعة الاخوان المسلمين وحركة طالبان. على الرغم من أن قطر من الناحية الرسمية تلتزم بالمدرسة السلفية التي تختلف عن منهج الإخوان المسلمين، وقد وفرت دعما إعلاميا وماليا وسياسيا وعسكريا للتيارات الإسلامية والإخوان المسلمين تحديدا في ضوء العلاقات التي نسجتها مع قيادات إسلامية ذات صلة مع المعارضة للقيام بمهام قيادية ثورية في الربيع العربي، ففي ليبيا وسوريا، عملت قطر على تقوية الفصائل الإسلامية الموالية لها، ففي ليبيا حضي كل من عبد الحكيم بلحاج قائد كتية طرابلس وإسماعيل الصلابي الذي يتزعم كتية ١٧ فبراير " بدعم مادي ومالي كبير حتى أصبحت أكبر الفصائل قوة، والدعم نفسه لقيته المعارضة السورية ذات التوجه الإسلامي بشقيها السياسي والمسلح، اذ عملت على هيمنة جناح الإخوان في الهياكل السياسية للمعارضة في الخارج وتنفذ فصائلها المسلحة في الميدان.^(١٥)

وفرت قطر لنفسها من خلال السياسة الخارجية حماية بـ " درع " بات من الصعب معها الاعتداء على هذه الدولة الصغيرة " مساحة " في غفلة من العالم، والمقصود هنا أنه بات من الصعب أن تتعرض أراضي دولة قطر أو سيادتها لخطر الاحتلال أو القضم أو الضم أو الاحتراق دون تحرك الكثير من دول العالم وشعوبها ومنظماتها الأهلية والثقافية والإعلامية، لكونها ترتبط بمصالح اقتصادية أو سياسية أو إنسانية أو أخلاقية مع قطر ومؤسساتها الرسمية والأهلية، كما أن تعاضد عناصر " قوتها الناعمة " مع دعم القوى الكبرى مكنها من التغلب على نقاط ضعفها الجغرافية والديمقراطية، بل وفر لها فائضا على الساحة الدولية، ويمكن

(١٤) ماجد حميد خضير، مصدر سبق ذكره، ص- ص ٢٣٣-٢٣٤.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

اعتباره بمنزلة " العمق الاستراتيجي " للدولة في حالة نشوب مواجهة مع أي من القوى الإقليمية في المنطقة ^(١٦)

واستندت سياستها الخارجية على العديد من الاسس لضمان امنها في منطقة عرفت بالتوتر وتقاطع المصالح الدولية فيها، ومن هذه الاسس هي التحالفات والمساعدات الاقتصادية والوساطة والاعلام، فقطر تعد حليف استراتيجي للولايات المتحدة الامريكية في المنطقة، فقد وظفت مقدراتها المالية وأدواتها الإعلامية لتنفيذ استراتيجيتها التي تتوافق مع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، عندما قامت بتأجير قاعدة السيلية والعديد بموجب اتفاقية الدفاع المشترك في عام ١٩٩٢ للقيادة المركزية للمنطقة الوسطى للجيش الأمريكي التي تقع على خط التماس الحدودي مع المملكة العربية السعودية وأيضاً قامت علاقات اقتصادية وتجارية ومالية مع إسرائيل والسماح لها بفتح مكتب لرعاية المصالح التجارية الاسرائيلية في الدوحة في ٣ أيلول / سبتمبر ١٩٩٦، فإنها ارادت اقناع كل الأطراف الاقليمية والدولي بصحة منهجها السياسي الواقعي، ويتيح لها حرية اتخاذ المواقف وتبني السياسات التي تراها منسجمة مع مصالحها العليا، وبدون أن تجعل أرضها منطلقاً للاعتداء على جيرانها، وان يسمح لها ذلك أيضاً بأن تكون الوسيط المقبول ما بين الأطراف المتصارعة في المنطقة ^(١٧)

وان هذا التوجه الجديد لسياستها الخارجية بعد ٢٠١١ جلب لها الكثير من التهديدات الأمنية من دول الإقليم التي كانت مسرحاً لأحداث الربيع العربي والتي تضررت مصالحها من سيطرة جماعة الإخوان المسلمين المدعومة من قطر على السلطة في الدول التي عاشت مراحل انتقالية، مما جعلها في مواجهة مستمرة معها وأمام هذا الوضع التجأت قطر للتحالف مع تركيا التي تقاسمها التوجه ذاته التدخل ودعّمها لجماعة الإخوان المسلمين، وجاء هذا القرار بعد مقاطعة أربع دول لها " السعودية ، مصر، الإمارات والبحرين " والذي عدّ تهديداً وجودياً لهذه الدول. ^(١٨)

مما تقدم يظهر لنا ان سياسة قطر الخارجية تريد الحفاظ على امنها، ولتعزيز مكانتها الاقليمية والدولية اعتمدت على عدة اسس لتعويض عدم الاعتماد على القوة العسكرية بسبب صغر مساحتها وقلة عدد سكانها، ومن اهم هذه الاسس هي التحالفات، والدعم الاقتصادي، والوساطة، والاعلام.

^(١٦) نواف التميمي، الدبلوماسية العامة وتكوين السمة الوطنية النظرية والتطبيق على نموذج قطر، ط١، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، (٢٠١٢)، ص ١٢٢.

^(١٧) أدهم أكرم عبد الواحد، السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الخليج العربي (قطر نموذجاً) ٢٠٠١ مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢٧-١٢٨.

^(١٨) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

٤ - السياسة الخارجية الامريكية تجاه قطر

شهدت السياسة الخارجية الامريكية تجاه قطر خلال الأعوام السابقة، منحى تصاعديا عبر العديد من الاتفاقيات الثنائية المتنوعة، فعلى الرغم من اهتمام السياسة الخارجية الامريكية بإقامة العلاقات مع قطر منذ عام ١٩٧٢ تاريخ افتتاح البعثة الدبلوماسية الامريكية في الدوحة، إلا أن الانطلاقة الفعلية للعلاقات بين البلدين كانت في أوائل التسعينيات من القرن العشرين، وأخذت مناحي عدة وتطورت إلى أن وصلت إلى ما هي عليه اليوم، كما احتل التعاون الأمني بين البلدين مكانة متطورة، وإن دولة قطر تعد من الدول القليلة التي تربطها علاقات متميزة مع أمريكا عن طريق الاتفاقيات الثنائية المختلفة في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والدفاعية، بما فيها اتفاقيات تبادل المعلومات حول محاربة غسل الأموال وتمويل الإرهاب.^(١٩)

على الرغم من تراجع العلاقات القطرية الامريكية في عهد الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، إلا أن بعد تولي الرئيس الأمريكي جو بايدن الرئاسة عادت العلاقات الى ما كانت عليه، إذ أعلن الرئيس الأمريكي اعتزاه تصنيف قطر حليفاً رئيساً من خارج حلف شمال الأطلسي "الناتو"، ومنحها مكانة خاصة كحليف رئيس في الشرق الأوسط، ليمثل نقلة نوعية في العلاقات الامريكية القطرية، وتغييراً عن النهج الذي سار عليه الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب تجاه قطر.

المحور الثالث: السياسة الخارجية القطرية تجاه الفواعل من الدول وغير الدول " الفواعل العنيفة"

إن توجهات السياسة الخارجية القطرية في إطار المتغيرات التي شهدتها العالم تحاول إدراك وتحليل طبيعة ونوعية العلاقات الدولية، والتفاعل مع الدائرتين الإقليمية والدولية في جميع الأصعدة ومعرفة نوع وحجم التفاعل. وفيما يأتي السياسة الخارجية مع الفواعل من الدول تجاه أزمات المنطقة والفواعل من غير الدول " الفواعل العنيفة"

١ - السياسية الخارجية القطرية تجاه الفواعل من الدول "أزمات المنطقة"

فقد برزت قطر وفي أكثر من مناسبة خلال تصاعد أزمة اقليمية أو دولية، بأنها مقبولة من جميع الأطراف، لاسيما في منطقة الشرق الاوسط، وتحولت عاصمتها الدوحة إلى طاولة لفض النزاعات وملتقى لكل الأطراف المتصارعة على السلطة في الدول المجاورة: من دافور، ولبنان، واليمن، إلى افغانستان والعراق وأزمة الممرضات البلغاريات، وبين فتح وحماس والعلاقات بين السودان وتشاد، واستضافتها للمنتديات ومؤتمرات القمة، مما جعلها تحتل موقعا متميزا للتأثير الدبلوماسي والسياسي في كل المنطقة، وهذا ما جعلها تحظى

(١٩) أدهم أكرم عبد الواحد، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠.

بالترحيب والاستجابة حتى من الأطراف التي نظرت إلى الأداء الدبلوماسي القطري على أنه انتقاص أو تجاوز على دورها الإقليمي، وأنها تلعب في ساحة الكبار في المنطقة.^(٢٠)

ومع انفجار أحداث ما يسمى "الربيع العربي" ولاسيما الانتفاضة الليبية في شباط/ فبراير ٢٠١١ تحولت قطر إلى أسلوب دبلوماسي التداخلية كنقطة تحول استراتيجية في سياستها الخارجية، إذ انتقلت من دور الوسيط الباحث عن الاستقرار الإقليمي إلى رعاية ودعم التغيير السياسي الراديكالي للأنظمة الحاكمة تحت زخم التصاعد السريع للتيارات الإسلامية وأنشغال القوى الإقليمية بأوضاعها الداخلية غير المستقرة، قدمت فيها قطر نفسها كمدافع عن القيم الإنسانية ضد الأنظمة القمعية، فعملت على تجنيد مواردها الإعلامية والدبلوماسية والمالية والعسكرية لمساندة الجماهير المنتفضة وناصبت العداء للأنظمة الحاكمة، وتحولت حاضنة لمختلف أطياف المعارضة السلمية والمسلحة.^(٢١)

٢- السياسية الخارجية القطرية تجاه الفواعل من غير الدول " الفواعل العنيفة " (حركة طالبان)

إن دولة قطر بما تملكه من مال ووسائل اعلام وظفها صناع القرار لخدمة السياسة الخارجية ولبناء جسور من العلاقات بين قوى اقليمية ودولية، وهذه القوى الفاعلة على المسرح الدولي شملت فضلا عن الفواعل من الدول فواعل من غير الدول لاسيما العنيفة منها مثل جماعة الاخوان المسلمين وحركة حماس وحركة طالبان وغيرها من الجماعات، وكل ذلك بهدف تعزيز الامن القومي القطري، واطهارها كدولة فاعلة مؤثرة في المسرح الدولي على الرغم من صغر حجمها وقلة عدد سكانها.

والذي يهمننا في الدراسة هو البحث في تأثير سياسة قطر الخارجية على حركة طالبان وكيف وفرت لها الغطاء الدولي والأموال واحتضانها لقيادي الحركة ومن ثم وصول بالحركة الى حكم أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي منها.

وعلى الرغم من قطر تقع على بعد ١٨٠٠ كيلومتر من أفغانستان التي مزقتها الحرب طوال عقدين، لكنها دعمت حركة طالبان وسهلت لها فتح مكتب سياسي في عاصمتها " الدوحة " عام ٢٠١٣، وحافظت على اتصالاتها مع طالبان خلال مدة حكمها السابقة، ورأت طالبان في قطر

(٢٠) عرفات علي جرغون، قطر وتغيير السياسة الخارجية حلفاء.. اعداء، ط١، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٦)، ص ٢٢٨.

(٢١) فؤاد ابركان، السياسة الخارجية القطرية في إقليم مضطرب: الاستثمار في القوة الناعمة، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد ١٠، العدد ١، (الجزائر: جامعة باتنة، كانون الثاني ٢٠٢١)، ص ٥٢٠.

التي تستضيف أكبر قاعدة جوية أميركية في المنطقة، مضيفاً محايداً للمحادثات التي جرت بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية والتي أثمرت بالانسحاب من أفغانستان.^(٢٢)

وإن الولايات المتحدة الأمريكية لها خصوم في المنطقة من المعارضين لسياساتها من منظمات أو كيانات وجماعات مسلحة، فإن قطر تظل هي الوسيط الأمريكي الدائم في المنطقة لتوثيق أحوال هذه الكيانات من الفاعلين من غير الدول " الفواعل العنيفة" التي يصعب على الولايات المتحدة الأمريكية التواصل معهم عبر المؤسسات الدبلوماسية الرسمية ومن ثم فإن أمريكا لا تمانع أن تبقى قطر على صلة بهذه الكيانات.^(٢٣)

رغم أن قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (١٤٥٥) لعام ٢٠٠٣ الذي وصف حركة طالبان منظمة إرهابية والتي تعني هذه الحركة الإسلامية للمدارس الدينية باسم طالبان " جمع كلمة طالب في لغة البشتو" وأسست هذه الحركة عام ١٩٩٤ من قبل الملا عمر والذي عين أميراً عليها في العام ذاته.^(٢٤)

وجاء الانسحاب الأمريكي من أفغانستان بعد الاتفاق المسبق مع حركة طالبان برعاية قطرية إذ شهدت عاصمتها الدوحة، في ٢٩ فبراير/شباط ٢٠٢٠، توقيع اتفاق سلام بين الولايات المتحدة الأمريكية وحركة طالبان، لإنهاء حرب استمرت نحو عقدين من الزمن في هذا البلد. وبموجب وثيقة الاتفاق، من المقرر أن تنسحب جميع القوات الأجنبية من أفغانستان، بشكل تدريجي، في غضون أربعة عشر شهراً من بعد توقيع الاتفاق ويتضمن اتفاق إحلال السلام في أفغانستان أربعة أجزاء رئيسية هي:^(٢٥)

- أ- ضمانات وآليات تمنع استخدام الأراضي الأفغانية من قبل أي جماعة أو فرد ضد أمن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.
- ب- إعلان جدول زمني لانسحاب جميع القوات الأمريكية من أفغانستان.
- ت- بدء مفاوضات مباشرة بين الحكومة الأفغانية وحركة طالبان بعد توقيع اتفاق إحلال السلام بعشرة أيام لم يحدد مكان عقدها.

(٢٢) ماذا عن الدور القطري بعد سيطرة طالبان على أفغانستان؟، موقع فرانس ٢٤، نقلاً عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، متاح على الرابط الاتي: <https://www.france24.com/ar>، ت. ز ٢٠٢٢/٢/٢٦.

(٢٣) صباح اكزير، دور السياسة الخارجية لدولة قطر في الحراك العربي الراهن ٢٠١٠/٢٠١٤ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٥، ص ١٨٣
(٢٤) اياد مالك عبد المجيد، مجلس الأمن ومكافحة الإرهاب منذ عام ٢٠٠٤ (دراسة حالة العراق)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٩، ص ٥٨.

(٢٥) حميد الله محمد شاه، اتفاق السلام بين الولايات المتحدة وطالبان: العقبات والتأثيرات، مركز الجزيرة للدراسات، ١٢ مارس ٢٠٢٠، متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وعلى الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/article/4600>

ث- وقف إطلاق النار سيكون بنداً مهماً على جدول أعمال الحوار والمفاوضات بين الأفغان، وسيبحث المشاركون بالمفاوضات الأفغانية موعد وشكل وقف إطلاق النار، بما في ذلك آليات التنفيذ المشتركة التي سيتم الإعلان عنها مع الانتهاء والاتفاق على مستقبل الخارطة السياسية لأفغانستان.

إن التحالف الأمريكي القطري ظهرت قيمة واضحة في الدور الذي أدته في المفاوضات بين أمريكا وحركة طالبان التي أفضت إلى انسحابها من أفغانستان وهذا بين دور قطر بشكل واضح، في تنسيق عملية الانسحاب حيث كان لها الدور الأكبر في عمليات الإجلاء لعشرات الآلاف من الرعايا الغربيين والمتعاونين الأفغان مع القوات الأجنبية، باستخدام الخطوط الجوية القطرية، كما أصبح مطار الدوحة مركزاً لعمليات الإجلاء ومحطة لاستقبال اللاجئين، وبعد الانسحاب أصبحت قطر الوسيط والمحاور الرئيسي مع حركة طالبان بفضل ما تمتلكه من علاقات جيدة مع الطرفين، وكانت الدولة العربية الوحيدة التي شاركت في مؤتمر دولي افتراضي نظمه وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن في ٩ / ٢٠٢١ لمناقشة تشكيل المرحلة التالية لإتمام الولايات المتحدة الأمريكية انسحابها من أفغانستان في أعقاب سيطرة حركة طالبان على البلاد.^(٢٦)

جاء لقاء وزير الخارجية القطري محمد بن عبد الرحمن آل ثاني ووزير الخارجية أنطوني بلينكن في وزارة الخارجية بواشنطن ١٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢١ لمعالجة الأمور والاحداث في أفغانستان اذ تحدث وزير الخارجية الامريكي إن دولة قطر ستعمل ممثل دبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان، لتمثيل المصالح الأمريكية والمساعدة في معالجة التأثيرات لآلاف الأشخاص الذين يتطلعون إلى الفرار منها. وأكد أن قطر كانت لسنوات وسيطاً رئيسياً في العلاقة الدقيقة بين طالبان والأمريكيين واستضافت مفاوضات دبلوماسية بين الجانبين لإنهاء الحرب واستقبلت أكثر من ٦٠ ألف شخص من أفغانستان بعد استيلاء طالبان على السلطة، وأغلقت أمريكا سفارتها في كابول، وبموجب الاتفاقية الجديدة ستتولى قطر بعض المهام الدبلوماسية الأمريكية في أفغانستان، بما في ذلك ما وصفه الوزير بلينكن بالخدمات القنصلية ومراقبة ظروف وأمن المنشآت الأمريكية المنسحبة منها.^(٢٧)

وهنا يتبين إمكانية تحول الفواعل من غير لدول لاسيما العنيفة منها، من سلبية الى ايجابية بشكل تدريجي عندما تتخبط في عملية تفاوضية من دول أو منظمات دولية حول بعض القضايا في

(٢٦) موقع العربي بوست، الغاز وطالبان وإيران.. هذا ما تريده أمريكا من قطر، فماذا ستنتال الدوحة في المقابل؟، نقلاً عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، متاح على الرابط الاتي: <https://arabicpost.net> ،
ت. ز ٢٠٢٢/٤/٧.

(27) Lara Jakes، Qatar to Represent U.S. Interests in Afghanistan, Blinken Says ، 17 November، 2021، Available on the (Internet).
<https://www.nytimes.com/2021/11/12/us/politics/us-qatar-afghanistan.html>

مناطق معينة أو تتخبط في عملية سياسية تنشأ في بعض البلدان النامية في مدة انتقالية، فتغيير من سياستها وتوجهها بناء على المستجدات الحاصلة.^(٢٨)

كل مما تقدم يظهر لنا مدى فاعلية دور قطر في الوساطة بين الأطراف، لاسيما مع الدول والفاعلين من غير الدول " الفواعل العنيفة" وظهر جليا في التوصل الى انسحاب أمريكا من أفغانستان وتسليم مقاليد الحكم فيها لحركة طالبان والعمل في ما بعد الانسحاب والترتيبات الأمنية والتنسيق العالي لتسيير خروج الأجانب والمواطنين والأفغان الذين عملوا مع أمريكا خارج البلد هذا من جهة والجهة الأخرى هو التنسيق مع القوى الكبرى للاعتراف الدولي بحركة طالبان ورفع جميع القيود المفروضة عليها وهذا مما أدى الى ان تصبح الحركة من فاعل من غير الدول " فاعل عنيف" الى فاعل دولي وجاء كل ذلك نتيجة لجهود السياسة الخارجية القطرية الفاعلة.

الخاتمة

إن ما تقوم به قطر من أدوار متغيرة ومتعددة في سياستها الخارجية تقع ضمن استراتيجيتها التي وضعها صانع القرار، التي تؤكد على بقاء الدولة، التي تعاني من عقدة الهشاشة الجيوسياسية وذلك لا دراكها بانها تقع في وسط منطقة مضطربة سياسيا والخوف الذي يلزمها بدرجة كبيرة من العدوانية. لما وقع من حروب في المنطقة

وإن الدولة القطرية على الرغم من حجمها الصغير وعدد سكانها القليل الذي ليمثل تحديا لها، لكنها تمتلك امكانيات وموارد اقتصادية كبيرة تمثل فرص ناجحة لها، واستطاع صناع القرار في الدولة من توظيف هذه الامكانيات واستغلال الفرص الناتجة في الحفاظ على أمن الدولة القطرية في منطقة ساخنة تشهد العديد من التوترات، ومحاولات دول كبرى اقليميا من بسط نفوذها وسيطرتها على الدول الأخرى، ونجحت سياستها الخارجية في تجاوز مرحلة الحفاظ على ذات الدولة الى مرحلة التأثير اقليميا ودوليا، وذلك بالاعتماد على ادوات القوة الناعمة، من دبلوماسية نشطة تنتهج اسلوب التوسط في حل المشكلات الاقليمية والدولية، فضلا عن استخدام الدعم الاقتصادي لكسب تأييد الدول والجماعات المؤثر دوليا، واستخدام الاعلام ومراكز البحث العلمي لتجميل صورة الدولة القطرية والتأثير في الآخرين.

وأدت دورا محوريا في قضايا المنطقة الساخنة منها وهذا جاء نتيجة تمرس صانع القرار القطري وتفاعله مع القوى الكبرى الإقليمية والدولية، والحدث الكبير هو توصلها مع الولايات المتحدة الأمريكية وحركة طالبان وأقناع الأولى الانسحاب من أفغانستان وسيطرة الحركة على مقاليد الحكم فيها. وعد هذا العمل من انجح عملات الدبلوماسية في الوقت الراهن وهو نجاح سجل لقطر الصغيرة في مكانتها على خارطة والكبيرة في إنجازات سياستها الخارجية.

(٢٨) صفاء إبراهيم جاسم الموسوي، الفواعل من غير الدول والامن العالمي بعد عام ٢٠٠١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين، ٢٠٢١، ص ٢٧٧.

الاستنتاجات: ومما تقدم توصل الباحث الى الاستنتاجات الآتية:

- ١- إن السياسية الخارجية الكفوة والمبنية على اسس رصينة تعطي قدرات اضافية للدولة مؤثره في البيئة الدولية.
- ٢- وان الدولة القطرية نجحت في تقدير التحديات التي تواجهها، وأجادت في مواجهتها من خلال الاستغلال الامثل للفرص التي كانت متاحة امامها.
- ٣- وان الدولة القطرية الصغيرة في حجمها وعدد سكانها والغنية بمواردها، التي تعيش في محيط اقليمي ساخن مليء بالتوترات والاطماع الاقليمية، كانت من الممكن ان تبتلع من الدول الكبرى اقليميا، لو لا السياسة الخارجية الناجحة، التي مكنتها من ان تتحول من دولة ردود افعال، الى دولة افعال.
- ٤- نجحت الدولة القطرية في توظيف القوة الناعمة في سياستها الخارجية؛ لأنها تدرك بأن دولة بحجمها من حيث المساحة والسكان لا يمكن التعويل على القوة العسكرية.
- ٥- نجحت بمساعدة حركة طالبان ونقلها من فاعل من غير الدول " فاعل عنيف" الى فاعل دولي وذلك بوصول الحركة الى حكم الدولة الأفغانية والعمل مع الولايات المتحدة الامريكية والقوى الدولية الأخرى لغرض الاعتراف الدولي الكامل بالحركة.

قائمة المصادر

أولاً: الوثائق

المادة ٨، الدولة واسس الحكم، الباب الأول، دستور دولة قطر، ٢٠٠٣.

ثانياً: الكتب:

ثالثاً: البحوث والدراسات

- ١- العابد شعيب، السياسة الخارجية القطرية والربيع العربي، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد (٠٨) جانفي ٢٠١٦
- ٢- عرفات علي جرجون، قطر وتغيير السياسة الخارجية حلفاء.. اعداء، ط١، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٦).
- ١- فؤاد ابركان، السياسة الخارجية القطرية في إقليم مضطرب: الاستثمار في القوة الناعمة، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد ١٠، العدد ١، (الجزائر: جامعة باتنة، كانون الثاني ٢٠٢١).
- ٢- ماجد حميد خضير، مقومات السياسة الخارجية القطرية: دراسة في السلوك السياسي، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٩، (بغداد: جامعة بغداد- مركز الدراسات الدولية، ٢٠١١).
- ٣- مفيد كاصد الزبيدي، السياسة الامريكية تجاه الازمة القطرية، مجلة الدراسات الدولية، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة بغداد، العددان السابع والسبعون والثامن والسبعون، نيسان تموز ٢٠١٩،

- ٣- نادية فاضل عباس فضلي، المتغيرات الداخلية والخارجية المؤثرة في النظام السياسي لدولة قطر، مجلة الدراسات الدولية، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة بغداد، العددان الثاني والسبعون والثالث والسبعون، ٢٠١٨
 - ٤- نواف التميمي، الدبلوماسية العامة وتكوين السمة الوطنية النظرية والتطبيق على نموذج قطر، ط١، (الدوحة- قطر: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٢).
- رابعاً: الرسائل والاطاريح العلمية:
- ١- ادهم اكرم عبد الواحد، السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الخليج العربي (قطر نموذجاً) ٢٠٠١-٢٠١٨، رسالة ماجستير غير منشورة/ كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الازهر- غزة، ٢٠١٩.
 - ٢- اياد مالك عبد المجيد، مجلس الأمن ومكافحة الإرهاب منذ عام ٢٠٠٤ (دراسة حالة العراق)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهريين، ٢٠١٩.
 - ٣- صباح اكزير، دور السياسة الخارجية لدولة قطر في الحراك العربي الراهن ٢٠١٠/ ٢٠١٤ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٥.
 - ٤- صفاء إبراهيم جاسم الموسوي، الفواعل من غير الدول والامن العالمي بعد عام ٢٠٠١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النهريين كلية العلوم السياسية، ٢٠٢١.

٥- ماذا عن الدور القطري بعد سيطرة طالبان على أفغانستان؟ , موقع فرانس ٢٤ , نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت), متاح على الرابط الاتي:
<https://www.france24.com/ar>

٦- ولاء الزيدان, بحث عن دولة قطر, موقع موضوع, نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت), متاح على الرابط الاتي: <https://mawdoo3.com> .

7- Lara Jakes, 'Qatar to Represent U.S. Interests in Afghanistan, Blinken Says', 17 November, 2021, Available on the (Internet).
<https://www.nytimes.com/2021/11/12/us/politics/us-qatar-afghanistan.html>

أثر البنية الاجتماعية على جدلية الاستثمار الأجنبي في المجتمعات المأزومة (العراق نموذجا) رؤية سوسيولوجية

أ.د. مشحن زيد محمد التميمي
الجامعة المستنصرية كلية الآداب

المقدمة

مارست البنية الاجتماعية العراقية بتنوعاتها، وتقسيماتها الأفقية والعمودية دوراً هاماً ومحورياً في تحديد شكل الجوانب الأخرى السياسية والاقتصادية على وجه التحديد، وباعتبار الاستثمار الأجنبي ثروة غنية لرغد المجتمع العراقي برأس المال الذي يدفع بحركة العمران والتقدم إلى نهضة شاملة سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية مستدامة، تخفض من مخاطر نقص الثروات الأخرى التي يشتهر بها العراق وفي مقدمتها النفط وأثار التلاعب بالأسعار والأزمات المالية العالمية التي قد تؤثر سلباً على واقع ومستقبل المنطقة والعراق على وجه التحديد باعتباره بلداً ريعياً يرتكز اقتصاده على الثروة النفطية بنسبة ٩٠% من إجمالي واردات البلاد.

ومن هنا نتضح إشكالية البحث لدينا، حول علاقة البنية الاجتماعية بالبنية الاقتصادية، والدور الذي قد تمارسه طبقات المجتمع في جذب رؤوس الأموال الأجنبية للاستثمار داخل البلاد وتحقيق شروط نجاحها، ومن ثم ينبثق لدينا سؤال الدراسة الذي صيغ بالشكل التالي: ما أثر بنية المجتمع العراقي بصيغتها الحالية [الأطفال، الشباب، الشيوخ، النساء] وطبقات المجتمع العراقي على جذب الاستثمار الأجنبي إلى العراق؟ وتنبثق عنه أسئلة فرعية أخرى ستحاول الدراسة الإجابة عليها في كل محور خاص، ومنها: دور الأرياف والمدن في النشاط الاقتصادي المحلي عبر استقطاب الاستثمار الأجنبي، وثمة أسئلة أخرى.

كلمات مفتاحية: البنية الاجتماعية، الاستثمار، المجتمع العراقي، الطبقة الاجتماعية منهجية البحث:

ستركز الدراسة على أكثر من منهج، من بينها منهج التحليل الطبقي، والمنهج البنائي التاريخي الذي اهتم بطبيعة البناء الاجتماعي انطلاقاً من السياق التاريخي بمحدداته الداخلية والخارجية، وسوف يستخدم هذا المنظور من خلال بحث تطور التشكيلات الاقتصادية _ الاجتماعية الرئيسية أو الفاعلة بعامة والفئة الاجتماعية المسيطرة على مقدرات البلاد خاصة وفي إطار ذلك ندرس مؤثرات هذا التطور في تغيير وضعية الدولة وشكل السلطة في ضوء تفاعل العوامل الخارجية والداخلية واثراً ذلك في جذب الاستثمار الأجنبي.

وسيتم الاستعانة بطريقة الملاحظة المباشرة وغير المباشرة في تحليل واقع المجتمع العراقي. محاور الدراسة:

المحور الأول: البنية الاجتماعية في العراق.

المحور الثاني: خصائص البنية الاقتصادية العراقية

المحور الثالث: التفاوت الطبقي وأثره على الاقتصاد العراقي

المحور الرابع: أثر الإصلاح الاقتصادي في استقطاب الاستثمار الأجنبي

المحور الخامس: عوامل الجذب والطرْد للاستثمار الاجنبي في العراق.

المحور الأول: البنية الاجتماعية في العراق

شكلت البنية الاجتماعية العراقية مزيج من تنوع الفئات والطبقات الاجتماعية مذ حقب تاريخية قديمة، انتج هذا التنوع في إطاره الجغرافي المكاني تداخلاً بين فئاته، ارتبطت مؤسساته السياسية بالاقتصادية وأثرت على بعضها في كل الحقب التاريخية، وكان للأزمة السياسية أثر بالغ تمثل في ظاهرة عدم الاستقرار السياسي والعنف الطائفي، على البنية الاجتماعية والاقتصادية العراقية، وامتازت البنية الاجتماعية بعدم الثبات والاستقرار، فهي معرضة للتغيير والتأثير، وعند الحديث عن البنية الاجتماعية نستذكر أبرز مفاصلها مثل السكان، الطبقات الاجتماعية، الاقليات، وغيرها.

يرتبط عدد السكان المتبدل بالتنمية الاقتصادية، فعلى المستوى السياسي تكون الزيادة السكانية سبباً في امكانية وجود نسق حكم الاكثرية، بينما لا يتوافر ذلك في المناطق التي تنقسم بقلة السكان، وتنعكس الزيادة السكانية على تباين الاعمار ونوع الجنس [الجندر] وبدورها تنعكس على الاتجاهات السياسية^١ وفي المجتمعات السياسية حديثة الديمقراطية فقد سمحت القوانين للنساء بالانتخاب والترشح والوصول إلى الوزارة ولكن بدرجة أقل من الرجال^٢، أي بنسبة ٢٥% في العراق وفق قانون الكوتا.

وعلى المستوى الاقتصادي فإن زيادة السكان لها إيجابية تعمل على تحقيق الاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية وتحسن الهيكل السكاني على وفق الاعمار وذلك يرفع نسبة من هم في سن العمل وتخلق حالة من التجديد في اضافة خبرات الاجيال الجديدة وزيادة الانتاج وتوفير للتنمية الاقتصادية والقوى العاملة اللازمة لها والاسواق الكافية لاستيعاب منتوجاتها، وتجنب السكان حالة الشيخوخة ومن ثم تخفف عن الاقتصاد الاعباء المالية التي تخصصها الدولة لهذه الفئة من السكان ويكون محفزاً لتحقيق التقدم العلمي والتقني^٣ وبالتالي يتحقق مفهوم السكان المثالي الذي تتعادل فيه كفة السكان مع كفة الموارد الطبيعية^٤، وسياسياً فإن الاقصاء، العنف والجور، وعدم المساواة في ملكية الأرض كانت هي اساس التكوين الطبقي^٥ أثرت تلك السياسات على تركيبة المجتمع العراقي وخلقت حالة تمزق وعدم تجانس طبقي.

^١ عبد العظيم جبر حافظ، التحول الديمقراطي في العراق: الواقع والمستقبل، تقديم: د. فالح عبد الجبار، (القاهرة: مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ٢٠١١)، ص ١٥٨.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٥٩.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٥٩.

^٤ د. مشحون زيد محمد التميمي، دراسات في السوسيولوجيا السياسية، (عمان: دار دجلة ناشرون، ٢٠١٨)، ص ١٥٣.

^٥ د. مشحون زيد محمد التميمي، الدولة واجهزتها الإيديولوجية في الفكر السوسيولوجي المعاصر، دراسة مقارنة، (عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون، ٢٠١٦)، ص ٣٨٣.

أما الطبقات الاجتماعية فقد تنتج التنمية طبقات اجتماعية قد يُطور بعضها مثل الطبقة العاملة اهتماماً بعملية الديمقراطية^٦ التي لها الدور الأكبر في ترشيد مستقبل الاقليات في ظل مجتمع ما زال يتسم بالانغلاق ونوع من الاستبداد السياسي الموروث من تركة الانظمة المتوارثة على الحكم في العراق.

عرف العراق منذ ثمانينيات القرن الماضي وحتى اليوم حروباً وصراعات خارجية وداخلية مختلفة ومر بحالات كثيرة من انعدام الاستقرار السياسي، فقد تركت جميعها أثراً سلبية كبيرة على تركيبة الدولة وتماسكها، وعلى فعالية مؤسساتها وشرعيتها وعلى متانة النسيج الاجتماعي وطبيعة العلاقات بين الجماعات، وعلى الاقتصاد الوطني والموارد الطبيعية. واليوم يواجه تحديات أساسية مرتبطة بالقدرة على مواجهة الازمات والارتباطات وهشاشة الوضع الداخلي، ولعل أبرز تلك التحديات أزمة الارهاب والنزوح الداخلي وما يطرحه من تحديات جوهريّة على تحقيق اهداف التنمية المستدامة بنحو عام، وعلى التجاوب المحلي لتعزيز التماسك الاجتماعي بنحو خاص.^٧

تفرض ظروف التحدي القائمة وتداعياتها على الامن الانساني في العراق بأن يصبح مفهوم الصمود محورا رئيسيا في مناقشة سياسة الحد من الصدمات والمخاطر، وما ينجم عنها من مشكلات في المنطقة، من خلال تقييم مرونة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية وقدراتها في التخفيف منها فتقديم التصورات والمؤشرات يمكن ان يسهم في تحصين الفهم وزيادة الوعي بين اصحاب المصلحة الوطنية والمحلية المتعددة حول قوة عمليات التواصل والتعاون وحيويتها والشراكات والعمل التطوعي، والاندماج الاجتماعي في بناء مجتمعات قوية، فالمهجرون واللاجئون والنازحون والمهاجرون بسبب الازمات والكوارث ليسو فقط الفئة الأكثر هشاشة لجهة الاحتياجات الأساسية والضرورية من ايواء وغذاء وعناية طبية وغيرها، بل هم ايضا الفئة التي تعاني من اشكال متعددة من التهميش والاقصاء والتمييز وحتى الاضطهاد، بما في ذلك داخل البلد الواحد، مما يهدد النسيج المجتمعي بالتفكك.^٨

يطرح اليوم الشعور بالثغرة المتزايدة التي تجسدها طبيعة الولاءات والانتماءات المشتتة التي تحكم منظومات السلوك والممارسات اليومية للانسان العراقي في ظل دولة رخوة تتجاذبها تيارات وتحديات كبيرة، وقد نجم عن تلك المتغيرات ان تأثرت وبشدة مصادر التقليدية في رأس المال الاجتماعي خلال العقود الثلاثة الاخيرة، وعلى سبيل المثال تأثرت العلاقات المتبادلة بين الثقافة في رأس المال الاجتماعي في المجتمع التقليدي العراقي، واضطر ملايين الناس الى النزوح داخل البلد وخارجه وتعاضمت حالة التشظي وتفتت روح الانقسامية نتيجة الحرب والارهاب والتفجيرات وما رافقها من انتشار باشكل متعددة للعنف. وفي المدن كما هو في الريف تعاضمت حركة النزوح وتقلصت صور التضامن التقليدي ولم تتمكن كثر من العوائل من الحفاظ على مستويات معيشية لائقة وبقاء اوضاعها سليمة على الرغم من تغيير اماكن تواجدها خارج منطق النزاع.

^٦ عبد العظيم جبر، مرجع سابق، ص ١٧٦.

^٧ ينظر عدنان مصطفى ياسين، التشغيل والبطالة في المجتمعات المتأثرة بالنزاع، حالة العراق، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد ٢٠١٨، ص ص ٨ - ٩.

^٨ عدنان مصطفى ياسين، المصدر نفسه، ص ١١.

فالتحديات الاجتماعية التي تواجه عملية التنمية حالة التنمية البشرية في العراق (الصحية، التعليمية، المعيشية) اذ يظهر دليل التنمية البشرية العالمي لعام ٢٠١٦ ان ترتيب العراق يقع ضمن فئة البلدان متوسطة التنمية البشرية (تسلسل ١٢١) من بين بلدان العالم البالغة ١٨٨ دولة. وهيمنة الولاءات الفرعية ما قبل الدولتية وضعف سلطة القانون والنفاذ للعدالة، ولدت عجزا بنيويا وتوالد متواصل للمشاكل وافتقارا للارادة المجتمعية ولادوات تمكينه ووسعت مساحة التشطي واضطراب النسيج المجتمعي، ما ادى الى استنزاف مقومات التنمية واستدامتها. وارتفاع مستويات الفقر متعدد الابعاد، الناجم عن الازمات المتلاحقة والنزاعات المسلحة وما رافقها من ارهاب وعنف ونزوح سكاني زعزعت الامن الانساني والاستقرار المجتمعي، والذي ادى بدوره الى ضعف السياسات الاجتماعية وتفككها والى مضاعفة الكلف الاجتماعية للازمات وتفاقمها مما يهدد جودة نوعية الحياة ورفاه المجتمع، فضلا عن الازمات التي تعرض لها المجتمع وضعف السياسات الحمائية الكبيرة اسهمت في زيادة مساحة الفئات الهشة من السكان (المعاقين، المسنين، الارامل، الايتام) بحيث زادت نسبة الهشاشة عن ٥٠% عام ٢٠١٦. كما انتجت ظروف النزوح هشاشة مركبة (فئات هشة + نزوح وتهجير) رافقت ارتفاع مستويات الارهاب والعنف وما نجم عنها من ظروف التهجير القسري وما تزال ايضا فجوة النوع الاجتماعي تقوض اسس البناء التنموي بسبب القوالب النمطية التقليدية المحددة لادوار المرأة المتأثرة بهيمنة الثقافة الذكورية المتجذرة في عمق البناء الاجتماعي وقد انعكس ذلك على ضعف مشاركة المرأة في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومحدودية اشغالها للادوار القيادية في المؤسسات التشريعية والسياسية^٩. كما يجدر ان نذكر استمرار عجز الدولة والمجتمع عن استيعاب الشباب وتأطيرهم بالحياة العامة وتوفير فرص العمل اللائق لهم مما يهدد ركائز الاستقرار والامن الاجتماعي ويدفع البعض منهم الى الهجرة خارج الحدود او الانتماء الى المجاميع الارهابية اذ بلغ معدل البطالة للأفراد بعمر ١٥ سنة فاكثر ١٠,٨% (١١,٥% في الحضر مقابل ٨,٨% في الريف بينما بلغت نسبة العمالة الناقصة اقل من ٣٥ ساعة عمل اسبوعيا ٢٨,٢%)^{١٠}. كما ان خضوع مناطق واسعة من العراق لسيطرة داعش الارهابي لمدة تقارب ٣ سنوات وتوسع حاضنات التطرف والارهاب والعنف الناجمة عن ظروف الاحتلال وعمليات التنشئة الاجتماعية والبرامج الدراسية التي خضع لها اطفال وشباب تلك المناطق سترك اثارا نفسية واجتماعية عميقة تقوض وحدة وتماسك النسيج الاجتماعي كما ان مؤشرات التعليم بمراحله كافة لم تشهد تقدما نوعيا وانتشارا جغرافيا وتغطية لبناء التحتية مع استمرار ارتفاع مستويات الامية والتسرب وفجوة النوع مما يهدد منظومة البناء التربوي ويعيق مواكبتها للمتغيرات الدولية المستجدة لميادين المعرفة واستمرار تراجع مستوى الخدمات الصحية وضعف انتشارها وعجزها عن تلبية الاحتياجات الحقيقية للسكان مع ارتفاع هجرة الكفاءات الطبية للخارج والذي ادى الى اختلال النسبة في المؤشرات (طبيب/سكان)^{١١}. وعلى صعيد يتسبب نقص الماء والاراضي غير الصالحة للزراعة لمشكلات كثيرة بسبب النمو السكاني العالي وتضخم القوى العاملة في المناطق الحضرية. ومن المؤكد ان نسبة

^٩وزارة التخطيط، دائرة السياسات الاقتصادية والمالية، خطة التنمية القومية، ٢٠١٦.

^{١٠}وزارة التخطيط، دائرة السياسات الاقتصادية والمالية، خطة التنمية القومية، ٢٠١٧.

^{١١}وزارة التخطيط، خطة التنمية القومية ٢٠١٨-٢٠٢٢.

تحول السكان من المدن قد ازدادت الى حد كبير بنحو ثلاث اضعاف ما بين عام ١٩٥٠ - ٢٠١٧ مما اوجد احياء سكن فقيرة وعشوائية حول اطراف المدن ودفعت طوائف والجماعات العرقية والقبائل الى تماس من نوع جديد وفي بعض الاحيان الى التوتر والعداء، وكنتيجة طبيعية لا يؤدي الضغط السكاني الى زيادة البطالة بين الشباب فحسب بل يوجد حشود جديدة من السكان في احياء فقيرة في المناطق الحضرية حيث تكاليف الحياة عموما اعلى من المناطق الريفية، ويمكن القول ان الضغوط السكانية الحادة والادارة غير الرشيدة والانقسام العرقي وضياح فرص التنمية والبطالة الكبيرة والمستقبل المجهول وقضايا ذات علاقة اخرى يمكن ان تنعكس سلبا على شبكات الامان الاجتماعي وربما تغذي التطرف والعنف لمدد طويلة.

وعلى صعيد الاسقاطات السكانية في العراق تشير التقديرات الى ان مجموع السكان بلغ حوالي ٣٤ مليون نسمة عام ٢٠١٥ منهم ٩ مليون قوة عمل اي ما يقارب ٢٥% من إجمالي السكان ويشكل الذكور العاملون ٨٣% من إجمالي قوة العمل ونسبة النساء ١٧% فقط. لقد كان لازمة المزدوجة التي عاشها العراق منذ منتصف ٢٠١٤ واحتلال التنظيمات الارهابية لعدد من المحافظات والمناطق وتأثيراتها على مجمل الاوضاع ولا سيما الاقتصادية والاجتماعية وتفاقمت اثارها على الفرد والاسرة والمجتمع مولدة بيئة هشة غير محمية تعاني من عدم الاستقرار والتشتت وانعكست على حال التشغيل والاستثمار والانتاج والنمو والحراك السكاني.

ولم تتمكن خطة التنمية الوطنية ٢٠١٣ - ٢٠١٧ من تحقيق اهدافها المرسومة بخفض معدلات البطالة الى ٦% عام ٢٠١٧ ورفع نسبة المشاركة في النشاط الاقتصادي الى ٥٠% في نفس العام وتطوير فعاليات مؤسسات سوق العمل ورفع انتاجية العمل وتوفير بيئة عمل لائقة لكن استمرار الخلل وعدم التوازن في سوق العمل وانفصام مخرجات التعليم مع تأثيرات مباشرة وعميقة لازمة الالهاب والعنف وما رافقها من نزوح واضرار وخسائر مادية وبشرية واجهت ملايين السكان بلورت تفسيرات مقنعة بارتفاع معدلات البطالة الظاهرية لتصل الى ٢١% عام ٢٠١٣ وارتفاع معدلات العمالة الناقصة الى ٢٨,٢%، اذ ترك سكان المناطق المحتلة من التنظيمات الارهابية مناطق سكنهم وعملهم وممتلكاتهم ولد ذلك بيئة خصبة لارتفاع مستويات الفقر لترتفع الى ٣٠% على مستوى العراق عام ٢٠١٧ والى ٤١% في المحافظات التي احتلتها التنظيمات الارهابية بعد ان كانت حوالي ١٩% نهاية عام ٢٠١٣.^{١٢}

تبدو صورة المستقبل في ضوء تحديات لتوليد فرص عمل مستدامة غامضة في ظل العجز المستمر وتراجع الامكانيات وعدم فاعلية سياسة التشغيل لتوليد فرص عمل جديدة لجيوش من الخريجين والشباب خارج سوق العمل، وفي ظل استحكامات وضوابط لنمو اقتصادي غير مولد للوظائف، وقطاع خاص احجم عن استثمار رأسماله في بيئة غير جاذبة وغير آمنة، وموازنة اتحادية اعلن قانونها عن تجميد الوظائف لسنة ٢٠١٧ - ٢٠١٨ ونشاط اقتصادي راكد تستديم فيه خاصية ذكورية المشاركين ٦٥% قطاع عام في ظل تقليدية سوق العمل، مع واقع تشغيلي مختل بلغت فيه نسبة الموظفين من حملة الشهادات العليا (٣,٨%) مقابل (٤٠,٤%) حاملي الشهادة الاعدادية ٢٠١٥ في حين ارتفعت نسبة القوى العاملة ممن لديهم سنوات خدمة من (١٠-١ سنوات) لتبلغ (٤٥%) مقابل (١٨%) للفئة العاملة التي لديها ٢٥ سنة فاكثر. وامتد الاختلال ليشمل نسب توزيع القوى العاملة في مؤسسات الدولة حيث تبوأ مؤسسات الدولة

^{١٢} وزارة التخطيط، دائرة السياسات الاقتصادية والمالية، خطة التنمية القومية، ٢٠١٨.

التربية المرتبة الاولى بنسبة (٣٧,٦%) تلتها المؤسسات الصحية (١٤%) ثم مؤسسات الطاقة والنفط (٨%) من إجمالي حجم التشغيل، فهذه الظروف مجتمعة جعلت من نسبة الداخلين الى قوة العمل (٢,٩%) في حين كانت نسبة الخارجين (٢,٧٦%) من إجمالي قوة العمل عام ٢٠١٥.

المحور الثاني: خصائص البنية الاقتصادية العراقية

يُوصف الاقتصاد العراقي بالأحادية لاعتماده الضخم على قطاع النفط^{١٣} أثر ذلك وضع الاقتصاد العراقي في دوامة أزمت وأكبت مسيرته على مدار تاريخ تأسيس الدولة العراقية حتى اللحظة، وتموضعت لتصبح تلك الإشكاليات عبارة عن حلقات الوصل بين كل حقبة تاريخية سياسية وأخرى، كانت رداءة وسائل الانتاج والفكر الاقتصادي العراقي، وهيمنة الدكتاتورية وقمع الامبريالية لها من العواقب الوخيمة على الاقتصاد بشكل عام، وهي التي بلورت تلك الخصائص التي يمكننا أن نبلورها بصورة ادق وفق ما يلي:^{١٤}

- ١_ اختلال الهيكل الاقتصادي (هيمنة قطاع النفط)
 - ٢_ تشوه الميزان التجاري (تضخم عوائد النفط)
 - ٣_ انهيار البنى الارتكازية للإقتصاد (الخدمات وانظمتها)
 - ٤_ اختلال هيكل الإنتاج (أولوية الفروع القائدة لتطوير القاعدة الانتاجية)
 - ٥_ اختلال هيكل الموازنة (ارتفاع مستوى العجز)
 - ٦_ النمو المتسارع في معدلات البطالة (حجم البطالة قرابة ٥٠%)
 - ٧_ شحة مصادر الاستثمار وضخامة الديون الخارجية.
- وهي خصائص عمقتها الطائفية في العراق وأثرت بشكل جلي على تشييط عجلة التقدم، وعزل العراق في مواكبة تطلعاته النهضوية والتكاملية، من خلال اقتصاد السوق والخصخصة التي دشنتها الأمركة من خلال ربط الاقتصاد العراقي بالاقتصاد الأمريكي والرأسمالي على وجه العموم، وتحول الاقتصاد العراقي من النموذج الاشتراكي التحرري إلى النموذج الرأسمالي الكولونيالي، فأهم ما عمل عليه الاحتلال هو تحويل الاقتصاد العراقي من المنظومة الاشتراكية (النظام القومي السابق) إلى المنظومة الرأسمالية. فيما أرهق الفقر والعوز والفاقة، والبطالة المستمرة ميزانية الدولة والمجتمع وعرقل جهود تأمين الرفاهية^{١٥} وهذا الخلل الاقتصادي له اثار سياسية جانبية حيث يزيد حدة التنافر الاجتماعي^{١٦} الأمر الذي يؤسس لمشكلات تعرقل مسار الديمقراطية وتقف بوجه تقدمها، وهو ما فعلته الطائفية في العراق بتفكيك لحمة المجتمع العراقي ونسيجة الاجتماعي، وتدمير مشروعه الديمقراطي تحت عناوين الطائفية وتجلياتها.
- ان تفعيل المحاصصة في مؤسسات الدولة وتنصيبها، من أجل ترسيخ جذورها وبناء قاعدة شعبية لها، من خلال توزيع المغام بين أطراف اللعبة التي تقوم غالباً على النفوذ العائلي

^{١٣} عبد العظيم جبر، مرجع سابق، ص ١٨٨.

^{١٤} مصطفى عمر مصطفى، السياسة المالية في العراق للفترة من (٢٠٠٣ _ ٢٠١٢)، دراسة تحليلية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الدول العربية/ معهد الحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٥٨ _ ٦١.

^{١٥} صبري سعيد، الديمقراطية، ط ١، (القاهرة: نهضة مصر للنشر، ٢٠٠٧)، ص ٦٥.

^{١٦} المرجع نفسه، ص ٦٦.

التاريخي _ أو الحزبي أو العقائدي شكل عبء على الدولة وثقل على اقتصادها، وشل قدراتها،^{١٧} وهو أمر كرس حالة الفشل الاقتصادي في منظومة الدولة العراقية، والتي ورثت ذلك الفشل بسبب الاستبداد والدكتاتورية التي مارسها النظام السابق وبذخ الاموال الطائلة في حروب ومعارك وتصنيع عسكري اظهر العجز في بنية الاقتصاد لتأتي الظروف الجديدة التي خلفها الاحتلال والطائفية ليمدا ذلك العجز بنفس المدخلات وبالتغذية ذاتها.

كما ان الاقتصاد العراقي قد حقق في الاعوام ٢٠١١- ٢٠١٣ ارتفاعا ملموسا في معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي نتيجة للتحسن النسبي في بعض مؤشرات ومتغيراته الاقتصادية بسبب ارتفاع اسعار النفط وبالتالي ايرادات الموازنة للسنوات المذكورة آنفا، اذ ان العراق يعود الى انه احد البلدان الذي يتمتع بوفرة واسعة من الموارد الطبيعية المتمثلة في كونه يمتلك ثالث اكبر احتياطي من النفط في العالم الى جانب احتياطيات كبيرة من الغاز الطبيعي ولديه نهري دجلة والفرات والاراضي الخصبة الصالحة للزراعة كما انه يمتاز بوجود النفط الخام في اليابسة وقريبة من السطح ولذلك فان تكاليف انتاجه الاقل في العالم. ووفقا لذلك فان النفط الخام يعد اهم سلعة منتجة في العراق وهو المصدر الطبيعي للبلد ويتمتع بمزايا عديدة، اذ ان خطة التنمية ٢٠١٣-٢٠١٧ اكدت على ضمان تأمين موقع متقدم للعراق في مجال انتاج النفط وتصديره ودعم الاحتياطي النفطي والغازي لديمومة الدور الحيوي للعراق عالميا. الا ان كل هذه الموارد الطبيعية والتي تمنح العراق ميزة نسبية في الامكانات التنافسية في مجالات كثيرة من الصناعات المهمة تنخفض اهميتها الاقتصادية من حيث اثرها في تطور وتقدم الاقتصاد الوطني، بل وقد تكون سلبية في بعض الحالات حسب السياسات الاقتصادية المتبعة والاجراءات المتخذة في البلد وذلك اذا ما كانت تلك الموارد الطبيعية الهائلة حتى مناخ استثماري متردي وفي بيئة استثمارية طاردة للاستثمار وفي ظل حروب ونزاعات وسياسات اقتصادية كلية لا تشخص مواطن الخلل بدقة ولا تضع بدائل حالية وبدائل طارئة، كل ذلك ادى الى غياب وانعكاس التطور في قطاع النفط على القطاعات الاخرى.^{١٨}

شهد العراق خلال عامي ٢٠١٤-٢٠١٥ انخفاضاً في الناتج المحلي الإجمالي بسبب انخفاض سعر البرميل من النفط عالمياً مع تراجع الطلب عليه ووفرة المعروض النفطي والمخاطر السياسية والتحديات الامنية المتمثلة بمواجهة ارهاب داعش وما ترتب عليه من تداعيات حيث ادى كل ذلك الى انخفاض الناتج المحلي الإجمالي ومعدلات النمو الاقتصادي فيه حيث لا يزال العراق يواجه العديد من التحديات الاقتصادية والاجتماعية مثل:-^{١٩}

- دور غير واضح المعالم للقطاع الخاص
- الطلب الكبير على فرص العمل

^{١٧} نصر خضر الطرزي، في سبيل النهضة: تصور لدور الفرد وللمشروع وللأرداة، ط ١، (عمان: د. د، ٢٠٠٥)، ص ١٥١.

^{١٨} وزارة التخطيط، المؤتمر الاول لاعداد خطة التنمية ٢٠١٨-٢٠٢٢، تحليل مؤشرات الاقتصاد في العراق.

^{١٩} وزارة التخطيط، خطة التنمية القومية، ٢٠١٨، ملف الحكم الرشيد.

- الطلب المتزايد على الخدمات الاساسية
- ضعف الانتاجية وعدم مرونة الجهاز الانتاجي
- ضعف دور الجهاز المصرفي في تلبية متطلبات التنمية
- الارتفاع المستمر في حجم النفقات التشغيلية على حساب النفقات الاستثمارية
- الزيادة المستمرة في حجم السكان وارتفاع نسبة الفقر
- ضعف التنسيق بين السياسات الاقتصادية الكلية (المالية والنقدية)
- عدم وضوح الهوية الاقتصادية العراقية
- تفشي ظاهرة الفساد المالي والاداري

المحور الثالث: التفاوت الطبقي وأثره على الاقتصاد العراقي

كان للتفاوت الطبقي أثراً سلبياً على الصُعد المحلية الأخرى حتى في فترة ما بعد الغزو الأمريكي للعراق، من منطلق إن التفاوت أو الصراع الطبقي يُشتت الإنسانية ويزيد من حدة الصراعات التي تنعكس سلباً على الجوانب الاقتصادية، ومن منطلق الرؤية القائلة بأن كل أزمة اقتصادية تتعايش معها أزمة سياسية من نوع متميز في ظل التناقض الطبقي في المجتمعات الرأسمالية^{٢٠}، وان النخبة السياسية العراقية بكل ممارستها هي نتاج وتعبير عن سمات هيكلية في النظام السياسي العراقي الذي يعبر عن نظام رأسمالية الدولة الذي يتماشى مع الظروف الخاصة للدولة العراقية ونشأتها ليصب في مجموعة من الآليات التي تضمن استمراره^{٢١}، فقد تواصلت الأزمة السياسية العراقية بعد سقوط النظام السابق نتيجة لعمق التغيير في بنية النظام السياسي والانهيار الكامل في مؤسسات الدولة الاقتصادية والعسكرية والخدمية والمرافق العامة من جهة، وللهجمات الارهابية _ ذات الطابع الطائفي _ من الجماعات الإسلامية الراديكالية الاجنبية والمحلية من جهة ثانية، إضافة إلى طرق إدارة الاقتصاد السيئة والريضة التي فرضتها قوى الاحتلال الأمريكي على الواقع الراهن^{٢٢} حيث تعرضت المنشآت النفطية وحدها بسبب أعمال العنف الطائفي بعد الغزو في ذروتها بين عامي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ إلى أكثر من ٣٠٠ هجوماً، وفي العام ٢٠١٣ كان خط أنابيب كركوك _ جيهان الأكثر استهدافاً بالهجمات الارهابية عبر تعرضه لأكثر من ٣٠ تفجيراً^{٢٣}.

^{٢٠} أحمد مجدي حجازي، علم اجتماع الأزمة، ط١، (القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨)، ص ١٤١.

^{٢١} د. مشحون زيد محمد، دراسات في السيوسولوجيا، مرجع سابق، ص ٥٥.

^{٢٢} صبري زاير السعدي، التجربة الاقتصادية في العراق: النفط والديمقراطية والسوق في المشروع الاقتصادي الوطني (١٩٥١-٢٠٠٦)، ط١، (دمشق: دار المدى، ٢٠٠٩)، ص ٢٤.

^{٢٣} إبراهيم الغيطاني، "تهديدات جيو اقتصادية: مستقبل صناعة النفط في بلدان الصراعات العربية"، مجلة اتجاهات الأحداث، دبي، المجلد الأول، العدد ٢، ٢٠١٤، ص ٦٤-٦٥.

وأصبح العراق يواجه تحديات خطيرة مزدوجة إذ أن تكلفة الفشل في محاربة الإرهاب والحفاظ على الاستقرار وإعادة بناء الدولة ستكون مدمرة وبالغة^{٢٤} بسبب الأعمال التخريبية التي استهدفت البنى التحتية والحيوية للعراق، وتنامي دور الإرهاب الداخلي (المحلي) فضلاً عن سياسات الاحتلال، إذ ما زالت الإستراتيجية الإرهابية تستهدف منع قيام نظام ديمقراطي جديد في العراق من خلال تدمير البنية الأساسية والمرافق العامة وعرقلة الفعاليات الاقتصادية اليومية، فقد أظهرت التجربة العملية وجود علاقات سببية بين البطالة والفقر والتدهور في مستويات المعيشة والعنف والهجمات الإرهابية^{٢٥}.

حيث إن عملية تدمير بنية الدولة العراقية وبروز الطائفية كبديل سياسي، كان بمثابة "سحق للإقتصاد العراقي"، مما يعني تدمير كل قطاعات الاقتصاد الوطني وتخريبها خاصة قطاع الصناعة والخدمات^{٢٦} حيث تم تدمير أكثر من ١٩٢ مشروعاً كبيراً مملوكاً للقطاع العام للدولة، وتكاد معظمها شبه مُعطّل بسبب نقص الطاقة ومستلزمات العملية الإنتاجية^{٢٧} كما عطلت الأزمة الطائفية قطاع الخدمات (الوقود والماء والكهرباء)، وتسببت في تناقص إنتاج النفط بخسائر وطنية فادحة (حوالي ١٠ مليارات دولار في ٢٠٠٥)، الأمر الذي عطل برنامج إعادة إعمار العراق^{٢٨} بسبب أعمال العنف الطائفي والعمليات التخريبية التي نفذتها الجماعات الإرهابية لأستهداف البنى التحتية للدولة ومشاريعها الحيوية.

بمعنى إن الأعمال الإرهابية كانت من الأسباب التي عرقلت الجهود الاقتصادية، وخاصة في مجال إعادة إعمار البنية الأساسية والصناعة النفطية وتعثر الاستقرار السياسي، الذي هو شرط أساسي للنمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية والبيئية^{٢٩}، والأشد خطورة اليوم هو سيطرة داعش على المناطق الشمالية من العراق الذي أدى إلى وقف إنتاج حقل كركوك، وتعطيل صادراته البالغة ٢٥٠ ألف برميل يومياً^{٣٠}، والخطر من ذلك كله هو قيام داعش ببيع المشتقات النفطية التي تقع تحت سيطرتها والتربح به، ومن ثم تعزيز سطوتها العسكرية بشراء السلاح والعتاد الأمر الذي إنعكس سلباً على الوضع الأمني كما كان سلباً على الوضع الاقتصادي.

^{٢٤} صبري زاير السعدي، التجربة الاقتصادية في العراق، مرجع سابق، ص ٥٢٣.

^{٢٥} المرجع نفسه، ص ٥٢٥-٥٢٦.

^{٢٦} بشير ناظر الجحيشي، مرجع سابق، ص ١٨٠.

^{٢٧} د. أحمد عمر الراوي، دراسات في الاقتصاد العراقي بعد ٢٠٠٣، ص ٤٠٣.

^{٢٨} بشير الجحيشي، مرجع سابق، ص ١٨٠.

^{٢٩} المرجع نفسه، ص ٤٦٣.

^{٣٠} إبراهيم الغيطاني، "تهديدات جيواقتصادية: مستقبل صناعة النفط في بلدان الصراعات العربية"، مرجع سابق، ص ٦٤.

المحور الرابع: الإصلاح الاقتصادي وأثره في استقطاب الاستثمار الأجنبي

يعد الإصلاح الاقتصادي ضرورة سياسية واجتماعية ودينية علاوة لماديتها، فهي المنطلق الذي قد يؤسس لنهضة مستدامة ويساعد على الاستثمار وتطوير وسائل الانتاج الاقتصادي، وبالتالي فهناك دوافع ومبررات للإصلاح الاقتصادي في العراق، تركت السياسات الخاطئة وسوء إدارة الاقتصاد الوطني التي فرضها النظام السابق والاضطرابات الداخلية والحروب والحصار الاقتصادي خلال العقود الثلاثة الماضية مشاكل ومعضلات كبيرة تؤكد ان النهوض الاقتصادي للعراق لا يتم الا من خلال الإصلاح الاقتصادي الذي يستهدف معالجة تلك المشاكل وتحسين الوضع الاقتصادي للبلد، ويمكن تقسيم الاتجاهات التي سار بها الاقتصاد العراقي منذ عام ١٩٦٨ إلى ثلاثة اتجاهات^{٣١} على النحو التالي^{٣٢}.

الاتجاه الأول: ويتضمن اتساع قاعدة القطاع العام، بحيث أصبح جزء كبير من النشاط الاقتصادي يدار بواسطة أجهزة الدولة، واستخدم لذلك عدد من المؤسسات كالمؤسسة العامة للتنمية الصناعية ١٩٦٩.

الاتجاه الثاني: مثل هذا الاتجاه امتداداً لمسار الاتجاه الأول، حيث تمت الموازنة بين الاستمرار في قيام مؤسسات عامة تضم إليها شركات ذات نشاط متنوع، وبين إعادة تنظيم القطاع العام في مؤسسات متخصصة، كل منها يتولى الإشراف على قطاع محدد من النشاط الاقتصادي أو فرع محدد من فروع هذا القطاع. ولهذا فقد صدر قانون المؤسسات العامة التابعة لوزارة الصناعة عام ١٩٧٠ الذي اتجه إلى تنظيم القطاع الصناعي العام على أساس التخصص النوعي.

الاتجاه الثالث: فتجسد في تركيز (حزب البعث المنحل) على دور التخطيط المركزي كأسلوب في التنمية الاقتصادية، والتأكيد على ضرورة تحويله من برامج جزئية إلى خطط قومية للتنمية تتبع من جهاز مركزي للتخطيط.

ومن المؤكد بأن سياسات الإصلاح تأتي استجابة لعدد من المتطلبات والدوافع الداخلية الاقتصادية والاجتماعية والتي يمكن صياغتها في عدد من الدوافع الرئيسية^{٣٣}:

١_ الاختلالات في الهيكل الانتاجي للاقتصاد، وتشير بيانات جدول (١) الى مساهمة القطاع الخاص في إجمالي تكوين الناتج رأس المال الثابت خلال الفترة ٢٠٠٩-٢٠٠٣.

^{٣١} جواد هاشم، مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، (بيروت: دار الساقى، لندن، ٢٠٠٣)، ص ١٥٢-١٥٤.

^{٣٢} أنظر: مشحن زيد، الدولة والمجتمع في العراق المعاصرة دراسة للأجهزة الإيديولوجية (١٩٥٨-٢٠٠٧)، رسالة دكتوراة، مصر، معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠١٢، ص ٣٦١-٣٦٣.

^{٣٣} أنظر: حيدر عليوي شامي الساعدي، "الإصلاح الاقتصادي ودوره في استقطاب الاستثمار الاجنبي المباشرة (دراسة حالة العراق)"، العراق، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ٣٣، السنة الحادي عشرة، المجلد الثالث عشر، ٢٠١٥.

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

١٩٩٥ حيث يلاحظ النسب المتواضعة لمساهمة القطاع الخاص في تكوين رأس المال الثابت في الاقتصاد العراقي، إذ لم تزد هذه النسبة في أعلى مستوى لها عن % ١٨,٢ في عام ٢٠٠٢ بعد إن كانت % ١٣,٥ في عام ١٩٩٩، وهذه الزيادة في سنة ٢٠٠٢ جاءت نتيجة لتحسن الوضع الاقتصادي الناجم عن برنامج النفط مقابل الغذاء مع الأمم المتحدة وكذلك الاستفادة من قانون الاستثمار لسنة ١٩٩٨، ولكن هذه النسبة قد انخفضت بعد الاحتلال لتصل ادنى حد لها عام ٢٠٠٨، وذلك بسبب الوضع الأمني المتدهور وتوقف معظم النشاط الاستثماري للقطاع الخاص مما أدى الى خروج رأس المال الخاص الى دول الجوار.

جدول (١) تكوين رأس المال المحلي حسب القطاعين العام والخاص في العراق بالأسعار الجارية خلال المدة

(2005-1995) (مليون دينار)

السنة	القطاع العام		القطاع الخاص		إجمالي تكوين رأس المال الثابت (٥)
	قيمة (١))	نسبة مئوية (٢)(%)	قيمة (٣))	نسبة مئوية (٤)(%)	
1995	91340.9	78.8	24526.8	21.2	115867.7
1998	345677.8	83.9	6637.3	16.1	412065.1
1999	652205	86.4	10228	13.5	754492.6
2000	1314915.1	89.7	150337.6	10.2	146252.7
2001	2305425.8	91	226015.1	8.9	2531440.9
2002	1787425.1	81.2	401651.6	18.2	2199076.7
2004	2487718.1	87.1	370088.9	12.9	2857807
2005	9743477.1	95.7	438885.1	4.3	10182382.2
2006	16838.9	97.9	354.1	2.1	17193
2007	4968183.3	95.1	257056.5	4.9	525246

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

18294765	1.9	341024.2	98.1	1795374	20
.4				1.2	08
12619728	3.2	403931.7	96.8	1221579	20
.9				7.1	09
24770462	%6	1582477.	%94	2318798	20
.7		2		5.5	10

*بيانات إجمالي تكوين رأس المال الثابت لعام ٢٠٠٣ غير متوفرة بسبب ظروف الحرب
المصدر: وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء
،المجموعة الإحصائية السنوية للأعوام (١٩٩٥-٢٠١٠).
*الأعمدة (٢،٤) من عمل الباحث .

٢- الاختلالات في هيكل الموازنة العامة للدولة :

يقصد بتوازن الموازنة تساوي الإيرادات العامة مع النفقات العامة في جداول
الموازنة العامة للدولة ومن دراسة واقع البيانات المتاحة عن النفقات
العامة والإيرادات العامة يتضح ان الاقتصاد العراقي يعاني من قصور
الإيرادات وزيادة النفقات العامة ويظهر هذا التفاوت في أحداث عجز متواصل
في الموازنة العامة.

٣- ارتفاع معدلات التضخم :

شهد الاقتصاد العراقي تضخماً خطيراً ،فقد انخفضت القيمة الحقيقية للدينار
العراقي في السوق العراقية بشكل كبير جداً ،ولم تعد كميات كبيرة منه كافية لشراء
سلعة او خدمة بسيطة، لدرجة أصبحت عملية متابعة زيادة أسعار السلع والخدمات في
العراق لتقدير معدلاتها عملية تكتنفها الصعوبات، بسبب الزيادة المستمرة في أسعارها .
ويمكن متابعة تطور الأرقام القياسية من خلال جدول (٢) إذ نلاحظ ارتفاع
الرقم القياسي لأسعار المستهلك الى (٦٩٧٩٢) في عام ١٩٩٥ ،وتعود أسباب
الارتفاع في أسعار المستهلك الى العقوبات الاقتصادية وما أحاط بها من ظروف،
وعليه فإن نسبة فائض الطلب الى المعروض السلعي قد ازدادت بمعدل نمو سنوي
مركب بلغ (١١٥,٦%)

في حين شهدت المدة (٢٠٠٣-٢٠٠٦) ارتفاع الرقم القياسي من (٦٩٤٣,٥)
نقطة عام ٢٠٠٣ الى (١٨٥٠٠,٨) نقطة عام ٢٠٠٦ أي بنسبة زيادة بلغت
(٥٣,٢%) في عام ٢٠٠٦ عما كانت عليه في عام ٢٠٠٣ ،ومحققاً نمو مركب
بلغ (٣٨,٦%) خلال المدة (٢٠٠٣-٢٠٠٦) ويعود هذا الارتفاع الى عدة أسباب
تأتي في مقدمتها زيادة القوة الشرائية في عام ٢٠٠٣ خصوصاً في النصف الثاني
من السنة بسبب الارتفاع الحاصل في الدخل الناجم عن تعديل في سلم
الرواتب والأجور لمختلف شرائح العاملين في الدولة الشرائح المدومة والتي كان
لديها الكثير من الطلب الاستهلاكي المؤجل وسرعان ما تسربت القوة الشرائية الى
السوق في ظل اقتصاد متدني المرونة في قطاعاته الإنتاجية وارتفاع تكاليف
الإنتاج وتكاليف الاستيراد انعكس في ارتفاع معدلات التضخم^(١٤)

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

جدول (٢) الرقم القياسي لأسعار المستهلك العراقي للمدة (٢٠١٢-١٩٩٥)

السنوات	الرقم القياسي العام لأسعار المستهلك	معدل التضخم السنوي %
1995	69792	-
1996	59021	15.4
1997	72610	23.02
1998	83335	14.8
1999	93816	12.6
2000	98486	49.8
2001	114613	16.4
2002	136752.4	19.3
2003	6943.5	33.6
2004	8815.6	26.9
2005	12073.8	36.9
2006	18500.8	53.2
2007	24205,5	30.8
2008	24851,2	2.7
2009	24155,1	2.8-
2010	24759	2.5
2011	26134	5.6
2012	11926	4.6

المصدر: وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية لسنوات مختلفة .

٤- ارتفاع معدلات البطالة:

تعتبر البطالة من المصاعب والتحديات الرئيسية التي تواجه الاقتصاد العراقي لما لها من انعكاسات عميقة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ومما يزيد من حدة هذه المشكلة واستمرارها مع استمرار ارتفاع معدلاتها في السنوات الأخيرة وظهورها بأشكال متنوعة فضلا عن إن الاقتصاد العراقي يعاني بشكل خاص من بطالة هيكلية ناجمة عن ضعف قدرة القطاعات الاقتصادية على استيعاب الإعداد المتزايدة من الأيدي العاملة والقادرة على العمل والراغبة فيه حيث نلاحظ تراجع معدل البطالة الى (١٧,٥%) عام ٢٠٠٦ والى (١٥,٣%) عام ٢٠٠٨ وهذا الانخفاض يعزى الى تحسن الوضع الاقتصادي في العراق حيث بدأت المصانع تفتح

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

أبوابها وشركات القطاع الحكومي والمختلط وحتى شركات القطاع الخاص فجذبت نسبة من العاطلين عن العمل واستيعاب القطاع العام نسبة كبيرة من العاطلين وتعيين الخرجين إضافة الى طبيعة سياسة التشغيل التي تبنتها الحكومة بعد عام ٢٠٠٥ والهادفة الى زيادة أعداد المشتغلين في الدولة والجهاز الأمني^(١٨)، ونلاحظ انخفاض نسبة البطالة للسنوات الباقية حيث وصلت الى (١١%) عام ٢٠١١

جدول (٣) عدد السكان والعاملين في أجهزة الدولة (القطاع العام والخاص)
ومعدل البطالة في العراق للمدة (٢٠١٢-١٩٩٥)

السنوات	عدد السكان مليون نسمة (١)	عدد القوى العاملة الف عامل (٢)	عدد القوى العاملة / عدد السكان (٣)	معدل النمو السنوي للقوى العاملة (٤)	معدل البطالة (٥) %
1995	20.536	854093	41.6%	-	25
1996	21.124	853044	40.4%	0.12-	
1997	22.046	860733	39%	0.9	13.6
1998	22.702	853307	37.6%	0.86-	
1999	23.382	854278	36.5%	0.11	
2000	24.086	880756	36.6%	3.1	26
2001	24.813	924397	37.3%	4.9	26.6
2002	25.565	952412	37.3%	3.03	27
2003	26.340	961284	36.5%	0.93	28.1
2004	27.895	970062	34.8%	0.91	26.8
2005	27.892	1124497	40.3%	15.9	17.9

2006	28.810	1155741	40.3%	2.8	17.5
2007	29.682	2060260	69.4%	78.3	11.8
2008	30.577	2287675	74.8%	11	15.3
2009	31.508	2320247	73.6%	1.4	15.5
2010	32.358	2468422	76.2%	6.4	11.1
2011	33.3				11

المصدر: يحيى حمود حسن، مستقبل سوق العمل العراقية في ضوء الخصخصة، مجلة العلوم الاقتصادية، البصرة، العدد ١٥، مجلد ٤، ٢٠٠٥، ص ٨.

وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، للسنوات (٢٠١٢-٢٠١١) الحقول (٥،٢،١)، و الحقول (٣)، (٤) احتسبا من قبل الباحث .
ثانياً: سياسات الإصلاح الاقتصادي اللازمة لاستقطاب الاستثمار الأجنبي المباشر الى العراق أثبتت تجارب بعض الدول النامية مثل (مصر وماليزيا) ان الإصلاح الاقتصادي يعتبر متغيراً ايجابياً لجذب الاستثمار الأجنبي المباشر، وان بلداً مثل العراق هو بحاجة ماسة وملحة للاستثمارات الأجنبية المباشرة لذلك عليه تهيئة المناخ الاستثماري الملائم لها، خصوصاً وان سياسات الاقتصادية التي قام بها النظام السابق لم تساعد على خلق مناخ استثماري ملائم لجذب الاستثمارات الأجنبية، حيث اتضح ان تلك الإصلاحات كانت جزئية وتنطلق من إدارة الأزمة ولم تساعد على تشجيع وتطوير القطاع الخاص بل كرسست لهيمنة القطاع العام، فقد بقيت اغلب مؤسساتنا الاقتصادية الإنتاجية والخدمية تعاني التخلف وانخفاض الإنتاجية ورياءة النوعية، وتظهر الحاجة الماسة للاستثمارات الأجنبية من خلال صعوبة الاعتماد على إمكانياتنا الذاتية في معالجة المشكلات والاختلالات الهيكلية التي يعاني منها الاقتصاد العراقي، اذا فعلى العراق ان يوجه اهتمامه لخلق مناخ حاضن وجاذب للاستثمار الأجنبي المباشر من خلال التركيز على خلق سياسات اقتصادية ومعايير مؤسسية مستقرة وواضحة وهذا لا يتم الا من خلال تطبيق جملة من الإصلاحات الاقتصادية وأهمها ما يأتي:

١- خصخصة المشاريع العامة: مع حجم مقدار التخطيط الذي أصاب النظم السابقة في رسم سياسته الاقتصادية، ومع اشتداد حدة التدهور المالي للبلاد، نؤكد على ضرورة اعتماد إجراءات الانفتاح الاقتصادي وتبني سياسة الخصخصة التي فشلت بدورها فشلاً ذريعاً بسبب غياب المؤسسات الضرورية، والقوانين اللازمة التي تهيئ الظروف المناسبة لإنجاح الإخصاص ودعم النشاط الاقتصادي المتولد عنه.^{٣٤}

٢ - تفعيل السياسة المالية في العراق

٣ - الإصلاح المصرفي

ثالثاً: أهمية الاستثمار الجاذبة او الطاردة في العراق

يعرف مناخ الاستثمار بأنه مجمل الأوضاع السياسية والاقتصادية والإدارية والقانونية التي يمكن ان تؤثر على فرص نجاح مشروع استثماري في بلد معين، وفي تعريف آخر نجد ان المناخ الاستثماري هو درجة الثقة في سياسات الدولة تجاه الاستثمار وارتباط ذلك بالتشريعات السارية والممارسات العملية ، والظروف الداخلية والدولية التي تؤثر في النشاط الاستثماري بوجهه عام وتتاثر بها.

رابعاً: الاستثمار الأجنبي المباشر في العراق للفترة : (٢٠١٢-٢٠٠٣)

الملاحظ من الجدول (٤) ان حجم الاستثمار الأجنبي المباشر في العراق في عام ٢٠٠٣ لم يكن موجوداً بسبب حرب الخليج الثانية ونجد أن حجم الاستثمار الأجنبي المباشر اخذ بالظهور بمقدار (٩٠) مليون دولار بعد الاستقرار النسبي للأوضاع الأمنية في العراق وبنسبة (٠,٠٠٠١) بالنسبة للعالم و(٠,٠٠٠٣) بالنسبة للدول النامية ، وبدا

(٣٤) د. محمد علي زيني، مصدر سابق، ص ٢٨٥.

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

بالارتفاع المتواصل إلى (٩٧٢ مليون دولار وبنسبة (٠,٠٠٠٥%) بالنسبة للعالم و(٠,٠١٨% بالنسبة للدول النامية . ووصل حجم الاستثمار الأجنبي المباشر في عام ٢٠١١ إلى (١٦١١ مليون دولار وما نسبته (٠,٠٠١١% بالنسبة للعالم وبلغ (٠,٠٠٢٤%) بالنسبة للدول النامية . حيث نلاحظ ان نسبة حصة العراق من الاستثمار الأجنبي المباشر قد زادت ولو بنسبة بسيطة مقارنة بدول العالم ولكن هذه المؤشرات تعتبر جيدة نظرا لظروف العراق والواقع الاقتصادي الراهن في داخل العراق وان اغلب الاستثمارات توجهت نحو القطاع النفطي لكون العراق يعتمد عليه بصورة مباشرة وخاصة الصناعات الاستخراجية .

جدول (٤) حجم الاستثمار الأجنبي المتدفق إلى العراق للفترة (٢٠١٢-٢٠٠٣) القيمة (مليون دولار)

السنة	تدفقات FDI إلى العالم	تدفقات FDI إلى الدول النامية	تدفقات FDI إلى العراق	تدفقات FDI للعراق بالنسبة للعالم	تدفقات FDI للعراق بالنسبة للدول النامية
2003	557869	175138	-	-	-
2004	710755	275032	90	0,0001	0,0003
2005	916277	334285	300	0,0003	0,0008
2006	1461074	433764	383	0,0002	0,0009
2007	1978838	529344	972	0,0005	0,0018
2008	1697343	630013	1856	0,0011	0,0029
2009	1114189	478349	1598	0,0014	0,0033
2010	1309001	616661	1396	0,0011	0,0023
2011	1524422	684399	1617	0,0011	0,0024
2012	-	-	-	-	-

المصدر: تقرير الاستثمار العالمي أعوام مختلفة .

المحور الخامس: عوامل الجذب والطرء للاستثمار الاجنبي في العراق.

يعتمد الحافز لدى المستثمرين لتوجيه استثماراتهم إلى بلد معين على عدد من المحددات أو العوائق التي تواجه هذه الاستثمارات فتحول دون جذبها (استثمارات أجنبية) ، أو تؤدي إلى هروبها (استثمارات محلية) ، وتتمثل هذه العوائق بالنسبة للاقتصاد العراقي في الآتي: عدم الاستقرار السياسي والأمني أولاً، ضعف القطاع الخاص ثانياً، انخفاض كفاءة البنية التحتية ثالثاً، ارتفاع مستوى التضخم رابعاً، الفساد المالي والإداري خامساً، ضعف التشريعات المحفزة للاستثمار سادساً، ضعف القطاع المالي والمصرفي سابعاً، اجراءات السياسة النقدية ثامناً،

السياسات التجارية تأسعاً^{٣٥} فيما شكل تمسك الريف بالعادات والتقاليد القديمة وتوارث الأرض منذ زمن الاقطاع شكل أحد أبرز معوقات الاستثمار الاجنبي، باعتبار الأرض هي قيمة القيم في حياة الفلاح القروي أنها جذوره ومورده وانبعائه^{٣٦} وهذه خصائص موروثه في الاقتصاد العراقي الذي يعاني من ضعف التراكم الرأسمالي، ارتفاع معدلات البطالة، ضعف الصادرات^{٣٧} أثر على مستقبل الاستثمار ونجاحه بما هو عملية توظيف الأموال في الفرص الاستثمارية المتاحة^{٣٨}. وهناك عوامل عديدة جاذبة للاستثمار وأخرى طاردة، يمكن توضيحها على السياق التالي، بالنسبة للعوامل الجاذبة فهي دوافع تدفق الاستثمار الاجنبي للعراق والتي تندرج ضمنها الموارد الطبيعية، السكان والقوى العاملة، السوق العراقية، الضمانات والمغريات التي يقدمها العراق، أما العوامل الطاردة فهي اقتصادية وسياسية، الاقتصادية منها تتمثل في : ضعف القدرة الاستيعابية للاقتصاد العراقي، عدم وجود اسواق مالية متطورة، التضخم العالي، الفساد المالي والإداري، أما السياسية فهي: العنف وظاهرة عدم الاستقرار السياسي، غياب المؤسسات الاقتصادية الحقيقية^{٣٩} التي أثرت بشكل سلبي على الاستثمار كان الفساد السياسي مقدمة ناجحة للفساد المالي والإداري الذي لم يعد هناك أي فرصة ناجحة لاستقطاب تلك الرؤوس الاجنبية بل ساعدت على هروب رأس المال الوطني إلى دول العالم.

الخاتمة

مثلت البنية الاجتماعية العراقية بكونها ركيزة اساسية في تحديد مستقبل الاستثمار الاجنبي في العراق، والعامل المفصلي في جذب أو طرد الاستثمار، والأمر رهن المتغيرات المحلية التي تطرأ على المجتمع في تغيير تركيبته نتيجة الفواعل السياسية التي أثرت سلباً على طرد الاستثمار الاجنبي نتيجة لعوامل تمثلت بالبيئة المحلية في مجملها وعلى وجه الدقة واقع المجتمع العراقي المتسم بالطابع الريفي (الزراعي) ثم هيمنة طابع حيازة الأرض وفق القوانين العرفية أو خارج إطار القانون والدستور العراقي المعمول به ، مما شكلت التحدي الكبير على مستقبل الاستثمار الاجنبي في العراق، ناهيك عن الفساد المالي والإداري الذي مزق مفاصل المجتمع وفكك وحداته الإدارية وبنيتة الاجتماعية، إضافة إلى حخالة عدم الاستقرار التي رافقت عملية

^{٣٥} نبيل جعفر عبد الرضا، "عوائق الاستثمارات في العراق"، موقع الحوار المتمدن، الرابط التالي: <http://www.ahewar.org>

^{٣٦} د. محمد علي مقلد، قضايا حضارية عربية معاصرة، (بيروت: دار المنهل اللبناني، ٢٠٠٣)، ص ٤٤.

^{٣٧} د. سامي عبيد التميمي، "الاستثمار الاجنبي المباشر في العراق، الواقع والتحديات مع نظرة خاصة لقانون الاستثمار الاجنبي لسنة ٢٠٠٦"، ص ٢٠٠-٢٠١.

^{٣٨} د. حاكم محسن محمد، تحليل البيئة الاستثمارية: الاستثمار المالي الاجنبي في العراق، العراق، مجلة أهل البيت، العدد السادس، (د.ت)، ص ٢٦.

^{٣٩} حيدر عليوي شامي الساعدي، مرجع سابق، ص ٨٨.

- الاستثمار واثرت فيها وحالت دون جذب رؤوس الأموال بل على العكس من ذلك تماماً ساعد على هروب رأس المال الوطني إلى الخارج.
- وخلص القول: إن مستقبل الاستثمار في العراق مهدد بالفشل التام إذا ما استمر الوضع السياسي والاجتماعي على ما هو عليه الآن في ظل الأسباب والعوامل المذكورة آنفاً، ويتحتم ضرورة البحث عن بدائل ومعالجات حقيقية تتوافق مع حجم المعطيات وواقع المقدرات الاقتصادية والسياسية والأمنية، فالأمن صمام الأمان لجذب الاستثمار ورأس المال الأجنبي، وهشاشة الأمن أفة لطرده رأس المال الأجنبي والمحلي أيضاً. وعلى ذلك ينبغي ان تركز سياسات التشغيل في مراحل ما بعد النزاع في تحليل حالة العمل الحقيقية وعلى الاعتبار الدينامي في التعامل مع المتغيرات المجتمعية اللاحقة في بنية العلاقات التنموية والاقتصادية والاجتماعية وانعكاسها على واقع سوق العمل ولا سيما عند رسم مسارات ما بعد التعافي وخياراتها وفي العراق لا بد ان نعيد النظر في منظومة التشابكات المحلية والاستراتيجية لمنظومة التشغيل التنموية باعمق ما يمكن وعلى اوسع رقعة ممكنة ايضا، من هذا المنظور نجد ان خيار التمكين الاقتصادي يشكل محورا رئيسيا لمواجهة التصدعات والاثار الناجمة عن ظروف الازمات المتلاحقة من خلال :
- تبني سياسة اقتصادية تساعد في خفض معدلات البطالة ومشاريع وبرامج مولدة لفرص العمل
 - بناء قدرات المجتمعات المحلية من خلال استهداف فئة الشباب والمرأة وضمان مشاركتهم في الفعاليات التنموية
 - خفض معدل العمالة الناقصة عبر تبني برامج تأهيلية وتدريبية للتنقيف للعمل المنظم في القطاع الخاص واصدار قوانين ضامنة لحقوقهم في هذا القطاع مشابهة للقطاع الحكومي
 - استحقاق الاجيال الضائعة والمتأثرة بالفقر والبطالة والامية وثقافة العنف بما يضمن تحقيق الامن الانساني لهم
 - توفير بيئة اعمال جاذبة ومحفزة للاستثمارات في القطاع الخاص نحو مشاريع اعادة الاعمار والتنمية
 - تبني نظام للاولويات في تنفيذ مشاريع اعادة الاعمار والتنمية في المناطق المحررة المستند الى معيار الحاجات الاساسية، ومعيار العودة للسكان النازحين فضلا عن معيار الاستدامة المبني على اساس القدرة على التمويل
 - خلق فرص استثمارية لمشاريع صغيرة لتمويل قائم على منح قروض متناهية الصغر للشباب من كلا الجنسين تحفيزا لفرص العمل، ودعما لضمان سبل العيش المستدام لهم.

تحولات مفهوم الخطاب الديني في العراق بعد عام ٢٠٠٣ م بين التسليع والتجديد

أ.د. رعد حميد توفيق صالح البياتي

الجامعة العراقية/كلية العلوم الاسلامية

المقدمة:

يعد الخطاب الديني في العراق من القضايا التي بدأ الاشتغال عليها، وكثر الحديث عنها سيما بعد أحداث ٢٠٠٣ وما استتبعها من تحولات سياسية واجتماعية وفكرية اثرت وتأثرت بالواقع الاجتماعي والديني، وشكلت وعيا جديدا للفرد والمجتمع، اذا علمنا ان الدين وخطابه شكل عنصر ركيز في قيام الحركات التجديدية والتحولات الفكرية فضلا عن قيامه بالتغييرات الاجتماعية بسبب ارتباطه المباشر بمشاكل الواقع وتحدياته.

كما شكل الخطاب الديني بتمظهراته المغلوطة شكل من أشكال التناحر والتكابر والتصارع الاجتماعي والأيدولوجي والحضاري، حتى اصبح في غالب منافسات التوجهات بيضة القبان بالنسبة للسياسي، والإعلامي وهذا وغيره كان وراء تجدد الدعوات لتجديد الخطاب الديني سيما بعد اطروحات واتجاهات تنوعت بشأن التجديد بفعل الاتاحة وحرية الادوات والافكار بعد التغيير السياسي في العراق عام ٢٠٠٣، وهنا نذكر تقسيم (نصر حامد أبو زيد) لاتجاهات التجديد على ثلاثة تمثلت في^(١):

- اتجاه المؤسسة الدينية الرسمية للدولة الممثلة في المؤسسات الدينية، وفي بعض رجال الدين الذين يصنفون عادة في صفوف (المعارضة الدينية)، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الظاهرة إيجابية في مجملها، من حيث دلالتها ومآلاتها.
- هو الذي تعامل مع الظاهرة بوصفها ترجمة حضاريا عن واقع جديد، يرفض التبعية والهيمنة الأمريكية الأوروبية؛ وهو اتجاه يتبنى في الغالب مفهوما متحيزا لذاته، والتفوق والانكفاء والاكتفاء على الداخل.

^١ نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط 2007، ص ٣- ٩.

• هم الرافضون لمشروعية شعار (الإسلام هو الحل)، وبذلك ينافس اتجاه المؤسسة الدينية الرسمية، ويذهب إلى أنه ليس نتاج حركة المد الديني الاسلامي أو استجابة وردة فعل سلبية لها، بل هو أصيل في الفكر العربي المعاصر، ويتبنى رفع رايته العلمانيون من ذلك دارت مناقشات بحثنا هذا حول تلك التحولات التي تحورها الخطاب الديني فضلا عن التكييفات التي تلاعبت به واخرجته عن اصل وجوده ومقصدية العمل به والاحتكام الى مآلاته ان كان سياسي او دعوي او فكري . فضلا عن فواعل اخرى اسهمت في تلك التحولات وانماط للتلاعب راينا نتاجها على شكل تغيرات في بعض الأقطار العربية والإسلامية من أحداث سياسة او فكري.

فالخطاب الديني من القضايا التي احتلت مساحة من المجادلات والمناوشات والمطارات الفكرية المعاصرة والتي اخذت تتصاعد في ظل ازمة التعامل مع الآخر والعلاقات الدينية مع المخالفين لما يتصف به من اهمية في تشكيل الوعي الفردي والجماعي فضلا عن كونه اس التناحر الاجتماعي والايولوجي والحضاري، حتى اصبح الخطاب الديني مطمع الباحث عن المكسب السياسي والاعلامي وحتى الديني لما فيه من مؤهلات تؤثر التحولات العالمية بجذباتها كافة وهو مما انعكس على الاطار الوظيفي له سيما بعد احداث عام ٢٠٠٣، بين ان يوصف بكونه اداة لتسليع الافكار والانتماءات وترويج ولاءات وصنع قيادات او كونه اداة تقريب وتصالح ومفاهمة فكرية استجدت بعد الفرقة والتكاه والتناحر الفقهي والفكري وهو بذلك متطلب يجب تجديده وتحديث قراءاته واسقاطها على الواقع.

مشكلة البحث: تتحدد مشكلة بحثنا في طرح تساءل رئيس يذكر هل تم توظيف الخطاب الديني بعد عام ٢٠٠٣ توظيفات ابتعدت عن اصله واصل مراده ادت الى تكييفه حسب رغبات المؤطرين له وتجاره ام ان تلك التحولات التي تجدد في شكل الخطاب الديني تنوعت حسب الحال والمقام في رؤية اصلية تجديدية لا ضير فيها.

فرضية البحث: ان الفرضية في البحوث الانسانية هي اجابة مسبقة عن مشكلة البحث وعليه تكون فرضية بحثنا كالتالي: هنالك توظيفات كثيرة للخطاب الديني وتكييف سياسي في الغالب، فضلا عن توظيف ديني ضيق اثر واسهم في تحولات كبيرة تعاقبت على الواقع السياسي والديني والاجتماعي العراقي بعد عام ٢٠٠٣.

اهمية البحث: تدور اهمية البحث حول ذلك الخطاب الديني وما يمكن ان يحدثه في العالم الاسلامي والغربي فضلا عن المتغيرات التي يستطيع ايجادها في الاصعدة كافة، الدينية

والسياسية والحضارية، فكان اختيار الموضوع هو اقرب ما يكون من وضع اليد على دملة اصابت جسد الامة سيما في العراق بعد احداث عام ٢٠٠٣ وما اعقبه من صعود قوى ونزول اخرى دينية وسياسية وفكرية لهذا نستطيع القول ان موضوع بحثنا من الاهمية بمكان لا يستطيع احد انكاره للأسباب آنفة الذكر.

هيكليّة البحث: من اجل استيعاب اهم محاور فكرة البحث فقد قسمت بحثي على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت خلاصة النتائج التي اراها من وجهة نظري.

١. الخطاب الديني المفهوم والنشأة والاهمية

٢. التسليع والمتاجرة بالخطاب الديني

٣. تحولات التجديد في الخطاب الديني بعد عام ٢٠٠٣.

المبحث الاول

الخطاب الديني المفهوم والنشأة والاهمية

لا شك ان الخوض في مطارحات المفاهيم والمصطلحات من الصعوبة بمكان تحديده وتبني توجه معين وترجيح آخر دون ان يسيطر الباحث ويؤثر تلك المفاهيم ويعرفها تعريفا بالحد المنعقد قدر الاستطاعة لكي يسيطر على المفاهيم ونعي كيف تصنع المعضلة وتسهم في نشاتها، ولهذا نعرف الخطاب الديني بشكل المركب بعد تعريفه او تعريف الفاظه بصورة مفردة فضلا عن نشاته واهميته في التحولات المعاصرة.

اولا: الخطاب:

لكي يكون النظر ثاقبا والتعريف دقيق فنحن بحاجة الى سحب، السهم الى الوراء قبل اطلاقه بقوة لذا فان العودة الى اصل اللفظة يعطينا قوة في طرحها وتقارب استعمالاتها في اللغة وفي المناهج والمفاهيم الاصطلاحية كما ان العودة للوراء لا تعني مجرد الرجوع الى اصل لفظة بجانبها

التقليدي انما هي عودة تنقيب يمارسها بحاثه يرتجي فهم الفكر اللغوي القديم ومدى موافقتها في تعريفات الخطاب المعاصره^(٢).

فالخطاب لغة مأخوذ من خَطَبَ وهو على وزن فعل ومصدره خطاباً او مخاطبة والمخاطبة مراجعة الكلام ومعناه الكلام والمحادثة والمشاورة والخطاب لا يكون فيه اختصار مخل او اسهاب ممل^(٣)، فقال تعالى (فقال أكلنيها وعزني في الخطاب)^(٤) فضلا عن آيات اخر تؤيد ما ذكرناه^(٥).

والملاحظ في سياق لفظ الخطاب في كتاب الله تعالى انه جاء مقرونا بالحكمة والعزة وشدة الباس^(٦).

وعليها نلاحظ تنقلات المعاني اللغوية للفظ الخطاب من الفقر الى الكلام ثم الى المناقشة ويتوجه الى الموعظة بمعناها التلقيني، لذا فان كلمة الخطاب صعبة التحديد، بسبب تحولات استخداماتها وحقائق توظيفها؟

وتأسيسا لما سبق فان مصطلح الخطاب من حيث اصله اللغوي، يحال على نوع من التناول للغة اكثر مما يحال الى حقل ومجال بحث محدد وهو يرمز الى نشاط لافراد مندرجين في سياقات

^٢ ينظر بو خانم موالى علي، مصطلحات النقد العربي السيمائي، الاشكالية والاصول والامتداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٤، ص ٤٥٢.

^٣ ابن منظور لسان العرب، ص ٣٦١، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ١٩٨.

^٤ سورة ص الآية ٢٣.

^٥ سورة الفرقان، الآية ٦٣ ، وسورة ص الآية ٢٠، وسورة النبا الآية ٣٧.

^٦ ينظر: عبد الجليل ابو المجد، عبد العالي حارث، تجديد الخطاب الاسلامي وتحديات الحداثة، افريقيا، المغرب ، ٢٠١١، ص ١١.

معينة^(٧)، وذلك يظهر جليا من خلال النصف الثاني من القرن العشرين وتحولات استخدامات كلمة الخطاب^(٨).

ثانيا الدين:

في البدء لابد لنا من التمييز بين الدين^(٩) كوضع الهي والتدين ككسب بشري يترجم التشريعات الالهية الى خطوات وافعال، وعليه يكون الدين هو الشرع الالهي المتلقي عن طريق الوحي وهو اعتقاد قداسة ذات عليوية ، او هو مجموعة السلوك الذي يدل على التضرع لتلك الذات^(١٠).

ذلا وحبا رغبة ورهبة وعليه نفهم ان الدين هو شرع وتوجيه واحكام نقلت الينا من اجل العمل بها على ان يكون ذلك الوضع الالهي غير متحول او متغير او متبدل او حتى متجدد ان التجديد هو في الفهم والتدين له حسب متطلبات المرحلة كون الدين اصل والتدين تجربة ذلك الاصل على الواقع وهنا يكون التفاوت.

كما ان التدين هو معرفة والتزام بشري بهذه الأصول، بالاضافة إلى الفروع الظنية الورود والدلالة، يقول الدكتور عبد المجيد النجار "إن حقيقة الدين تختلف عن حقيقة التدين ؛ إذ الدين هو ذات التعاليم التي هي شرع إلهي، والتدين هو التشريع بتلك التعاليم، فهو كسب

^٧ دومينيك مانغونو :المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨، ص٣٨.

^٨ نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة: حمزة بن قبلان المزياني ، المجلس الاعلى للثقافة مصر، ٢٠٠٥ ، ص ٩٢.

^(٩) الدين: عبارة عن استرضاء او استمالة قوى تفوق قوة الانسان ويعتقد انا توجه وتتحكم بسير امور الطبيعة والحياة والبشرية، وهو يتشكل من عنصرين ١، نظري وهو الايمان بالقوى العليا (الدين) ٢، عملي وهو محاولة ارضاء تلك القوى(التدين)

^(١٠) عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن الحرب والثقافات، المركز العربي للابحاث للدراسات السياسية، بيروت لبنان، ٢٠١٣م ص١٧

إنساني، وهذا الفارق في الحقيقة بينهما يفضي إلى فارق في الخصائص، واختلاف في الأحكام بالنسبة لكل منهما^(١١).

فطرية التدين: والتدين في المفهوم الاسلامي هو فطرة قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٢) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة)^(١٣).

والتدين غريزة انسانية حالها حال أي غريزة أخرى وتسمى الغريزة الدينية، والتدين فطري لدى الطفل فهو يسأل عن ماهية الله ومن الذي خلقنا وكيف نموت وعليه هناك اتجاهين لاصل التدين^(١٤):

١. التدين بوصفه غريزة بشرية.
٢. التدين مكتسب من البيئة عن طريق التنشئة الاجتماعية شأنه شأن أي سلوك اجتماعي آخر، ودليلهم التفاوت في التدين من شخص لآخر.

ويكون التدين مفهوم متحول بين الإيجاب والسلب: فإذا كان الدين وضع الهي يتصف بالوحدة -على مستوى أصوله ومصدره -، فإن التدين ككسب بشري يتصف بالتعدد، حيث يمكن التمييز بين نمطين أساسيين للتدين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، والآخر -أي التدين السلبي - ليس

^(١١) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، المجلد ٣، إيران، ١٣٨٥ هـ

^(١٢) سورة الروم الآية ٣٠

^(١٣) صحيح مسلم، رقم ٤٩٣٢.

^(١٤) وليامز نورمان ووليامز شيلا، النمو الروحي والخلقي، ترجمة: العيسوي عبد الرحمن، دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص ١٣١؛ وينظر: السيد فؤاد البهي، الاسس النفسية لنمو - من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 29

مرجعه الإسلام كدين، بل هو محصلة عوامل نفسية واجتماعية وتربوية وسياسية واقتصادية وثقافية، متفاعلة مع الدين وشكل التدين، مرتبطة بالشروط^(١٥):

٣. الذاتية (كشيوع التقليد وظهور البدع..)

٤. والموضوعية (كالاستبداد والاستعمار...) لتخلف النمو الحضاري للمجتمعات المسلمة، هذا التمييز يشمل الأبعاد المتعددة للتدين.

ثالثا: الخطاب الديني:

لا بد من التنبيه على ان مصطلح الخطاب الديني من التعبيرات المعاصرة في مجال العلوم الاجتماعية، وقد شاع مؤخرا مقرونا ومرتبطا بفكرة التجديد في المفاهيم والقضايا الدينية وتحدياتها المطروحة. على جنابات الساحة السياسية والفكرية والاجتماعية وحتى التعليمية والدينية هروبا من تهم باتت تلاحق الدين سيما في الاحداث الاخيرة في عام ٢٠٠١ في امريكا ومن اجل استخلاص رؤية جديدة تنهض بالامة الاسلامية من كبوتها وتعيد لها توازنها.

لهذا تعددت الاراء حول تعريفه، واختلفت وظائفه، وسنذكر بعضا منها قدر ملاءمتها لمجريات بحثنا.

ف قيل "بانه الخطاب الالهي متمثلا في القرآن الكريم والسنة الصحيحة وهو ايضا الفعل البشري الهادف الى تبليغ ونشر تعاليم الدين، ودعوة الناس الى الالتزام باحكامه وتشريعاته، وهو يكون المقصود بالخطاب الديني هو حصيلة الفكر البشري من الدين المنزل وما يقوم به البشر من جهد لنشر هذا الفهم ووضع موضع التطبيق"^(١٦)

وفي هذا التعريف نلاحظ ان المعرف ربط الخطاب الديني بالوجود البشري وفهمه بتعاليم الدين من اجل دعوة الناس وهو مما يشير صراحة الى ان الخطاب الديني متعلق بالتدين اكثر من

^(١٥) وليامز نورمان ووليامز شيلا، نفس المرجع، ص ١٣١

^{١٦} ابراهيم البيومي غانم، تجديد الخطاب الديني في مصر، تحليل آراء عينة من الجمهور مجلة البحوث والدراسات الاستراتيجية القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية مجلد الثاني ٢٠٠٦، ص ٧٣٥.

الدين وحسب ما سبق التفرقة فيه، في ومما يؤكد ذلك ان هناك من شمل الخطاب الديني بـ "الدعاة والوعاظ والخطباء والمفتين حيث يقدم الناس بوصفه على انه الوصف السليم للإسلام في عقيدته ونظامه الاخلاقي وفي ادائه وشرائعه"^(١٧)، في حين يرى اخرون انه "ليس مجرد الخطاب الذي نلقاه من على منابر المساجد، في صورة خطب او موعظة او درس بل هو مجمل ما يصلنا من افكار او تصورات بكل اشكاله او بكل اشكال التعبير"^(١٨)

نستشف مما سبق ان الخطاب الديني هو اصال الدعوة بما تحمله من تعاليم وتوجهات وتبني اراء الى الجمهور بخلاف ديني وبأي وسيلة كانت من خلال اناس متخصصون وحسب رؤيتهم وافكارهم وميولهم ولهذا نرى ان الخطاب الديني يتنوع تبعاً للقائم به وبناء على من عرف الخطاب الديني بانه يشير الى "الآراء والافكار التغيرات او التفسيرات، والتاويلات التي يسوقها، البشر حول دينهم نتيجة اتفاقهم واختلافهم في كيفية فهم النصوص المقدسة، ومن ثم استنباطهم للآراء والاحكام وما ينتسب الى عقولهم بحكم بشريتها للاصابة والخطا"^(١٩).

"فمنه الخطاب الديني المغلق الخاص بتفسيرات النصوص والشعائر وخطاب مفتوح وله عدة مستويات فقد يكون في اطار ابداء القيادة الدينية الراي في اسئلة تتعلق بقضايا الشخصية"^(٢٠)، وهذا الخطاب الديني الخاص، وآخر خطاب يتعلق بقضايا الاقتصاد والسياسة والهندسة ويسمى الخطاب الديني المفتوح العام.

^{١٧} أحمد كمال أبو المجد: حول الخطاب الديني المعاصر، مجلة وجهات نظر القاهرة، دار الشروق، العدد 38 ، 2003م ص4

^{١٨} جابر محمد عبد الموجود، اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني، مجلة البحوث الاعلامية، القاهرة جامعة الازهر، عدد: ١٨، ٢٠٠٢م، ص ٧٠

^{١٩} جابر عصفور، تجديد الخطاب الديني، جريدة الاهرام القاهرة، عدد ٦٣٧ ، ٢٠٠٣م، ص٣

^{٢٠} محمد عبد الله مكازي، الخطاب الديني في الفضائيات العربية، دراسة في سوسيولوجيا التبشير على الشباب الاردني، رسالة دكتوراه، اشراف: حلمي ساري، كلية الدراسات العليا الجامعة الاردنية، ٢٠٠٩م، ص ١٨.

وهناك تصنيف ثالث من الخطاب الديني المفتوح مع الخاص العام فهو ما يتعلق بالقضايا الملحة في واقع التفاعلات وعليه كان الخطاب الديني المغلق والمفتوح "الخاص او العام والمعتدل والمتطرف والتربوي والاعلامي يشترك فيه آلية منطلقاته الفكرية" (٢١).

وتأسيسا على ما سبق من مستويات للخطاب الديني ظهرت الدعوات الى تجديده وحسب التحولات والمتغيرات دفعا لعجلة النهوض والتطور والنمو في مسيرة المجتمع فضلا عن اكتساب الحصانة باشكالها ضد المتغيرات والتحديات.

اذ بعد ان استقر الراي وكما نعتقد على ان الخطاب الديني هو اجتهاد شخصي للمتحدث والخطيب بمسمياته كافة فلا بد ان تكون تلك الاجتهادات متقلبة متفاوتة ولا يمكن حدها بقيد يحول دون مطاطيتها وهلاميتها وحسب الحال الداعي للخطاب الخاضع له الخطيب من عصر الى عصر ومن بيئة الى اخرى ومن تحد الى تحد اخر (٢٢)، وعليه يكون الخطاب الاسلامي او الديني رسالة من مرسل فردا او جماعة او مؤسسة او حزب او مذهب او توجه فكري الى مستقبل بفرض توجيه العقل او العاطفة نحو تصرف او اعتقاد ما كان لیتجه اليه لولا تعرضه لذلك الخطاب بمضمون يختاره المرسل ولاهداف يحددها المرسل والجهة التي يمثلها ولهذا نذهب الى ان الخطاب هو خطاب اشخاص مغلف بغطاء ديني او اسلامي لحقيقية صادقة او اهداف شخصية لا علاقة لها بالاسلام.

^{٢١} ينظر المرجع نفسه ص ١٢؛ وينظر جمال نصار، رؤية معاصره في تجديد الخطاب الديني الاسلامي، بحث مقدم الى مؤتمر الفلسفة الاسلامية القاهرة ٢٠١٢ ص ٣

^{٢٢} ينظر مكازي ص ١٢٧؛ وينظر سالي خشبة ٢٠٠٦، علوم الدنيا المتغيرة وواجب عمارتها، موقع الاهرام؛ وينظر شحاتة صيام الضعف، الخطاب الديني في مصر، سينا للنشر، القاهرة، مصر، مجلد الثاني ١٩٩٤، ص

المبحث الثاني.

التسليع والمتاجرة بالخطاب الديني

كما هو معلوم ان الخطاب الديني هو في الحقيقة خطاب ومحتوى منبثق من اصول اسلامية وتتم عملية اشهاره بهذه الواجهة الا انه في الحقيقة الامر ليس خطاب وحي او خطاب بالسنة الشريفة اي انه لا يمثلها بصورة متطابقة كونه يمثل خطاب الاسلاميين في ايراد رسالتهم ومحتوى افكارهم وما يعتقدونه كونه، يتصف بالسعة والشمول ويعمل بردات الفعل وحسب مقتضى الحاجة وفهم وصياغة من يؤطر هذا الخطاب "فالاسلاميون هم افراد او جماعات يتميزون عن غيرهم بقراءة خاصة للدين الاسلامي وبما يختلف عن غيرهم من سائر المسلمين" (٢٣).

لذا فان الخطاب الاسلامي اصوله واسسه منشأها اسلامية ويرتكز على عقائده والتغيير والتحويل يكون في اسلوب التبليغ ومحتوى ذلك الخطاب المغلف غلاف ديني لان الخطاب لا يؤدي نصوص بل يؤدي افكار ودعوات وحث على توجهات يعيدها الخطيب الى اصول اسلامية وهذه الاعادة قد تكون نقية واخرى متكلف فيها ومحشورة بالقوة اذ ان الخطاب الديني هو مضمون ديني غايات متجددة ومتحورة وتحمل عنوان اسلامي.

اضافة الى ذلك وكما هو ثابت ان الخطاب الديني شمل الاسرة والمجتمع بكل صفاتها وتكويناتها الدينية والعرفية والقومية وجميع قضاياها القديمة والمتجددة "ولا عزل للخطاب الديني عن الحديث في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحوار الحضارات وحقوق الانسان ومن ثم كان لزاما ان يتناول الخطاب الديني هذه الامور والقضايا واعلان راي وتوجه الدين بشأنها اي ان الخطاب الديني يكون بمثابة الضابط الاخلاقي والروحي لقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع" (٢٤) وهو بذلك لا يسمى خطاب سياسي او اقتصادي او اجتماعي.

^{٢٣} الشريعة حبيلة، الخطاب الديني واشكالية المفهوم، بحث منشور في مجلة الاداب واللغات جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، عدد: ١٠، ٢٠١٥ ص ١٨.

^{٢٤} اكرام لمعي، تجديد الخطاب الديني، جريدة الاهرام، القاهرة ٨ مارس ٢٠٠٢، ص ٥.

ولأن الخطاب الديني وكما عرفنا سابقا هو خطاب بشري متعلق بمستوى الفهم للنص الديني، لذا فهو يتأثر بتوجه المرجعية الفكرية والدينية والثقافية وهو مما يتمحور حول ما ذهب إليه ابن رشد في مشكلة العلاقة بين العقل والنص المقدس وهو مما يؤكد ضرورة مراجعة العلاقة بين الإنسان والنص القرآني الذي تتكشف حقيقته من خلال العقل النير الصادق^(٢٥)

وإذا كان الخطاب الديني وحسب ما توصلنا إليه من أنه نتاج بشري فهو أقرب للتدين مما هو للتدين، ولذا فإن التدين في إيراد خطاب معين هو نابع من دلالات لامتناهية متنوعة بين الشخص السياسي والديني والاجتماعي وعليه يكون التدين في بصياغة شكل الخطاب الديني "يشمل أبعاد تجريبية وعقلانية وإيدلوجية وفكرية وعقائدية واجتماعية وطقوسية وأخلاقية وثقافية وتبعية"^(٢٦).

ولهذا لا يعزى الخطاب الديني إلى قيمته اللاهوتية فحسب، بل أيضا يضاف إليه الحملات أو التوظيفات الثقافية السياسية والإيديولوجية التي يتم تكييفها من الفاعلين والمنفعين من هذا الخطاب في انشطتهم المتنوعة إن كانت مجتمعية مذهبية أو تعبدية^(٢٧). وعليه لا يمكن تحميل ولوم النص القرآني أو الحديث الشريف تنامي العنف والتطرف والغلو بعد عام ٢٠٠٣ بل الأولى لوم ذلك الخطاب ذو الرواسب النفسية والتاريخية والاجتماعية في عقل الفرد الذي أنتج كل ذلك الكم الهائل من العداء والشحن المتبادل ومدى نزعته وتكريس ثقافة الإقصاء والغاء الآخر لأجل أهداف جزئية ذاتية أو تجزئية يؤمن بها القائم على الخطاب الديني سيما بعد أحداث ٢٠٠١ وما أفادته في تثبيت التهم لشرائح كبيرة من العالم الإسلامي، ثم إن ذلك الانشطار وتجزئة المجزئ وإيجاد هويات ناشئة لها سمات وخصائص وعلاقات ليست أصيلة في تراث العراق أوجد لدينا

^{٢٥} ينظر محمد نجيب عبد موجود العقل نفعل تنويري في الفكر العربي الإسلامي مجلة الوحدة العربية المغرب
مجلس القومي للثقافة العربية عدد ٨١ ١٩٩١ ص ٥٥

²⁶ Holdcroft, Barbara, "What is Religiosity?", Catholic Education: A Journal of Inquiry and Practice, 10 (1), September 2006, p. 89-103

²⁷ Lenski, G. The Religious factor, (Doubleday, Garden City, NY, 1963)

ولاء من نوع جديد اسهم في تازيم الواقع وجعلت من الاحقاد تنتشر كالنار في الهشيم كما اشار الى ذلك الكاتب الهندي (امارتيا صن) في كتابه الهوية والعنف^(٢٨).

فبخطاب مغلف بغلاف ديني معين يمكن ان يتحول وعي متجذر بهوية مشتركة عامة الى ايجاد شروحات مبتدعة ذات خصائص جديدة لتكون سلاح قوي مرعب وجه بوحشية ضد جماعة او هوية اريد لها ان تكون هوية معادية تتغذى من وهم صاغه من اراد جعل الخطاب الديني سلعة يتاجر به لغايات ذات بعد نفسي واقتصادي او ديمغرافي^(٢٩).

لهذا يعكس مشهد التطاحن السياسي في المنطقة العربية والعراق بشكل ادق ميولا متزايدة لاستخدام القوة باشكالها وانساقها كما ينطوي معظم افعال الساعين الى الريادة والقيادة السياسية الى الخطاب الديني وتوظيف الدين كنقطة عبور نحو غاياتهم وطموحاتهم او تبرير حروبهم ومعاداتهم لخصومهم بوصفهم كفار او خونة وعملاء او اعداء الامة من خلال منطق مقدس تديني.

ويصل الامر الى استخدام القوة ومنطق الاستئصال في مواجهة الخصوم اعتمادا على تاويلات بعيدة عن محتوى النصوص الدينية التي يتم انتقائها من القرآن الكريم والسنة الشريفة حتى اصبحت الحركات السياسية الاسلامية معتمدة بشكل كبير على جعل حتى خطابها السياسي ذو منطلق ديني طمعا في انتشاره واقناع العامة من الناس به ووسم المنافسين لهم بالاعداء والمخالفين للدين الى ان وصل الامر بجعله اداة جيوسياسية بيد تلك التحركات الاسلامية والحركات الاسلامية^(٣٠)، حتى اضحت حالة من التشابك والتاصر بين الابعاد السياسية والايديولوجية وبين النص المقدس بما يمثله من محرك متجدد في عقول الشعوب سيما العراق

^{٢٨} امارتيا صن، الهوية والعنف وهم المصير الحتمي، ترجمة: سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة ٣٥٢ المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت، ٢٠٠٨

^{٢٩} ينظر علي حسين كاظم العصامي، هوية الخطاب السياسي العراقي بعد ٢٠٠٣ ودور المرجعية الدينية في توحيد الصف الوطني، المجلة السياسية الدولية، ص ٥٤٧

^{٣٠} ينظر: محمد الشرقاوي، مثلث المعضلات في الشرق الاوسط دينية الخطاب وتوحش السلطة ونكوص الهوية الوطنية، بحث منشور في مجله لباب للدراسات الاستراتيجية والاعلامية، مركز الجزيرة للدراسات، عدد ١ ٢٠١٩ ص ٣٢

بعد عام ٢٠٠٣ ، واصبح لا غنى للسياسي عن الديني في كل عملية هدفها ايجاد راي عام معين يراد اثباته وتبني المجتمع له كما اصبح العالم المتحضر وحتى المتابع ذو الثقافة اعلى من المتوسطة يستشف ذلك التصادم الواضح بين كل ما هو ديني وبين الغايات السياسية لبعض العازفين على وتر ان افعالهم هي باوامر دينية او مرجعية مذهبية وحتى عمليات الترويج للقوائم الانتخابية خاضت هذا الامر والمراجع الدينية منهم براء مما ولد حالة من تعميق الهوة بين السياسي الذي يرى وجوده متوقف على تايد له وفي الوقت ذاته عمق في داخل المواطن البسيط حالة من التعجب بين ربط السياسي وتحركاته باوامر دينية، حتى عملية تبرير الفساد المالي والاخلاقي وهذا الامر يشكل الصورة النمطية السلبية حول التدين بمعناه الروحي الصوفي الذي يدعي الساسة التحدث باسمه واحتكار فهمه وتاويل نصوصه.

وفي مقابل ذلك نرى اتساع للشرح وعدم الثقة بين المجتمع وما يمثله من تدين بسيط وجهات امتطت الدين لثباتها على زعامة شعوبها بعد الفشل المتلاحق في عمليات التنمية وتحقيق الرفاهية للمواطنين حتى ادى ذلك الى تنامي الضجر المجتمعي بشكل عميق لدى الشباب العراقي واصبحنا نرى حالات من دعوات الهجرة وترك البلد وحالات من الالحاد الناقم على الدين الذي يمثله هؤلاء السياسيين غير الابهين بهوموم الشعب ومتطلبات المواطن فاصبحنا نشهد ذلك التفكك الاسري والاجتماعي وانتشار الممنوعات وتعاطي المخدرات "ومرد ذلك الى تقرد جهة سياسية واحدة من الشعب بالحكم واحتكار السلطة لا تراعى ولا تلتفت لحاجات الجهات الاخرى من المجتمع ذاته" (٣١)

وجميع ذلك نراه شاخصا في الخطاب الديني في العراق قبل عام ٢٠٠٣ وتضاعف بتسارع مهول بعد هذا التاريخ بحجة تاثر القوى السياسية في الخطاب الديني بما قبل ٢٠٠٣ بفعل حرية التعبير والاتاحة الكبيرة لوسائل الاعلام والقنوات التلفزيونية الخاصة وسهولة النشر (٣٢)؛ لهذا نرى تسليع واضح للخطاب الديني بعد تلك الاحداث في العراق والذي يعود سبب التسارع وتنام ذلك التوظيف الى اسباب عدة :

³¹ Azar, E, The Management of Protracted Social Conflict: Theory & Cases, (Aldershot, Dartmouth, 1990), p, 7

³² ينظر : العصامي هوية الخطاب ص ٥٥٣

١. التحولات السياسية والطائفية التي شهدتها الساحة في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وما صاحبها من اتاحة كبيرة لانتشار المعلومة والخبر ليقدم كل من اراد ايصال صوته
٢. قوة الكلمة والخطاب في تحريك الشارع وصناعة الولاءات وارهاب الخصوم واقناع الاتباع بشرعية القائم في الخطاب الديني ومن يقف خلفه من سياسي او منتفع .
٣. ظهور قوالب اعلامية جديدة ازاحت الخطاب الديني التقليدي عن مساره الاصيل واتجهت به الى اشكال اخرى ادت الى انخفاض قيمته الروحية في قلوب متابعيه^(٣٣).
٤. القوة الترويجية لمواقع التواصل الاجتماعي والاعلام الجديد بعمومه كقوالب وآليات للترويج للخطاب الديني متقلبة بحسب قوة انتشار وعدد المتابعين لتلك المواقع وما يمكن ان تقوم به بالتكليف للاراء والايديولوجيات وهو ما نشاهده بين الجيوش الالكترونية والسياسية من تسليع افكارها السياسية بصفحات دينية وقوالب دعوية روحية^(٣٤) ، ونستشف مما سبق ان موقف السياسة والدولة من الدين وخطابه يمكن ان يفسر من خلال مفهوم (بناء الفرص السياسية) وهو ما يفسر صعود حركات سياسية واجتماعية وقبلية خلال مرحلة ما بعد عام ٢٠٠٣ لم يكن لها اي فرصة لولا التكليف والتسليع للخطاب الديني.

المبحث الثالث.

تحولات التجديد في الخطاب الديني بعد عام ٢٠٠٣.

ان من اهم التحديات التي تواجه الخطاب الديني فضلا عما ذكرناه في المبحث الثاني تسليعه لغايات ومنافع ضيقة وغياب التجديد الحقيقي لذلك الخطاب فالتجديد مفهوم اختلط على الكثير من الباحثين في موضوعات الفكر الاسلامي مع مفهوم اخر وهو التبديل كون التجديد لا يقتضي بالضرورة حذف شيء او الغائه او تبديل شيء به بل الابقاء على اصله ومصدر روحه، في

^{٣٣} عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والافاق، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد ٦، ٢٠١٥م، ص ١٢٥.

^{٣٤} ينظر: ارفاندو سالفاتورري، المجال العام الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والاسلام، ترجمة: احمد زايد، القاهرة المركز القومي للترجمة ٢٠٠٠، ص ١٩ ؛ وينظر: احمد القاضي، تجديد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة

حين ان التبدل الذي يلصق جزافا واجترارا بالتجديد هو ابطال او الغاء او التنازل عن التراث وانسلاخ عما موجود قديما، واذا نظرنا الى الحديث الشريف عن ابي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال " ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"^(٣٥) وجاء في شرح الحديث الشريف ان التجديد احياء العمل في مصدري الكتاب والسنة^(٣٦) وما ارسال الله سبحانه وتعالى للرسول (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين) الا تجديد الدين في نفوس العباد فالهدف احياء الدين في القلوب والعمل به لا احياء نصوص او تحديث احكام لان بعد كل بعد عن الله ومصدر دينه يستلزم وجود مجدد يعيد النفخ في رماد قلوب العباد من اجل ان يتوهج فيها نور الله.

فكان التجديد بديلا عن تتابع ارسال الرسل كما في الامم السابقة يجدد ما اعتري الامة من ضعف وتخلف يحدد من خلاله اي انحرافا واعوجاجا يصيب الامة بسبب ضعف الوازع الديني او ظهور الخرافات والالوهام ونشوء واشكال من التدين المغلوط المحرف وتأليه اناس جُهل بتبعية عمياء لا يفرقون بين حق وباطل لذا فالتجديد الحقيقي ضرورة تحتمها طبيعة الاسلام ويدفع باتجاهها تلك التغيرات والتحولات الفكرية والدينية والسياسية ولا بد من التفريق بين تجديد الخطاب الديني وتجديد الدين فالخطاب وكما مرهو اسلوب وفن ايصال الدين لهذا فهو فهم بشري لنص ديني ثابت لا يتغير او يتبدل او يحذف او يضاف عليه، والتجديد بهذه الحالة يجري على التدين لا الدين بمعناه الوضع الالهي او النص المقدس بل يكون لفهم الناس الذي يتصورونه حول الدين والا لقال يجدد (لهم دين الله) بدل قوله (لهم دينهم) فنسب الدين للناس اي الفهم والاعتقاد الذي يتصورون عن الدين او ما يقال عنه والتدين والتجديد هنا يعني تيسير لغة الخطاب واسلوبه وتقريبه للذهن وفهم الطائفة المستهدفة به"^(٣٧)، اي تجديد اسلوب يفهمه

^{٣٥} رواه ابو داود رقم ٤٢٩١، صححه السخاوي في المقاصد الحسنة رقم ١٤٩

^{٣٦} ينظر : ابو الطيب محمد شمس الدين، عون المعبود شرح سنن ابي داود، طبعة بيروت ١٣٩٩ هـ، ج ١١

ص ٣٩١

^{٣٧} محمد بن شاكر الشريف ، تجديد الخطاب الديني بين التاصيل والتحريف مجلة البيان ٢٠٠٤ ص ٢٨

الجمهور وبلسان قريب من لسان القوم قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (٣٨)

وقال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) "ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة" (٣٩) قال سيدنا علي (رضي الله عنه) "حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله" (٤٠)

لذا كان التجديد مأمور ان يكون مقيدا بافادة الناس وبلغه مفهومة لدى القوم الذي يسكن فيهم الخطيب واللغة هنا لا تعني بها صياغة الالفاظ وجودتها البلاغية بقدر ما نقصد به معاصرتها وفهمها من قبل جميع المجتمع، كما ان علة التجديد هو اندراس فهم الناس للدين وتنامي التدين المغشوش المغلوط وتنقية أي ضبابية تشوب النصوص الاسلامية المقدسة وانحراف افكار الناس فليس من المعقول ان نعالج نتائج حالة وتحول معين ولا ننظر الى اسبابه التي جاءت به، ومثاله معالجة ظاهرة العنف التديني وتنامي الارهاب والتطرف بدون متابعة اسباب ومنشطات وجوده سيما بعد احداث ٢٠٠٣ كالظلم والفساد وانحسار العدالة والتبعية والفقر والحرمان وغياب الحياة الكريمة للمواطن العراقي وغيرها من الطبقة والمناطقية والحزبية اذ اسهمت تلك التخطبات الى اخلال واضح في مفهوم تجديد الخطاب الديني في البيئة السياسية المعاصرة (٤١) وكما اوضحنا في المبحث السابق لذا سنحدد حدود التجديد في الخطاب الديني (٤٢) ، بالتالي:

١. نشر العلم بين الناس واطهار الشرائع التي اخفيت اما بفعل جهل خيم على العقول او تاويل منحرف للنصوص الدينية اي اظهار ما انطمس واحياء ما اندرس
٢. تنقية ما في الدين الحالي (فهم معاصر للدين) مما ليس منه كخرافات وبدع سيئة واحكام تعارض نصوص القران الكريم والسنة المشرفة، اي ازالة ما اظيف في التشريع وخالف حكم ثابت ادى الى الافساد والانحراف.

^{٣٨} سورة ابراهيم الاية ٤

^{٣٩} اخرجه مسلم في المقدمة

^{٤٠} اخرجه البخاري في كتاب العلم ، رقم ١٢٤

^{٤١} ينظر: خالد ابو الفتوح، تجديد الخطاب الديني، مجلة البيان العدد ٤١٩٥ سنة ٢٠٠٤

^{٤٢} ينظر: محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني، مرجع سابق، ص ٢٩

٣. التمسك بما ورد في الشرع اجمعه واعادة احياء ما تغافل الناس عنه اي اعادة ما نزع او نقص.

وعليه فاذا اردنا تجديد الخطاب الديني يجب ان يكون بصورة متوازنة بمراحل عدة او لواجه متنوع لا تجديد حقيقي الا بها.

• تجديد محتوى الخطاب الديني

اذ ان المعلوم بالضرورة في تناول خطاب ومحتواه انه يتارجح بين الابقاء على اصل المحتوى الديني ونتائج العلماء السابقون وفهمهم للدين والجمود على ذلك الموجود في كل زمان ومكان وهو امر غير صائب يؤدي الى الاصطدام بتحديات عدة اوضحت قصور بعض الفهم عن مواكبة تحديات الواقع لذا كان اللجوء الى التجديد في فهم وطرح الدين هو ضرورة وليست خيار كما يظن البعض فالتجديد في المحتوى ضرورة حتمها الواقع والمتطلب الزماني والمكاني والفكري ولا بد من الاتجاه اليه من اجل مسايرة الواقع لاثبات الدين والالحق بتطور العلوم^(٤٣) ان اليات هذا التجديد تتحدد في جوانب عدة^(٤٤).

أ. التعمق الكامل في النصوص المقدسة واعادة قراءتها قراءة متأنية غير متعنصرة او متمذهبة وتتبع الاحكام العامة والفرعية المستقاة من هذه النصوص في اطار اتباع محمود والتنبية من كل ابتداع مذموم

ب. التحذير من كل تهديد لقدسية النصوص الشريفة او مدخل لتحكيم الهوى والرغبة الشخصية وكل راي يعتمد على توجه عقلي يعارض فيه نص شرعي ولا بد ان يكون هناك امتزاج بين النص والعقل والوجدان والسلوك

ت. الاحتكام الى اقوال علماء القرون الاولى وعمل الصحابة (رضوان الله عليهم) سيما في المسائل المستحدثة والتحويلات الاخيرة كونهم نبراس هداية مزجت بين العمل والعلم فكانوا بحق ائمة هدى في السلوك والعمل.

^{٤٣} ينظر: احمد كمال ابو المجد، تجديد الفكر الاسلامي اطار جديد مداخل اساسية، بحث مقدم الى مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي الثالث عشر في القاهرة، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ٢٠١١ ص ٣٧.

^{٤٤} ينظر: المصدر نفسه ص ٣٩

ث. التدقيق في كل فكر وافد ليس له اصل اسلامي وتقديم سوء الظن فيه سيما فيما يتعلق بمسائل العقائد والتقارب مع الاديان الاخرى.

كما ان الاعلام وممارساته الترويجية للافكار مطالبة بتمحيص المحتوى الفكري والديني والسياسي وعدم جعله سلعة من اجل الحصول على عدد مشاهدات او تسابق ترويجي فقط بل يراعي في اختيار الرسالة الاعلامية بقدر من المسؤولية والاخلاق المهنية وان يكون الخبر والتثقيف هدف عام لا اهداف وغايات ضيقة اخرى، فضلا عن تجنب طرح خطاب ديني يتوجه الى خلافت مذهبية او معارك دينية حدثت في الجيل الاول من عصر الاسلام كما نرى ذلك بوضوح في الاعلام ما بعد ٢٠٠٣ اذا اعتبرت تلك التناحرات والاحداث الدامية مادة رئيسة او وحيدة لدى بعض القنوات التلفزيونية الخاصة والحزبية كون ما قدمته من شحن طائفي اساءة واضر بالعراق اكثر مما افاده وفي مجالات كثيرة.

• تجديد وتحديث قوالب الخطاب الديني

ان التجديد في هذه الجزئية يعني تطوير الاساليب والوسائل الملائمة لايصال الخطاب الديني بافضل الطرق وانجع اسلوب فكريا وعمليا وعقائديا واخلاقيا من خلال استثمار التقنية المعاصرة وثورة الاتصالات المتسارعة كونها لغة او اداة العصر من اجل تجلية الصورة المشرقة للدين الاسلامي وهو ما تؤكد الدراسات "بارتفاع نسبة من وافقوا على تطوير الخطاب الديني لعرض الاسلام بشكل صحيح والتي وصلت الى (96.1%)"^(٤٥)

كما ان تجديد الخطاب الديني غير محصور بحديث يلقيه رجل دين يبتدا بالحمد لله وينتهي بالدعاء^(٤٦) فالخطاب الديني يشمل جوانب عدة متنوعة وغير محصورة^(٤٧) منها دراما تلفزيونية او ندوات او مناظرات او دراسات علمية فضلا عن افلام علمية او فيديوهات صغيرة^(٤٨).

^{٤٥} شعبان ابو اليزيد الشمس، الاحتياجات التدريسية للدعاة، مجلة بحوث الاعلام جامعة الازهر، عدد ١٦ ٢٠١١ ص ٥٥

^{٤٦} جعفر عبد السلام، الحفاظ على الهوية الاسلامية في اطار التجديد، بحث مؤتمر تجديد الفكر الاسلامي الثالث عشر، القاهرة ٢٠١١ ص ٦ الى ١١

^{٤٧} ينظر: نبيل السمالوطي، والقضايا الاجتماعية المعاصرة القاهرة وزارة الاوقاف ٢٠٠٩ ص ٥٨

ومن اجل الحفاظ على تجديد حقيقي في قوالب الخطاب الديني يجب ان يكون هناك الية اعلامية موحدة بعيدا عن التأثير السياسي والحزبي يجمعها ميثاق شرف يحدد المحظورات من النشر ونقاط التلاقي الديني والتي يسعى الجميع لاجادها في الراي العام للشارع، ومع الاسف هذا ما لم نشاهده في اعلام ما بعد ٢٠٠٣ في العراق، اذا ان الوسائل الاعلامية سارت بمسارات اخلاقية وغير اخلاقية من اجل جذب المشاهد تنوعت باشكال مختلفة وان عقدت لاجل هذه عدة لقاءات وتوصيات وتوجيهات لكن اغلبها كانت توصيات متطايرة لا نراها تحط في اي قناة او وسيلة اعلامية لذا نؤكد على ان تشارك وسائل الاعلام في استراتيجية التجديد الحضاري بدءا بالنظام السياسي الذي يملك القرار بتفعيل او تحجيب هذه القنوات وانتهاء بالمؤسسات الاجتماعية^(٤٩).

• تدريب وتأهيل القائمين بالخطاب الديني

لابد ان يكون القائم بمهمة الدعوة الى الله والموعظة الدينية ذو تاهيل متكامل دينيا وعلميا وثقافيا فلا خطاب متزن وهادف دون خطيب صادق ومخلص فيما يتكلم به ذو اساس منهجي معاصر يفهم لغة من يحادثهم ويدعوهم^(٥٠).

فمشكلة الخطاب الرئيسية كما نعتقده نحن هو ليس في مادة ومحتوى الخطاب بل في كيفية ممارسة وفهم وتبليغ ذلك الخطاب وهو اساس الاشكالية المعاصرة فما بين ضعف ديني شرعي بمناهج التبليغ وتطرف البعض منهم او حزبية وانتمائهم الى مجموعات فرعية وهويات مبعثرة دينية او سياسية يكون الخل وسوء الخطاب والاجبار على التاثر المبني على الظن والالوهام^(٥١).

^{٤٨} هشام ابراهيم توفيق، الوسطية في الاسلام، مجلس الجامعة الاسمية، ليبيا، عدد: ٣، ٢٠٠٢ ص ٥٩

^{٤٩} عبد القادر طاش، الاعلام الاسلامي في عالم متغير، بحث مقدم الى مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي الثالث عشر في القاهرة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ٢٠١١ ص ٥٨٥

^{٥٠} شعبان ابو اليزيد ، مرجع سبق ذكره، ص ١٥ الى ٧٠

^{٥١} بوعبد الله غلام الله، دور العقل في الخطاب الديني، بحث مقدم الى مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي الثالث عشر في القاهرة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ٢٠١١، ص ٨٣٨

كما ان اسلوب التبليغ عائقا لا يتغافل عنه، قد يكون تأثيره بصورة عكسية فبدل التنوير قد يحدث التجهيل وبدل الوسطية يكون التطرف، وهو ما يؤدي الى اضلال واضح في التربية وتوجيه المجتمع وقصوره عن احداث الاثر المنشود في المجال الفكري والاخلاقي والسلوكي والوجداني للمتابعة وتجديد نظرته للدين والله تعالى^(٥٢).

وهذا الاعداد يشمل الخطيب المنبري والاعلامي المقدم والممثل في دور دراما هادفة وحتى المحاور او من يصور المقطع الفيديو القصير، لان الخطاب الديني رسالة وعرض لقضية ونجاح هذه القضية يعتمد على اسلوب وطريقة من يعرضها ويدافع عنها ومدى اقناعه الاخرين بها دون تثقيب لجهة او تحيز لشخصا لكي تصل الى خطاب ديني يعالج التطرف لا ان يضخمه يحارب الارهاب لا ان يعطيه الذريعة في التنامي ويقضي على الالحاد لا ان يعطيه اسبابه وردته عن الدين فالخطاب خطاب دعوة لا خطاب معاول تتسابق لهدم الاسلام من الداخل بايدي اناس منتفعين او توجهات اهدافها ذاتية.

^{٥٢} بوعبد الله غلام دور العقل في الخطاب الديني، مرجع سبق ذكره، ص ٨٣٨

الخاتمة

الخطاب الديني هو لغة القائمين عليه واسلوبهم وفهمهم للدين، فهو تدين بالدين وله مستويات واشكال متعلقة بالدين ونصه المقدس فحسب، كما ان الخطاب الديني غير محصور بالمعروف اجرائيا في بحثنا هذا بوصفه (نص مقدس)، كما ان تحول مفهوم الخطاب الديني ذو دلالات متباينة بحسب من يفهم النص المقدس وبحسب الغاية من الخطاب ما بين ان تكون تدين خالصا او تدين تحت غاية استجلاب لمنفعة شخصية او جماعية، اي ان الخطاب هنا حمّال اوجه واداة تحريك وتغيير، وقد تكون لغاية التلاعب الراي العام او توجيه انتماءات او قد يكون اداة تبعث الايمان في القلوب والعقول؛ لذا علينا ان نحاور انفسنا ونسالها ما المطلوب منا بعد ما اشرنا الى تجاذباته وماذا نستنتج او نطرح من آراء يمكن ان تؤدي الى تصويبه وتجديده بصورة صادقة؟، بعيدا عن التنظير والتكليف والتوظيف او ما اسميناه بالتسليع للخطاب الديني ما بين كسب ولاءات او ترهيب وتخويف او تمييع.

ان الخطاب الديني لا ينفك عن الواقع والحياة وبه تُساق الشعوب اما الى مذبج التناحر والتكراه او الى نقاء وصفاء وتحضر وتراحم .

قائمة المصادر والمراجع

١. ابراهيم البيومي غانم تجديد الخطاب الديني في مصر، تحليل اراء عينة من الجمهور مجلة البحوث والدراسات الاستراتيجية القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية مجلد الثاني ٢٠٠٦
٢. ابن منظور لسان العرب. مجلد ص ٣٦١. وابن فارس. معجم مقاييس اللغة ج ٢
٣. ابو الطيب محمد شمس الدين عون المعبود شرح سنن ابي داود طبعة بيروت ١٣٩٩ هـ
٤. احمد القاضي تجديد الخطاب الديني مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠٠٨
٥. احمد كمال ابو المجد تجديد الفكر الاسلامي اطار جديد مداخل اساسية، بحث مقدم الى مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي الثالث عشر في القاهرة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ٢٠١١
٦. أحمد كمال أبو المجد :حول الخطاب الديني المعاصر، مجلة وجهات نظر القاهرة، دار الشروق، العدد 38 ، 2003م
٧. ارفاندوا سالفاتوري المجال العام الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والاسلام ترجمة احمد زايد القاهرة المركز القومي للترجمة ٢٠٠٠
٨. اكرام لمعي تجديد الخطاب الديني جريدة الاهرام القاهرة ٨ مارس ٢٠٠٢

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

٩. امارتيا صن الهوية والعنف وهمل مصير الحي ترجمة سحر توفيق سلسلة عالم المعرفة ٣٥٢ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ٢٠٠٨
١٠. بو خانم. موالى علي. مصطلحات النقد العربي السماوي. الاشكالية والاصول والامتداد. اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٤
١١. بوعبد الله غلام دور العقل في الخطاب الديني، بحث مقدم الى مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي الثالث عشر في القاهرة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ٢٠١١
١٢. جابر عصفور تجديد الخطاب الديني جريدة الاهرام القاهرة عدد ٦٣٧ عام ٢٠٠٣
١٣. جابر محمد عبد الموجود اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني مجلة البحوث الاعلامية القاهرة جامعة الازهر عدد ثمانية عشر ٢٠٠٢
١٤. جعفر عبد السلام الحفاظ على الهوية الاسلامية في اطار التجديد بحث مؤتمر تجديد الفكر الاسلامي القاهرة ٢٠١١
١٥. جمال نصار رؤية معاصره في تجديد الخطاب الديني الاسلامي بحث مقدم الى مؤتمر الفلسفه الاسلاميه القاهرة ٢٠١٢
١٦. حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر اثار العلامة المصطفوي، المجلد ٣، ايران، ١٣٨٥ هـ
١٧. خالد ابو الفتوح تجديد الخطاب الديني مجلة البيان العدد ٤١٩٥ سنة ٢٠٠٤.
١٨. دوممينيك مانغونو :المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن الدار العربية للعلوم ناشرون؟ بيروت، منشورات الاختلاف الجزائر ٢٠٠٨.
١٩. السيد فؤاد البهي، الاسس النفسية لنمو - من الطفولة إلى الشيخوخة، درا الفكر العربي ، القاهرة، 1998
٢٠. الشريفة حبيبة الخطاب الديني واشكالية المفهوم بحث منشور في مجلة الاداب واللغات جامعة العربي التبسي تبسة الجزائر عدد ١٠، ٢٠١٥ م
٢١. شعبان ابو اليزيد الشمس الاحتياجات التدريسية للدفعات مجلة بحوث الاعلام جامعة الازهر عدد ١٦، ٢٠١١
٢٢. عبد الجليل ابو المجد عبد العالي حارث تجديد الخطاب الاسلامي وتحديات الحداثة افريقيا المغرب ٢٠١١.
٢٣. عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن الحرب والثقافات، المركز العربي للابحاث للدراسات السياسية، بيروت لبنان، ٢٠١٣ م
٢٤. عبد القادر عشر الاعلام الاسلامي في عالم متغير بحث مقدم الى مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي الثالث عشر في القاهرة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ٢٠١١
٢٥. علوم الدنيا المتغيرة وواجب عمارتها ، موقع الاهرام و شحاتة صيام الضعف. الخطاب الديني في مصر. سينا للنشر، القاهرة، مصر، مجلد الثاني ١٩٩٤

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

٢٦. علي حسين كاظم العصامي هوية الخطاب السياسي العراقي بعد ٢٠٠٣ ودور المرجعية الدينية في توحيد الصف الوطني المجلة السياسية الدولية
٢٧. عماد عبد اللطيف تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والافاق مجلة البلاغة وتحليل الخطاب عدد ٦، ٢٠١٥
٢٨. محمد الشراوي مثلث العضلات في الشرق الاوسط دينية الخطاب وتوحش السلطة ونكوص الهوى. الوطنية بحث منشور في مجله لباب للدراسات الاستراتيجية والاعلامية مركز الجزيرة للدراسات عدد ١ ٢٠١٩
٢٩. محمد بن شاكر، تجديد الخطاب الديني بين التواصل والتحريف مجلة البيان ٢٠٠٤
٣٠. محمد عبد الله مكازي الخطاب الديني في الفضائيات العربية، دراسة في سوسيولوجيا، التبشير على الشباب الاردني رسالة دكتوراه اشراف حلمي ساري كلية الدراسات العليا الجامعة الاردنية ٢٠٠٩
٣١. محمد نجيب عبد موجود العقل نفعل تنويري في الفكر العربي الاسلامي مجلة الوحدة العربية المغرب مجلس القومي للثقافة العربية عدد ٨١ ١٩٩١
٣٢. نبيل السمالوطي والقضايا الاجتماعية المعاصرة القاهرة وزارة الاوقاف ٢٠٠٩
٣٣. نصر حامد أبوزيد: نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط 2007
٣٤. نعوم تشومسكي افاق جديدة في دراسة اللغة والذهن ترجمة حمزة بن قبلان المزيني المجلس الاعلى للثقافة مصر ٢٠٠٥
٣٥. هشام ابراهيم توفيق الوسطية في الاسلام مجلس الجامعة الاسمية في بي عدد ثلاثة ٢٠٠٢
٣٦. وليامز نورمان ووليامز شيلا، النمو الروحي والخلقي، ترجمة: العيسوي عبد الرحمن، دار النهضة العربية، بيروت، 1992
٣٧. Azar, E. The Management of Protracted Social Conflict: Theory & Cases, (Aldershot, Dartmouth, 1990).
٣٨. Holdcroft, Barbara, "What is Religiosity?", Catholic Education: A Journal of Inquiry and Practice, 10 (1), September 2006.
٤٠. Lenski, G. The Religious factor, (Doubleday, Garden City, NY, 1963).

ملاح المنهج الاصلاحى عند الحركة الاسلامى فى العراق " دراسة تاريخىة فى خطاب الأصالة وحركة التجديد "

المدرس حسن خلف العلق

مركز المستنصرية للدراسات العربىة والدولىة/ الجامعة المستنصرية

المقدمة:

تكاد الأزماآ الفكرىة تنخر وعلى أطراف المسافة الزمنىة الممتدة بىن قىام الدولة الاسلامىة ولحظاآ التحولات الفكرىة والسىاسىة القائمة باسآمرار الأسس الثابآة فى كىان آلك الدولة بعدما أخذآ آآولد فى بؤر راكدة من الناحىة الأصولىة والعقائدىة، ولا آجد لها آلولاً آقىقىة. الأمر الذى آعلها آشغل آىزاً مهماً فى كىنونة الأمة الإسلامىة، وآآآقل عبر مآىط آجرافى واسع، آم آشآعل بىن فاعلىن آدد، ومن آم آآدرآ باآآآج بؤر أصغر فى أماكن مآعدة. فضلاً عن بؤر الصراع الآقلىدىة فى المناطق الأصلىة لآلك الفكر.

بالمهمة نفسها، فأن آلك البؤر الراكدة اصولىاً وعقائدىاً أخذآ آؤآر على بعضها البعض بصورة قوىة بعدما آبآآ النص الشكلى والقراءة المآطرفة، وآآآآة الى مقابله الردود المواجهه لها وآلى آآاول الفصل بىنها وبىن مضاآىنها الآنموىة المآطرفه الآخذة بالآشكل والآنآشار. إلا أن من أهم ملاح آلك اللوحة المعقدة هى أنها آخذآ آفكك المنظومة المآآمعىة من الداخل آىآ آآشابك وآآماسك بىن الأبعاد المؤآرة لآركة الفكر الاسلامى المآآورة وآآنوعاآها.

وعلى وفق ما آآدم، آسعى هذه الدراسة الى كشف وآآلىل الأبعاد المآآآلفة الآلى اضآلع بها المنهج الاصلاحى عند الحركة الاسلامىة فى العراق عن طرىق خطاب الأصالة وحركة الآآآىد كآزئىة كرىة فاعلة فى اساسىاآ المنهج الإسلامى لمواجهة الآطرف وآطابه المآآآبع.

ومن هنا آآاءآ الدراسة بعنوان (ملاح المنهج الاصلاحى عند الحركة الاسلامىة فى العراق. دراسة فى خطاب الأصالة وحركة الآآآىد) وآلى وزعآ على مقدمة ومآآآن وآآآمة. آآاءآ المقدمة لآعطى صورة عن أهمىة الدراسة وأسباب آآآىارها وإمكانىة آآآها. آآاول المآآآ الاول مدآل مفاهىمى لآطاب الأصالة وحركة الآآآىد. فىما ركز المآآآ الآانى على " الرؤىة والمركزاآ عند آطاب الأصالة وحركة الآآآىد وآورها فى مواجهة الآطرف ". أما الآآآمة آضمآآ أهم الاسآآآآآآة الآلى آوصلآ هذه الدراسة.

المبحث الاول: مدخل مفاهيمي لخطاب الأصالة وحركة التجديد:

على الرغم من إن فلسفة السلم القيمي في خطاب الأصالة وحركة التجديد تحمل دائماً دلائل ايجابية لأنها تفترض مجاميع محددة من المبادرات التي تعتقد إنها مطلوبة من أجل تحسين متدرج للأوضاع القائمة. بمعنى أنها مضادة للثورة وإن كان معنى الثورة يحمل نزوعاً اصلياً، كما إنه يحمل في ذات الوقت دلالة انقلابية جذرية تلغي القديم وتقيم معه القطعية. إلا أن ذلك الخطاب دائماً ما يتدافع ويتزاحم ليعيد إنتاج وصياغة القديم ويضيف إليه ما أخذ يستجد من متطلبات الواقع في ضوء التطور القائم. والأهم من ذلك هو إن خطاب الأصالة يعني الجهد المتواصل الذي قامت به الحضارة العربية الإسلامية للتقريب بين معاييرها وقيمها من جهة. وواقعها الراهن من جهة أخرى^(١).

من جانب آخر، تشير الأدبيات الفكرية والكلامية الى أن خطاب الأصالة وحركة التجديد يذهب الى إيمانه بالارتباط الحتمي بين القيادة الزمنية والقيادة الروحية والفكرية. ويفضل ذلك الخطاب أن تبني القيادة الزمنية على القيادة الروحية والفكرية. أي أن القيادة الزمنية لا يمكن لها أن تستقيم إلا إذا كانت نابعة من قيادة روحية وفكرية عميقة. لكن هذا الارتباط الواقعي بين البعدين الزمني والروحي لا يدركه إلا الخاصة. فضلاً عن إن هذا الارتباط لم يكن قد نضج في ذهن الأمة تماماً، وقد لا ينضج في وعيها لاحقاً بسبب الانحرافات الفكرية والعقائدية والتربوية والسياسية. كما أن ذلك الخطاب يُدرك جيداً فقدان وعي الأمة لهذا الرابط البنائي بين البعد الروحي والبعد الزمني وذلك لأن أصل النقص في هذا الموضوع هو نقص فكري وتربوي يحتاج الى عملية تغييرية لابد لها من أن تتجز شروطها الموضوعية في ظل ظروف ملائمة حتى وأن أقترب مع ثلة قليلة من المجتمع محاولاً النجاح^(٢).

بالاتجاه المعاكس، فإن الجذور الفكرية للقراءة الدينية المتطرفة وخطابها المتطرف ترتبط على ما يبدو بثلاثة مرتكزات أساسية الأولى تسمى (حالة ما قبل النص)، والثانية تسمى (حالة قراءة النص)، أما الثالثة فيطلق عليها (حالة ما بعد النص). تذهب الاولى الى إن النص مسبقاً محكوماً بآلية للتعامل معه. ولعل تلك الآلية مستندة الى نصوص دينية أخرى فتكون مسألة فهم النص الديني عند المتطرفين خاضعة، لهذه الآلية. وهي آلية زج المعرفة بالدين عبر المؤسسة، وآلية المؤسسة الخاصة بهم. ولذلك فإن ذهنية الإرهاب المرتبطة ببعض المسلمين ليست ذهنية أفراداً مسلمين تحكمهم النزعة الفردية في فهم الدين. بل هم مجاميع من التنظيمات المؤسسة تحت شعارات اسلامية الالفاظ وحشية المعاني والنتائج.

(١) علي عبد الهادي المرهج، الاصح الفكرة والمفهوم تساؤلات نقدية. في كتاب "الاصلاح الديني والسياسي" اعادة قراءة النص الديني والممارسة السياسية، ط١، دار الزمان، سوريا، ٢٠١١، ص ١٧.

أما المرتكز الثاني فيعني الممارسة الآنية والفعلية لقراءة النص الديني وما يشوب تلك القراءة من دخول في التأويل، وما سيقال حوله أو خلافه. وهل أن التأويل هو المطلوب. أم لا بين القصد والفهم، بين أسباب النزول ومشروع المطلق الزماني والمكاني الديني. وبين التأويل كباطن للنص والقراءة الحرفية له. ومن هنا تنشأ قراءتان في حالة الممارسة هذه الأولى هي التي تتحدث عن تأويل النص، والثانية هي التي تقرأ النص على ظاهره.

وأمام كلتا الحالتان من القراءة فإن المتطرفون وفي سعيهم لصناعة ثقافة الموت ممكن أن ينفذوا الى تلك المؤسسات إن لم يكونوا هم الذين أسسوها أصلاً. فيما يرى المرتكز الثالث الذي يسمى (حالة ما بعد النص) إن العمل في هذا المرتكز سيكون خاضعاً لنتائج المرحلة السابقة. وهي أخطر مرحلة من مراحل التفكير المتطرف لأنه مرتبطاً بالسلوكية تجاه الآخر^(٣).

وعلى وفق ما تقدم، فقد تكون هذان الخطaban في جسد الأمة الإسلامية من نقضين. يشير الأول بدلالاته الى وجود أجيالاً تنتمي الى نتاج فكري عُقدي يسحب بالأمة الى الوراء بعيداً عن ساحات المواجهة مع الحياة. وهو نتاج ينمو على نفسه في محيطه الضيق حتى يتشظى بأيدي حامليه لتصبح عند ذاك "الباطنية" "باطنيات"، والصوفية "صوفيات"، والسلفية "سلفيات"، تتصارع جميعها وهي تهرب من الصراع الى الوراء، وهو ما مثله ويمثله الخطاب الفكري المتطرف.

أما الثاني فهو الذي يؤكد على إن بين التفكير والأتباع، والابداع والتجديد فرق شاسع في عالم الفكر والثقافة تظهر على أطرافه صوراً متغيرة في الجوهر والمظهر والعطاء. وهو يشتد ليخرج من نتائج الضمور والانحدار الفائق نحو عصور ما قبل الانحطاط ليصبح النتاج الفكري ليس محوراً للفكر فقط بل يصبح حدوداً لذلك الفكر في أغلب الأحيان عند ذلك يتحول إلى

ثابت فوق تاريخي تتجسد بداخله وفي محيطه كل العوامل التاريخية التي أسهمت في إنتاجه فلا يقرأ هنا على أنه إنتاج مرحلة تاريخية معينة بل يقرأ على أنه التفسير الملائم للحركة التاريخية المتتابعة وهو الذي يمثل الخطاب الديني المعتدل "خطاب الأصالة وحركة التجديد"^(٤).

وإن من الملفت للنظر هنا، هو إن النزول من النتاج الذي ينمو على نفسه في محيطه الضيق الى جسد الأمة. والصعود من الثابت الفوق تاريخي الى جسد الأمة أيضاً جعل من هذه الأمة تشهد

(٣) صلاح الجابري، نقد التبرير الديني للاستبداد... محاولات في الإصلاح. في كتاب "الإصلاح الديني والسياسي إعادة قراءة النص الديني والممارسة السياسية"، ط١، دار الزمان، سوريا ٢٠١١، ص ٣٦.

(٣) مجموعة من المفكرين، الفكر الديني وتحديات الحداثة، ترجمة: احمد القبانجي، دار الفكر الجديد، النجف الأشرف، العراق، ٢٠٠٧، ص ٦٣-٦٤.

(٤) صائب عبد الحميد، محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والعقائدي، دار الكتاب العربي، بغداد، العراق، (د.ت)، ص ٢٥-٣٠.

حالة من اللاتوازن بدلاً من أن تكون عنصراً صحيحاً وسليماً له قيمته الحضارية الفاعلة لذلك كان لابد للخطابان من أن يصطرعا داخل الأمة الإسلامية وبين دفتيها^(٥).

المبحث الثاني: خطاب الأصالة وحركة التجديد. الرؤية والمرتكزات والمواجهة الفكرية:

اندفع المنهج الاصلاحى عند الحركة الاسلامية في العراق عن طريق الثابت الذي يعطي الى المتغير عنصر النظام الذي يحفظه من الفوضى، وعن طريق المتغير الذي يعطي الى الثابت عنصر المرونة والحركة التي تحفظه من الجمود^(٦).

وفي الواقع، فإن من أهم وأوضح مصاديق العلم والثقافة وخطاب الأصالة وحركة التجديد هي أن يكون على خط متماسك مع البيئة والعصر الي يحيط به، كما إن مفهوم خطاب الأصالة يسقط عندما ينقسم عن الواقع الذي يعيش بداخله، لأنه مفهوم متجدد مُتغير سيال ينمو ويتطور تبعاً للمتغيرات التي ترافق الواقع وترافق مسارات الحركة السياسية والفكرية والمجتمعية ومتطلباتها.

من جهة أخرى، فإن خطاب الأصالة وحركة التجديد هو الذي يداهم عُصره ويتداخل بنوعيته ومنهجيته مع حركة العصر القائم. الأمر الذي يؤدي الى أن ينبثق من هذا التفاعل رؤية عصرية قادرة على قراءة الواقع وفهمه، لأنه وبناءً على هذا التكامل بين الثقافة العصرية وخطاب الأصالة المتجذر في عمق الحركة المجتمعية.

فإن هناك ثمة عطاءً يتقادم ويأخذ طريقه ويتصدى للأزمات التي تقوم هُناك. وعلى ذلك الأساس، فإن من أهم الأدوار التي يقوم بها خطاب الأصالة وحركة التجديد هو الخروج من حالة الوعظ القائم على الترغيب والترهيب الى حالة الوعظ القائم على التنقيف وبناء المجتمع بأساليب عملية وعقلية استدلالية كالتفكير بالبناء قبل المباشرة بالهدم لأن الهدم لا ينفع مالم يكن هناك بناء يأتي بديلاً عنه. حتى يتدارك الفراغ الذي سيخلفه الهدم. وبالتالي فهو مبدأ ايجابي يدفع باتجاه التطور ويكون مدخلاً لتحقيق الإصلاح. ويحقق الأسس القوية للفرد والمجتمع فكرياً وعقائدياً لأن الوعظ القائم على التنقيف وبناء المجتمع يقوم بدور المحافظة على السلوك

(٥) علي الاوسى، معالم المشروع الاصلاحى عند الشيخ البلاغى، -"قضايا اسلامية"، (مجلة)، قم العدد ٥، ١٩٧٧، ص ١٣٩-١٤١.

(٦) عبد الكريم الحائري، الفقه بين الاجتهاد والتقليد تطورات العصر وظروف التجديد، -"النبأ"، (مجلة)، المستقبل للثقافة والاعلام، بيروت، العدد ٦١، السنة ٧، ٢٠٠١، ص ٤٤.

الانفعالي ومنع تجرؤ المجتمع على تجاوز الحدود. وبالتالي فهو يرصد البنية السلوكية للمجتمع ويعالج الخلل البنيوي داخل المنظومة المجتمعية^(٧).

بالمقابل ، فإن خطاب الأصالة وحركة التجديد يعالج مشكلة مهمة وهي عدم إصابة الفرد بانفصام الشخصية أو الذهاب الى الازدواجية بين شخصية مُتزنة بالأصول وأخرى مستسلمة للعصر. وبالتالي فإن هذا الخطاب يؤدي عملية تربوية ينسجم فيها الفرد أخلاقياً وفكرياً مع أسسه وعصره^(٨).

ومما لاشك فيه، فإن خطاب الأصالة وحركة التجديد أخذ يواجه العديد من التحديات الأساسية لاسيما بعدما ظهرت موجات متتالية من الخطاب الذي أخذ يُكرر نفس الاساليب التي حاول أن يتنصل منها سابقاً وينتقدها لاسيما الخطاب الفكري المتطرف فقد واجه المنهج الاصلاحى عند الحركة الاسلامية عن طريق خطاب الأصالة وحركة التجديد ذلك الخطاب المتطرف باعتماد التخطيط والمسح الميداني والدراسات الموضوعية قبل المباشرة بأي مشروع عملي، ومراعاة التدرج في العلاج لضمان النجاح على المدى الأبعد، وتدارك أية ردة فعل تنعكس سلباً على المشروع الاصلاحى^(٩). لأن الخطاب المتطرف يمارس التخلف بشكل جديد بعد أن أصبح أسيراً لواقعه القائم. فقد أخذ يستخدم الاستبداد لإلغاء الآخرين، واحتكار الساحة الفكرية، وتحميل الطبقة الثقافية. والانعزال النخبوي عن الجماهير، والوقوع في صدام معها ومع الطبقة ومع الطبقة الأخرى عندما رفع راية الحرب على التراث والأصالة. فهو ولكي يُسائر موجة الانفتاح والعصرنة أخذ يحاول تهديم الأسس العقائدية والثوابت التي قامت عليها الحياة^(١٠).

وللاقترب من أبعاد الصورة أكثر، فإن مُشكلة الخطاب المتطرف وأنماط التطرف الأخرى تتبع من محاولة تقمصه لدور أكبر من معناه ومفهومه وتحويله الى بديل عنه من دون أن تتوفر لديهم المؤهلات العلمية التي تجعل ذلك الخطاب متخصصاً في الافتاء. لذلك أخذ يحاول الاجتهاد بثقافة عادية غير متخصصة. وينظر الى النصوص بالقياس والرأي من دون الاعتماد على قواعد علمية عقلية ومنهجية تبرر هذا الاستدلال. ولذلك أنتج البعض من قادة ذلك

^(٧) مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي وسايكولوجيا الإنسان المقهور، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٥-٤٠.

^(٨) هيئة التحرير، العالم المثقف سلاح الاصالة وحركة التجديد، -"النبا"، (مجلة)، المستقبل للثقافة والاعلام، بيروت، العدد ٦١، السنة ٧، ٢٠٠١، ص ٧.

^(٩) الشيخ محمد مهدي الأصفى، الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف، تقديم: ماجد الغريباوي، ط ١، مؤسسة المثقف العربي، استراليا، ٢٠١٥، ص ٢١-٢٢.

^(١٠) صلاح الجابري، المصدر السابق، ص ٤٣-٤٦.

الخطاب المتطرف أفكاراً مائلة تعتمد على الاستحسان الذاتي وبمعايير قائمة على ثقافة مستوردة من خارج البيئة التي يعمل بها. فعالج التخلف بالتقليد الأسوأ والتصنيع المزيف^(١١).

أما خطاب الأصالة وحركة التجديد فهو يتصدى فكرياً الى محاولات التوئمة مع الحضارات الأخرى التي جاءت بها العديد من الخطابات التي تنتقد التراث وتطعن في الأسس المنطقية له.

ومن هنا يجادل هذا الخطاب في أن العصرنة لا تعني نسف العقائد والثوابت بقدر ماهي تطوير للخطاب ليلائم التطورات الحديثة ، وإلا فإن كل الأشياء هي تطبيقات ثابتة في الفكر الانساني المشترك، وأن الذي يتغير هو تطبيقاتها المختلفة. في كل زمانٍ ومكان. كما أن المشكلة ليست في عملية النقد والتحليل بذاتها عبر الاستدلال العقلي ، ولكن المشكلة تكمن في محاولة نسفها عبر التجديد المطلق^(١٢).

وعلى صعيد آخر، فإن المنهج الإصلاحي عند الحركة الاسلامية في العراق وخطابها الأصولي والمتجدد دائماً ما يعمل على تجريد العمل الثوري المتجه للإصلاح من العاطفة. وذلك لكي يحتفظ بمنطلقاته العقلانية ولا يتحول الى عملٍ عدواني، كما أن الحركات الثورية دائماً تؤدي في مثل هكذا أوضاع الى أبعاد القائمين بالعمل عن الوسط الاجتماعي وعزلهم عن النشاط الإصلاحي. وهذا هو مبدأ آخر ضمن سلسلة العملية الإصلاحية وتشخيص مهم لطبيعة الأعمال الثورية وما يتمخض عنها حينما تستند الى العاطفة^(١٣).

ومما لاشك فيه، فإن العصرنة كما يراها خطاب الاصالة وحركة التجديد هي ليست التخلي عن الثوابت، وليست الأصالة هي التثبيت المطلق والتحجر الاعمى، لأن الأصالة هي وعي وإدراك لحقيقة الثوابت التي قامت عليها العقيدة. وهي على عكس التحجر والتحجر الاعمى بالأصول في ادبيات الخطاب المتطرف^(١٤).

ونتيجة لذلك، يرى خطاب الاصالة وحركة التجديد كأدوات المنهج الإصلاحي عند الحركة الاسلامية في العراق إن ليست هناك تناقضاً بين الأصالة والتجديد؛ لأن بينهما ثنائية في المفهوم ووحدة في المصداق. ومن هنا فأنهما يشكلان حركة حضارية واعية لأن الأصالة تتحقق بفهم استدلالى والتجديد يعني القدرة على الانسجام مع الواقع والمتغيرات مع الالتزام بالثوابت. ثم يأتي هذا الخطاب مرة أخرى ليعزز من مفهومه في إن التخلي عن الثوابت بدواعي العصرنة

(١١) مصطفى السادة، الخطاب الثقافي بين أصالة المفهوم وهامشية الطرح، " النبأ"، (مجلة)، المستقبل للثقافة والاعلام، بيروت، العدد ٤٩، السنة ٦، ٢٠٠٠، ص ١٣-١٦.

(١٢) هيئة التحرير، العالم المثقف سلاح الاصالة وحركة التجديد، المصدر السابق، ص ٨.

(١٣) الشيخ محمد الاصفي، المصدر السابق، ص ٢٢-٢٣.

(١٤) اسماعيل شبوط سالم، تجديد الفكر الإسلامي عند العلامة عبد الهادي الفضلي دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الامام الكاظم، بغداد، ٢٠١٩، ص ٤٢-٤٥.

يعني التخلي عن الهوية بشكل مطلق. وضياح الى كل التراكم الحضاري. وبالتالي التحول الشاذ نحو الهوية الفوضوية. أما الاصاله فهي التي تبقى محور القوة في الفكر القائم وتترجم حركة التجديد الى حركة منطقية عقلانية دون ضياح للهوية وللتراث^(١٥).

كان أمراً طبيعياً، أن يقود الخطاب الفكري المتطرف الذي يمثل جزئية مهمة من أنماط التطرف العامة بعض جزئيات الواقع القائم الى الاستبداد السياسي والاستبداد المجتمعي الذي يعتبر من أشد المعوقات التي تعرقل تقدم ونهضة الفكر وما بين الاستبداد والاصالة كما يقول المفكر عبد الرحمن الكواكبي " حرب دائمة ، وطراد مستمر، يسعى العلماء في تنوير العقول، ويجتهد المستبد في إطفاء نورها ، وإن الاستبداد والأصالة ضدان متغالبان ؛ لأن كل ارادة مستبد تسعى جهدها في اطفاء نور الاصاله وحركة التجديد وحصر الرعية في حوالك الجهل^(١٦)".

وبناءً على ذلك ، فان عمليات " الاحياء " ، و"الاصلاح" ، و" التجديد" ، و" التأسيس" ، و" التأصيل" ، و"الأسلمة" التي تبناها خطاب الاصاله وحركة التجديد في قبال النمط الفكري المتطرف كانت لها مصاديقها ومجالات إطلاقها وتطبيقاتها الواقعية، كما أن لكل واحدة من تلك العمليات مساهماته الفكرية والواقعية الخاصة به. ومن غير الممكن تعميمها على مساحات الفكر الإسلامي وفقاً لاستدعاءات المستقبل لابد من صياغتها صياغة واحدة، وذلك لكي يكون الفكر المنتج عبارة عن منظومة فكرية واحدة مترابطة في مضامينها ومتناسقة في شكلها^(١٧).

الخاتمة:

مما سبق يبدو واضحاً، إن حركة المنهج الخطابي، لمفهوم الاصاله وحركة التجديد هو محاولة لصقل الصدا الذي أخذ ينتشر داخل الفكر الاسلامي من أجل تبيان المعالم الحديثة والمستتيرة التي تعزز كيان الأمة الإسلامية من قبال المنهج الفكري المتطرف المتصارح داخل الفكر الإسلامي أيضاً، وعلى ذلك فإن من ابرز ما يهم الخطاب الأصولي هو فكرة أسلمة الحداثة.

من جانب آخر، وفي معادلة وموازنة لإعادة قراءة النص الديني عند الخطاب الأصولي والمتجدد يتبين إن المنهج الاصلاحى عند الحركة الاسلامية التي تمثل منظومة دينية انسانية لا يمكن أن تكون عاجزة وعصية على الاصلاح. لأن المنهج الاصلاحى وخطابه الرفيع لا يمكن

^(١٥) صائب عبد الحميد، المصدر السابق، ص ١٠٠-١٠٥.

^(١٦) زكي الميلاد، رؤية في تجديد الفكر الاسلامي ، في كتاب " الاصلاح الديني والسياسي اعادة قراءة النص الديني والممارسة السياسية ، ط١، سوريا، ٢٠٠١، ص ٥٨-٥٩.

^(١٧) علي المؤمن، الفكر الاسلامي ومتطلبات ال مستقبل في كتاب: " الاجتهاد والتجديد"، اعداد سيد جلال الدين ميراغاني، ط١، ج٢، ج٢، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ايران، ٢٠٠٣، ص ١٦٧.

أن ينظر الى مستجدات العصر من خلال آليات يشوبها التطرف أو العجز أو اللاحل، بل من خلال قنوات تكون حاضرة لدى القارئ والمتلقي.

وعلى ذلك الأساس، فإن استقراء تاريخ حركات الإصلاح وخطاب الاصاله وحركة التجديد يظهر إنها كانت مستندة الى عاملين أساسيين الأول هو وجود الرغبة الداخلية بالإصلاح والتي تستند الى ادراك ووعي ثقافي وفكري من جانب. فضلاً عن التأييد الاجتماعي من جانب آخر. والعامل الآخر هو التحدي الداخلي الذي أضاف للثام عنه الخطاب الفكري المتطرف. والذي هو مرتبطاً أيضاً بالتحدي الخارجي الذي ظهر لينخر جسد الامة الاسلامية، ولذلك هو ايضاً من فرض بحركته المتطرفة قضية الإصلاح أو أخذ يدفع باتجاهاتها. لاسيما بعدما فرض نفسه بما يحمله من فكر وثقافة فضلاً عن كونه تحدياً قائماً بأسم الدين والانتماء له. الامر الذي جعله نتيجة حتمية حاکمة في حركة التحولات الفكرية القائمة ومفاهيمها ومستوياتها.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب:

- ١- صائب عبد الحميد، محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والعقائدي، دار الكتاب العربي، بغداد، العراق، (د.ت).
- ٢- مجموعة من المفكرين، الفكر الديني وتحديات الحداثة، ترجمة: احمد القبانجي، دار الفكر الجديد، النجف الأشرف، العراق، ٢٠٠٧.
- ٣- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي وسايكولوجيا الإنسان المقهور، بيروت، ١٩٨٦.
- ٤- الشيخ محمد مهدي الأصفى، الشيخ رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف، تقديم: ماجد الغرباوي، ط١، مؤسسة المثقف العربي، استراليا، ٢٠١٥.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

- ١- اسماعيل شبوط سالم، تجديد الفكر الإسلامي عند العلامة عبد الهادي الفضلي دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الامام الكاظم، بغداد، ٢٠١٩.

ثالثاً: البحوث والدراسات العلمية.

- ١- زكي الميلاد، رؤية في تجديد الفكر الاسلامي ، في كتاب " الاصلاح الديني والسياسي اعادة قراءة النص الديني والممارسة السياسية ، ط١، سوريا، ٢٠٠١.
- ٢- صلاح الجابري، نقد التبرير الديني للاستبداد... محاولات في الاصلاح. في كتاب " الاصلاح الديني والسياسي اعادة قراءة النص الديني والممارسة السياسية، ط١، دار الزمان، سوريا، ٢٠١١.
- ٣- علي عبد الهادي المرهج، الاصح الفكرة والمفهوم تساؤلات نقدية. في كتاب " الاصلاح الديني والسياسي اعادة قراءة النص الديني والممارسة السياسية، ط١، دار الزمان، سوريا، ٢٠١١.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- ٤- علي الاوسي، معالم المشروع الاصلاحى عند الشيخ البلاغى،- "قضايا اسلامية"، (مجلة)،
قم العدد ٥ ، ١٩٧٧.
- ٥- عبد الكريم الحائري، الفقه بين الاجتهاد والتقليد تطورات العصر وظروف التجديد،- "النبأ،
(مجلة)، المستقبل للثقافة والاعلام، بيروت، العدد ٦١، السنة ٧، ٢٠٠١.
- ٦- علي المؤمن، الفكر الاسلامي ومتطلبات المستقبل في كتاب: "الاجتهاد والتجديد"، اعداد سيد
جلال الدين ميراكاني، ط ١، ج ٢، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ايران
٢٠٠٣.
- ٧- مصطفى السادة، الخطاب الثقافي بين أصالة المفهوم وهامشية الطرح، " النبأ"، (مجلة)،
المستقبل للثقافة والاعلام، بيروت، العدد ٤٩، السنة ٦، ٢٠٠٠.
- ٨- هيئة التحرير، العالم المثقف سلاح الاصاله وحركة التجديد،- "النبأ"، (مجلة)، المستقبل
للثقافة والاعلام، بيروت، العدد ٦١، السنة ٧، ٢٠٠١.

فكرة التحمل الجماعي كإداة جديدة في مواجهة تحديات في تعويض الاضرار الناجمة عن تكرير النفط والغاز (دراسة مقارنة)

م.م. حسنين علي هادي

الجامعة الاسلامية/ كلية القانون والعلوم السياسية في الديوانية

م.م. سارة كاظم راهي

كلية الحله الجامعة / قسم القانون

الملخص

تُعَدُّ فكرة التحمل الجماعي من احدى اهم الادوات الحديثة التي تتبع من قبل الدولة في مواجهة التحديات وتعويض الاضرار الناجمة عن تكرير النفط والغاز باعتبارها موضوع الاساس والذي يعد عصب الحياة ومن اهم مصادر الطاقة المتجددة في العالم , والمسؤولية واحدة من أهم الموضوعات التي تقوم عليها القوانين المدنية بصورة عامة , وقد أصبحت اليوم هذه الفكرة عن أضرار التلوث البيئي الصورة الأكثر أهمية وإثارة للمشكلات القانونية من غيرها من صور المسؤولية المدنية؛ وتكتسب هذه الصورة بعداً أكثر خصوصية وأهمية وتميزت هذه فكرة التحمل الجماعي في تعويض الأضرار الناجمة عن تكرير النفط والغاز بطابع ذاتي جعل من تطبيق القواعد العامة عليها أمراً متعذراً في أغلب الأحيان بسبب التحولات العالمية وتجديد المستمر لمصادر الطاقة, مما أثار الكثير من الصعوبات والمشكلات القانونية, فالسمات الموضوعية والإجرائية التي تميزت بها المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي جعلت الكثير من أحكامها تخرج عن إطار القواعد التقليدية, وتتطلب قواعد خاصة وحديثة تراعي تلك الخصوصية التي تمتاز بها, وأبرز ما تميزت به المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي من معالم ذاتية, هي فكرة التحمل الجماعي في تعويض الأضرار البيئية التي كرستها التشريعات البيئية بصندوق حماية البيئة, وهي التي أعطت لهذه المسؤولية الأهمية والفاعلية الكبيرة على الصعيد العملي والتطبيقي, ففكرة هذه الصناديق تسمح بتعويض الأضرار البيئية في جميع الأحوال التي يعجز فيها المتضرر عن الحصول على ذلك الحق من الشخص المسبب للضرر, ولذلك فهي تحقق هدفين, أولهما حتمية حصول المتضرر على حقه بالتعويض, وثانيهما تفعيل وظائف المسؤولية المدنية التعويضية والتهذيبية من خلال امكانية رجوع الصندوق على محدث الضرر في نهاية الأمر وفقاً لأحكام الحلول الشخصي أو الكسب بلا سبب.

Abstract

The idea of collective endurance in compensating the damage caused by oil and gas refining is one of the most important issues of civil law in general. Today, this idea of pollution damage is the most important and problematic image of other forms of civil liability. The image of a more specific and important dimension and characterized the idea of collective endurance in compensation of damage caused by the refining of oil and gas of a subjective nature made the application of general rules on them is often impossible, which raised a lot of difficulties and legal problems, And the procedural characterization of civil liability for environmental pollution caused many of its provisions to fall outside the framework of traditional rules. Special and modern rules that take into account this particularity, and the most prominent characteristic of civil liability for the damage of environmental pollution, To compensate for the environmental damage that environmental legislation established in the Environmental Protection Fund, which gave this responsibility great importance and effectiveness in practical and practical terms. The idea of such funds allows compensation for environmental damage in all cases where the injured party can not obtain this And the second is to activate the functions of compensatory and compensatory civil liability through the possibility of returning the Fund to the torturer in the end in accordance with the provisions of personal solutions or gain without reason.

المقدمة :

ان البشرية تحتاج اليوم الى مبادئ اجتماعية واخلاقية جديدة والى مجتمع اقل ايدلوجية واكثر انسانية . كما انه لا بد من فلسفة جديدة في علاقة الانسان مع الطبيعة تقوم على اساس انسجامه معها لا تفوقه عليها ذلك لان سيطرة الانسان على الطبيعة هي التي تؤدي الى تدهور البيئة فمن الضروري تغير النظرة القائلة ان الانسان هو محور الكون واستبدال تلك بنظرة جديدة مفادها ان الانسان جزء مكمل للنظام الطبيعي. فمشكلة التلوث البيئي تعد من المشاكل الاكثر الحاحاً في الوقت الحاضر , نظراً لتفاقمها السريع وتضاعف نتائجها وايضاً بالنظر لتعقيدها حيث تمتد لتشمل مختلف اوجه الحياة الانسانية. ولا يخفى أن الضرر الذي يقع على البيئة يؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الإنسان، الأمر الذي استرعى عناية معظم المشرعين وانتباههم للتدخل من أجل تخفيف آثار تلك الأضرار والحد منها إن أمكن. فأصبح تناول تلك الآثار مرتكزاً لاهتمام القانونيين قبل المدافعين عن البيئة، ريثما تعلق الأمر ببقاء

الإنسان وحماية وسائل ديمومة حياته. الأمر الذي يتطلب جهداً فقهيّاً وبحثيّاً وتشريعياً وقضائياً لإيجاد السبيل والمخرج القانوني لحماية كل من يداهم هذا الخطر، من خلال اداة جديدة ومستدامه تتمثل بإلزام شركات تكرير النفط والغاز الطبيعي بتعويض الأضرار التي يسببها هذا التلوث، وإيجاد السبل الكفيلة بمنع وقوع الضرر مستقبلاً وهي من الطرق الحديثة التي تمثل اداة فعالة لمعالجة تحديات الحديثة الناتجة من التطور الكبير الذي شهدته مجالات الطاقة والامر الذي يتطلب وسائل جديدة في مواجهتها وتتمثل الإشكالية الرئيسة لموضوع البحث والتي يمكن أن تذوب في وعائها جميع الإشكاليات أو المشكلات الفرعية الأخرى التي تثيرها البحث بعدم كفاية القواعد العامة الواردة في القانون المدني لتنظيم المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي لشركات تكرير النفط والغاز الطبيعي، نظراً لحدثة الموضوع وسرعة تطوره وخصوصيته التي يتميز بها في كل مفردة من مفرداته القانونية، فشركات تكرير النفط والغاز الطبيعي غالباً ما تمارس أنشطتها بشكل مشروع وبموافقة الجهات الإدارية المختصة، كما أنها تلتزم بجميع ما تفرضه عليها التشريعات ذات العلاقة من شروط والتزامات، وعلى الرغم من ذلك تحصل أضرار بيئية، فإذا قلنا بأن تلك الأضرار قابلة للتعويض، فما هو السند القانوني في ذلك والشركة لم ترتكب أي خطأ، وخاصة أن المشرّع العراقي في القانون المدني قد اعتمد على نظرية الخطأ، إذ اشترطت كافة المواد المتعلقة بالمسؤولية المدنية وقوع خطأ من جانب المسؤول، إضافة إلى أنه أطلق على الباب الخاص بالمسؤولية التقصيرية اسم العمل غير المشروع وفي هذا الحالة لا يوجد أي خطأ من جانب المسؤول على الرغم من حصول الضرر البيئي. أما إذا قلنا أنه لا موجب للتعويض مادام الخطأ لم يقع، فهذا يعني أن القانون عاجز عن توفير الحماية الكافية للمتضررين، والقول بخلاف ذلك يعني كسب بلا سبب على حساب المتضرر من جهة، ونسف لفلسفة وجود المسؤولية المدنية والقانون بصورة عامة من جهة أخرى، وهذا ما لا يمكن قبوله. كما أن خصوصية الأضرار البيئية التي جعلت منها أضراراً غير مرئية ومحملة الوقوع، وغالباً ما يتأخر ظهورها إلى مدد طويلة قد تنقضي اثناءها مدة التقادم الخاصة بدعوى المسؤولية المدنية، ثم إن بعضها تُعدّ أضراراً غير مباشرة، وهذه الأخيرة لا يمكن التعويض عنها وفقاً للقواعد العامة، في حين نجد أن القواعد الخاصة المنصوص عليها في التشريعات الأجنبية الحديثة تجيز في بعض جوانبها التعويض عن هكذا أضرار، إضافة إلى ذلك فإن هنالك نوعاً من الأضرار البيئية يسمى بالأضرار البيئية المحضة، وهذه الأضرار لا تقع على شخص ما وإنما تصيب البيئة ذاتها بعناصرها الطبيعية المشتركة للجميع، ففي هذه الحالة لمن تثبت الصفة في المطالبة بتعويضها. ومن هنا تبرز فكرة التحمل الجماعي في تعويض الأضرار البيئية والمتمثلة بصندوق حماية البيئة من الأفكار الجوهرية التي تختص بها المسؤولية المدنية في مجال الأضرار البيئية، وهي التي تعطي لهذه المسؤولية أهميتها وفاعليته. وسوف نتناول هذا الموضوع في مبحثين يخصص الاول لبيان مضمون فكرة تحمل الجماعي كأداة جديدة في تعويض الأضرار البيئية الناجمة عن تكرار النفط والغاز اما المبحث الثاني فقد خصصنا الى كيفية تقدير التعويض في فكرة التحمل الجماعي في تعويض اضرار البيئية الناجمة عن تكرار النفط والغاز .

المبحث الاول

مضمون فكرة التحمل الجماعي كأداة جديدة في تعويض الأضرار البيئية

تبرز أمامنا في هذا المبحث الطبيعة الذاتية للمسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي بصورة جلية وواضحة، إذ تُعدّ فكرة التحمل الجماعي في تعويض الأضرار البيئية والمتمثلة بصندوق حماية البيئة من الأفكار الجوهرية التي تختص بها المسؤولية المدنية في مجال الأضرار البيئية، وهي التي تعطي لهذه المسؤولية أهميتها وفعاليتها، وتظهر هذه الأهمية من خلال ما يقدمه الصندوق من فائدة كبيرة تتمثل بتعويض المتضررين من الأنشطة الضارة بالبيئة، فهو يحل محل المسؤول عن الضرر في دفع التعويض للمتضرر في حالة تعذر حصول التعويض من المسؤول، إضافة إلى دوره الوقائي المتمثل بالحد من ظاهرة التلوث البيئي. ولغرض الإحاطة بالموضوع باعتباراً من المواضيع المهمة في مجال التحديات المستجدة من كل جوانبه يتحتم علينا تقسيم هذا المبحث على مطلبين : نتناول في الأول فلسفة إنشاء صندوق حماية البيئة، ونعقد الثاني لبيان النظام القانوني لصندوق حماية البيئة.

المطلب الأول

فلسفة إنشاء صندوق حماية البيئة

إذا كان الهدف النهائي لقانون حماية البيئة يتمثل بحماية البيئة كما يتضح ذلك من تسمية القانون، فإن على المشرّع أن يسعى لتحقيق هذا الهدف من خلال إتباع الوسائل القانونية الممكنة كافة، ويستطيع المشرّع الوصول إلى هذا الهدف من خلال المنهج الوقائي القائم على أساس اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لمنع وقوع التلوث البيئي والمحافظة على البيئة ووضع التدابير العلاجية الكفيلة بإزالة آثار التلوث في حالة وقوعه، ويكون ذلك بإزالة التلوث فعلاً وإعادة تأهيل البيئة التي تعرضت للتلوث، والمنهج العلاجي المتمثل بإصلاح الأضرار البيئية التي يسببها التلوث أو تعويضها^(١).

وتحقيقاً لذلك الهدف لابد من إنشاء صندوق لحماية البيئة يكون بمثابة الدعامة الأساسية في تطبيق المنهجين الوقائي والعلاجي، من خلال دوره بتوفير الموارد المالية اللازمة لاتخاذ التدابير الوقائية الممكنة كافة لمنع حصول الأضرار البيئية، وتعويض الأشخاص المتضررين بيئياً في حالة عدم حصولهم على التعويض الكامل بموجب قواعد وأحكام المسؤولية المدنية التي لم تعد تنسجم مع التطور المستمر بسبب قواعدها التقليدية^(٢). وتُعدّ فكرة إنشاء صندوق حماية البيئة توجهاً حديثاً للسياسة التي اتبعتها أغلب الدول بصدد ضمان تعويض ضحايا التلوث البيئي، ويرى البعض بأن هذه الصناديق جاءت لتكملة ومعالجة النقص الموجود في نظام المسؤولية المدنية ونظام التأمين من المسؤولية، إذ إن مهمة الصندوق في تعويض المتضررين من التلوث البيئي تنهض عندما لا يحصل المتضرر على كامل حقه من النظامين السابقين^(٣).

وعليه فإن فلسفة صندوق حماية البيئة وأهميته تتمثل بالآتي:

أولاً: يوفر صندوق حماية البيئة الثقة والأمان لأصحاب المشاريع التي تسبب تلوثاً للبيئة، إذ يجنبها خطر الإفلاس الذي يهددها نتيجة ازدياد عدد الدعاوى التي تُقام ضدها، لاسيما وأن التلوث البيئي في أغلب الأحيان ينتج عن إحدى المؤسسات الصغيرة أو المتوسطة التي لا تقوى مالياً على تغطية التكاليف التي تنتج عن الضرر البيئي، وعليه فإن صندوق حماية البيئة يشجع أصحاب هذه المشاريع على الاستمرار ومسايرة التقدم العلمي والصناعي كما يشجعهم على الابتكار من دون خشية المسؤولية عن طريق تغطية ما يهددهم في هذا الشأن من أخطار، وبالنتيجة هذا الأمر يعود بالنفع العام على الاقتصاد الوطني في مجموعة (٤).

والرأي السابق لا يؤخذ على إطلاقه، فهذا الصندوق يوفر الثقة والأمان حتى للمشاريع الكبيرة والمؤسسات المليئة مالياً مثل الشركات النفطية بصور عامة؛ لان هنالك بعض الأضرار البيئية التي تسببها الأعمال والأنشطة التي تقوم بها هذه الشركات لا يمكن مواجهتها بمبالغ مالية بسيطة أو اعتيادية بل تحتاج إلى أموال طائلة، فالكوارث البيئية التي تخلفها الأمطار الحامضية على الإنسان والنبات والحيوان والتربة تحتاج إلى أموال قد تفوق القدرة المالية لهذه الشركات مهما كانت كبيرة، لذلك فإن فكرة صناديق حماية البيئة توفر الأمان للمشاريع جميعها التي تمارس أنشطة ضارة بالبيئة على حد سواء.

ثانياً: يُعدّ نظام صندوق حماية البيئة خطوة إيجابية في مجال التيسير على المتضرر في سبيل الحصول على التعويض اللازم لجبر الضرر الذي أصابه نتيجة التلوث البيئي وخاصة في الأحوال التي لا يمكنه الحصول على هذا التعويض بإتباع قواعد المسؤولية المدنية بصورة عامة^(٥)، يضاف إلى ذلك أن هذا النظام يؤدي إلى تجنب البطء في إجراءات التقاضي وتخفيف العبء عن المحاكم، لكن في بعض الأحيان قد يضطر الشخص المتضرر للجوء إلى المحاكم في الأحوال التي يمتنع فيها الصندوق عن دفع التعويض لأي سبب كان، أو في الأحوال التي يتجاوز فيها مقدار الضرر قيمة المبلغ المحدد قانوناً^(٦).

ثالثاً: تسمح صناديق حماية البيئة بتعويض الأضرار البيئية التي تحتاج إلى مبالغ باهضة لإصلاحها والتي لا يمكن إصلاحها بموجب نظام المسؤولية المدنية أو التأمين من المسؤولية كالأضرار البيئية المحضة، فإصلاح الوسط البيئي الطبيعي والأنظمة البيئية أمر في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع ككل والذي يجب عليه المحافظة على البيئة وصونها من التلوث. وتُعدّ صناديق حماية البيئة هذه الأداة الفاعلة في معالجة وإصلاح الأضرار البيئية المحضة، إذ إنها تكفل تعويضها تعويضاً نقدياً من خلال المطالبة القضائية لجمعيات حماية البيئة يمثل هذا التعويض^(٧).

رابعاً: تحقق صناديق حماية البيئة دوراً مزدوجاً ومنفعةً مزدوجة، فالدور المزدوج يتمثل بدورها التكميلي والاحتياطي، ويظهر الدور التكميلي لهذه الصناديق في الحالات التي لا يغطي فيها نظام

التأمين من المسؤولية قيمة التعويضات اللازمة للأضرار التي أصابت المتضرر، وذلك عندما تتجاوز قيمة الأضرار الناتجة عن النشاط الضار الحد الأقصى لمبلغ التأمين المحدد في العقد، ففي هذه الحالة تتدخل هذه الصناديق بهدف تعويض المتضرر تعويضاً كاملاً بعد أن حصل على تعويض جزئي، وكذلك يظهر الدور التكميلي لصناديق حماية البيئة في الأحوال التي يكون فيها هنالك حد أقصى للتعويض لا يجوز تخطيه كما في حالة المسؤولية القائمة على أساس الضرر (المسؤولية الموضوعية)^(٨). بينما يظهر الدور الاحتياطي لصناديق حماية البيئة في الحالات التي يثبت فيها إفسار المسؤول عن التلوث البيئي أو يتعذر تحديده كأن يكون مجهولاً أو في حالة توفر سبب من أسباب الإعفاء من المسؤولية المدنية لديه^(٩).

أما المنفعة المزدوجة التي يحققها الصندوق فهي لكل من المتضرر والمسؤول عن التلوث البيئي، فبالنسبة للمتضرر تتمثل في أنه يقدم ضماناً ثابتة ورئيسية تؤكد وجود شخص موسر مالياً يمكن أن يستوفي حقه منه، أما بالنسبة للشخص المسؤول عن التلوث البيئي فيجعله يستفيد من نظام المسؤولية المحدودة كمقابل لاشتراكه في هذا الصندوق، في الأحوال التي يكون فيها إنشاء الصندوق إرادياً من قبل اصحاب الأنشطة الصناعية الضارة بالبيئة كغطاء تعاونياً فيما بينهم^(١٠).

يضاف إلى ذلك كله فإن الدور الوقائي الذي يمكن أن يقوم به صندوق حماية البيئة قد يفوق الدور التعويضي، إذ إن اتخاذ التدابير الوقائية لحماية البيئة من التلوث كتوفير الأجهزة والمعدات اللازمة لمعالجة التلوثات المختلفة قبل إطلاقها في البيئة وغيرها من التدبير، تكون ذات فائدة كبيرة في سبيل حماية البيئة، وأفضل من إتباع طريقة المعالجة التعويضية.

وبعد أن بينا أهمية إنشاء صندوق حماية البيئة وفلسفته بقي لدينا مسألتان لابد من التطرق إليهما، تتعلق المسألة الأولى بمدى تأثير نظام صناديق حماية البيئة على وظائف المسؤولية المدنية، فيما تتعلق المسألة الثانية بالرد على النقد الموجّه لفكرة الصندوق.

وبصد المسألة الأولى يثار التساؤل الآتي: ما المقصود بوظائف المسؤولية المدنية وكيف يؤثر عليها صندوق حماية البيئة؟ للإجابة عن هذا التساؤل نقول إن للمسؤولية المدنية وظيفتان متلازمتان تعمل على تحقيقهما، الأولى تسمى بالوظيفة التعويضية للمسؤولية المدنية، والمراد بها أن المسؤولية المدنية في كل النظم القانونية تهدف بالدرجة الأولى إلى تعويض المتضرر عن الأضرار التي تحدث له، ويتم ذلك في الغالب عن طريق ترجمة هذا التعويض إلى مبلغ من النقود يعادل قيمة الضرر الواقع، وهذه الوظيفة التعويضية لا توجد فقط في الفعل التقصيري بل في العقود أيضاً، ففي حالة عدم تنفيذ المدين لالتزامه العقدي أو التأخر في تنفيذه يحكم عليه بالتعويض أي التنفيذ بمقابل عن طريق التعويض^(١١).

والوظيفة الثانية تسمى بالوظيفة التهذيبية أو الردعية للمسؤولية المدنية، والمقصود بها أن المسؤولية المدنية تعمل بالإضافة إلى تعويض المتضرر على تهذيب وتحسين السلوك الفردي

للمخطئ (المسؤول عن الضرر) ودفعه نحو الطريق السوي في ضوء الاعتبارات الاجتماعية السائدة، مما يترتب عليه خفض نسبة الأضرار بالغير إلى أدنى حد ممكن، وبالتالي الإسهام في توفير الأمان الاجتماعي، وتتعاكس هذه الوظيفة بدورها على المتضرر فتؤدي إلى تهدئة نفسه وإطفاء جذوة غضبه وإشباع حاجته للشعور بالعدالة، من خلال منحة التعويض الملائم (١٢).

وعليه فإن التعويض الذي يتم من خلال نظام الصناديق يؤدي إلى حصول المتضرر على حقه في التعويض، من دون الحاجة إلى إقامة مسؤولية فاعل الضرر، وفي الظاهر هذا يؤدي إلى تجريد المسؤولية المدنية من وظائفها جميعاً، إلا أن الحقيقة غير ذلك، إذ إن الذي يتحمل العبء النهائي في التعويض هو محدث الضرر وليس الصندوق؛ لأن الصندوق يستطيع الرجوع على هذا الشخص من خلال حله محل المتضرر ومطالبة المسؤول بدفع مبلغ التعويض وفقاً لقواعد الحلول الشخصي، وهذا ما سنوضحه في المطلب الثاني من هذا المبحث. وبهذا الأمر فإن المسؤولية المدنية ستبقى محتفظة بتلك الوظائف.

أما المسألة الثانية والمتمثلة بالرد على الانتقاد الموجّه لفكرة الصندوق والأنظمة التعويضية الأخرى بصورة عامة، حيث يرى الفقه أن هذه الأنظمة تخالف مبدأ المساواة أمام القانون؛ لأنها تختص بتعويض فئة معينة من الأشخاص المتضررين دون النظر إلى فئات المجتمع الأخرى، وكذلك فإن الإجراءات والقواعد القانونية التي تخضع لها هذه الأنظمة التعويضية مختلفة من نظام إلى آخر، ويضاف إلى ذلك أيضاً أن معظم القوانين الخاصة بهذه الأنظمة قد سنت على عجل، وهذا ما يؤدي إلى حدوث تنازع بين الأحكام العامة والأنظمة القانونية الخاصة، وهذا التنازع يؤدي بدوره إلى اختلاف التفسير القضائي وبالتالي اختلاف الأحكام القضائية. وعليه فإن الفقه يرى بأنه كان الأجدر على المشرع بدلاً من إنشاء أنظمة خاصة ومتعددة لتعويض المتضررين أن يقوم بإصلاح نظام المسؤولية المدنية بصورة عامة والعمل على إيجاد نظام عام للتعويض يشمل كافة أنواع الأضرار التي تصيب المتضررين البيئية منها وغير البيئية ومن دون تمييز (١٣).

وعلى الرغم من وجهة بعض هذا الانتقادات إلا أنها لا تنقص من قيمة هذه الصناديق وأهميتها، فهذه الصناديق أو الأنظمة تُعدّ ضرورية في الوقت الحالي وتمثل توجهاً حديثاً في تحويل المسؤولية المدنية من مسؤولية شخصية إلى مسؤولية اجتماعية أو جماعية يسهم فيها المجتمع بكافة أعضائه، إضافة إلى ذلك فإن تلافى الانتقادات التي وجهت إلى هذه الفكرة لا يكمن في إلغائها بل يكمن في كيفية إيجاد نظام عام أو أنظمة خاصة تكفل تعويض الحالات الأخرى المماثلة، فليس من العدل أن نعمل على إلغاء فكرة أو خطوه تشريعية تسعى إلى حماية فئة معينة من المجتمع، وإنما لابد من تكملتها بخطوات أخرى تمهيداً للوصول إلى توفير الحماية الشاملة لفئات المجتمع وأفراده جميعها، كما أن القول بأن القوانين الخاصة بهذه الأنظمة قد سنت على عجل مما أدى ذلك إلى اختلاف الأحكام القضائية نستطيع الرد عليه بأنه بالإمكان معالجة

هذه القوانين وإصلاحها من خلال تعديلها أو إلغائها وإحلال قوانين أخرى محلها تكون أكثر دقة وأكثر تفصيلاً لتجنب ذلك الاختلاف أو التعارض في الأحكام.

المطلب الثاني

النظام القانوني لصندوق حماية البيئة

لقد تبنت معظم التشريعات المتعلقة بحماية البيئة فكرة إنشاء صناديق لحماية البيئة وبيئت النظام القانوني لها، إذ نصت المادة (٢٦) من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩ على أنه " يؤسس صندوق يسمى (صندوق حماية البيئة) يتمتع بالشخصية المعنوية يمثل رئيس مجلس إدارة الصندوق أو من يخوله " (١٤)، فيما نصت المادة (١٣) من قانون حماية البيئة الكويتي رقم ٤٢ لسنة ٢٠١٤ المعدل على أنه " ينشأ بالهيئة (١٥) صندوق خاص يسمى صندوق حماية البيئة يتبع للمجلس الأعلى للبيئة... "، وأيضاً نصت المادة (١٤) من قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ المعدل على أنه " ينشأ بجهاز شؤون البيئة صندوق خاص يسمى (صندوق حماية البيئة)... " . كما أشار قانون البيئة الفرنسي رقم (٩١٤-٢٠٠٠) الصادر في ١٨ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠ في المادة (L561-2) إلى إنشاء صندوق خاص للوقاية من المخاطر الطبيعية (١٦).

ويتولى إدارة الصندوق مجلس إدارة يؤسس بقرار من الوزير (١٧)، وينتخب المجلس من بين أعضائه نائباً للرئيس بالاقتراع السري في أول اجتماع له، ويجتمع مجلس الإدارة مرتين على الأقل كل شهر بناءً على دعوى من رئيسه، ويتحقق النصاب القانوني لانعقاد المجلس بحضور أغلبية أعضائه على أن يكون من بينهم الرئيس ويتخذ المجلس قراراته بأكثرية عدد الأعضاء الحاضرين وفي حالة تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي يصوت معه الرئيس (١٨).

ويتولى هذا المجلس جميع المهام المتعلقة بإدارة الصندوق ومنها رسم السياسة العامة لعمل الصندوق وتنظيم أعماله الإدارية والفنية والمالية والإشراف عليها، وكذلك يتولى وضع الشروط التي يجب توافرها في طلبات الدعم المالي المقدمة إلى الصندوق من قبل الجهات والمشاريع كتقديم دراسة للجدوى الاقتصادية والفنية للمشروع المطلوب الدعم له، ويتولى المجلس أيضاً الموافقة على تقديم الدعم ودراسة التقارير المتعلقة بتنفيذ المشاريع الممولة من الصندوق ومتابعتها، وكذلك اقتراح الأجور التي يستوفيه الصندوق عن الخدمات التي تقدمها الوزارة وصرف المكافآت لموظفي الصندوق، ويشكل المجلس لجنة من بين أعضائه تتولى الصرف والأموال المالية الأخرى (١٩).

واستناداً إلى الشخصية المعنوية التي يتمتع بها الصندوق والتي أشارت إليها المادة (٢٦) (٢٠) من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩ لا بد أن يكون للصندوق موازنة مالية خاصة ومستقلة يتولى الإنفاق منها لأداء مهامه المكلف بها قانوناً، وبحسب نص المادة (٥) من تعليمات صندوق حماية وتحسين البيئة في إقليم كردستان - العراق رقم ٢ لسنة ٢٠٠٩ فإن

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

السنة المالية للصندوق تبدأ من اليوم الأول من شهر كانون الثاني من كل سنة وتنتهي بانتهاء اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول منها^(٢١). ويتم تمويل هذه الموازنة من الموارد المالية الآتية:

أولاً: المبالغ التي تخصصها الدولة ضمن الموازنة العامة.

ثانياً: التبرعات التي تقدم للصندوق وفقاً للقانون.

ثالثاً: التعويضات التي يتفق عليها أو يحكم بها عن الأضرار التي تصيب البيئة.

رابعاً: مساعدات الدول والمنظمات العربية والإقليمية والدولية لأغراض حماية البيئة والتي تقبلها الوزارة وفقاً للقانون.

خامساً: الأجور التي يستوفيهها الصندوق عن الخدمات التي تقدمها الوزارة وتحدد بتعليمات تصدرها لهذا الغرض^(٢٢).

وقد أضاف كل من قانون حماية وتحسين البيئة في إقليم كردستان - العراق رقم ٨ لسنة ٢٠٠٨ وقانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ إلى الموارد المالية أعلاه الرسوم والغرامات البيئية المستوفاة بموجب أحكام هذه القوانين^(٢٣), وأيضاً فقد أضاف قانون حماية البيئة المصري التعويضات التي يحكم بها أو يتفق عليها عن الأضرار التي تصيب البيئة إلى موارد الصندوق^(٢٤), كما أن اللائحة التنفيذية لقانون حماية البيئة المصري الصادرة بقرار مجلس الوزراء رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٩٥ قد أضافت موارد أخرى لتمويل موازنة الصندوق تتمثل بالآتي:

أولاً: ما يخص جهاز شؤون البيئة من نسبة الـ ٢٥ % من حصيله الرسوم المقررة على تذاكر السفر التي تصدر في مصر بالعملة المصرية طبقاً للمادة الأولى من القانون رقم (٥) لسنة ١٩٨٦ وقرار رئيس مجلس الوزراء رقم ٦٩٧ لسنة ١٩٨٦ وبحد أدنى (١٢,٥) من إجمالي حصيله الرسوم المشار إليها. ثانياً: عائد المشروعات التجريبية التي يقوم بها الجهاز. ثالثاً: مقابل ما يؤديه الجهاز من خدمات للغير بأجر. رابعاً: رسوم التراخيص التي يصدرها الجهاز^(٢٥).

مع ملاحظة أن هنالك مورد مهم وله تأثير كبير في تمويل ميزانية الصندوق كان من الأجدر على التشريعات أن تنص عليه إلا وهو الضرائب البيئية التي تفرض على الأنشطة الملوثة للبيئة, لذا نقترح على المشرع العراقي والمقارن أن يضيف هذا المورد إلى مصادر تمويل الميزانية الخاصة بالصندوق.

وتُعدّ أموال الصندوق أموالاً عامة^(٢٦) ويتحدد وجه الأنفاق منها بنص القانون, وقد حدد قانون حماية البيئة الكويتي والمصري الأوجه التي يتم فيها أنفاق أموال الصندوق ومعظمها تتركز في

مواجهة الكوارث البيئية^(٢٧) وحماية الثروات الطبيعية وحماية البيئة من التلوث ودعم وتمويل المشاريع التي تهدف إلى معالجة التلوثات البيئية، ومواجهة التلوث غير معلوم المصدر، وكذلك دعم الدراسات اللازمة لأعداد البرامج البيئية وتقييم التأثير البيئي ووضع المعدلات والمعايير المطلوب الالتزام بها للمحافظة على البيئة^(٢٨). ولكن لم نجد في قانون حماية وتحسين البيئة العراقي مثل هذا التفصيل سوى نص المادة (٢٩) منه عندما أشارت إلى الأنفاق من الصندوق يكون في المجالات المحددة في هذا القانون، وعند الرجوع إلى نص المادة الأولى من القانون ذاته نلاحظ أن من أهدافه إزالة ومعالجته أي تعويض- الضرر الموجود في البيئة أو الذي يطرأ عليها حفاظاً على الصحة العامة والموارد الطبيعية والتنوع الإحيائي. ولكن عند النظر إلى تعليمات صندوق حماية البيئة العراقي رقم ١ لسنة ٢٠١٣ نلاحظ أنها عندما حددت الأوجه التي يتم فيها إنفاق أموال الصندوق جعلت في مقدمتها متطلبات إزالة التلوث الذي تسببه النشاطات التي يتمتع أصحابها عن إزالته والتلوث غير معلوم المصدر^(٢٩)، ولكن هل يقصد المشرع العراقي في قوله هذا إزالة الضرر الموجود بالبيئة -أي التعويض- في هاتان الحالتان كما بينت ذلك المادة الأولى من قانون حماية وتحسين البيئة، هذا ما يبدو غامضاً. كما أشارت أيضاً هذه التعليمات إلى أوجه الأنفاق الأخرى جميعها التي تطرقت إليها القوانين السابقة كمواجهة الكوارث البيئية ودعم المشاريع وتمويلها التي تهدف إلى حماية البيئة ومعالجة التلوثات البيئية والدراسات المختصة بإعداد البرامج البيئية وتقييم التأثير البيئي^(٣٠).

ونلاحظ من تحليل النصوص أعلاه أن التشريعات البيئية عند معالجتها لحالات تدخل الصندوق قد أوردتها على سبيل الحصر، وإن أجاز البعض منها إضافة حالات أخرى لأوجه إنفاق موارد الصندوق بصورة عامة وليس لتعويض الأضرار البيئية خاصة وأشترط موافقة الجهات المعنية^(٣١)، كما نلاحظ عدم التركيز على موضوع تعويض الضرر البيئي فالمشرع الكويتي والمشرع المصري وحتى العراقي قد ذكروا حالات كثيرة لتدخل الصندوق أي لإنفاق أموال الصندوق هدفها الرئيس هو حماية البيئة، ولكنهم لم ينصوا صراحة على الهدف الرئيس للصندوق والمتمثل بتعويض المتضررين في الحالات جميعها التي لا يمكنهم الحصول فيها على التعويض من المسؤول، باستثناء الجزئية التي ذكرها المشرع المصري والخاصة بمواجهة التلوث غير معلوم المصدر، والتي أضاف لها المشرع العراقي حالة أخرى وهي حالة إزالة التلوث الذي تسببه النشاطات التي يتمتع أصحابها عن إزالته، وقلنا إن هذا النص يشوبه الغموض وعدم الوضوح إذ أنه لم ينص صراحة على التعويض، وكان الأجدر على المشرعين كافة وضع نصاً عاماً يجعل الصندوق مسؤولاً عن تعويض الأضرار البيئية جميعها التي تصيب الأشخاص أو أموالهم أو التي تصيب البيئة ذاتها والتي لا يمكن الحصول فيها على التعويض من المسؤول أي كان السبب، حتى يصبح صندوق حماية البيئة الأداة الفاعلة في حماية البيئة وتعويض الأضرار البيئية ويكون بإمكان أي شخص متضرر بيئياً أن يلجأ إلى الصندوق مطالباً بالتعويض إذا لم يحصل عليه من الشخص المسؤول عن الضرر مباشرة.

ومن خلال ما تقدم وبالاستناد لنص المادة الاولى من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي والمادة (٨) من اللائحة التنفيذية لقانون حماية البيئة المصري والتي اجازت تحديد اوجه اخرى الانفاق موارد الصندوق يمكننا القول بأن من أهداف صندوق حماية البيئة هو تعويض الأضرار البيئية وإن لم يجعله هدفه الرئيس، ولكن بغض النظر عن ذلك القصور التشريعي فإن دور صندوق حماية البيئة في تعويض الاضرار البيئية هو دوراً أساسياً لا يمكن إغفاله، ونهض في الحالات كثيرة منها حالة الضرر البيئي غير معلوم المصدر، إذ قد يتعذر في بعض الأحيان تحديد المسؤول عن الضرر نتيجة تعدد الأنشطة الصناعية والاقتصادية وتشابكها التي ينجم عنها هذا الضرر مما يؤدي إلى صعوبة إثبات نسبة الخطأ لأي شخص من هؤلاء الذين اشتركوا في إحداث ذلك الضرر^(٣٢). ففي هذه الحالة يجب أن تتحمل الدولة النتائج المترتبة على ذلك كما يرى بعض الفقه والسند هو أن ملكية عناصر البيئة في الأصل ملكية عامة ومن ثم تناط مسؤولية حمايتها بالدولة وحدها^(٣٣)، ومنها ايضاً حالة إفلاس المسؤول أو إعسار الذي يصبح غير قادر على الوفاء بالتعويض، أو عندما يتوافر لديه سبب من أسباب الإعفاء من المسؤولية، وكذلك حالة ما إذا كان هنالك حد أقصى للتعويض لا يجوز تخطية، كما هو الحال بالنسبة للمسؤولية الموضوعية المتبعة في مجال تعويض الأضرار البيئية^(٣٤). وحالات اخرى لا يتسع المجال لذكرها.

وحسناً فعل المشرع العراقي وكذا المصري عندما نص على مسألة إخضاع حسابات الصندوق وأعماله إلى رقابة جهة خارجية تتمثل بديوان الرقابة المالية في القانون العراقي^(٣٥)، والجهاز المركزي للمحاسبات في القانون المصري^(٣٦)، لأن من شأن هذه الرقابة إضفاء الشفافية والنزاهة على أعمال الصندوق، مما يجعله أداة فاعلة في حماية البيئة وتعويض الأضرار البيئية.

ويثار في هذا المقام تساؤل مفاده هل يتحمل صندوق حماية البيئة تعويض الأضرار البيئية بصورة نهائية أم مؤقتة؟ أي أنه إذا تم بعد قيام الصندوق بدفع التعويض تحديد الشخص المسؤول عن الضرر بعد أن كان مجهولاً أو أصبح موسراً بعد أن كان معسراً، فهل يتم الرجوع عليه أم ماذا؟ نعم في هذه الحالة يتم الرجوع على المسؤول من خلال آلية الحلول الشخصي، ويقصد بالحلول الشخصي هو تحول الالتزام ذاته سواء نظر إليه بوصفه حقاً شخصياً من جهة الدائن أو نظر إليه بوصفه التزاماً من جهة المدين من شخص إلى آخر^(٣٧)، أي أن هنالك شخص والتمثل بصندوق حماية البيئة يحل محل شخص آخر وهو المتضرر في الحقوق المتعلقة بالحقوق الشخصي الذي يملكه هذا الأخير تبعاً للوفاء الذي تم بوساطة الأول للثاني. وقد نصت المادة (٣٧٩) من القانون المدني العراقي على أنه " إذا دفع الدين شخص غير المدين حل الدافع محل الدائن بحكم القانون في الأحوال الآتية: أ - إذا كان ملزماً بالدين مع المدين أو ملزماً بوفائه عنه... " ^(٣٨)، وقد ذهب القضاء الفرنسي بصدد تفسيره لنص المادة (١٣٤٦) من القانون المدني الفرنسي والمقابلة للنص العراقي أعلاه إلى أن الحلول الشخصي في هذه الحالة يجد أساسه في هذه المادة التي وضعت معياراً أساسياً مفاده أن يكون هنالك دين واحد مطلوب من عدة أشخاص

لا يهتم الدائن بأن يأخذ حقه من أي منهم, وقد ذهب القضاء الفرنسي إلى أبعد من ذلك عندما قرر بأن الوفاء يجب أن يتم بوساطة شخص آخر غير المدين النهائي الذي يجب أن يبرأ في مواجهة الدائن الحال^(٣٩), أي أن القضاء الفرنسي أراد أن يتوخى السرعة في أداء التعويض إلى المتضرر بأن جعل الوفاء يتم بوساطة شخص غير المدين النهائي ومن ثم يرجع هذا الشخص على المدين بما أداه من تعويض للمتضرر.

واستناداً إلى ذلك يذهب الفقه إلى القول بأن اللجوء إلى الحلول الشخصي كأساس لدعوى رجوع الصندوق على محدث الضرر هو أمر مبرر تماماً^(٤٠), ولا يشترط للرجوع في هذه الحالة سوى أن يتم الوفاء من قبل الصندوق بمبلغ التعويض للمتضرر. وإذا تعذر الرجوع على المسؤول وفقاً لأحكام الحلول الشخصي, فتبقى امكانية الرجوع بموجب القواعد العامة للكسب بلا سبب (الفعل النافع) قائمة أمام الصندوق.

المبحث الثاني

كيفية تقدير التعويض في فكرة التحمل الجماعي عن تعويض اضرار البيئية

بعد أن يختار القاضي الطريقة الملائمة لتعويض الضرر البيئي يتوجب عليه بعد ذلك أن يحدد مقداره, وطبقاً للمبدأ السائد في نطاق تقدير التعويض عن الضرر في المسؤولية المدنية وهو مبدأ التعويض الكامل للضرر, فإنه يجب على القاضي أن يمنح المتضرر تعويضاً يغطي جميع ما لحق به من ضرر ولا شيء غير الضرر الذي أصابه^(٤١), لأنه بخلاف ذلك يكون المتضرر قد أثرى على حساب محدث الضرر. ولما كان تقدير التعويض من مسائل الواقع التي لا رقابة لمحكمة التمييز (النقض) فيها على محاكم الموضوع, فإن هذه المحاكم تتمتع بسلطة تقديرية واسعة بهذا الشأن^(٤٢). وبما أن الأضرار البيئية تارة تكون خاصة تصيب الأشخاص والممتلكات, وتارة أخرى تكون محضة تصيب البيئة ذاتها, فإن تقدير كل نوع منها يختلف عن النوع الآخر بحسب طبيعته ومعايير تقديره والمشاكل التي تواجهه والتي تزداد حدتها أكثر في حالة الضرر البيئي المحض, إضافة إلى ذلك فإن تقدير التعويض عن الضرر البيئي يرتبط بعدد من المسائل المكمل له. وبذلك تحتم علينا طبيعة الموضوع تقسيم مبحثنا هذا على مطلبين : نتناول في الأول كيفية تقدير التعويض عن الضرر البيئي المحض, ونخصص الثاني لبيان المسائل المكمل لتقدير التعويض عن الضرر البيئي المحض.

المطلب الاول

كيفية تقدير التعويض عن الضرر البيئي المحض

بقى التعويض عن الضرر البيئي المحض مدة طويلة من الزمن أمراً غير مرحب به في المحاكم المدنية؛ وذلك ناتج عن الصعوبات التي تواجه تقدير التعويض عن هذا النوع من الأضرار, فالضرر البيئي المحض بخلاف الضرر البيئي الخاص, إذ يواجه تقدير التعويض

عنه وخاصة النقدي الكثير من الصعوبات, منها ما يتعلق في كيفية تقييم عناصر الطبيعة, ومنها ما يتعلق بالأساس الذي يتم بموجبه ذلك التقييم, فلو تلوثت مياه النهر مثلاً فكيف يتم تقييم الضرر, فهل يتم بالاستناد إلى ما تم تدميره من ثروة سمكية في النهر أم إلى قيمة الوسائل التي يتم اتخاذها لتنظيف النهر من المواد الملوثة, أم إلى مدى الخسارة التي لحقت بالصيادين الذين ينتفعون من الصيد في النهر, أم إلى حجم الربح الضائع الذي فقدته الدولة من عزوف السياح مثلاً عن التنزه على شواطئه؟ وكذلك الحال إذا ما أدى التلوث البيئي إلى تدمير غابة, فهل يتم تقييم الشجر على أساس ما تتضمنه الغابة من قيمة جمالية, أم على أساس القيمة السوقية للأشجار أو الأخشاب التي يمكن أخذها من الأشجار؟ وما هو الحال بالنسبة للكائنات الحية التي كانت تعيش في تلك الغابة وقيمتها الطبيعية؟^(٤٣). إلا أن هذه الصعوبات جميعها وغيرها لم تمنع التشريع والقضاء من الاعتراف بضرورة تعويض هذا النوع من الأضرار, بل أصبحت الأنظار الفقهية والتشريعية والقضائية كافة تتجه نحو التأكيد على تعويض هذا النوع من الأضرار. ولتجاوز جميع الصعوبات التي تعترض عمل القضاء عند تقدير التعويض النقدي عن هذا النوع من الأضرار نجد أن الفقه والتشريع وما جرى عليه القضاء الحديث قد أوجدوا عدداً من الطرق أو المعايير التي يمكن من خلالها الوصول إلى تقدير ذلك التعويض, وأبرز هذه الطرق طريقتان: الأولى طريقة التقدير الموحد للتعويض عن الضرر البيئي المحض, والثانية طريقة التقدير الجزافي للتعويض عن الضرر البيئي المحض, وسنخصص لكل منهما فرعاً مستقلاً.

الفرع الأول

طريقة التقدير الموحد للتعويض عن الضرر البيئي المحض

تقوم هذه الطريقة بتقدير التعويض على أساس تكاليف إحلال وتجديد العناصر الطبيعية التي أصيبت بالضرر^(٤٤), ويقصد بتكاليف الإحلال القيمة النقدية اللازمة لإعادة العناصر الطبيعية إلى ما كانت عليه قبل حصول الضرر البيئي^(٤٥). ولما كان الهدف الرئيس من التعويض هو استعادة البيئة لعناصرها المتضررة, لذلك يجب أن يستند تقدير التعويض بالدرجة الأساس على حساب تكاليف الاستعادة^(٤٦), ويجب أن يراعى بنظر الاعتبار التكاليف المعقولة لإمكانية إعادة الحال إلى ما كان عليه بالنسبة للعناصر البيئية المتضررة, فكما لاحظنا سابقاً فإن التشريعات البيئية تؤكد على ضرورة اعتماد تكاليف معقولة لإعادة الحال إلى ما كان عليه, من خلال مراعاة التوازن بين قيمة الضرر وقيمة تكاليف الإعادة.

إلا أن الصعوبة التي تظهر هنا تكمن في تحديد المعيار أو الأسلوب الذي يتم بموجبه التقدير لقيمة العنصر الطبيعي الذي تضرر أو تلف, وبالنظر إلى صعوبة إعطاء قيمة تجارية لذلك العنصر الطبيعي, ذهب البعض إلى أنه يمكن وضع قيمة شبه فعلية وذلك من خلال معرفة أسعار السوق بالنسبة لبعض العناصر البيئية وبعض الحالات التي لها خصائص مشابهة لتلك العناصر التي أصابها الضرر ليسترشد بها القضاء عند تقدير التعويض, ويطبق هذا النوع من

التقدير في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تضمنت اللائحة التنفيذية لقانون (CERCLA) بشأن الأضرار البيئية تقديراً نقدياً على هذا الأساس ومن خلال تطبيق قاعدة التكاليف الأقل، أي بمعنى أن يتم التقدير على أساس أقل قيمة نقدية للعناصر والحالات المشابهة، وقد طبقت المحكمة الفيدرالية هذه القاعدة^(٤٧).

وتوجد بهذا الصدد ثلاث طرق يتم بموجبها تقدير القيمة النقدية للعناصر الطبيعية (العناصر البيئية أو الثروات الطبيعية)، أولهما طريقة حساب القيمة السوقية للعنصر الطبيعي، وتتضمن أسلوبين: الأول يتم بموجبه تقييم العنصر الطبيعي على أساس قيمة الاستعمال الفعلي له، أي المنفعة التي يمكن أن تقدمها هذه العناصر للإنسان فعلاً، وتقوم على أساس قيمة المتعة المؤسسة على القيم العقارية المؤدية في النهاية إلى تقدير قيمة مادية للبيئة^(٤٨). بينما يقوم الأسلوب الثاني على أساس الاستعمال الذي يمكن أن يكون للعناصر الطبيعية في المستقبل، وليس على أساس الاستعمال الفعلي لها، وهو ما يعبر عنه بقيمة الفرصة البديلة، أي ما يمكن أن يكون عليه الحال عندما ندفع سعراً في شيء بديل عن الشيء الأصلي، وتعتبر تكلفة الفرصة البديلة في حالة الضرر البيئي عالية؛ لأن بعض العناصر الطبيعية قد تكون نادرة ولا يمكن إيجاد بديل لها^(٤٩).

أما الطريقة الثانية فتسمى بطريقة حساب القيمة غير السوقية للعنصر الطبيعي، وتقوم على أساس القيمة التي تعتمد على قياس الفرق بين الحد الأقصى للرغبة في الدفع مقارنة مع الحد الأدنى للرغبة في القبول عند المجتمع للعنصر الطبيعي الذي فقد أو تضرر مقدراً بالنقود^(٥٠)، ومن الممكن أن يتم من خلال استبيانات وعمليات إحصائية يقوم بها الخبراء الاقتصاديون، ويعتمد ذلك أساساً على مدى تقييم المجتمع للعنصر الطبيعي المتضرر، ويقدر هذا التقييم ما يمكن أن يدفعه الأشخاص للحصول على الشيء وليس تقييمه على أساس الاستعمال الفعلي أو المستقبلي، بمعنى آخر أن هذه الطريقة تعتمد على أساس تقدير قيمة وجود الشيء الطبيعية بالنسبة للمجتمع بغض النظر عن استعماله أو إمكانية استعماله^(٥١)، والواضح أن هذا التقدير يعتمد على قيمة نسبية تختلف بحسب الرغبة والقبول.

إلا أن ما يؤخذ على هذه الطريقة أنها تعتمد على استكشاف ما هو مفضل لدى الأشخاص، وحتماً ستكون هنالك اختلافات كبيرة بين الأشخاص في الرغبات في مختلف العناصر أو المميزات الطبيعية مثل قيمة الاستمتاع بالحياة البرية أو بمنظر غابة خضراء، ولذلك فإن القياس النقدي لمثل هذه الأشياء الطبيعية على فق نظرية القيمة غير السوقية أيضاً سيكون غير متوازن وغير منتظم^(٥٢)، وهذا ما جعل البعض يفضل الأخذ بالطريقة الثالثة ويعدّها أكثر دقة في تقدير القيمة الطبيعية أو الحقيقية للعنصر الطبيعي.

وتسمى الطريقة الثالثة بطريقة حساب القيمة المكافئة للعنصر الطبيعي، ويتم في هذه الطريقة حساب تأثير فقد العنصر الطبيعي على التوازن البيئي والمجتمعي، وقيمة الخسارة التي سببها هذا الفقد على المستوى الاقتصادي والبيئي، فيما لو أردنا أن نستبدل هذا العنصر بعنصر آخر مكافئ له، وقد اعتمدت هذه الطريقة الوكالة الوطنية للمحيطات والأجواء في الولايات المتحدة الأمريكية

في سنة ١٩٩٥، وتم اعتمادها أيضاً في قانون حماية الحيد البحري المرجاني الصادر في ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠ في الولايات المتحدة الأمريكية^(٥٣).

وعلى الرغم من الفرق بين الطريقتين السابقتين في تقييم العناصر الطبيعية وشيوع اعتماد الطريقة الجديدة (حساب القيمة المكافئة)، إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن واحدة من هذه الطرق فكل واحدة منها يمكن ان تكمل الأخرى، إذ يمكن الاستعانة بطريقة حساب القيمة غير السوقية ثم استخدام طريقة القيمة المكافئة معها بشكل تكاملي لتحديد تكاليف الإحلال للعناصر والخدمات الطبيعية المفقودة أو المتضررة، وهذا ما عملت به وكالة (NOAA) الأمريكية عندما استخدمت الطريقتين بشكل متكامل عند تقييم الضرر البيئي الناتج عن البقع النفطية في جزر آيلاندز في سنة ١٩٦٦، وذلك لأجل تقدير التعويض لعمليات الصيد الاستجمامي على تلك الشواطئ^(٥٤). ويفضل البعض استخدام طريقة القيمة المكافئة التي تعتمد على البديل المكافئ للعنصر المتضرر، وفي حالة عدم وجود البدائل المكافئة للعناصر المتضررة يتم استخدام طريقة القيمة غير السوقية^(٥٥).

وبغض النظر عما تحققه طريقة التقدير الموحد للضرر البيئي من فائدة كبيرة تتمثل بإعطاء قيمة نقدية للعناصر أو الثروات الطبيعية التي ليس لها بحسب الاصل قيمة تجارية، وهذا ما يضمن إمكانية التعويض عن تلك الثروات وعدم إهدارها أو ضياعها^(٥٦)، فإنها لم تسلم من سهام النقد، حيث يؤخذ عليها أنها تعتمد على القيمة التجارية فقط ولم تراعى القيمة الوظيفية للعنصر الطبيعي، والذي يُعدّ ذا طبيعة خاصة قد لا يمكن تقديره بالنقد^(٥٧)، كما يؤخذ عليها أنها تتجاهل الآثار التي تترتب على فقد عنصر طبيعي ما على النظام البيئي ككل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد انتقدت فكرة تقييم كل عنصر من عناصر الطبيعة على حدة أي كانت طريقة التقييم ولا سيما الطريقتين الأوليتين؛ نظراً لأن كل عنصر من عناصر البيئة يتكامل مع باقي العناصر الأخرى، ولا يمكن فصله بقيمة موحدة عن باقي المنظومة البيئية المتكاملة، وفي الوقت نفسه لا يمكن اعتماد تقييم عالمي موحد لتقييم الأضرار البيئية، لذلك فعند استخدام طريقة التقييم الموحد يجب الأخذ بنظر الاعتبار موقع التلوث واستراتيجية المعالجة للموقع وحجم الضرر أو التلوث الحاصل وما قد يسببه من ضرر أو خلل في التوازن البيئي الطبيعي أو للإنسان بعد ذلك بشكل تباعي نتيجة لذلك الضرر أو الاختلال^(٥٨).

كما أن هذه الطريقة تنسم بنوع من التعقيد الذي يؤدي إلى زيادة كبيرة في تكاليف التقاضي، حيث تحتاج المحكمة عند الأخذ بهذه الطريقة إلى الاستعانة بعدد كبير من الخبراء المختصين في مجالات الاقتصاد والبيئة والهندسة والجيولوجيا وبحسب نوع الضرر البيئي، إضافة إلى الوقت الطويل الذي تستلزمه المحكمة لحسم هذا القضايا، وهذا الجهد قد يكون ضرورياً في حالات التلوث البيئي الكبير الذي يترك أثراً جسيماً على النظام البيئي، إلا أنه في حالات التلوث أو الضرر البيئي البسيط

كتلوث مجرى نهر صغير أو قتل حيوانات برية مثلاً قد لا يكون من المناسب أن تتخذ فيه الإجراءات نفسها أو تتبع الطريقة المتبعة نفسها في تقدير التعويض عن الضرر البيئي في حالات الحوادث أو الكوارث الضخمة، وهذا ما دعا إلى تبني طريقة التقدير الجزافي للتعويض عن الضرر البيئي المحض^(٥٩).

الفرع الثاني

طريقة التقدير الجزافي للتعويض عن الضرر البيئي المحض

تعتمد هذه الطريقة على إعداد جداول تحدد قيماً وأثماناً معروفة مسبقاً لكل عنصر من العناصر البيئية والطبيعية^(٦٠)، ويتم تقديرها على وفق معطيات علمية موحدة يضعها خبراء مختصون في مجال البيئة، بحيث يتم تحديد التعويض على أساس مساحة ونوع الوسط البيئي الذي أصابه الضرر، وكمية المواد المتسربة والمضرة بالبيئة، ومدى تأثيرها على البيئة والكائنات الحية والثروات الطبيعية^(٦١).

وتتميز هذه الطريقة بكونها لا تسمح بترك أي ضرر بيئي من دون تعويض، طالما أن كل عنصر بيئي قد وضع له تقدير مسبق في حالة التلف أو التعرض للضرر^(٦٢). وقد أقر المشرع الفرنسي هذه الطريقة في قانون الغابات الصادر بالمرسوم رقم (٩٢-٢٠١٢) في ٢٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٢^(٦٣)، عندما فرض غرامة على كل من يتعدى على الغابات تقدر على أساس المتر المربع من الأرض الملوثة أو التي تم قطع أشجارها^(٦٤)، كما طبق القضاء الفرنسي أيضاً هذه الطريقة في قضية تتعلق بتلوث أحد الأنهار، حيث تم حساب التعويض على أساس طول المجرى المائي الذي أصابه التلوث البيئي مقدراً بواحد فرنك غرامة عن كل متر طولي، ونصف فرنك عن كل متر مربع في الاتجاه العرضي^(٦٥)، كما طبقت إحدى المحاكم الأمريكية هذه الطريقة بمناسبة حادث وقع في الولايات المتحدة الأمريكية لنافلة نفط في ٧ فبراير ١٩٩٠ والذي سبب في حينه أضراراً بيئية كبيرة بإحدى الشواطئ، مما أدى إلى إغلاقه لمدة طويلة، وبعد استعانة المحكمة بعدد من الخبراء من كلا الطرفين المتقاضيين وقيامهم بإجراء موازنة بين دراسة كانت قد أجريت على حساب قيمة اليوم على شاطئ فلوريدا وبين تكلفة اليوم بالمقابل على شواطئ كاليفورنيا، تم تقدير التعويض جزافياً وبعدد أيام الإغلاق التي سببها الضرر لذلك الشاطئ^(٦٦).

وعلى الرغم مما تمتاز به هذه النظرية إلا أنها لم تسلم من سهام النقد، إذ إنه يصعب دائماً عند تقدير التعويض عن الضرر البيئي المحض إثبات أو معرفة الحالة التي كانت عليها العناصر البيئية قبل حصول التلوث أو الضرر البيئي^(٦٧)، كما يؤخذ عليها أنها في حالة الأضرار الجزئية لا تقيم وزناً لإمكانية أن تقوم الطبيعة بتجديد نفسها^(٦٨)، إلا أن البعض دحض فكرة أن البيئة تعيد نفسها بنفسها في حالة الضرر الجزئي واصفاً أن عملية الاستعادة البيئية غير معروفة وغير محددة، إذ لم يتم لحد الآن معرفة الآثار البيئية لفقد أو تضرر عناصر البيئة على مجمل النظام

الإيكولوجي(البيئي)، لذلك فإن تقدير التعويض يجب أن يكون مفترضاً؛ وذلك لعدم كفاية المعرفة العلمية بمدى الاستعادة الذاتية للبيئة^(٦٩).

وبصورة عامة فإنه يجب أن تأخذ التقديرات والجداول القيمة الحقيقية والطبيعية للعنصر البيئي وليس على أساس التقييم السوقي أو الاقتصادي البحت الذي يعدّ هذا العنصر الطبيعي مجرد سلعة إشباعية، فالعنصر الطبيعي يمثل كائناً يسهم ضمن عملية طبيعية معقدة في إحلال التوازن البيئي لمجمل عناصر الطبيعة، وإن فقد مثل هذا العنصر أو الكائن لا يُعدّ مجرد خسارة اقتصادية بل أيضاً يُعدّ خسارة بيئية ضمن نظام شامل متوازن يجب مراعاتها عند وضع الجداول القانونية لتقييم الأضرار البيئية^(٧٠)، كما أن تقدير التعويض على وفق جداول معدة مسبقاً قد لا يفيد بشكل صحيح عند الأخذ به بصور إجبارية وحتمية؛ وذلك لأن كل عنصر من عناصر الطبيعة تكون له قيمة معينة في المكان والزمان الذي قد يختلف عن ذات العنصر في مكان أو زمان آخر، ولذلك نحن نتفق مع ما يذهب إليه البعض من الفقه القانوني بأنه يجب أن يتم وضع كل حالة من حالات تقدير التعويض في ظروفها الخاصة بها مع إعطاء القاضي سلطة واسعة في تعديل التقدير الموضوع مسبقاً بالزيادة أو النقصان بحسب كل حالة وخصوصيتها، أي بمعنى أن هذه التقديرات يجب أن لا تعدو كونها طرق استرشادية يستعين بها القاضي عند تقدير التعويض عن الأضرار البيئية المحضة^(٧١).

وأخيراً يلاحظ أن المشرّع العراقي في قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩ قد حدد طريقة خاصة لتقدير التعويض، عندما قرر بأن يؤخذ بنظر الاعتبار عند تقدير التعويض عن الضرر البيئي درجة خطورة المواد الملوثة بأنواعها، وكذلك تأثير التلوث على البيئة آنياً ومستقبلياً^(٧٢)، وحسناً فعل المشرّع العراقي في اعتماده على هذين المعيارين كونهما يفرضان حماية أكيدة وفعالة بالنسبة لبيئة الأجيال الحاضرة والمستقبلية.

المطلب الثاني

المسائل المكملة لتقدير التعويض عن الضرر البيئي المحض

نتناول في هذا الفرع ثلاث مسائل قانونية في غاية الأهمية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بتقدير التعويض، ويمكن عدّها مكملة له، أولهما أثر الظروف الملابسة في تقدير التعويض، وثانيهما الوقت الذي يقدر فيه التعويض، وثالثهما مصير التعويض النقدي الذي تحكم به المحكمة في حالة الضرر البيئي المحض. وسنخصص لكل مسألة من هذه المسائل فرع مستقل.

الفرع الاول

أثر الظروف الملازمة في تقدير التعويض

هنالك العديد من الظروف التي تلابس وقوع الضرر، وتختلف باختلاف كل قضية على حدة، وهذه الظروف منها ما يتعلق بالمتضرر كحالته الصحية أو الاجتماعية أو المالية، ومنها ما يتعلق بالمسؤول عن الضرر (شركة تكرير النفط والغاز الطبيعي) كجسامة الخطأ أو الحالة المالية، فهل تؤثر هذه الظروف جميعها على تقدير التعويض أم أن بعضها يؤثر والآخر لا يؤثر؟

لقد أنقسم الفقه القانوني بصدد الإجابة عن هذا التساؤل على اتجاهين: الاتجاه الأول يرى بأن الظروف الملازمة التي يجب على القاضي أن يدخلها في حسابه عند تقدير التعويض هي الظروف التي تحيط بالمتضرر فقط^(٧٣)، بينما يرى الاتجاه الثاني بأن الظروف التي يقيم لها وزن عند تقدير التعويض هي جميع الظروف الملازمة سواء كانت تحيط بالمتضرر أم بالمسؤول^(٧٤).

ولم ينص القانون المدني الفرنسي وكذلك العراقي على حكم خاص لهذه الحالة، إلا أن القانون المدني المصري قد نص على وجوب مراعاة الظروف الملازمة عند تقدير التعويض^(٧٥)، لكنه لم يحدد ماهي الظروف الملازمة، فهل هي التي تحيط بالمتضرر أم بالمسؤول أم بكلاهما؟ بينما نجد أن القانون المدني الكويتي قد نص صراحة على وجوب مراعاة الظروف الشخصية المحيطة بالمتضرر فقط من دون التي تحيط بالمسؤول، إذ جاء في المادة (١/٢٤٧) منه على أنه " يحدد القاضي التعويض بالقدر الذي يراه جابراً للضرر وفق ما تقرره المادتان ٢٣٠ و ٢٣١ وذلك مع مراعاة الظروف الشخصية للمضرور ". وبذلك نقول إن الظروف الشخصية التي تحيط بالمتضرر هي التي تؤخذ بنظر الاعتبار عند تقدير التعويض من دون غيرها؛ نظراً لأن التعويض يقاس بمقدار الضرر الذي أصاب المتضرر بالذات، أي أنه يقدر على أساس ذاتي وليس على أساس موضوعي، فيكون محلاً للاعتبار حالة المتضرر الصحية والمالية^(٧٦)، فمثلاً من كان مصاباً بمرض رئوي يؤثر على قدرته على التنفس بشكل طبيعي فإن الضرر الذي يصيبه بسبب التلوثات البيئية كالغازات السامة يكون أكثر بكثير من الضرر الذي يصيب شخص معافى، ومن يعيل زوجة وأطفالاً يكون ضرره أشد من ضرر الأعزب الذي لا يعيل إلا نفسه^(٧٧).

وسار القضاء في فرنسا ومصر والعراق على مراعاة الظروف الشخصية للمتضرر عند تقدير التعويض من دون غيرها، إذ قضت محكمة النقض الفرنسية في قرار لها بأن التعويض المستحق لشخص مصاب بمرض قلبي نتيجة حادث سيارة أودى بحياته يجب أن يراعى في حسابه وتقديره قدرته المتبقية أصلاً على العمل بسبب مرضه السابق على الحادث^(٧٨)، كما قضت محكمة الاستئناف المختلطة المصرية بأن الشخص الذي كان فاقداً لإحدى عينيه ثم فقد العين الأخرى في حادث ما، يكون الضرر الذي يصيبه بفقد العين الأخرى

وصيرورته مكفوف البصر أشد بكثير من الضرر الذي يصيب من كان سليم العينين فيفقد عيناً واحدة^(٧٩)، وبالصدد بذاته قضت محكمة التمييز العراقية بضرورة التقليل من مقدار التعويض المحكوم به بعدما تبين أن الشخص المتضرر كان مصاباً بمرض تصلب الشرايين مع احتشاء العضلة القلبية وتشمع بالكبد وتضخم بالطحال، وثبت للطب العدلي أن سبب الوفاة هو الحالة الصحية للمتضرر وليس الحادث وإن كان الأخير قد عجل في وفاته^(٨٠).

وعلى الرغم من عدم الاعتراف التشريعي والقضائي بالظروف المحيطة بالمسؤول إلا أن الواقع يكشف أحياناً تأثير المحاكم بجسامة الخطأ عند تقدير التعويض انطلاقاً من كونه شعوراً طبيعياً ونفسياً يدفع القاضي إلى الحكم بزيادة التعويض مادام الخطأ الصادر من المسؤول جسيماً، ويدعم جانب من الفقهاء الرأي المتقدم بقوله إن القواعد العامة في تقدير التعويض وإن لم تصرح بمراعاة جسامة الخطأ إلا أنها أشارت إلى ذلك عند توزيع المسؤولية بين المسؤولين المتعددين المتضامنين عند رجوع بعضهم على بعض على أساس من جسامة الخطأ، الأمر الذي يدل على قصد المشرع على مراعاة جسامة خطأ المسؤول عند تقدير التعويض الذي يلتزم به كل مسؤول^(٨١)، وقد تأثر القضاء بجسامة خطأ المسؤول في حالة الخطأ المشترك حيث جاء في إحدى قرارات محكمة التمييز العراقية بأن التعويض الذي يحكم به على المسؤول يكون بنسبة الخطأ الصادر منه إذا كان هذا الخطأ مشتركاً بينه وبين المتضرر^(٨٢).

الفرع الثاني

الوقت الذي يقدر فيه التعويض

تُعدّ مسألة تحديد الوقت الذي يقدر فيه التعويض عن الضرر البيئي من المسائل المهمة في نطاق المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي؛ نظراً للخصوصية التي تمتاز بها الأضرار البيئية والمسؤولية الناشئة عنها، وتمثل إحدى الصعوبات التي تواجه القضاء عند تقدير التعويض، حيث يكون أمام القاضي تأريخين لتقدير التعويض عن الضرر، الأول هو تاريخ حصول الضرر، والثاني هو تاريخ صدور الحكم بالتعويض، وهنا يثار التساؤل عن أي وقت من هذه الأوقات يجب على القاضي أن يقدر التعويض فيه؟ للإجابة عن ذلك نقول إن الأصل في تقدير التعويض هو أن يحدده القاضي بمقدار الضرر وقت تحمله، وذلك ما يقتضيه الغرض من التعويض، وهو رد المتضرر إلى الوضع أو الحال الذي كان يمكن أن يكون فيه لو لم يخل الشخص المسؤول (شركة تكرير النفط والغاز الطبيعي) بالتزامه^(٨٣).

إلا أن هذا الحكم يطبق متى ما كان الضرر ثابتاً في مده من يوم حصوله إلى يوم صدور الحكم بالتعويض عنه، كما لو أدت التلوثات الناشئة عن تكرير النفط والغاز الطبيعي إلى موت إنسان أو حيوان فوراً، أما إذا تغير الضرر يوم صدور الحكم عما كان عليه قبل ذلك، فإن الفقه والقضاء قد اختلف في هذه الحالة وذهب في اتجاهين: الأول يرى أن الوقت الذي يقدر فيه التعويض عن الضرر هو وقت صدور الحكم؛ وذلك لأن الحق في التعويض يوجد من هذا الوقت، أي أن الحكم

الصادر بالتعويض يكون منشأً للحق^(٨٤)، بينما يرى الاتجاه الثاني أن الوقت الذي يقدر فيه التعويض هو يوم حصول الضرر، استناداً إلى أن الحق في التعويض يوجد من هذا الوقت، وبذلك يكون الحكم القضائي كاشفاً للحق لا منشأً له^(٨٥).

والملاحظ على هذه الآراء أنها تخلط بين وقت نشوء الحق في التعويض والوقت الذي يقدر فيه ذلك التعويض ولا يصح الاهتداء بأحدهما لتحديد الآخر، فالحق بالتعويض يوجد أو ينشأ من يوم حصول الضرر؛ لأن مصدره العمل غير المشروع، أي بمجرد تحقق أركان المسؤولية المدنية من خطأ وضرر وعلاقة سببية، أما الوقت الذي ينظر إليه عند تقدير التعويض عن الضرر فهو يوم صدور الحكم؛ وذلك لأن النتائج التي تترتب على الفعل الضار ليس من المفروض فيها أن تبقى على حالها ولا تتغير، ومن ثم فهي لا يمكن أن تتحدد إلا بصدور الحكم^(٨٦).

أما في حالة تغير سعر النقد أو أسعار السوق، فإن القاضي في هذه الحالة يراعي السعر يوم صدور الحكم أيضاً^(٨٧)، غير أن المتضرر إذا كان قد اصلح الضرر بنفسه، فإن القاضي يحكم له بما أنفقه فعلاً بصرف النظر عن تغير سعر النقد يوم صدور الحكم^(٨٨)، أما إذا حاول المتضرر إطالة أمد النزاع، فإن القاضي يقدر التعويض في اليوم الذي كان من المفترض صدور الحكم فيه^(٨٩)، وقد يتعذر في بعض الأحوال على المحكمة تقدير التعويض تقديراً نهائياً وقت صدور الحكم، فلها أن تحتفظ للمتضرر بالحق في أن يطالب خلال مدة معقولة بإعادة النظر في التقدير، وهذا ما نصت عليه المادة (٢٠٨) من القانون المدني العراقي بقولها "إذا لم يتيسر للمحكمة أن تحدد مقدار التعويض تحديداً كافياً فلها أن تحتفظ للمتضرر بالحق في أن يطالب خلال مدة معقولة بإعادة النظر في التقدير"^(٩٠).

ولم يحدد المشرع العراقي^(٩١) الوقت الذي يمحجبه تقدير التعويض عن الضرر، وهذا يعني أنه ترك ذلك لاجتهاد القضاء، في حين نجد أن المشرع المصري والكويتي قد حددا ذلك الوقت بيوم صدور الحكم، إذ نصت المادة (١٧٠) من القانون المدني المصري على أنه "يقدر القاضي مدى التعويض عن الضرر الذي لحق المضرور...، فإن لم يتيسر له وقت الحكم أن يعين مدى التعويض..."، كما نصت المادة (٢/٢٤٧) من القانون المدني الكويتي على أنه "وإن لم يتيسر للقاضي، وقت الحكم، تحديد مقدار التعويض...".

ولكن قد يحصل في بعض الأحوال بعد أن يتم تعويض المتضرر عن الضرر البيئي الذي أصابه حدوث مضاعفات أو تفاقم للضرر بعد مدة من التعويض كحدوث تشوهات للمتضرر أو ظهور أمراض جديدة كإصابته بصداغ مزمن أو بمرض خطير آخر كالسرطان الذي لا تظهر أعراضه إلا بعد مرور مدة طويلة من الزمن بعد زيادة تركيز الغازات السامة الناجمة عن تكرير النفط والغاز الطبيعي في جسمه، وهذا نابع من خصوصية الأضرار البيئية التي تتميز بالاستمرارية. فهل يحق للمتضرر في هذه الحالة المطالبة بالتعويض عن هذا الضرر؟

يذهب رأي من الفقه إلى أنه لا يجوز للمتضرر المطالبة بالتعويض عن هذا الضرر في هذه الحالة، مستنداً في ذلك إلى أحد أحكام القضاء بحجة عدم جواز إقامة دعوى جديدة للمطالبة بمبلغ يزيد عما حكم له به في الدعوى السابقة^(٩٢)، في حين يذهب رأي آخر إلى جواز المطالبة بالتعويض عن تفاقم الضرر بشرط أن لا يتضمن الحكم الأول بالتعويض نصاً يقضي بأن التعويض الذي تم الحكم به يشمل جميع الأضرار الحالية والمستقبلية، وحتى في حالة وجود هذا الشرط فإنه يمكن تجاوزه من خلال اعتبار التفاقم سبب مستقل للضرر الجديد، وبالتالي يجوز للمحكمة التعويض عنه، ولا يمكن رد الدعوى بحجة قوة الأمر المقضي فيه، إذ لا يواجه القاضي الضرر نفسه وإنما ضرر آخر لم يسبق ان فصل فيه، وبالتالي يستطيع المتضرر أن يطالب بالتعويض عن هذا الضرر بدعوى مستقلة جديدة، ويبقى عليه أن يثبت فقط العلاقة السببية بين تفاقم الضرر وفعل المسؤول^(٩٣).

الفرع الثالث

مصير التعويض النقدي الذي تحكم به المحكمة في حالة الضرر البيئي المحض

طبقاً للقواعد العامة في المسؤولية المدنية فإن المتضرر هو من يؤول إليه مبلغ التعويض المحكوم به، وتكون له الحرية الكاملة في استعمال هذا المبلغ أو التصرف فيه كيفما يشاء، ولكن السؤال الذي يثار هنا هو لمن يؤول مبلغ التعويض وكيف ينفق في حالة الأضرار التي تصيب البيئة أو أحد عناصرها غير المملوكة لأحد؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول إنه بأن المدعي في دعوى التعويض عن الأضرار البيئية المحضة هو أما جمعيات حماية البيئة أو الجهات الإدارية المختصة، والمدعي هذا ليس إلا نائباً عن البيئة، وبالتالي فإن مبلغ التعويض الذي يحكم به يكون من حق البيئة ذاتها، ويترتب على ذلك أن يقوم المدعي بتخصيص مبلغ التعويض للإنفاق فيما يفيد البيئة ويعود عليها بالنفع في الحال أو المستقبل، كأن يخصص هذا المبلغ لعمليات تنظيف البيئة من التلوث أو لعمليات الوقاية والحماية من التلوث، وعموماً لإصلاح البيئة أو العنصر الطبيعي المصاب من التلوث وإعادته إلى حالته الأولى التي كان عليها قبل حصول الضرر أو إلى حالة قريبة إلى ما كان عليها قدر الامكان^(٩٤).

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب القوانين الخاصة بحماية البيئة والتي نصت على فكرة إنشاء صناديق لحماية البيئة قد جعلت مآل هذه التعويضات إلى هذه الصناديق ليتم بعد ذلك انفاقها في أوجه الانفاق المخصصة للصندوق، إذ نصت المادة (١٤) من قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ المعدل على أنه " ينشأ بجهاز شؤون البيئة صندوق خاص يسمى (صندوق حماية البيئة) تؤول إليه: ... (ج) الغرامات التي يحكم بها والتعويضات التي يحكم بها أو يتفق عليها عن الأضرار التي تصيب البيئة"، كما نصت المادة (١٣) من قانون حماية البيئة الكويتي رقم ٤٢ لسنة ٢٠١٤ المعدل على أنه " ينشأ بالهيئة صندوق خاص يسمى صندوق حماية البيئة يتبع للمجلس الأعلى للبيئة وتؤول إليه: ... الغرامات والتعويضات التي يحكم بها أو يتفق عليها عن

الأضرار التي تصيب البيئة"، وقد نصت أيضاً المادة (٢٨) من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩ على أنه "تتكون إيرادات الصندوق من الموارد الآتية:.... ثالثاً: التعويضات التي يتفق عليها أو يحكم بها عن الأضرار التي تصيب البيئة".

الخاتمة

استهدفت هذه الدراسة الوصول الى فكرة واضحة ودقيقة قدر الامكان, حول موضوع حديث الا وهو فكرة التحمل الجماعي في تعويض الاضرار الناجمة عن تكرير النفط والغاز , وكان اهم ما توصلنا اليه يتمثل بالاتي:

اولاً: النتائج

- ١- يُعدّ نشاط تكرير النفط والغاز الطبيعي من أكثر الأنشطة النفطية خطراً على البيئة ومن الأنشطة التي تعد من التحديات والتحويلات الفعلية التي تواجهها الدول ؛ نظراً للنطاق الواسع من التلوث البيئي الذي يسببه هذا النشاط, بحيث يمتد ليشمل البيئة الجوية والمائية والأرضية, وقد ثبت أن نشاط التكرير هذا يُعدّ المصدر الرئيسي لتلوث البيئة, مما ينعكس بآثاره الضارة والخطيرة على الإنسان وباقي الكائنات الحية وغير الحية الأخرى
- ٢- عدم كفاية القواعد العامة الواردة في القانون المدني لتنظيم المسؤولية المدنية عن استيعاب التحديات أضرار التلوث البيئي لشركات تكرير النفط والغاز الطبيعي في تعويض المتضرر من الاضرار البيئية الناجمة من تكرار النفط والغاز.
- ٣- توفر فكرة التحمل الجماعي في تعويض الاضرار البيئية الثقة والأمان لأصحاب المشاريع التي تسبب تلوثاً للبيئة, إذ يجنبها خطر الإفلاس الذي يهددها نتيجة ازدياد عدد الدعاوى التي تُقام ضدها.
- ٤- إن التعويض الذي يتم من خلال فكرة التحمل الجماعي في تعويض الاضرار البيئية الناجمة عن تكرار النفط والغاز يؤدي إلى حصول المتضرر على حقه في التعويض, من دون الحاجة إلى إقامة مسؤولية فاعل الضرر.
- ٥- ان فكرة التحمل الجماعي في تعويض الاضرار البيئية الناجمة عن تكرار النفط والغاز المتمثلة بصندوق حماية البيئة تُعدّ من أبرز ما امتازت به المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي, والتي تجعل هذه المسؤولية أكثر فاعلية من غيرها من صور المسؤولية المدنية.

- ٦- إذا كان تقدير التعويض قد أثار صعوبات فيما يتعلق بالأضرار الجسدية أو المعنوية من حيث إن هذه الأضرار تتعلق بالجانب الشخصي, أي أنها تختلف من شخص لآخر, وهذا ما يجعلها تفتقر إلى معايير منضبطة لتقديرها, الأمر الذي جعل وظيفة القضاء في تحقيق التكافؤ بينها وبين التعويض عنها أمراً في غاية الصعوبة, فحياة الإنسان أو سلامة جسده وعواطفه وشعوره أضراراً لا يمكن تقديرها بقيمة مالية محددة, وهذا ما يجعل تقدير التعويض عنها تعويضاً تقريبياً وليس تعويضاً محدداً, فإن صعوبات تقدير

التعويض عن الضرر البيئي المحض تبدو أكثر تعقيداً؛ بالنظر لصعوبة تحديد المعيار أو الطريقة التي يتم بموجبها تقدير قيمة العنصر الطبيعي الذي تضرر، وقد حاول الفقه والتشريع والقضاء إيجاد بعض الطرق والمعايير التي يتم من خلالها تقدير ذلك التعويض، وتوصل إلى إيجاد طريقة التقدير الموحد وطريقة التعويض الجزافي، لكن هذه الطرق لم تنفع كثيراً؛ إذ إن كل عنصر طبيعي تكون له قيمة معينة في المكان والزمان الذي قد يختلف عن ذات العنصر في مكان أو زمان آخر

ثانياً: المقترحات

- ١- عجز طرق التعويض التقليدية في تعويض الاضرار الناجمة من تكرير النفط والغاز التي تصيب المتضرر نتيجة لتحولات العالمية التي حدثت في مجال الطاقة والتطورات الكبيرة التي شهدتها هذا المجال، لذل ندعو الى ضرورة تنظيم فكرة التحمل الجماعي في تعويض الاضرار الناجمة عن تكرير النفط والخاص والمتمثلة بصناديق حماية البيئة.
- ٢- بالنظر للأهمية الكبيرة والفائدة العملية التي يحققها صندوق حماية البيئة كاحد الضمانات الفعالة في مواجهة التحديات الطاقة، ندعو المشرع العراقي إلى تعديل بعض الأحكام القانونية المتعلقة به، كتوسيع مجالات إنفاق موارد الصندوق، وتوسيع مصادر تمويل ميزانيته، حتى يستطيع الصندوق التدخل ودفع التعويض للمتضرر بيئياً في الأحوال جميعها التي يتعذر فيها على الأخير الحصول على حقه بالتعويض من محدث الضرر.
- ٣- ندعو الجهات المختصة إلى تفعيل دور صندوق حماية البيئة من الناحية العملية واعطاؤه دوره الحقيقي في حماية البيئة وتعويض المتضررين الذين لا يحصلون على التعويض من المتسبب لهم في إحداث الضرر البيئي، وأن تتسم إجراءات الحصول على التعويض بالبساطة وتبتعد عن الشكليات المعقدة لغرض توفير حماية فاعلة ومختصرة للمتضررين من الأنشطة الضارة بالبيئة.
- ٤- ندعو المشرع العراقي الى اضافة مورد مهم وله تأثير كبير في تمويل ميزانية الصندوق كان من الأجدر أن يتم النص عليه إلا وهو الضرائب البيئية التي تفرض على الأنشطة الملوثة للبيئة.
- ٥- انعكست الخصوصية التي تتمتع بها الأضرار البيئية المحضة، كونها تقع على أشياء مشتركة للجميع وليس باستطاعة أي شخص الادعاء بحق الملكية عليها على حماية العناصر البيئية الطبيعية بصورة سلبية، إذ لا يستطيع الأشخاص رفع دعوى شخصية للمطالبة بتعويض الأضرار التي تقع على تلك العناصر، نظراً لصعوبة توفر شُرطي الصفة والمصلحة فيهم، ولذلك ندعو المشرع العراقي إلى تنظيم أحكام الدعوى الجماعية أو الاجتماعية التي تهدف إلى تعويض الأضرار البيئية المحضة، والسماح بالإضافة إلى الجهات الإدارية للأفراد العاديين وجمعيات حماية البيئة برفعها، لغرض توفير الحماية

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

التشريعية والقضائية اللازمة لبيئتنا التي تتعرض للتلوثات المختلفة وخاصة التلوث
الناتج عن تكرير النفط والغاز الطبيعي.

الهوامش

- (١) د. عبد الناصر زياد هياجنة، القانون البيئي، النظرية العامة للقانون البيئي مع شرح التشريعات البيئية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص ٢٠٧.
- (٢) د. سعيد السيد قنديل، آليات تعويض الأضرار البيئية، دراسة في ضوء الأنظمة القانونية والاتفاقيات الدولية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١٠٥. د. نبيلة اسماعيل رسلان، التأمين ضد أخطار التلوث، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٧٩.
- (٣) د. أحمد محمود سعد، استقراء لقواعد المسؤولية المدنية في منازعات التلوث البيئي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٣٣٨. د. عطا سعد محمد حواس، الأنظمة الجماعية لتعويض أضرار التلوث، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ١١٩.
- (٤) د. نبيلة اسماعيل رسلان، المسؤولية المدنية عن الأضرار البيئية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٢٩.
- (٥) د. عطا سعد محمد حواس، الأنظمة الجماعية لتعويض أضرار التلوث، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ١٢٤.
- (٦) د. عابد فايد عبد الفتاح فايد، التعويض التلقائي للأضرار بواسطة التأمين وصناديق الضمان، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٤، ص ٢٣.
- (٧) د. عطا سعد محمد حواس، المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي في نطاق الجوار، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١١، ص ٦٦٥.
- (٩) د. عطا سعد محمد حواس، الأنظمة الجماعية لتعويض أضرار التلوث، مصدر سابق، ص ١٢٩.
- (١٠) أحمد خالد الناصر، المسؤولية المدنية عن أضرار تلوث البيئة البحرية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص ٨١.
- (١١) د. عابد فايد عبد الفتاح فايد، مصدر سابق، ص ٩٩ - ١٠٠.
- ويلاحظ أغلب الفقه أن التنفيذ بمقابل عن طريق التعويض هو طريقة لتنفيذ العقد وليس له أي هدف تعويضي، ومن ثم فإن التعويض العقدي لا يلحق بمفهوم المسؤولية، وهذا يعني أن المسؤولية العقدية تعاني حالياً من أزمة كبيرة قد تهدد وجودها، ولكن بالمقابل يرى بعض الفقه بعدم صحة هذا الرأي لأنه يخالف القضاء الذي يؤكد باستمرار الوظيفة التعويضية للتعويض العقدي. ينظر في ذلك:

D. TALLON, " L'inexécution du contract: pour une autre présentation", RTD civ, 1994, p.233

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

G. VINEY, "La responsabilité contractuelle en question", Etudes GHESTIN, LGDJ, Paris, 2001, p.921.

أشار إليهما د. عابد فايد عبد الفتاح فايد, مصدر سابق, ص ١٠٠.

(١٢) عيسى مصطفى حمادين, المسؤولية المدنية التقصيرية عن الأضرار البيئية, دراسة مقارنة بين القانون الأردني والقانون المصري, الطبعة الأولى, مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ودار اليازوري, الأردن, ٢٠١١, ص ٣٧ - ٣٩.

(١٣) د. عابد فايد عبد الفتاح فايد, مصدر سابق, ص ١٥٤ - ١٧٠.

(١٤) تقابلها المادة (١٠) من قانون حماية وتحسين البيئة في إقليم كردستان - العراق رقم ٨ لسنة ٢٠٠٨. وقد عرّفه هذا القانون الأخير في المادة (١/ثلاثة وثلاثون) منه بقولها " الصندوق البيئي: الصندوق الذي يمثل العائدات التي يتم تخصيصها بموجب هذا القانون التي يلتزم المقاولون بالمساهمة فيه طبقاً لشروط عقد مشاركة الإنتاج بموجب المادة السابعة والثلاثون من هذا القانون ".

(١٥) يقصد بالهيئة العامة للبيئة المنصوص عليها في المادة (٦) من القانون نفسه.

Article L561-3) " I. Le fonds de prévention des risques naturels majeurs est chargé de financer, dans la limite de ses ressources, les indemnités allouées en vertu des dispositions de l'article L. 561-1 ainsi que les dépenses liées à la limitation de l'accès et à la démolition éventuelle des biens exposés afin d'en empêcher toute occupation ... future

(١٦) ينظر المادة (١٠) من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩, والمادة (١/أولاً) من تعليمات صندوق حماية البيئة العراقي رقم ١ لسنة ٢٠١٣, منشورة في جريدة الوقائع العراقية في العدد ٤٢٧٩ في ٢٠١٣/٦/١٠ والمعدلة بالتعليمات رقم ٤ لسنة ٢٠١٤, المنشورة أيضاً في جريدة الوقائع العراقية, في العدد ٤٣٤٧ في ٢٠١٥/١/١٢. وتقابلها المادة (١٥) من قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ المعدل.

(١٧) ينظر الفقرات (ثانياً, رابعاً) من المادة (١) من تعليمات صندوق حماية البيئة رقم ١ لسنة ٢٠١٣, والمادة (١٥) من قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ المعدل.

(١٨) ينظر المادة (٢) من تعليمات صندوق حماية البيئة العراقي رقم ١ لسنة ٢٠١٣.

(١٩) وبالمقابل نجد المادة (٤) تعليمات صندوق حماية وتحسين البيئة في إقليم كردستان - العراق رقم (٢) لسنة ٢٠٠٩, منشورة في جريدة وقائع كردستان, في العدد ١٠٣٧, في ٢٠٠٩/٥/٢٨ نصت على أنه " يتمتع الصندوق بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والإداري ".

(٢٠) بينما نصت المادة (١٤) من قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ المعدل على أنه "... وتكون للصندوق موازنة خاصة, وتبدأ السنة المالية للصندوق ببداية السنة المالية للدولة وتنتهي بانتهائها, ويرحل فائض الصندوق من سنة إلى أخرى ".

(٢١) المادة (٢٨) من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- (٢٢) ينظر المادة (١٠/ثالثاً/٣) من قانون حماية وتحسين البيئة في إقليم كردستان رقم ٨ لسنة ٢٠٠٨، والمادة (٧) من اللائحة التنفيذية لقانون حماية البيئة المصري الصادرة بقرار مجلس الوزراء رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٩٥.
- (٢٣) ينظر المادة (١٤/ج) من اللائحة التنفيذية لقانون حماية البيئة المصري.
- (٢٤) ينظر المادة (٥/٧، و، ز، ح) من اللائحة التنفيذية لقانون حماية البيئة المصري الصادرة بقرار مجلس الوزراء رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٩٥.
- (٢٥) ينظر المادة (١٤) من قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ المعدل، والمادة (٢٦) من تعليمات صندوق حماية وتحسين البيئة في إقليم كردستان - العراق رقم ٢ لسنة ٢٠٠٩.
- (٢٧) حددت المادة (٢/رابع عشر) من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩ معنى الكارثة البيئية بقولها (الكارثة البيئية: الضرر الجسيم الذي يلحق بالبيئة الذي لا تكفي القدرات الاعتيادية للدولة لمعالجة نتائجه أو السيطرة عليه).
- (٢٨) ينظر المادة (١٥) من قانون حماية البيئة الكويتي رقم ٤٢ لسنة ٢٠١٤ المعدل، والمادة (٨) من اللائحة التنفيذية لقانون حماية البيئة المصري.
- (٢٩) ينظر المادة (٥) من تعليمات صندوق حماية البيئة رقم ١ لسنة ٢٠١٣.
- (٣٠) ينظر المادة (٥) من تعليمات صندوق حماية البيئة رقم ١ لسنة ٢٠١٣.
- (٣١) أجازت المادة (٨) بفقرتها الأخيرة من اللائحة التنفيذية لقانون حماية البيئة المصري الصادرة بقرار مجلس الوزراء رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٩٥ تحديد أوجه أخرى للأنفاق من موارد الصندوق وبموافقة مجلس إدارة الصندوق.
- (٢٣) د. عبد الله تركي العيال، الضرر البيئي وتعويضه في المسؤولية المدنية، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٣ ص ٨٠ - ٨١.
- (٣٣) د. أحمد محمود سعد، مصدر سابق، ص ٣٦٨.
- (٣٤) أحمد خالد الناصر، مصدر سابق، ص ٩٢. د. نبيلة اسماعيل رسلان، المسؤولية المدنية عن الأضرار البيئية، مصدر سابق، ص ١٢٩.
- (٣٥) نصت المادة (٣٠/ثانياً) من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩ على أنه " تخضع حسابات الصندوق إلى رقابة وتدقيق ديوان الرقابة المالية ".
- (٣٦) نصت المادة (١٦) من قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ المعدل على أنه " يضع جهاز شئون البيئة بالاتفاق مع وزير المالية اللائحة الداخلية للصندوق، و تخضع جميع أعمال الصندوق و معاملاته لرقابة الجهاز المركزي للمحاسبة ".
- (٣٧) عمار كريم كاظم الفتلاوي، الحلول الشخصي وتطبيقاته في القانون العراقي والمقارن، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون، جامعة بابل، ٢٠٠٧، ص ٦. وينظر في المعنى ذاته د. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، أحكام الالتزام، الجزء الثاني، الطبعة السادسة، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

**وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢**

- (٣٨) وتقابلها المادة (٣٩٤) من القانون المدني الكويتي، والمادة (٣٢٦) من القانون المدني المصري.
- (٣٩) د. عابد فايد عبد الفتاح فايد، مصدر سابق، ص ٧٦
- (٤٠) نفس المصدر أعلاه، ص ٧٧ - ٧٨.
- 41-Henri Blin, l'évaluation du prejudice corporel, 2e édition, paris , 1959, p.7.
- (٤٢) د. سعدون العامري، تعويض الضرر في المسؤولية التقصيرية، مركز البحوث القانونية - وزارة العدل، بغداد، ١٩٨١، ص ١٦٢.
- (٤٣) كافي زغير شنون البدري، صور الضرر المعنوي، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق، جامعة النهريين، المجلد ١٥، العدد ٢، ٢٠١٣، ص ١٧٤.
- (٤٤) أنور جمعة علي الطويل، التعويض النقدي عن الأضرار البيئية المحضة، بحث منشور في مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، العدد ٥٢، تشرين الأول/أكتوبر، ٢٠١٢، ص ٢٣ - ٢٤.
- 45-Dale B. Thompson, Valuing the environment: Courts' struggles with natural resource damages, Published research in Environmental Law, Volume 32, 2002, pp.57-89. P.2
- 46-DETTMAN(Brian R.):Curd v. Mosaic: Establishing a Property Right in Fish and Legitimately Assessing Value for Their Destruction, Stetson University College of Law, Natural Resources Seminar, June 22, 2009, p.18
- أشارت إليه ابتهاج زيد علي، التعويض عن الضرر البيئي، بحث منشور في مجله مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، المجلد ١، العدد ٣٤، ٢٠١٤، ص ١٩٦.
- (٤٧) د. سعيد السيد قنديل، مصدر سابق، ص ٣٩.
- (٤٨) د. طارق كاظم عجبل، معايير تقدير التعويض النقدي عن الأضرار البيئية، بحث منشور في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، تصدر عن الكلية الإسلامية الجامعة/النصف الأشرف، العدد ٣٦، ٢٠١٥، ص ٩٣.
- (٤٩) د. عطا سعد محمد حواس، المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي في نطاق الجوار، مصدر سابق، ص ٩٢٠.
- (٥٠) أنور جمعة علي الطويل، مصدر سابق، ص ٣١.
- 51-Douglass Shaw and Marta Wlodarz, Ecosystems, Ecological Restoration and Economics: Does Habitat and Resource Equivalency Analysis Mean Other Economic Valuation Methods Are Not Needed? Forthcoming Ambio, exas A&M University, .Vol. 42, (Issue 5/September), 2012, p.4
- (٥٢) د. سعيد السيد قنديل، مصدر سابق، ص ٤٠.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

53-Douglass Shaw and Marta Wlodarz, op, cit, p.5

(٥٤) د. طارق كاظم عجيل, مصدر سابق, ص ٩٥.

(٥٥) أنور جمعة علي الطويل, مصدر سابق, ص ٣٣ – ٣٤.

56-Dale B. Thompson, op, cit, p.19.

(٥٧) د. سمير حامد الجمال, الحماية القانونية للبيئة, دار النهضة العربية, القاهرة, ٢٠٠٧.

٥٨- د. سهى حميد سليم الجمعة, تلوث بيئة الفضاء الخارجي في القانون الدولي العام, دار المطبوعات الجامعية, الإسكندرية, ٢٠٠٩, ص ٣٢٥.

59-F. Arhab, these. prése. no. 699. p.570.

أشار إليه د. عطا سعد محمد حواس, المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي في نطاق الجوار, مصدر سابق, ص ٩١٧.

(٦٠) د. طارق كاظم عجيل, مصدر سابق, ص ٩٨ – ٩٩.

(٦١) أنور جمعة علي الطويل, مصدر سابق, ص ٤٠ – ٤١.

(٦٢) عبد الله تركي صمد العيال الطائي, مصدر سابق, ص ١٦٦. د. عامر طراف وحياة حسنين, المسؤولية الدولية والمدنية في قضايا البيئة والتنمية المستدامة, الطبعة الأولى, مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, بيروت, ٢٠١٢, ص ٢٩٣.

(٦٣) د. سمير حامد الجمال, مصدر سابق, ص ٣٢٥.

(٦٤)-ابتهال زيد علي, مصدر سابق, ص ١٩٩.

(٦٥) متوفر على الموقع الإلكتروني:

[/https://www.codes-et-lois.fr/code-forestier](https://www.codes-et-lois.fr/code-forestier)

تاريخ الزيارة ٢٠١٦/١٠/٢٨

66-Article L313-1) " En cas d'infraction aux dispositions de l'article L. 311-1, le propriétaire est condamné à une amende calculée à raison de 150 euros par mètre carré de bois défriché)

Article L331-2) " La coupe ou l'enlèvement d'arbres ayant 20 centimètres de tour et au-dessus est puni d'une amende de 45000 euros. La circonférence est mesurée à 1,30 mètre du sol)

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

(٦٧) د. سعيد السيد قنديل, مصدر سابق, ص ٤٣.

68-David J. Chapman and W. Michael Hanemann, Environmental Damages in court: The American trader case, Published research in The Law and Economics of the Environment, 2001, Anthony Heyes, Editor, pp.319-367. p.10 – 11. See also: Dale B. Thompson, op, cit, p.10

(٦٩) د. سعيد السيد قنديل, مصدر سابق, ص ٤٤.

(٧٠) د. عطا سعد محمد حواس, المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي في نطاق الجوار, مصدر سابق, ص ٩٢٠.

71-Robin Kundis Craig, Legal Remedies for Deep Marine Oil Spills and Long-Term Ecological Resilience: A Match Made in Hell, Brigham Young University Law Review; Vol. 2011, Issue 6, 2011, p.1893

(٧٢) أنور جمعة علي الطويل, مصدر سابق, ص ٤٧.

(٧٣) د. طارق كاظم عجيل, مصدر سابق, ص ١٠٢ – ١٠٣.

(٧٤) المادة (٣٢/ثانياً) ، ب) من قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩.

(٧٥) د. محمود جمال الدين زكي, الوجيز في النظرية العامة للالتزامات في القانون المدني المصري, الطبعة الثالثة, مطبعة جامعة القاهرة, ١٩٧٨, ص ٢٨٠.

(٧٦) د. عبد المنعم فرج الصدة, مصادر الالتزام, دار النهضة العربية, القاهرة, ١٩٨٦, ص ٥٢٤, ص ٥٢٢. د. سليمان مرقس, الوافي في شرح القانون المدني, المجلد الأول, في الالتزامات, في الفعل الضار والمسؤولية المدنية, القسم الأول, في الأحكام العامة, الطبعة الخامسة, من دون ذكر دار نشر ولا مكان نشر, ١٩٩٢, ص ٥٥٢.

(٧٧) نصت المادة (١٧٠) من القانون المدني المصري على أنه " يقدر القاضي مدى التعويض عن الضرر الذي لحق المضرور طبقاً لأحكام المادتين ٢٢١ و ٢٢٢ مراعيًا في ذلك الظروف والملابسة ، فإن لم يتيسر له وقت الحكم أن يعين مدى التعويض تعييناً نهائياً ، فله أن يحتفظ للمضرور بالحق في أن يطالب خلال مدة معينة بإعادة النظر في التقدير ".

(٧٨) د. عبد الرزاق أحمد السنهوري, الوسيط في شرح القانون المدني الجديد, نظرية التزام بوجه عام, مصادر الالتزام, الجزء الأول, المجلد الأول, الطبعة الثالثة, منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت, ٢٠٠٩, ص ١٠٩٨ - ١٠٩٩.

(٧٩) د. عباس علي محمد الحسيني, المسؤولية المدنية البيئية في ضوء النصوص المدنية والتشريعات البيئية, بحث منشور في مجله رسالة الحقوق, كلية القانون, جامعة كربلاء, العدد الثالث, السنة الثانية, ٢٠١٠, ص ٣٨.

(٨٠) أشار إليه محمد جابر غافل العكيلي المسؤولية المدنية لمنظم المسابقات الرياضية, رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون, جامعة كربلاء, ٢٠١٥, ص ١٢٧ - ١٢٨.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

(٨١) قرارها الصادر بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٤٤. أشار إليه د. عبد الرزاق السنهوري، مصدر سابق، ص ١٠٩٩ هامش رقم (١).

(٨٢) قرارها المرقم ٥٢١/مدنية اولى/١٩٨١، الصادر بتاريخ ١٧/٨/١٩٨١. أشار إليه حسن حنتوش رشيد الحسناوي، الضرر المتغير وتعويضه في المسؤولية التقصيرية، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٥.

(٨٣) د. عصمت عبد المجيد بكر، مصادر الالتزام في القانون المدني، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٣١٦. وقد نصت المادة (٢/٢١٧) من القانون المدني العراقي على أنه " ويرجع من دفع التعويض بأكمله على كل من الباقيين بنصيب تحدده المحكمة بحسب الأحوال وعلى قد جسامته التعدي الذي وقع من كل منهم، فإن لم يتيسر تحديد قسط كل منهم في المسؤولية يكون التوزيع عليهم بالتساوي ".

(٨٤) قرارها المرقم ٨١/مدنية رابعة/١٩٨٢، الصادر بتاريخ ٢٦/٩/١٩٨٢. أشار إليه د. إبراهيم صالح عطية، العوامل المؤثرة في تقدير التعويض عن الفعل الضار، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٣، ص ٨١.

(٨٥) د. عبد المجيد الحكيم وعبد الباقي البكري ومحمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

(٨٦) د. سعدون العامري، مصدر سابق، ص ٢٠٥. د. عبد الرزاق السنهوري، مصدر سابق، ص ١١٠٣. د. حسن علي الذنون، النظرية العامة للالتزامات مصدر سابق، ص ٢٥٧. قرار محكمة النقض المصرية رقم ٥٠٩٨ لسنة ٦٢ق، الصادر في جلسة ٢٠٠٠/٢/٢٢. أشار إليه د. مصطفى مجدي هرجة، المسؤولية التقصيرية في القانون المدني، دار محمود للنشر والتوزيع، القاهرة، من دون سنة طبع، ص ١٩٥.

(٨٧) د. عزيز كاظم جبر، الضرر المرتد وتعويضه في المسؤولية التقصيرية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص ١٨٣. وينظر كذلك قرار محكمة التمييز العراقية رقم ١٠٠٠/ح/١٩٦٦، الصادر بتاريخ ١٩٦٦/١٢/٨. أشار إليه د. حسن حنتوش رشيد الحسناوي، التعويض عن الضرر المتغير في المسؤولية التقصيرية، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد ٥، العدد ٢، ٢٠٠٧، ص ٢٦٩.

(٨٨) د. عبد المنعم فرج الصدة، مصدر سابق، ص ٥٢٤.

89-Henri Blin, op, cit, p.7

(٩٠) د. عبد المجيد الحكيم وعبد الباقي البكري ومحمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي، مصادر الالتزام، الجزء الأول، المكتبة القانونية، بغداد، من دون سنة طبع، ص ٢٥٠.

91-Georges Ripert et Jean Boulanger, op, cit, p.441

(٩٢) وتقابلها المادة (١٧٠) من القانون المدني المصري، والمادة (٢/٢٤٧) من القانون المدني الكويتي.

(٩٣) وتجدر الملاحظة إلى أن هنالك حالة نص عليها قانون المرافعات المدنية العراقية رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ المعدل يكون فيها وقت تقدير التعويض محدد بشكل مسبق وهي حالة القضاء المستعجل، فعند قيام المحكمة بإجراء الكشف المستعجل وتثبيت حالة الاضرار الواقعة مثلاً، فإن تقدير التعويض فيما بعد -عند رفع دعوى المسؤولية المدنية- عن تلك الاضرار يكون على اساس ذلك الوقت وفقاً لحالة الاضرار التي تم تثبيتها في

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

محضر الكشف المستعجل. إذ نصت المادة (١/١٤٤) من قانون المرافعات على أنه "يجوز لمن يخشى ضياع معالم واقعة يحتمل ان تصبح محل نزاع أمام القضاء ان يطلب من القضاء المستعجل قبل اقامة دعوى الموضوع وبعد تبليغ ذوي الشأن الانتقال للكشف وتثبيت الحالة بمعرفة الحاكم أو بواسطة خبير ويراعى في هذا الشأن = الاحكام المتعلقة بالخبرة والكشف". كما نصت المادة (١/١٤١) من القانون ذاته على أنه "تختص محكمة البداية بنظر المسائل المستعجلة التي يخشى عليها من فوات الوقت بشرط عدم المساس بأصل الحق".

(٩٤) د. عصمت عبد المجيد بكر، مصدر سابق، ص ٣١٩. وهو يشير إلى حكم محكمة التمييز العراقية رقم ١٤٣٦/١ ح/٤/١٩٧٠، الصادر بتاريخ ١٩٧١/٤/٢٤.

المصادر

الكتب العربية

- ١- د. إبراهيم صالح عطية، العوامل المؤثرة في تقدير التعويض عن الفعل الضار، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٣.
- ٢- أحمد خالد الناصر، المسؤولية المدنية عن أضرار تلوث البيئة البحرية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠.
- ٣- استقراء لقواعد المسؤولية المدنية في منازعات التلوث البيئي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤.
- ٤- د. سعدون العامري، تعويض الضرر في المسؤولية التقصيرية، مركز البحوث القانونية – وزارة العدل، بغداد، ١٩٨١.
- ٥- د. سعيد السيد قنديل، آليات تعويض الأضرار البيئية، دراسة في ضوء الأنظمة القانونية والاتفاقيات الدولية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- ٦- د. سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني، المجلد الأول، في الالتزامات، في الفعل الضار والمسؤولية المدنية، القسم الأول، في الأحكام العامة، الطبعة الخامسة، من دون ذكر دار نشر ولا مكان نشر، ١٩٩٢.
- ٧- د. سمير حامد الجمال، الحماية القانونية للبيئة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.
- ٨- د. سهى حميد سليم الجمعة، تلوث بيئة الفضاء الخارجي في القانون الدولي العام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩.

- ٩- د. عابد فايد عبد الفتاح فايد، التعويض التلقائي للأضرار بواسطة التأمين وصناديق الضمان، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٤.
- ١٠- د. عامر طراف وحياة حسنين، المسؤولية الدولية والمدنية في قضايا البيئة والتنمية المستدامة، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢.
- ١١- د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، نظرية التزام بوجه عام، مصادر الالتزام، الجزء الأول، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٩.
- ١٢- عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، أحكام الالتزام، الجزء الثاني، الطبعة السادسة، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩.
- ١٣- د. عبد المجيد الحكيم وعبد الباقي البكري ومحمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي، مصادر الالتزام، الجزء الأول، المكتبة القانونية، بغداد، من دون سنة طبع.
- ١٤- د. عبد المنعم فرج الصدة، مصادر الالتزام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦.
- ١٥- د. عبد الناصر زياد هياجنة، القانون البيئي، النظرية العامة للقانون البيئي مع شرح التشريعات البيئية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.
- ١٦- عبد الله تركي صمد العيال الطائي، الضرر البيئي وتعويضه في المسؤولية المدنية، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٣.
- ١٧- د. عزيز كاظم جبر، الضرر المرتد وتعويضه في المسؤولية التقصيرية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨.
- ١٨- د. عصمت عبد المجيد بكر، مصادر الالتزام في القانون المدني، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٩- د. عطا سعد محمد حواس، الأنظمة الجماعية لتعويض أضرار التلوث، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢.
- ٢٠- _____، المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث البيئي في نطاق الجوار، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١١.

٢١- عيسى مصطفى حمادين, المسؤولية المدنية التقصيرية عن الأضرار البيئية, دراسة مقارنة بين القانون الأردني والقانون المصري, الطبعة الأولى, مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ودار اليازوري, الأردن, ٢٠١١.

٢٢- د. محمود جمال الدين زكي, الوجيز في النظرية العامة للالتزامات في القانون المدني المصري, الطبعة الثالثة, مطبعة جامعة القاهرة, ١٩٧٨.

٢٣- د. مصطفى مجدي هرجة, المسؤولية التقصيرية في القانون المدني, دار محمود للنشر والتوزيع, القاهرة, من دون سنة طبع.

٢٤- د. نبيلة اسماعيل رسلان, المسؤولية المدنية عن الأضرار البيئية, دار الجامعة الجديدة, الإسكندرية, ٢٠٠٧, ص ١٢٩.

الرسائل والاطاريح

١- حسن حنتوش رشيد الحسناوي, الضرر المتغير وتعويضه في المسؤولية التقصيرية, دراسة مقارنة, أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية القانون, جامعة بغداد, ٢٠٠٤.

٢- عمار كريم كاظم الفتلاوي, الحلول الشخصي وتطبيقاته في القانون العراقي والمقارن, رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون, جامعة بابل, ٢٠٠٧.

٣- محمد جابر غافل العكيلي, المسؤولية المدنية لمنظم المسابقات الرياضية, رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون, جامعة كربلاء, ٢٠١٥.

البحوث والمجلات العلمية

١- أنور جمعة علي الطويل, التعويض النقدي عن الأضرار البيئية المحضة, بحث منشور في مجلة البحوث القانونية والاقتصادية, كلية الحقوق, جامعة المنصورة, العدد ٥٢, تشرين الأول/أكتوبر, ٢٠١٢.

٢- د. حسن حنتوش رشيد الحسناوي, التعويض عن الضرر المتغير في المسؤولية التقصيرية, بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية, المجلد ٥, العدد ٢, ٢٠٠٧.

٣- د. عباس علي محمد الحسيني, المسؤولية المدنية البيئية في ضوء النصوص المدنية والتشريعات البيئية, بحث منشور في مجله رسالة الحقوق, كلية القانون, جامعة كربلاء, العدد الثالث, السنة الثانية, ٢٠١٠.

٤-د. طارق كاظم عجيل, معايير تقدير التعويض النقدي عن الأضرار البيئية, بحث منشور في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة, تصدر عن الكلية الإسلامية الجامعة/النجف الأشرف, العدد ٣٦, ٢٠١٥.

٤-كافي زغير شنون البدري, صور الضرر المعنوي, بحث منشور في مجلة كلية الحقوق, جامعة النهدين, المجلد ١٥, العدد ٢, ٢٠١٣.

تاسعاً: التشريعات:

أ- التشريعات العراقية:

- ١- القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.
- ٢- قانون المرافعات المدنية العراقي رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ المعدل...
- ٣- قانون حماية وتحسين البيئة في إقليم كردستان - العراق رقم ٨ لسنة ٢٠٠٨.
- ٤- تعليمات صندوق حماية وتحسين البيئة في إقليم كردستان - العراق رقم ٢ لسنة ٢٠٠٩.
- ٥- قانون حماية وتحسين البيئة العراقي رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩.
- ٦- تعليمات صندوق حماية البيئة العراقي رقم ١ لسنة ٢٠١٣ المعدلة.

ب- التشريعات العربية:

- ١- القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨.
- ٢- القانون المدني الكويتي رقم ٦٧ لسنة ١٩٨٠.
- ٣- قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ المعدل.

- ٤- اللائحة التنفيذية لقانون حماية البيئة المصري الصادرة بقرار مجلس الوزراء رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٩٥.
 - ٥- قانون البيئة السوري رقم ٥٠ لسنة ٢٠٠٢.
 - ٦- قانون حماية البيئة الكويتي رقم ٤٢ لسنة ٢٠١٤ المعدل.
 - ت- التشريعات غير العربية:
 - ١- القانون المدني الفرنسي لسنة ١٨٠٤.
 - ٢- قانون البيئة الفرنسي رقم (٩١٤-٢٠٠٠) الصادر في ١٨ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠.
 - ٣- قانون الغابات الفرنسي الصادر بالمرسوم رقم (٩٢-٢٠١٢) في ٢٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٢.
- المصادر الاجنبية

1-Dale B. Thompson, Valuing the environment: Courts' struggles with natural resource damages, Published research in Environmental Law, Volume 32, 2002.

2-Douglass Shaw and Marta Wlodarz, Ecosystems, Ecological Restoration and Economics: Does Habitat and Resource Equivalency Analysis Mean Other Economic Valuation Methods Are Not Needed? Forthcoming Ambio, Texas A&M University, Vol. 42, (Issue 5/September), 2012.

3-David J. Chapman and W. Michael Hanemann, Environmental Damages in court: The American trader case, Published research in The Law and Economics of the Environment, 2001.

4-Henri Blin, l'évaluation du prejudice corporel, 2e édition, paris , 1959.

Robin Kundis Craig, Legal Remedies for Deep Marine Oil Spills and Long-Term Ecological Resilience: A Match Made in Hell, Brigham Young University Law Review; Vol. 2011, Issue ,6, 2011.

تراجع دور الخطاب المسجدي في حل المشكلات الاجتماعية

د. بوكبشة جمعية الرتبة

د. خروبي عبد الرحمن

جامعة حسية بن بو علي الشلف

ملخص:

يعتبر الخطاب الديني عاملا مهما لثبات والاستقرار الديني للمجتمع، ومع حدوث التغيرات التي شهدتها المجتمعات من انفجار تكنولوجي أدى الى انتشار ثقافي ملحوظ وكثرة التقليد وتعدد القيم المكتسبة من المجتمعات الغربية ونتيجة عوامل وأسباب أخرى أدت الى تراجع تأثير الخطاب الديني ودور المؤسسة الدينية، فنحاول من خلال هذا البحث توضيح دور الخطاب الديني المسجدي والمؤسسة المسجدية في المجتمع وكيف تراجع دورها في الوقت الحالي، وهذا بإجراء دراسة وصفية تعتمد على التحليل لمعرفة مدى تدني مستوى الخطاب المسجدي في التأثير وحل المشكلات الاجتماعية، وكيف نستطيع معالجة ووضع الحلول لتسترجع المؤسسة الدينية مكانتها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني، المشكلات الاجتماعية، الانتشار الثقافي، التغيير القيمي.

Abstract:

Religious discourse is an important factor in society's religious stability and stability. As societies have changed from a technological explosion that has led to a marked cultural spread, frequent tradition and multiple values gained from Western societies. Other factors and causes have led to a decline in the influence of religious discourse and the role of the religious institution. Through this intervention, we are trying to clarify the role of religious discourse in the mosque and the sacred institution in society and how its role has now declined. This is a descriptive study based on analysis to determine the low level of discourse in impact and solving social problems, and how we can address and develop solutions to restore the place of a religious institution.

Keywords: religious discourse, social problems, cultural spread, value change.

١. مقدمة:

يتبوأ المسجد مكانة مهمة في المجتمعات الإسلامية، فدوره يتجاوز حدود العبادات الى المعاملات، فقد كان ولا زال جامعا للمسلمين بمفهومه الواسع، فهو لاء يجتمعون فيه لأداء الصلوات وتعلم علوم الدين المختلفة من خلال حلقات التدريس والدعوة، كما أن دوره يتعدى حدود العبادات الى حل المشكلات الاجتماعية من خلال تناولها وطرق حلها في الخطب والدروس المسجدية، أو من خلال المساهمة المباشرة في حل بعض هذه المشكلات، وبالتالي فالمسجد يعتبر منبرا دعويًا أكثر تأثيرا، من خلال الخطابات التي تلقى فيه، خاصة خطب الجمعة والتي تستقطب أكبر عدد من المصلين المجتمعين لأداء الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام. وهذا ما حاولنا طرحه من خلال دراستنا، إذ ربطنا المشكلات الاجتماعية بالخطاب المسجدي على أساس الدور الذي يمكن أن يلعبه هذا الأخير أثناء العملية الخطابية، ومن هنا يمكن طرح الإشكال التالي: ماهي الخطابة؟

ماهي الشروط التي يمكن تتوفر في الخطيب؟

وهل للخطاب المسجدي دور في حل المشكلات الاجتماعية؟

ماهي أهم أسباب تراجع الخطاب المسجدي في حلحلة المشاكل الاجتماعية؟

٢. تحديد المفاهيم:

٢,١. تعريف المسجد: "في الاصطلاح الشرعي يطلق على المكان الموقوف على كافة المسلمين للصلاة، وتضاف إليه أحيانا كلمة جامع وهي صفة المسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة". و"المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله لتعلم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم. وبهذا فهو مؤسسة دينية اجتماعية تؤدي خدمة عمومية هدفها ترقية قيم الدين الإسلامي. كما أن المسجد وقف عام، لا يؤول أمره إلا للدولة المكلفة شرعا والمسؤولة عن حرمة وتسييره واستقلالته في أداء رسالته وتجسيد وظائفه". (الجزائرية، ٢٠١٣، صفحة ٥)

وبالتالي فالمسجد يجمع المسلمين لأداء الصلوات، وتلاوة القرآن والاستزادة من العلوم الدينية التي تنفع المسلمين في دينهم ودنياهم، كما أنه يساهم في توطيد العلاقات بين المسلمين ويجمعهم على كلمة واحدة أساسها عبادة الله، من خلال التقيد بأوامره والابتعاد عن نواهيه، وهذا ما يجعل المجتمع الإسلامي متماسكا مترابطا وفق القواعد والمبادئ الأساسية التي يحددها الإسلام له.

٢,٢. المشكلة الاجتماعية: هي أي موقف أو حالة أو شكل متكرر في السلوك، غالبا ما يتواجد بسبب مؤثرات اجتماعية، ويواجه هذا السلوك استنكارا من عدد كبير من أفراد المجتمع. وهذا

يدفعهم إلى تحمل قدر كبير من المسؤولية المشتركة للعمل على حصار هذا السلوك الذي يسبب مشكلة.

ولكي تكون هناك مشكلة اجتماعية لابد من توفر شرطين:

أولاً: ضرورة وجود ظرف موضوعي مثل: الجريمة، الفقر، توتر عرقي، وما إلى ذلك بالحجم والمقدار الذي يمكن ملاحظته وقياسه بمعرفة ملاحظين اجتماعيين.

ثانياً: ينبغي أن يكون هناك تعريف ذاتي من خلال بعض أعضاء المجتمع بأن هذا الظرف الموضوعي يعد بمثابة مشكلة. هنا قد تلعب القيم دورها، لأنه عندما يفهم بأن القيم مهددة لوجود مثل هذا الظرف الموضوعي يصبح مشكلة اجتماعية". (رشوان، صفحة ١٥)

أي أن المشكلة الاجتماعية هي ظاهرة سلبية تظهر في سلوكيات فئة من أفراد المجتمع، وتؤثر على علاقاتهم، وبالتالي تؤثر بصفة خاصة في بنية مؤسسات المجتمع المختلفة كالأُسرة، كما أنها تؤثر بشكل عام في بنية المجتمع، وغالباً ما ترتبط المشكلات الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية بغياب الوازع الديني، وهنا تظهر أهمية الخطاب الديني في الحيلولة دون استفحال هذه المشكلات الاجتماعية.

٣،٢. تعريف الخطاب الديني:

وردت كلمة خطاب في القرآن الكريم في مواقع كثيرة تعرضت للخطاب من جوانب مختلفة منها قوله تعالى (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) "الفرقان الآية ٦٣" وفي قوله (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) "ص الآية ٢٠" وقوله تعالى (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَانُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا) "النبأ الآية ٣٧" والملاحظة في سياق ورود لفظ (الخطاب) في القرآن أن الخطاب جاء مقروناً بالحكمة والعزة، وشدة البأس. (أبو المجد و عبدالعالي، ٢٠١١، صفحة ص ١٢)

اتخذ الخطاب الديني وسائل متعددة وكان له دور في إثراء المكتبة الإسلامية، وهو قائم على مرجعية شرعية على أساس القرآن والسنة، ونتيجة اجتهادات لشخصيات في ظروف سوسيو اجتماعية واعتمد في بدايته على المسجد. فهو كلام مسموع وحتى المرئي ذات طابع إسلامي المرتبط بالعبادات والشعائر الدينية، ومن خلال ينشر الوعي بين الناس، يستند على مصادر الشريعة الإسلامية القرآن والسنة. (بوحبيبة، ٢٠١٩، صفحة ٤٥)

إذا فهو يعرف على أنه الكلام الموجه من رجال الدين إلى طائفة أو جماعة من المستهدفين، سواء في المساجد أو عن طريق الاعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من وسائط التواصل، والذي يستند لمرجعية إسلامية أساسها القرآن والسنة واجتهادات العلماء، وأن أي اجتهاد أو تغيير في مرجعية الخطاب الديني خارج الأسس المذكورة قد يؤدي إلى انحرافات تضر أكثر مما تنفع.

والخطاب الديني يسعى إلى تثبيت وترسيخ القيم وكذا مبادئ الحق والصدق والخير والعدل وغيرها من القيم التي يجب أن تراعى الخلفية الثقافية والعقائدية والاجتماعية لمتلقي هذا

الخطاب، كما تراعي الوضوح والبساطة في الطرح حسب مستوى المتلقي أو المستمع أو المستهدف بهذا الخطاب.

٣. سمات الخطاب الديني:

- رباني المصدر والمنشأ.
- عالمي وعام لجميع البشر.
- وسطي.
- إيجابي.
- شامل لجميع جوانب الحياة.
- متنوع ومتجدد.
- مراعاة الأولوية.

٤. أسس ومعايير الخطاب الديني: (الحساوي، ٢٠١١، الصفحات ٦٣-٦٤)

- الوضوح من حيث اللفظ والمعنى لإيصال المضمون للفئة المستهدفة
- المعاصرة التنسيق في اختيار الكلمات والجمل وملائم للحياة الاجتماعية ويعالج القضايا المختلفة.
- الجاذبية: ان لا يكون الخطاب جاف وانما على الخطيب ان يكون له اسلوب مقنع له حسن الالتقاء ذا أسلوب مقنع وبالتالي جذب المشاهدين للخطاب.
- الاختصار: الايضاح والايجاز في الخطبة وذات معنى واحد.
- المرونة: سلاسة اللغة المستعملة في الخطاب وتنوع الافكار وعمق الخطاب الديني وبالتالي فهم أفضل للجمهور.
- القابلية للتطور: القدرة على التبرير والقدرة على الجذب. ومن هذا نجد ان هذه السمات ضرورية للتوفر في الخطبة والخطيب لمعالجة اي مشكلة اجتماعية وخاصة في عصرنا الحالي لتعدد مصادر الخطاب الديني نتيجة التطور التكنولوجي الهائل والذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة فالاعتماد على الخطاب المسجدي والاستعانة به عرف تراجع ملحوظ نتيجة لتعدد الاسباب من عدم توفر العاصر السابقة لا في الخطبة ولا في الخطيب ونتيجة تغير القيم وتداخل عوامل كثيرة جدا.

٥. المداخل و الأساليب الهامة لدراسة المشكلات الاجتماعية:

- ١,٥. الدين: " يمثل الأداة أو مصفاة لتنقية التجربة الاجتماعية . فأسلوب الدين يدرك المشكلات ويحلها ويعيد ربط ما تسببه المشكلات من خلل . كما أنه يحدد الحلال و الحرام و المسموح في السلوك و العلاقات الاجتماعية و الجنسية. على سبيل المثال: يحرم الدين شرب الخمر، الربا، الرشوة، عقوق الوالدين الزنا...الخ.

٢,٥. القانون: هناك علاقة بين الدين و المداخل القانونية والمشاكل الاجتماعية، ففي القانون ينظر إلى الأفعال كالقتل والسرقة على أنها انحرافات عن النظام المعياري ومن هنا ندرك أن للقانون وظيفتين: الأولى بنائية، و الثانية: عقابية.

٣,٥. الصحافة: يعمل من خلال وسائله المسموعة والمقروءة والمرئية على كشف المشكلات التي تحدث في المجتمع من خلال تحليل الأحداث الاجتماعية التي تكشف الفساد الأخلاقي، أو لفت أنظار الناس نحو المشكلات الاجتماعية في المجتمع، أو التوعية المجتمعية.

٤,٥. المدخل السوسيولوجي: حيث تعتبر المشكلات الاجتماعية الموضوع الأول في اهتمام عالم الاجتماع محاولا الكشف عن أسبابها وتحديد مضمونها وعلاقتها بالجوانب الأخرى من السلوك الاجتماعي وذلك من خلال دراسة الحياة الاجتماعية ككل، والنسق الاجتماعي الذي يضم مجموعة من النظم الاجتماعية وكذلك الجماعات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع والعلاقات المتبادلة بينهما". (نعيم، ٢٠٠٩، الصفحات ٢٩-٣٠)

من خلال هذا السياق نجد أن المشكلة الاجتماعية تجتمع فيها عدة مداخل لحلها وأساسها المدخل الديني الذي دور كبير في التعامل مع المشكلات الاجتماعية بسلاسة ورضا الأفراد بحكم الدين إلا أن المدخل القانوني والاجتماعي ضروريان لدراية الخطيب بالمشكلة من جميع النواحي ليكون خطابه لحل المشكلة ملم بجوانبها المختلفة.

٦. شروط الخطابة وأهم المهام:

مهام الخطيب:

ويمكن تحديد مهام الأئمة بما يأتي:

- إمامة الصلوات.
- إلقاء دروس الوعظ والإرشاد.
- المساهمة في التكوين المستمر للأئمة والأعوان الدينيين.
- المساهمة في الحفاظ على الوحدة الدينية للجماعة وتماسكها.
- المساهمة في ترقية الخطب المنبرية والدروس المسجدية.
- التدريس في إطار محو الأمية.
- تنشيط دروس التوعية الموجهة لحجاج البقاع المقدسة.
- الحفاظ على النظام داخل المسجد وإبعاده عن كل نشاط خارج الإطار الديني.
- ضمان سير مكتبة المسجد وإدارتها.
- محاربة الآفات الاجتماعية.
- تنشيط حملات التوعية حول الدور الاجتماعي للأئمة والوقفية والزكاة.

- المساهمة في إحياء المناسبات والأعياد الدينية والوطنية.
- إصلاح ح ذات البين بين الأفراد، عندما يطلب منهم ذلك". (التعاون، ٢٠١٢، صفحة ٣٠)

والمأمل بعمق في هذه المهام الموكلة للأئمة يصل للحقائق التالية: أن الوزارة الوصية سوت المهام بين جميع الأئمة، رغم اختلاف مستوياتهم، مما يجعل الأئمة من ذوي المستوى المحدود مثل أئمة الصلوات الخمس غير قادرين على تأطير المسجد من حيث إلقاء الدروس والخطابة، وهذا المشكل هو بسبب الشغور العددي في تأطير المسجد ومن ثم اللجوء إلى إقحامهم من حيث الدروس والخطابة والنشاط الثقافي فيه.

إضافة إلى أن بعض المهام المسندة للأئمة غير قابلة للتطبيق، فهي شعارات أكثر منها مهام واضحة للتطبيق، ومثالها: المساهمة في المحافظة على الوحدة الدينية للجماعة وتماسكها (أي توحيد الفتوى). والقيام بهذا الدور يلزم الإمام بأن يكون في مستوى الإفتاء، الذي يحتاج إلى شروط الاجتهاد والمعرفة للقيام بذلك وهي غير متوفرة عند أئمتنا إلا في النزر القليل لدى بعض العصاميين لذلك يتوجّه الجزائريون إلى الفضائيات لطلب الإفتاء.

أما تعليم القرآن بالتجويد والأحكام فهو معمول به في بعض المساجد القليلة، أما بقية المساجد الأخرى ففي أحسن الحالات تتم عملية تعليم الحروف، مع تحفيظ بعض السور لصغار السن قبل التمدرس، وبعد دخول السنة الأولى يغادرون المسجد.

وبصفة عامة هذه المهام تحتاج إلى مستوى يؤهل صاحبها للقيام بها، خصوصا مع العجز الذي يعاني منه أغلبية الأئمة، نظرا لمستواهم الدراسي قبل دخول التكوين. وحتى التكوين الذي يخضعون له لا يؤهلهم للقيام بكل هذه المهام خاصة ما تعلّق بالخطابة والفتوى. زد على ذلك حتى وإن تحدثنا عن سهولة مهمة تنظيم الحزب الرّاتب في المسجد والتدريس في إطار محو الأمية إلا أنه غير معمول بها إلا في حدود ضيقة ربّما تعود لعدم إقبال الرّواد على محو الأمية، ومعارضة بعض المصلّين للحزب الرّاتب بداعي أنه بدعة. وبهذا وحسب ما هو ملاحظ في الواقع تبقى الأدوار البارزة في المساجد الجزائرية تخصّ رفع الأذان وإقامة الصّلاة، وهما دون المستوى في كثير من الأحيان، وكذا خطب الجمعة والمناسبات الدينية والوطنية، وإتمام عقود الزّواج الفاتحة، وتولّي المسؤولية عن النظام في المسجد (فتح وغلق المسجد).

ومن هذا كلّ يتضح عدم وجود برنامج قائم ومنهجي لبناء الفرد والأسرة والمجتمع، والتصدي بمنهجية فاعلة لمحاربة الأمراض والآفات أو المشكلات الاجتماعية التي تنخر المجتمع الجزائري من جميع الجوانب ولأسباب متعددة.

٧. فوائد الخطابة: (خليف، ٢٠١٨)

تتنوع فوائد الخطابة كثيراً، ويمكن أن نذكر منها :

- حث الفرد على عمل الخير.
- والقيام بالأعمال النافعة. تعد فرصة للتواصل المباشر مع الآخرين.
- إثارة العواطف والحماس لدى روح الناس.

- تعمل على بناء علاقات مع الآخرين.
- الإقناع، أي إقناع المخاطبين بما لدى الخطيب من كلام. الثقافة المتنوعة، والتعليم. تعتبر فرصة للنجاح في الحياة، ومعرفة كيفية العيش.

٨. مميزات الخطيب ليكون أسلوبه مقتناً لحل المشكلات الاجتماعية: (خليف، ٢٠١٨)

- الخطيب المميز هناك شروطاً كثيرة ومتنوعة يجب أن يمتلكها الخطيب، أهمها:
- النطق السليم، أي الكلام بلغة مفهومة دون ابتلاع أي حرف، أو خطأ في مخارج الحروف، وأن يتميز بصوت واضح وجهور ليسمع خطبته لكل الجمهور
- وأن يكون على دراية بالعلم، والتحضير الجيد للخطبة
- وأن يكون عالماً بنفوس المخاطبين، ليخطب خطبته على قدر نفوسهم، ويلعب في درجات نبرة صوته
- وأن يكون ذا مظهر مرتب شكلاً وهنداماً، وامتلاك القدرة على إظهار تعابير الوجه والإشارات الخاصة بالجسم
- وأن يكون على ثقة بنفسه وذو شخصية جريء، والقدرة على إيصال رسالته من الخطبة، وإيمانه بما يقول .

٩. أنواع الخطب المسجدي:

- ١- خطب الدعوة الى الإسلام والدفاع عنه: وذلك بتقوية الحجة والدليل المقنع وتبيين العقائد الصحيحة، وتوضيح مبادئ الإسلام ما هو هين منها لأجل تحبيب الإسلام عند الدعوة. (شليبي و عبدالمعطي، ٢٠٠٦، صفحة ٢٨)
 - ٢- خطب التعليم الديني: وهي عبارة عن دروس دينية لأجل معرفة أصول الدين بالاعتماد على القرآن والسنة والوصف الدقيق والصحيح لله سبحانه وتعالى والنبیین كما وصفهم الله في تنزيله الحكيم وضوحاً تاماً. (محفوظ، الصفحات ٩٩-١٠١)
 - ٣- خطب تثبيت الإيمان وتقويته: لأجل تقوية الإيمان في القلوب وذلك بالتكلم عن فضائل الإسلام، الكتاب بشرح الآيات. (شليبي و عبدالمعطي، ٢٠٠٦، صفحة ٢٨)
 - ٤- خطب الإصلاح ومحاربة المنكرات: وهنا يتجه الى الوعظ بالخطب الهادفة والتي تعالج الآفات الاجتماعية بأدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف بأسلوب الترهيب والترغيب. (عبد شليبي، ١٩٨١، صفحة ١١٠)
- من خلال ما سبق نجد ان الخطب متنوعة حسب اجتهاد الخطيب في تحضيره للخطبة وقدرته على إيصال المطلوب وتحقيق الهدف المنشود وقوة الأدلة وسلاسة الأسلوب ولغته دور كبير في التركيز والمتابعة والاقتناع.

١٠. تراجع الخطاب المسجدي في حل المشكلات الاجتماعية:

ان المتأمل في واقع المجتمع الجزائري ولذي يشبه الى حد كبير واقع المجتمعات الإسلامية الأخرى يجد أن الأوضاع تزداد سوء في مختلف مناحي الحياة، نتيجة للانتشار الكبير للمشاكل والآفات الاجتماعية، حتى أن الخطاب الديني لم يعد قادرا على حلحلة هذه المشاكل نظرا لتراجع محتواه والقائمين عليه وذلك لعدة أسباب منها:

- تجريد الخطب من قدرتها على التحريك والبناء والتغيير، وصارت كلمات ساكنة باردة، بسبب العلاقة الالية الرتيبة بين الإمام ووظيفته، وفقدت الخطب بريقها المعهود عند أئمة السلف، وفقدت نفاها وتوارت خلف حجب ضعيفة من البدع والخرافات المحجوبة المستنكرة، وخيم الضياع والرتابة والكسل والجهل والجمود على بعض المساجد.(الدمشقي، ١٩٩٦، صفحة ص١٠)

- تنامي المساجد الحرة والأئمة المتطوعون وتمرد الخطاب المسجدي: نتيجة تمرد بعض الأئمة نظرا لعدم وجود ارتباط قانوني بينهم وبين الدولة لان معظمها تبنى من التبرعات، كما أن معظم هذه المساجد لا يمكن اخضاعها للرقابة بحكم أماكن تواجدها وكثرة عددها.

- ضياع الخطبة وضياع هيبة الإمام بين الناس وانعدمت ثقتهم فيه أو كادت، واتهموه بالتخلف والنفاق وأنه يبيع دينه بعرض من الدنيا وقالوا عنه أنه موظف السلطة. وأن غالبية الخطب التي تلقى على السامعين في كل جهة عبر العالم الإسلامي تمتاز بالضعف والعجز.(بن عثمان، ٢٠١٩، صفحة ص١٨)

- الاهتمام بالجانب الشكلي والجمالي والزخرفي على حساب قيمة المسجد المعنوية وأهمية دوره، فاذا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم منبر واحد ودرجات من الخشب، ليس فيه براعة النقش ولا روعة الفن، ولا فيه قبة دعا منه فاستجاب العالم، وترك بها على الأرض أعظم أثر في تاريخ الدنيا، واليوم يملك العالم الإسلامي مائة ألف منبر مبنوثة بين اخر إندونيسيا، واخر المغرب كلها مزخرفة ومنقوشة، وفي المكبرات تحمل الصوت معها إلى افاق الدنيا، فيسمع خطبائها الملايين ولا نرى لها مع ذلك أثرا في إصلاح، ولا عملا في نهضة.(الدمشقي، ١٩٩٦، صفحة ص ١٨٨)

- غياب عنصر الاستمالة في الخطاب المسجدي، فمن الخطباء من يكون فاطر الإلقاء ضعيف التأثير فتضيع أدلته الكثيرة المقنعة هباء، ومنهم من يأتي بأدلة أقل وأضعف لكنه يثير عواطف السامعين ويلهب مشاعرهم فيتحمسون لتنفيذ فكرته ويحاول كل منهم أن يعمل على تحقيق شيء ما بقدر طاعته.(عبد شلبي، ١٩٨١، صفحة ص١٣). وبالتالي فالإقناع لا يرتبط بعدد الأدلة والبراهين بقدر ما يرتبط بقدرة الخطيب على استمالة عواطف ومشاعر الناس واستخدام هذه الأدلة في الزمان والمكان المناسبين والكيفية المناسبة.

- بالإضافة الى كل ما قيل عن أسباب تراجع الخطاب الديني فإن التغير القيمي وأساليب الاتصال لدى الناس جعل منهم يستعينون بالمواقع ووسائل التواصل للسؤال والتساؤل لحل مشكلاتهم الاجتماعية، دون اللجوء الى مرجعية المجتمع في الإفتاء والتي تعود بالدرجة

الأولى للإمام أو الخطيب للاستشارة والاستعانة به فأصبحت الوسيلة الالكترونية خاصة الهاتف ووسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا الحالي ملك للجميع الصغير والكبير، وبالتالي البحث عن الأسهل والسريع وبالتالي أثر سلبي على دور الخطيب والخطاب لحل المشاكل والآفات الاجتماعية وحلول قيم جديدة محل القيم الدينية والأخلاقية وانتشار ثقافات مختلفة نحن عن غنى عنها.

خاتمة:

إن فعالية الخطاب المسجدي أو تراجعه يخضع لعدة مؤثرات ومحددات، وأهمها الخطيب وما يملكه من معارف دينية وفن خطابة واطلاع على تطلعات واهتمامات المجتمع، والخطبة وما تتناوله، والمخاطبون والذين هم جموع المسلمين الذين يجتمعون في المساجد لأداء الصلوات وخاصة صلاة الجمعة، فمن الضروري أن تتغير المواضيع المتداولة في الخطاب الديني لتساير حركية المجتمع وتغييراته وتغير سلوكيات أفراد وعلاقاتهم، فمن غير المعقول أن تتلخص خطب الجمعة في العبادات دون الاهتمام بالمعاملات، فالدين الإسلامي أساسه المعاملات لأنها تربط بين العبد والعبد وبين العبد وربه، وخاصة مع الانتشار الرهيب للآفات الاجتماعية الغربية عن خصوصية المجتمع الإسلامي. ولهذا كان لزاما على القائمين على الشؤون الدينية والمعاهد المتخصصة في تكوين الأئمة مواكبة المستجدات الحاصلة في المجتمع من خلال تكييف تحديث اليات وبرامج التكوين، وجعل الخطب الدينية أكثر واقعية مجتمعية، فبناء عقيدة الانسان، يجب أن يرافقه بناء الفهم الصحيح للعلاقات الاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية، وهذا ليستطيع مواجهة أي اختلالات أو أي تغييرات قد تحدث في المجتمع نتيجة العوامل المحلية أو العالمية.

قائمة المراجع

- الجمهورية الجزائرية. (١٨ ١١، ٢٠١٣). الجريدة الرسمية، الباب الاول، أحكام عامة (تعريف المسجد و طبيعته القانونية)، الإدارة و التحرير (الأمانة العامة للحكومة). (٥٨).
- العيد حيتامة، سارة بوحبيبة. (١٢، ٢٠١٩). الخطاب الديني بين اساليب النجاح والمشكلات التي تواجهه. مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع، ٢(٤)، الصفحات ٤٣-٦٦.
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان. (بلا تاريخ). المشكلات الإجتماعية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- سميحة ناصر خليف. (٢٣ ١٢، ٢٠١٨). أنواع الخطابة. تم الاسترداد من <https://mawdoo3.com>.
- عبد الجليل عبد عبده شلبي. (١٩٨١). الخطابة واعداد الخطيب. القاهرة: دار الشروق.
- عبدالجليل أبو المجد، و حارث عبدالعالي. (٢٠١١). تجديد الخطاب الاسلامي وتحديات الحداثة. المغرب: إفريقيا الشرق.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- عبدالعاطي محمد شلبي ، و عبدالمقصود عبدالمعطي. (٢٠٠٦). الخطابة الاسلامية. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- علاء الدين ابن ابراهيم بن العطار الدمشقي. (١٩٩٦). أدب الخطيب. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- علي محفوظ. (بلا تاريخ). فن الخطابة واعداد الخطيب. الجزائر: مكتبة رحاب.
- فهيمة بن عثمان. (٠١ جانفي, ٢٠١٩). خصائص وغايات الخطاب المسجدي. مجلة العلوم الانسانية والحضارة، المجلد ٠١ (العدد ٠١)، ٢٧-٠٩.
- مدحت كمال نعيم. (٢٠٠٩). القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر و التوزيع.
- مديرية الدراسات القانونية و التّعاون. (٢٠١٢). مجموعة النصوص التشريعية و التنظيمية التي تحكم سير المواد البشرية في إدارة الشؤون الدينية و الأوقاف. وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.
- مصطفى حسن الحسنوي. (٢٠١١). واقع لغة الاعلام المعاصر. الاردن: دار اسامة للنشر والتوزيع.

أهمية الخطاب الديني المعتدل وسبل الارتقاء به لبناء السلم الاجتماعي

ا.م.د. ساجد صبري نعمان

الباحثة / زهراء فرحان
العنوان الوظيفي / تربية الكرخ

ملخص

لما كان الخطاب الدعوي أهم ما يشغل بال المسلمين اليوم، كان لابد من تطوير

الخطاب الدعوي وفق ما يتماشى مع العصر، ولكي يتطور الخطاب الدعوي، كان لا بد من تطوير الوسائل. أهداف هذه الدراسة تتحدث عن وسائل الخطاب الدعوي في ضوء التجديد، فتحدثت عن مفهوم الخطاب الدعوي ومقاصده وضرورة تجديد الوسائل، وتناولت أهم الوسائل التقليدية التي لا يستطيع الدعاة التخلي عنها، وأبرز الوسائل الحديثة. ومن خلال الدراسة كان هناك محاولة لتثمين إيجابيات الوسائل الحديثة في الخطاب الدعوي، وللتخلص من السلبيات ومحاربتها، ومن خلالها ظهر واقع التعامل مع تلك الوسائل.

كما بينا في الدراسة أهم الدعاة والمصلحين الذين عملوا على تجديد الوسائل، وأهم الوسائل وأكثرها شيوعاً والتي حاولت خدمة الخطاب الدعوي.

في المجمل فإن الدراسة تجيب عن أهم سؤال وهو عن مدى تأثير التجديد في وسائل الخطاب الدعوي ومعوقات تجديد الخطاب من أجل جعله خطاباً دعوياً يتماشى مع الواقع المعاصر.

وسوف يتناول البحث ما يلي :

اولاً: مفهوم الخطاب الديني ومفهوم التغيير الاجتماعي.

ثانياً: الخطاب الديني وثقافة التغيير .

ثالثاً: أخلاقيات الخطاب الديني وسماته.

رابعاً: مهددات الخطاب الديني المعتدل.

خامساً: الاعلام ودوره في نشر الخطاب الديني، سادساً: دور الخطاب الديني المعتدل في التغيير الاجتماعي (رؤية تحليلية).

خامساً: معوقات الخطاب الديني تحت ظل تحديات العصر الحديث.

(The importance of moderate religious discourse and ways to promote it to build social peace)

Since the advocacy discourse is the most important concern of Muslims today, it was necessary to develop

The advocacy discourse in accordance with the times, and in order for the advocacy discourse to develop, it was necessary to develop the means.

The objectives of this study talk about the means of advocacy discourse in the light of renewal, so it talked about the concept of advocacy discourse, its purposes and the necessity of renewing the means, and it addressed the most important traditional means that preachers cannot abandon, and the most prominent modern means. Through the study, there was an attempt to value the positives of modern means in the advocacy discourse, and to get rid of the negatives and combat them, and through them the reality of dealing with these means emerged.

We also showed in the study the most important preachers and reformers who worked on renewing the means, and the most important and most common means that tried to serve the advocacy discourse.

In general, the study answers the most important question, which is about the extent of the impact of renewal on the means of advocacy discourse and the obstacles to renewing the discourse in order to make it an advocacy discourse in line with contemporary reality.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة ونوراً للعالمين محمد صل الله عليه وعلى آله وصحبه شفيعنا ونبينا وخاتم المرسلين. أما وبعد فالخطاب الديني ليس مجرد كلمات تلقى، وعبارات متداولة على مر العصور الغاية منها الاشهار، وانما هو رسالة ذات مضمون فكري وديني واجتماعي له اهدافه وغاياته ودلالاته المؤثرة على الفكر الانساني باعث عن التشكل في الفعل الانساني لدى الشخص المخاطب الافراد المخاطبين. حيث يعني الخطاب هو كل نطق او كتابة تحمل وجهة نظر معينة ومحددة من الشخص المتكلم بها او الكاتب للخطبة من حيث فرضها نية التأثير على السامع او القارئ للخطبة من حيث الاهتمام بالظروف والملابسات التي تمت بها وصيغت منها.

إن الخطاب الديني لا ينبغي ان يكون تقليدياً وإنما يجب أن يكون خطاباً مواكباً لكل التطورات المتجددة والمتطورة التي تؤثر بالأفراد حيث يجب العمل على صفقه واعادة صياغته حسب وجهة النظر المتجددة. في إطار يتناسب مع الزمان والمكان ومختلف الجماعات البشرية اي يكون ذلك الخطاب هو الخطاب الديني المتجدد اي الخطاب ذو التأثير الايجابي على المجتمع البشري وهو الذي يستفاد منه جميع افراد الامة الصاغين لتلك الخطابات والمتأثرين بها والسامعين لها بغية الحصول على التغير الاجتماعي المطلوب التي تسعى اليه كل امة وتود تحقيقه، حيث ان الركيزة الاساسية التي يستند عليها الخطاب الديني هي انطلاقه من رؤية فكرية تستند عليها آراء وافكار الخطيب حيث ان الخطاب ذو قيمة علمية يجب ان يبنى على فهم عميق ونظرة موضوعية. ومن خلال ذلك ان الغاية من تناولنا هذه الدراسة هي معرفة الدور الكبير للخطاب الديني في التغير الاجتماعي المطلوب كون الدين هو من اكبر الدعام البشرية الداعمة للإصلاح والتغيير فهو قانون رباني قائم على الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية والابتعاد عن كل الفوارق الطبقية وتحقيق مجتمع متسامي قائم على الوحدة والاصلاح والتغير المتجدد الى الافضل في كل عصر من العصور. لكن تحتاج هذه العملية الى الترويج الصحيح بما يتفق مع دعائم الاسلام من خلال الامانة التي يحملها اصحابه والتي تحتاج الى الصدق والعدالة في الممارسة والابتعاد عن كل ما يعيق دور الدين وطريقه في الاصلاح فأن صلاح الامة هو من صلاح دينها وثباته وسوف اتناول في بحثي هذا الآتي:

اولاً: مفهوم الخطاب الديني ومفهوم التغير الاجتماعي.

ثانياً: الخطاب الديني وثقافة التغيير.

ثالثاً: اخلاقيات الخطاب الديني وسماته.

رابعاً: مهددات الخطاب الديني المعتدل.

خامساً: الاعلام ودوره في نشر الخطاب الديني.

سادساً: دور الخطاب الديني المعتدل في التغيير الاجتماعي (رؤية تحليلية).

المبحث الأول

عامية الخطاب

المطلب الأول: مفهوم الخطاب الديني

هناك معنيين للخطاب الديني، أحدهما عام والآخر خاص.

المعنى الأول: أن الخطاب الديني هو كل سلوك أو تصرف يكون الباعث عليه الانتماء إلى دين معين. سواء أكان خطاباً مسموعاً أو مكتوباً أو كان ممارسة عملية.

المعنى الثاني: (أن الخطاب الديني يراد به ما يصدر عن رجال الدين من أقوال أو نصائح أو مواقف سياسية من قضايا العصر ويكون مستندهم فيها إلى الدين الذي يدينون به)^(١٨). وهذا الإطلاق أخص من الذي قبله، وأقرب للمعنى اللغوي.

ينحصر المعنى في مجمل التعريفات حول السعي لنشر دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً، ومعاملات وبذل الوسع في ذلك، لتعليم الناس ما ينفعهم في الدارين وبذل أقصى الجهد والطاقة من أجل خدمة هذا الدين الحنيف وامثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسوله (ﷺ) ^(١٩).

المطلب الثاني

مفهوم التغيير الاجتماعي

يعرف التغيير الاجتماعي على أنه ظاهرة طبيعية تخضع لها نوااميس الكون وشؤون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة والتي تقضي إلى تغيير دائم^(٢٠). وكذلك جاء التغيير الاجتماعي "على أنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغيير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في

^(١٨) تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه د. عياض بن نامي السلمي، جامعة الإمام مهدي بن سعود الإسلامية، ص ٤.

^(١٩) المصدر نفسه، ص ٤.

^(٢٠) ينظر، الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧، ص ٧٥.

مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها^(٢١). الحرية الدينية وأثرها في صياغة الخطاب الديني.: لم يغيب عن مخيلة الإنسان حاجته إلى السلم، فهو مدني بطبعه، وهو دائماً عضو في مجتمع، الأمر الذي يحتم على ذلك المجتمع أن يكون منظماً تنظيمياً يتيح لكل فرد من أفراده أن يمارس حريته، أو أن يحقق غايته الأخلاقية، وذلك المجهود لتحقيق تلك الغاية هو الحرية في صميمها، ومبادئ التشريع هي الكفيلة بهذا التنظيم. وجاء الإسلام بالاعتراف بجميع الأديان السماوية الأخرى والتعايش معها سلمياً وهذا الاعتراف يساعد على ديمومة التعايش بين أتباع الديانات السماوية الأخرى.

ومن مصاديق ذلك:

١- أخذ الجزية من اليهودي أو النصراني أو المجوسي لضمان حمايتهم ورعايتهم. منهم مصروفة في حفظ دمتهم وحسن إدارتهم^(٢٢).

١- مشاركة الكتابيين وأكل ذبائحهم، وفي ذلك إشاعة للتقارب والتوادد والمحبة: فقد سئل ابن عباس (ت ٥٦٩هـ) عن ذبائح نصارى العرب فقال: لا بأس بها^(٢٣).

٢- المبالغة في رفض كل فكرة وافدة، والحذر الشديد من الأخذ بشيء مما عليه أتباع الحضارات الأخرى فبذلك يجعلون الفكر الإسلامي منفرد بخصائص ذاتية تنفي عنه مشابهة أي حضارة أخرى وأي نظام آخر عرفه العالم قديماً أو حديثاً. فهذا المنهج يؤدي إلى وضع الحضارة الإسلامية في بؤدة يجعل مكانة المسلمين تتراجع في مقام التقدم في صياغة الخطاب الديني الذي يقدمه للحضارات الأخرى. إن من أوجه التقارب بين المسلمين وغيرهم وصية المسلم للذمي، وهذا ما اتفق عليه جمهور الفقهاء في جواز الوصية^(٢٤).

٣- وهذه من أشهر مصاديق التجديد للحرية الدينية التي كان يتمتع بها أهل الكتاب، من خلال انتشار اديرتهم وكنائسهم في بلاد العرب^(٢٥)، والمسلمين وهذه أشهر أسماء علماء المسيحيين الذين كانوا سبب في نشر الحضارة العربية الإسلامية، وهم أمثال (سعيد بن

(٢١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، انكليزي - فرنسي - عربي، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٨٢.

(٢٢) ينظر، الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ١٣٤٠/٩.

(٢٣) ينظر، الموطأ، مالك ابن أنس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٧م، ط ١، ٦٣١/٢.

(٢٤) ينظر، التهذيب في الفقه الشافعي، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عادل محمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٤م، ٧٢/٥.

(٢٥) ينظر، لمحات من تاريخ نصارى العرب، قاشا سهيل، مطبعة شفيق، بغداد، ص ٧٦.

بطريق مؤلف كتاب التاريخ، وإسحاق بن حنين، وسعيد التستري، وأبي مليح المماتي^(٢٦)، وهذا الأخير قدم نموذجاً رائعاً للتضامن الأخوي والتعايش السلمي بين أهل المذاهب والأديان.

الخطاب الديني وثقافة التغيير

ان الخطاب الديني الفعال هو الخطاب الذي يمكن الإنسان من تحقيق الأهداف التي خلق لأجلها القائمة على القوانين الربانية العادلة وعمارة الأرض، حيث ان الخطاب الديني المعتدل القائم على النصوص الشرعية والاستدلال الصحيح هو أفضل طريقة يمكن للأفراد والدول استعمالها لعلاج جميع الانحرافات التي تعاني منها المجتمعات اليوم سواء كانت هذه الانحرافات عقدية ام فكرية^(٢٧).

تعمل الامم والشعوب لتغيير واقعها المعاش من حيث توفر الفرصة المناسبة لتحقيق ذلك الانجاز والتغيير الذي يقودها الى الأفضل مما كانت عليه سابقاً ومن خلال تحقيق ذلك التغيير لابد من توفر ووجود الحوافز والاسباب التي تدعوا له وتعمل جاهدة على تحقيقه مهما كانت الظروف والنتائج.

حيث يعتبر الخطاب الدين المتدل هو أحد وأهم عوامل التغيير في المجتمعات وهو من العوامل الرئيسية في تكوين الحضارات، حيث لا توجد دعوة دينية إلا وكان لها اتباع يؤمنون بها ويتبعون قواعدها الصالحة والمعمرة وان غاية واثر الدين الصحيح هي إصلاح القوم الذين خوطبوا به، ومشوا بطريقة على اسس مهمة في البناء والاكتمال للمجتمع ومن هذه الاسس هي العدالة وهي اساس البناء واعداد الارض وتغيير جميع بنى المجتمع من خلال القواعد الصالحة التي يسير عليها الخطاب الديني واسسه المعتدلة الفاعلة في بناء وتغيير المجتمع من خلال تغيير عقول افراده واخفاء الضلالة عنهم وتبصيرهم بكل ما يؤمن لهم السلام والعدالة المجتمعية كي يحتضنوا مجتمعاتهم ويعملوا على القضاء على كل ما يؤدي الى دمارها فكرياً واجتماعياً ودينياً. من خلال انتشالهم من حضيض الانحطاط الى اوج السمو حيث ان لكل قضية دينية اتباع ومعارضين ومن هنا تبرز اهمية عملية التغيير التي تتم من خلال العمل على تبيان المكاسب الدنيوية عند اعتناق الدين الجديد^(٢٨)، حيث (ان للخطاب الديني دور كبير على ابقاء باب التغيير مفتوحاً ليتواءم مع التطورات من زمان لزمان ومن جيل لجيل وذلك من خلال النظر الى المستقبل بفكر منفتح وعقل قادر على التكيف مع متطلبات الزمان الذي يعيش فيه كون هذه الفترة الزمنية التي يمر بها مجتمعنا اليوم تحتاج الى ثقافة خطاب واعية قادرة ومتجددة على تغيير

(٢٦) ينظر، لمحات من تاريخ نصارى العرب ، مصدر سابق، ص ٧٧.

(٢٧) ينظر، في علم الكلام، أحمد محمود صبحي، ص ٥١-٥٣.

(٢٨) ينظر، في علم الكلام، مصدر سابق، ص ٥٣-٥٤.

العقول الفردية ومن ثم تغير المجتمع الذي بدأ يتلاشى وينهار بسبب العصابات التكفيرية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ منه والذي بدأت تؤثر على العقول الفردية بشكل كبير جداً عمل على فقدانها مبادئها وأصولها الدينية التي نمت وترعرعت عليها^(٢٩).

لذلك يجب الاكثار من الخطب الدينية المعتدلة التي لها الدور الكبير والنظم الواعية منذ عصور قديمة جداً في التجدد والتغيير واصلاح الامة كون الدين هو عماد المجتمع وصلاحه، كون التأثير الروحي للدين مازال قائماً ليس عند العرب فقط بل في جميع انحاء العالم الاسلامي، وان كان هنالك دور في تراجع المجتمعات والكيانات الاسلامية على المستوى العلمي والسياسي.

المبحث الثاني

سمات الخطاب وأخلاقياته

المطلب الأول: اخلاقيات الخطاب الديني وسماته

لعل من اهم المبادئ الأخلاقية للخطاب الديني الموضوعي، عدم اللعب بمشاعر العامة، بما يخدم ايديولوجيات معينة، تتخذ من هذه الشريحة الاجتماعية وسيلة لتحقيق مآربها، سواء على الصعيد السياسي أو الديني^(٣٠). إن أهم سمة من سمات الخطاب الديني الربانية في المصدر والمنشأ، فالخطاب الديني يجب ان يكون ربانياً في مصدره ومنشأه يستمد مبادئه وقيمه من تعاليم الدين الحنيف والسنة النبوية الشريفة التي امر بها الله وامر بنشرها بين الناس جمعاء لأنقاد البشرية من الظلمات الى النور منوراً بنور سيد الخلق محمد (ﷺ) . ومن خلال ذلك يجب العمل على تأسيس إعلام ديني موضوعي متسامح يعمل على اشاعة المفاهيم الدينية والانسانية المشتركة بين بني البشر كافة لا تميز بين فئة وفئة اخرى اي البشر جمعاء ، وحتى يكون الخطاب الديني متوازن وايجابي اي يصب في مصلحة الكل دون التمييز بين جماعة واخرى، يجب ان يكون:-

1- سليماً وصحيحاً ويكون الهدف منه غاية الجميع اي استيعاب الرؤى والحقائق المتعالية التي من خلالها يتسامى المجتمع البشري وتعلوا قيمته الاخلاقية القائمة على العدل والمساواة من خلال ما يؤديه الخطاب الديني والعاملين به اي الاعلام الديني^(٣١).

(٢٩) الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع ، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٣٠) ينظر، حوارين الفلاسفة والمتكلمين ،الألوسي، د. حسام الدين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٣٢.

(٣١) مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد، ، عمار الكفيسي، دار الهادي، بيروت، ط ٢٠٠٦م، ص ١٦٧.

2- ومن اهم الامور التي يتسم بها الخطاب الديني هي ان يساهم في تهدئة الازمات التي تعرض ويتعرض لها المجتمع بصورة مستمرة وبالذات في هذه الفترة التي بدأ المجتمع ينهار بسببها والتي تمثلت بالازمات الطائفية والعرقية وغيرها، وبعبارة ذلك اذا ادى الخطاب الاعلامي الديني دوراً سلبياً في أدائه فإنه يخلق حالة من التوتر والقلق النفسي لدى أفراد المجتمع تحقيقاً لما يصبو إليه أعداؤه^(٣٢).

3- ومن اخلاقيات الخطاب الديني ايضاً يجب اشعار الفرد بممارسة حرية رأيه اي الحوار المفتوح للأفراد حيث ان انعدام الحوار وغلق الابواب امام الفرد وعدم التعبير عن الرأي يؤدي الى شعور الفرد بالكتمان والكبت والقمع مما يؤدي الى التنفيس عن همومه في أجواء مغلقة خلف ابواب موصدة، حيث ان حرية الرأي والتعبير والحوار يؤدي الى تخفيف حدة التوتر وارساء أسس الانسجام والوئام بين الشعوب المعمرة والبلدان الاسلامية تمهيداً لسبل الارتقاء نحو مجتمع افضل وحضارة ارقى^(٣٣).

المطلب الثاني

مهددات الخطاب الديني المعتدل

ان الدعوة الى الله تعالى ونشر القيم الصالحة والناقلة المجتمع من وضع بائس الى وضع افضل عبر الخطاب الديني المستقيم هي من افضل الاعمال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣٤) اي لأقول احسن من القول الصالح وقول الحق. ان الخطاب الديني عام لا يقتصر على جماعة وجماعة وانما واعظ لكل غافل وتعليم كل جاهل والدعوة الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال والسير وفق سلوك المنهج النبوي المعتدل الذي هو الاساس في الدعوة الى التعليم و الاصلاح والتغيير والتصحيح والعلاج.

مثلاً توجد مقومات وشروط صحيحة يجب ان يتحلى بها الخطاب الديني لكي يكون خطاباً سليماً مثمراً فإن هنالك في المقابل مهددات سلبية تسيء له وتعمل على تشويهه حيث يجب تجنبها والحذر منها، حيث ان هذه المنحرفات او المهددات لها الاثر الكبير وهو مانعاني منه اليوم بصورة كبيرة جداً في مجتمعاتنا وبالأخص المجتمع العراقي من تشويهه في الخطاب ونبذ الحقيقة

(٣٢) الأسس الدينية للتعايش الإنساني في الأديان السماوية، د. عبد الرزاق رحيم صلال، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠٠٨م، ص ١٢٠.

(٣٣) ينظر، غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي، (ت: ٥٦٠هـ)، دار الفكر بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٩٠.

(٣٤) سورة فصلت : الآية ٣٣.

والاكتيان بتعاليم تحرف الشباب والداعية عن طريق الوسطية والاعتدال وتزج بهم في متهات
الفرط والتفريط^(٣٥).

وبسبب كثرة هذ المهددات اليوم نتيجة الانجرار وراء العصابات التكفيرية التي تنبعث لنا في كل
حين واخر بنوع جديد من الافكار المشوهة والرذيلة التي تزج بمجتمعاتنا في الهلاك. من
مهددات الخطاب الديني:-

اولاً:- تحريف اهداف الخطاب الديني، ومن صور ذلك الغلو في مسائل السياسة والحكم والإمامة
والخلافة، واعتبارها الغاية الأولى والأساس، حتى رأينا المغالين يعتبرون تحقيق هذه الأمور من
اول الواجبات على المكلفين والعاملين في الدعوة. حيث ان هذا الغلو شنيع في بناء الشرع والذي
يبين ان الغاية الأساس من الدعوة الى الله هي هداية الناس وتحبيبهم في عبادة الله وتوحيده
وتقواه، حيث غرر المتشددون الكثير من الشباب في هذا الباب، حتى اوهموهم بأن الحكومات
القائمة اليوم كافرة وان الأرض اليوم مطبقة بالكفر والردة^(٣٦).

ثانياً: ظهور بعض الجماعات المتشددة والمنسوبة الى الدعوة الدينية والخطاب الديني ظلماً
وبهتاناً، من خلال عدم وضوح ورؤية الاتجاهات الإسلامية وتضاربها وعدم او قلة التعامل مع
قضايا العصر ومتطلباته فضلاً عن الانانية وحب الذات اي بسبب اعجاب المنتسبين الى الدعوة
الدينية بنفسه وعدم رؤية مصلحة الأفراد والمجتمعات اي تفضيل مصالحهم الشخصية على
المصلحة الفردية اي مصلحة الجماعة من خلال الجهل بالمقاصد الشرعية والتغاضي عنها،
والخلل في ترتيب الأولويات^(٣٧).

ثالثاً: الاعتماد كلياً على العقل اي القوانين العقلية الحاكمة دون الانجرار وراء العاطفة الهائلة
من دون انضباط بالشرع حيث تعتبر هذه من الاسباب التي توقع في شرك الاعتقاد قبل
الاستدلال بما هو ينفع وما هو يضر وما الذي يجب ان يكون صحيحاً، حيث ان العقل ممكن ان
يعتريه ضعف في المدارك وقصور في التفكير والوقوع في الحيرة والاضطراب وسيطرة
الخرافات عليه وغير ذلك.

الاعلام ودوره في نشر الخطاب الديني:

ان العلاقة بين الاعلام والخطاب الديني علاقة مهمة جداً من حيث ان الاعلام هو الأداة التي
تسوق الكلام وتنشره، من خلال دوره الكبير في نشر وتظهير الخطاب الديني وقياس اهميته
وتأثيراته السياسية والاجتماعية وكيفية تعاويه مع الواقع الاجتماعي والسياسي من خلال دور

(٣٥) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تحقيق، سليمان دنيا، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٤٥.

(٣٦) ينظر، بين الدين والفلسفة، محمد يوسف موسى، القاهرة ١٩٥٩، ص١١٧.

(٣٧) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مصدر سابق، ص١٤٧.

الاعلام في صناعة السلام وتعزيز فرص انضاج الحلول في مجتمعات منقسمة، حيث ان مبادرة طرح موضوع الخطاب الديني ودرس تأثيراته وفاعليته من خلال وسائل الاعلام ودوره في معرفة كيفية استخدام الخطاب وفنية توظيفه لخدمة اهداف سياسية او طائفية بعيداً عن المعنى الروحي والبعد الانساني لمضامين الخطاب^(٣٨).

الخطاب الديني لا يمكن أن يُحقّق مقاصده، ولا أن يبلّغ هدفه بلا إعلام يُركّز على الثوابت فيه ويركز على محاسن الدين ويدعم محاور الاتفاق ويُنقّي حامي الرسالة من الأتقياء. حيث ان للإعلام الوطني دور كبير في التصديّ للإرهاب، علمًا بأنه لا يمكن ان يختلف أي اثنان في أنّ للإعلام وسيلة مزدوجة الاستخدام؛ فقد تكون وسيلة بناءٍ وارتقاءٍ بالأوطان، وقد تكون وسيلة هدم وتفنيت للشعوب وللقيم، وكونها كذلك فهذا يدعو لمراجعة كل ما يصدر عن هذه الوسائل ومن يتحدثون فيها، ويلقون الخطب الدينية او غيرها حيث للإعلام دور كبير في التشويه والرياء او البناء والتعمير^(٣٩).

دور الخطاب الديني المعتدل في التغيير الاجتماعي:

لا يخفى على احد ان للخطاب الديني اثر كبير في توجيه الإنسان وتهيئة طاقاته لمواجهة مختلف تغيرات الحياة نحو الكمال الخلقى، فلقد جاء الخطاب الديني اي الدين بصورة عامة لتقويم افكار الناس وسلوكهم وتطوير مستوى حياتهم وحثهم على الالتزام بالقيم الحميدة والابتعاد عن المحرمات والخبائث التي تضر وتخرّب البلاد وتفسد العقول والضمائر. حيث كانت من ابرز مقومات الخطاب الديني المعتدل كي يحقق التغيير المجتمعي المتكامل هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لملاحقة النواقص والانحرافات في كل مجالات الحياة ومواجهتها بالتغيير والاصلاح بشكل مستمر لا يتيح لها فرصة النمو والاستفحال.

حيث ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين، حيث ان التغيير الاجتماعي ضرورة حياة لا بد ان يسعى اليها كل مجتمع حيث ان هذا التغيير للمفاسد والتناقضات لن يتم إلا من خلال التغيير النفسي ولهذا كانت من ابرز خصائص الخطاب الديني:

هي ان يبدأ ببناء الفرد بناءً متكاملًا حتى يكون اللبنة الأولى في البناء والتغيير الاجتماعي حيث يكون ذلك البناء دائماً قوياً ما دامت لبناته الاساسية سليمة^(٤٠). ومن خلال ما نلاحظه اليوم في دعوات الاصلاح والتغيير هي التركيز على الفرد كون الفرد هو اللبنة الاساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي كله فهو خلية في جسد المجتمع الكبير وان سلامته تعني سلامة المجتمع بأكمله ولهذا اشتدت عناية الاسلام بالفرد في كل مراحل حياته لأنه اساس الاسرة والمجتمع فإذا صلح

(٣٨) الاعلام والخطاب الديني في لبنان، د. جورج كلاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٧٩.

(٣٩) مقارنة الأديان، المسيحية، د. أحمد شليبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٩٦٦، ٤، ص ٧٥.

الفرد صلحت الاسرة واذا صلحت الاسرة صلح المجتمع وان صلاح المجتمع هو من صلاح الامة، حيث ان تغيير الأفراد له اهمية كبيرة في التغيير الاجتماعي. ولذلك فأن من ابرز ما يقوم به الخطاب الديني المعتدل لتحقيق التغيير المجتمعي ما يلي:- أ - نشر العلم وتعليم الافراد والجماعات التعاليم الدينية، من خلال امداد الفرد بالإطار السلوكي القائم على التعاليم الدينية.

ب - تنمية الوازع الديني ودعم روح الأخوة والتعارف بين الأفراد من خلال توحيد السلوك الاجتماعي وتنمية روح التكافل الاجتماعي من خلال الأعمال الخيرية. بسبب الواقع البئيس الذي يعيشه العالم اليوم اجمع وبالأخص المجتمع العراقي نتيجة فقدان الاسس الدينية التي يبنى عليها اي مجتمع من المجتمعات ولأن الدين عماد الامة لذلك يجب على المسلمين كافة ان ينشروا الخير الذي عندهم والذي يقدم الحلول الناجحة لمشاكل العالم اليوم مستخدمين في ذلك ادوات العصر ولغته في مخاطبة الناس، من خلال دور الخطاب الدين الفعال في التجدد والابتكار لكل ما هو افضل للناس جميعاً. وتقديم ما يخدم الانسانية فالخطاب الحق والعدل اساس بناء المجتمع وتغييره.

حيث يجب توجيه الخطاب الديني الى وضع الحلول والبدايل الاسلامية لجميع الظواهر التي تعمل على تدميره وانحطاطه. والمتفاقمة في اصقاع المعمورة.^(٤١) واخيراً لا يسعني الا ان اقول: اذا اردنا خطاباً دينياً متطوراً داعياً الى الاصلاح والتغيير المجتمعي فيجب علينا اتباع القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ لأن الإسلام لم يدع لأتباعه حجة في التضليل او التحريف او التغاضي عن الحق، فلذلك يجب على كل من يعرف قيمة الدين وغايته الاساسية واهدافه الحسنة يجب عليه ان يتعامل معه بخطاب يتناسب ومكانته السامية ومقداره الرفيع، حيث لا يوجد عاصم من الانحراف والتضليل في الخطاب الديني.

المطلب الثالث : معوقات الخطاب الديني تحت ظل العصر الحديث

لكل عمل في العصر الحديث معوقات تقف في وجهه سداً منيعاً ومن المعوقات التي تقف أمام تجديد الخطاب الديني، هي: "الممانعة المجتمعية، والتراث الحاكم، وعقبة الإصلاح العام، وأظهر هذا العصر عقبة جديدة رابعة، هي: المعوق الثقافي"، والمقصود بها: العناصر المعوقة في ثقافة الخطاب الديني المعتدل التي انتقلت إلينا من العصور السابقة، ولا شك أن الثقافة العربية، كغيرها من ثقافات الأمم الأخرى، فيها الإيجابي المحمود، والمعين على البناء والتنمية

(٤٠) الاعلام والخطاب الديني في لبنان، مصدر سابق، ص ٨٠.

(٤١) التوحيد ، محمد بن علي الصدوق، محمد بن علي(ت ٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ، ص ١٦٣.

والنهضة والتقدم، وفيها أيضاً، السلبي، غير المناسب لعصرنا، المعوق للتجديد والإصلاح والنهوض والتقدم^(٤٢).

لكن الأمم الأخرى استطاعت تجاوز العناصر السلبية في ثقافتها، أو تحييدها، وتغليب العناصر الثقافية الإيجابية واستثمارها في نهضتها، ونحن لم نتمكن من إجراء هذا التجاوز، والعبور إلى عالم الحداثة، إذ لازالت العناصر السلبية، في الثقافة العربية تشكل حواجز منيعة أمام هذا العبور والتجاوز.

الثقافة العربية، وكما أهل العلم والتطور: "هي التي تصوغ العقلية والنفسية الجمعية للعرب، وتشكل نظرتهم للعالم"^(٤٣)، والناس يعيشون مقولبين بالثقافات التي تربوا عليها، وبالإرث التاريخي الثقيل الذي انتقل إليهم دون اختيارهم، فالمجتمع يرث من أسلافه أسلوب الحياة، وطريقة التفكير، ومنظومة القيم، وشبكة العلاقات، وهو يورثها (تلقائياً) لأفراده، ولا خيار في ذلك، لا للمجتمع ولا للأفراد، لأن عقول الناس محكومة بهذه الثقافة التي نشأوا عليها، وهكذا فإن الثقافات هي قوالب للعقول.

النتائج والتوصيات

1- نستنتج من الدراسة الحالية مدى اسهام الخطاب الديني المعتدل في عملية التغيير الاجتماعي حيث يسعى من ورائه الى العمل على بناء المجتمع المسلم الاخلاقي الخاضع لأوامر الله والقيم الاخلاقية السامية لما لها من دور فعال في توجيه افراد المجتمع وتحقيق بناء المجتمع العامل المقدس المهتم بالعلم كأساس للرقى والتطور.

2- نستنتج من دراستنا هذه ان الخطاب الديني المعتدل هو الخطاب الذي يسير وفق ضوابط معينة ترجع الى صفة الخطاب والتي من اهمها الوضوح بحيث يتمكن عامة الناس من فهمه، وان كثرة الدعوة الى تجديد الخطاب الديني في الآونة الاخيرة اي السنوات الاخيرة المقصود منها هو نبذ التعصب للمذاهب والطوائف الدينية. التي بدأت تنسب كل ما تفعله الى اسم الدين واحكام الله فيجب ان يقوم الخطاب الديني على اسس العلم والعدالة وفقه النفس ومعرفة مقاصد الشريعة واحوال الناس وبذل غاية الجهد في معرفة الحق.

توصيات ومقترحات

1- اننا بحاجة الى خطاب ديني يؤكد على ضرورة التعامل الايجابي مع الآخر اي التعامل السليم مع افراد المجتمع من خلال تفهم الآراء والافكار ودراسة السلوك النفسية والاجتماعية للأفراد بعيداً عن الانغلاق الذاتي الذي لا يحترم السلم الاجتماعي.

(٤٢) مقارنة الأديان، المسيحية، مصدر سابق، ص ٧٦.

2- العمل على تجديد الفكر والرؤية بكل ما هو جديد ونعمل على تطوير خطابنا الديني كي يلقي اذاناً صاغية وقلوباً واعية والعمل على ممارسة الاجتهاد الفقهي بكل ثقة وبخلاف ذلك فأنا نبقى من حيث نحن لا نتغير ولا نتجدد وقانعين بالتبعية والتخلف والطائفية والتطرف وكل ما يسئ لنا ويعمل على دمارنا دينياً واخلاقياً تمر بنا مواكب الامم وهي حاملة السيادة والقيادة ونحن نكتفي بمجرد اعلان السخط والرفض والانكار.

3- أن يكون الخطاب الديني إيجابياً في كل مناحي الحياة وينفع جميع الناس من خلال تحقيق التنمية المستدامة، والعدالة الاجتماعية، والقضاء على البطالة، والاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها.

٤- يجب على الخطاب الديني ان ينطلق من القاعدة الاساسية التي تتضمن جلب المصالح وتكميلها ودفع المفسد وتقليلها التي جاءت بها الشريعة الاسلامية أي يجب على الخطاب الديني ان يراعي كل ما اتت به الشريعة الاسلامية والقوانين الدينية العادلة.

المصادر والمراجع

- ١- تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه د. عياض بن نامي السلمي، جامعة الإمام مهدي بن سعود الاسلامية، ١٩٨٦.
- ٢- الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٣- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، احمد زكي بدوي، ، انكليزي - فرنسي- عربي، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ١٩٨٢ م.
- ٤- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي، بيروت، ١٩٨٢ م.
- ٥- الموطأ، مالك ابن أنس ، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٧، ٢م.
- ٦- التهذيب في الفقه الشافعي، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عادل محمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٤، ١م.
- ٧- لمحات من تاريخ نصارى العرب، قاشا سهيل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٩١.
- ٨- في علم الكلام، أحمد محمود صبحي، دار الهادي للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ.

(٤٣) الاعلام والخطاب الديني في لبنان، مصدر سابق، ص٨١.

وقائع المؤتمر العلمي الثامن لقسم الدراسات السياسية في مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية للعام ٢٠٢٢

- ٩- حوارين الفلاسفة والمتكلمين، الألوسي، د. حسام الدين، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١٠- مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد، ، عمار الكفوشي (معاصر)، دار الهادي، بيروت، ط٢٠٠٦م.
- ١١- الأسس الدينية للتعايش الإنساني في الأديان السماوية، د. عبد الرزاق رحيم صلال، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠٠٨م.
- ١٢- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي (ت٥٦٠هـ)، دار الفكر بيروت، ١٩٨٧.
- ١٣- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تحقيق، سليمان دنيا، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٤٥.
- بين الدين والفلسفة ، محمد يوسف موسى، القاهرة ١٩٥٩م.
- ١٤- الاعلام والخطاب الديني في لبنان، د. جورج كلاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٧م.
- ١٥- مقارنة الأديان، المسيحية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٦٦، ٤م.
- ١٦- التوحيد ، محمد بن علي الصدوق، محمد بن علي (ت:٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١٤٢٧هـ.

مستقبل الأمن في ضوء التطورات الدولية الراهنة (الحرب على أوكرانيا)

أ.م. د محمد صلاح محمود

م. جاسم محمد طه

كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل

الملخص:

يركز هذا البحث على توجه دول العالم بعد الحرب التي شنتها روسيا على أوكرانيا في شباط ٢٠٢٢ نحو تعزيز وتكثيف مصالحها الأمنية بقصد تحقيق أهداف الأمن المتبادل من خلال العودة الى تشكيل أو الدخول في مزيد من التحالفات والتكتلات بكل أشكالها السياسية والعسكرية والاقتصادية والأمنية من جهة وعودة تطبيق لعبة ضغوط العقوبات الاقتصادية بشكل فردي أو جماعي من جهة أخرى- حجر الزاوية- لإعادة تحديد مسار العلاقات الدولية الأوروبية - الروسية والأمريكية - الروسية، نتيجة تزايد المخاطر والتهديدات الأمنية التي أصبحت أكثر تعقيداً جرّاء تعرض أوروبا والعالم لتهديدات جدية تمس الأمن العالمي بكل أشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية والانسانية والبيئية مصدرها القوة الكبرى (روسيا) وما نتج عنها من حدوث أزمة مهاجرين كبيرة صوب دول أوروبا الغربية شكلت خطراً حقيقياً على الأمن والاستقرار في العالم. وهنا كان لابد من الاستعانة بالنظرية الواقعية التي تقدم تفسير علمي(واقعي) عن الأمن وكيفية تحرك الوحدات الدولية واستجاباتها لصراعات القوى في البيئات المحيطة بها، وباعتبارها تضيي شرعية العدوان على أوكرانيا بخلاف نظرة الليبرالية للأمن.

الكلمات المفتاحية: الأمن، الحرب الروسية على أوكرانيا، الواقعية، الليبرالية.

Future of Security in Light of Current International
Developments (The War on Ukraine)

Mohammed Salah Mahmood

Jassim Mohammed Taha

University Of Mosul/College Of Political Sciences

Abstract:

This research focuses on the orientation of the countries of the world after the war that Russia launched against Ukraine in February 2022 towards strengthening and intensifying their security interests with the aim of achieving mutual security goals by returning to forming or entering into more alliances and blocs in all their political, military, economic and security forms on the one hand and the return of the application of the game The pressures of economic sanctions individually or collectively on the other hand - the cornerstone- to redefine the course of European-Russian and American-Russian international relations, as a result of the increasing security risks and threats that have become more complex due to the exposure of Europe and the world to serious threats to global security in all its political, military, economic and human forms The source of the environment is the major power (Russia), and the resulting crisis of migrants towards Western European countries posed a real threat to security and stability in the world. Here it was necessary to use the realistic theory that provides a scientific (realistic) explanation about security and how international units move and respond to power struggles in the

surrounding environments, and as it legitimizes aggression against Ukraine in contrast to the liberal view of security.

Keywords: security, the Russian war on Ukraine, realism, liberalism.

المقدمة

لم تشهد القارة الأوروبية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ اندلاع حرب عدوانية شاملة كما شهدتها مطلع العام ٢٠٢٢ ، حينما غزت روسيا الاتحادية بعملية عسكرية واسعة النطاق الدولة الجارة من جهة الغرب بهدف تحقيق ما يُعرف بـ "فنلدة" أوكرانيا، والتي تعني (حيادية أوكرانية)، إذ شكّل هذا الهجوم تهديداً واضحاً وكبيراً للأمن الإقليمي والأوروبي بات يُهدّد سيادة الدول الأوروبية سواء تلك المطلة على البحر الأسود أو بحر البلطيق ، وكشف عن التساهل الأمريكي والتجاهل الغربي للتمدد العسكري الروسي منذ عام ٢٠٠٨ وأثار العديد من الاشكالات الأمنية الجديدة العسكرية والاقتصادية والانسانية الناتجة عن هذا الهجوم، سيما أن الهجوم الروسي على أوكرانيا غدا يُشكّل تهديداً فعلياً للأمن والاستقرار الدوليين، حتى أصبحت أوروبا الشرقية بفعل مجريات الحرب منطقة جيوبوليتيكية صراعية خطيرة لها انعكاساتها السلبية على العلاقات الدولية بين روسيا من جهة وأوروبا الغربية والولايات المتحدة من جهة أخرى. كما وضعت الحرب مسألة الأمن في العالم أمام اختبار حقيقي يتطلب وضع الصيغ والاحكام اللازمة لزيادة فرص الحفاظ على الأمن والاستقرار العالمي والإقليمي وتجنب حالة انهيار الأمن بمجمله وانفتاح التوقعات على عدة سيناريوهات لعلّ أخطرها اندلاع حرب كونية.

وقد تم تسليط الضوء من جديد على مسألة الأمن مع وصول (فلاديمير بوتين) للحكم عام ٢٠٠٠، وحينها تصاعد الدور الروسي وجرت عدة محاولات لقلب النظام الدولي الراهن القائم على أحادية القطبية بدأتها روسيا بشن الحرب الجورجية عام ٢٠٠٨، وغزو شبه جزيرة القرم وضمتها إليها عام ٢٠١٤، وأخيراً تصاعد الشعور بحدة التحديات أو التهديدات الأمنية في أعقاب ما شهده العالم من حدوث حرب اقليمية متمثلة بالغزو العسكري الروسي الكبير لأوكرانيا في ٢٤ شباط ٢٠٢٢ وما قد يُسفر عنه من اعادة النظر بالترتيبات الأمنية العالمية متمثلة بتأسيس نظام أو

بنية أمنية أوروبية وعالمية مستقبلية تُستبعد منه روسيا وتقوده الولايات المتحدة والدول الغربية الكبرى متمثلة بفرنسا وبريطانيا وألمانيا.
أولاً:- أهمية البحث:

ترجع أهمية موضوع البحث لاعتبار علمي (نظري - أكاديمي) فضلاً عن الأهمية العملية: اذ تعتبر "الحرب على أوكرانيا" من القضايا الهامة المثارة على الساحة الدولية حالياً، وذلك بسبب الغزو العسكري الخارجي من قبل الدولة الكبيرة الجارة روسيا. لذلك تهدف هذه الدراسة الى تحليل و تفسير "الحرب على أوكرانيا" بالإضافة الى أنها باتت تجذب اهتمام كبير من قبل الباحثين والأكاديميين وصانعي القرار من منطلق أنها جزء لا يتجزأ من " النظام أو الصراع الدولي". وتكمن الأهمية العملية في رقد المكتبات بمعلومات عن موضوع الحرب الروسية الاوكرانية وعن واقع ومستقبل الأمن في ظل هذه الحرب من خلال تقديم رؤى مستقبلية عن طريق صياغة مجموعة من السيناريوهات والمشاهد المستقبلية والتعرف على الفرص والكوابح والمعطيات لكل مشهد وأيهما أقرب للتحقق .

ثانياً: المشكلة البحثية:

تتمثل مشكلة البحث في بيان تأثيرات الحرب الروسية الاوكرانية على مستقبل الأمن في أوروبا والعالم، بعد أن شهد العالم اجتياح عسكري كبير وخطير في آن معاً منذ أواخر شهر شباط ٢٠٢٢ من قبل روسيا الدولة العظمى للأراضي الأوكرانية نظراً لاعتبارها من قبل روسيا قضية أمن قومي ورفضها فكرة انضمام أوكرانيا الى منظمة حلف الناتو ، الأمر الذي قاد الى استجابة قاسية من قبل روسيا (ردة الفعل) واصطفاف القوى الغربية بالمقابل (الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة) الى جانب أوكرانيا. ولغرض بحث الاشكالية المقدمة ، فإنه يتطلب الإجابة على عدد من الأسئلة الفرعية التي يثيرها البحث:-

- ١- أيهما الأقرب من تفسير الأمن، النظرية الواقعية أم النظرية الليبرالية؟
- ٢- ما أسباب الحرب على أوكرانيا؟
- ٣- ما الغايات التي تسعى أوكرانيا الى تحقيقها من خلال الانضمام إلى حلف الناتو؟
- ٤- كيف أسهمت الدول الغربية وحلف الناتو في الحرب على أوكرانيا؟

٥- ما أبرز السيناريوهات أو المشاهد المستقبلية التي يُمكن صياغتها والمتعلقة
بواقع ومستقبل الأمن في ضوء الحرب على أوكرانيا؟

ثالثاً: فرضية البحث:

يستند البحث على فرضية مفادها أن هناك علاقة طردية بين مفهومي التهديد
الأمني من جهة وعدم الاستقرار وتحفيز التحالفات الأمنية والاقتصادية في ميدان
العلاقات الدولية من جهة أخرى، إذ أن أي زعزعة أو تهديد للأمن في منطقة
جغرافية مهمة من العالم سيفضي الى حالة من عدم الاستقرار والاضطراب الأمني،
فضلاً عن احتمالية نشوب حرب تتدخل فيها قوى خارجية دولية هامة، مما يُشكّل
تحدياً وتهديداً جديداً للأمن المأزوم أصلاً، ويزيد من تعقّد المعضلة الأمنية ووسائل
حلّها أو القدرة على تفادي الآثار السياسية والاقتصادية والبيئية الناجمة عنها، كما
ويُفضي ذلك الى نشوء أو تجديد عقد شراكة التحالفات بشكل أقوى وأرسخ في ميدان
العلاقات الدولية لتحقيق أهداف أهمّها الأمن.

رابعاً : منهجية البحث

لأغراض البحث تم اعتماد المنهج الاستشرافي في دراسة الحرب الروسية على
أوكرانيا وتأثيرها في الأمن، كونه يُعد من المناهج الأساسية للدراسات المستقبلية،
فهو يُفيد في طرح رؤية تنبؤية استشرافية خاصة بمستقبل واحدة من الظواهر ويُقدّم
مجموعة من الاحتمالات أو البدائل أو السيناريوهات المستقبلية، كذلك يقوم هذا
المنهج على فكرة استقراء الماضي وفهمه ورصد اتجاهات التطور في الماضي وفهم
الحاضر من أجل تقديم مجموعة رؤى استشرافية منضبطة. فضلاً عن الاستعانة
بالمنهج الوصفي، لفهم ووصف مجريات الأحداث وتطوراتها.

خامساً : الإطار الزماني والمكاني

-الإطار الزمني، تبدأ الحدود الزمنية للبحث في ٢٤ شباط ٢٠٢٢ وهو تاريخ
بداية الحرب والتي ما تزال مستمرة حتى الآن، وهي الحرب التي شنتها روسيا
على أوكرانيا.

-الإطار المكاني، يتحدد الإطار المكاني للبحث بساحة المعركة الممتدة بالمساحة
الجغرافية بين روسيا و أوكرانيا فضلاً عن تداعياتها المستقبلية على الساحة

الجغرافية الأوربية ، وتقع أوكرانيا في قارة أوربا في المنطقة الشرقية، وتتمتع بموقع استراتيجي، اذ تقع على تقاطع الطرق بين قارة آسيا وأوروبا، هذا بالإضافة الى أنها ثاني الدول الأوربية من حيث الكبر في المساحة وتتمتع بموارد مائية من " البحر الأسود وأزوف" وشبكة من الأنهار الدولية منها (الدانوب) كما تمتلك أكثر من ٣ آلاف بحيرة صغيرة ومتوسطة الحجم. ويوجد بها إقليم "القرم" في الجنوب الذي ضمته روسيا في آذار ٢٠١٤، كما أن روسيا الدولة المهاجمة تحدها من الشرق.

سادساً : تقسيم البحث:-

نظراً لتناول البحث موضوع الأمن كأحد أهم موضوعات العلاقات الدولية، سنبدأ أولاً بتحديد مفهوم الأمن وفق النظريتين الواقعية والليبرالية في محوره الأول، وفي المحور الثاني للبحث سنتعرف على أسباب الحرب على أوكرانيا وتطوراتها، أما المحور الثالث فسوف يتناول عرض سيناريوهات ثلاث كبداية محتملة لتطورات الأحداث المصاحبة واللاحقة للحرب.

المحور الأول: مفهوم الأمن (وفق منظور المدرستين الواقعية والليبرالية):

بدايةً، وحتى يُمكن الوقوف على موضوع الحرب الروسية على أوكرانيا لابدّ أولاً من تحديد مفهوم الأمن وفق النظريتين الواقعية والليبرالية، بالشكل الذي يستوعب التهديد الروسي للأمن كقوة عسكرية ونووية في آن معاً تجاه أوكرانيا وأوروبا والعالم. اذ تم طرح تعريف أكثر شمولية للأمن من قبل (ولفرز) فالأمن بالمعنى الموضوعي يقيس عدم وجود تهديد للقيم المكتسبة ؛ بالمعنى الشخصي يقيس عدم وجود شعور بالهجوم على مثل هذه القيم ^(١)، ووفقاً لـ (Barry Buzan) فالأمن هو: "السعي نحو التحرر من التهديدات ، وقدرة الدول والمجتمعات في الحفاظ على هويتهم المستقلة وسلامتهم الوظيفية ضد قوى التغيير التي يرونها

1-Ropafadzo Muzorori,"Comparison of Theoretical Approaches to Security: Realism, Constructivism, and Liberalism", P.1.

https://www.academia.edu/38212529/Comparison_of_Theoretical_Approaches_to_Security

معادية"^(٢). وسوف يتم تفسير الأمن من المنظور الواقعي والليبرالي وأيهما الأقرب في فهم الأمن والتهديدات التي قد تعترضه.

أولاً: الأمن وفق المنظور الواقعي

يرى الواقعيون أن الدول هي مصدر تهديد لأمن الدول الأخرى وأيضاً هي هدف للتهديدات الأمنية، وهكذا، فإن أسباب سلوك الدول موجهة أو مضللة بالطبيعة البشرية والطبيعة الفوضوية المسبقة للنظام الدولي^(٣). ويتبنى معظم الواقعيين وجهة نظر متشائمة وحذرة للعلاقات الدولية، إذ تركز النظرية الواقعية التقليدية على فرضية أن الأمن حالة تتنافس الدول على تحقيقها، كما يرتبط مفهوم الأمن الوطني مباشرة بالدولة^(٤). كما يُفسَّر الأمن عند الواقعيين؛ "بالأمن القومي"، بمعنى أمن الدولة ضد الأخطار والتهديدات الخارجية بحيث لا يمكن ضمان هذا الأمن إلا من خلال امتلاك القوة والسعي لزيادة القدرة العسكرية^(٥). من هنا، فإن المنظور الواقعي للأمن يُركّز على بقاء الدولة الوطنية كمصلحة عليا على حساب مصالح الدول الأخرى، باعتبارها الفاعل المركزي والوحيد في السياسة الدولية، وذلك من خلال حماية حدودها الإقليمية وصيانة سيادتها الوطنية واستقرارها ضد أي تهديد عسكري خارجي، وتُعد القوة العسكرية هي الأداة الرئيسية لتحقيق الأمن^(٦).

2- Barry buzan " New Patterns of Global Security In the Twenty – First Century International Affairs 3(1991) p. 432.

3- Ropafadzo Muzorori,op.cit.,P.2.

٤ - الموسوعة السياسية، الأمن في العلاقات الدولية، متاح على الرابط الآتي:

<https://political-encyclopedia.org/dictionar>

٥ - صخري محمد، المنظور الواقعي للأمن، ١٧-٨-٢٠١٩، متاح على الرابط الآتي:

المنظور - الواقعي-للأمن <https://www.politics-dz.com>

٦ - الموسوعة السياسية، مصدر سبق ذكره.

ووفقاً للنظرية الواقعية فهي تنتظر للدولة على أنّها الفاعل الدولي الرئيس في العلاقات الدولية، إن لم يكن الوحيد، فالنظام الدولي وفق رؤيتها في حالة فوضى؛ بسبب عدم وجود سلطة دولية مركزية وقيادية، ولذلك يجب على الدول فرادى أن تتولى مسؤولية أمنها وأن تدافع عن مصالحها من خلال اكتساب القوة واستخدامها عندما يتعرض أمنها القومي للتهديد^(٧).

والأمن وفقاً لـ (Walter Lippmann) يأتي مساوٍ للقوة العسكرية ومرادف للحرب"، كما نظر الواقعيون إلى الأمن باعتباره مشتقاً من القوة، فقد مثل مفهوم القوة موضوعاً مهماً في الدراسات الواقعية للسياسة الدولية سواء تم النظر إليها كوسيلة أو كمحفز لسلوك الدول أو كنتاج له أو الأثنين معاً، ومهما تكن الأهداف النهائية للسياسة الدولية فالقوة هي دائماً الهدف العاجل كما يرى (Hans Morgenthau)^(٨).

فالأمن بهذا المعنى يندرج ضمن اختصاصات الدولة بهدف ترسيخ سيادتها واستقرارها. وعليه يمكن القول أن الواقعية تركز اهتمامها على الدولة باعتبارها عامل مؤثر في السياسة الدولية، وأخذة بفكرة التوازن الدولي المتمثل بحق الدول في التدخل ضد أي دولة تسعى إلى الإخلال بالوضع الراهن (القائم) حتى تنجح في الحفاظ على السلم والتوازن القائم بين الدول، ويكون بقاء الدول مرهون بالقوة العسكرية^(٩).

بينما جاءت الواقعية الجديدة بفكرة أن الدولة لا تعتمد في شؤون أمنها على الآخرين، وفي هذا الإطار يؤكد الواقعيون الجدد على أن فوضوية النظام الدولي

7- Booth, K., "Security in Anarchy: Utopian Realism in Theory and Practice" in International Affairs, Jul1991, Vol.67 Issue3, p.527-545.

^٨ - توفيق بوستي، مفهوم الأمن في منظورات العلاقات الدولية، دراسات استراتيجية ، ٢٢ فبراير ٢٠١٩، مجلة المعهد المصري للدراسات ، استنبول- تركيا، ص ٤-٥. منشور على الرابط الآتي:

<https://eipss-eg.org/>

^٩ - حنان مراد، مستقبل الأمن المتوسطي في ظل التحولات الدولية الراهنة، متاح على الرابط الآتي:

<https://revuealmanara>

تستدرج وحدات النظام الدولي (الدول) إلى انتهاج سلوك الاعتماد على الذات أو المساعدة الذاتية وانطلاقاً من رؤية السياسات الدولية حقلاً للمساعدة الذاتية، فإن (الاكتفاء الذاتي) سيكون هدفاً رئيسياً لكل دولة، والنظام الدولي يحفز كل دولة لتكون قادرة على إدارة شؤونها بنفسها، طالما أنه لا توجد سلطة عليا تتولى هذه الوظيفة^(١٠).

كذلك تُشكك الواقعية الجديدة في إمكانية التعاون على المستوى الأمني باعتبار أن الدول تهتم بالأرباح النسبية للتعاون أكثر من اهتمامها بالأرباح المطلقة، وقد طبق كينيث والتز مفهوم الفوضى على السياسة الدولية، ومفاده أنه مع وجود دول ذات سيادة، وعدم وجود نظام قانوني يملك السلطة عليهم، فإن الانقياد إلى الحرب يصبح شيئاً مؤكداً، وفي حالة الفوضى الدولية لا يوجد انسجام تلقائي بين الدول، فهي على عكس الواقعية التقليدية تربط حالة الصراع بالطبيعة الفوضوية للنظام الدولي الذي يعيق تشكل علاقات تعاونية^(١١).

إن الواقعية في صيغتها الهجومية تعتبر الهدف الأساسي لكل وحدة سياسية (الدولة) هو تحقيق الهيمنة في السياسة الدولية من خلال سعيها لامتلاك مزيد من القوة لحماية نفسها، ويؤمن أنصار هذا التيار أن الحروب هي عبارة عن ظواهر طبيعية لأن التعاون الدولي صعب تحقيقه بحكم سعي الدول المنفرد وراء مصالحها^(١٢).

ثانياً: الأمن وفق المنظور الليبرالي

إن مفهوم الأمن من المنظور الليبرالي يُمثّل الأمن الجماعي والسلام الديمقراطي بخلاف المنظور الواقعي الذي يركز على الأمن القومي، وقد وضع الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت هذا التصور قبل قرنين من الزمن عندما اقترح إنشاء فدرالية تضم كافة دول العالم، بحيث تتكفل غالبية الدول الأعضاء لردع

^{١٠} - توفيق بوسني، المصدر السابق.

^{١١} - توفيق بوسني، المصدر أعلاه.

^{١٢} - حنان مراد، المصدر السابق.

ومعاقبة أي دولة تسعى للاعتداء على دولة أخرى، وهو ما أستاذ عليه الرئيس الأمريكي (وودرو ويلسون) في تصوره لعالم يسوده السلام، والذي بدأ تطبيقه عملياً من خلال دعوته لإنشاء عصبة الأمم في عام ١٩١٩ (١٣).

وتنظر الليبرالية إلى الأمن من وجهة نظر متفائلة، فهي تؤمن بالخير الطبيعي للبشرية، ولهذا السبب يمكن للإنسان أن يتعايش أو يعيش بسلام، وهكذا، في مواجهة تهديد الأمن، وضع الليبراليون أساليب لإدارة مثل هذه المشاكل الأمنية في النظام الدولي، أولاً، الأمن الجماعي؛ فبدلاً من أن تكون الدول أنانية كما يُصوّرها الواقعيون في التعامل مع القضايا الأمنية، فإن الليبراليين يرون بدلاً من ذلك أن الدول يجب أن تجتمع معاً لمحاربة التهديد لأمن أي منهما في هذه الحالة، يتعلق الأمر بمفهوم "الواحد للجميع"، والكل للواحد"، يستخدم هذا في الغالب تجاه المعتدي المحتمل، ثانياً، الردع، وتعني جعل المعتدي على علم باستتكار المجتمع الدولي لأفعاله (١٤).

يضاف إلى ذلك أن الليبرالية لا تعتبر مُناهضة للدول، فقد أولت النظرية الليبرالية اهتماماً خاصاً للدولة باعتبارها المؤسسة الوحيدة من خلال قدرتها على جعل الأفراد آمنين ومساعدتهم على قضاء حاجاتهم، فالليبرالية لا تهتم "بأمن الدولة" أو "الأمن القومي" إلا بقدر ما تكون هذه الأمور مفيدة لأمن الأفراد داخل تلك الدول (١٥).

وفي هذا الإطار يُعرّف (أميتاف شاريا) مفهوم التعاون الأمني من خلال توفر ثلاث عناصر هي (١٦):

١- الشمولية فيما يخص المشاركين وتوسيع الأجندة الأمنية لتشتمل على مصادر تهديد غير تقليدية.

١٣ - الموسوعة السياسية، مصدر سبق ذكره.

14- Ropafadzo Muzorori, op, cit., P.5-6.

15 - John M. Owen, Liberalism and Security, 01 March 2010.

<https://oxfordre.com/internationalstudies/view/>

١٦ - توفيق بوستي، المصدر أعلاه .

- ٢- اعتماد لغة الحوار بين الأطراف المختلفة كآلية لحل النزاعات.
- ٣- تتطلب معظم قضايا الأمن تحركات أو اقترابات جماعية تعاونية بين الدول.
- ووفقاً لرأي (جوشوا غولدستي) فإن الأمن الجماعي يتمثل بتشكيل تحالف موسع يضم أغلب الفاعلين الرئيسيين في النظام الدولي بهدف مواجهة أي فاعل آخر يسعى للهيمنة ، وفيما يخص السلام الديمقراطي الذي جاءت به الليبرالية البنوية، فقد أكد كل من (مايكل دويل) و(بروس راست) على أن التحليل الأمني يستند الى المتغير الديمقراطي، كون أن انتشار الديمقراطية وترسخها سواء على مستوى الدول أو بنى النظام الدولي سوف تسهم في تكريس السلام الدائم ويكون التعاون سمة السياسة الدولية، بخلاف حالة الصراع الدائم التي صاغها الواقعيون أو كما عبّر عنها كانت (Kant) بأنها حالة الوحشية التي ترفض الخضوع لأي قانون^(١٧). كما تركز الليبرالية البنوية على فكرة رئيسية مفادها أن الدول ذات الأنظمة الديمقراطية تكون أكثر ميلاً لاحترام ارادة مواطنيها وأقل ميلاً نحو خوض الحرب مع جيرانها الديمقراطيين، ورُغم أن جوهر الفكرة قديم جداً إلا أنه أُعيد عرضها من جديد في اطار ما يُعرف بنظرية السلام الديمقراطي^(١٨).

المحور الثاني : أسباب الحرب على أوكرانيا وتطوراتها

في فجر يوم ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٢٢ ، شن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بجيشه؛ الذي يُعد ثاني أكبر جيش في العالم؛ غزواً غير مبرر للدولة الجارة أوكرانيا، وانطلاقاً من الجمهوريتين الانفصاليتين (دونيتسك) و(لوهانسك)، مما تسبّب في اندلاع أكبر نزاع مسلح في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية. وتمخض عن الغزو الروسي الشامل لأوكرانيا قيام أكبر أزمة أمنية وإنسانية واقتصادية في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية نتيجة موجة النزوح الجماعية للأوكرانيين باتجاه الحدود البولندية بشكل كبير وباقي الدول المحيطة بها.

اذ لعقود من الزمن كان أحد أهم المبادئ الثابتة في دوائر السياسة الخارجية النخبوية أن حرباً واسعة النطاق بين روسيا وأحدى الدول الغربية في أوروبا أمر لا

^{١٧}- توفيق بوسني، المصدر أعلاه .

^{١٨}- توفيق حكيمي، مستقبل التوازن الدولي في ظل الصعود الصيني، اطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، ٢٠١٥، ص٦٥.

يمكن تصوره. فقد كُنّا نتخيل أنه تم تعلم الدروس والعبر من نتائج الحرب العالمية الثانية، ولن يتكرر ذلك التاريخ الكارثي في القارة الأوروبية العجوز.

ومما يؤكد عدم وقوع حرب تُعرّض الأمن مُجدّداً للخطر تقدير الغرب الخاطي والثقة المفرطة لاستحالة قيام غزو روسي لأوكرانيا ، والذي جاء مستنداً الى أربعة افتراضات رئيسية ، اذ جاء في الافتراض الأول أنه لطالما بقيت قوات الناتو منتشرة في شرق أوروبا فيمكن ردع التوسع العسكري الروسي في دول أوروبا الشرقية أو الدول التي كانت جزءاً من حلف وارسو وأحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، والافتراض الثاني، أن تكاليف الحرب ستكون باهضة جداً ولا تُحتمل لدرجة أنها ستردع روسيا عن تنفيذ أي خطط عسكرية من هذا القبيل خصوصاً والعالم يعيش حرباً وبائية تُعرف بجائحة كورونا، والافتراض الثالث، انعدام الشك بأن روسيا ستتخلى عن تعهداتها بعدم مهاجمة اوكرانيا وتنتهك مذكرة بودابست عام ١٩٩٤، أمّا الافتراض الرابع والأخير : فأن روسيا بنظر الغرب لا تُمثّل تهديداً أمنياً ذا مصداقية(ادراك التهديد)، فالمعادلة بسيطة، اذ الأوروبيين بحاجة للنفط والغاز الروسيين وهي حقيقة واضحة، وروسيا بالمقابل بحاجة لأموال الأوروبيين وتكنولوجياهم، وهذا ما حصل فعلاً ممّا عقّد المشكلة وصعّب من فرض عقوبات اقتصادية ومالية تسهم بها جميع الدول الأوروبية. منها النمسا والمجر اللتان أعلنتا رسمياً رفضهما المساهمة في العقوبات الأوروبية المفروضة على روسيا نظراً لحاجتهما الماسة لشراء الغاز مقابل الروبل الروسي، فيما رفضت بولندا وبلغاريا سداد ثمن الغاز بالعملة الروسية^(١٩).

أولاً: أسباب الحرب الروسية

مع تفكك الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١ نالت أوكرانيا استقلالها في نفس العام كواحدة من بين الجمهوريات السوفيتية الخمسة عشر، وفي عام ١٩٩٤ تم توقيع "مذكرة بودابست" التي تعهدت روسيا بموجبها باحترام حدود الجارة أوكرانيا ومنحها ضمانات أمنية لقاء تخلي الأخيرة عن ترسانتها النووية الموروثة عن الاتحاد السوفياتي ونقلها الى الأراضي الروسية ، وبذلك تصبح دولة غير حائزة

19- <https://akhbarelyom.com/news/newdetails/3746539/1>

للأسلحة النووية (٢٠). وكنا نعتقد أن خلو بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي من الأسلحة النووية سوف يجعل العالم أكثر أمناً، هذا وتعد أوكرانيا أكبر دولة بعد روسيا الاتحادية وتتمتع بمساحة ضخمة بعد تركيا في القارة الأوروبية، لكن سرعان ما فرضت الحسابات الجيوليتيكية نفسها على شرق أوروبا مع تبني حلف الناتو سياسة التمدد العسكري شرقاً ، والذي لاقى رفضاً من روسيا ، اذ حدث تحول مهم عام ١٩٩٩ وهو انضمام ثلاث جمهوريات من دول أوروبا الشرقية التابعة لحلف وارسو المنحل وهي التشيك والمجر وبولندا للناتو، وفي عام ٢٠٠٤ انضمت ٧ دول من شرق أوروبا ثلاثة منها من جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابقة والدول الأربع الأخرى من شرق أوروبا (إستونيا ، لاتفيا، ليتوانيا ، رومانيا ، سلوفاكيا ، بلغاريا ، سلوفينيا)، ثم لحقت بهم بعد ذلك كل من كرواتيا وألبانيا عام ٢٠٠٩، ثم انضمت الجبل الأسود عام ٢٠١٧ ومقدونيا الشمالية عام ٢٠٢٠، ليصبح اجمالي عدد الدول التي انضمت للحلف بين ١٩٩٩ و ٢٠٢٠ بنحو ١٤ دولة، وهي تُشكل ما يقرب من نصف عدد الدول الأعضاء في الحلف حالياً البالغ عددهم ٣٠ دولة (٢١). وهكذا فقدت روسيا تدريجياً نفوذها على أجزاء واسعة من أوروبا وبالتالي تأثيرها على العالم. ممّا حفّز روسيا على رفض البقاء وراء الولايات المتحدة بحكم كونها قوة نووية وأكبر دولة في العالم على دفع النفوذ الغربي غرباً ، خرق الولايات المتحدة والغرب مطلب روسيا الواضح وهو ضمان بقاء أوكرانيا منطقة عازلة محايدة تماماً كما طلبت الولايات المتحدة من الاتحاد السوفيتي في السابق سحب صواريخه النووية من حديقته الخلفية (كوبا) في أكتوبر ١٩٦٢ (٢٢).

20- DAVID S. YOST, The Budapest Memorandum and Russia's intervention in Ukraine, *International Affairs* 91: 3 (2015),P.505.

21- https://www.nato.int/cps/en/natolive/nato_countries.htm

22- LEV TOPOR , Opinion – Strategic Perspectives on the Russia-Ukraine War,p.1-2, MAR 6 2022.

<https://www.e-ir.info/2022/03/06/opinion-strategic-perspectives-on-the-russia-ukraine-war>

والمستقبل مرشح لانضمام كل من قبرص والبوسنة والهرسك وكوسوفو وجورجيا وأوكرانيا للحلف^(٢٣). والسويد وفنلندا ، ولم يعد متبقياً من الدول العازلة بين روسيا والناطو سوى بيلاروسيا وأوكرانيا، وحينها أدركت روسيا الاتحادية أن انضمام الدولتين الى الناتو يعني حصار موسكو داخل حدودها^(٢٤). وحينها صرحت الناطقة باسم الخارجية الروسي (ماريا زاخاروفا) بأنّ على السويد وفنلندا ألا تكونا قاعدة لتقويض أمن دول أخرى، لما لهذا الأمر من تبعات خطيرة على الاستقرار بشمال أوروبا^(٢٥). وفي حزيران/يونيو ٢٠٠٦، كان وزير الخارجية الروسي (سيرجي لافروف) قد حذّر أوكرانيا من الانضمام إلى الناتو واعتبر دخول جورجيا وأوكرانيا للناتو "تحولاً جيوسياسياً هائلاً" بالنسبة لروسيا^(٢٦).

وليس من المستغرب أن يحاول بوتين اعاقا التمدّد الشرقي لحلف شمال الأطلسي، اذ أعرب عن مخاوفه الأمنية في خطابه أمام مؤتمر ميونيخ الأمني لعام ٢٠٠٧: " " اتضح أن الناتو قد وضع قواته في الخطوط الأمامية على حدودنا... توسع الناتو يمثل استفزازاً خطيراً يُقلل من مستوى الثقة المتبادلة، وأضاف قائلاً: . . ضد من يُقصد هذا التوسع؟ ولكن لم يُنظر إلى خطاب بوتين كتحذير ولم يؤخذ في الاعتبار عندما تقدم الغرب أكثر، وتفاقت المشكلة مع انعقاد قمة الناتو في بوخارست بشهر نيسان ٢٠٠٨، عندما خاطب بوتين الغرب محذراً: "نحن نرى

23- Andreas M. Bock, Ingo Henneberg and Friedrich Plank, "If you compress the spring, it will snap back hard": The Ukrainian crisis and the balance of threat theory , International journal (Toronto, Ont.) · March 2015,P.4.

٢٤- عصام عبد الشافي، ما بعد أوكرانيا (مسارات التحول في النظام الدولي) محاضرة ألقاها في المعهد المصري للدراسات السياسية، اسطنبول- تركيا، ١٢/٤/٢٠٢٢، متاح على الرابط الآتي:

<https://www.youtube.com/watch?v=HeixJfpZbAk>

٢٥ - موسكو: انضمام السويد وفنلندا إلى الناتو يهدد الاستقرار في شمال أوروبا، ١٥/٤/٢٠٢٢، متاح على الرابط الآتي: arabic.rt.com ›world› 1344687-

26- ANDREW T. WOLFF, The future of NATO enlargement after the Ukraine crisis, *International Affairs* 91: 5 (2015), P.1109.

ظهور كتلة عسكرية قوية على حدودنا... كتهديد مباشر ووجودي لأمن بلدنا"^(٢٧). وجاء ذلك التحذير عندما أصدر الحلف بياناً قال فيه أن أوكرانيا وجورجيا ستصبحان جزءاً من الناتو، وكان هذا، من وجهة النظر الروسية، بمثابة إعلان حرب ممتدة بين روسيا والغرب، ونتيجة فشل كل جهود الحوار الدبلوماسي ورفض الولايات المتحدة ودول الحلف في تقديم أية تنازلات وضمانات أمنية لروسيا لم يتبقى أمام روسيا سوى التحرك العسكري لمنع انضمام هاتين الجمهوريتين للحلف، وكانت البداية هي الحرب الروسية-الجورجية عام ٢٠٠٨، وقيام روسيا بضم اقليمي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبي، ثم الحرب الروسية-الأوكرانية عام ٢٠١٤، وقيام روسيا بإعلان ضم شبه جزيرة القرم الأوكرانية^(٢٨).

وفيما يخص حلف الناتو، فدول الحلف والولايات المتحدة تؤيدان فكرة انضمام أوكرانيا إلى الحلف، بل عملت على وضع استراتيجية لضمها، ومنذ عام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ أعلنوا رغبتهم الرسمية في ضم كلاً من "جورجيا وأوكرانيا" إلى الحلف، لكن في نفس الوقت تعمل الولايات المتحدة على طمأنة روسيا أن الحلف لن يمس أمنها القومي، وأن الهدف الأساسي لها هو حماية الحلفاء الأوروبيين من التهديد الإيراني وكوريا الشمالية، لكن في نفس الوقت يعمل "الناتو" على توفير الحماية لأوكرانيا عن طريق تزويدها بالأسلحة الثقيلة إن أمكن، تحسباً لأي عدوان روسي عليها، أما عن روسيا فهي ترى أن أي خطوة توسعية من قبل الناتو ما هي إلا تهديد مباشر لها، سواء من بناء قاعدة صاروخية في أوروبا أو دعم أوكرانيا. فقضية انضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو، قضية مصيرية بالنسبة لروسيا ولأمنها القومي، فروسيا لن تسمح أبداً بذلك بسبب الجوار الجغرافي بينهما وهي تنظر إلى قضية "الناتو" كامتداد "للحرب الباردة" مع الولايات المتحدة عندما كانت أوكرانيا في ذلك الوقت تحت راية "الاتحاد السوفيتي"^(٢٩).

27-Idem.

^{٢٨} - عصام عبد الشافي، المصدر السابق.

^{٢٩} - ايمان أشرف أحمد محمد شلبي، الأبعاد الدولية للأزمة الأوكرانية، ١٦ يناير ٢٠١٦، متاح على الرابط
الآتي: <https://democraticac.de/?p=25929>

وفي عام ٢٠٠٩ جرت مقابلة مع الرئيس السوفيياتي السابق (ميخائيل غورباتشوف) ذكر فيها "أنّ ألمانيا الغربية والولايات المتحدة وقوى أخرى تعهدت - بعد إعادة توحيد ألمانيا في عام ١٩٩٠ - بأنّ "الناتو لن يتحرك سنتمتراً واحداً باتجاه الشرق"، ولكن ما حصل جاء خلاف للتعهدات الغربية والأمريكية، ممّا جعل من حلف الناتو مصدر قلق أمني خطير لروسيا الاتحادية نتيجة التوسع الشرقي لحلف الشمال الأطلسي منذ عشية توحيد ألمانيا، وطيلة تلك السنوات وروسيا تراقب التوسع الشرقي للحلف ويتجاهل الغرب بشكل شبه تام المصالح والشكاوى الروسية^(٣٠).

وفي أعقاب ضم روسيا شبه جزيرة القرم في آذار ٢٠١٤ بأيام جرت مقابلة متلفزة مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أكد فيها: "لقد تلقينا وعوداً أنه بعد توحيد ألمانيا، لن ينتشر الناتو شرقاً. ثم أخبرنا الأمين العام لحلف الناتو أن الحلف لن يتوسع إلى ما بعد الحدود الشرقية"^(٣١).

ورداً على ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، تسارعت معدلات التعاون العسكري والأمني بين الولايات المتحدة وأوكرانيا، فقد أكد الجيش الأمريكي أن قيمة المساعدات التي تم تخصيصها إلى أوكرانيا منذ عام ٢٠١٤ تُقدّر بقيمة ٥,٤ مليارات دولار من الولايات المتحدة، مُوضحاً أنها تشمل مساعدات أمنية وغير أمنية^(٣٢).

وممّا زاد من حدة التهديدات الروسية اعلان أوكرانيا عن انتهاء استعداداتها وازالة كافة العقبات التي قد تعترضها بهدف الانضمام إلى المؤسستين الدوليتين وهما: الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، فقد أنشأت مؤسسات شفافية لمكافحة الفساد ، وسلطة دولة لامركزية، وتحرير الأعمال التجارية، وتحسين حوكمة الشركات المملوكة للدولة، وتنشيط نظامها المصرفي، كما حققت الدولة

30- Andreas M. Bock, Ingo Henneberg and Friedrich Plank,op.cit.,P5.

31- ANDREW T. WOLFF ,op.cit., P.1103.

أيضاً نمواً اقتصادياً ثابتاً، وعززت بشكل كبير كفاءتها في استخدام الطاقة واستقلاليتها، ونجحت في تطوير وسائل الإعلام الحر والمجتمع المدني النشط ، علماً أن الدستور الأوكراني ينص على السماح بانضمام البلاد للاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي ويحظى بدعم ٨٦٪ و ٧٦٪ من الأوكرانيين على التوالي. مما دفع بروسيا الى خيار الاجتياح العسكري لأوكرانيا^(٣٣).

ويرى البعض من المُحلّلين إن الرد المتساهل واللامبالي من جانب الغرب على التحركات الروسية العدوانية تجاه ترانسنيستريا، وإيشكيريا، وجورجيا، ودونباس، وشبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤، إلى جانب التأخير المستمر في دمج أوكرانيا في الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي – جزئياً لأسباب فنية و أسباب سياسية بحتة - أدى إلى ارتفاع سقف توقعات بوتين بأن محاولته للسيطرة على أوكرانيا ستمر بدون عقاب إلى حد كبير^(٣٤).

ثانياً: تطورات الحرب الروسية

مع بدء الاجتياح الروسي لأوكرانيا في شباط ٢٠٢٢، كأول حرب عدوانية شاملة في أوروبا منذ عام ١٩٤٥؛ والذي بدأ بقصف المطارات الأوكرانية بالصواريخ والتوغل العسكري البري من جهة الشرق والجنوب الشرقي؛ شهدت الحرب عدة تطورات على الصعيد الإقليمي والدولي تمثلت بوصول آلاف المقاتلين الأجانب من الدول الغربية إلى أوكرانيا والذين تطوعوا للمساعدة في الدفاع عنها، كما شهد الموقف الدولي المتمثل بالولايات المتحدة والدول الأوروبية التزامهما التام بمعارضة فكرة اتخاذ قرار منطقة حظر الطيران الروسي على الأراضي الأوكرانية، لأن تلك المنطقة تعني "القتال - اذ يجب أن تكون على استعداد أن تطلق النار ويُطلق النار عليك" ، كما أكد الرئيس الأمريكي

^{٣٢} - الجيش الأمريكي: ٥,٤ مليار دولار قيمة المساعدات لأوكرانيا منذ ٢٠١٤، ٢٠٢٢-٤-١٥، متاح على

<https://gate.ahram.org.eg/News/3485819.aspx>

الرابط الآتي:

33- Olena Prokopenko, "Russia's War in Ukraine and the future of Global Security", International Politik Quarterly , March 31, 2022.

com/en/Russia's-war-Ukraine-and-future-global-security.

³⁴- Olena Prokopenko, op.cit.

(جوزيف بايدن) أن قوات بلاده لن تقاتل في أوكرانيا، وفيما يخص استعدادات حلف الناتو للحرب فقد خطّط لجمع ٣٠ ألف جندي من ٢٥ دولة في النرويج لإجراء تدريبات عسكرية نصف سنوية، وقد تم الإعلان عن التدريبات قبل أكثر من ثمانية أشهر، لكن التدريب اكتسب أهمية أكبر مع اقتراب القتال في أوكرانيا من الحدود البولندية، ويتمركز الآن حوالي عشرة آلاف جندي أمريكي - تم نشر نصفهم منذ بدء الغزو - في بولندا، والأعداد مرشحة للزيادة، كما نقلت الولايات المتحدة بطاريتي صواريخ أرض - جو من ألمانيا، كما وافق الرئيس بايدن على إرسال أسلحة ومعدات إضافية إلى أوكرانيا^(٣٥)، وتدريب الجنود الأوكرانيين على استخدامها.

ومما زاد من رغبة الغرب الوقوف الى جانب أوكرانيا ونشر قواتها عند حدودها الغربية الاستعداد لانتشار وشيك لهذا العدوان إلى باقي مناطق أوروبا، ويجب أن تستعد الدول الغربية ليكون دورها التالي فيها. فالتهديدات التي تصدر عن روسيا هي السبب في بعث المخاوف الأمنية لدى دول أوروبا الغربية.

وفي إطار فرض العقوبات الاقتصادية على روسيا، تم فصل روسيا تماماً عن نظام (SWIFT) ، وفرض حظر تجاري على النفط والغاز الروسي كعمول رئيسي للحرب في أوكرانيا ، كما تم مقاطعة الشركات الأجنبية التي لا تزال تعمل في روسيا ، ومعاقبة البنوك الروسية، لعلّ أهمها (Sber bank و Gazprom bank) وأكثر من ٣٠٠ بنك آخر^(٣٦).

وقد تمخض عن الحرب حدوث ارتفاع كبير في أسعار الطاقة العالمي وأسعار القمح ممّا زاد من القلق على تأمين وصول هذه السلع الأساسية للدول المستهلكة، وكشفت الحرب حجم الخلافات الأوروبية منها رفض ألمانيا وإيطاليا اخراج روسيا

^{٣٥} - الكرملين يخطط لعقد اجتماع بين بوتين وزيلينسكي، ترجمة وتحرير رغد غالي، منشورات المعهد العراقي للحوار، ٢٠٢٢/٣/١٤.

³⁶⁻ Olena Prokopenko, op.cit.

من النظام المالي العالمي (Swift) أو فرض عقوبات عليها^(٣٧). وتشترط روسيا لإيقاف الحرب كأحد أدوات المساومة، تخلي أوكرانيا عن أي خطط للانضمام إلى كيانات عسكرية من بينها حلف شمال الأطلسي (الناتو) والتزام مبدأ الحياد التام، وهو ما تعتبره أوكرانيا "تدخلًا في سيادتها"^(٣٨).

ومن بين الأسباب التي أعاققت خطط القوات الروسية الخاصة بسرعة إنهاء عملياتها العسكرية في أوكرانيا هي، أن الحرب أظهرت قدرات قتالية رائعة وروح معنوية للقوات المسلحة الأوكرانية والتي أجبرت روسيا على تقليص طموحها والتركيز على شرق أوكرانيا^(٣٩)، فضلاً عن الدعم غير المحدود لأوكرانيا من قبل الغرب بالأسلحة والمعدات، مما صعب على روسيا الاقتراب من هدف تحقيق النصر وجعل أوكرانيا أكثر قرباً من فرصة إيقاف الحرب، بدون تقديم تنازلات كبيرة لروسيا. كذلك فإن الحرب في أوكرانيا أيقظت العالم من مغبة الاعتماد على الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي أو القضاء الدولي في حماية أو الدفاع عن أراضي الدول التي تتعرض للاحتلال. وهذا يؤكد حقيقة أن الأمن لا يمكن تفسيره إلا في ضوء النظرية الواقعية.

المحور الثالث: سيناريوهات الأمن في ضوء تطورات الحرب

من خلال استقراء ما يجري من وقائع يمكن توقع ما قد يحصل مستقبلاً من أحداث وتطورات ومسارات مستقبلية مطروحة. إذ جاءت الحرب الروسية على أوكرانيا لتضع أمن أوروبا والعالم من جهة وأمن روسيا من جهة أخرى أمام ثلاثة سيناريوهات رئيسية:

^{٣٧} - العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا (الأسباب والأهداف والنتائج)، إصدارات مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد ٢٥ شباط ٢٠٢٢، ص ٥.

^{٣٨} - (الحرب الروسية الأوكرانية) أردوغان يجدد عرضاً باستضافة قمة إنهاء حرب بين بوتين وزيلينسكي، ١٧ مارس ٢٠٢٢. متاح على الرابط الآتي: <https://180news.net/ar/news/13114IMp6P>

39- Olena Prokopenko, op.cit.

أولاً: السيناريو الأول:- مشهد الاستقرار الأمني بدءاً بوقف الحرب واحياء الأمن في أوروبا.

ينطلق السيناريو أو المشهد من جملة من المقومات المُستمدة من الواقع والتي تدعم وجود افتراضه. وعليه يستند المشهد على فرضية مفادها "أنّ الوصول لاستقرار أمني مستدام مرهون بهزيمة روسيا عسكرياً واحياء نظام أمني جديد في أوروبا". وقد بدأت أولى الفرص الواقعية الداعمة لتحقيق هذا المشهد مع الدعم الأوروبي والأمريكي اللامحدود لأوكرانيا، وإن جاء متأخراً بعض الشيء. إذ يرى (Stephen M. Walt) استاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفرد وواضع "نظرية توازن التهديد" أن الحرب على أوكرانيا أظهرت قدرة أوروبا على امكانية تحمّل مسؤولية أمنها والدفاع عن نفسها بشكل أكبر، وأنّ الأوروبيين آمنوا بأن الحرب واسعة النطاق في قارتهم قد أصبحت مستحيلة بسبب وجود القيم أو القواعد ضد الغزو والمؤسسات الدولية والاعتماد الاقتصادي المتبادل، بالإضافة الى الضمانات الأمنية الأمريكية، ومما ساعد أوروبا على مواجهة الغزو الروسي لأوكرانيا القصور والأخطاء العسكرية المستمرة التي وقعت بها روسيا رغم التخطيط والاعداد الجيد للحرب على مدى شهور، وهذا يُدلل على أن روسيا ليست قوية بما يكفي لاستعادة حلمها الامبراطوري السابق وسوف تستمر قواتها بالتراجع، وستكون أقل قوة في المستقبل مع اعادة التسلح في أوروبا، ويُسهّم في ذلك العقوبات الاقتصادية والمالية والتقنية الأمريكية والأوروبية السارية حالياً (كلفة الحرب على روسيا ستكون غالية ومرتفعة) والتي سوف تعيق حركة الاقتصاد الروسي لسنوات قادمة والتي تم ذكرها سابقاً، كما أنّ أوروبا يمكنها التعامل بمفردها مع التهديد الروسي المستقبلي، طالما كان لدى أعضاء الناتو الأوروبيين إمكانيات قوة كامنة أكبر بكثير من التهديد الذي يواجه شرقهم: فهؤلاء الأعضاء معاً يملكون ما يقرب من أربعة أضعاف عدد سكان روسيا وأكثر من ١٠ أضعاف ناتجها المحلي الإجمالي^(٤٠).

⁴⁰ -Stephen M. Walt, Hand European Security Over to the Europeans, March 21,2022, in U.S. Grand Strategy After Ukraine.
<https://foreignpolicy.com/2022/03/21/us-geopolitics-security-strategy-war-russia-ukraine-china-indo-pacific-europe>

وفي الاسبوع العاشر من الحرب أعلنت قيادة القوات الجوية الأوكرانية الجنوبية الحصول على منظومة دفاع جوي من طراز "إس-٣٠٠ (S-300)" من إحدى الدول الصديقة من دون الكشف عنها^(٤١). وهذا يُعد تطوّر كبير على صعيد الدعم الأوروبي لأوكرانيا رغم التحذيرات والتهديدات الروسية بمعاقبة ومحاسبة الدول التي تقدم لها يد المساعدة. ممّا يُدلل ذلك على عدم استجابة أوروبا للتهديدات الروسية باستهداف الدول المؤيدة والمساندة لأوكرانيا.

ومن الفرص الداعمة الأخرى لإيقاف الحرب وإحياء الأمن هو تعهّد الولايات المتحدة بوضع قوة أمن جديدة ودائمة مسؤولة عن الأمن في أوروبا بشطريها الغربي والشرقي، وما صاحبه من زيادة في الإنفاق الدفاعي لضمان أمن أوروبا بشكل خاص، وهذا ما سعت له ألمانيا منذ الساعات الأولى للغزو، وهذا يستدعي من أميركا أن ينصب اهتمامها مجدداً نحو الجبهة الأوروبية لمواجهة محاولة روسيا إعادة إنشاء مجال نفوذ باستخدام القوة المفرطة، وحينذاك قد تُصبح الولايات المتحدة أمام خيار واحد هو مواجهتها بالقوة، وحتى أوروبا فبعد أن نأت بنفسها بشكل ملحوظ عن الولايات المتحدة في السنوات السابقة اكتشفت مجدداً أن قوة الولايات المتحدة لا غنى عنها للدفاع عن أراضيها في حال وقوع هجوم عليها سواء من داخل القارة الأوروبية أو من خارجها^(٤٢).

وفي أعقاب الحرب الدائرة على الأراضي الأوكرانية سيتم تنفيذ آليات التمدد المؤسساتي الأمني والاقتصادي في أوروبا بقصد حماية الدول الأوروبية من أخطار روسية ولتقادي أية معضلة أمنية مستقبلاً قد تفتح الباب لحرب جديدة، ففي لقاء صحفي مع المفكر الأمريكي (John J. Mearsheimer) في تعليق له على مستقبل الأمن بعد الحرب في أوكرانيا قال أن "التوسع سيشمل أيضاً توسيع الاتحاد

41- <https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/4/29>

42- Toshihiro Nakayama, Toshihiro Nakayama, Maintain the Strategic Focus on China, in U.S. Grand Strategy After Ukraine.
<https://foreignpolicy.com/2022/03/21/us-geopolitics-security-strategy-war-russia-ukraine-china-indo-pacific-europe>

الأوروبي الى جانب الناتو، ويتضمن ذلك أيضاً تحويل أوكرانيا إلى ديمقراطية ليبرالية موالية لأمريكا"^(٤٣).

وان سيناريو إحياء الأمن بدءاً بوقف الحرب وعلان النصر على روسيا قد يصطدم ببعض المعوقات التي تحول دون تحقيق أمن مستدام تتمثل بإصرار الدول الغربية على عضوية أوكرانيا المستقبلية المحتملة في الناتو أو الاتحاد الأوروبي في اطار ما يُعرف "بالتمدد المؤسستي"، ويمكن أن يقود ذلك إلى تصعيد أمني خطير في العلاقة الصراعية بين أوروبا وأعضاء حلف شمال الأطلسي من جهة وروسيا من جهة أخرى قد ينتج عنه نشوب أكبر صراع عسكري منذ الحرب العالمية الثانية وقد يتطور الوضع لتتنشب حرب نووية^(٤٤). ولكن ذلك أمر مستبعد حدوثه لأن الحرب النووية تُشكّل خطراً وجودياً على روسيا كما هي حال الدول الأوروبية.

ثانياً: السيناريو الثاني:- مشهد ضعف الأمن (حالة تراجع الأمن) مع استمرار الحرب على أوكرانيا.

يستند المشهد على فرضية مفادها " أنه في حال استمرار الحرب على أوكرانيا لفترة أطول فإن الأمن سوف يضعف ويؤثر على كل أوروبا". وتظهر الفرص الداعمة لتحقيق هذا المشهد بوضوح من خلال استمرار روسيا في الاعتقاد أو الادّعاء بأن أوكرانيا تُمثّل تهديداً وجودياً لها؛ كونها متحالفة مع الولايات المتحدة وحلفائها في أوروبا الغربية الذين يُقدّمون لها المساعدات العسكرية والمعونات الاقتصادية لإدامة سير المعارك على أراضيها، وأن الدول الغربية – من وجهة نظر روسيا- متورطة مع أوكرانيا في التسبب بإطالة أمد الحرب ومنعها من إنهاء الحرب خدمة لمصالحها، وإن القناعة الروسية بتلك الحجة هي السبب في ضعف الأمن واستمرار الحرب وحدث قدر هائل من الضرر لأوكرانيا، وبحسب وجهة

^{٤٣} - اسحاق شوتنير، أوكرانيا ذنب الغرب، مقابلة مع المفكر الأمريكي جون ميرشايمر، منشورات المعهد العراقي للحوار ، ٢٠٢٢/٣/١.

44- LEV TOPOR , Opinion – Strategic Perspectives on the Russia-Ukraine War
MAR 6 2022, p. 2.

<https://www.e-ir.info/2022/03/06/opinion-strategic-perspectives-on-te-russia-ukraine-war>

نظر (John J. Mearsheimer) لو لم يكن هناك قرار أمريكي بتحريك قوات الناتو شرقاً قرب حدود أوكرانيا، فستكون كل من شبه جزيرة القرم وإقليم الدونباس جزءاً من أراضي أوكرانيا اليوم، ولما كانت هناك حرب في أوكرانيا^(٤٥).

ومن الفرص الداعمة الأخرى لاستمرار الحرب وضعف الأمن أن قادة دول أوروبا الغربية منذ انتهاء الحرب الباردة لم يُظهروا اهتماماً عسكرياً وأمنياً بشؤون أمن بلادهم، إذ كانت القارة تُرعى مصالحها الأمنية من قبل حلف الناتو تقوده الولايات المتحدة، فالسلوك العدواني الذي انتجته الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بإعلانه الحرب على أوكرانيا عام ٢٠٢٢ كشف عن تصدعات عميقة وضعف حالة النظام الأمني الأوروبي^(٤٦). كذلك، رفض روسيا بناء منظومة أمنية أوروبية تقف عند حدودها الغربية، وهذا ما جاء على لسان وزير خارجيتها (سيرجي لافروف) في حديث له بعد مضي شهرين على الحرب "إنه لا يمكن لأحد أن يقوم بتعزيز أمنه على حساب أمن الأخرى"^(٤٧). والمقصود هنا بلاده.

الآن أن صحة سيناريو ضعف الأمن واستمرار الحرب قد لا يستمر طويلاً بالنظر لتغير مفهوم الأمن عند بعض دول أوروبا التي كانت قد اختارت حالة الحياد في وقت مضى كقرار سياسي مثل فنلندا والسويد، إذ أصبح قرار انضمامهما إلى حلف الناتو مسألة وقت ليرتفع عدد الدول المنضمة للناتو إلى ٣٢ دولة، إذ يُتوقع انضمامهما للحلف في صيف ٢٠٢٢، مما يزيد من فرص تقوية جدار الأمن لدى أوروبا الغربية في مواجهة التهديدات الروسية للأمن الأوروبي. فضلاً عن الزيادة الهائلة في الانفاق العسكري كالتى قامت به ألمانيا، بجانب المزيد من توظيف

^{٤٥} - اسحاق شوتنير، المصدر السابق.

^{٤٦} - رامز الشيشي، أثر الحرب الروسية الأوكرانية على مستقبل الأمن الأوروبي، ٢٩ مارس ٢٠٢٢. متاح على الرابط الآتي:

<https://annasher.com/?p=6406>

الموارد لحماية البنية الأمنية الأوروبية التي كانت مدعومة بشكل مرن بالقوة الهائلة للولايات المتحدة^(٤٨).

ثالثاً: السيناريو الثالث: مشهد فقدان أو غياب الأمن واندلاع حرب عالمية ثالثة

ان سيناريو ضياع الأمن أو فقدانه باندلاع حرب نووية هو أمر غير واقعي ومستبعد حدوثه، في ظل الإصرار الروسي على مواصلة الحرب حتى الوصول لأهدافها يقابله الإصرار الغربي على معاقبة روسيا واستنزافها ورفع تكلفة الحرب عليها إلى أقصى حد واستمرار تزويد أوكرانيا بالسلاح. اذ لم تشهد أوروبا بما فيها روسيا أو الولايات المتحدة اتخاذ قرار أو مناقشته بتحريك أو وضع الصواريخ النووية في حالة التهيو استعداداً لمجابهة نووية متوقعة الحدوث، فكل التصريحات الروسية تدور في اطار التهديدات غير القابلة للتصديق بشأن ضربة نووية لأوكرانيا أو للدول الداعمة لها. ومما يعيق فرص تحقق هذا السيناريو أن الحلف العسكري الغربي (الناتو) قد رفض بشكل مستمر التدخل المباشر في الحرب الروسية على أوكرانيا، لأن القيام بذلك سيؤدي على الأرجح إلى وضع أوروبا أمام صراع مباشر مع روسيا ، والتي حذرت من جانبها من أن أي دولة تتدخل فيما تسميه "عملية عسكرية خاصة " في أوكرانيا سوف تواجه بعواقب لا توصف – في اشارة غير مباشرة بتوجيه ضربة نووية- هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الدول الواقعة على الطرف الشرقي للاتحاد الأوروبي والناتو مثل بولندا ورومانيا ودول البلطيق، والتي شهدت جميعها انتشاراً قوياً للناتو في الأسابيع الأولى من الحرب، تشعر بقلق شديد من احتمال امتداد الصراع إلى أراضيها، وفيما لو انتصرت روسيا في أوكرانيا فان "الستار الحديدي" سيعاود الظهور يُخيم على أوروبا الشرقية^(٤٩). كما أن سيناريو فقدان الأمن واندلاع حرب نووية قد يصطدم بعائق هو أكثر واقعية منه مُتمثل بقرار وقف الحرب، وهو الأرجح لضمان أمن عالمي، فقد يفاجئ طرفي الحرب العالم ويبديان استعدادهما للتفاوض الجدي والحقيقي كبديل عن المفاوضات

^{٤٨} - رامز الشيشي، المصدر السابق.

^{٤٩} - Holly Ellyatt, How will Russia's war with Ukraine end? Here are 5 possible outcomes, MAR 8 2022.

<https://www.cnb.com/2022/03/08/how-will-russias-war-with-ukraine-end-here-are-5-possible-outcomes.html>

التي كانت تجري برعاية تركية أو بيلاروسية بهدف تحقيق أمن مستدام ودون فرض شروط مسبقة من الجانبين. اذ بالإمكان حل أزمة أوكرانيا دبلوماسياً كما حُلَّت أزمة برلين ١٩٦١ وأزمة الصواريخ الكوبية ١٩٦٢ خلال الحرب الباردة، ولكن في ظل وجود بوتين على هرم السلطة في روسيا، وكل الانفاق العسكري والخسائر العسكرية التي تتكبدها القوات الروسية بمعاركها في أوكرانيا، وتراجع الثقة أوروبياً بمكانة روسيا واسهامها في حفظ الأمن على المستويين الاقليمي والدولي، ورفض الولايات المتحدة سحب الأسلحة النووية التكتيكية الأمريكية من أوروبا وتركيا واعادتها الى أراضيها بهدف انهاء المخاوف الأمنية الروسية، يصعب معه الحديث عن مفاوضات دبلوماسية بين الجانبين.

ومن خلال استعراض المشاهد المستقبلية الثلاثة فإن الباحث يرجح حدوث السيناريو الأول - مشهد الاستقرار الأمني وإيقاف الحرب وإحياء الأمن- ، كونه أكثر قرباً للتحقق على أرض الواقع ، وما يُعزّز حدوث مشهد إحياء الأمن العديد من الوقائع والمعطيات ومنها استمرار الدعم الأوروبي والأمريكي المستمر لأوكرانيا، سيما وأن الحرب على أوكرانيا أظهرت قدرة أوروبا على إمكانية تحمّل مسؤولية أمنها والدفاع عن نفسها بشكل أكبر، وأنّ الأوروبيين آمنوا بأن الحرب واسعة النطاق في قارتهم قد أصبحت مستحيلة بسبب وجود القيم أو القواعد ضد الغزو والمؤسسات الدولية والاعتماد الاقتصادي المتبادل، بالإضافة الى الضمانات الأمنية الأمريكية. ومما ساعد أوروبا على مواجهة الغزو الروسي لأوكرانيا القصور والأخطاء العسكرية المستمرة التي وقعت بها روسيا رغم التخطيط والاعداد الجيد للحرب على مدى شهور، وهذا يُدلل على أن روسيا ليست قوية بما يكفي لاستعادة حلمها الامبراطوري السابق وسوف تستمر قوتها بالتراجع، وستكون أقل قوة في المستقبل مع اعادة التسلح في أوروبا، ويُساهم في ذلك العقوبات الاقتصادية والمالية والتقنية الأمريكية والأوروبية السارية حالياً (كلفة الحرب على روسيا ستكون غالية ومرتفعة) والتي سوف تعيق حركة الاقتصاد الروسي.

ومن الفرص الداعمة الأخرى لإيقاف الحرب وإحياء الأمن هو تعهّد الولايات المتحدة بوضع قوة أمن جديدة ودائمة مسؤولة عن الأمن في أوروبا بشطريها الغربي والشرقي، وما صاحبه من زيادة في الإنفاق الدفاعي لضمان أمن أوروبا بشكل خاص، وهذا ما سعت له ألمانيا منذ الساعات الأولى للغزو، وهذا يستدعي من أميركا أن ينصب اهتمامها مجدداً نحو الجبهة الأوروبية لمواجهة محاولة روسيا

إعادة إنشاء مجال نفوذ باستخدام القوة المفرطة، ومما يُعزّز تحقيق هذا المشهد أيضاً اتخاذ الدول الأوروبية حزمة من الإجراءات والتدابير استجابة للأزمة الأوكرانية التي شملت الدعم الاقتصادي والسياسي والعسكري لأوكرانيا، فضلاً عن زيادة تعاون الأعضاء الأوروبيين من خارج حدود حلف شمال الأطلسي لتحقيق الأمن، ومما يُعزّز تحقيق هذا المشهد ظهور بؤر لتحرك غربي لعقد قمة دولية لإعادة التفاوض بشأن الأمن في أوروبا وأوكرانيا ، سيما أن الدول الأوروبية والولايات المتحدة تسعيان الى جعل أوكرانيا دولة محايدة بين الشرق والغرب يحافظوا عليها أمنياً ويُعزّزوا من مكانتها السياسية والاقتصادية والتكنولوجية، وكل ذلك يدعم ويعزز مشهد إيقاف الحرب وحياء الأمن الأوروبي وتعزيز الشراكات والتحالفات الأمنية، وهذا ما يُعزّز الفرضية التي تبناها البحث بأن التهديد الأمني يعمل على تحفيز التحالفات الأمنية والاقتصادية في ميدان العلاقات الدولية ويُعزّز ما يُعرف بنظرية "توازن التهديد".

الخاتمة:

ازداد الاهتمام بدراسة الأمن ومستقبله وأصبح يتصدّر أولوية الاهتمامات لدى القادة السياسيين وصناع القرار بفعل الاجتياح الروسي لأوكرانيا في شباط ٢٠٢٢ وما رافقه من تهديدات جدية للأمن الأوروبي والعالمي. إذ تُمثل الحرب هذه نقطة تحول خطيرة وتهديد محتمل للبيئة الأمنية الإقليمية والأوروبية ولجميع أنحاء العالم، كما أعاد للأذهان نمطية الصراع الذي كان دائراً فترة الحرب الباردة بين القوتين العظميين وكانت إحدى ساحاتها القارة الأوروبية ومالها من تأثيرات سلبية على باقي مناطق العالم في جانبها الأمني والسياسي. وهكذا توعدّ صناع السياسة الغربيون نظام حكم بوتين منذ الاجتياح العسكري برد قوي، كما تعهد حلف شمال الأطلسي بزيادة الإنفاق العسكري للحلفاء، وتحسين قدراتهم الدفاعية ، وتعزيز قوة الناتو. كما اصطفّت الدول الأوروبية وراء سياسة الاحتواء لنظام بوتين، وتم تكثيف التصريحات الرسمية وتعبئة الرأي العام العالمي والمؤسسات الدولية لمواجهة روسيا، وبهدف إعادة التذكير على الدوام بأهمية الأمن واتخاذ كل الإجراءات اللازمة لصيانته وحفظه. ومن منطق "الواقعية" التي تحلّت بها الحرب الروسية على دولة جارة أصغر منها بكثير فقد تفوقت الواقعية على التفسيرات الليبرالية للأمن في ظل غياب "حكومة عالمية لحماية الدول من بعضها البعض.

وفي نظرة مستقبلية للأمن بشكل عام يتوجب منع الصراع العسكري المباشر وغير المباشر بين روسيا والنااتو، وديمومة التعاون الأمني والاقتصادي في مجالات الطاقة بين دول الاتحاد الأوروبي وروسيا، ووقف أي تمدد إضافي من قبل النااتو بضم أعضاء جدد في فضاء روسيا الاقليمي، كما يتوجب على الدول الأوروبية والولايات المتحدة التراجع عن خيار العقوبات الاقتصادية واسعة المدى والمفروضة على روسيا، وتضع في اعتبارها أن التخلي عنها سيكون مفيداً لاقتصاد الاتحاد الأوروبي وروسيا والعالم، كما يتعيّن على روسيا بوتين وروسيا ما بعد بوتين أن تتفهم بأن سياساتها العدوانية هذه ضد أوكرانيا إذا ما استمرت فهي تُشكّل خطراً حقيقياً ليس على الأمن الأوروبي بشرقه وغربه وحده بل على الأمن العالمي عموماً.